إيران
في عهد الساسانيين

ألفه بالفرنسية

أرثر كريستينسن

أستاذ الدراسات الإيرانية بجامعة كوبنهاجن

ترجمه

يحيى الخشاب

أستاذ الدراسات الشرقية
بكلية الآداب – جامعة القاهرة
عميد كلية الآداب سابقا

راجعه

عبد الوهاب عزام

أستاذ الدراسات الشرقية
وعميد كلية الآداب جامعة القاهرة
وسفير مصر سابقا

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
بيروت ص. ب ٧٤٩

الترجمة العربية لـكتاب

L'IRAN SOUS LES SASSANIDES

Par

ARTHUR CHRISTENSEN

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المترجم

صاحب الكتاب الذى نقدم إليه ، بعد أن نقلناه إلى اللغة العربية ، هو آرثر كريستنسن ، أستاذ الدراسات الإيرانية بجامعة كوبنهاجن ، الذى يعد من خير من كتبوا عن إيران قبل الإسلام وبعده .

وقد عنى كريستنسن بدراسة تاريخ إيران قبل الإسلام ، واستغرق هذا الموضوع أكثر كتاباته . ولاشك أن ما أتيح له من الدراسة الجدية فى صباه وما استطاع أن يحصله من معرفة باللغات واللهجات القديمة ثم إتقانه للغتين العربية والفارسية واللغات الأوربية المختلفة ، لا شك أن هذا كله قد أتاح له أن يستخدم فى أبحاثه من الأدوات ما يجعل لهذه الأبحاث أصالة وجدة . لقد استطاع كريستنسن أن يرجع إلى النقوش والآثار والنقود القديمة وأوراق البردى ، واطلع على المصادر المسطورة من يونانية ولاتينية وأرمينية وسريانية ، وقرأ كل ما ظفر به من إنتاج العلماء سواء كانوا من العرب أو من الفرس أو ممن يكتبون باللغات الأوربيــة . والذى يتابع إنتاج كريستنسن يعجب لما فى هذا الإنتاج من الخصب والقوة ويعجب لهذا العالم كيف أتيح له أن يقرأ هذا كله الذى يشير إليه فى أبحاثه وكيف استطاع أن يدرس ويدقق ويستخلص النتائج من قراءته هذه الطويلة .

وقد درس كريستنسن اللغات الشرقية وآدابها على المستشرق أندريس Andreas فى ألمانيا ، وواصل دراساته بعد ذلك فى المعاهد الشرقية فى كوبنهاجن وباريس ولندن ، وأتم دراسته بالرحلات العلمية إلى إيران التى تخصص فى تاريخها وآدابها ، فارتحل إليها فى السنوات ١٩١٤ و ١٩٢٩ و ١٩٣٤ ، هذه الرحلات التى مكنته

من أن يتعرف بنفسه على الأماكن التى يتحدث عن ماضيها كما توثقت صلاته بعلماء الفرس المحدثين الذين نقلوا بعض آثاره إلى لغتهم .

وقد كتب كريستنسن عن إيران القديمة أبحاثا كثيرة نذكر منها[1] :

(١) L'Empire des Sassanides, le peuple, l'Etat, la cour.

كتبه أول ما كتب سنة ١٩٠٧ ثم عاد إليه كما سنقول .

(٢) Le règne du Roi Kawadh I et le communisme mazdakite.[2] ١٩٢٥

(٣) Etudes sur le zoroastrisme de la Perse Antique. ١٩٢٨

(٤) Les Kayanides. ١٩٣١

(٥) Les Gestes des Rois dans les Traditions de l'Iran Antique. ١٩٣٦

(٦) Essai sur la démonologie iranienne. ١٩٤١

(٧) Quelques notices sur les plus anciennes périodes du zoroastrisme.[3] A O. (٤).

(٨) La légende du sage Buzurjmihr. AO. (٨)

(٩) Abrasam et Tansar. AO. (١٠)

(١٠) Les Types du Premier Homme et du Premier Roi dans l'histoire légendaire des Iraniens.

(١١) L'Iran sous les Sassanides.[4] ١٩٣٦

---

(١) رجعنا فى هـذه القائمة إلى كتب كريستنسن التى نعرفها ؛ وإلى كتاب A Guide to Iranian Area Study : Elvel - Sutton ، منشجان ١٩٥٢ ؛ وإلى كتالوج مكتبة Adrean Maisonneuve بباريس .

(٢) نقله للفارسية أحمد بيرشك ، وكان نصر الله فلسفى قد بدأ هـذه الترجمة . طهران ١٣٢٠ .

(٣) نقله للفارسية ذبيح الله صفا : مجلة دانشكده أدبيات ، عدد ٣ من السنة ٢ . طهران ١٣٣٤ .

(٤) نقله للفارسية رشيد ياسمى سنة ١٣١٧ وأعاد نشر الترجمة مع زيادات الطبعة الأخيرة منوچهر أمير مكرى سنة ١٣٣٣ .

وهو توسيع للبحث الذى أشرنا إليه رقم (١) وسنتحدث عنه .

وكتب عن اللهجات الإيرانية :

(١٢) Contes Persanes en langue poplaire. ١٩١٨

(١٣) La dialècte de Samnan. ١٩١٥

(١٤) Contributions à la dialèctologie iranienne.

وهو جزءان تما فى سنتى ١٩٣٠ و ١٩٣٦

(١٥) Textes Ossètes (قوقازية) receuillis avec un vocabulaire

وكتب فى الدراسات الإيرانية فى العصر الإسلامى :

(١٦) Critical Studies in the Ruba'iyat of Khayyam. ١٩٢٧

(١٧) Xawass i Ayat : خواص آيات

مقتطفات من هذا المخطوط الفارسى الذى يتحدث عن السحر فى آيات القرآن مع التعليق عليها .

واشترك فى بعض أبحاث ومنها :

(١٨) Description de quelques manuscrits orientaux. ١٩١٥

اشترك فيه مع Ostrup

(١٩) Les dialectes d'Awroman et de Pawa. ١٩٢١

اشترك فيه مع Benedictsen .

وأشهر مؤلفات كريستنسن هو هذا الكتاب الذى نقلناه إلى العربية ، «إيران فى عهد الساسانيين » L'Iran sous les Sassanides وقد ظل موضوع هذا الكتاب يشغل الأستاذ طول حياته ، وأبحاثه المتعلقة بتاريخ إيرن القديم كلها متفرعة منه . ففى أول حياته العلمية ، سنة ١٩٠٧ ، أخرج للناس بحثا فى عشرين ومائة صفحة عن الإمبراطورية الساسانية ، الشعب والدولة والبلاط ، وهو رقم (١) فى القائمة السابقة . وظل يتفكر فى هذا البحث ويعيد النظر فيه ، وتتسع نقطة من الدراسة بحيث تكون بحثا على حدة فيكون كتاب جديد ؛ ويستمر النظر فى البحث القديم ، وتنتج الدراسة العميقة والفكر الدائب والنطق المستقيم سنة ١٩٣٦ ،

بعد تسع وعشرين سنة ، كتابا جديدا فى تسع وخمسين وخمسمائة صفحة ، ويغير كريستنسن عنوان بحثه فيصبح « إيران فى عهد الساسانيين » وهو رقم (١١) من القائمة . وحين نشر الكتاب أصبح المرجع الأول المعنيين بالدراسات الإيرانية فيما يتعلق بالعصر الساسانى ، واعتبره المتخصصون أحد الكتب الباقية التى قلما تفقد قيمتها مع سير الزمان . وانتظر الأستاذ أن يستمع إلى نقد العلماء لكتابه ، كما ظل يترقب الأبحاث الجديدة التى قد تجعله يعيد النظر فى بعض النتائج التى انتهى إليها ، سواء كانت أبحاثا نظرية أو مكتشفات أثرية . وانتهى كريستنسن إلى وجوب تنقيح طبعة ١٩٣٦ ليضيف إليها القليل الذى رأى إدخاله عليها ، فكانت الطبعة الثانية التى يقول فى الأسطر القليلة التى قدمها بها : « . . وعنيت بالمكتشفات الجديدة وأهمها نقش كعبة زردشت وخرائب مدينة شاهپور التى وجدت فى نقش سابور الأول ، كما عنيت بالأبحاث التى ظهرت بعد سنة ١٩٣٦ والمتعلقة بالأوجه المختلفة للحضارة الساسانية . كذلك أفدت من النقد الذى أثاره كتابى وخاصة مقالات Bailey فى BSOS. و Minorsky, فى JRAS. و Stein فى الجزء ٥٣ من Muséon (١٩٤٠) . وبعد قليل من ظهور كتابى نشر Nyberg كتابه عن « أديان إيران القديمة » ، ظهر باللغة السويدية ثم نقله Scheader إلى الألمانية . . وقد عدلت الفصل المختصر عن أصول الزردشتية فى القسم الثالث من المقدمة بعد اطلاعى على آراء نيبرج » .

وكذلك أضاف المؤلف بعض الحواشى على كتابه ، فخرج فى ستين وخمسمائة صفحة . وكان ذلك فى عام ١٩٤٤ أى قبل أن تدركه المنون بعام واحد .

وقد نقلنا إلى العربية طبعة ١٩٣٦ ، فلما اطلعنا على الطبعة الأخيرة جعلنا للزيادات التى أدخلت ملحقاً خاصاً من صفحة ٥٦٧ إلى صفحة ٥٨٩ حتى يكون عملنا كاملا . وكنا نرجو أن نتمكن من إلحاق هذه الزيادات بالترجمة فى أماكنها أولا بأول ولكن الظروف لم تتح لنا هذا .

ولم يكن لنا ونحن نترجم نصاً أن نغير فيه حين نختلف مع صاحبه فى الرأى . ولقد كانت النتائج الهادئة المقنعة التى وصل إليها المؤلف تنال من إعجابنا الشىء الكثير ، ولكنا مع هذا نخالفه فى تحديد الزمن الذى وضع فيه كتاب تنسر الذى اعتمد عليه كثيراً . فالأستاذ يرى أنه وضع أيام كسرى أنوشروان ، وقد تبعه فى هذا جمهرة المستشرقين ، ونحن نرى أن الكتاب كتب أيام أردشير مؤسس الأسرة الساسانية . ويترتب على القول بأحد الرأيين نتائج خطيرة فى البحث التاريخى . فإن النظم القضائية والإدارية والتشريع ، التى جاء بها كتاب تنسر ، إذا نسبت إلى أنو شروان تؤدى إلى القول بأنها كانت تعديلا وتطوراً بالنسبة لما سبقها من النظم وذلك فى القرن السادس الميلادى ، وإذا نسبت إلى أردشير فإنها تبين أن الدولة الساسانية قد بدأت على هذا النحو المرسوم بالكتاب فى القرن الثالث . وقد ذكرنا الأدلة التى تجعلنا نميل إلى نسبة الكتاب لعهد أردشير فى مقدمتنا للترجمة العربية لكتاب تنسر سنة ١٩٥٤ ، ولذلك اكتفينا بالإشارة إلى هذا الرأى فى الحواشى ونحن ننقل كتاب كريستنسن . وكذلك رجعنا إلى ترجمتنا العربية لكتاب تنسر ، مع إثبات الإشارة إلى النص الفارسى نفسه سواء أخذه كريستنسن عن دار مستتر أو عن مينوى .

وللكتاب أهمية خاصة بالنسبة للدراسات المتعلقة بالحضارة الإسلامية . فهو يتحدث عن النظم الإدارية أيام الساسانيين ويبين ما نقل من هذه النظم إلى الدولة الإسلامية فيما بعد ، كنظام الوزارة واختصاصات كبير الوزراء وكنظام الدواوين والجباية .

وحين تحدث عن المذاهب الدينية أوضح ما غمض على الكتاب المسلمين من آراء الزنادقة فى العصر الإسلامى . فما ذكره عن زردشت ومانى ومزدك يفسر الكثير من نزعات الزنادقة . كما أن شرحه للمصطلحات الدينية يوضح ما جاء فى الكتب العربية عنها كهذا الذى جاء فى كتابى الفهرست والملل والنحل .

وبمناسبة البحث عن المذاهب الدينية شرح كريستنسن ما كان يجرى فى أعياد الساسانيين مما يفيد فى توضيح ما احتفظ به الفرس المسلمون من هذه الأعياد .

وفى الفصل الذى تحدث فيه عن النصارى بين ما كان من اضطهاد الدولة لهم أو تسامحها معهم حسب السياسة التى كان يتبعها كسرى ، كما بين ما كان بين فرق النصارى من الخلاف وما كان يقع على لفيف منهم نتيجة هذه الخلافات ، وقد تحدث بإسهاب عما كان بين اليعاقبة والنساطرة بوجه خاص . وهذا يكشف عما كان فيه النصارى فى إيران وما يتبعها من بلاد من القلق والضيق قبيل ظهور الدعوة الإسلامية .

ويوضح الكتاب ما كانت عليه إيران من ازدهار الثقافة ، أيام كسرى أنوشروان ، أى قبل الإسلام بقرابة ستين سنة ، فقد عمل كسرى على نقل الآثار الفلسفية والعلمية من اليونانية والهندية إلى البهلوية . وأحسن لقاء الفلاسفة الإغريق الذين طردوا من أثينا ، وأمر بفتح المدارس فى بلاده ليعلموا فيها ، ورأس المناظرات التى جرت بينهم وبين علماء الفرس ، ودارت المناقشات حول الدين والفلسفة وأيهما أولى بالاتباع ، وحول الجبر والاختيار وغيرها من مواضيع الفكر ، ونقلت كتب عن الطب وازدهرت مدرسة جنديسابور ، وتحدث الأدباء عن كتب الحكمة والنصائح ، واستخدم القضاة كتب الفقه والفتاوى ، وشاع بين الناس قصص كليلة ودمنة الذى جىء به إليهم من الهند . وهذه النهضة الثقافية فى إيران الساسانية تبين مدى تأثير الفرس فى الحضارة الإسلامية فيما بعد .

وقد رأت وزارة التربية والتعليم ، إدارة الثقافة ، عام ١٩٤٦ ، أن تعهد إلينا بترجمة هذا الكتاب إلى العربية . وقد حرصنا على أن نرجع للمصادر الأصيلة ، وخاصة العربية ، التى رجع إليها المؤلف وجعلنا للمصطلحات الإدارية والدينية والسياسية كشافاً خاصاً ، يجد فيه القارئ تفسيراً لما جاء فى كتب التاريخ الإسلامى والملل والنحل من هذه المصطلحات التى أدى غموضها إلى عدم ضبط كتابتها .

وحرصنا على أن نحتفظ ، بقدر الإمكان ، بالألفاظ الفارسية كما عربها الكتاب المسلمون ، كالمسعودى والطبرى والبيرونى ، فاحتفظنا مثلا بكلمتى الإصبهبذ وسابور (سپاهبد وشاهپور) ، ولكننا استخدمنا الكاف الفارسية لضبط الكلمات التى

يجب فيها نطق هذا الحرف ، حتى لا يتغير نطق اللفظ إذا ما كتب بالجيم العربية ، من ذلك اسم يزدگرد وقد آن الوقت لاستخدام الكاف الفارسية وغيرها من الحروف التى تنطق على وجه لا مثيل له فى الحروف العربية الحالية كالباء والجيم المثلثتين ، ما دمنا نرجع إلى المصادر الثقافية الأصيلة التى تستخدم هذه الحروف وما دمنا نحرص على أن ننقل إلى لغتنا العربية هذه المصادر ، لنسير مع غيرنا من الأمم فى ركب الحضارة .

حين عرف الفرس كتاب « إيران فى عهد الساسانيين » رأوا فيه ما يكمل كتاب « تاريخ إيران القديم[1] » الذى كان قد انتهى بالعهد الأشكانى فبادر رشيد ياسمى إلى نقله إلى اللغة الفارسية وبه اكتمل تاريخ إيران قبل الإسلام . ولسنا نشك فى أن نقله إلى اللغة العربية قد أضاف إليها كتاباً قيما يتناول فترة من التاريخ وثيقة الصلة بتاريخ العرب وتاريخ المسلمين . والله الموفق ؟

يحيى الخشاب

(١) ألفه حسن پيرنيا مشير الدولة فى ثلاثة أجزاء من ٢٧٢٢ صفحة .

تقديم

مضى زهاء ثلاثين عاماً منذ طبع كتابى « الإمبراطورية الساسانية » وقد أمدتنا هذه الحقبة من الزمان بكثير من المواد ليست متعلقة بأسس تاريخ المدنية الساسانية التى تناولها الكتاب المذكور (الشعب والدولة والبلاط) فحسب ، ولكن منها ، على سبيل المثال ، ما يمس الفنون والدين فى ذلك العهد . ولذلك رأيت أن أدرس تاريخ المدنية الساسانية ، من جميع نواحيها ، واصفاً تطوراتها وفقاً للترتيب الزمنى بقدر المستطاع ، بدلا من إخراج طبعة جديدة منقحة ومزيدة من الكتاب القديم ، وانتهت هذه الخطة إلى وضع تاريخ عام لإيران الساسانية وقد تضمن التاريخ السياسى منه عرضاً للحياة المادية والروحية ، وللأوضاع الاجتماعية ، والأفكار الدينية والفلسفية ، والفنون وغيرها .

وقد جاء التنظيم الإدارى للإمبراطورية ، بالطبيعة مرتبطاً بتاريخ نشأة الدولة ، كما أن التقلبات التى حدثت أثناء العصر وضعت حسب تاريخها . ولكى يكون كتابى أكثر حيوية ، جعلت المعلومات عن ناحية معينة من نواحى المدنية إلى فصل معين ، حيث يمكن استخدامها للتعليق على الحوادث السياسية أو الحالة العامة التى يتناولها الفصل . وهكذا نجد الملاحظات الخاصة بالإدارة الحربية فى العهد الأول للدولة الساسانية تسبق وصف الحروب الفارسية — الرومانية فى الفصل الخامس ، وسيجد القارئ أبحاثاً عن المحاكم والقانون الجنائى فى الفصل السادس ، بمناسبة اضطهاد النصارى والإجراءات القضائية التى كانوا ضحاياها . وجعلت بحث المسائل الخاصة بالأسرة والملكية مقدمة للفصل السابع الذى جعلت موضوعه الأساسى آراء مزدك الشيوعية . وفى الفصل الثامن ، وموضوعه كسرى الأول (أنوشروان) ، وصفت العاصمة وصفاً موجزاً ، فالواقع أنها بلغت حدها الأقصى فى عصر هذا الملك الذى بنى أنطاكية الجديدة فى ضواحى المدائن ، وذكرت فى هذا الفصل نفسه ملاحظات عن تقاليد البلاط ، ذلك لأن أكثر المؤرخين من العرب والفرس يتحدثون فى هذا

الشأن ، عن العهد الأخير للدولة الساسانية ، ذلك العهد الذى بدأه أنوشروان بعد القضاء على المزدكية . ومن ناحية أخرى ذكرت كل ماله صلة بترف البلاط فى الفصل الخاص بكسرى الثانى (كسرى پرويز) الذى لم يفُقه ملك ساسانى فى هذا الشأن .

وقد أوجزت القول عن السياسة الخارجية لإيران ، ولم أذكر من حوادث الحرب إلا ما اقتضته الضرورة القصوى . وقد استثنيت من هذا حروب سابور الثانى مع الروم . وما ذلك إلا لأن لدينا فى كتاب آمين مارسيلين رواية المؤرخ الوحيد الذى أحيى أمام أعيننا الملك العظيم وجيوشه والوقائع المتلاحقة التى كان لها شاهد عيان .

ويجد القارئ فى مواقع شتى من هذا الكتاب نصوصاً من كتابى « الإمبراطورية الساسانية » بعضها نقل كما هو وبعضها نقل مزيداً عليه أو مصححاً عند الحاجة . وحينما أغير فى آرائى تغييراً بيناً ، فإنى أسجل هذا فى النص أو فى الحاشية ؛ وأذكر هنا بنوع خاص ما طرأ على نظريتى فى العلاقات بين المرازبة والباذكسبانان والاصبهبذين من تغيير وخاصة بعد نشر مقالة شتين التى سأتناولها فى الملحق الثانى ، ولكنى أعترف أن هذه المشكلات لا تزال غامضة . وعرضى لتاريخ قباد الأول والمزدكية ما هو إلا إعادة لتأليف الجزء الثانى من رسالتى فى هذا الموضوع « حكم الملك قباد الأول والشيوعية المزدكية » مع ملاحظات مأخوذة من الجزء الأول من هذا الكتاب .

وأريد أن أقرر أن مخطوط هذا الكتاب كان معداً للطبع من ثلاث سنوات ، ولكن طبعه تأخر لأسباب لا ترجع إلى . وقد اضطرنى هذا التأخير إلى إعادة النظر المرة تلو المرة ، فى الفصل الرابع ، الذى يتناول المانوية فقد ظهرت عن هذا الموضوع عدة كتب مهمة جداً فى هذه الفترة . ثم إن كشف نصوص مانويه باللغة القبطية ، حديثاً ، وحل جزء منها ، قد أتاح لنا معلومات أوسع عن هذه الحركة الدينية .

ولكى لا يكون كتابى ثقيلا على المؤرخين من غير المستشرقين ، تجنبت استعمال الحروف الصوتية التى يصعب نطقها واستبدلتها بأخرى سهلة التناول مثل tch چ ، djh ج ، sh ش ، Zh ض ، Kh خ ، th ث ، gh غ ، dh ذ ، bh ب .

ومن الحروف الصوتية ما لا يوجد فى غير الكلمات والأسماء التى وردت فى الأوستا ، فهذه احتفظت برسمها القديم . وقد ذللت قليلا كتابة الاسماء والكلمات

البهلوية . فجعلتها بقدر الإمكان وفقاً لنطقها الأخير فى العصر الذى أكتب عنه . أما الاسم البهلوى للإله الأعلى للزردشتيين ، فقد كتبته كما يكتب عادة بالصيغة الشبه علمية أوهرمزد ولعل لفظ العامة كان هُرمزد ، وهى الصيغة التى استعمل بها هذا الاسم المقدس علم شخص .

وقد تطور نطق اللغة الإيرانية الوسطى فى القرون الأربعة للدولة الساسانية ولذا بدأ التناقض ، ولو فى الظاهر ، ولم يكن ممكناً تفاديه فى الكتابة .

والأسماء العربية والفارسية ، التى تكتب فى العربية مع علامات الشكل ، يمكن أن تقرأ كأنها لم تشكل . وكتبت الأسماء الجغرافية المشهورة بصيغتها الفرنسية العادية .

وعند ما استشهد بنصوص للكتاب الشرقيين مترجمة للغة الفرنسية أتبع غالباً هذه الترجمة ، اللهم إلا فى الحالات التى أحاول أن أجد نصاً أدق لبعض التعابير . وأما عن نصوص « كتاب تنسر » والتى أخذتها من الترجمة الفرنسية لدارمستتر فقد أجريت أحياناً التعديل نتيجة لمراجعة النص الفارسى الذى نشره دار مستتر مع الطبعة الجديدة لمينوى .

أما كتب الفن فلم أشر إلى كل ما يرجع إليه فيها ، فإن القارىء يجد الإشارات اللازمة كلها فى كتاب سار الرخيص الثمن وذى الحجم المناسب والذى به كل الصور الجميلة الهامة لتحف إيران القديمة .

وإنى أشكر لكل من أوستريب المساعدة القيمة التى قدمها لى فى دراسة بعض النصوص العربية ، واكنيان مُصلى دير الآباء المخيتاريين فى ڤينا ، وأمين المكتبة المخيتارية ، فإنه تفضل فأمدنى بمعلومات عن حياة المؤرخين الأرمن ، وسار الذى سمح لى باستعارة عدة لوحات منه ، وأخيراً فإنى سعيد حين أشكر مؤسسة رسك ارستد ، مؤسسة الحكومة الدانمركية التى عاونت على طبع هذا الكتاب بمنحة مالية

ارثر كريستنسن

مقدمة

١ — ملخص عن المدنية الإيرانية قبل الدولة الساسانية

١ — النظام الاجتماعى والسياسى للدولة الأشكانية

كون الإيرانيون منذ القدم جميعية من الأسر الكبيرة يستند نظام إقليمها إلى أربع وحدات : البيت (نمانه) والقرية (وِيس) والقبيلة (زَنتو) والإقليم (دَهيو)(١) وسمى الشعب آريا ، وهى الكلمة التى اشتقت منها الكلمة الجنسية والجغرافية إيران ، وهى إيران الحديثة .

وقد توارى نظام الأسر جزئيا فى مجتمع إيران الغربية تحت أثر سطحى للمدنية البابلية . وقد كانت الدولة الأكمينية (هخامانشية) استمراراً للدول الأشورية والبابلية والعلامية ، والأساليب السياسية الأكمينية هى أساليب الملوك البابليين والميديين مع ما أدخل عليها من الإصلاح بفضل العبقرية المنظمة ، عبقرية كوروش ودارا الأول . ولكن التنظيم على أساس الأسرة لم يمح ، وجد فى بلاد الميديين كما عاش فى فارس بالمعنى الأخص ، وظهر فى نقوش المقابر من نقش رستم حيث يسمى داريوس نفسه ابن ويشتاسپا (الأسرة) ، الأكمينى (القبيلة) ، الفارسى (الإقليم) ، الآرى (الأمة)(٢)

وكان فى فارس الأكمينية سبع قبائل ممتازة ، يجرى فى إحداها الدم الملكى . وقد

---

(١) فى الجاثا تذكر الوحدات الأربعة كالآتى دمانا ، ويس ، شوئيثرا ، دهيو A. Meillet, "Trois conférences snr les Gâthâ de l'Avesta," (باريس سنة ١٩٢٥ ص ٢٣) ويشار إلى أعضاء هذه الوحدات بالأسماء الآتية :

خواتو ، ورزنا ، ايريمن ، دهيو ، وذلك لأن المجموعتين ، فيما يظهر تتعلقان بنفس التقسيم الاجتماعى والإقليمى . بنفنست فى بحثه عن الطبقات الاجتماعية فى الأوستا : فى المجلة الأسيوية ، عام ١٩٣٢ ، ص ١٢٤ وما بعدها .

(٢) انظر ص ٩٦ من بحث اندرياس الذى قدمه فى مؤتمر المستشرقين الدولى الثالث عشر .

ظن هيرودوت خطأ أن سبب امتياز هذه الأسر هو اشتراكها فى قتل جوماتا الذى ادعى أنه سمرد(١) .

وكان فى إيران الأكمينية ، عدا هذه الأسرات الكبيرة بحكم مولدها ، سلسلة من التابعين ، ففى آسيا الصغرى مثلا إمارات قديمة حكم أمراؤها تحت سيادة الملك الأعظم ؛ وكانوا خاضعين فى الوقت نفسه للرقابة الفعلية للستاربة . ولكن من ناحية أخرى ، قد جعل الملك الأعظم لنفسه أتباعاً عنحهم إقطاعات يتوارثونها مع امتيازات خاصة ولم تعد صلة الأسرات وثيقة بالقرى الفارسية التى نشأوا فيها فحسب ، بل تعدتها إلى أملاك كبيرة أخرى فى شتى أنحاء الدولة ، وقد أتيح لأناس من غير الأسرات الكبيرة من الفرس والميديين ومن الأجانب أيضاً ، كالإغريق المنفيين ، أن يملكوا إمارات عنحها لهم الملك الأعظم ، وموقف هؤلاء السادة من الستاربه ليس جلياً ، ومهما يكن ، فإنهم تمتعوا بامتيازات تتفاوت خطورة ، منها الإعفاء من الضريبة أحياناً بحيث كان فى مقدورهم أن يستحوذوا على الأموال التى يجبونها من رعاياهم(٢) .

وهذا هو مبدأ نظام الإقطاع فى فارس . إلا أن هذا النظام لم يتكون تماماً أيام الأكمينيين . وقد ترك الإسكندر والسلوكيون ، ورثة الأكمينيين السياسيين كل ما هو أساسى من نظم دارا الأكبر .

وكذلك لم تترك التقاليد السياسية الأكمينية حينما تمكن الأشكانيون فى إقليم پارتا بمساعدة أشراف داها ، وهم كالأشكانيين أنفسهم من إيرانيى الشمال ، لتربيتهم العسكرية من الاستيلاء على پارتا ، ثم خلقوا بالغزو ، دولة إيرانية جديدة ، ولكن كان لهذه الدولة البرتية لونها الخاص . وقد انتقلت السيادة ، بقيام الأشكانيين ، من الغرب إلى الأقاليم الشمالية التى كانت أكثر الجهات احتفاظاً بالطابع الإيرانى .

---

(١) سمرد Smerdes هو برديوا Bardiva ، الابن الثانى لكوروش ؛ وقد قتله أخوه قمبيز وأخفى خبر قتله ، فادعى شخصيته كثير من المحتالين وسموا أنفسهم باسمه ، ومن هؤلاء جوماتا المجوسى فى القرن السادس ق . م .

(٢) Mayer : Geschichte des Altertums ٣ ص ٦١ — ٦٢ ؛ Christensen : Die Iranier ص ٢٦٨ وما بعدها .

وهكذا كانت دولة الأشكانيين ، رغم ظاهرها الإغريقى أكثر إيرانية من الدولة الأكمينية . وقد اتخذ ملوك الأشكانيين عاصمتهم الدامغان (هيكاتومبيلوس) فى پارتيا مدة قرنين من الزمان ، وذلك قبل أن يلجئهم تطور الزمن إلى نقلها إلى المدائن على ضفاف دجلة .

وقد عاد نظام الأسر سيرته الأولى بانتقال السيادة إلى إيرانيى الشمال ، وقد ظلت أصالة النسب مرعية فى الجماعة الإيرانية عدة قرون ، بل بعد سقوط الدولة الساسانية بين جماعة الزردشتيين . ويذكر فى الكتب البهلوية الرياسات الأربعة : رئيس البيت ورئيس القرية ورئيس القبيلة ورئيس الإقليم ، كما نجد هذا التقسيم فى الكتب المانوية التى كشفت نصوص منها فى تورفان . ولو أنه يرجع إلى عالم السماء [(١)] . والواقع أن الرياستين الأخيرتين ، وهما أعظم خطراً ، قد زالتا منذ زمن طويل ، وأن الدولة أصبحت تقوم مقامهما ، ومنذ الأزمنة البالغة فى القدم كان رئيسا الطائفة والإقليم عنصرين لازمين للنظام . ولكن سلطتهما لم تكن معروفة بوضوح كما كانت غاية فى التفاوت . ثم إنهما لم يصلا ، إلا استثناء ، إلى نفوذ يطغى على السلطة المحلية التى كانت مركزة فى أيدى رؤساء القرى . وعند ما تكونت الإمبراطورية أصبح نفوذ رئيس الإقليم فى يد الملك الأعظم نفسه . وقد سمى ملوك الأكمينيين أنفسهم فى نقوشهم خشايثيه دهيونام أى ملوك الأقاليم .

وحل الستاربه المعينون من قبل الملك محل رؤساء الطوائف . وقد اتبع هذا الوضع عينه أيام الأشكانيين ، فإن النظام الأكمينى كان من القوة ، فى هذه الناحية ، بحيث صمد لكل الأعاصير .

أما رياستا البيت والقرية ، وقد كانتا أقل شأناً ولكن أكثر ثباتاً ، وهما الأسرة ورئيسها (مانبذ) والقرية ورئيسها (ويسبذ) فقد بقيتا .

وقد كان الأشكانيون ومن ناصرهم من الرجال منذ بداية الأمر ، والذين كانوا نواة للدولة البرتية فيما بعد ، كانوا من رؤساء القرى ، شأنهم فى ذلك شأن دارا

---

(١) النصوص الخطية : ٤٧٢ ، ٤٧٣ .

ومن معه من قبل ، وإنى أكرر هنا أن رؤساء القرى كانوا الطبقة العليا لهذه الأرستقراطية التى استمدت سيطرتها من الأراضى التى كانت تملكها وتتوارثها . وعلى هذا الأساس فقد بلغت نواة نظام الإقطاع أشدها بمجرد تكوين دولة البرت .

وأما البيوت التى كانت لها المكانة الأولى فى ذلك العهد — ولعل ذلك كان بتأثير التقاليد التى استمرت منذ أيام الأكمينيين — فقد كان عددها سبعة[1] ، منها اثنان ، عدا البيت المالك ، كانا قويين وهما سورن الذى كان يتوارث حق تتويج الملك وقارن[2] . وكان لرؤساء القرى ، فى هـذه الطبقة ، المكانة العظمى فى الدولة فانهم كانوا كبار أمراء الملك وهو الرئيس الأعلى ، وكانوا ينشئون رعاياهم على الحرب معه أو عليـه ، وقد ساق سورن لحرب كرسوس جيشاً من عشرة آلاف فارس « كانوا جميعاً من عبيده[3] » . وهذا معناه ، بغير شك ، أن الحراثين ، وعليهم يقع عبء الخدمة العسكرية كانوا خاضعين لضرب من الرق تحت سيطرة سادتهم الأقوياء . وكانت هناك طبقة بين الأمراء والحراثين ، ممن يملكون قدراً من الأرض ، وهم من أعيان الدرجة الثانية ومن الفرسان[4] . ويحتمل أن يكون رؤساء البيوت (مانبذ) من هذه الطبقة . وبين هذا النظام نظام الإقطاع فى أوروبا إبان العصور الوسطى شبه يستلفت نظر المؤرخ .

وكانت الرابطة بين الأمراء والحراثين أيام البرت وعنـد الأوربيين أقوى

(١) يقول أو نابيوس (طبعة دندروف ص ٢٢٢) إن سبعة رجال رفعوا أرشك على العرش .

(٢) سورن الذى قهر كرسوس معروف ؛ وقد أشار Tacite إلى عظيم آخر بهـذا الاسم سنة ٣٢ م (Annale) (٦) ص ٤٢ ؛ قارن Arch. mitt Herzfeld ، ٤ ص ٧٠ وما بعدها . وقد اشتهر رجل اسمه قارن ، سنة ٥٠ م ، فى الحرب بين جودرز ومهردات (تسيت ، Annale (١٢) ص ١٢ وما بعدها ؛ وهرتزفيلد ١ ، ص ٦٤ وما بعدها) .

(٣) باوتارك كرسوس ٢١ . قارن Justin ٤١ ، ٢ : « ليس من الجيش ولكن من طبقة أخرى ، فبعضهم أحرار من العامة وليسوا عبيدا محررين ، بل هم من الأحرار ذوى الثروة أو أصحاب الأعمال المهمة أو من هم أغنى منهم ممن يقدمون على نقدم الخيل فى الحرب » .

(٤) جمع البرت لمحاربة انتوان جيشا عدده خمسة عشر ألف رجل ، منهم أربعمائة من الأحرار (جستن ٤١ ، ٢) .

منها بين الأمراء . والملك صاحب السيادة العليا وهى فى هذا كالصلة فى نظام الإقطاع القديم . ولم يكن العرش نفسه ، أيام الأشكانيين ، مماثلا لنظام الإقطاع من حيث الوراثة . فقد كان الملك مقصوراً على أسرتهم ، ولكن الوراثة لم تكن من الوالد لولده لزاماً ، فإن العظماء يختارون من يلى العرش ، فإذا اختلفوا ، تحاربت الأحزاب وانتخب كل حزب ملكا أشكانياً .

ونحن لا نعرف الصلة بين الحكومات الملكية فى الأقاليم وبين المقاطعات .

ومن الممكن افتراض أن كبار الأمراء كانوا حكاماً على الأقاليم التى بها إقطاعاتهم الأساسية(١) ومهما يكن فإن الولايات كانت بين أمراء البيت المالك وأعضاء الأسر الست الممتازة الأخرى . وكانت معظم الولايات أقل اتساعا من ولايات ستاربة الأكمينيين ، ولو أن حكام الأشكانيين كانوا أكثر استقلالا . ويظهر أن لقب ملك لم يكن قاصراً على الحكام من البيت المالك — وهى العادة التى كانت متبعة دائماً فى إيران — بل إن الثمانى عشرة ولاية كانت تسمى ممالك(٢) .

ولذا فإن تسمية المؤرخين العرب للعهد الذى بين الإسكندر وقيام الدولة الساسانية بعهد ملوك الطوائف لم تكن مجانبة للصواب ، فهذا التعبير هو الترجمة العربية للاصطلاح البهلوى كذلك خداى(٣) « رب البيت » أو الأمير الحاكم (Landesfürst بالألمانية) .

---

(١) ولعله ليس من المصادفة أن يكون الإقليم الذى هو أول مركز لقوة الأسرة الأشكانية ، إقليم فرطيا (پارتيا) ، (الإقليم الذى يماثل الستربة الأكمينى الذى يحمل هذا الاسم) مقسما فى ذلك العهد أكثر من أى إقليم آخر فى الدولة . ويقول Isidore de Characène إنه كان مقسما إلى ست حكومات ، وكانت جرجان قسما منها ، وهى إمارة وراثية لجيو الذى ولى أحد أبنائه المسمى جوذرز العرش . ولا شك أن جيو هذا من أكبر أسر الدولة . قارن Herzfeld ، Arch. mitt ، ٤ ، ص ٥٨ وما بعدها .

انظر الشاهنامة قصص جيوو جوذرز ص ١٠٨ وما بعدها . (ترجمة عزام) .

(٢) Pline ، Hist. nat ، الكتاب السادس ، ص ٢٦ .

(٣) ذكر هذا الاصطلاح فى البندهشن الإيرانى (نشر انكاسريا ص ٢١٤ ، ١ — ١٣) ، ومن كارنامك ؛ أنظر ص ٣ ، ٣٥ من :

Bartholomae : "Zur Kunde der mitteliranischen Mnndarteu"

وقد ظهرت السلطة السياسية للأمراء العظام فى مجلس الشورى الأرستقراطى الذى كان يحدد سلطة الملك . ويسمى جستن Jusitn[1] هذا المجلس بمجلس الشيوخ Sénat ونحن نعرف أن قواد الجيش والحكام كانوا من بين أعضائه[2] ، وهذا يبين أن وظيفة الحاكم لم تكن وراثية ، وكان أعضاء المجلس ينسبون أنفسهم للملك الأعظم وربما كان المجلس مكونا من أمراء الأسرة المالكة وكبار السادة فى الأسر الست الممتازة الأخرى ، ذلك أننا كثيرا ما نجد اسمى سورن وقارن بين أسماء قادة الأشكانيين ونحن نعرف أن هاتين الأسرتين تعتبران فرعين للأسرة المالكة . ونجد من ناحية أخرى[3] ما يبين وجود طائفة أخرى شاركت فى تصريف شئون الحكم وهى « جمعية أهل الحكمة ورجال الدين » التى ربما كان الأشكانيون يستشيرونها والتى أشارت فى بعض الأحوال المهمة ببعض الجزاءات الدينية[4] ، ولم يكن لهذه الجمعية تأثير كبير فى سياسة الدولة . وعلى كل حال لم نسمع مطلقا أنه كان « لأهل الحكمة ورجال الدين » شأن يذكر فى مصير الدولة البرتية : فهذه الجمعية لم تعدُ المشورة ، بينما كان مجلس الشيوخ قوة حقيقية فى الدولة .

وقد خص العدد القليل من العظماء ، الذين يكونون مجلس الشيوخ ، أنفسهم بأهم مناصب الدولة ، كمناصب البلاط وغيرها من الوظائف العامة وعلى هذا النحو كانت الأرستقراطية الإقطاعية ماثلة فى البلاط أيضا . وما يذكره مؤرخو الأرمن عن تنظيم دولتهم يكمل القليل الذى ذكرته المصادر اليونانية الرومانية عن نظم الدولة البرتية . فقد سارت إدارة أرمينيا وفقا لنظم الأشكانيين فإن فرعا منهم قد حكمها منذ سنة ٦٦ م .

---

(١) (٤٢) ، ٤ ، ١ .

(٢) Strabon ١١ ، الفصل التاسع ؛ Justin (٤١) ، ٢ ، ٢ حيث قرأ جوتشمد *Probulorum ordo* أوامر كثيرة بدلا من *Poplorum ordo* (٤٢ ، ٤ ، ١) ، Irans' Geschicthe ص ٥٧ .

(٣) سترابو ١ ، c

(٤) يقول سترابو إن انتخاب الملك الأعظم كان يجرى دائما فى هاتين الجمعيتين . وعندى أن هذا معناه أن الانتخاب كان يتم فى مجلس الأقارب (sénat) ثم يؤيد تأييدا رسميا فى مجلس أهل الحكمة والدين .

وقد أورد موسى الخورينى نصا يلفت النظر عن التغييرات التى أجراها وَلَرْشَك أول ملوك أرمينية الأشكانيين(١) . فقد بدأ هذا الملك بتنظيم البيت المالك فأولى رئيس عائلة بجرتونى الذى قيل إنه من أصل يهودى رياسة العائلة مع إعطائه حق تتويج الملك(٢) كما منحه الحق فى رياسة الفرسان ، وهذان الحقان وراثيان له ، وحق لبس التاج ذى الطبقات اللؤلؤية الثلاث خالياً من الذهب والجواهر الأخرى عندما يكون فى البلاط أو فى غرفة الملك . و منح وَلَرْشَك رئيس أسرة أخرى حق إلباس الملك المجوهرات الملكية . وجعل الحرس الملكى من أعضاء أسرة أخرى أو بالأحرى قبيلة ممتازة . وقسمت الأعباء الأخرى على عائلات مختلفة ، كالقائم على الصيد الملكى ، ورئيس مخازن القمح ، ورئيس التشريفات ، وكبير الأمناء ، وقيم الشراب ، والمشرف على القرابين والبازيار ، وملاحظ المصطاف ، وحامل النسور أمام الملك أثناء الحرب ومن المحتمل أن هذه العائلات لم تكن كلها من الدرجة الأولى من قبل ، ذلك أن موسى ينص صراحة على أن القائم على الشراب رفع إلى مرتبة الحكام (نخرر)(٣) وأن ملاحظ المصطاف رفع إلى مرتبة النبلاء « كأفراد البيت المالك » .

وبعد أن نظم ولرشك بلاطه ، منح كبار رجاله الإقطاعات والولايات . وقد

---

(١) ولرشك هو الصيغة الأرمنية لولاجاس Volagase ، مع إضافة ك والواقع أن مؤسس الأسرة الأشكانية فى أرمينيا هو تيريدات ، أخو الملك الأشكانى ولاجاس الأول الذى اعترف به الإمبراطور نيرون ملكا سنة ٦٦ م (أنظر مقالة ماركوارت فى ZD M G الجزء ٤٩ ، ص ٦٣٩) . وقد ترجم تاريخ موسى الخورينى إلى الفرنسية فى مجموعة لنجلوا لمؤرخى أرمينيا (Collection des Historiens de l'Armenie de Langlois) الجزء ٢ ، ص ٨٢ وما بعدها .

(٢) وهو امتياز أسرة سورن فى دولة الأشكانيين .

(٣) صيغة أرمنية للقب إيرانى نجده فى إيران الساسانية فى كلمة نخوذار Nakhvadhar (آمين مارسيلن ١٤ ، ٣ : « نخوذار باسمه هذا يبين أنه ينتمى إلى الطبقه الرفيعة » ، وقد فهم آمين اللقب على أنه اسم علم) . ولقب آخر مشتق من نفس الأصل هو نخوارگ nakhvaragh (صيغة شمالية غربية) أو نخوير nakhver ، أو نخويرگ nakh veragh (صيغة جنوبية غربية) : Ναχόεργαν عند ميناندر Menandre ، Ναχοραγάν عند أجاتياس Agathias ، Σαρναχοργάνης عند تيوفيلكت Théophylacte ، Σανναχοργάν عند ميناندر Menandre . انظر Benveniste فى مجلة الدراسات الأرمنية Revue des Etudes Arméniennes ، ج ٩ ، ص ٦ — ٧ .

حدث لبس واضح عند موسى الخوريني ومؤرخي الأرمن في استعمال كلتي « إقطاع » و « حكومة » . فيقول موسى مثلا إن ولرشك أعطى جبل (رئيس مخازن القمح) وآبل رئيس التشريفات ، قرى سميت باسمهما . ثم يقول وهناك الحكومتان الجبلية والآبلية[١] ولا شك أن كلمة حكومة (نخرَرُوتثون) قد استعملت هنا بمعنى الإقطاع . وبتقصي الإقطاعات التي وهبها ولرشك ، يشير موسى إلى أن عائلة جوتشر أصبحوا ولاة الشمال (بدشخ) ولكنه يسمي هذه الولاية « إمارة» (نهاپتوتثيون)[٢] . ومن السهل أن نعدد الأمثلة لهذا اللبس الذي لا يفسر إلا إذا فرضنا أن الحكومات ، أو على الأقل بعضها ، كانت وراثية في أرمينيا ، فأصبحت على هذا النحو إمارات حقيقية ، وهكذا يكون التطور في أرمينيا أسبق منه في إيران .

والظاهر أن كلمة « بدشخ » كانت لقب الولاة (المرازبة) الأربعة الذين يحكمون الثغور في الجهات الأصلية[٣] . وقد ألحق بهذه الوظيفة إقطاعات كبيرة في كل ولاية تمنح لواليها ، وعلى هذا أقطع شاراشان ، من عائلة سانا سار ، والي الجهة الجنوبية الغربية ، كورة أرزن وما حولها من الأراضي . ثم جبل طوروس وسهل البقاع كله وقد كان نظام البدشخ معروفا في إيران أيام الدولة الساسانية تحت اسم بِدَخش[٤] وهذا يبين أنها أخذت من البرتيين . ونجد في فارس نظام المرازبة الأربَعة[٥] .

وينسب إلى ولرشك سلسلة من النظم الأخرى الخاصة بالبلاط وبالدولة فقد قسم الحرس الوطني إلى عدة طبقات ويحتمل أن يكون استخدام هذا الحرس مخصصا لحماية الحدود ، بينما كانت الحروب الكبيرة يعمل بها جنود الإقطاعات . ثم حدد ساعات الاستقبال في البلاط ، والمجالس ، وأوقات اللهو وعين مذكِّرَين «عليهما أن يذكرا

(١) لانجلوا ٢ ، ص ٨٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٨٤ ، نهپت Nahapet ، نخرر Nakharar يدلان على منصبين مختلفين ، بنڤنست ١ ، ص ٧ .

(٣) انظر ماركارت في ايرانشهر ١ ، ص ١٦٥ وما بعدها عن كلمة بدشخ bdeashkh الأرمنية ، ومن رأيه أن نظام البدشخات الأربعة قد أدخله تجران الكبير ملك أرمينيا (٨٩ — ٣٦ ق . م) وهو زوج بنت تيريدات .

(٤) سجل پيكولى ، انظر هرتسفلد .

(٥) انظر الفصل التالى .

الملك كتابة ، « أحدهما بالخير الذى يقدم ، والثانى بالثأر الذى يطلب » . وكان على الموظف الأول أن يعنى بأن لا يصدر عن الملك ، فى غضبه ، أوامر جائرة وأن يذكره بالعدالة وخير الناس[١] . ثم نصب ولرشك فى المدن والريف قضاة ، وجعل سكان المدن طبقة فوق طبقة الحراثين ، وأمر هؤلاء أن يرعوا أولئك لأنهم أعلى مقاماً ، كما أمر سكان المدن « بأن لا يظلموا الحراثين » وهكذا ، وكل هذا يكشف بجلاء عن نظم إيرانية اقتبسها الأرمن .

يروى فوستوس[٢] كيف أخذ الملك أرشك (فى منتصف القرن الرابع بعد المسيح) فى إعادة تنظيم مملكته بعد فترة من الاضطراب البالغ . فعين قادة على الثغور فأسند إلى عائلة گنونى (التى رفعت إلى مرتبة الحكام حين أسند إليها ولرشك أمر الشراب) كل ما يتصل بالإدارة العليا لشئون الدولة . كما أسند رياسة الجيش وكل ما يتعلق به إلى أسرة تميكون . « وقد حظى أعضاء هاتين الأسرتين ، والنبلاء الذين يأتون من بعدهم ، والذين يحملون لقب حاكم بحق الجلوس فى حضرة الملك على النمارق حاملين على رءوسهم شارات الشرف . وهذا عدا رؤساء العائلات الكبيرة الذين أذن لهم ، بوصفهم حكاما ، بدخول القصر وقت الطعام جالسين على تسعمائة وسادة بين الندماء » .

وإذا قارنا هذه النظم بما يشابهها[٣] نجد أن الوظيفة والطبقة لم يكونا لازمين لعائلة معينة لزوم الأرض لها ، بل كان لدى الملك القوى من الوسائل ما يمكنه من السيطرة على النبلاء . ومن ناحية أخرى نجد أمثلة لموظف كبير قد قارب الموت فقلد ولده من تلقاء نفسه ، كل حقوقه وولاه مكانه[٤] . وكثيراً ما وقعت الثورات من

---

(١) قارن « نهاية الأرب » (J R A S سنة ١٩٠٠ ص ٢٣٢ ، Browne)، حيث قيل عن الملك الساسانى كسرى الأول إنه أمر وزراءه بمراجعته إن أصدر أمرا جائرا .

(٢) Langlois ١ ، ص ٢٣٦ .

(٣) منها القوائم الخاصة بنظام الأماكن على مائدة الملك ، وهى ترجع الى تاريخ لاحق ، وقد جاءت فى « حياة القديس نرسه » ، لانجلوا ٢ ، ص ٢٥ ، ومنها وثيقة «وسكو ». (المصدر السابق ص ٢٦ — ٢٧ ، الملحوظة) .

(٤) القائد مانويل Manuel (فوستوس البيزنطى ، لانجلوا ١ ، ص ٣٠٥) .

الأمراء والحكام ولكن يشترط لغصب العرش أن يكون الغاصب من البيت المالك[١] وقد حدث فى بعض العهود أن استأصل الملك القوى عائلات النبلاء التى يراها خطرة عليه[٢] ، وكان ينتهز هذه الفرصة فينزع أراضيهم ويضمها إلى إقطاعات التاج[٣] ، ولم تكن المنازعات بين النبلاء أنفسهم قليلة . وفى بعض الأحيان يبلغ رئيس الأغوات من القوة ما يهيىء له ظلم عائلات الستاربه (الحكام)[٤] .

ويوضح لنا نص من كتاب فوستوس البيزنطى[٥] هذا الوضع ، وهو موقف العظماء الذين هم نصف موظفين تابعين للملك ونصف أمراء شبه مستقلين عنه . وتعتمد قوتهم العسكرية على التنظيم الإقطاعى للمجتمع . وقد أراد الملك الأرمنى خسرو الثانى أن يستوثق من عدم خيانة العظماء له ، وكان قد بدر ما يحذره منهم ، وهو مشتبك مع الإيرانيين فى حرب ضروس فى منتصف القرن الرابع[٦] فأصدر القانون التالى :

« على العظماء والحكام ، سادة وملاكا للأقاليم ، الذين يرأسون فرقا من الألف إلى عشرة آلاف ، أن يبقوا منذ الآن عند الملك ويكونوا حاشية له ، ولا يجوز أن يبقى أحدهم فى الجيش الملكى » .

وعلى هذا النحو ضم خسرو الثانى كل الفرق التابعة للأسر القديمة إلى جيشه فلما تم له تكوين الجيش ولى عليه قائدين كان يعتمد عليهما ، وهما الوحيدان اللذان يثق بهما بين العظماء . وهكذا حاول هذا الملك أن يقضى بضربة واحدة على نظام الإقطاع فى أرمينيا . ولكن يبدو أن هذا القانون بقى بلا أثر . وقد جمع وَتْش وهو أحد القائدين اللذين وثق بهما خسرو ، قبل موت هذا ، الحكام مع قواتهم جميعها ليقودهم لمحاربة الإيرانيين .[٧]

(١) وقد نال سَنَتْروك لقب ملك ، وهو أشكانى . أما بَكور البدشخ العظيم فإنه عند ما ثار لم يستطع أن ينال هذا اللقب لأنه لا ينتمى إلى البيت المالك (موسى الخورينى ، لانجلوا ٢ ، ص ١٥٣) .

(٢) موسى ، لانجلوا ٢ ، ص ١٤٨ .

(٣) فاوستوس ، لانجلوا ١ ص ٢١٧ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٢٥٠ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٢١٧ .

(٦) قبل أن ينظم أرشك الدولة .

(٧) لانجلوا ١ ص ٢٢٠ .

ونعود الآن لدولة البرت فنقول إن الصورة التي يعطيها المؤرخون القدماء لها لا تختلف كثيراً عن صورة المملكة الأرمينية ، فطابعها المميز هو الخلاف ما بين الأرستقراطية الإقطاعية ، التي هي في الوقت نفسه أرستقراطية البلاط ، وبين سلطة الملك الأعظم والمثل الكامل لسيد برتي عظيم ، كما يصفه بلوتارك ، هو الصورة التي يضعها لسورن عدو كرسوس[١] : « لقد كان الأول عند الملك في غناه ونبله ومجده ، وكان في قيمته وقدرته الأول بين البرتيين ، ولم يكن له نظير في اعتدال قامته وجمال جسمه ، وكان إذا سار إلى الريف تبعه ألف جمل تحمل أمتعته ، ومائتا عربة تحمل سراريه ، وألف فارس عليهم الدروع ، وعدد عظيم من الجند بسلاحهم ، فإن لديه عشرة آلاف فارس ، منهم من هو من أتباعه ومنهم من هو من عبيده ، وإنه ليبدو على رأس فرقته يوم المعركة حسن الوجه مديد القامة » « وقد اشتهر بعظمة تتنافى مع جمال الذي يشبه جمال النساء ، فإنه كان على طريقة الميديين يجمل وجهه ويضفر شعره بينما كان غيره من البرتيين[٢] يرسلونه طويلا أشعث على طريقة السيت لكي يلقوا الرعب في النفوس » . وكان يأخذ معه سراريه ، أثناء المعركة ، فيقضي لياليه مستهتراً ، بين الخمر والغناء والموسيقى والنساء[٣] .

ومهما يكن من قوة سورن فقد ذهب ضحية غيرة الملك منه . فإن الملك تتحقق له الغلبة إذا نازع عظيما واحداً ، أو كان العظماء شيعاً . وأما إذا أجمع العظماء أمرهم فإنهم في الغالب يقيمون أو يعزلون ملكا بعد آخر ، وإذا كانت الدولة الأشكانية لم تبلغ يوماً ما كان للدولة الأكمينية من القوة والثبات إلا أنها كانت من حيث الشكل ،

---

(١) كراسوس (Marcus Licinus) هو ثالث بمبي وسيزار ، قتل في حربه مع البرت سنة ٥٣ ق . م .

(٢) بلوتارك Plutarque ، كرسوس (٢١) (٢٢) . وينبغي أن نفهم من كلمة « البرتيين الآخرين » أغلبية جيش سورن ؛ لأن الترف الميدي كان شائعا من غير شك بين الأرستقراطية . وقد ظهر ملوك البرت ، من أيام ميتردات الأول وشعورهم ولحاهم مجعدة . ويقول justin بالنص « منذ زمان كانت الملابس تتبع القدر فكانت كلما زادت ثروة الرجل زادت شفافية ملابسه » ولمعرفة نوع حياة البرت انظر Pline (١٠) ٥٠ ؛ (١١) ٢٦ ، ٢٩ ، ٥٣ ؛ (١٢) ٣ ، ١٧ ؛ (١٤) ٣ ، ٢٢ ؛ Justin (٤١) ، ٣ .

(٣) بلوتارك ، كرسوس (٣٢) .

دولة استبدادية ، فإن سلطة الملك لم تكن محدودة بالقوانين ، فكان إذا أتاحت له الظروف القوة ، يحكم البلاد بكل ما لدى السلطان الشرقى من الاستبداد .

وكان الملك يخشى أفراد أسرته خاصة . ولما يكنه الإيرانيون من إجلال لحقوقه إجلالا يكاد أن يكون دينا ، لم يكن العظماء ليتجرءوا على المخاطرة بمناوأته من غير أن يعتمدوا على أحد أفراد الأسرة الأشكانية ممن يعارضونه . وهكذا قسا ملوك البرت قسوة بالغة على أقاربهم ، ولكن كانت هذه القسوة تذهب عبثاً فى غالب الأحيان . فقد كان المستاءون يجدون عادة أميراً أشكانياً نجا من المذبحة يسعده أن ينتقم لما قاسى .

والملك بعيد المنال عادة[١] . ومن المزايا التى احتفظ بها حق لبس التاج العالى[٢] ، وحق النوم فى سرير من الذهب ، وهذان الامتيازان منحهما الملك أرتبان الثالث استثناء لتابعه الملك إيزات الأديبينى جزاء له على مساعدته إياه فى اعتلاء العرش . وكان العرش الذهبى فى المدائن ؛ وقد وقع فى يد الإمبراطور تراجان سنة ١١٥ م . وكان للملك ، فى الصيد ، كما كان للأكمينيين ، غابات تربى فيها الآساد والدببة والنمور[٣] . وكانت نتيجة الدور الكبير الذى يلعبه « الحريم » فى بلاط شرقى ، أن كان الخصيان يظفرون بسلطة كبيرة ويؤثرون تأثيراً كبيراً فى أمور الدولة[٤] . وكان الملك إذا ذهب للصيد أحاط به جماعة كبيرة من حملة الحراب ومن الحرس[٥] . وكان على من يقابل الملك أن يقدم إليه الهدايا[٦] ،

---

(١) « العظمة المعروفة بغير الترف مجهولة عند الفرس » ، (تاسيت ، تاريخ ٢ ، ٢) وهناك ملحوظة ليست جديرة بالثقة فى Flavius Philostratus ١ : ٢٧ : يقدم لجميع الأجانب الذين يدخلون إحدى المدن الكبرى تمثال ذهبى للملك ينبغى عليهم عبادته . والمدينة هنا بابل .

(٢) وكذلك كان يلبس الملوك الأكمينيون . وكان ملوك البرت ، فى المناسبات الكبرى ، يستبدلون التاج الأكمينى ذا الشرفات بتاج مرصع بالجواهر يسميه Herodian بالتاج المضاعف .

(٣) فلافيوس فيلوستراتس ١ ، ص ٣٨ .

(٤) أنظر مثلا Annales Tacite (٦) ، ص ٣١ .

(٥) فلافيوس (١) ، ص ٣٣ .

(٦) المرجع نفسه ص ٢٨ ؛ Sénèque ، حديث ١٧ .

كما كانت العادة عند الأكمينيين . وكانت خزينة الملك وخزينة الدولة شيئاً واحداً ، كما كان الحال دائماً فى إيران إلى أن أدخل الدستور فى العهد الحاضر ، وكانت الجزية التى تدفعها الدول التابعة تنصب فى خزينة الملك ، حيث تجمعت ثروات ضخمة(١) .

٢ — سكان الشمال والشرق

لبثت المستعمرات التى شيدها الإسكندر الأكبر وخلفاؤه فى إيران معقلا للمدنية الإغريقية فى الأطراف النائية عدة قرون . وقد أنشأ ديودوتس فى منتصف القرن الثالث ق . م مملكة مستقلة تضم بلخ والصغد ومرو وفى النصف الأول من القرن الثانى غزا ديمتريوس ابن المغتصب ايثيديموس البنجاب واستقر فى بلاد الأفغان والهند ، بينما وقعت بلخ والأقاليم المجاورة فى يد رجل اسمه أوكراتيدس وسعى كل من هذين الملكين اللذين اشتبكا فى حرب عوان ، سعياً حثيثاً لاتخاذ مستعمرات يونانية جديدة ، على حين كانت المدنيات الأهلية تظهر من جديد . وقد ظهرت النقود الإغريقية — البلخية التى سكها ديمتريوس وعلى ظهرها نقوش هندية بالحروف المسماة الأريانية وهى من أصل آرامى ؛ وسك أوكراتيدس عياراً إيرانيا شرقيا ، وقد أنشأ باسمه ممالك إغريقية صغيرة فى وادى كابل ، إقليم پشاور . وبعد ذلك بقليل اتحدت شق الممالك الإغريقية فى وادى كابل والهند وأصبحت إمبراطورية كبيرة حكمها فى آخر القرن الثانى وأوائل القرن الأول قبل المسيح ميناندر المشهور « ميليندا » الهنود ، الذى قام بغزوات جديدة فى الهند واعتنق آخر الأمر البوذية وأصبح ذا شهرة واسعة بين أهل هذا الدين .

وفى هذا الوقت بدأت الهجرات الكبيرة لشعوب آسيا الوسطى(٢) . فإن غارات الهون ، وهم قوم من الترك تجرى فيهم دماء المغول والصينيين ، فى مقاطعة قانصو الصينية ، التى وقعت فى النصف الأول من القرن الثانى ق . م ، دفعت إلى الهجرة

---

(١) فلافيوس (١) ، ٣٩ .

(٢) انظر الأبحاث الجديدة لهرتسفلد فى Arch. Mitt ، (٤) ص ١٣ وما بعدها .

الشعبين اللذين يسميهما الصينيون يوتشى ، وسون ، ثم شملت الهجرة شعوباً أخرى .

وبعد عشرات من السنين استقرت الجماعة الكبيرة من يوتشى «يوتشى الكبار» فى شمال جيحون . وقد وجد فى هذا الوقت نفسه اسم قبيلة التخار ولا يعلم هل كان هذا الاسم يدل على هذه الجماعة نفسها أوأن اليوتشى حينما أخضعوا التخار ، أطلق اسم هؤلاء عليهم ، أو أن اسم اليوتشى قد أطلق على الهيئة الحاكمة بين التخار . واجتاحت قبائل من السجزيين ، مطرودة من فرغانة ، بلخ وآراخوزى (كيپين عند مؤرخى الصين) وزرنك . وقد سميت زرنك منذ ذلك الوقت سجستان ، وسيستان جزء منها الآن . وقد أسس الساجيون أو الهنود السيت هناك مملكة اعترفت بسيادة الدولة البرتية منذ أيام ميتردات الثانى (١٢٣ — ٨٨ ق . م) . وقد مد الملك موئس الذى حكم فى القرن الأول قبل المسيح وابنه أزيس نفوذهما على البنجاب .

وفى القرن الأول قبل المسيح حلت أسرة برتية مكان أسرة سجستان الساجية(١) . وقد كان گندفارس أو گندفر الذى حكم إلى حوالى سنة ٢٠ م ملكا غاية فى القوة . ويبدو أنه تحرر من التبعية للإشكانيين ، وقد وجدت نقوده باسم هذا الملك فى سيستان وهراة وقندهار بل فى البنجاب . وتدل مذكرات القديس توماس على أن هذا المبشر قد ارتحل إلى الهند أثناء حكم گندفارس .

وبالرغم من الاضطراب الذى نجم عن هجرات الشعوب ، كانت الدول الإيرانية فى الشرق وما جاورها من الأقاليم تتمتع بتقدم عظيم . ولم يترتب لى تسرب المحاربين الرحل إلى هذه البلاد تغيير كبير فى حياة السكان . فإن جماعة صغيرة نسبياً من الحكام الأجانب تغتصب السلطان ، ولكن هؤلاء الحكام الجدد كانوا يندمجون فى مدنية الشعوب التى يسودونها بقدر الإمكان . وهكذا بقيت أنقاض المدنية الإغريقية قروناً متعاقبة ، مختلطة بعناصر مستمدة من مدنيات إيرانية وهندية . ويستمر

---

(١) من عائلة سورن كما يقول هرتسفلد (١) س ص ٧٠ وما بعدها .

السكان المسالمون فى تجارتهم الخارجية المثمرة فى ظل الحكومات المتعاقبة . فقد ندر أن عطلت العلاقات التجارية . ولتسهيل التجارة مع الأقاليم الغربية ، كثيراً ما كان إمبراطور الصين ، يرسل مبعوثين رسميين إلى بلاد آسيا الوسطى .

وفى خوارزم ، نجد منذ القرن الثانى ق.م شعوب أورس الذين أصبح اسمهم عند الصينيين ين تسى . وفى إبان القرن التالى أتم الأورس زحفهم إلى الغرب سالكين الطريق الذى سلكه السيت والسرمت[١] من قبل . وقد اختفى اسم الأورس بعد منتصف القرن الأول ق . م : ومنذ ذلك الوقت سُمى الشعب هناك اللان وهى الصيغة الإيرانية الشمالية للكلمة آرى . وقد واصل فريق من اللان الهجرة نحو الغرب بعد غزو البرابرة لأوروبا ، واليوم تكون قبيلة أوست Ossète القوقازية البقية الباقية من اللان الذين بقوا فى روسيا الجنوبية .

وبعد موت گند فارس بقليل وقعت قندهار والپنجاب فى يد أسرة من اليوتشى أو من أصل سجزى تسمى الكوشان . وقد ضم الملكان الكوشانيان كوجوله كادفيزس وخليفته ويما كادفيزيس لسيادتهما بلاد يوتشى — تخار وجزءاً كبيرا من أملاك السجزيين . وأخيرا ، بعد سنة ١٢٥ ولى هـذه الإمبراطورية الملك كنيسكا الذى اشتهر فى الآداب البوذية راعيا متحمسا لدين بوذا[٢] .

---

(١) شعب قديم كان ممتدا بين البلطيق والبحر الأسود (بحر بنطش) ، وقد عاون السرمت ميتردات ضد الرومان . وقد كسر القوط شوكتهم فى القرن الثالث ، ومنذ ذلك الوقت اندمجوا فى السلاف .

(٢) ذكر المؤلف هنا المراجع الخاصة بهذا الموضوع . بالألمانية :

A. von Gustschmid : Gesch. Irans... ; Von Sallet : Die nachfolger Alexanders... ; Fränke : Beiträge aus chineschen... ; A. Hermann : Diealten Seidentrassen... ; Sten konow : Indoskythische... : müller : To Xri und kulsan... ; Hertzfeld : Arch. mitt...

وبالإنجليزية :

Percy Gardner : The Coins... ; Warwick Wroth : Cat. of the coins of Parthia.. ; F. Hirth : China and... ; E. J. Rapson : The Cambridge History of India ; Sten and Wijk : The Eras of the Indian... ; Sten konow : Notes on Indo-Scythian...

=

٣ — العقائد والأفكار الدينية

بنى دين الآريين القديم على عبادة قوى الطبيعة والعناصر والأجرام السماوية . وأضيف إلى آلهة الطبيعة ، منذ زمان قديم ، آلهة تمثل قوى أخلاقية أو آراء معنوية مجسمة . ويظهر أنه كانت هناك ، قبل انفصال الهنود والإيرانيين بعضهم من بعض ، تفرقة بين ديڤوًا التى يعتبر أخص ممثليها رب الحرب إندرا وبين آسورا (آهورا الإيرانية) ، آلهة العهد والقانون التى كان على رأسها وارونا وميترا . ويتفق معظم العلماء على أن مزدا (الحكيم) عند الإيرانيين ، الأهورا الأكبر هو وارونا القديم ، ولم يحفظ الإيرانيون اسمه الأصلى . والأهورات ، وعلى رأسهم مزدا كان لهم طابع يتميز بالدعوة إلى الأخلاق والعمران ، بعكس الشياطين التى تعبدها القبائل الرحل والمحاربون واللصوص ، وفى الوقت الذى دخل فيه الإيرانيون العصر التاريخى كان مزدا ، مزدا أهورا أو أهورا مزدا الإله الأعلى للقبائل المستقرة والمتمدنة ، فى الشرق والغرب . والمزدية أقدم عهداً من الزردشتية ، وليس مزدا إلها لقبيلة أو لشعب بل هو إله العالم والناس جميعا . وعلى هذا كانت الصلات بين الناس والقوى السماوية أكثر صفاء فى الديانة المزدية منها فى ديانات آسيا الوسطى الأخرى . ويبدو باعث الأخلاق بصفائه التام فى هذا الدين . وبهذين الوصفين ، العموم والصفاء ، بدأ المذهب الإيرانى تأثيره على الأفكار الدينية فى الشرق الأدنى .

والظاهر أن زردشت ادعى النبوة نبيًّا لمذهب مزدى معدل فى الشرق ، ربما كان فى الإقليم الذى به أفغانستان الحديثة وذلك فى القرن السابع ق . م وفى هذا الإقليم الذى سكنته قبائل زراعية مستقرة أو شبه رحل ، لها مدنية على جانب من

= وبالفرنسية :

Drouin : Monnaies des Grands... ; Pelliot : Tekharian et...

ثم ختم المؤلف ملاحظاته قائلا :

يبدو أن تاريخ ملوك السكوشان الذى طال عنه الجدل ، قد اتضح فى خطوطه الرئيسية بعد أبحاث كل من M. van Wijk, Sten Konow .

الأهمية ، والتي كانت مهددة دائماً بهجمات المغيرين من القبائل الرحل ، في هذا الإقليم انتقلت العداوة من الميدان السياسي إلى ميدان الدين . فعند زردشت تعتبر الديوات شياطين مؤذية ؛ ولما بين الفريقين من الآلهة من تفاوت نمت عنده فكرة الصراع بين الروحين اللذين وجدا منذ خلق العالم ، ألا وهما الروح الخير[1] وهي نوع من تجلي مزدا ، وروح الشر أو أنرا مينو في الإشارات العادية من أجزاء الأوستا الأكثر حداثة . وهناك ستة آلهة من بين مساعدي مزدا ، وهم الذين سموا في عهد متأخر التسمية العامة أمشا سپنتا « القوى الخالدة » وهم : وهو منه (الفكر الطيب) ، أشاوهيشتا (خير الحقائق) خشترا وريا (التسلط المطلوب) ، آرمايتى (الخضوع) ، هوروتات (الكمال أو الصحة) ، أمير تات (الخلود) ، ويضاف إليهم سابعهم سپنتا مينو نفسه .

وقد يكون مستتراً وراء هذه الأسماء المعنوية أسماء آلهة قديمة للطبيعة والعناصر ، فمثلا آرميتى هي من غير شك آلهة الأرض في الأصل . ومن آلهة دين زردشت « الطاعة » سروشا . أما الآلهة الشعبية فما لم تكن مستعملة في الطريقة الجديدة تحت أسماء معنوية ، فإن زردشت يعدها بين الشياطين أو يهملها . وأخبث الشياطين الهدامة التي تساعد روح الشر أشما ، وهو تمثيل لقسوة الرحل المغيرين .

ودين زردشت توحيد ناقص ، فهناك جماعة من الكائنات المقدسة ، ولكنها كلها تجليات لذات مزدا ، وهي في الوقت نفسه منفذة لإرادته التي هي الإرادة الإلهية الوحيدة . فالثنائية ليست إلا في الظاهر ، لأن المعركة بين الأصلين العالميين ستنتهي بالنصر النهائي لروح الخير ، وفي هذه المعركة الكبرى ، يجد الإنسان رسالة عليه أداؤها فإنه بالإيمان الخالص ، وبالجهاد في سبيل الحقيقة الدينية والأخلاق ، وأخيراً بالجد في الأعمال التي تؤدي إلى غلبة قوى الحياة على قوى الموت ، وبالمساعي المؤدية

---

(١) كثر الجدل حول معنى كلمة سپنتا Spenta وقد عرفها Bailey في بحث مؤيد بالوثائق نشره في مجلة مدرسة اللغات الشرقية بلندن BSOS سنة ١٩٣٤ ، ص ٢٧٦ وما بعدها ، بأنها « صاحب القوة الخارقة للطبيعة » .

إلى الحضارة وخاصة زرع الأرض ، يقف فى صف روح الخير . الفكر الطيب ، القول الطيب ، والعمل الطيب ، هى الأسس الثلاثة التى تنطوى عليها مبادىء الأخلاق عند زردشت . والجزاء هو الجنة والعافية والخلود فى مساكن « العليين » ، بينما العذاب الطويل فى «مأوى الكذب» سيكون عقاب الأشرار . ولكن بجانب المحاكمة التى يقضيها الفرد بعد موته مباشرة ، نجد فى گاتات الأوستا ، وهى العظات المنظومة ، التى تحوى أو تعبر عن وعظ زردشت ، إشارات إلى حساب عالمى عاله يجريه الروح والنار ، أى روح مزدا وبلاء النار ، بلاء المعدن المذاب فى آخر الزمان ، حين تنتهى المعركة الأخيرة بين قوى الروحين . الخير والشر بانتصار مزدا .

وبين الأوستا التى تسمى « القديمة » والتى تكون الگاتات لبا لها « والأوستا الحديثة » اختلاف بيّن فى تعدد الآلهة وفى الأفكار الدينية . ولم يكن ممكناً أن تلغى الآلهة الشعبية على مر الزمان . واضطر المغان من الزردشتيين إلى الاعتراف بهذه الآلهة بجانب الآلهة المذكورين فى الگاتا . وقد وجد فى الدين المزدى فى إيران الشرقية قبل إصلاح زردشت ، يشتات (جمع يشت) أو أدعية موجهة للآلهة الشعبيين ، لميترا ، رب الميثاق ، وفى الوقت نفسه رب النور[1] ، وللآلهة اردوى سورا الملقبة بأناهيتا إلهة الماء والخصب ، وللنجم تشتريا الذى تبين أنه سيريوس ولوثرغنا إله الحرب (الهجومية) والنصر ، ولخوارنة الذى به مجد وإقبال الملوك الآريين ، وللملائكة فروشات (جمع فروش) ، حماة المؤمنين . وقد أدخلت هذه اليشتات فى المذهب الزردشتى كما ألف موابذة المذهب المعدل يشتات زردشية بحتة أضافوها إليها . واليشتات القديمة ، التى تحتوى على إشارات قيمة للتاريخ الخرافى للإيرانيين ولتاريخ إيران الشرقية قبل زردشت ، تكوّن أقدم أجزاء الأوستا الحديثة . والحقيقة

---

(١) اتخذت هذه التسمية حسب الرسم القديم . ووفقا لليشت ١٠ — ١٣ ، يبدو ميترا على الجبال قبل الشمس . ويقول Hertel إن ميترا الأوستا هو سماء الليل . انظر مصادر ومراجع تاريخ إيران والهند Indo-iranische Quellen und Forschungen ، ((٩)) .

أن هذا النوع الأدبى منها أقدم من الـﮕـاثات[1] .

وقد ظلت الزردشتية مدة قرون كأنها غريبة فى وسط المزدية الإيرانية القديمة . المزدية التى كانت تطوّر مع تفاوت ضئيل فى أقاليم إيران المختلفة . فمثلا كان هناك بعض التفاوت بين المزديه التى يدين بها الفرس الأكمينيون وبين عقيدة المجوس فى ميديا ، ولـكن فى الوقت الذى وصف فيه هيرودوت عقائد الفرس والميديين ونعلهم لم يكن اصطلاح زردشت قد تغلغل فى الغرب بعد[2] فإنا لا نجد المزدية الزردشتية عند مجوس ميديا إلا منذ القرن الرابع ق . م وهى تختلف فى بعض المسائل عما جاء فى مزدية الـﮕـاثات وفى الأوستا الحديثة . ويتبين من إحدى العقائد الإيرانية القـديمة للغاية التى تركت آثاراً غامضة فى الـﮕـاثات ، أن إلهى الخير والشر كانا أخوين توأمين وهما ولدا زُروان الزمان اللامتناهى[3] . وقد خرجت عبادة ميترا مختلفة عن المزدية ، ومتأثرة كثيراً بعلم النجوم الكلدانى الذى ترعرع عند مجوس آسيا الصغرى[4] .

---

(١) أما عن تفصيل هذا المختصر عن دين إيران القديم وإصلاح زردشت فإنى أحيل على أبحاثى :

Quelques notices sur les plus anciennes... ; Etudes sur Le Zaroas... ;
Les Kayanides ; . وأحدث بحث مفصل عن إصلاح زردشت هو ما كتبه : Lommel
Die Religion . وقارن Geiger : Die Amesha Spentas.. ، و Meillet : Trois
Conferences.. . أما عن اليشـتات فاقرأ : Lommel : Die Yashts... و Hertel
فى بحثين نشرهما فى : مصادر ومراجع تاريخ إيران والهند الجزء السابع (Indo-iranische) ؛
ومجلة آكاديميه ساكس الجزء ٦١ رقم ٦ ، وقد طبق المؤلف على اليشتات آراءه فى نظرية
النار التى استخرجها من جميع الاصطلاحات الزردشتية . وانظر : Benvenist et Renow
فى Vritra et Arthragna باريس ١٩٣٤ .

(٢) انظر "The Persian Religion according to the Chief Greek Texts"
Benvenist (باريس ١٩٢٩) ، الفصل الثانى .

(٣) انظر فيما بعد الفصل الثالث .

(٤) انظر RHR ، سـنة ١٩٣١ ، ص ٢٩ وما بعـدها فى مقالة F. Cumont
"La Fin du monde selon les mages occidentaux" ص ٢٩ وما بعدها

وهى العبادة التى تعتبر ميترا إله الشمس ، وقد انتشرت فى الإمبراطورية الرومانية(١). وقد اعتنق زوران عبادة ميترا ، وكذلك أتباع سائر الفرق المذهبية الذين كان بعضهم يمارس عبادة الشياطين ويعبد أنرامينو .

وترينا صور الآلهة المنقوشة على النقود الهندية السيثية شعبة أخرى من المزدية التى تأثرت بعقائد الهند وقد نمت وتطورت فى إيران الشرقية واندمجت بعد ذلك فى الوسط الروحى للدين البوذى(٢) .

وقد استتبع الهلينيزم فى إيران الغربية وآسيا الوسطى عامة مزجا يوفق بين المذاهب المختلفة ، فآلهة البابليين والإغريق قد اعتبرت هى نفسها آلهـة الإيرانيين . وهكذا اختلط أهورا مزدا مع بيل ، وميترا مع شمش ، وأناهيتا مع إيشتار . وقد شيد أنتيوش الأول ملك كوماجين (٦٩ — ٣٤ ق . م) تماثيل للآلهـة زيوس — أو هرمزد و أپوللون — ميترا — هيليوس — هرمس — أرتان (ورترغنا) — هركلس — آريس و « وطنى البالغ الخصب كوماجين » ؛ كما عين إدارات دائمة لخدمة هذه الآلهة الإغريقية الإيرانية ، وقد اختار الملوك الأشكانيون لقب الفلهيين — أصدقاء اليونان — كما مالوا للثقافة اليونانية(٣) . ولـكن هذا الطابع الإغريقى كان سطحياً فإن معظم هؤلاء الملوك كانوا فى الحقيقة ، تحت ستار خفيف من الآراء الأجنبية ، زردشتيين .

وقد ألف فى أول عهد البرت الـكتاب الأوستى المسمى ونديداد — وى ديو داد — (الشريعة المضادة للشياطين) وهو يتضمن القانون الدينى للزردشتية . وكانت اللغـة الأوستية حينذاك لغة ميتة يجد رجال الدين عناء فى المحافظة عليها . وهـذا الـكتاب

---

(١) "Textes et monuments figurés relatifs aux mystères de Mithra" Cumont ١ ، ٢ (بروكسل ١٨٩٦ — ٩٩) Les Mystères de Mithra الطبعة الثالثة (بروكسل ١٩١٣) .

(٢) M. A. Stein : Zoroastrian Deitis ؛ West : Indo... ؛ Christensen : Etudes sur le Zor...

(٣) انظر m. Unvala : Observations on.. ، عباى ١٩٢٥ .

(ونديداد) يحوى مجموعة من القواعد والمراسيم تختلف قليلا فيما بينها ، باختلاف الأقاليم لأنا نجد هنا وهناك متناقضات واضحة . وهو يتناول الأنواع المختلفة من النجاسات والآثام ووسائل الطهر والتوبة . ثم يبحث فى العدوان وقتل الكائنات الأهورية (الرجال والكلاب وكلاب الماء) ، وما يفعل بالجثث التى ينبغى وضعها فوق الداخمات المشيدة من الآجر (وهى أبراج الصمت كما تسمى أحيانا فى أيامنا) وذلك كى تنهشها جوارح الطير[1] ، فقد حرم تحريماً باتاً تلويث العناصر بالدفن وحرق الجثث . وكذلك يبين النجاسة التى تلحق من يمس جثة آدمى أو حيوان ميت أو من يلمس امرأة حائضاً وما أشبه ذلك . ويذكر الونديداد أسماء فردية لجماعة من الديدان أو الشياطين ، والدروغات أو الشيطانات والبيرى كسات أو الساحرات . وهؤلاء أعوان إله الشر أمثال الشياطين إندرا وسوروا ونانُون هاى ثيا وهى آلهة قديمة هندية إيرانية ، ومنها آبا أوشا العدو الخاص للإله تيشتريا ، وبوشياشتا الشيطانة الموكلة بالنوم ، وناسو شيطان الجثث والمواد الميتة وأمثالها .

وفى التاريخ البارسى أن نصاً من الكتب المقدسة الزردشتية قد دون بأمر ملك أشكانى اسمه بلاش ، يحتمل أن يكون بلاش الأول (٥١ — ٧٧/٧٨م) .

ومنذ طرد اليهود أيام بختنصر ازداد عددهم فى بابل والجزيرة حيث اشتغلوا بالتجارة والزراعة وبشتى الحرف . وفى عهد الأشكانيين كثر عددهم بنوع خاص فى نهر ديا شمال بابل ، وفى سورا وفى پمبادتيا وفى محوزا « سلوقية » وكذلك كان لليهود جماعات فى ميديا وفارس .

وقد نظمت جماعات اليهود منذ القرن الأول الميلادى تحت رياسة رأس الجالوت واعترف الملك بهم كجماعة لها شىء من الاستقلال . وقد عهد إلى رأس الجالوت

---

(١) وأما أن هذه هى عادة الإيرانيين أيام الدولة الساسانية فقد قرره أجاثياس (٢ ص ٢٣ وما بعدها) صراحة . ويقول السائح الصينى البوذى هيون تسيانغ باختصار إن الجثث كانت غالباً تترك (عند الإيرانيين) — Beal (٢) ص ٢٧٨ — .

وكتب Inostrantzev بالروسية بحثا عن معاملة الجثث عند قدماء الإيرانيين ، وقد ترجمه إلى الإنجليزية Bogdanov . عدد ص ١ — ٢٨ من J. Cama. Or. Inst .

بتسلم الضرائب وتعيين القضاة وما أشبه ذلك . وكانوا يهتمون دائماً بدراسة الشريعة « شريعة موسى » والتاريخ . وقد أنشئت مدرسة سورا المشهورة فى أوائل القرن الثالث . ومنذ ذلك الحين اشتغل الأمورايم Amoraim — جماعة من علماء اليهود — بدراسة هذه العلوم وبدأوا فى جمع الأحاديث والتعاليم من كل نوع تحت اسم التلمود[١] .

وما نعرفه عن بدء المسيحية فى دولة البرت ضئيل للغاية[٢] . ففى القرن الأول الميلادى انتشرت المسيحية عن طريق الشام وآسيا الصغرى ، وحوالى سنة ١٠٠ ميلادية كانت هناك جماعات مسيحية فيما وراء دجلة فى أربل[٣] ، ولكن ليس لدينا معلومات صريحة فيما يختص بالتبشير بهذا الدين فى بلاد الشرق . والخرافة تجعل سانت توماس مبشراً فى بارتيا . وفى أعمال توماس المنتحلة نجد أنه سار برسالته حتى بلاد الهند ، ولكن هذه الأعمال ليست صحيحة من الناحية التاريخية .

ويظهر أن كرخا بيت سلوخ ، كركوك الحديثة ، كانت بعد أربل ، من أولى القلاع القوية للمسيحية الشرقية . وقد قيل فى أعمال شهداء النصارى فى إيران : « منذ عهد الملك بلاش Balāsh إلى السنة العشرين من حكم سابور بن اردشير ، تسعين سنة فى المجموع ، كانت كرخا روضة مقدسة لم يكن فيها عود خبيث[٤] » والملك الساسانى سابور الأول ابن اردشير الأول قد ولى العرش سنة ٢٤١ م فلا يمكن أن يكون بلاش هذا غير الملك الأشكانى ولاجاس الثالث (بلاش) الذى حكم بين سنتى ١٤٨ — ١٩١ ، وعلى كل حال ، فإنه لم يكن للنصارى أى دور سياسى أيام الأشكانيين .

(١) "Geschichte der Juden" Grätz ، الطبعة الرابعة ، ج ٣ ، ص ٣٠٠ وما بعدها ، ج (٤) ، ص ٢٥١ ومابعدها ، ٣٢٩ ومابعدها ؛ La géographie : Neubauer "du Talmud" ، ص ٣٤٦ ، ٣٥٦ — ٣٦٠ ؛ Labourt "Le Christianisme dans l'empire Perse" ، ص ٧ وما بعدها .

(٢) Labourt ، ص ٩ — ١٧ ؛ ساخاو "Die Chronik von Arbela" Sachaw ، (Abh. pr. Ak.) ، سنة ١٩١٥ .

(٣) Sachaw ، (١) ص ، ص ١٢ وما بعدها .

(٤) Hoffmann ، ص ٤٥ — ٤٦ .

وبعد ذلك وضع «كتاب الآباء الغربيين» الذى أرخ فى أوائل القرن الثانى ، وقد جاء فيه أن جاثليق سلوقيا قد منح استقلالا تاما ، فهو يتلقى القداسة البتريركية دون أن يسعى إليها فى إنطاكية . والحقيقة أن رتبة جاثليق لم توجد فى عهد الأشكانيين .

وقد أتاح اختلاط الشعوب والأجناس فى آسيا الوسطى أرضاً صالحة لمزج المدنيات والديانات . وقد رأينا أن الفلسفة الإغريقية قد توحدت مع الأديان الشرقية ، ونتج عن ذلك تشابك كثير ومتنوع[١] . وكانت الآراء الإيرانية والسامية قد امتزجت فى البيئة الأرمنية فى الجزيرة منذ زمن قديم . فالديانات الغامضة — ديانات شعوب آسيا الصغرى — قد أدخلت هناك عنصراً جديداً . والآراء الفلسفية اليونانية قد سرت إلى هـذا المزيج ، الذى أضيف إليه نظريات كيماوية وسحرية . والأمور المعنوية والقوى الطبيعية — التى كانت تعد آلهة — قد ظهرت فى أسماء إغريقية . والأساطير الإغريقية والبابلية والإيرانية قد امتزجت أيضاً ، واختفت الصور الأسطورية الشرقية تحت أسماء آلهة يونانية . والتفرقة الدقيقة بين عالمين أحدهما خير الطبيعة والثانى خبيثها ، دنيا النور ودنيا الظلمات ، وما على الإنسان من واجب خاص فى حياته ، والجنة والنار ، ويوم الحساب ، وبعث الدنيا ، والروح الكلية ، وما بين الإنسان والقوى الملكوتية من ارتباط تام ، وكل هذه العلامات المميزة للمزدية الإيرانية قد دخلت فى مجموعة الأفكار العامة فى آسيا الوسطى . ونجد هذه العلامات فى الرموز المختلفة التى يتقرب بها المريدون من الآلهة بواسطة أدعية مقدسة ومعارف سرية ، مرتلين بعض الترتيلات المحفوظة فى الكتب الغامضة والغير مفهومة للعامة والتى اختلطت فيها آراء مصرية وإيرانية وكلدانية ويهودية . وراجت كتب منتحلة لزردشت المجوسى[٢] ، وقد أخذ زردشت ، فى بعض الأوساط

---

(١) انظر "H. Gressmann" Die Umwandelung der orientalischen ... سنة ١٩٢٦ .

(٢) Les ecritures manichéennes. P. Alfaric ، ج ٢ ، ص ٢٠٥ وما بعدها .

الزردشتية الممتزجة بغيرها ، طابع مخلص للإنسانية . ورموز هذا العهد لا تعرف حدوداً محلية أو أهلية ؛ وقد جاء بها أنها صاحبة الدين الأصلى الذى تظهر حقائقه بشكل ناقص فى العقائد الشعبية المختلفة(١) .

وفى القرن الثانى الميلادى تطورت فكرة الغنوصية فى الإمبراطورية الرومانية(٢) . والعقائد المتعلقة بمعرفة الله كانت معروفة بلا شك من قبل ، ونستطيع أن نتبينها من قبل عند اليهود فى الإسكندرية ، ولكن أصولها قد طواها الزمان . ومنذ القرن الثانى ، أخذ أهل هذا المذهب يبحثون عن أسانيد لنظرياتهم فى الكتابات المسيحية المقدسة . وطرق ڤالنتن وباسيليد ومرقيون وتصوف الأوفيزم والناسينزيين والالشزائيين هذه هى الجنوستيكية تحت أوضاعها المختلفة ، مع ما بين العقائد والآداب من تفاوت(٣) . ولكن اتجاهاً عاماً للآراء قد تميز عن هذه الطرق المختلفة .

إنه المذهب الثنائى بادئ الأمر . ولكن هناك فرق عظيم بين الثنائية عند المزديين والثنائية عند الجنوستيكيين . ففى المزدية كل من العالمين روحى ومادى فى الوقت نفسه ، أما الجنوستيك فعلى عكس ذلك تقرن دنيا النور بالروح ودنيا الظلمات بالمادة . ونتائج هذه النظرية فى الحياة كانت تشاؤماً أساسياً وميلا واضحاً نحو الزهد .

---

(١) Reitzenstein "Die hellenistischen Mysterienreligion ، الطبعة الثانية ص ١٥ .

(٢) Friedländer : Der vorchristliche... ؛ W. Bousset : Hauptprobleme... ؛ W. Schultz : Documente... ؛ F. Legge : Forernnners... ؛ A. Drews : Die Entstehung... ؛ H. Leisegang : Die Entstehung... ؛ O. G. von Wesendonk : Urmensch... ، ص ١١١ وما بعدها ؛ E. de Faye : Gnostiques... ؛ H. H. Scheader فى Die Antike ، ج ٤ ص ٢٢٦ — ٢٦٥ ؛ وكتب Harnack سلسلة من البحوث عن مارقيون .

(٣) انظر عن ابن ديصان الذى له شهرة عظيمة وخاصة فى الشرق : Wesndonk : Bardesanes... فى AO ، ج ١٠ ص ٣٣٦ ؛ و Scheader : Bardesanes... ، ١٩٣٢ ، ص ٢١ .

ووراء العالم المرئى وخلف العالم المعقول أيضاً يوجد الله ، الذى هو الأب المجهول الذى لا اسم له ، والذى لا يصل إليه الفكر البشرى . وقد خرج العالم من ذات الله هذا بواسطة إشراقات دائمة أو تجليات ، كل منها أقل درجة من سابقتها ، حتى نصل إلى العالم المادى الذى ، هو آخر الإشراقات وأقلها نقاء ولكن فيه الرغبة للرجوع إلى الأصل الإلهى . والمادة ، دنيا الجسد ، هى مستقر البشر ، ولكن بارقة إلهية ، كامنة فى طبيعة الإنسان تريه الطريق إلى النجاة وتهديه إلى الصعود فى أفلاك الأراكين إلى أن يبلغ دنيا النور . هذا هو أساس تكوين المخلوقات عند الجنوستكيين المحدثين « فالإنسان » أو « الإنسان الأول » هو صورة نصف إلهية يبدو أنها مستعارة من الخرافات الدينية الإيرانية[1] . ويجعله بعض الجنوستيك آدم ، وهو عند غيرهم المسيح الأزلى ، أو هو قد حل أولا فى آدم ثم فى المسيح . هو المولود الأول لله الأعظم ، نزل فى المادة ، وهو روح الدنيا ، هو نصف إله ، هو العقل هو الكلمة ، وبه بدأ الهبوط نحو المادة وفى الوقت نفسه الصراع من أجل الخلاص . ولكن الخلاص لا يتيسر بغير عون الله . وهكذا نجد فى جميع الكتابات الجنوستيكية الاعتقاد فى مخلص سماوى . وهذه هى الفكرة التى قادت الجنوستيكيين إلى اعتناق المسيحية ، فقد وجدوا مخلصهم فى المسيح . وفى بعض المذاهب الجنوستيكية يقال إن المسيح هو الذى خلص صوفيا ، « الحكمة السماوية » ، التى وقعت فى المادة . ويقول الفلانتينيون بزواج مقدس بين الإله المخلص ، سوتر وصوفيا . وهو الحادث الذى يقام لذكراه الاحتفال المقدس ، عيد مجد العروسين . والواقع أن الأساطير الدينية والقصص المتعلقة بخلق العالم قد ألفت كتفسير وتأويل لما غمض من مراسيم العبادة . ويرى الفرد خلال هذه الأسرار المقدسة الحوادث العظيمة للصراع الذى يبذله الخلق جميعاً من أجل الخلاص ، وهو يصل بنفسه بالمعرفة وبالجنوس إلى الخلاص ، إلى التحرر من قيود المادة . والجنوس هو المعرفة العليا ، وهو ليس العلم الذهنى ، ولكنه المعرفة بالقلب وبالعامل الروحى ، الذى ،

---

(١) عن كيومرد ، الإنسان الأول ، انظر فيما بعد الفصل الثالث .

بإيحائه للإنسان علماً علوياً ، يجعله يحيا حياة جديدة . والجنوس ، حسب تعريف شيدر[١] هو العلم الحق الذى ، بالحقيقة نفسها ، يؤدى إلى النجاة .

ومعظم الجنوستيكيين الذين عرفنا طرقهم بعض المعرفة من سكان الولايات الشرقية من الإمبراطورية الرومانية . ومن بين فرق الجنوستيكيين فيما بين النهرين وبابل فرقة الماندنيين[٢] والفرقة التى يشار إليها فى الآداب العربية بكلمة المغتسلة التى كانت أصلا من أصول المانوية .[٣] وقد اعتنق العرب مذهب الجنوستيكيين فى الشرق الذين انتشرت آراؤهم إلى العهد الإسلامى[٤] تحت اسم الحنفاء أو الصابئة[٥] .

* * *

وقد تغلغلت البوذية فى إيران إبان العهد الإغريقى . فإن الملك الهندى أشوكا الذى اعتنق البوذية أرسل مبشرين بها إلى قندهار (إقليم فى وادى كابل) وإلى بلخ فى سنة ٢٦٠ قبل الميلاد . وقد سك ملك اسمه أجاتوكل ، حكم رخج وزرنك حوالى سنة ١٨٠ — ١٦٥ ، نقوداً نقشت عليها صورة بوذية . وفى منتصف القرن

---

(١) Urform und Fortbildungen des manichaïschen Systems ص ١٢١

(٢) Die mandäische Religion W. Brandt ليبزج ١٨٨٩ ؛ S.A. Pallis "Mandæiske Studier" كوبنهاجن ١٩١٩ ، والترجمة الإنجليزية ١٩٢٦ ؛ E. Peterson Urchristentem und Mandäismus (Zeitschrift für die neutestamentliche Wissenschaft. ج ٢٧ ، ١٩٣٨ ، ص ٥٥ وما بعدها وقد نشر بعض نصوص ماندانية مع دراسة لها كل من Brandt و Pognon و Lidzbarski و Reitzenstein وانظر باليس mandaean Bibliography 1560 — 1930 : Pallis Essay on لندن، كوبنهاجن ١٩٣٣ .

(٣) الفهرست ، طبعة فلوجل ص ٣٤ ، وقارن فلوجل ، Mani ص ١٣٣ وما بعدها . وشيدر Urform ، ص ٦٩ .

(٤) التصوف ، انظر شيدر Die islamische Lehre vom Volkommenen menschen فى Z D M G ، ج ٧٩ (١٩٢٥) ، ص ١٩٢ وما بعدها .

(٥) Johs. Pederson "The Säbians" ، كتاب عن الدراسات الشرقية مهدى إلى الأستاذ برون ؛ كمبردج ؛ ١٩٢٢ ؛ ص ٣٨٣ وما بعدها .

الثانى ق . م أدت الخلافات الدينية بين بوذيىّ الشمال وإخوانهم فى الجنوب إلى انقسام دينى . فبينما تمسك بوذيو الجنوب ، هينيانه ــــ السفينة الصغيرة ــــ بمذهب مؤسس الدين ، اعتنق بوذيو الشمال مهايانه ــــ السفينة الكبيرة ــــ آراء من ديانات هندية أخرى ، وكانت ، عموما ، أكثر قبولا للتأثر بالديانات الشعبية . وقد شاع الدين البوذى ، على مذهب المهايانه فى أقاليم آسيا الوسطى . وقد دعا كنيسكا مجمعاً مقدساً ليثبت المبادئ الأساسية لهـذا المذهب ويجدد قانونه الذى اختصر بالسنسكريتية . وقد أقام البوذيون فى قندهار كثيراً من الأديرة فى القرون الأولى الميلادية ، وقد وجدت فى خرائب هـذه الأديرة نقوش إغريقية هندية تمثل مناظر من حياة بوذا ، وصوراً لبوذيستوا ، ومن سيبعث من البوذات وغير ذلك . وقد بلغ الفن القندهارى ذروته فى القرن الرابع(١) . ويبدأ تاريخ النقوش البوذية ، فيما يظهر ، ابتداء من القرن الثالث ، منـذ ظهرت أقدم النقوش البوذية ذات الطابع الإغريقى الهندى ، التى اكتشفت فى الحفائر الحديثة فى تركستان الصينية(٢) .

وفى باميان ، غربى كابل تماثيل عظيمة تمثل بوذا ، نحتت فى صخور على شاطىء البحر ، وفى فجوات هذه التماثيل رسوم يذكر طابعها بطابع صور آسيا الوسطى كما أن بعض تفاصيلها يذكر بطابع الساسانيين أيام سابور الأول(٣) .

وقد تأكد وجود أديرة بوذية فى إيران الساسانية حتى القرن السابع بما ذكره

---

(١) A Foucher : L'art gréco-boudhique du Gandhâra ، (١) ــ (٢) ؛ باريس ١٩٠٥ — ١٩١٨ .

(٢) Istein Sand-buried ruins of Khotan لندن ١٩٠٤ ؛ Ancient Khotan ١ — ٢ ؛ أكسفورد ١٩٠٧ ؛ Ruins of Desert Gathay ؛ لندن ١٩١٢ ؛ Kultstätten in Chinesisch-Turkistan A, Gründwedel : Alt-buddhistische برلين ١٩١٢ Le Coq. Chotscho برلين ١٩١٣.

(٣) Hackin de Bamiyan : Les autiquités boubdhiques A, Y Godard باريس وبروكسل ١٩٢٨ . أبحاث أثرية جديدة قام بها فى باميان هاكين « ساعده فيها Carl ؛ باريس ١٩٣٣ ... Hacken L'oeuvre de la. فى (١٩٢٢ — ٣٢) ، ١ ، طوكيو ١٩٣٣ .

هيون تسيانج فقد كان هناك حسب روايته ، أتباع ديانات أخرى هندية ، من غير شك ، فى المقاطعات الشرقية من المملكة(١) .

٤ — اللغات الشعبية والآداب

اتسعت معرفتنا باللغات الإيرانية المتوسطة اتساعاً بيناً بالاكتشافات التى تمت فى تركستان الصينية فى الخمس والعشرين سنة الأخيرة . فقد أوضحت أفواج من البعثات العلمية عدداً كبيراً من النصوص الأدبية الدينية . ووثائق من أنواع أخرى مكتوبة بلغات مختلفة كان بعضها ، حتى ذلك الوقت ، معروفا معرفة قليلة وبعضها الآخر مجهولا جهلا تاماً(٢) .

والنصوص التى جمعتها هذه البعثات مأخوذة من الآداب البوذية والمانوية والمسيحية باللغات السنسكريتية والصينية والتبتية والأيغورية والبهلوية والصغدية والطخارية ، وقد كانت موضع أبحاث علمية للمختصين ولكن جزءاً كبيراً من هذه النصوص لم ينشر بعد .

وقد عرفت لهجتان إيرانيتان من جنس اللغة الإيرانية المتوسطة ، قبل حفائر تركستان الصينية ، وهما البهلوية الساسانية التى هى لغة الكلام فى الجنوب الغربى لإيران (فارس) والتى كانت اللغة الرسمية فى عهد الساسانيين ، ولغة أخرى تظهر بجانب البهلوية الساسانية فى بعض النقوش المأثورة عن أوائل الملوك الساسانيين والتى سميت أولا بالاسم الذى لا يلائمها « الكلدانية البهلوية » . وفى هذه اللغة الأخيرة استطاع اندرياس أن يعرف اللغة البهلوية الأشكانية وهى اللغة الرسمية للملوك الأشكانيين . واللغتان (البهلوية الساسانية والبهلوية الأشكانية) مكتوبتان بحروف

---

(١) Beal ٢ ، ص ٢٧٨ .

(٢) بعثات إنجليزية برياسة شتين فى السنوات ١٩٠٠ — ١٩٠١ ، ١٩٠٦ — ١٩٠٨ ؛ وألمانية برياسة جرونويدل وهوث فى ١٩٠٢ — ١٩٠٣ ، وفون لوكوك سنة ١٩٠٤ وجرونويدل ولوكوك سنة ١٩٠٥ — ١٩٠٦ ، لوكوك وبرتوس فى ١٩١٣ — ١٩١٤ ؛ وبعثة فرنسية برياسة بليو فى ١٩٠٦ — ١٩٠٩ ؛ وبعثات روسية كثيرة اثنتان منها برياسة أولد نبرج (الأخيرة فى ١٩١٤ —) ٥١ ؛ وبعثات يابانية ابتداء من سنة ١٩١٠ .

مأخوذة عن الهجاء الآرامى ولـكن شكل الحروف مختلف . والآداب الدينية للزردشتيين أيام الساسانيين قد كتبت باللغة البهلوية الساسانية ، ولـكن ما بقى منها وصل إلينا فى نصوص سطرت بعد الساسانيين وفى صورة غير سليمة . فـكثير من علامات الهجاء البهلوية يمكن أن تقرأ بأشكال مختلفة ، مما أدى إلى أخطاء وريب فى القراءة . ومن ناحية أخرى فإن بعض الـكلمات ، ولا سيما الـكلمات الأكثر استعمالا ، قد اختفت تحت نقاب من العلامات الآرامية ، منتهية أحياناً (وهذا فى الأفعال بنوع خاص) بنهايات صرفية إيرانية .

ونجد فى تركستان الصينية ، فى إقليم تورفان نصوصاً كثيرة فى الآداب المانوية كتبت بالحروف السريانية المسماة إسترنغيلو ، ومن غير علامات ، فقد كتبت الـكلمات كلها بالصيغة الإيرانية . وقد لاحظ اندرياس فوراً أن اللهجتين البهلويتين ظهرتا فى فى النصوص ولـكن ، موللر ، وكان أول من أثبت الطابع الإيرانى للنصوص وأعطى أول ملخص لها[١] ، وسلمان C. Salemann الذى أخرج نشرة جديدة لنصوص موالد مكتوبة بالحروف العبرية ومعها كشاف للـكلمات[٢] ، ميزا بوضوح اللهجتين السابقتين . وقد حدد اندرياس[٣] بالضبط ما بين اللهجتين من الفوارق الأساسية . ثم شرح تديسكو هذه الفوارق بالتفصيل[٤] . واللهجة الأشكانية تتبع مجموعة من لهجات إيران الوسطى يمثلها اليوم اللهجات العامية لولايات بحر الخزر ، والسمنانية واللهجات العامية لأقاليم كاشان وإصفهان وجرجان وغيرها .

---

(١) Sitz. Pr. Ak. (١) ١٩٠٤ Abh. Pr. Ak. (٢) ١٩٠٤ ؛ Abh. Pr. Ak. ١٩١٣ .

(٢) دراسات مانوية ١ بحث لمجمع سان بيترسبورج ، ١٩٠٨ ، وانظر المؤلف نفسه Manichaica ؛ (١ــ٥) وفى نفس المجموعة سنة ١٩٠٧ — ١٩١٣ .

(٣) عند Mann : Kurdisch-persische Forschungen Abteilung, 1 المقدمة ص ١٤ وما بعدها .

(٤) Dialectologie der westiranischen Turfantexte فى MO ، ١٥ ص ١٨٤ وما بعدها .

والمعرفة الدقيقة بقواعد النحو والصرف فى هاتين اللهجتين الأدبيتين اللتين تذكران غالباً باسمى لهجة الشمال أو الشمال الغربى ولهجة الجنوب الغربى ، قد أتاحت لنا معرفة ما كان للهجة الأشكانية من أثر فى اللهجة البهلوية الساسانية (الجنوبية الغربية) وهو الأثر الذى يدل على ما للمدنية الأشكانية من أثر فى مدنية العصر الذى تلا هذه الدولة . والواقع أن قدراً من الكلمات المتعلقة بالحياة الدينية والسياسية والاجتماعية ، أو مما بين الأسلحة ووسائل المواصلات ، واصطلاحات الطب ، والجمل التى تستعمل كل يوم ، بل الأفعال العادية التى تستعمل استعمالا عاماً فى البهلوية الساسانية وفى اللغة الفارسية الحالية كل هذا قد احتفظ بشكله البهلوى الأشكانى[1] . وكذلك كان بعض الشواذ التى فى النطق الفارسى نتيجة تسرب لهجة الشمال إلى لهجة الجنوب الغربى التى كانت لساناً رسمياً منذ قيام الدولة الساسانية[2] .

وهناك لغات إيرانية أخرى كان الناس يتكلمون بها فى الأقاليم الشرقية . وبجانب النصوص المانوية المكتوبة باللهجتين البهلويتين (الساسانية والأشكانية) وجد فى تورفان وثائق مكتوبة بلغة عرف فيها اندرياس اللغة الصغدية . وقد يسرت دراسة هذه اللغة حينما وجدت نصوص فى العهد الجديد مترجمة إليها . وأخيراً نشرت نصوص بوذية مكتوبة بلغة صغدية أقدم . وبدأ يتكشف الدور الكبير الذى لعبته اللغة الصغدية التى تعتبر العامية التى يتكلم بها اليوم أهل وادى يغنوب فى پامير آخر بناتها . ويقول جوتيو إنه فى أول العصر المسيحى كانت اللغة الصغدية مستعملة فى بلاد تمتد من حائط الصين حتى سمرقند والغرب . وكانت اللغة الصغدية ، عدة قرون ، لغة

---

(١) Lentz : ZII (٤) ص ٢٥١ وما بعدها Die Nordiranischen Elemente .

(٢) يرى Schaeder ، Gnomon (٩) ، ص ٣٠٨) فى لهجة الشمال بنصوص تورفان لغة الجماعات المانوية فى خراسان (الإقليم الشمالى الشرقى من الإمبراطورية الساسانية) ، حيث لجأ المانويون من الاضطهادات التى اشتدت وطأتها بعد موت مانى (أنظر الفصل الرابع) ، وحيث لبثت اللهجة الأشكانية زمناً أطول مما بقيت فى أقاليم الغرب .

دولية لآسيا الوسطى وقد تغلغلت كتب مانوية وبوذية حتى بلغت الشعوب التركية بوساطة اللغة الصغدية(١) .

وقد تبين من حفائر تركستان وجود نصوص بوذية بلغتين أخريين لم تعرفا بعد ، يشار إليهما الآن باسمى الساجية والتخارية .

أما الساجية(٢) ، لغة الهندوسيث فتتبع مجموعة اللغات الإيرانية الشرقية التى يمثلها اليوم اللغة الأفغانية وبعض اللهجات الپاميرية مثل الساريكولية ، والشغونية والواخية وغيرها .

وأما التخاريه فعند موللر وسيج وسيجلنج أولا ثم أيدهم ميي أنها كانت فى الحقيقة لغة هندية أوربية ، ولكنها ليست آرية . والواقع أنها تتبع ، وهى حقيقة

---

(١) Müller : Handschriften-Reste، (٢) ص٩٦ — ١٠٣ (منتخبات مانوية)؛
Soghdiche Texte ، (١) فى Abh. Pr. Ak, ، ١٩١٣ (منتخبات من العهد الجديد) ؛
Gauthiot : Une version sogdienne... فى J A ، فى ١٩١٢ ؛ Le Sutra du ، MSL
religiexux Ongles-longs (١٧) ؛ Benveniste : Essai de Granm. Sogd... ؛
(١ ، ٢) ، باريس ١٩١٤ — ٢٣ ؛ Gauthiot, Pelliot, Benveniste : Le Sutra
des Causes et des Effets ، ١ — ٢ باريس ١٩٢٠ — ٢٨ ؛ فى Zapiski
Rozenberg : Mémoires ج ٢٦ وفى مجلة المجمع العلمى الروسى ١٩١٨ ٢٠ ، ٣١ ؛
Reichelt : Die Soghischen Hand.. ، ١ — ٢ ، هيدلبرج ١٩٢٨ — ٣١ .
Hansen : Zur Soghdizchen.. ١٩٣٠ . Müller .. Solghisch Texte فى Sitz Pr. Ak
Tedesco : ZII ، ١٩٣٤ ، ١٩٢٥ ، ص ٩٤ . .

(٢) Leumann : Zur nordischen Sprache...، ١٩١٢ . maitreye-samite ،
١٩١٩ ؛ Budhistiche.. فى Abh. K.M ، ١٩٢٠ .. Das nordarische.. فى Abh. K.M.
جزء ٢٠ (١ — ٢) . Reichlet فى Indogermanisches Jahrbuch ، ١٩١٣ ص ٢٠
وما بعدها . Sten Konow : Frag. of a Budhist.. فى As. Soc. Beng. ، ١٩١٤ .
Khotanese manuscripts (١) ، اكسفورد ١٩١٦ . ... Saka Versions ،
اوسلو ١٩٢٩ . Saka Studies ، اوسلو ١٩٣٢ . والطبعة الجديدة التى إعدها Leuman
"New Saka Text" Zwolf Blätter : Saka Dialekt... فى Sitz. Pr. Ak ، ١٩٣٥ .
H. Lüders : Die Sākischen Müra فى Sitz. Pr. Ak ، ١٩١٩ . P. Tedesco فى
ZII ، ١٩٣٥ . وتطلق الكلمتان Nordische, Khotanese على اللغة الساجية .

مدهشة حقاً ، هذه الفصيلة من اللغات الهندية الأوربية المسماة فصيلة السنتوم وأكثر اللغات قرباً منها هى اللغة الإيطالية الكلتية[١] .

وقد كانت اللغة الآرامية ، من بين اللغات السامية ، عامة الاستعمال منذ زمن بعيد فى كل أجزاء آسيا الصغرى ، فقد استعملت فى دواوين الأكمينيين . ولما كانت الكتابة المسمارية غير عملية فيما عدا الاستعمال الكتابى ، فقد استعملت الكتابة الآرامية ، حتى فى الوثائق المكتوبة باللغة الفارسية . وكان هذا أصل الكتابة البهلوية ، وعادة استعمال الألفاظ الآرامية فى النصوص البهلوية[٢] .

وفى العهد الساسانى كانت اللغة الأدبية للمسيحيين الذين هم من أصل سامى ، والذين يقيمون فى إيران ، هى اللغة السريانية التى أصلها مدينة أدسا .

والمستعمرات الإغريقية التى أنشأها الإسكندر وأتباعه فى كل مكان من أرض إيران كانت زمناً طويلا قلاعا قوية للغة الإغريقية . وكان الملوك الأشكانيون يعتقدون فى اللغة والآداب الإغريقية اعتقاداً فيه نصيب كبير من التكلف . ولقب ميتريدات الأول نفسه بلقب فيل — هيلين أى المحب لليونان ، واحتفظ بهذا اللقب كل أتباعه الذين لقبوا أنفسهم فى مسكوكاتهم بألقاب أخرى إغريقية مثل أتركتيس (الخير) ، وديخايوس (العادل) . وكان أنموذج النقود ، أثناء الفترة الأولى للدولة الأشكانية إغريقياً خالصاً . وقد أمر أورود الأول Orode بعد انتصاره على كر سسوس بتمثيل رواية باكشيدس لأوريبيد باللغة اليونانية . ولا تزال قائمة حتى اليوم نقوش يونانية

---

(١) مولر F. W. K. Müller, Tocharische, Sitz., Pr., Ak., Sieg, Sieglin. :
المرجم نفسه ، ١٩٠٨ ، ميي A. Meillet : Le Tokharien, dans le Indogermanisches
Jahrbuch ١٩١٣ ، ص ١٢ وما بعدها . Sylvain Lèvi : فى Tocharisch Kuchean
R. Hoernle, Manuscript Remains Fragments, ص ٣٥٧ وما بعدها (الكوشية هى
الطخارية) Sieg, Sélglin (Tocharische Spachreste) برلين ١٩٢١ ، : Le groupement
des dialectes indo-européens, Holger Pedersen D. Vid. Selsk. fil. medd
(١١) ، ٣ ، ١٩٢٥ .)

(٢) انظر شيدر H. H. Schaeder : Iranische Beiträge (١) هال ١٩٣٠ ؛
Messina, فى L'Aramaico antico ، روما ، ١٩٣٤

عملها ملوك الأشكانيين . وقد أخذت البدعة الإغريقية فى الزوال قليلا قليلا وخاصة فى القرن الأول بعــد المسيح الذى يمتاز بنهضة تنزع إلى المدنية الإيرانية . وأخذ شكل النقود يبدو خشناً وبدأت البهلوية تظهر عليها بجوار النقوش الإغريقية التى أصبحت أكثر استهجاناً . ولـكن الإغريقية استمرت لغة الـكلام فى بعض جهات الإمبراطورية ، واستعملها الملوك الساسانيون الأول مع اللهجتين البهلويتين (الساسانية والأشكانية) فى بعض نقوشهم .

٢ — مصادر التاريخ السياسى وتاريخ الحضارة أيام الساسانيين

١ — مصادر إيرانية معاصرة . الآداب الپهلوية

إن لدينا بادئ بدء عددا من النقوش ، كثير منها لا يمكن حله بدقة كاملة فى كل تفاصيله . وأطول النقوش الساسانية نقش پايكولى بكردستان ، شمالى قصر شيرين ، وهو مكتوب باللغتين الرسميتين لذلك العهد ، اللغة الپهلوية الأشكانية واللغة الپهلوية الساسانية ، على جوانب برج مربع الشكل . وكانت صورة الملك نرسى منقوشة على الجوانب الأربعة . ولكن هذا البرج قد تخرب ولم يبق منه غير القاعدة ، واندثر كثير من حجارته التى كان عليها كتابة وما بقى منها وجد مبعثرا هنا وهناك . وقد نشر توماس بعض أجزاء من هـذا النقش بصورة ناقصة جداً سنة ١٨٦٨ فى مجلة الجمعية الأسيوية الملكية وذلك نقلا عن صورة له أخذها رولنسن . وقد كتب أندرياس عن هذا النقش لافتا نظر العلماء إليه . فزاره هرتسفلد فى سنة ١٩١١ ثم عاد لزيارته سنة ١٩١٣ ظافراً من رحلتيه بصور فوتوغرافية ورسوم يدوية للنقوش التى رآها على كل ما بقى من حجارة البرج . وفى سنة ١٩١٤ قدم لهذه الصور بمقدمة نشرها فى Memoires de l'Academie de Berlin ، وفى سنة ١٩٢٤ نشر الصور التى جمعها من نقش پيكولى والنقوش الأخرى المعروفة فى مجلدين كبيرين[١] مع مقدمة وترجمة إنجليزية وتعليقات وفهرست كامل الموضوعات والمفردات . وقد خصص الجزء الثانى لصور النقوش كلها . وقد حاول بذلك جمع كل النقوش التى وجدت فى پيكولى وترتيبها حتى يستقيم النص ما أمكن ذلك . ويشمل كتابه كثيراً من المعلومات المفيدة . وقد

---

(١) Paikuli. Berlin 1924

أفاد نشر هذه النقوش ، مهما يكن جزئياً ، فى مساعدتنا على معرفة اللغتين اللتين كتبت بهما النقوش .

وهذا بيان بالكتابات الساسانية :

كتابة بثلاث لغات (البهلوية الساسانية والأشكانية واليونانية) وهى لأردشير الأول فى نقش رستم يبين أن الصورتين تمثلان الملك أردشير وأوهرمزد . (هرتسفيلد پيكولى (١) ص ٨٤ . وأما عن النقش فانظر الفصل الأول فيما بعد) .

كتابة بثلاث لغات على صورة سابور الأول فى نقش رجب ، تدل على أن الصورة تمثل سابور بن أردشير . (هرتسفيلد ، پيكولى (١) ص ٨٦ .) وأما عن النقش البارز فانظر الفصل الرابع .

كتابة باللغتين البهلوية الساسانية والبهلوية الأشكانية عن سابور الأول فى حاجى آباد ، تشير إلى رمية سهم من الملك . نشرت فى آخر طبعة وسترجارد للبندهشن (ص ٨٣ — ٨٤) ؛ النص وآخر محاولة للترجمة . (هرتسفيلد پيكولى ، (١) صفحات ٨٧ — ٨٩) .

كتابة بهلوية ساسانية ، للموبذ كردير هرمزد فى نقش رجب ، يشير فيها الكاتب إلى حياته الورعة وسعيه المجدى لصالح الدولة ، فى رعاية الملوك سابور الأول ، وهرمزد الأول ، ووهرام الأول ووهرام الثانى . (هرتسفيلد ، پيكولى ، (١) ، صفحات ٨٩ — ٩٢) .

كتابة دارسة للموبد السابق على نقش رستم الخاص بانتصار الملك سابور الأول . (هرتسفيلد ، پيكولى (١) ، صفحات ٩٢ — ٩٣) .

كتابة باللغتين عن الملك نرسى فى پيكولى . خاصة بحرب الملك نرسى مع وهرام الثالث وبفروض الطاعة التى قدمها العظماء للملك . (هرتسفيلد ، پيكولى) ، (١) صفحات ٩٤ — ١١٩) .

كتابة بهلوية ساسانية منقوشة على صورة الملك وهرام الأول فى مدينة سابور بإقليم فارس ، وفيها ذكر أسماء وألقاب الملك نرسى وأسماء أبيه وجده وألقابهما .

هرتسفيلد ، پيكولى (١) ، ص ١٢٠ (وقارن المصدر نفسه ص ١٧٣) وأما عن النقش البارز فانظر الفصل الخامس .

كتابة پهلوية ساسانية لسابور الثانى ، على يمين نقش سابور الأول والثانى فى الطاق الصغير ، طاق البستان ، وفيها ذكر اسم سابور الثانى وألقابه ، وكذلك أسماء والده وجده وألقابهما (هرتسفيلد ، پيكولى ، (١) ، ص ١٢٣) . وأما عن النقش البارز فانظر الفصل الخامس .

كتابة پهلوية ساسانية لسابور الثالث ، على يسار النقش السابق ، فيها اسم سابور الثالث وألقابه ، وكذلك أسماء والده وجده وألقابهما . (هرتسفيلد ، پيكولى (١) ، ص ١٢٤ . وأما عن النقش البارز فانظر الفصل الخامس .

كتابة پهلوية ساسانية فى اصطخر (پرسوپوليس) أرخت فى السنة الثانية من ولاية سابور الثانى . (هرتسفيلد ، پيكولى (١) ص ١٢٢) .

كتابة پهلوية ساسانية فى پرسوپوليس كتبها اثنان من العظماء تحية الملك سابور الثانى (هرتسفيلد ، پيكولى ، (١) ، ص ١٢٢) .

مجموعة من الكتابات القصيرة فى دربند ، كتبت خلال القرون الأخيرة للعهد الساسانى ، كتبها بعض العظماء . Nyberg فى مجلة الجمعية العلمية بآذربيجان ، باكو ، سنة ١٩٢٩ بالروسية[١] .

وكذلك تشتمل خطوط التوقيعات الساسانية على عدد كبير من أسماء الأشخاص والألقاب . وبعض عبارات منقوشة على النحاس[٢] .

***

وأما النقود التى عليها كتابة پهلوية ساسانية فلها قيمة كبيرة فى التاريخ الزمنى ،

---

(١) والمواد الجديدة التى جمعها Herzfeld (أنظر ZDMG ، ١٩٢٦ ، ص ٢٢٥ وما بعدها) ليست فى متناولنا بعد .

(٢) P. Horn فى ZDMG ، مجلد ٤٤ ، ص ٦٥٠ وما بعدها ؛ Sassanidische Seigelsteine نشر هورن وشتيندروف ، برلين ١٨٩١ . Paikuli : Herzfeld ، ص ٧٤ وما بعدها .

إذ هى تصور التاج الخاص بكل ملك ، وكانت التيجان تختلف من ملك إلى آخر . وكذلك تساعد النقود على تعيين أسماء الملوك فى النقوش التى تخلو من الكتابة .

ويبدو من النقود الساسانية أنها كانت على عيارى الذهب والفضة من غير أن يكون بين قيمتهما أى ارتباط . كان لديهم نقود ذهبية (الدينار ، ولكنه كان نادراً) . وقد سك الملوك الساسانيون الأول نقداً من الذهب على غرار الأورى (Aurei) الرومانية التى كان يصدرها معاصروهم من أباطرة الرومان ، ومن آثار الساسانيين قطع ذهبية مختلفة الأحجام ، وأما الدراهم الفضية فقد ظلت أيام الساسانيين مقاربة لوزن الدرهم الفينيقى الذى استعمله الأشكانيون فى العصر الأخير . وكان وزنه يتراوح بين ٣و٦٥ و ٣و٩٤ جراما . وكان الدرهم الساسانى يساوى ٧٥و٠ من الفرنك الذهب عامة ، وعلى خلاف الدرهم الأشكانى كان الدرهم الساسانى أكبر حجما وأرق سمكا . وكانت أربعة الدراهم تكون ما يسمونه « ستير » Stér . وكان لديهم نقود فضية تكون أجزاء من الدرهم ، منها نصف الدرهم ، والدانق (وهو سدس الدرهم) وجزء من اثنى عشر جزءا منه .

وهناك قطع من النقود من النحاس المخلوط من عهد أردشير الأول وسابور الثانى وقطع من النقد النحاسى عملت غالباً على عيار الفضة وهى ذات قيم مختلفة ، وأصغر أنواع العملة التى حفظت أسماؤها هو البشيز . وكان أمراء الولايات الشرقية (الكوشانشاه) ، يضربون النقد على نمط نقد الشاهنشاه ، ويضعون عليه صورهم وألقابهم[1] .

(١) أحدث الكتب عن النقود الساسانية هى : D. I. Paruch, Sasanian Coins Furdonjée بمباى ١٩٢٤ ، ص ٣١ وما بعدها ؛ S.C. in the Ermitage : R.Vasmer (Numismatic Chronicle) ، ١٩٢٨ ،ص ٢٤٩ ومابعدها ؛ Wundzettel (أعمال الكلية الشرقية بجامعة وسط آسيا) ، طشكند ١٩٢٧ ؛ Kushano-Sassanian Coins:Herzfeld ١٩٣٠ ، وقارن Paikuli ، ص ٣٥ وما بعدها . أما عن الاصطلاحات البهلوية فانظر The Frahangi Pahlavik، لشر H.F. J. Junker ، هيدلبرج ، ١٩١٢ ، الفصل ٣٠ ؛ شايست ناشايست ١ ، ٢ (انظر طبعة ، Tavadia ، همبورج ١٩٣٠ ، مقدمة ، ص ١٤ — ١٦) .

وكانت الدراهم الساسانية تحمل على وجهها صورة نصفية الملك وكتابة فيها اسمه ولقبه وعلى ظهرها معبد النار .

فعلى الوجه كتابة پهلوية يذكر فيها اسم الملك وألقابه ، ويعاد ذكر الاسم عادة على الظهر . ثم كان يرسم كذلك على النقود شعار أو رمز الملك وأحياناً سنة تتويجه.

* * *

ومصادر الديانة الرسمية أيام الساسانيين هى الكتب المقدسة المكتوبة بلغة الأوستا ، وهى تتكون من الأوستا الساسانية مقسمة إلى واحد وعشرين سفرا (نسكا) ومن الزند وهى الترجمة البهلوية للنصوص الأوستية مع شروح لها باللغة البهلوية (الساسانية[1]) . والأوستا التى بأيدينا الآن ليست إلا جزءا صغيرا ، من الأوستا الساسانية[2] ، ولكن الملخص لواحد وعشرين نسكا الذى ورد فى الكتابين الثامن والتاسع من الدينكرد البهلوى قد حفظ لنا تفصيلا قيما جداً عن تاريخ المدنية الساسانية . وسنذكر الدينكرد كثيراً فى صفحات هذا الكتاب[3] . وها هى أسماء بعض الشراح الذين يكثر ذكرهم فيما بقى من أقسام الزند والكتب الدينية البهلوية .

أَبْهرَك ، مَگُوشْنَسْپ ، گُوگُشْنَسْپ كى آذُربوزِيدِ ، سُوشينس ، رُوشن ، آذرهرمزد ؛ آذر فَرْبغ نرسى ، ميذوگماه ، فرخ ، آفروغ ، آزادمرد . ويظن أن أغلبهم من أواخر العصر الساسانى .

والكتب الزردشتية التى تناولت الدين وحده والمكتوبة باللغة البهلوية ألفت

---

(١) عن الزند أنظر ، Iranische Beiträge : Schaeder (١)، ص ٧٦ وما بعدها ص ٣٧ وما بعدها .

(٢) أنظر الفصل الثالث فيما بعد .

(٣) نذكر الكتابين الثامن والتاسع من ال دينكرد وفقا للترجمة الإنجليزية ل West عادة « Pt ، (٤) » . ولا نحيل إلى النص البهلوى الذى نشره Peshotan Senjana إلا حين تكون ترجمة وست غير مؤدية للغرض ، وقد شمل الكتابين (٨ ، ٩) الأجزاء ١٥ — ١٩ .

كلها تقريبا أو أعيدت كتابتها فى زمن لاحق للساسانيين[١] . فنى القرن التاسع الميلادى بنوع خاص أظهر جماعة علماء الدين البرسيين نشاطاً أدبياً بيناً . ويبدو أن داذستان مينوگ خرد (روح مذهب الحكمة أو مذهب الحكمة الإلهية) كتب أصلا فى القرن الأخير للدولة الساسانية ولو أنه نقل إلينا فى زمن لاحق للساسانيين .

أما عن كتاب أرداگث ويراز نامگث[٢] فإن موضوعه ساسانى على كل حال . وتتضمن كثير من التآليف ، التى كانت الأوستا والزند مصدراً أساسياً عاماً لها ، كثيراً من المواد الخاصة بالمدنية الساسانية . وهذا هو الحال فى الدينكرد[٣] خاصة ، وهو الذى أشرنا إليه ، وفى البندهشْن الذى يحوى مختصراً لبعض أجزاء الأوستا الساسانية والزند تتناول خلق الإنسان ، والتاريخ الخرافى ، وخلق العالم ، والتاريخ الطبيعى[٤] .

---

(١) نشر Andreas النص البهلوى بخطه الأصلى : The Book of the Mainyo-i-Khard كيل ، ١٨٨٢ ، ثم نشر فى المجلد الخامس من Codices Avestici et Pahlavici Universitatis Hafiensis Bibliotheca كوبنهاجن ١٩٣٥ . وهناك طبعات عدة فى بمباى . الترجمة الإنجليزية لوست wes ، PT ، (٣) .

(٢) كان هذا الاسم يقرأ ويراف . The book of Arda-Viraf : Hoshang, Haug لندن وبمباى ١٨٧٢ (النص والترجمة) والترجمة الفرنسية لبارتلمى Barthélemy ، Artâ Virâf — Nâmak ou Livre d'Ardâ Virâf ، باريس ١٨٨٧ ، ويوجد النص فى مخطوطين بمكتبة جامعة كوبنهاجن ، وقد طبعا تصويراً : Codices Avestici et Pahlavici Bibl. Univ-Hafn., الجزء (١ ، ٢) ، كوبنهاجن (١٩٣١ — ١٩٣٢) .

(٣) The Dinkard : Peshotan Sangana ، (١ — ١٩) ، بمباى ١٨٧٤ — ١٩٢٨ (النص والترجمة الإنجليزية) ، نشر Madan ، ، (١ — ٢) ؛ بمباى ١٩١١ (النص وحده) . ومنه بعض نبذ فى المخطوط K ٤٣ ، وقد صورت فى الأجزاء (٥) و (٦) من : Codices Avest. et Pahl. Bibl Univ. Hafn.

(٤) هذا الكتاب ماثل فى نصين ، سمى كل منهما حسب مكان المخطوط ، ال بندهشن الإيرانى وال — بندهشن الهندى . والهندى ، وهو مختصر ، طبع مصوراً ، نشره Westergaard سنة ١٨٥١ ، ونشر حديثاً فى مجموعة Codices Avest. et Pahl. Bibl. المجلد الأول ؛ ونشره مع ترجمة ألمانية Justi (ليبزج ١٨٦٨) ؛ وترجمه للانجليزية فى مجموعة SBE أما ال — بندهشن الإيرانى فقد طبع مصوراً ، نشره Anklesaria فى بمباى ١٩٠٨ . ومؤلف ال — بندهشن الأول استخدم مصادر عربية ، هنا وهناك ؛ أنظر كريستنسن Les Kayanides ص ٤٤ وما بعدها .

وكانت الأوستا والزند مصدرى القانون الساسانى ، وهناك كتاب فى التشريع البهلوى وجدت منه أجزاء هو كتاب « ماذيكان هزار داذستان » — ألف فتوى قضائية — الذى ألفه فرخمرد ، وهو مخطوط وحيد فى ٧٤ ورقة فى مكتبة مانكجى ليمجى هوشنك هاتريا وقد نشر الأستاذ مودى[١] ٥٥ ورقة منه بالتصوير الزنكوغرافى مع مقدمة لها ، بينما بقيت التسع عشرة ورقة الباقية من غير نشر حتى الآن . وقد نشر الأستاذ Bartholomae-[٢] بعض أجزاء من هذا المخطوط مع شروح لغوية وأخرى فقهية بالألمانية وهى الأجزاء التى تعترضها مصاعب جمة بسبب إعواز مواد تصلح للمقابلة أو تتناول الموضوع نفسه . وقد ذكر كتاب الماذيكان أسماء بعض القضاة فى العهد الساسانى مع آرائهم فى الأحكام :

وهرام ، داذ فرخ ، سياوش ، پوسان وه آزاد مر دان ، پوسان وه برز آذر فَرنْبغَان ، وِهْ پَنَاه (الذى شغل الوظيفة الكبيرة مگوگان اندرزبد[٣]) . خُوذَاى بُوذ دبير ، وَايَه يَاوَار ، راذ — هرمز ، وَهْرَامشاه ، يووَانيوم زُرْ وانداز (ابن) يووانيوم ، فرخ زُرْوان ، وِه هرمزد ، زَامَاسبْ ، مَاهَانْدَاذْ ، وغيرهم .

ويظهر أن كتابا فى التشريع اسمه دَسْتُورَان ذكر فى الكتاب السابق مرة واحدة على الأقل .

وتوجد كذلك مجموعة قضائية ساسانية كانت مكتوبة باللغة البهلوية وهى تستند فى جزء منها إلى مصادر كتاب « ماذيكان هزار داذستان » نفسها وقد بقيت لنا هذه المجموعة باللغة السريانية ، نسخها أو ترجمها إليها رئيس الأساقفة فى فارس

---

(١) طبعة عن الصور الفوتوغرافية ، بمباى ١٩٠١ .

(٢) Über ein sassnidisches Rechtsbuch... der Heidelberger Akademie ١٩١٠ ؛ Zum Sasanidischen Recht ، (١ — ٥) المرجع نفسه ، ١٩١٨ ، ١٩٢٠ ، ١٩٢٢ ، ١٩٢٣ ؛ Die Frau im sasanidischen Recht للمؤلف نفسه ؛ Kultur und Sprache ٥ ، هيدلبرج ١٩٢٤ . وانظر فيما بعد الفصلين (٦) ، (٧) .

(٣) موگان أندرزبد (مغان أندرزبد) ، أنظر الفصل الثانى .

عيشو بخت فى القرن الثامن ، ولكن المترجم المسيحى عدل القواعد القانونية الإيرانية بأخرى مسيحية لتتلاءم مع شريعة طائفته[١] .

وظهرت فى القرن الأخير من الحكم الساسانى عدة رسائل شعبية فى الأخلاق نظرية وعملية ، كانوا يسمونها أندرز أو پندنامه (كتب النصائح) وكانت تتضمن قواعد الأخلاق والحكم المنسوبة غالباً إلى العظماء التاريخيين أو الخرافيين .

ولدينا بعض رسائل من هذا النوع وهى پهلوية كتبت فى عصر الساسانيين ، منها : اندرز أوشْنَرْ الحكيم ، وهو شخص خرافى قديم ، وأخرى لكسرى الأول ابن قباد ، وأندرز آذربد مهر سپندان ، كبير الموابدة المشهور أيام سابور الثانى ، وأندرز زردشت بن آذرباد (پندنامك زردشت) .

ومن كتب النصائح هذه كتاب بزرجمهر المشهور عند كتاب العرب والفرس ، وزير كسرى الأول الذى حيك حوله القصص ، والذى يتضمن تاريخه القصصى ذكريات كثيرة من قصة أحيقر القديمة . وكان كتاب بزرجمهر هذا شائعاً فى العصور الوسطى الإسلامية . ويحتمل جداً أن تكون هذه الشخصية المعروفة التى اقترن اسمها بإدخال لعبة الشطرنج فى فارس[٢] ليست إلا شخصية الطبيب برزويه[٣] الذى سنتناول الحديث عنه فيما بعد فى الفصل الثامن . والراجح أن حكم بزرجمهر ألفت فى القرن التاسع ولكن المبادىء التى وضعها المؤلف على لسان بزرجمهر تعكس ، فى جزء منها ، مقدمة كليلة ودمنة التى ترجمها برزويه عن كتاب پنج تنترا السنسكريتى ، كما أنها تكشف ، فى الجزء الآخر بغير شك ، عن كتب فى النصائح أبعد قدماً[٤] .

---

(١) النص والترجمة الألمانية لسخاو Syrische Rechtsbücher ، E. Sachau ، ٣ ، برلين ١٩١٤ . قارن Die Frau im Sasnidischen Recht : Bartholomae ، ص٥ .

(٢) ماذيكان — شطرنج ، أنظر بعده . وقد روى هذه القصة الفردوسى والثعالبى وغيرهما .

(٣) انظر Le Sage Buzurjmihr : Christensen ، AO (٨) ، ص٨١ وما بعدها .

(٤) نشر Jamasp-Asana النصوص البهلوية لكتب النصائح Pahlavi Texts (٢) بمباى ١٩١٣ ؛ ونشر Peshotan Sanjana پندنامك بزرجمهر ، أندرز آذربد مهرسپندان =

وأما ملذات الطبقة العليا الإيرانية فى الجماعة الساسانية فقد حوت تفصيلات شائقة عنها رسالة پهلوية تسمى خسرو كواذان وريدگى (خسرو بن قباد والخادم[1]) ، أنظر الفصل التاسع فيما بعد .

وكانت القصص التاريخية القصيرة شائعة بين الشعب فى ذلك الوقت ، والنص البهلوى لبعض هذه القصص التى تتناول تاريخ الدولة الساسانية والتى يرجع تاريخها إلى القرن الأخير من حكم هذه الدولة ، قد حفظ فى كتب ألفت بعد العهد الساسانى فنها « كارنامكث أردشير پابكان » (كتاب أعمال أردشير بن پابك) « وماذيكان شطرنج » (قصة لعبة الشطرنج[2]) .

وأما إنشاء المدن أيام الساسانيين فقد ذكر ، فى الكتاب المسمى «شهرستانهائى إيران شهر[3] » (مدن إيران) . راجع الفصل الرابع عن النصوص الخاصة بالأدب المانوى .

= أندرز خسروى كواذان وذلك فى « گنج شايكان » ببماى ١٨٨٥ ؛ ونشر Freiman پندنامك زردشت (الجزء ٢٠ من : Wiener Zeitschrift für die kunde des Morgenlandes) ؛ ونشر Dhabhar أندرز أوشنر(أندرزأوشنردانـك) فى بمباى ١٩٣٠ وأما عن الصلات بين النصوص التى ذكرها كل من سنجانا وجاماسب — آسانا ؛ فانظر Freiman المقدمة ؛ وأنظر Christensen فى AO (٨) ، ص ٨١ اللحوظة ٣ .

(١) نشره وترجمة J. M. Unvala بعنوان : "The Pahlavi Text, king Husrav ans his boy" باريس ١٩٢١ .

(٢) نشر ال عدة مرات فى بمباى ؛ وترجمه للألمانية Th. Noeldeke فى الجزء الرابع من Beiträge zur Kunde der indogermanischen Sprachen وال — « ماذيكان شطرنج » موجود ضمن Pahlavi Texts التى نشرها جاماسب — آسانا ، كما أنه نشر مع هـذه الترجمة الإنجليزية فى « گنج شايكان » لبيشوتان سانجانا .

(٣) J. Markwart : A Catalogue of the Provincial Capitals of Eranshahr نشر مسينا ، O. Messina (Analecta Orientalia, 3) روما ١٩٣١ . وقارن J.C.Tavdia فى : Orientalistische Literaturzeitung ١٩٢٦ ، ٨٨٣ وما بعدها .

٢ – الروايات الساسانية التى بقيت فى آداب العرب والفرس

اتخذ البلاط الساسانى ، كما اتخذ الأكمينيون من قبل ، تقويمات رسمية[١] . ويظن أن مؤلف خداى نامه أو مؤلفيه ، قد استفادوا من هذه التقاويم فى كتابهم الذى ألف فى أواخر عهد الدولة الساسانية وربما كان فى عهد يزدجرد الثالث[٢] .

ويظن نولدكه[٣] أن هذا الكتاب البهلوى كان مصدراً أصيلا لأقدم الكتب العربية والفارسية التى تناولت تاريخ إيران قبل الإسلام . وقد عرب اسم الكتاب فأصبح : كتاب سير ملوك العجم أو سير الملوك ، وسمى بالفارسية شاهنامه . وأشهر التراجم العربية لخداى نامه ترجمة ابن المقفع (المتوفى حوالى ١٤٣/٧٦٠) ، وهو مجوسى أسلم ، وكان مؤلفاً مجداً عاملا ، وقد ترجم للعربية ، عدا خداى نامه ، كثيراً من الكتب البهلوية . وقد اندثرت ترجمة ابن المقفع لخداى نامه . لسوء الحظ ، كما اندثر الكتاب نفسه ، وكذلك اندثرت تراجم أو تصانيف عربية أخرى كانت تتصل بتاريخ الساسانيين ، ولكنا نعرف أنها كانت موجودة مما ورد فى كتب المتأخرين وخاصة فى كتاب حمزة الإصفهانى الذى ألف سنة ٩٦١/٣٥٠ ، ويرى نولدكه أن سير الملوك لابن المقفع هو ترجمة الأصل وأنه هو الأساس لجميع سير الملوك التى ذكر أسماءها حمزة الإصفهانى . أما المصدر الأساسى الذى نقل عنه الفردوسى أعمال ملوك الفرس وأحوالهم فى كتابه الشاهنامه فهو ترجمة فارسية للنص البهلوى لخداى نامه ، وهى ترجمة لا صلة لها بترجمة ابن المقفع . ولكن نظرية نولدكه هذه قد عدلت بعد أن درس العالم الروسى البارون فون روزن هذه القضية من جديد

---

(١) Agathias (٢) ، ٢٧ ، (٤) ، ٢٧ — ٣٠ Théophylacte ؛ (٣) ، ١٨ .

(٢) وقد ذكرت الملاحظات التالية مع بعض الإضافات عن كتابى Le régne dn roi kawadh : ص ٢٢ وما بعدها .

(٣) Noeldeke ، الطبرى ، مقدمة ص (١٤) وما بعدها ؛ GIPh (٢) ص ١٤١ وما بعدها .

فى بحث له باللغة الروسية « عن موضوع التراجم العربية لخداى نامه» سنة ١٨٩٥ . وتلخص النتائج القيمة لهـذا البحث فيما يلى : إن المصادر التى أشار إليها حمزة الإصفهانى وغيره من مؤرخى العرب بجانب ابن المقفع قد تكون كلها متأخرة عن ابن المقفع ولـكنها لم تنقل جميعاً عنه وحده أو عنه بوجه خاص ، ولو أنه من الجائز أن يكون بعضها قد استفاد من ترجمته . ومن بين هذه المصادر المشار إليها ترجمات مستقلة عن الأصل البهلوى . وبالرغم من أن شهرة ابن المقفع قد طغت على أسماء غيره ممن ترجموا خداى نامه عن البهلوية ، فلا دليل على أن ابن المقفع فى زمن حمزة الإصفهانى ، كان أفضل من غيره . ويمكن تقسيم المصادر التى أوردها حمزة إلى ثلاثة أقسام وفقاً للخواص التى ذكرها :

١ — المترجمون وهم ابن المقفع ومحمد بن الجهم البرمكى وزادويه بن شاهويه الإصفهانى ، وهؤلاء نقلوا نص خداى نامه البهلوى إلى العربية ، فى ترجمة لا بأس بها بالرغم مما حذفوا أو اختصروا أو تصرفوا فيه من عند أنفسهم .

٢ — المترجمون بقصد التأليف مثل محمد بن مطيار الإصفهانى وهشام بن قاسم الإصفهانى وقد أدخلا فى ترجمتهما قصصاً تاريخية خرافية مأخوذة عن كتب بهلوية أخرى .

٣ — المصنفون مثل موسى بن عيسى الـكسروى والموبذ بهرام بن مردانشاه . وقد قارنا بين التراجم المختلفة لخداى نامه وأدخلا عليها زيادات ، وذلك بإضافة روايات منقولة عن كتب أدبية أخرى أو باختراع روايات جديدة لشرح ما بين المصادر من تضاد ، وهكذا حاولا أن يعيدا النص الأصلى للـكتاب ، وهى محاولة يمكن معرفة نتيجتها .

ويقول حمزة الإصفهانى إن أحدهما وهو الموبذ بهرام راجع نيفا وعشرين نسخة من خداى نامه (الترجمة العربية) . وأما الثانى الـكسروى فإنه لم يجد — وقد

ذكر روزن أمثلة من انتقاده العجيب — نصين متفقين من هذه التراجم[١] .

ونجد فى كتابى البيرونى والبلعمى وغيرهما أسماء مترجمين آخرين أو مصنفين للخداى نامه القديم . وأخيراً ينقد روزن المقدمة المجهولة المؤلف لشاهنامة الفردوسى ، والحديثة نسبيا ، والتى بنى عليها الرأى بأن المصدر الأساسى للفردوسى هو ترجمة نثرية للخداى نامه عن البهلوية ، ترجمة مستقلة عن التراجم العربية ؛ فيقول بشىء من الاحتياط ، إن المصدر الرئيسى الذى استقى منه الفردوسى كتابه مأخوذ عن المصادر العربية نفسها التى نقل عنها المؤرخون العرب الذين بقيت كتبهم فى أيدينا[٢] .

ويستفاد من الخداى نامه ميل شديد للحكم على الملوك من ناحية النبلاء ورجال الدين ، وقد بين ذلك نولدكه ، عدة مرات ، فى تعليقاته على ترجمة تاريخ الساسانيين من كتاب الطبرى .

والكتاب العرب والفرس ممن بقيت كتبهم لا يشيرون لسوء الحظ ، إلى المصادر التى أخذوا عنها نصوصهم إلا نادراً ، وكذلك ليس فى استطاعتنا أن نرجع ما كتبوا إلى الترجمات أو التصانيف التى ضاعت .

ومن المفروض أن العلماء المجوس قد أضافوا إلى نص الخداى نامه البهلوى ، بعد قتل يزدجرد الثالث ، زيادات تتصل بنهاية تاريخ الدولة الساسانية ، وعلى كل حال فإن الكتب العربية والفارسية تتضمن تاريخ إيران فى الفترة ما بين وفاة كسرى الثانى ، الذى ينتهى عنده كتاب خداى نامه ، حتى عهد يزدجرد أيضاً . ولكن

---

(١) يستفاد من نص فى تاريخ حمزة الإصفهانى (نشر Gottwald ، ص ٢١ وترجمته ص ١٤) أن الكسروى قد أفاد من كتاب كبير فى سير الملوك ومن آخر صغير وأن روايتهما كانت مختلفة .

(٢) أنظر عن خداى نامه مقدمة جوامع الحكايات ولوامع الروايات لسعد الدين محمد العوفى التى كتبها محمد نظام الدين (لندن ١٩٢٩ ، مجموعة جب GMS) ص ٥٨ وما بعدها .
وانظر بحث Gabrieli فى "L'Opera di Ibn al-Muqaffa" المنشور فى مجلة : "Rivista degli Studi Orientali" (١٣) سنة ١٩٣٢ ، ص ٢٠٨ وما بعدها .

التفاوت العظيم بين هذه الروايات يبين لنا أنه لم يكن بينها مصدر مشترك عن تلك الفترة .

ولنذكر كتاباً بهلوياً آخر يحوى تفاصيل خاصة من تاريخ الساسانيين ، وكانت له ترجمة بقلم ابن المقفع وهو آيين نامك[1] (كتاب الرسوم) الذى يقول عنه المسعودى[2] « إنه كتاب الرسوم وهو عظيم فى الألوف من الأوراق لا يكاد يوجد كاملا إلا عند الموابذة وغيرهم من ذوى الرياسات » . وقد اهتم هذا الكتاب بذكر تفاصيل عن نظم الدولة الساسانية والجماعة فيها ، كما تناول أصول الحكم وغيرها . وقد جاء ذكره فى تاريخ الثعالبى[3]، كما ذكر مرات فى عيون الأخبار[4] لابن قتيبة ، ونجد آثاراً منه فى كتاب تنسر (انظر بعده) وعند حمزة[5] ، ثم فى جوامع الحكايات لمحمد عوفى[6] . وقد تضمن كتاب « آيين نامك » أو كتب الآيين (إن كان هناك أكثر من كتاب منها) معلومات عن أنواع الرياضة المختلفة التى كان يمارسها النبلاء كرمى السهم ولعب الكرة كما يتضمن الطرق المختلفة لزجر الطير وغير ذلك[7] .

---

(١) ayenagh ، والنطق الأقدم adhvenagh انظر Nyberg : "Hilfsbuch des Pehlevi" ج ٢ ص ٣ ؛ وراجع Andreas — Barr : "Bruchstücke einer Pehlevi— ubersetzung der Psalmen" فى .Sitz. Pr. Ak سنة ١٩٣٣ ص ١١٧ .

(٢) التنبيه (ج ٨ من BGA) ص ١٠٤ .

(٣) نشر Zotenberg ص ١٤ .

(٤) Nariman : "Iranian Influences on Moslem Literature" عباى سنة ١٩١٨ ، ص ١٦٤ و ١٦٧ ؛ Inostrantzef ، S. E ص ٤١ وما بعدها (رسالة عن الحرب) .

(٥) Marquart : Eranshahr ص ٤٨ ملحوظة ١ ؛ Herzfeld فى Paikuli ص ٤٦ .

(٦) مقدمة جوامع الحكايات .. التى كتبها محمد نظام الدين ص ٥٥ وما بعدها .

(٧) راجع Rozen فى Mélanges asiatiques المأخوذة من Bull. de l'Acd. Imp. des Sciences فى Pétersbourg (١٣) ص ٧٥٥ — ٧٧ ؛ والفهرست ص ٣١٥ ؛ c. Inosrantzev (١) ص ، ص ١٢ ، والترجمة الإنجليزية فى Nariman "Iranian Influences" ص ٢٩ ؛ Gabrieili فى مجلة Riv. degli Studi Orientali (١٣) ص ٢١٣ وما بعدها .

أما الكاهنامگ (فهرست الرجال) الساسانى فقد جاء فيه ذكر « مراتب عظماء مملكة فارس وأنها ستمائة على حسب ترتيبهم لها »[1] وهو يؤلف جزءاً من الآيين نامگ . وقد ترجع إليه (أو إليها إن كان منه أكثر من كتاب) الأمور التى ذكرها اليعقوبى[2] والمسعودى[3] والجاحظ فى كتاب التاج[4] عن نظام الطبقات .

وهناك عدا هذا تاج نامه أى كتاب التاج . ويظهر من عنوانه أنه خاص بذكر أحاديث ملوك إيران وتعاليمهم ومراسمهم وما يشبه هذه المسائل . ومن الصعب إيراد عدد الوثائق التاريخية التى تحويها هذه المجموعة . وقد أشار ابن النديم إلى هذا الكتاب فى فهرسته[5] . وكذلك ينقل عنه ابن قتيبة فى عيون الأخبار . وقد نسبت بعض عبارات من هذا الكتاب إلى ملوك لم تذكر أسماؤهم . وبعضها مستخرج من الوصايا السياسية التى وجهها كسرى الثانى (پرويز) إلى أبنائه وكتابه وخازنيه وحجابه[6] . ولعل الطبرى قد اشتق من كتاب التاج الخطابات الملكية فى إشارته إلى كتب تعاليم سابور الثالث للحكام ، وكتاب بهرام الرابع للقادة ، وكتاب كسرى الأول لپاذكوسپان آذربيجان وغيرها .

ويبدو أن هناك أكثر من كتاب بهذا الاسم بالمعنى الأخص ، لأن ابن النديم يشير فى الفهرست (١١٨ — ١ — ٢٨) إلى كتاب التاج فى سيرة أنوشروان الذى ترجمه ابن المقفع . بينما يرى جبريلى أن ليس هناك إلا كتاب واحد بهذا الاسم ، وأما ماذكر ابن النديم من « سيرة أنوشروان » فغير صحيح .

---

(١) المسعودى فى التنبيه ص ١٠٤ .

(٢) نشر Houtsma (١) ص ٢٠٢ .

(٣) مروج الذهب ، (٢) ، ص ١٥٣ ؛ والتنبيه ص ١٠٣ .

(٤) طبعة القاهرة ص٢٢ وما بعدها . وراجع عن هذا الكتاب للجاحظ بحث Gabrieli فى المجلة السالفة الذكر (١١) ص ٢٩٢ وما بعدها .

(٥) طبعة Flügel ، ص ٣٠٥ ، (١) ، (٢) .

(٦) اينوسترانتزف Inostrantzev (١) .c ، ص ، ٣٠ — ٣١ ؛ ٢٨ — ٢٩ ، ٣٠ — ٣١ ؛ Nariman ص ٦٧ — ٦٨ و ٧١ — ٧٢ ؛ قارن الملحوظات الإضافية Nariman فى الصفحات ١٦٤، ١٦٥، ١٦٧ ؛ Gabrieli ، فى Rev. degli Studi Orientali (٨) ص ٢١٥ وما بعدها .

وأما أحاديث ارتقاء العرش التي تذكرها الروايات العربية والفارسية فمن الجائز ان يكون مرجعها إلى خداى نامه الأصلي .

ومن أهم مصادر النظم الساسانية كتاب تنسر إلى ملك طبرستان . وتنسر رجل تاريخي ، فهو الذي جدد ديانة زردشت أيام أردشير الأول[١] (راجع الفصل الثالث هنا) ، وقد نشر نص الكتاب دار مستتر في المجلة الأسيوية سنة ١٨٩٤ ص ٢٠٠ . وترجمه إلى الفرنسية في المجلد نفسه (ص ٥٠٢) . ثم أعاد نشر الكتاب حديثاً مجتبى مينوى ، طهران سنة ١٩٣٢ ، وقد استند هذا إلى مصدر أقدم بنصف قرن من تاريخ أول المخطوطين اللذين استند إليهما دار مستتر في نشره ، وأكثر من هذين دقة في بعض المواضع . وهذا الكتاب الذي أدرج في كتاب « تاريخ طبرستان » لابن اسفنديار هو نص فارسي مختصر عن الترجمة العربية لابن المقفع عن نص پهلوى ، وقد اختفت الترجمة والنص . وقد ذكر المسعودي نبذة من ترجمة ابن المقفع هذه[٢] كما ذكر البيروني نبذة أخرى[٣] وجاءت في فارسنامه نبذة ثالثة تصلح لأن تكون ذيلا لرواية ابن اسفنديار[٤] . وكتاب تنسر رسالة تاريخية وسياسية وأخلاقية في صورة مراسلة بين كبير الهرابذة تنسر وملك طبرستان الذي لم يكن ملماً إلماماً صحيحاً بحقيقة قيام الأسرة الجديدة (الساسانية) . وكان متردداً في الخضوع لأردشير ، وكانت هذه الرسالة مثقفة للقارئ المعاصر . والكتاب يتفق وآداب كتب النصائح التي كانت شائعة أيام الأكاسرة . والواقع أن تاريخ الكتاب يرجع إلى أيام كسرى الأول لاأردشير الأول . فإن تنسر يقول إن أردشير قد خفف العقوبة الخاصة بالجرائم الدينية « فقد كانوا في الأزمنة القديمة يقتلون فوراً من يخرج على الدين ، فأمر الملك بأن يحبس الأثيم ، وأن يداوم العلماء تلاوة أحكام الشريعة عليه مدة عام ،

---

(١) انظر الفصل الثالث فيما بعد .

(٢) التنبيه ص ٩٧ .

(٣) الهند ، نشر Sachau ص ٥٣ .

(٤) Christensen في بحثه "Abarsam et Tansar" بمجلة AO ، ج (١٠) ص ٥٠ — ٥٥ .

وينصحوه ويبينوا له الأدلة والبراهين ويزيلوا الشبهة عنه ، فإذا تاب وأناب واستغفر أطلقوه ، وإذا حمله الإصرار والاستكبار على الردة أمروا بقتله »[١] .

والحقيقة أن القوانين الصارمة التى تفرض الموت على جريمة الارتداد عن الدين لم توجد قبل أن تصير الديانة الزردشتية ديناً رسمياً للدولة على يد أردشير الأول . وتخفيف العقوبة ، على عكس ذلك ، جاء فى وقت أحدث ، حين بدأت الآراء الأكثر إنسانية تسود ، وحين حاولوا تبرير هذه التعديلات فنسبوها إلى مؤسس الدولة المشهور . ومن الممكن أن نقول هذا عن تخفيف العقوبات لجرائم الاعتداء على الملك (الدولة) أو الغير ، المذكورة فى الكتاب . ثم إن كسرى الأول قد عرف بالتساهل فى أمور الدين والاتصاف بخلال إنسانية .

ولننظر فى وراثة العرش (دار مستتر ص ٢٢٧ — ٢٨ ، ٢٣٩ ثم ص ٥٣٣ ، ٥٤٣ وما بعدها من الترجمة)[٢] . يؤخذ من الكتاب أن أردشير لا يريد أن يختار خلفه لأن هذا قد يرغب فى موته . ومن أجل ذلك وضع النظام الآتى لوراثة العرش : لايكتب الملك فى وصيته المختومة والموجهة إلى كبير الموابذة واصبهبذ إيران وكبير الكتاب إلا بعض النصائح والإرشادات ؛ وبعد موته يختار هؤلاء الثلاثة خلفه من بين أمراء البيت المالك ، فإذا لم يتفقوا فوّض الاختيار إلى كبير الموابذة وحده . ولكن أردشير ينص صراحة على أنه لا يريد أن يجعل طريقته هذه سنة لمن يأتى بعده من الملوك . ولكنه « ترك لهم العمل حسب الأحوال » وقد تكون « فى وقت آخر وجهة غير التى ذهبنا إليها وهى أصلح منها » . ونلاحظ أولا أن مثل هذا النظام مستبعد من رجل قوى كأردشير ، ثم إننا نعلم من الطبرى (الذى يتبع التقويم الرسمى لملوك الساسانيين) أن أردشير وسابور الأول وسابور الثانى قد اختار كل منهم خليفته بنفسه ولكن فى الحقبة بين حكمى أردشير الثانى وقباد الأول ترك اختيار

---

(١) الترجمة العربية لكتاب تنسر نقلا عن طبعة مينوى ، يحيى الخشاب ص ٣٨ مطبعة مصر ١٩٥٤ . وسننقل عن هذه الترجمة فى الحديث عن تنسر .

(٢) الترجمة العربية للخشاب ص ٥١ ، ٦٣ .

الملك ، بوجه عام ، للعظماء ، ومن الممكن أن تنسجم الطريقة التى أشار إليها تنسر مع هذه الحقبة . ثم إن ما جاء على لسان أردشير من أن هذه القاعدة ليست سنة ، وأنه فى أزمنة أخرى قد توجد قواعد أصلح منها ، يبين أن كتاب تنسر قد ألف فى زمن كانت ذكرى الطريقة المنسوبة لأردشير لاتزال ماثلة فيه ، ولكنها كانت ملغاة ، أى فى الوقت الذى كان للملوك الحق ، من جديد ، فى تعيين من يخلفهم ؛ أى فى المدة بين حكمى قباد وهرمزد الرابع .

وينسب الكتاب لأردشير قوله (دار مستتر ص ٢١٠ ، ٥١٣ — مينوى ص ٩ [١]) « ولايجوز أن يطلق لقب ملك على أحد من غير أهل بيتنا عدا أصحاب الثغور وهى آلان وناحية المغرب وخوارزم وكابل » ولا شك أن المقصود بصاحب ثغر آلان هو أحد الإصبهبذين الأربعة الذى عينهم كسرى الأول ؛ ويقال إنه كان من حقه مزية الجلوس على عرش من ذهب ، وأن وظيفته كانت ، على سبيل الاستثناء وراثية فى خلفائه الذين كانوا يسمون « ملوك السرير » (نهاية الأرب فى مجلة الجمعية الملكية الأسيوية JRAS سنة ١٩٠٠ ص ٢٢٧) .

وأخيراً فإن الملحوظات الجغرافية (دار مستتر ص ٢٤١ — ٤٢ و ٥٤٦ — ٦٦ الترجمة العربية) تتيح لنا أن نحدد بطريقة أدق تاريخ كتاب تنسر : فقد أشير فى الكتاب إلى الترك وذكر فيه أن حدود الإمبراطورية الإيرانية تحسب من « نهر بلخ إلى حدود أذربيجان . وأرمينية فارس ، والفرات وبلاد العرب إلى عمان ومكران ومن هناك حتى كابل وطخارستان » . فالكتاب إذاً أنشئ بعد فتوح كسرى الأول (أنوشروان) فى الشرق بالقضاء على الهياطلة ، ولكن قبل الاستيلاء على اليمن . أى بين سنتى ٥٥٧ و ٥٧٠ [٢] .

---

(١) الترجمة العربية ص ٢٩ .

(٢) يقول الثعالبي (ص ٦٠٦) إن أغلب الأمور على خسرو الأول كان النظر فى سير الملوك وتصفح عقولهم والاقتباس من محاسنهم واجتناب مقابحهم ، لا سيما سير أردشير فإنه جعلها أزمة أفعاله وأئمة أحواله . ونجد الملحوظة نفسها فى الطبرى (ص ٨٩٨ ، نولدكه ص ١٦٥) وفى فارسنامه (ص ٨٨) .

ويرى ماركارت Marquart هذا الرأى أى أن كتاب تنسر ألف أيام كسرى الأول[١] ولو أنه أثبته بطرق أخرى . وعنده أن الكتاب عندما يذكر قابوس ، ملك كرمان بدلا من وَكَخش الذى يعرف فى التاريخ ، يقصد كاؤس أخا كسرى الأول الذى اتخذه ولخش مثالا له[٢] .

وقد أشار نظام الملك[٣] فى كتابه سياست نامه إلى نص من كتاب پيشينگان (كتاب القدماء) . وقد رأى المسعودى[٤] فى سنة ٣٠٣/٩١٥ — ١٦ « فى اصطخر عند بعض أهل البيوتات المشرفة من الفرس كتاباً عظيما يشتمل على علوم كثيرة من علومهم وأخبار ملوكهم وآبينهم وسياساتهم لم أجدها فى شىء من كتب الفرس كخداى نامه وآيين نامه وگاهنامه وغيرها ، ومصور فيه ملوك فارس من آل ساسان سبعة وعشرون ملكا منهم خمسة وعشرون رجلا وامرأتان قد صور الواحد منهم يوم مات شيخاً كان أو شاباً وحليته وتاجه وخط لحيته وصورة وجهه .. ثم إنهم كانوا إذا مات ملك منهم صوروه على هيئته ورفعوه إلى الخزائن كى لا يخفى على الحى منهم صفة الميت ، وصورة كل ملك كان فى حرب قائماً ، وكل من كان فى أمر جالساً ، وسيرة كل واحد منهم فى خواصه وعوامه وما حدث فى ملكه من الكوائن العظيمة والأحداث الجليلة . وكان تاريخ هذا الكتاب أنه كتب مما وجد فى خزائن ملوك الفرس سنة ١١٣ هـ (٧٣١ م) ونقل لهشام بن عبد الملك من الفارسية إلى العربية بأنواع الأصباغ العجيبة التى لا يوجد مثلها فى هذا الوقت والذهب والفضة المحلولين ونحاسه محكوك والورق فرفيرى اللون عجيب الصنع فلا أدرى أورق هو أم رق لحسن إتقانه » .

وربما كان هذا الكتاب هو نفس الكتاب الذى استخدمه حمزة الإصفهانى فى

---

(١) إيرانشهر ص ٤٨ ملحوظة ١ . وانظر ردنا على هذا الرأى فى مقدمة الترجمة العربية لكتاب تنسر ص ٦ وما بعدها .

(٢) المصدر نفسه ص ٣٠ والملحوظة ٢؛ وانظر عن كتاب تنسر Gabrieli فى Riv. degli Studi Orientali (١٣) ص ٢١٧ وما بعدها .

(٣) سياست نامه ، نشر شيفر Schefer ص ١٠ والترجمة الفرنسية ص ١٢ .

(٤) التنبيه والإشراف (٨) BGA ص ١٠٦ .

تاريخه ليصف صور جميع ملوك آل ساسان . ولا شك أن هذه الصور ليست أصيلة من أولها إلى آخرها ، ويمكن أن نفرض أن عادة تصوير الملوك يوم وفاتهم وإيداع صورهم فى الخزينة بدئ فيه فى وقت غير محدد أيام الساسانيين ، وأن صور الملوك السابقين أكملت بعد ذلك من الخيال الصرف . ولكن ليس هناك سبب للشك فى أوصاف الساسانيين المتأخرين على الأقل ، ذلك أن لباسهم وسلاحهم وهيئتهم مطابقة تماما لما نراه منقوشاً على الصخور وعلى الأوانى الفضية الساسانية فنستبعد فكرة تصويرهم بعد انقضاء الدولة الساسانية .

ويقول الإصطخرى[١] إنه كان بناحية سابور جبل قد صور فيه صورة كل ملك وكل مرزبان معروف للعجم وكل مذكور من سدنة النيران وعظيم من موبذ وغيره ونتتابع صور هؤلاء وأيامهم وقصصهم فى أدراج وقد خص بحفظ ذلك قوم بناحية أرّجان . ويقول إنُسترنتزف[٢] إن مفهوم هذه العبارة أن الصور التى فى الأدراج على نمط الصور المنقوشة فى الجبل لسابور .

وقد أشار الفهرست إلى أسماء كتب عربية كثيرة نقلت عن البهلوية وخاصة فى صفحات ٣٠٥ و٣١٥ و٣١٦ . وهذه الكتب ، التى أشار إليها مؤلفون آخرون ، يرجع بعضها إلى فصيلة كتب النصائح[٣]. وبعضها الآخر يرجع إلى القصص التاريخى. ولكن يستحيل أحيانا أن نعرف بالضبط تحت أى النوعين ندرج هذه الكتب ، لأنه لم يبق من معظمها غير الاسم .

ومن بين القصص البهلوية الشائعة والتى تناولت موضوعات عن تاريخ الساسانيين والتى وجدت منها تراجم عربية[٤] ، نشير إلى مزدك نامك وبهرام چوبين نامك .

---

(١) BGA الجزء الأول ص ١٥٠ .

(٢) SE ، ص ٩ ؛ Nariman فى "Iranian Influences" ، ص ٢٠ وما بعدها .

(٣) انظر ص ٤٤ من هذا الكتاب .

(٤) انظر يحيى "Om den historiske Romanlitteratur paa Pehlevi" فى "Studier tilegnede Franz Buhl" كوبنهاجن سنة ١٩٢٥ ، ص ٢٤ — ٣٤ . وانظر الفصل الخامس من كتابى : "Heltedigtningog Fortælliugslitteratur hos Iranerne i Oldtidan" الذى نشرته جامعة كوبنهاجن سنة ١٩٣٥ .

أمّا مزدك نامك ، فهو كتاب عن مزدك الشيوعى وصلاته بالملك قباد الأول .
وقد عربه ابن المقفع نثراً وعربه اللاحق نظما (فهرست ١١٨ س ٢٧ . ١٣٦ س ١٠) .
وقد أشار إليه حمزة الإصفهانى (ص ٤١) ، والنهاية (برون ص ٢١٦) . وبمزج ما جاء من روايات فى سياست نامه لنظام الملك[1] مع رواية پرسية[2] يمكن إعادة مادة القصة كلها ، تلك القصة التى ذكرها الثعالبى والفردوسى والبيرونى ومؤلفا فارسنامه ومجمل التواريخ[3] .

وأما وهرام چوبين نامك ، فهو قصة الغاصب بهرام جوبين وقد ترجمه جبلة ابن سالم (الفهرست ٣٠٥ س ١٠) وقد ذكر الكتّاب العرب القصة بأكلها ، كما ذكرها الفردوسى[4] .

وهذه هى المصادر الرئيسية لتاريخ الساسانيين التى نجدها لمؤرخين من العرب والفرس بقيت كتبهم : تاريخ اليعقوبى (النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى ؛ ابن قتيبة (م ٢٨٦/٨٩٩) وله أيضاً ملاحظات هامة عن تاريخ الفرس فى عيون الأخبار ؛ الدينورى فى الأخبار الطوال (م ٢٨٢/٨٩٥) ؛ الطبرى (م ٩٢٣) ؛ سعيد ابن البطريق المشهور بإتيكوس وهو بطريق الإسكندرية حوالى سنة ٩٢٩ ؛ ومروج الذهب للمسعودى (م حوالى ٣٤٥/٩٥٦) ؛ والتنبيه والإشراف للمسعودى أيضا ؛ وتاريخ حمزة الأصفهانى (ألف ٣٥٠/٩٦١) ؛ وتاريخ البلعمى (فارسى)[5] وقد أخذ عن الطبرى ؛ وكتاب البدء والتاريخ لمطهر بن طاهر المقدسى (ألف

---

(١) الفصل ٤٥ من طبعة شيفر ، والفصل ٤٤ من الترجمة .

(٢) رواية داراب هرمزيار (٢) ص ٢١٤ — ٢٣٠ .

(٣) انظر نولدكه ، الطبرى ص ٤٥٥ وما بعدها . Christensen فى : Le règne du roi Kawadh I." ص ٤٤ وما بعدها ، وانظر : "Two Versions of the History of Modi. Mem : Mazdak" ، المجلد (١) ص ٣٢١ وما بعدها .

(٤) Nœldeke ، طبرى ص ٤٧٤ وما بعدها ؛ Christensen Romaneh om Bahram Tehobin, Studierfra Sprog og Oldtidsforskning عدد ٧٥ .

(٥) لم ينشر ، وترجمه زوتنبرج Zotenberg ، انظر خاصة الجزء الثانى (باريس ١٨٦٩) .

٩٦٦/٣٥٦)[١] ؛ وشاهنامة الفردوسى (م ١٠٢٠/٤١١ تقريباً) ، وهى التاريخ القومى للفرس . ولموضوع الشاهنامة قيمة كبيرة للتعريف بالمدنيــة الساسانية ، وأجزاؤها المتعلقة بالعهد الخرافى ، قبل حياة زردشت ، تعكس صورة من العهــد الساسانى الذى ترجع إليه المصادر الرئيسية التى لجأ إليها الشاعر فى كتابه ؛ غرر أخبار ملوك الفرس للثعالبى (م ١٠٣٨/٤٣٠) ؛ نهاية الأرب فى أخبار الفرس والعرب ، وهو نص عربى غير معروف المؤلف ، ألف حوالى النصف الثانى من القرن الحادى عشر[٢] ؛ فارس نامه وهو فارسى ألفه فى أوائل القرن الثانى عشر مؤلف مجهول يشار إليه بابن البلخى ؛ مجمل التواريخ وهو فارسى غير معروف مؤلفه ، وألف سنة ١١٢٦/٥٢٠[٣] ؛ ما جاء فى البندهشن البهلوى من روايات عن تاريخ الساسانيين ، (انظر ص ٤٢ من هذا الـكتاب) وهــذه مأخوذة عن تراجم وتصانيف عربية للخداى نامه[٤] .

وأما كتب ابن مسكويه وابن الأثير والمؤرخين الأحدث منهما كأبى الفداء وحمد الله مستوفى القزوينى (تاريخ گزيده) وميرخوند وغيرهم فهى أقل خطراً . لأنها فيما يتعلق بتاريخ الساسانيين ، لا تضيف إلى المصادر الأقدم منها إلا معلومات غاية فى القلة .

أما عن الصلة بين المصادر العربية والفارسية الهامة فإنا نحيل على مقدمة نولدكه لـكتابه تاريخ الفرس والعرب . وعلى الملحوظات العديدة التى تجعل لهذا الـكتاب أهمية خاصة . ثم نحيل إلى مقدمة زوتنبرج لـكتاب الثعالبى وإلى الأبحاث التى تناولتها

---

(١) نشره وترجمه للفرنسية ، Cl. Huart : Livre de la création et de l'histoire انظر خاصة الجزء الثالث (باريس ١٩٠٣) .

(٢) ملخص ومنتخبات ، Browne ، فى JRAS ، ١٩٠٠ ، ص ١٩٥ وما بعدها . (قارن JRAS ، ١٨٩٩ ، ص ٥١ — ٥٣) .

(٣) نشره وترجمه مول Mohl فى JA . الأجزاء ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ من السلسلة الثالثة ، والأول من السلسلة الرابعة .

(٤) انظر Christensen : Les Kayanides ص ٤٩ — ٥١ و ٦١ وما بعدها .

فى كتابى عن عصر الملك قباد الأول والشيوعية المزدكية[١] ، وإلى البحثين اللذين نشرتهما فى مجلة A O ، المجلد (٨) ، (١٠) عن الحكيم بزرجمهر ، وعن أبر اسام وتنسر ، ويرى نولدكه (مقدمة ص ٢١) أن سعيد بن البطريق وابن قتيبة قد تبعا بأمانة ترجمة ابن المقفع لخداى نامه[٢] ، أما الطبرى فيذكر ما وجد من الروايات المختلفة من غير أن يشير إلى المصدر الذى أخذ عنه فى معظم الأحيان ، ثم يضيف روايات مفصلة عن مملكة الحيرة العربية . وأما البلعمى فقد مزج الأخبار التى أوردها الطبرى وأضاف إليها القليل الذى أخذه عن كتب أخرى . وكذلك فإن صاحب فارس نامه ، الذى أخذ عن الطبرى بوجه عام ، يضيف بعض تفصيلات من مصادر أخرى . وأما حمزة الإصفهانى ، وكتابه ليس إلا مختصراً ، فإنه استفاد من كثير من الترجمات والتصنيفات العربية لكتاب خداى نامه . وقد نقل عن حمزة صاحب المجمل ، ويحتمل أن يكون قد عرف ، عدا المختصر الذى بأيدينا ، المؤلفات التاريخية الأخرى التى وضعها حمزة والتى ضاعت . أما الدينورى فقد اتبع فى كتابه مصدراً غير خداى نامه ، نجده موسعاً فى نهاية الأرب فى أخبار الفرس والعرب سواء أكان هذا الأخير قد اتخذ الدينورى مصدراً رئيساً أم كانا قد استفادا من مصدر واحد .

ونجد بعض الروايات المنقولة عن خداى نامه فى اليعقوبى والمسعودى وفى التلخيص الصغير للمطهر وأخيراً نجدها فى الفردوسى والثعالبى اللذين تأخذ مصادرهما المباشرة عن مصدر مشترك . وقد أدخل هؤلاء المؤلفون على ما أخذوا من خداى نامه كثيراً من روايات إيرانية أخرى مثل آيين نامه وگاه نامه وتاج نامه ، ثم كتب النصائح والقصص العامية . والمصدر المشترك الذى أخذ عنه الفردوسى والثعالبى قد استمد كثيراً من كتب النصائح والكتب الشعبية ، وقد استفاد الفردوسى خاصة من هذين النوعين من المصادر .

---

(١) D. Vid. Selsk. fil.-hist. Medd ، (٩) ، ٦ .

(٢) قارن Gabrieli ، Riv. degli Studi Orientali (٨) ، ص ٢٠٩ وما بعدها .

وهناك كثير من الإشارات الهامة التى ترجع إلى روايات ساسانية ، فى كثير من الكتب المنسوبة للجاحظ (م ٢٥٦/٨٦٩) وخاصة فى كتاب التاج ، الذى شك ريشر[١] فى نسبته للجاحظ ، وهذا خطأ فى رأيى . وهو على كل حال ينقل عن مصادر إيرانية قديمة هامة . ونجدها أيضاً فى كتاب المحاسن والمساوئ[٢] الذى هو منتحل بلا شك ، ثم فى كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمى (مؤلف حوالى ٩٧٦/٣٦٦) وفى كتاب الآثار الباقية للبيرونى (م ١٠٤٨/٤٤٠)[٣] ، وفى سياست نامه لنظام الملك (ألف ١٠٩٢/٤٨٥ — ٩٣)[٤] . ويمكننا أن نلتقط بعض التفاصيل القصصية عن العهد الساسانى فى كتب الأدب التى ارتقت بتأثير كتب الأخلاق — أندرز — ونذكر منها كتاب المحاسن والمساوئ الذى مر ذكره . وكتاب الأذكياء (عربى) لابن الجوزى (توفى ١٢٠٠/٥٩٧)[٥] ومرزبان نامه (فارسى) الذى وضعه سعد الدين الوراوينى (بين سنتى ٦٠٧ — ١٢١٠/٦٢٢ — ١٢٢٥)[٦] . وهناك آثار متفرقة فى الكتب الجغرافية العربية ، فى ابن خرداذبة (القرن التاسع) ، وابن الفقيه الهمدانى (م فى أوائل القرن العاشر) ، والإصطخرى ، وابن حوقل (القرن العاشر)[٧] ، وياقوت (توفى ١٢٢٩/٦٢٧)[٨] . ويمكن استخراج بعض المعلومات من الكتابين

---

(١) Excerpte und Übersetzungen aus den Schriften des Gahiz ، (شتتجارت ١٩٣١) ، ص ٢٦٣ وما بعدها .

(٢) نشر Van Vloten ، ليدن ١٨٩٨ ؛ وترجمه للألمانية Rescher ؛ وقارن الكتاب الذى يحمل نفس الاسم للبيهقى (النصف الأول من القرن العاشر) ، نشره ، Schwally

(٣) نشره ساخاو Sachau ، ليبزج ١٨٧٨ ، ثم ترجمه إلى الإنجليزية، لندن ١٨٧٩ .

(٤) نشره وترجمه للفرنسية Schefer (بارس ١٨٩١ ، ١٨٩٣) .

(٥) ترجمه ريشر Rescher ، غلطه ١٩٢٥ .

(٦) نشره ميرزا محمد قزوينى ، ليدن ١٩٠٩ (GMS ، ٨) .

(٧) BGA ، نشر دى جويى ، De Goeje الأجزاء (٦) ، (٥) ، (١) ، (٢)

(٨) نشر فيستنفيلد Wüstenfeld (١ — ٦) ، ليبزج ١٨٦٦ ؛ ومختصر الترجمة الفرنسية Barbier de Maynard ، باريس ١٨٦١ .

الخاصين بتاريخ طبرستان اللذين كتبهما ابن اسفنديار (١٢١٦/٦١٣)[١] وظهير الدين المرعشى (حوالى ١٤٧٦/٨٨١)[٢] .

ومن المصادر المهمة فى بيان المذاهب الدينية ، الأجزاء التى تكلمت عنها من كتاب الملل والنحل للشهرستانى (متوفى ١١٥٣/٥٤٨)[٣] وقد تناولت الزردشتية والمانوية والمزدكية . ثم الملحوظات المتعلقة بهذه المذاهب والتى نجدها فى بيان الأديان (فارسى) لأبى المعالى (ألف ١٠٩٢/٤٨٥)[٤] . وتوجد بعض تفصيلات عن ديانة إيران القديمة فى كتاب تبصرة العوام الذى كتب بالفارسية فى النصف الأول من القرن الثالث عشر والذى ينسب إلى سيد مرتضى بن داعى حسنى راضى . وأخيراً لدينا فى الفتح العربى لبلاد إيران ، مصدر مهم للغاية هو فتوح البلدان للبلاذرى (م ٨٩٢/٢٧٩)[٥] . والنصف الأول من هذا الكتاب ، وقد ترجمه إلى الألمانية ريشر[٦] ، يحتوى على بعض معلومات طارئة عن تاريخ إيران من القرن الخامس حتى القرن السابع .

٣ — المصادر اليونانية واللاتينية

أشار ديون كاسيوس Dion Cassius (المتوفى حوالى سنة ٢٣٥ م) إلى قيام

(١) الترجمة المختصرة Browne ، ليدن ١٩٠٥ (GMS ، ٢) .

(٢) Von Dorn ، سان پيترسبورج ١٨٥٠ . Geschichte von Tabaristan

(٣) نشر Cureton (١) ، لندن ١٨٦٤ ، وأعيد نشره ١٩٢٣ ؛ ترجمه الألمانية Harrbrucker ، جزء (١) ، هال ١٨٥٠ .

(٤) نشر فى الجزء الأول من Schefer ل Chrestomathie Persane (ص ١٣٢ وما بعدها) ؛ وترجم Pizzi إلى الايطالية الفصل الثانى ، وترجم Christensen الكتاب كله إلى الدانمركية فى Studier fra Spreg-og Oldtidsforskning ، رقم ١٠١ ، كوبنهاجن ١٩١٦) ، وترجمه للايطالية Gabrieli ؛ وقارن "Remarques Critiques" ل Christensen فى MO ، ١٩١١ ، ص ٢٠٥ وما بعدها .

(٥) طبعة De Geoje ، ليدن ١٨٦٦ .

(٦) Liferung (١) ، ليبزج ١٩١٧ ، (٢) ، شتتجارت ١٩٢٣ .

الدولة الساسانية فى تاريخه الرومانى الذى كمل حتى سنة ٩٢٩ . ولكن تغير الأسرات المالكة وما يتصل به من الحوادث قد ذكر بتوسع فى التاريخ الرومانى لهرودين Hérodien (المتوفى سنة ٢٤٠) .

وأما عهد الملوك الساسانيين الأوائل فإن لدينا ملحوظات عنه فى النبذ التى جاءت وفى تاريخ دكسيپوس الأثينى Dexippos d'Athénes (النصف الثانى من القرن الثالث) وفى تاريخ أباطرة الرومان لتربليوس پوليو Trebellius Pollio ، الذى عاش أيام ديوكلستين Diocletien وقسطنطين الأكبر . وقد ألف معاصره ، الذى اعتنق المسيحية ، لكتانتيوس فرميانوس Lactantins Firmianus قصة متحاملة عن الخشونة التى لقيها الإمبراطور وليريان على يد سابور الأول ، حين أسره الفرس . وإشارات متفرقة هنا وهناك ، فى تاريخ أوريليان Aurélien الذى ألفه فلاڤيوس ڤپسكوس Flavius Vopiscus (حوالى سنة ٣٠٠) وفى التاريخ الدينى والمدنى لإيزوب القيصرى Eusèbe de Césarée (م سنة ٣٤٠) ، وفى روفنوس Rufinus الذى وصل التاريخ الدينى لإيزوب حتى سنة ٣٩٥ ، وفى تاريخ الأباطرة لأوريليوس ڤكتور Aurelius Victor (القرن الرابع) الذى ينتهى سنة ٣٦٠ ، وعند الأفلاطونى الحديث أوناپيوس Eunapios (المتوفى حوالى ٤١٥) وهو الذى تناول تاريخ السنوات من ٢٧٠ إلى ٤٠٤ . وما يهم هؤلاء الكتاب جميعاً من إيران هو علاقاتها بروما .

والمصدر الرئيسى لحروب سابور الثانى ضد الرومان هو التاريخ الرومانى لأميين مرسيلين Ammien Marcellin ، ويتناول الجزء الباقى منه (الكتب ١٤ — ٣١) الفترة بين سنتى ٣٥٣ و ٣٧٨ . ويصف أميين حوادث الحرب التى شهدها بنفسه ، حين اشترك فى الوقائع الحربية فى آسيا سنة ٣٦٣ ، وهو يضيف عليها كثيراً من المعلومات البالغة الخطر عن إيران والإيرانيين . وهناك مؤرخ آخر شاهد حملة سنة ٣٦٣ هو إيتروپيوس Eutropius صاحب مختصر التاريخ الرومانى . وكذلك لكل من أحاديث ورسائل المنشىء الوثنى ليبانيوس Libanius (م ٣٩٣) وتاريخ

القس سولپيكيوس سفيرُس Sulpicius Sévérus (م بين ٤٢٠ ، ٤٢٥) بعض القيمة فيما يتعلق بالصلات بين الفرس والروم فى ذلك العهد .

ويهمنا المشرع المسيحى تيودور Théodore de Mopsueste (م ٤٢٨) لكلمة له عن النظرية الزروانية للزردشتيين وقد أعطانا فوتيوس Photios (٨١) نبذة منها[1] وذيل تلميذه تيودور Théodore أسقف كرخا Cyrrhus (م حوالى ٤٦٠) ، والذى شارك فى المجادلات الدينية التى ثارت فى النصف الأول من القرن الخامس ، تاريخ إزوب Eusèbe الدينى بالسنوات ٣٢٤ — ٤٢٩ . وكذلك نشير إلى سلسلة من مؤلفات المؤرخين اليونان من رجال الدين التى تتصل بتاريخ المنازعات الدينية بين رجال الكنيسة الشرقية وبالخصومات الدينية والسياسية التى ثارت بين الإمبراطوريتين ، فنذكر كتب سقراط سكولاستيكوس Socrate Scholastikos (م ٤٤٠) وسوزمين Sozomène (م ٤٤٣) ، وإيوجريوس Euogris (م بعد سنة ٦٠٠) ، ثم تاريخ رد الكفار لأورسيوس Orosius (القرن الخامس) ، وهو مؤلف دينى مسيحى يقص تاريخ الدنيا حتى سنة ٤١٧ ؛ ثم تاريخ أباطرة الرومان حتى سنة ٤١٠ للكاتب الوثنى زوسيموس Zosimos (حوالى ٥٠٠) . وندين لبريسكوس Priskòs (متوفى ٤٧١) ببعض معلومات عن تاريخ الملك فيروز .

ومن المؤلفين الممتازين بروكوب القيصرى Procope de Cesaree الذى صاحب بليزر Bélisaire فى حملاته الحربية . وتاريخه فى الحروب مع الإيرانيين يعتبر بنوع خاص ، من المصادر الرئيسية لتاريخ إيران أيام قباد الأول وكسرى الأول وكذلك فيما يتعلق بالنظام الداخلى وبنظم الدولة الإيرانيــة . وقد كتب بطرس باتريكيوس Petrus Patricius ، الذى أرسل فى سفارة من بيزنطة إلى كسرى الأول والذى تولى مفاوضات الصلح سنة ٥٦٢ ، رسالة تاريخية حفظت نبذ منها فى Excerpta de legationibus .

---

(١) انظر الفصل الثالث فيما بعد .

وقد تتبع أجاثياس سكولاستيكوس Agathias Scholastikos (م ٥٨٢) كتاب بركوب ، ويعتبر تاريخه عن حياة جستنيان Justinien ذا قيمة خاصة فى تاريخ إيران ذلك لأن المؤلف قد اتخذ من بين مصادره التاريخ السنوى الذى كان يحفظ فى خزائن المدائن ، وقد اتجه سرجيوس Sergius المترجم ، الذى كان كسرى الأول يعجب به ويعده أعلم المترجمين فى الدولتين ، بناء على رجاء أجاثياس ، إلى مديرى الخزائن الملكية طالباً منهم إطلاعه على هذه التقاويم السنوية ، وبعد أن نال الإذن ، قيد أسماء ملوك إيران ومدد حكمهم وأهم أعمالهم . وترجمت هذه النبذ إلى اليونانية وقدمت إلى أجاثياس . وعلاوة على هذا استفاد أجاثياس ، فى بحثه عن تاريخ الساسانيين ، بمصادر أخرى فإن روايته عن نسب أردشير الأول وشبابه ترجع ، بلا ريب ، إلى مصدر عامى . ووصفه للدين الزردشتى يمدنا بتفاصيل قيمة ولو أنه لا يخلو من الأخطاء فى الحقيقة .

ويفيد تاريخ مالالاس Malalas (م حوالى ٥٧٨) بمأثورات قيمة عن فرقة مزدك على الأقل .

وقد تحدث ميناندر بروتكتر Menandre Protector (النصف الأول للقرن السادس) عن تاريخ السنوات ٥٥٨ — ٥٨٢ . وأما عن الفترة من سنة ٥٨٢ حتى ٦٠٢ فلدينا تاريخ تيوفيلكت سيموكتا Théophylacte Simokatta (القرن السابع) الذى يتضمن معلومات هامة عن النظم الإيرانية أيضاً . وقد سار سينكلوس Synkellos (م بعد ٨١٠) فى تأريخه لملوك الساسانيين على أثر أجاثياس Agathias[1] . ونجد فى كتب كل من ثيوفان Théophane (م حوالى ٨١٨) وپاسكال Paschale (القرن التاسع) مصادر قيمة عن عهد كسرى الثانى وخلفائه . وهناك مأثورات توجد أحياناً فى كتب المؤرخين البيزنطيين المتأخرين ، أمثال نيكيفوروس Nikêphoros بطريق القسطنطينية فى السنوات ٨٠٦ — ٨١٥ ، وكيدرينوس Kédrénos (القرن الحادى عشر) ، وزناراس Zonaras (م بعد ١١١٨) ، وجليكاس Glykas (القرن الثانى عشر) .

(١) انظر نولدكه ، الطبرى ص ٤٠٠ .

وقد جمع وليم جاكسون W.Jackson(١) وكليان Clemen(٢) النصوص التى ذكرها الكتاب اليونان والرومان أيام العهد الساسانى عن الدين الإيرانى، وترجمها للإنجليزية Sherwood Fox(٣).

٤ — المصادر الأرمينية

يرتبط تاريخ أرمينية، أيام الساسانيين، ارتباطاً وثيقاً بتاريخ إيران. لهذا يمدنا المؤرخون الأرمن المعاصرون للساسانيين بمعلومات لها فائدة كبيرة عن تاريخ ملوك إيران، لا سيما فيما يتصل بعلاقة الإمبراطورية الإيرانية بالأرمن، بل يمدوننا بروايات تتصل أيضاً بكثير من تفاصيل النظم والدين والحضارة الإيرانية فى ذلك العهد(٤).

وقد بقى نص يونانى وآخر أرمنى من الكتاب الخاص بتاريخ الملك الأرمنى تيردات Tiridate ونبوءة سان جريجوار المشرق Saint Grégoire l'Illuminateur والذى ينسب إلى شخص باسم أجاثناج (Agathangelos) Agathnage. ويتكون هذا المؤلف من أجزاء كثيرة، منفصل بعضها عن بعض فى الأصل، ولكنها مزجت جميعاً بعد سنة ٤٥٦(٥). وهو يحوى قصصاً خرافية عن مبدأ دخول المسيحية فى أرمينية، كما يحوى أخباراً عن العهد الأول للدولة الساسانية(٦). ومن المصادر المهمة

---

(١) Zoroastere "The Prophet of ancient Iran"، طبعة جديدة فى نيويورك ١٩١٩، ص ٢٤٢ وما بعدها.

(٢) Fontes historiae religionis persicae، ١٩٢٠، ص ٦٩ وما بعدها.

(٣) "Passages in G. and L. Lit. relating to Z. and: J. Cama. Or. Inst. "Zoroastrianism" رقم ١٤ ص ٨١ وما بعدها. أما عن المصادر اللاتينية واليونانية الخاصة بالمانوية فانظر الفصل الرابع.

(٤) انظر Patkanian فى "Essai hist. des Sas. d'après les hist. Arm..." وقد نقله عن الروسية برودم Prud'homme، باريس ١٨٦٦ (مستخرج من المجلة الأسيوية JA سنة ١٨٦٦). وقد طبعت جماعة الميخيتاريين (Méchitaristes) أهم الكتب.

(٥) انظر Gustchmid، Kleine Schriften (٣). ص٢٩٤ وما بعدها. وقد نشر هذا الكتاب Ter-Mkrtitschian و Kanayeang (تفليس ١٩٠٩)

(٦) نشر النص اليونانى Lagarde (جوتنجن ١٨٨٧)، وظهرت نشرة للنص=

أيضاً حياة القديس نرسيس St-Narsès وهو كتاب قديم مجهول المؤلف[1]. وكذلك تاريخ تارون Taraun (ولاية أرمينية) ألفه الأسقف السرياني زينوب Zénob ، ويشك فى صحته وهو يتناول عصر سان جريجوار[2]. وقد كتب ذيله جان الماميكونى Jean le Mamikonien [3].

ويعتبر كتاب تاريخ أرمينية الذى ألفه فاوستوس البيزنطى Faustus de Byzance فى النصف الأول من القرن الخامس والذى يتناول الحوادث من سنة ٣٢٠ حتى ٣٨٥[4]، ذا مكانة خاصة فى تاريخ إيران فى القرن الرابع .

وبين سنتى ٤٤٥ و ٤٤٨ وضع إزنيك كولب Eznik Kolb كتابه « الرد على الفرق » وهو يحوى بيانات عن الآراء الدينية عند الزردشتيين فى عهده[5].

وظهر فى القرن الخامس كتابان تاريخيان مهمان . فقد كتب إليزيه ورديت Elisée Vardapet « تاريخ وَرْدَن وحرب الأرمن » متناولا حوادث السنوات من ٤٣٩ إلى ٤٥١ ، وهو كتاب مصطبغ بالتعصب ولا يقلل هذا من قيمته لمعرفته بلاد

= الأرمنى فى البندقية ١٨٦٢ . وترجمته الفرنسية فى مجموعة لانجلوا "Collection des historiens de Langlois. "l'Armenie" (١) ص ١٠٥ وما بعدها . وقارن بيترس Peetesr ، Analecta Bollandiana الجزء (١) ص ٢٠

(١) طبعة Venice ١٨٥٣ ، والترجمة الفرنسية فى لانجلوا (٢) ص ٢١ وما بعدها .

(٢) طبعة البندقية ١٨٣٢ ، والترجمة الفرنسية فى لانجلوا (١) ص ٣٣٧ وما بعدها .

(٣) طبعة البندقية ١٨٣٢ ، والترجمة الفرنسية فى لانجلوا (١) ص ٣٦١ وما بعدها .

(٤) طبعة البندقية ١٨٣٢ ، ١٨٨٩ ، وطبعة سان بطرسبورج ١٨٨٣ (نشر باتكانيان) ، والترجمة الفرنسية فى لانجلوا (١) ص ٢٠٩ وما بعدها .

وبالألمانية ، لوير M. Lauer : Des Faustus von Byzanz Geschichte Armeniens كولونيا ١٨٧٩ . وقارن Peeters فى "Bull. de la classe des L. de l'Acad. R. de Belgique" السلسلة ٥ ، الجزء (١٧) . ١٩٣١ ص١٦ وما بعدها .

(٥) طبعة البندقية الأخيرة ١٩١٤ (عن طبعة ١٨٢٦) ، والتراجم الفرنسية ل Le Vaillant de Florival (باريس ١٨٥٣) ، وترجمة نبذ منها (الفصل الثانى ، الرد على دين الفرس) فى لانجلوا (٢) ص ٣٧٥ وما بعدها .

إيران ونظمها السياسية والدينية[١] . وكتب لازار الفربى Lazare de Pharp « تاريخ أرمينية » (متناولا الحوادث من ٣٣٨ حتى ٤٨٥) ، وهو كتاب مؤرخ نابه منصف إلى حد ما[٢].

ويتناول « تاريخ حملات هركليوس فى إيران » الذى ألفه سيبيوس Sébéos ، باختصار العهد من أيام الملك فيروز لغاية سنة ٥٩١ ، ثم يتوسع فى بحث القرن الأخير للدولة الساسانية ومبدأ السيادة العربية[٣] .

وقد ذكر « تاريخ أرمينية » الذى ينسب إلى موسى الخورينى Moise de Chorène والذى يبدو أنه ألف فى القرن التاسع ، كثيراً من التفاصيل الهامة من تاريخ إيران الساسانية[٤]. ويتصل بهذا الكتاب لمحة مهمة جداً عن بلاد الإمبراطورية الساسانية . وآخر طبعة للجزء الجغرافى من كتاب موسى هذا أخرجها ماركارت مع الترجمة الألمانية فى كتابه "Eränshahr nach der Geographie des Ps Moses Xorenenac.I" وتعليقات ماركارت الانتقادية المفصلة الواسعة وملحقاته التاريخية والخاصة بطوبوغرافية البلاد تجعل من كتابه معلمة لا يستغنى عنها من يدرسون تاريخ العهد الساسانى .

ومن بين الكتب التى هى دون هذه قيمة فى تاريخ العهد الذى نبحثه « كتاب هجوم العرب » لليوند Ghevond) Lévond ، القرن الثامن) ؛ ومؤلفات المؤرخين الأحدث منه كتاريخ أرمينيا لتوماس ارتسرونى Thomas Artsruni (القرن

---

(١) طبعة البندقية ١٨٥٩ ، طبعة Michael Porthugal ١٩٠٣ ؛ لانجلوا (٢) ص ١٧٧ ، أ كينيان : Elisäus Wardapet und seine Geschichte det armenischen Krieges ، (١) ڤينا ١٩٣٢ .

(٢) طبعة البندقية ١٨٧٣ ، وتفليس ١٩٠٤ (نشر على ل Ter-Mkrititschian و S. Malchassian ، لانجلوا (٢) ص ٢٥٩ وما بعدها .

(٣) نشر Patkanian ، سان بيترسبورج ١٨٧٩ .

(٤) طبعة البندقية ١٨٦٥ ، ونشره نشراً علمياً M. Abelian و Haruthiunian تفليس ١٩١٣ ؛ لانجلوا (٢) ص٥٣ وما بعدها . وانظر Marqurt عن تاريخ المزعوم موسى : Untersuchungen von Iran (٢) ص ٢٣٥ ؛ و Caucasiaca ، ١٩٣٠ ص ١٠ — ٧٧ ؛ و P. Narses Akinian فى AZKM ، ١٩٣٠ وما بعدها ؛ و Armeniace ، Mlaker ، ١٩٢٦ ، ص ١٢٢ و WZKM ، ١٩٣٥ ص ٢٦٧ — ٢٦٨ .

العاشر)[1]؛ وتاريخ الالبنين Albans لموسى كالان كتوس Moïse Kalan katwaci (القرن العاشر) ؛ وتاريخ أرمينيا لأسوليك Asolik (القرن الحادى عشر) ؛ والترجمة الأرمينية لتاريخ ميشيل السريانى (القرن الثانى عشر) وغيرهم . وقد ذكرت هذه المصادر كلها فى رسالة Patkanian التى أشرنا إليها .

٥ — المصادر السريانية

وقد حفظ الأدب المسيحى باللغة السريانية مصادر مهمة جداً فى تاريخ العهد الساسانى . فهناك أولا كتب تاريخ كتب أربعة منها على الأقل كتاب عاشوا فى ذلك العهد .

التاريخ المنسوب إلى ستيليت Stylites[2]. وقد ألف كتاب التاريخ الذى ينسب خطأ إلى يشوع الاستليتى Goshua le Stylite[3] حوالى سنة ٥٠٧ ويتناول حوادث السنوات من ٤٩٤ إلى ٥٠٦ . وهو من المصادر الرئيسية لتاريخ النصف الأول من حكم الملك قباد الأول . وقد لخص فى بعض الفصول ، كمقدمة ، تاريخ الحقبة السابقة ابتداء من عهد فيروز .

تاريخ الرها Le Chronique d'Edesse[4] وقد ألف بعد سنة ٥٤٠ بقليل ويبحث المدة من سنة ١٣٢ ق . م إلى سنة ٥٤٠ ميلادية ، وقد كان من مصادره تاريخ للفرس ضائع اليوم .

---

(١) ترجمة Brosset فى : Collection d' historiens armeniens ، سان بيترسبورج ١٨٧٤ .

(٢) ريت Wright : The Chronicle of Joshua the Stylite, with a translation ، كمبروج ١٨٨٢ ؛ وقارن كريستنسن Christensen فى Le Règene du roi Kawādh 1 ، ص ٥ وما بعدها .

(٣) انظر مقالة للأب ناو Naw فى ملحق L'Orient chretien ، ١٨٩٧ ، وانظر ديفال Duval : Littérature syriaque ، الطبعة الثانية ، ص ١٨٨ .

(٤) هالير : Untersuchungen über die Edessenische Chronik, mit dem Syrischem Texte und einer Übersetzung فى "Texte und unlersuch- ungen" لجبهاردت وهرنك Gebhardt, Harnack ، ح (٩) ، الملزمة الأولى ، ليبزج ١٨٩٢ . ونشره نشرة جديدة جويدى Guidi مع ترجمة لاتينية فى Cropus scriptorum christianorum orientalinm. script. Syr. السلسلة (٣) ، ج (٤) . باريس ١٩٠٣ .

تاريخ إربل Chronique d'Arbéle ، ويرجع إلى منتصف القرن السادس وهو يتناول التاريخ الدينى لولاية إربل هذه ابتداء من القرن الثانى إلى حوالى سنة ٥٥٠ . ويشك فى قيمة هذا المصدر كما يقول الأب بول بيترس P.Paul Peeters[1].

التاريخ المختصر المسمى : Anonyme de Guidi[2] وقد كتب بعد سنة ٦٧٠ بقليل . وهو يقص ، تبعاً لمصدر موثوق به ، الحوادث التى تلت موت هرمزد الرابع سنة ٥٩٠ ، ثم الحوادث التى شاهدها المؤلف بنفسه حتى نهاية عهد الدولة الساسانية .

وتاريخ الياس النصيبى Elias de Nisibe المؤلف فى سنة ١٠٠٨ . ومقدمته على هيئة الجداول التاريخية ، وقد نشر الجزء الخاص بالساسانيين منها لامى Lamy[3]. كما نشر النص مع ترجمته اللاتينية بروكس Brooks وشبو Chabot[4].

ومن التواريخ المهمة تاريخ ميشيل السريانى Michel le Syrien بطريق أنطاكية (١١٦٦ — ١١٩٩)[5].

وقد كتب أبو الفرج Grégoire Barhebraeus المتوفى سنة ١٢٨٦ تاريخين

---

(١) منجانا Sources Syriaques : Mingana صفحات ٧ — ١١ ، ١ — ١٠٩ . ساخاو Die Chronik von Arbela : Sachau (Abh. Pr. Ak. ، ١٩١٥ عدد ٦) ؛ هرنك Die Mission nnd Ausbreiteng des Christentums Harnack ، الطبعة الرابعة ، ج (٢) ، ليبزج ١٩٢٤ ، ص ٦٨٣ وما بعدها ؛ بيترس ، Le Passionnaire d'Adiabene : Analecta Bollandiana ، Peeters (٤٣) ص ٢٦٣ ، ٣٠٢ وما بعدها .

(٢) وقد طبع جويدى هذا التاريخ ضمن أعمال المؤتمر الدولى للمستشرقين الذى عقد فى استكهلم ١٨٩٩ ، وترجمه مع تعليقات تاريخية ونقدية نولدكه فى Sitzungaberichte der kais Akad. in. Wein Phil-hist. Classe (١٢٨) ، ١٨٩٣ .

(٣) بركسل ١٨٨٨ : Elie de Nisible et sa chronologie

(٤) Eliae Metrorpolitae ، (١ — ٢) ، Corp. script. christ. orient. Script Syr. Nisibeni Opus chronologicum. السلسلة ٣ ، ج (٧) و(٨) .

(٥) نشره وترجمه للفرنسية شبو Chabot ، (١ — ٤) ، باريس ١٨٩٩ — ١٩١٠ .

التاريخ السريانى والتاريخ الدينى . وكتاب ميشيل السريانى من مصادره الرئيسية[١] . والتاريخ العربى لأبى الفرج[٢] هو مقابلة لتاريخ السريان .

ولمعرفة تاريخ النصرانية فى إيران يمكن الرجوع إلى أعمال الجامع Actes des conciles[٣] ؛ وكتاب الولاة لتوتاس المرجى (نسبة إلى إقليم المرج فى خراسان) المكتوب فى سنة ٨٤٠[٤] وهو يتناول العلاقات بين الكنيسة النسطورية وملوك إيران ويفيدنا عن عهدى هركليوس وكسرى الثانى ؛ وكتاب حياة البطارقة النساطرة ، ماربها الأول ، وصبر يشوع ، ودنحا ، ويهبلاها الثالث[٥] ؛ وكتاب حياة الربان هرمزد[٦] . وأخيراً فإن أعمال شهداء فارس Acfes des martyrs de la Perse[٧] تعتبر مصدراً عظيم القيمة من حيث المدنية بوجه عام ، لافى بيان تاريخ اضطهاد النصارى فى إيران فقط .

ومن الكتب الدينية السريانية التى تلقى ضوءً على أحوال النصارى فى إيران

---

(١) نشر بجان Le Chronicon syriacum : Bedjan (باريس ١٨٩٠) ؛ ونشر ابيلوس ولامى Le Chronicon ecclesiasticum : Abbeloos, Lamy ، (١ — ٣) ، لوفان ١٨٧٢ — ٧٧

(٢) تاريخ مختصر الدول نشر الصالحانى ، بيروت ١٨٩٠ .

(٣) لاجارد Reliquiae juris ecclesiästici syriace : P. de Lagarde ، ڤينا ١٨٦٥ .

(٤) واليس بدج The book of Governers : Wallis Budge ، النص السريانى والترجمة الإنجليزية ، (١ — ٢) ، لندن ١٨٩٣ .

(٥) بجان Histoire de Mar Yabalaha, de trois autre Patriarches : Bedjan باريس ١٨٩٥ .

(٦) واليس بدج The History of Rabban Hôrmizd the Persian : Wallis Budge النص والترجمة الإنجليزية ، (١ — ٢) ، لوزاك ، Semetic Texts Series المجلدات ٩ — ١١ .

(٧) Acta Sanctorum Martyrum ، نشر اسمانى Assemani مجلد ١ ، روما ١٧٤٨ ؛ بجان Acta Martyrum et Sanctorum : Bedjan الجزءان الثانى والرابع ، باريس ١٨٩١ ، ١٨٩٤ . هوفمان Auszüge aus syrischen Akten persischer märtyrer : G. ليبزج ١٨٨٠ ، مع ملحقات كاشفة . برون : Ausgewählte Akten persisher Märtyrer ، München ١٩١٥ . پاول پيترس Paul Peeters فى Analecta Bollandiana ، الجزء (٤٣) ، ص ٢٦١ — ٣٠٤ والجزء (٤٩) ، ص ٥ — ٢١ .

كتاب أدعية أفرعت Afraat[١] وهو صورة سريانية لمجموعة القوانين الساسانية (ص ٤٤).

ومن ناحية أخرى هناك بعض كتب جدلية ، تفيد فى معرفة الآراء الدينية فى ذلك العصر فى إيران وآسيا الغربية . ومن المؤكد أن جدل آذر هرمزد وأنا هيذ مع الموبدان موبد[٢] يرجع إلى العصر الساسانى . ويشير الجزء الحادى عشر من شروح تيودور بركناى Théodore bar Konai ، المؤلفة حوالى سنة ٨٠٠ ، باختصار إلى النظريات الجنوستيكية ثم يعرض بالتفصيل للنظريات الزردشتية والمانوية[٣]. ونجد علاوة على ذلك تفاصيل عن المانوية فى بعض الرويات السريانية للدعاء الثالث والعشرين بعد المائة من أدعية سفير الأنطاكى Sévére d'Antioche (بطريق أنطاكية ٥١٢ — ٥١٨) ، وقد اختفى النص الأصلى لهذه الأدعية[٤].

٦ — المصدر الصينى

ونجد فى رحلة السائح البوذى الصينى هيون تسيانغ Hieun Tsiang التى قام بها فى السنتين ٦٢٩ حتى ٦٣٠ نبذة قصيرة عن إيران فى ذلك الوقت . ولم يزر السائح إيران بنفسه ، ولكنه كتب ما سمع عن أوضاع هذه الدولة وسكانها[٥].

---

(١) نشر باريسو Parisot فى Patrologia syriaca الجزء (١) (باريس ١٨٩٤) ؛ والترجمة الألمانية لبرت Bert فى "Texte und Untersuchungen" جبهاردت Gebehardt وهرنك Harnack ج (٣) (ليبزج ١٨٨٨).

(٢) نولدكه، Syrische Polemikgegen die persische Religion، ص ٣٥ وما بعدها.

(٣) پونيو H. Pognon ، Inscriptions mandaïtes des coupes de Khouabir (باريس ١٨٩٩) ، ص ١٠٥ — ٢٣٢ ، كيمون : Recherches sur le manichéism F. Cumont (بروكسل ١٩٠٨) ، ص ١ — ٨٠ ، بنفنست فى MO ، ١٩٣٢ ، ص ١٧٠ — ٢١٥ .

(٤) كيمون F. Cumont ، Recherches sur le manichéisme (بروكسل ١٩٠٨) . ص ٨٣ — ١٧٢ .

(٥) بيل S. Beal ، Budhist Records of Western World مترجم عن الصينية لهيون تسيانغ Hieum Tsiang (٢) ، (لندن ١٩٠٦) ، ص ٢٧٧ — ٧٩ ؛ وقارن شيدر H. H. Schedaer، (Abh. d. Ges. Wiss. Zn. Göttengin, phil.hist, Klasse) Iranica ١٩٣٤ ، ص ٥٤ .

وقد نظم نولدكه Noeldeke تواريخ سنى الملوك الساسانيين ، وفقاً للمراجع الشرقية والغربية ، وما ضرب على النقود وذلك فى ملحق لكتابه تاريخ الفرس والعرب "Geschichte der Perser und Araber" (ص ٤٠٠ وما بعدها) . وقد صور الكاتب بعد هذا الملحق ، شجرة نسب الأسرة الساسانية . وقد استطاع هرتسفيلد أن يدخل عليها بعض التصحيحات ، وذلك وفقاً للمعلومات التى استقاها من نقوش بايكولى[1] .

---

(١) هرتسفيلد ، بيكولى ، ص ٥١ .

الفصـــل الأوّل

قيام الدولة الساسانية

فارس أيام السلوكيين والأشكانيـــين ، والبزرنجيين وأسرة ساسان . ثورة بابك وأبناؤه . فتوح أردشير وسقوط الدولة الأشكانية . نقش تتويج أردشير . مدينة اصطخر . قصر وبيت نار فى فيروز آباد . إمارة الحيرة وإمارة الغساسنة . شخصية أردشير . أردشير فى التاريخ الخرافى .

عرف تاريخ فارس (Perse أو Perside) أيام السلوكيين والأشكانيين معرفة ضئيلة جداً ونحن نعرف من النقود التى اكتشفت فى فارس(١) أسماء بعض الملوك ، ولكنا لانستطيع أن نحدد بدقة تتابع عهودهم . وقد حمل بعض هؤلاء الملوك أسماء الملوك القدماء الهخامنشيين ، (ارتخشتر Artakhashater ارتا گزرسس Artaxerxe ، دارياو Daryav= داريوس Darius) وحمل بعضهم الآخر أسماء من الخرافات الدينية الأكثر قدما (منوچتر مأخوذ من منوش چيترا ، الملك الخرافى الذى تشير إليه يشتات الأوستا) . وتشهد الأسماء والصور التى على النقود بالإخلاص الذى حافظت به هذه الولاية على التقاليد القديمة ، هذه الولاية التى نبعت منها ، من قبل ، الإمبراطورية الهخامنشية العظيمة .

ويبدو أن حلقة أولى من الأمراء تضم أربعة منهم قد حكمت أيام السلوكيين (فى

---

(١) ليفى Levy ، ZDMG (٢١) ، ص٤٣٠ ومابعدها ، موردتمان Mordtmann فى Zeitschrift f. Numismatik (٤) ، ص ١٥٢ وما بعدها ؛ والجزء (٧) ، ص ٤٠ وما بعدها . جوتشميد Gutschmid : Geschichte Irans ، ص ١٥٧ ومابعدها ، جوستى Justi فى GIPh (٢) ، ص ٤٨٦ وما بعدها ؛ الوت دى لافوى Etude sur la numusmatique de la Perside ، JA ١٩٠٦ ، ص ٥٧٧ وما بعدها ؛ مورجان : Comptes-reudns des Séances de l'Academie des Inscrip, et Belles-Lettres ، ١٩٢٠ ، ص ١٣٤ وما بعدها ؛ هيل Catalogue of Greek coins of Arabia Mesopotamia and Persia لندن ١٩٢٢ ، هرتسفيلد Palkuli ، ص ٦٨ وما بعدها .

القرن الثالث ق . م .) وهم يحملون لقب فرتركا Frataraka أو الحاكم[1] . ويرى على نقودهم ، التي عليها نقوش بالحروف الآرامية صورة الملك منقوشة على وجه وعلى الوجه الآخر الملك جالساً على العرش ، ناظرا إلى علم يشبه العلم الذى نجده فى نقش الإسكندر المشهور[2]، أو واقفاً أمام معبد أو بيت نار وبجواره العلم المذكور . وفى بعض نقود وانفرادات الأول Vat fradat نرى هرمزد يحلق فوق المعبد ، وأحد الفرتركات ، وَهُـوبورز Vahuburz الذى قد يكون هو ابروزس نفسه Obrozos الذى أمر بقتل الحامية المقدونية فى فارس[3] (القرن الثالث ق . م .) . ويظهر المعبد والعلم ، وحمامة (نسر ؟) قد جعلت فوق العلم ، وذلك فى نقود الأميرين اللذين حكما فى القرن الثانى ق . م . واللذين يكونان الحلقة الثانية . ويحملان ، كـكل الأمراء التالين لهما ، لقب ملك (شاه)[4]. وسك ملوك الحلقة الثالثة الثلاث (القرن الأول ق . م) نقوداً يُرى على ظهرها الملك متعبداً أمام معبد صغير متنقل . وعلى ظهر نقود الحلقة الرابعة (فيما بين القرن الأول ق . م والقرن الثالث الميلادى) بوجه عام ، صورة الملك وقد مديده اليمنى وأمامه الهلال ونجمة . وتبين الفوضى التى سادت إقليم فارس فى أول القرن الثالث الميلادى مدى الاضمحلال الذى هوت إليه قوة الأشكانيين فى ذلك الوقت[5]. ويبدو أن كل بلد ذى أهمية قليـلة كان له مليكه الخاص . وكان أهم هذه الإمارات إمارة مدينة اصطخر عاصمة ملوك فارس

(١) هكذا يقرأ اندرياس Andreas الـكلمة "Fratarka" ؛ مىّ وبنفنست Grammaire du Vieux- Perse. Meillet-Beaveniste ص ١٥٩ . ويقرأها هرتسفلد "fratadara" .

(٢) انظر الفصل العاشر من هذا الـكتاب فيما يتعلق بدرفش كاويان .

(٣) جوتشميد Gutschmid (١) ، ٢ ، ص ٢٨ ؛ هرتسفيلد ، Paikuli .

(٤) كان للفرس ملوكهم خاصة ، ولـكن هؤلاء كانوا بلا حول ولا قوة فقد كانوا تابعين للملوك البرت (سترابون ، (١٥) ، ٣ — ٣ و ٣ — ٢٤) .

(٥) كان على ولجاس الرابع أن يخمد ثورة خطيرة فى فارس حوالى سنة ١٩٦ . انظر العبـارة التى جاءت فى التاريخ الدينى لأديابين (Chronique d'Arbèle) والتى ترجمها مركارت Markwart فى Catalogue of the Provincial Capitals of Erânsahr طبعة مسينا Messina ، ص ٩٢ — ٩٣ .

القدماء . وقد كانت فى ذلك الوقت فى يد جوتچهر Gotchihr الذى هو من أسرة البزرنجيين ويحتمل أن يكون من نسل جوتچهر ، الذى عاش فى القرن الأول الميلادى والذى قتل أخاه ارتخشتر Artakhshatr [1]. ولكن كانت هناك أسرات صغيرة فى جوبانان Gopanan فى ناحية دارابجرد ، وفى كونس Konus (؟) ولروير Lurvir (؟) . وضبط أسماء هذه النواحى التى ذكرها الطبرى غير يسير[2]، ولكنه فى هذه الفقرة قد نقل عن مصادر وثيقة . وقد عُيِّن ساسان ، وهو رجل من عائلة نبيلة ، متزوج من فتاة من بيت البارزنجيين[3]، سادنا لبيت نار أنا هيد (أنا هيتا) فى اصطخر . وقد استفاد ابنه پابگ ، الذى خلفه فى وظيفته ، من صلته ببيت البارزنجيين فنصب واحدا من أولاده الصغار ، اردشير (ارتخشتر Artakhshatr) فى الوظيفة العسكرية الكبرى[4]، أرگبذ على مدينة دارابجرد . وابتداء من سنة ٢١٢ أو حوالى هذا التاريخ أصبح أردشير سيداً على كثير من مدن هذا الإقليم وذلك بغلبه أو قتله لحكامها ، بينما ثار پابگ على قريبه الملك جوتچهر ، ودهمه فى مقره فى « القصر الأبيض »[5]ثم قتله وولى مكانه .

والظاهر أن أردشير قد تطلع إلى ارتقاء عرش فارس ، ومن المحتمل أن يكون پابگ قد كتب للملك أردوان الخامس يستأذنه فى أن يضع تاج جوتچهر على رأس ولده الأكبر سابور ، لكى يحبط خطط ولده الطموح أردشير . وقد أجابه الملك الكبير بأنه يعتبر پابگ ثائرا وكذلك ابنه أردشير ، وقد مات پابگ بعد ذلك بقليل ، فارتقى ولده سابور عرش فارس . واشتعلت الحرب بينه وبين أخيه أردشير ، ولكن سابور توفى فجأة ، أصابته ، كما جاء فى التاريخ ، مدرة من بناء متهدم ، كان قد اتخذه

(١) انظر جوستى Justi ، Nemenbuch ، مادة Gaocitra .

(٢) طبعة دى جويه De Geoje ، ص ٨١٥ ؛ نولدكه ، ص ٦ .

(٣) رام وهشت Ramvahisht كما يقول الطبرى ، أما البلعمى فيقول مينهشبه Minahshabh.

(٤) أما عن نسب أردشير فإن القصة الخاصة به (كارنامك ، قارن اجاثياس Agathias) تختلف عن خداينامك وعن نقوش أردشير وولده سابور .

(٥) مدينة نسا شمال شيراز .

مركزا لقيادته وهو يسير ناحية دارابجرد . وأما أخوة أردشير الآخرون فقد منحوه التاج فقبله ولكنه قتلهم بعد ذلك ، خشية أن يخونوه . وبعد أن أخمد أردشير ثورة فى دارابجرد عمل على تثبيت سلطانه بغزوه إقليم كرمان المجاور ، وقد أسر ملكه وَلَجش Valgash ، كما غزا سواحل الخليج الفارسى وكان يحكمها ملك يعبده الناس إلها فسقط بسيف الغازى . فلما أصبح سيدا لإقليم فارس كله ولكرمان التى هى حده الجغرافى ، أمر ببناء قصر ومعبد نار فى گور (فيروز آباد) ، ونصب ابنا له ، اسمه أردشير أيضا ، حاكما على كرمان .



ب　　　　　　　　　　　　أ

١ . نقود عليها صورة أردشير الأول ، اليمنى من الطراز الأشكانى واليسرى من طراز أحدث . (متحف كوبنهاجن)

وأخيراً شبت الحرب بين المغتصب وكبير ملوك الأشكانيين . وقد أمر أردوان ملك الأهواز (Susiane) أن يذهب لقتال أردشير وأن يحمله مصفداً فى الأغلال إلى المدائن . ولكن أردشير نفسه بعد أن هزم الملك « شادشاپور » ملك إصفهان وقتله ، اتجه لقتال ملك الأهواز فغلبه فى معركة حاسمة واستولى على ولايته . ثم أخضع ولاية ميسان Mésène الصغيرة عند مصب دجلة فى الخليج الفارسى ، وكان يحكمها وقتذاك العرب الوافدون من عمان ، سابقين فى ذلك القبائل العربية التى وفدت فاستقرت فى الحيرة غربى الفرات فى نفس الوقت الذى قامت فيه الدولة الساسانية . وأخيراً نشبت معركة بين جيش أردشير وجيش الأشكانيين الذى قاده ملك الملوك نفسه ، فى وادى هرمزدجان ، الذى لا يتيسر تحديد موقعه الجغرافى ، وسقط أردوان قتيلا بيد أردشير ، حسب الرواية الساسانية التى تضيف أن أردشير قد وطئ بقدمه رأس الملك الأعظم ، وهو عمل وحشى يحتمل أن يكون خرافة ، وقد يرجع أصله إلى صورة التتويج فى نقش رستم (انظر فيما بعد) . وبعد هذه الواقعة ، التى حدثت

فى ٢٨ أبريل ٢٢٤[١]، دخل أردشير المدائن دخول الظافر معتبراً نفسه وارث الأشكانيين[٢] . وقد أخضع بابل لطاعته وكان ملكها ولجاس الخامس Volgase قد عزله أخوه أردوان عنها قبل بضع سنوات ، فأعيد إلى ملكه بعد موت أخيه .

وتقول الروايات إن أردشير (الشكل ١) تزوج سيدة من أسرة الأشكانيين[٣] هى بنت أردوان أو ابنة عمه[٤] أو ابنة أخت فروخان Farrukhan ابن أردوان[٥] وكلام كتاب العرب بشأن هذا الزواج مملوء بالخرافات . ولكن هرتسفيلد يعتقد فى أن هذا الزواج حقيقة تاريخية إذ أن أردشير أراد أن يكسب أسرته شرعية الملك فصاهر بيت الأشكانيين[٦] . ولكنى أرتاب فى هذه الصلة لسببين : أولهما التفاوت بين الروايات فى قرابة الزوجة بأردوان ، والثانى لأن الإشارة إلى هذا الزواج فى الكتب العربية والفارسية قد قصد بها إلى إثبات أن أم سابور بن أردشير كانت سيدة من البيت القديم (الأشكانى) فاعتبر لهذا وارثا شرعيا للأشكانيين ولكن سابور كان بالغاً قبل أن يغزو والده الإمبراطورية ، وهذا يمكن استخلاصه من رواية الطبرى إن سابور قد شارك فى موقعة هر مزدجان (الطبرى ص ٨١٩ ؛ ونولدكه ص ١٤) . وهذه الرواية ترتقى غالباً إلى الخداينامه ، بينما قصة زواج أردشير بالسيدة الأشكانية وولادة سابور من هذا الزواج التى ذكرها الطبرى فى تاريخ سابور[٧] قد أخذت من بعض الخرافات الشعبية[٨] .

---

(١) حسب رواية نولدكه ، الطبرى ، ص ٤١١ .

(٢) الطبرى ، ص ٨١٣ وما بعدها ؛ نولدكه ، ص ١ وما بعدها ؛ جوتشميد ، Gotschmid Gesch. Irans ص ١٥٩ — ١٦٣ .

(٣) الطبرى ، ص ٨٢٣ ، نولدكه ، ص ٢٦ ؛ فارسنامه ، ص ٥٩ .

(٤) نهاية ، برون ، ص ٢١٨ .

(٥) دين كرد ، ص ٤٤ .

(٦) پيكولى ، ص ٤٠ .

(٧) انظر AO ، (١٠) ، ص ٤٤ — ٤٥ .

(٨) يعتقد هرتسفيلد أن القصة البهلوية ، كارنامگك ، قد احتفظت بذكرى تاريخية حين تروى أن أردشير قد نشأ فى بلاط أردوان ؛ وهو يفترض أن الفتى قد تزوج ابنة الملك الكبير وأن سابور ولد من هذا الزواج ، بعده بقليل . ولكن كارنامك ، تتفق مع جميع المصادر الأخرى ، فى أن زواج أردشير من الأميرة الأشكانية كان بعد وفاة أردوان .

وفى السنين التالية ، أخضع أردشير ميديا ومعها همدان ، وبعد أن حاصر عبثا ، المدينة الحصينة الحضر Hatra هاجم آذربيجان وأرمينية ، ويبدو أنه لم يفلح فى غزو هذا الأقليم أولا ولـكنه تمـكن منه آخراً . وقد مد سلطانه على الأقاليم الشرقية وذلك بإخضاعه سجستان ، وإقليم أبهر شهر (خراسان الحالية) والمرج Margiane وخوارزم وبقطريان Bactriane (عاصمة بلخ) . وقد روى الطبرى ، ويؤيد هرتسفيلد صحة هذه الرواية[١] ، أن ملك الـكوشيين Kûshäns الذى احتفظ بوادى كابل والبنجاب ، وملـكى توران ومكران (حالياً مقاطعة قصدار Quzder جنوبى كتا (قطر ؟) Quetta ومكران على شاطئ خليج عمان والمحيط الهندى) قد أرسلوا سفراءهم لأردشير معترفين بسيادته . وإذاً فقد وسع ملـكه إيران الحالية وأفغانستان وبلوخستان وإقليم واحات مرو وخيوه حتى جيحون شمالا وبابل والعراق غربا . وقد حمل أفراد الأسرة المالـكة الذين توارثوا حكم خراسان (ولاية الشرق) لقب « ملوك الـكوشيين » (كوشان شاه) .

ومن المحتمل أن يكون أردشير قد توج رسميا ملـكا لملوك إيران (شاهنشاه) بعد استيلائه على العاصمة بزمن قليل . ولا نعرف أين تم الاحتفال بهذا التتويج ، ولـكن من المحتمل كما يقول سار Sarre[٢] أن يكون مؤسس الأسرة الساسانية قد توج فى الإقليم الذى هو مسقط رأس أسرته وقد يكون الاحتفال بذلك قد تم فى بيت نار أناهيد (Anahita) باصطخر حيث كان جده كبير الموابذة ، وحيث توج آخر ملوك الساسانيين بعد أربعمائة سنة ، أو أنه تم فى كهف نقش رجب الذى يقع على مسافة قصيرة من اصطخر ، حيث خلد أردشير نفسه وولده سابور ارتقاءهما العرش بنقوش على الصخر .

وهناك نقشان يمثلان منظر التتويج المقدس لأردشير ، أحدهما فى «نقش رجب» والثانى على الصخر الوعر من « نقش رستم » بجوار مقابر الهخامنشيين . ويقول

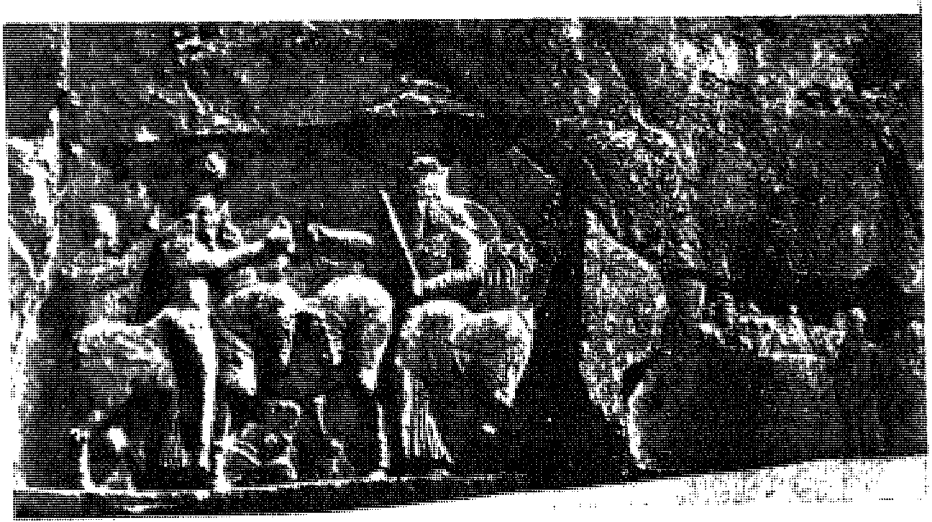
---

(١) پيكولى ، ص ٦٣ وما بعدها ، وقارن ص ٢٠٤ — ٢٠٥ .

(٢) سار — هرتسيفلد ، Iran. Felsreliefs ص ٩٨ .

سار Sarre إن نقش رجب أقدمهما . وهذا النقش لم يحفظ من التلف ، فكثير من تفاصيله غير معروف ، نتيجة تآكل الصخر . وقد ظهر الإله أو هرمزد وبيده اليمنى خاتم الملك وفى يسراه الصولجان ، وهو يقدم الشعارين الملك أثناء تناوله الخاتم بيمناه وقد رفع يده اليسرى بشكل ينم عن الخشوع ، وسبابته تشير إلى الأمام . وعلى رأس الإله التاج العالى ، وقد ظهر الملك على الهيئة التى يبدو بها على المسكوكات منذ أول عهده ، بلحيته الطويلة المربعة ، وبشعره القصير . وقد قام أوهرمزد والملك وكذلك بقية الشخصيات الظاهرة فى النقش ، وقد ميز سـار Sarre وجود طفلين بينهما .

وقد وقف خلف الملك عبد يمسك بالمذبة عالية فوق رأس سيده . ورفع عظيم ذو لحية يده اليمنى فى خشوع على النحو المتقدم . وخلف أوهرمزد صورتان يحتمل أنهما لسيدتين ، وقفتا بعيداً تحت مظلة وقد أوليا الإله ظهرهما . ويرى سار Sarre فيهما نساء من البيت المالك يحييان الملك على انفراد فى القصر أو فى بيت النار (١) .



٢ . نقش بارز لتنصيب أردشير (١) فى نقش رستم
(ديولافوا . فن فارس القديم)

(١) سار — هرتسفيلد ، Felsreliefs ، ص ٩٤ وما بعدها ، واللوحة ١٢ ؛ ديولافوا ، (٥) لوحة ١٧ ، العليا .

ونقش رستم أحسن حالا من حيث الحفظ (الشكل الثانى) وفيه ترى الإله والملك وقد امتطيا جوادين . والجوادان صغيران جداً بالنسبة للراكبين : وقد تقدم كل منهما نحو الآخر مع رفع الرجل الأمامية . وكما يرى فى النقش السابق ، يمسك أو هرمزد فى يسراه الصولجان ، مادا يمناه بخاتم الملك المزين بشريط مثنى إلى الملك فيتناوله بيده اليمنى ، رافعاً يسراه ، والسبابة تشير إلى الأمام ، علامة التجلة . وقد لبس أردشير على رأسه خوذة مستديرة تعلق بها عذبة ، وقد استطالت الخوذة من أعلى متخذة هيئة كرة ، وقد غطيت بقماش رقيق ، وهذه زينة خاصة تظهر دائماً فى صور ملوك الساسانيين فيما بعد ، فى نقوشهم ونقودهم ما عدا بعض قطع ترجع إلى العهد الأول من عصر أردشير الأول ، حيث لبس الملك التاج العالى الذى كان يلبسه الملوك البرتيون . وقد صفف شعر أردشير الطويل حلقات منتظمة ، وكان متموجاً فوق كتفيه . وقد شد طرف لحيته المدببة بحلقة ضيقة خرجت من تحتها خصلة من الشعر . وقد تزين الملك بعقد من اللؤلؤ ولبس رداء ذا كمين ملتصقاً بجسمه . وقد تدلت فوق ظهره أشرطة عريضة مثناة مثبتة فى الخوذة . ولبس أو هرمزد تاجاً عالياً يظهر منه الشعر المجعد فوق قمة الرأس . وقد أكسبته حلقات شعر لحيته المستديرة وذقنه الطويلة المربعة هيئة بالغة فى القدم ، ومن ناحية أخرى فإن ملابسه تكاد تكون كملابس الملك ، فهو مثله يلبس أشرطة متدلية تتصل بالتاج ، وعدة الحصانين واحدة ، إلا أن الألواح المثبتة فى سرج حصان الملك مزينة بصور رؤوس السباع ، بينما هى فى حصان الإله مزدانة برسم بالورود ، وبين قدمى كل من الحصانين كرة ضخمة خفيفة على هيئة الكمثرى وقد تدلت من جانب كل منهما بسلاسل . وهذه خاصية نجدها فى عدة الخيل فى النقوش الساسانية . وقد وقف خلف الملك خصى على رأسه قلنسوة عالية من اللبد عليها علامة مميزة ، وقد رفع المذبة . وتحت أقدام حصان الملك رجل افترش الثرى يلبس على رأسه خوذة . ومن المحتمل جداً أن يكون هذا الرجل أردوان الذى هزمه أردشير ثم قتله . وتحت حصان الإله صورة لآدمى عار فيما يظهر وقد تشعثت شعر رأسه وشعر لحيته ، وتبدو من ثنايا حلقات شعره رءوس الثعابين ، لعله أهر من ، إله الشر ، أو شيطان آخر قد صرعته سنابك

حصان أو هرمزد . وعلى حصان الملك نقش باللغات الإغريقية والبهلوية الأشكانية والبهلوية الساسانية يبين أن الفارس عابد مزده أردشير المقدس شاهنشاه إيران الذى هو من أصل قدسى ، ابن بابك الملك ، وكذلك عُرِّف الإله على هذه الطريقة بنقش بهذه اللغات ، على أنه الإله أو هرمزد (زيوس Zeus فى الإغريقية)(١).

وكان للملوك الساسانيين الأول ولع طبيعى بإقليم فارس الذى هو مسقط رأسهم ولذا اتخذ أردشير وخلفاؤه الجهة الصخرية فى ضواحى اصطخر لكى ينقشوا آثارهم . ولاشك أنه يضاف إلى حبهم لوطنهم الأصلى سبب آخر هو الذكرى العامة لإمبراطورية ملوك الهخامنشيين الذين حفرت مقابرهم الأثرية فى صخور « نقش رستم »(٢). ومدينة اصطخر الحصينة المسورة التى خلفت مدينة برسيبوليس Persépolis القديمة ، التى تذكر خرائبها المهيبة بالمجد الغابر ، أصبحت المدينة المقدسة فى التاريخ الساسانى(٣) . ومن المحتمل أن الملك العظيم مؤسس الأسرة الساسانية كان يقيم أحياناً

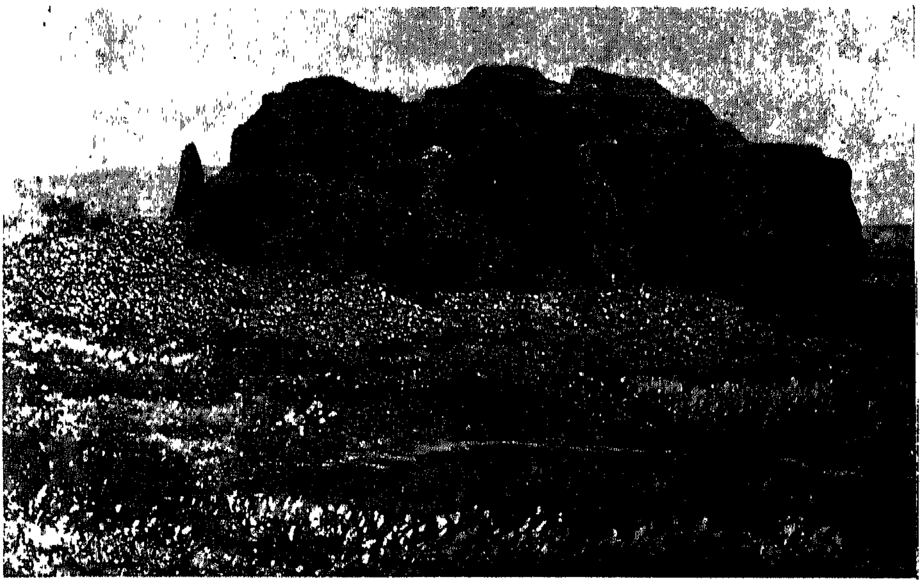
---

(١) ديولافوا Dieulafoy ، (٥) ، لوحة ١٤ ؛ سار — هرتسفيلد Felsreliefs ، ص ٦٧ وما بعدها واللوحة ٥ ؛ وقد جاءت النقوش فى كتاب هرتسفيلد ، بيكولى ص ٨٤ وما بعدها — وهناك نقش بارز على جانب جبل قريب من سلماس Salmas فى آذربيجان ، ويعتبر بوجه عام تابعا لعصر أردشير وفيه يرى رجلان على فرسين ، وقد اتشحا بالكساء الملكى الساسانى ذى الأشرطة المتموجة ، وعلى غطاء رأسيهما الكرة من النسيج ، وأيديهما على السيفين . والفارس الأيسر ملتح ويبدو أنه أكبر سنا من الفارس الأيمن الذى يظهر أنه أجرد . وأمام كل من الفارسين راجل متجه نحوه . ويعتقد ليمان هوبت Lehmann-Haupt أنه يميز آثاراً بالغة فى الاندثار لنقش بهلوى تحت واحد من الراجلين . ويرى سار Sarre ، وقد ذكر رأيه ليمان ، أن النقش قد يمثل أردشير الأول وولده سابور وهما يتلقيان التحية من الأرمن . انظر جاكسون Jackson ، Persia, Past and Present ، ص ٨٠ وما بعدها ؛ ليمان — هوبت ، (١) ، ص ٣١٦ وما بعدها و ٥٣٥ ؛ هرتسفيلد بيكولى ، ص ٣٧ .

(٢) إن المعلومات القليلة عن العهد الهخامنشى التى حفظتها الأساطير الوطنية تبين أن التفاصيل التاريخية لهذا العهد قد نسيت منذ زمن طويل . انظر كريستنسن ، Chistensen ، Les Kayanides ، ص ١٤٦ وما بعدها .

(٣) أنظر عن اصطخر شورز P. Schwarz : Iran im Mittelater ، (١) ، ص ١٣ وما بعدها، طبعة ليبزيج ١٨٩٦ . وفى رواية الكتاب البهلوى شهر ستانهاى إيرانشهر ، ص ٤١ ، أن هذه المدينة بناها ملك أشكانى اسمه أردوان . وينسب المؤرخون العرب والفرس بناءها لملوك مختلفين من التاريخ الخرافى . انظر أيضاً ماركارت Catalogue of the Prov. Capitals of Eranshahr ص ٩١ وما بعدها .

فى مدينة گور (فيروز آباد) التى تقع ناحية الجنوب ، والتى تحيط بها حدائق الورد والبساتين وقد أطلق عليها أردشير الاسم الجديد ، أردشير خرة ، (مجد أردشير) ، وقد شيد بها قصراً أيام شبابه ولا تزال آثار هذا القصر باقية حتى اليوم (صورة ٣) وهو من أوائل العمارات ذوات القباب فى إيران ، فردهته وأبهاؤه الجانبية مغطاة كلها بالطيقان ، والحوائط الخارجية كانت من غير منافذ ولكن بها نقوش بارزة بشكل عقود وعمد[١]. وقد بنى أردشير فى المدينة بيت نار ، بقيت آثار منه أيضاً .



٣ . قصر فيروز آباد
(ديولافوا . فن فارس القديم)

وبعد مضى خمسة قرون على سقوط الدولة الهخامنشية أعاد الفرس سلطانهم على شعوب إيران وقامت فى الشرق دولة جديدة سادت على قدم المساواة مع الإمبراطورية الرومانية . وكانت المدنية الساسانية استمرارا لمدنية الأشكانيين وكانت فى الوقت

(١) هرتسفيلد فى Iran Felsreliefs ، ص ١٢٨ وما بعدها ، و ZDMG ، ١٩٢٦ ، ص ٢٥٤ . وقدر ديولافوا Dieulafoy فى L'Art Antique de la Perse ج ٤ ، ص ٤ وما بعدها أن قصر فيروزآباد قصر أكمينى ، وهذا خطأ .

نفسه تجديدا وتكملة لها . وتظهر محافظة الساسانيين على سُنن الأشكانيين فى اللغة ، فإن لهجة إقليم فارس ، وهى الإيرانية السائدة فى القسم الجنوبى الغربى ، وقد صارت اللغة الرسمية للدولة الجديدة بدلا من اللهجة الإيرانية فى القسم الشمالى الغربى التى كانت لغة الأشكانيين ، قد استعارت من هذه اللهجة كثيرا من الكلمات المستعملة فى نواح شتى فى المدنية[١] . وعلاوة على هذا استخدم ملوك الساسانيين فى القرن الثالث الميلادى فى نقوشهم اللغة البهلوية الأشكانية مع اللغة البهلوية الساسانية .

ولكن إقليم فارس وعاصمته اصطخر لم يعودا صالحين لإقامة الشاهنشاه ، فقد صارت بلاد ما بين النهرين المركز الرئيسى للإمبراطورية الشرقية تبعاً لضرورة التطور التاريخى ، وانتقل دور بابل السياسى إلى سلوقية — طيسفون كما كان لزاما أن ينتقل منها إلى بغداد بعد ذلك . ولكن دولة العرب الكبيرة كانت على أبواب العاصمة . وكانت مدينة طيسفون (المدائن) خارج الأراضى الإيرانية بالمعنى الحقيق ، الأقاليم الآرامية ، وكانت البلاد العربية تبدأ قريبة من أسوار ويه أردشير (سلوقيا الجديدة التى أسسها أردشير مكان سلوقية القديمة التى خربها القائد الرومانى أفيديوس كاسيوس Avidius Cassius فى سنة ١٦٥ م) . وقد نشأت إمارة عربية جديدة ، الحيرة ، فى حوالى هذا الوقت وراء نهر الفرات عند منعطفه نحو دجلة واقترابه منه على مسافة خمسين كيلو مترا تقريبا ، وهى إمارة تابعة للدولة الساسانية ، وكانت حصن الملك حيال العرب الرحل[٢] . وفى شمال الجزيرة الشامية وجدت مملكة عربية أخرى هى إمارة الغساسنة وكانت تابعة وحليفة للرومان[٣] .

والمصادر التى بأيدينا لا تمكننا من تعرف شخصية أردشير بدقة . فإن المؤرخين الشرقيين ليسوا مهرة فى تصوير نواحى الأخلاق . هم يصفون الصور أكثر مما يصفون الخلق . والصور التى ذكروها لملوك الساسانيين الذين كانوا محببين إلى المؤرخين والذين سنوا التقاليد التى نقلت إلينا عن طريق الكتاب العرب والفرس ، تتمثل

---

(١) انظر ص ٣٣ قبل ذلك .

(٢) روذشتين ، Die Dynastie der Lahmiden in al-Hira برلين ١٨٩٩ ؛ أوليندر، The Kings of Kinda ، لندن ، ١٩٢٧ .

(٣) نولدكه ، Die Ghassâniachen Fürsten aus dem Hause Gafua's,

فى أعيننا على أنهم ملوك من ذوى الفضيلة الأتقياء ، الملوئين غيرة على التقدم المادى والروحى للدولة ، وتنقل عنهم النصائح والحكم . وعلى هذا الطراز قدمت صورة أردشير مزودة بالحكم والأمثال . وكذلك يشيد عمل هذا الملك بجدارته الحربية وبقوة روحه ، وبآرائه السياسية السديدة . وهى شاهدة أيضاً على ما كان يعوزه من الوجدان وما كان يبديه من عدم المبالاة بأرواح الناس . وفى سنوات قليلة ، جمع بيد قوية ، الأجزاء المتفككة لمملكة البرت وجعلها وحدة قوية متماسكة ، ومد نفوذه على الأقاليم الشرقية التى لم تكن معترفة بسيادة الأشكانيين ، وخلق أداة سياسية ودينية ظلت أكثر من أربعمائة سنة . ومن المميزات التى تذكرها النصوص الشرقية فى أوصاف الملوك الطيبين إنشاء المدن والمعابد وحفر الترع وغيرها من المنشآت ذات النفع العام . وقد كان أردشير عاملا فى هذه الناحية . نعرف ذلك من روايات المؤرخين ؛ وتشهد به سلسلة المدن التى يقرن إسمها باسم أردشير : مدينة سلوقية التى أعيد بناؤها وسميت ويه أردشير ، وأردشير خره Khvarreh ، وريو أردشير ، ورام أردشير ، هذه الثلاث فى إقليم فارس ، ومدينة هرمزد — أردشير التى سميت فيما بعد سوق الأهواز فى خوزستان ، ومدينة ميسان القديمة (كرخاميشان) التى أعيد بناؤها باسم استراباد — أردشير ثم باسم وهشتا باد — أردشير ثم أعيدت فى أوائل العهد الإسلامى باسم البصرة ، وغيرها[1].

وقد وضعت الخرافات ، على مر الزمان ، إكليلا حول رأس مؤسس الأسرة . ففى القصة الصغيرة المسماة كارنامگ أردشير پاپكان[2] التى تتضمن أقوال وأفعال أردشير نجد سلسلة من القصص تمت إلى قصة كيروس (كورش) الكبير[3] ويقوم أردشير مقام مردك ، إله إقليم بابل القديم ، بوصفه قاتلا للتنين . فقد قتل مردك التنين تيامت بأن أدخل فى حلقه ريحاً صرصراً عاتية ، وكذلك صب أردشير المعدن المذاب فى حلق التنين هفتان بوخت ، فهلك فوراً بصورة مفجعة .

---

(١) الطبرى ، ص ٨٢٠ ، نولدكه ، ص ١٩ وما بعدها ؛ شيدر ، Hasan al Basri ، (١٤) ، ص ٣١ .

(٢) انظر ص ٤٤ .

(٣) جوتشميد ، ZDMG ، جز ٣٤ ، ص ٥٨٦ وما بعدها .

الفصل الثانى

تنظيم الدولة

خصائص الدولة الساسانية . طبقات الشعب الاجتماعية والسياسية . الإدارة المركزية . كبير الوزراء . رجال الدين . المالية . الصناعة والتجارة والمواصلات الجيش . موظفو الدولة . إدارة الأقاليم

لم يقدر كتاب الرومان التغيير الذى أحدثه قيام الدولة الجديدة حق قدره . فيشير كل من ديون Dion وهرودين Herodion فى كلمات قليلة إلى ما أحرز أردشير من نصر على أردوان . وقد رأى الرومان أن الدولة الجديدة أكثر قوة من الدولة القديمة وأنها لذلك ، أكثر خطراً على الحدود الشرقية للإمبراطورية الرومانية ، ولكنهم لم يروا أن الدولة الجديدة كانت تختلف اختلافاً تاماً عن الدولة التى أديل منها ، أو بعبارة أخرى أنها تكون الخطوة الأخيرة لتطور بعيد المدى ، هيىء تحت السطح الهلينى للإمبراطورية الأشكانية ضعيفة العرى . فإن النظم الإيرانية قد نبذت بعض عناصر المدنية اليونانية وامتصت البعض الآخر . وفى اللحظة التى ألقيت مقاليد الأمور فيها بيد أردشير وبدأت الدولة الإيرانية تظهر وحدة وطنية ظهر طابعها الخاص بالتدريج فى نواحى الحياة العقلية والاجتماعية .

فلم يكن تغير الأسرة الحاكمة حادثاً سياسياً فحسب ولكنه يمتاز بظهور روح جديدة فى الدولة الإيرانية . والطابعان المميزان لنظام الدولة الساسانية هما : تركيز قوى السلطان والثانى إتخاذ دين رسمى للدولة . وإن يكن فى المميز الأول رجوع إلى التقاليد التى سادت أيام داريوس ، فقد كان الثانى تجديدا ، ولكنه تكملة لتطور بطىء ، كما كان الحال بعد ذلك بثلاثة عشر قرناً حين تكون المذهب الشيعى الرسمى فى الإسلام .

وقد لقيت أحوال الحياة العامة والتنظيم الإدارى للدولة الساسانية تغييراً مختلفاً

فى القرون الأربعة التى دامت فيها الإمبراطورية التى أسسها أردشير(١)، ولكن الهيكل الاجتماعى والإدارى الذى أنشأه أو أكمله مؤسس الأسرة الساسانية قد بقى حتى نهايتها فى الأمور الكبرى .

وتذكر الأوستا الحديثة ثلاث طبقات : طبقة رجال الدين (آثْرَوان Athravan) وطبقة رجال الحرب (رائئشتر Rathaestar) وطبقة الزراع (واستريوفشويانت Vastryofsouyant)(٢). وهذا تقسيم إدارى يسمو إلى الزمن الغابر . وتشير فقرة واحدة (يسنا – ١٩ — ١٧) إلى طبقة رابعة هى طبقة الصناع (هويتى Huité) . ثم نجد فى أيام الساسانيين تقسيما جديداً إلى أربع طبقات . فقد أصبح الكتاب (ديبهران = دبيران) الطبقة الثالثة . وكون الصناع والزراع الطبقة الرابعة . وهكذا كان التقسيم الاجتماعى متمشياً مع الوضع السياسى .

فكان هناك الطبقات الأربع الآتية أيام الساسانيين ١ — طبقة رجال الدين (آثروان) ، ٢ — طبقة رجال الحرب (إرتشتاران) ، ٣ — طبقة الكتاب ، كتاب الدواوين ، (دبيران) ، ٤ — طبقة الشعب (الفلاحين — وستريوشان — والصناع — هو تخشان)(٣).

---

(١) سنصف تفاصيل هذه التغييرات حسب علاقتها مع الحوادث السياسية .

(٢) انظر بنفنست : Les Classes Sociales dans la Tradition Avestique JA ، ١٩٣٢ ، ص ١١٧ وما بعدها .

(٣) Lettre de Tansar ، دارمستتر Darmesteter ، ص ٢١٤ و٥١٧ — ٥١٨ ، مينوى ، ص ١٢ . ويتساءل دارمستتر ، ولا حق له ، أليست تسمية الكتاب (دبيران) طبقة ثالثة لها من عند المترجم (العربى أو الفارسى) . والمسألة مؤكدة أولا بفقرة أخرى من الكتاب (دار مستتر ص ٢١٥ و ٥٢٠ ؛ مينوى ، ص ١٤) ، حيث قيل إن رجلا من أهل الطبقة الرابعة يستطيع استثناء أن يرقى إلى طبقة أعلى إذا امتاز بالخلق الطيب والتقوى (طابع رجال الدين) ، أو بالقوة والشجاعة (طابع رجال الحرب) ، أو بالجدارة والذاكرة والذكاء وهى الصفات التى تتطلب فى المستخدمين (الكتاب) قبل أهل الفلاحة . وهذا إذا يتفق وما كان جاريا فى المدة قبل قباد الأول وكسرى الأول ، من أن اختيار الملك كان فى يد كبير الموابذة وكبير رجال الجيش وكبير الكتاب ، أى فى يد رؤساء الطبقات الثلاث الأولى . (دار مستتر ص ٢٣٩ وما بعدها و ٥٤٣ وما بعدها ؛ مينوى ، ص ٣٨ وما بعدها . ونقول أخيراً إن المسعودى يعدد مراتب الفرس العظمى (التنبيه ص ١٠٣) فيذكر بجانب ال =

وقد قسمت كل طبقة إلى عدة أقسام ، فرجال الدين منهم الحكام (دادور) والعباد ، وطبقتهم الأقل درجة والأكثر عدداً هى المغان (جمع مغ) ، والزهاد والسدنة الهربدان (جمع هربد) ثم علماء مختلفون يشغلون وظائف خاصة ، ثم المراقبون (دستوران) ، والمعلمون (مغان — اندرزبد) .

وتتكون طبقة المحاربين من الفرسان والرجالة ، ولكل من القسمين رتبه وموظفوه المختصون به .

وتنقسم طبقة الكتاب إلى كتاب الرسائل وكتاب المحاسبات وكتاب الأقضية والسجلات والشروط وكتاب السير ويدخل فيهم الأطباء والشعراء والمنجمون .

وأخيراً فإن الشعب كان يشمل الزراع والرعاة والتجار وسائر أهل الحرف(١) . ولكل طبقة رئيس ، فعلى رأس رجال الدين الموبدان موبد ، وعلى رأس رجال الحرب إيران سپاهبد ، وعلى رأس الكتاب إيران دبيربد (يسمى كذلك دبيران مهيست) وعلى رأس الطبقة الرابعة وستريوشانسالار (وبعبارة أخرى وستريوشبد أو هتخشبد) . ولكل رئيس عارض تحت إشرافه ، مكلف بإحصاء أهل الطبقة ، ثم مفتش عليه أن يتحقق من معرفة دخل كل فرد(٢) ، وأخيراً معلم (اندرزبد) « لكى يلقن كل فرد حرفة أو عملا أو علما منذ الطفولة(٣) » .

وهناك تقسيم اجتماعى آخر ظهر فى الأيام الأولى من الدولة الساسانية ويرجع

= بزرگفرمادار ، الموبذان موبذ والاصبهبذ والدبير بد وهو تخشه بد(حافظ كل من يكدبيديه كالمهنة والفلاحين ويسمى أيضاً واستريوش بذ (رئيس الزراع) ، وهذا يسير تماما مع نص كتاب تنسر . ويقول الجاحظ فى كتابه التاج ، (طبعة القاهرة ، ص ٢٥) إن اردشير جعل الناس على أقسام أربعة وحصر كل طبقة على قسمتها : فالأول الأساورة من أبناء الملوك ، والقسم الثانى النساك وسدنة بيوت النار ، والقسم الثالث الكتاب والأطباء والمنجمون ، والقسم الرابع الزراع والمهان وأضرابهم .

(١) كتاب تنسر ، مينوى ص ١٢ ، الترجمة العربية ، الخشاب ص ٣٣ .

(٢) جاء فى نص مينوى « دغل » بدل « دَخْل » ، ص ١٥ .

(٣) كتاب تنسر ، دارمستتر ، ص ٢١٧ — ٢١٨ و ٢٥٥ ومينوى ، ص ١٥ ، الترجمة العربية ، الخشاب ، ص ٣٧ .

من غير شك إلى ما ورثته هذه الدولة عن دولة البرت . نجد هذا التقسيم فى النقش المسطور بلغتين فى حاجى آباد ، حيث يذكر الملك شابور الأول رمية سهمه المشهورة التى رميت فى حضور أمراء الدولة (شهر داران) ، ورؤساء أو أفراد العائلات الكبيرة عامة (واسپوران) والعظماء (بزرگان) ، والأحرار أو النبلاء (آزادان)[١] وليس من اليسير تحديد الصلة بين هذا التقسيم الذى لايشمل غير الطبقات الممتازة ، والتقسيم الآخر الذى يتعلق بالشعب عامة ، فإن هـذه الصلة لم تكن واحدة دائماً . وبالجملة فإن نظام الطبقات كان غامضاً جداً .

والاضطراب والتضارب الظاهران فى التقسيم الاجتماعى والسياسى للأمة يتصلان مباشرة بما كان بين نظامى الإقطاع والسيادة المركزية المطلقة التى ورثتها الدولة الساسانية عن دولة البرت ، وهذا الخلاف بين هـذين العنصرين ، الإقطاع وسيادة الشاهنشاه ، هو المميز للتطور الاجتماعى والسياسى منذ أيام أردشير بابكان إلى عصر الأكاسرة .

شهرداران : كان أفراد الطبقة الأولى فى الدولة الساسانية يحملون لقب ملك ، وهذا سوغ أن يكون لقب ملك إيران « ملك الملوك » (شاهنشاه) . وتشمل هذه الطبقة أولا الأمراء التابعين الذين يحكمون فى أطراف الدولة وحكام الإمارات التى كانت خاضعة لحماية إيران ، والذين ضمن لهم ملك إيران ، نظير خضوعهم ، الإمارة لهم ولذويهم من بعدهم ، مع التزام وضع قواتهم الحربية تحت تصرفه ، وقد يؤدون له

---

(١) شهرداران (ضبطها القديم : شترداران ؛ وربما كان نطقها حوالى آخر أيام الدولة الساسانية شهرياران) وواسپوران هما صيغتان من الپهلوية الأشكانية . وواسپوهر (صيغتها الآرامية بربيتا) انظر بيلى فى BSOS ، لندن ، ١٩٣٣ ، ص ٧٥) لكلمة وسپوهر ، « ابن أسرة » قارن Vispati ـ Vishadh (ص ١٣ وما بعدها) ، والصيغتان وسپوهر ، وواسپوهر وجدتا كـكلمتين مستعارتين من اللغة الأرمنية ، إذا كانت الكلمة سپوه Sepuh الأرمنية هى نفسها كلمة وسپوهر الإيرانية ؛ وقد دخلت كلمة واسپوهر فى اسم ولاية واسپوركان (نولدكه ، الطبرى ، ص ٥٠١ ؛ بنڤنست فى Revue des études armeniennes ، ج ٩ ، ص ٩ ــــ ١٠ وانظر هرتسفيلد Paikuli ، رقم ٣٠٠) .

جزية معينة أيضاً . وينسب كتاب تنسر إلى أردشير هذه الكلمة[١] « كل من يجى إلينا مقدما فروض الطاعة لن نخلع عنه لقب الملك ما دام يمضى مستقيما على طريق الخضوع » ومن بين هؤلاء الملوك التابعين الأمراء العرب فى الحيرة[٢] ويذكر أمين مرسيلن (Ammien Marcellin) ضمن حاشية الملك سابور الثانى ملوك كيونيت والبان ، وكان فيما بين النهرين ملك اسمه پولار (؟) تابع لسابور . وقد سمى أبناءه أسماء إيرانية[٣] . وكلة سترپ (Satrap) التى توجد فى نقش پيكولى يحتمل أن ترمى إلى ستارية الساج[٤] . وفى الأيام الأولى للسيادة الساسانية كانت أرمينية ، مع ملوكها من الأشكانيين ، إمارة تابعة لملك إيران ، وقد احتفظ حكام أرمينية وجورجيا بلقبهم بِدّخشّ (Bidhakhsh, bdeashkh)[٥] وفى سنة ٤٣٠ م أصبحت أرمينية ولاية ضمن الدولة الإيرانية ووضع على رأسها مرزبان .

وقد احتفظ الساسانيون بالتقسيم القديم للدولة ، التقسيم الذى يجعلها أربع إيالات . ومنذ القرن الخامس ، سمى حكام الإيالات بالمرازبة . وهؤلاء المرازبة الأربعة الكبار كانوا من طبقة الأسر التى ذكرناها ، وكانوا يحملون لقب شاه[٦] .

ويضاف إليهم أخيراً الحكام المنتسبون إلى الأسرة الساسانية . كان أبناء الملوك يولون حسب التقليد القديم الإمارات ، وخاصة الأمراء الذين يؤمل فيهم أن يولوا

---

(١) دار مستتر ، ص ٢١٠ و ٢١٥ ؛ مينوى ، ص ٩ ؛ الخشاب ص ٢٩ .

(٢) كان يحكم البحرين ، التى كانت جزء من الإمبراطورية الساسانية منذ أيام سابور الثانى ، حاكم عربى من قبل ملك الحيرة ، ولكن كان بجانبه ، فى القرون الأخيرة من أيام الساسانيين ، أحد عظماء الفرس (روذستين ، ص ١٣١ وما بعدها) .

(٣) (١٨) ، ٦ ، ٢٢ .

(٤) هوفان ، Auszüge ، ص ١٠ .

(٥) هرتسفيلد ، Paikuli ، رقم ٧٠٦ .

(٦) أنظر هنا ص ١١ ،وقارن الصيغ الجورجية patiashkh, putiashkhi, pitiakhshi. واليونانية Πιτυάξης Πιτνάξης, Πητιάξης ، والسريانية aptakhshā للملك (اندرياس) . هرتسفيلد Paikuli ، رقم ٢١٤ و ٧٨١ .

عرش إيران ، فقد كان عليهم أن يلوا الإمارة فى أحد الأقاليم المهمة كى يجدوا فيها مراناً على الحكم[١] .

وقد ولى كرمان وكوشان أخوان لسابور الأول هما أردشير وفيروز . وكان الثانى يحمل لقب « ملك كوشان الكبير »[٢] وقد كان سابور الأول وهرمزد الأول وبهرام الأول والثانى ، حكاما على خراسان وملوكا لكوشان[٣] قبل أن يرقوا عرش إيران ، وكان بهرام الثالث حاكما لسيستان (ولقبه صغانشاه) وولى أردشير الثانى إمارة إديابين ، وولى بهرام الرابع كرمان (ولقبه كرمانشاه) وولى هرمزد الثالث سيستان (ولقبه صغانشاه)[٤] . وقد أراد العظماء أن يحرموا بهرام الخامس من وراثة الملك محتجين فى ذلك بأنه لم يل ولاية من قبل حق تعرف جدارته بالملك[٥] ولكن هؤلاء الحكام الذين ينسبون إلى الأسرة المالكة لم يكونوا يعتبرون ملوكا تابعين يتوارثون العرش ، وذلك لأسباب سياسية[٦] ، فقد كان حتما أن يستطيع الملك عزلهم كلما رأى فى ذلك مصلحة الدولة . ولم يكن لقب ملك الذى يمنحه هؤلاء والمرازبة الكبار إلا لقباً يتيح لهم أن يكونوا فى طليعة الأرستقراطية . وكان الأمراء الملكيون ملزمين بالحضور إلى البلاط كل فى نوبته ، ليقدموا حسابا عن أعمالهم[٧] ولكن لم يكن لهم فيه (فى البلاط) وظائف معينة : « لأنهم لو عملوا للحصول

---

(١) أنظر بعد ذلك الكلام عن المرازبة فى الملاحظات على إدارة الأقاليم .

(٢) فيروز ، انظر هرتسفيلد ، Paikuli ، ٨١١ ، وقد ذكر أخ ثالث لسابور ، مهر شاه « ملك ميسين » ، فى نص مانوى ، م — ٤٧ .

(٣) هرتسفيلد ، Paikuli (ص ٤١ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٨) ، و Kushano-Sasanian Coins فى Survey of India Mémoirs of the Archeol. ، رقم ٣٨ ،

(٤) وقد عدد هرتسفيلد ألقابا أخرى تتكون مع لفظة شاه ، Paikuli ، رقم ٦٣٢ .

(٥) الطبرى ، ص ٨٥٨ ، نولدكه ، ص ٩١ .

(٦) كتاب تنسر ، دار مستتر ، ص ٢١٠ ، ٥١٣ وملاحظة الناشر ؛ مينوى ، ص ١٠ ؛ الترجمة العربية للخشاب ص ٢٩ .

(٧) كتاب تنسر . دارمستتر ، ص ٢١٠ ، ٥١٣ ؛ مينوى ، ص ١٠ ، الخشاب ص ٢٩ — ٣٠ . ويلاحظ أن الـ شهرداران كانوا حاضرين فى الاحتفال الرسمى برمية السهم من سابور الأول .

على الرتب لوقعوا فى النزاع والجدل والقيل والقال ولذهبت هيبتهم ولسقطوا فى أعين الناس » .

واسپوهران : لقد ورث الساسانيون نظام الأشكانيين الإقطاعى . وهكذا نجد فى الدولة الجديدة التى أنشأها أردشير ، فى المرتبة الثانية من نظام الطبقات ، الطبقة القوية المكونة من رؤساء الأسر ، وعلى رأسها أفراد العائلات السبع الممتازة[١] ، ومن بين هؤلاء ، ثلاث على الأقل ، كانوا فى هذه المرتبة الرفيعة منذ أيام البرت وهم قارن وسورين واسپاهبد وكلهم من أصل أشكانى ويحملون لقب پهلو أى « پرتى » ؛ وقد كان الإنحدار من أسرة البرت علامــة على الامتياز حتى أن بعض أفراد الأسر السبع الممتازة أيام الساسانيين ، وبعبارة أدق أسرتا سـپندباد ومهران ، نسبوا أنفسهم إلى الأشكانيين[٢] .

---

(١) أنظر نولدكه ، الطبرى ص ٤٣٧ . وكان لأعضاء هذه الأسرات السبع الحق فى لبس التاج لأنهم كانوا ، فى الأصل ، مساوين الملك إيران ؛ ولـكن تيجانهم كانت أصغر حجما من تاج الملوك الساسانيين . البعلمى ، زوتنبرج ، (٣) ، س ٤٤٨ .

(٢) يقول موسى الخورينى Möise de Khorène إن الملك البرتى ارشوير Arshavir الذى يقابل فرهاد الرابع Phraate كان له ثلاثة أبناء : اردشس (Artaxerxe) وقارن ، سورين وبنت اسمها كشم (وهذا الاسم هو ، فى رأى ماركات Marquart تورية من اسم المقاطعة مسماة كومش أى كوميسين Comisène . أنظر ZDMO ، ٤٩ ، ص ٦٣٩) . وقد أصبح الولد الأول خليفة لأبيه (فهو إذا يقابل فرعت الخامس) ، والولدان الآخران أصبحا آباء الأسرتين اللتين تحملان اسمهما ، أما البنت فقد تزوجت من « قائد لجميع الإيرانيين » ، ومن بعده سميت أسرته أسپهپت پهلو ، وكلمة اسپهپت هى الـكلمة القديمة سپاذپتى ، سپاهبذ بالپهلوية ، وتنطق اسپاهبذ . وهذا الاسم نفسه قد استعمل فى اللغة الأرمنية بصيغة سپرپت *sparapet* . وهذه الـكلمة التى أصبحت اسم جنس « للقائد » ، توجد أيضاً فى القرن الخامس بصيغة : اسپرپت *asparapet* ، وهكذا ذكرها لازار الفرپى [Andreas] Lazar de Pharp وقد ذكر پروكوب Procope اللفظ أسپهپت : اسپهبدس ، وعند فوتيوس Photios : اسپودس ، ويشير تيوفيلا كت Théoplylacte (٤ ، ٣ ، ٥) إلى اسم اسپيدس ، من أقارب كسرى الثانى ووالد وندويه وويستهم ، أنظر نولدكه Noeldeke ، ص ٢٧٣ ، ملحوظة ١ . هــذا هو ما يمدنا به الـكتاب البيزنطيون . ثم نجد عند أحد الـكتاب من رجال الدين ، كيرل Kyrill كلمة اسپيوس . وواضح أن كلمة أسپير السريانية هى خطأ من النساخ فى كلمة اسپيذ التى هى اسپهبذ نفسها . وكلمة اسپر غير موجودة إلا فى قصة جوليان =

وأول هـذه الأسرات السبع الأسرة المالـكة ، أسرة الساسانيين(١) ، والأسر الأخرى هى ، الخمس المسماة : قارن پهلو ، سورين پهلو(٢)، اسپاهبذ پهلو ، سپندياد ، مهران ؛ وربما كان منها أسرة زيك(٣) . ويقول الطبرى (نولدكه ص ٤٣٧) إن

= Julien التى نشرها هوفمان [Andreas] Hoffman ويذكر الطبري صراحة سپاهبذ بين الأسرات السبع (راجع تصحيح ماركارت Marquart للنص المحرف فى ZDMG ، ٤٩ ، ص ٦٣٥) . وملاحظة موسى الخورنى ليست تاريخية : فانا نعلم أن غزو كرسسوس Crassus لإيران كان أثناء حكم والد وسلف فرهاد الرابع الذى كان سورين قائدا له . وعلى أى حال فإن وجود هذه العائلات الثلاث كملاك إقطاعيين عظام مؤكد قبل قيام الدولة الساسانية بزمن طويل . وواضح أن انتساب أسرة سپندياذ للأشكانيين نشأ فيما بعد ، حين كان التاريخ الحقيق للأشكانيين قد محى من الخواطر ؛ ونجد فى شجرة نسب واحد من هذه الأسرة (مهر نرسى ، أنظر الطبرى ، ص ٨٦٨ — ٨٦٩ ، نولدكه ، ص ١٠٩) دار (داريوس الثالث) وابنه كاى أشك (أى ارساك مع اللقب الملـكى القديم كاوى > كاى) ومن بعده بعض الأسماء التى لا تتبع أسرة الأشكانيين (ثم إننا قد نرى فى كلمة سيسنبروه sisanbrūh تحريفا لـكلمة سنتروك Sanatruk تحت تأثير الاسم السابق سيسپذ sispadh) هـذا وفى شجرة نسب سوخرا ، الذى هو من أسرة قارين ، التى ذكرها الطبرى ، ص ٨٧٧ — ٨٧٨ ، ونولدكه ، ص ١٢٧ — ١٢٨ ، هذا الطابع بعينه وهو أنها قد عملت فى وقت أحدث نسبيا ومن المحتمل أن يكون النسب الأشكانى لأسرة مهران منتحلا كذلك . ومما لا شك فيه أن ماركارت Marquart قد لاحظ بحق (ZDMG ، ٤٩ ، ص ٦٣٣) أن البطل الخرافى ميلاذ يرجع نسبه إلى أمير أو ملك پرتى اسمه ميتردات Mithridate ، ولـكن هذا لا يستتبع أن يكون نسب أسرة مهران الـگرگينى بن ميلاذ ذا صلة إلى واحد من أسرة ميتردات التاريخية .

(١) يسمى الأمير فيروز ، أخو سابور الأول ، واسپور ساسانيان ، انظر هرتسفيلد Paikuli ص ٤٥ و ٤٩ .

(٢) نجد عند فاوستوس البيزنطى Faustus de Byzance اثنين اسمهما سورين وكلاهما يحمل لقب Pārsigh (فارس) . ولعلهما يتبعان شعبة صغيرة من سورين پهلو .

(٣) يقول ميناندر Menandre إن « زيك » كان مركزا من أعظم المراكز عند الفرس (.Corp. script. hist (١) ، ص ٣٧٤) ؛ ولـكن قد أصبح خلط أسماء العائلات بالألقاب أمراً عاديا عند الـكتاب البيزنطيين وهكذا يسمى زوسيم Zosime سـورين ἀρχη ، ويعتبر پروكوپ Procope مهران لقبا فيقول إن القائد فيروز قد صـار Μιρρανης . وقـد لاحظ هوبشمان Hubshmann (.Armen, Gramm) ، (١) ص . ٤١) أن زيك وهى عند فاوستوس البيزنطى Ζηκᾶς وكذلك عند اجاثانج Agathange قد اعتبرت عند هذين الـكاتبين اسم عائلة ، وأن اللقب الخاص لزيك قد أضيف إلى الاسم ، وكان زيك وقارين (Καδινᾶς و Ζηχάς عند اجاثانج) قائدين عظيمين عند سابور الثانى ، وهما ليسا لا كوس =

أسرة قارن كانت تقيم فى ضواحى نهاوند (فى ميـديا) ، وسورين فى سيستان ، وسپنديار فى ضواحى الرى (رها بقرب طهران الحديثـة) ، وسپاهبذ فى دهستان فى جورجيا . ومن ناحية أخرى ، نعرف أن سوخرا من أسرة قارن كان مسقط رأسه فى ناحية أردشير خوره بشيراز (الطبرى ص ٨٧٣ ، ٨٧٧ ونولدكه ص ١٢١ — ١٢٦) فهو يعتبر مولوداً فى فارس بالمعنى الصحيح ، وأن نهراً قريباً من الرى وقرية مجاورة لنيسابور سمى كل منهما باسم سورين (نولدكه ، طبرى ص ٤٣٩) ، وأن مهرنرسى من أسرة سپنديار كان مسقط رأسه فى قرية آبروان التابعة لدشت بارين فى ناحية أردشير خوره بفارس ، وأنه قد ورث هـذه القرية عن آبائه ، كما ورث قرية گيره فى المقاطعة المجاورة ، مقاطعـة شابور (الطبرى ، ص ٨٧٠ ، ونولدكه ص ١١١) . ومن أفراد أسرة مهران ، بهرام جوبين (طبرى ، ص ٩٩٢ ، ونولدكه ٢٧٠) وپيران جشنسپ جريجوار (هوفمان Hoffmann : Austige ص٧٨) وأصلهم من الرى ، وقد سمى نهر مهران فى فارس باسم هذه الأسرة . (نولدكه ، طبرى ص ١٤٠)[1] وأختم بأن أقول إن أملاك هذه الطبقة (واسپوران) كانت مبعثرة

= وارتبان اللذين ذكرهما أمين مارسلين Ammien Marcellin ، ٢٧ ، ١٢ ، ٥ (« ٥ » ماركارت Marquart ، Philologus ، ٥٥ ، ص ٢١٣ وما بعدها) . أما عن أعضاء أسرة زيك المشهورين فانظر جوستى Justi فى "Namen buch" ، وقارن هرتسفيلد فى Arch. Mitt. (٤) ، ص ٥٧ ملحوظة ٢ .

(١) راجع عن أعضاء أسر قارين وسورين ومهران ملاحظات نولدكه Nœldeke، طبرى ، صفحات ١٢٧ — ١٢٨ و ٤٣٨ — ٤٣٩ و ١٣٩ — ١٤٠ . وانظر عن سورين ، هرتسفيلد فى Paikuli, Glossary ، رقم ٧١٥ . وقد أكمل ذكر الأسماء جوستى Justi (المواد : Karren ، Michrâna Sûrên . من Namenbuch,) . وعن اسپاهبذ أنظر جوستى ، مادة Spâdapti وهرتسفيلد ، Paikuli, gloss ، رقم ٧٢٧ . وعن سپندياذ (الصيغة الفارسية اسفنديار ترجع إلى قراءة غير صحيحة) أنظر نولدكه ، ص ٤٣٩ . وقارن من ناحية أخرى ماركات Marquart ، ZDMG ، (٤٩) ، ص ٦٣٣ وما بعدها ، و Erānšahr ص ٧١ ، وهرتسفيلد . Arch. Mitt ،(٤) ص ٦٤ وما بعدها . وكان هرمزدان قائد يزدگرد الثالث المشهور أحد أفراد هذه الأسرات السبع ، ولـكنا لا نعرف من أيها كان ، فـكانت أمه من ولاية خوزستان وكان حكم هـذه الولاية الذى يشمل سبعين مدينة متوارثا فى أسرتها (الطبرى ، ص ٢٥٣٨ و ٢٥٤٣ ، البلعمى زوتنبرج Zotenberg ، (٣) ، ص ٤٤٧ وما بعدها) .

فى أرجاء المملكة ، وقد تكون خاصة فى الأقاليم الميدية البرتية Médo parthes التى كانت مهد الدولة الأشكانية وفى فارس بمعناها الحقيقى التى نشأت بها الدولة الساسانية حيث كانت هذه الأسرات متقاربة جداً ، وحيث كان من المتعذر تكوين ممتلكات واسعة موحدة ، وقد يكون هذا من الأسباب الرئيسية لما نرى من أن كبار الأمراء فى ذلك العهد قد انخرطوا فى زمرة النجباء والنبلاء فى البلاط وبذلك فقدوا مكانة الأرستقراطية الحقة فى النظام الإقطاعى . والصلة القديمة التى كانت بين الواسپوران والقرية (ويس) لم تنقطع ما بقيت الجمعية القديمة فحينما يذكر مكان ميلاد أحد هؤلاء السادة ، فإنه غالباً يكون اسم قرية .

ومن المحتمل ألا تكون الأرستقراطية الإقطاعية مقصورة على أفراد الأسرات السبع العظيمة ، فإن فاوستوس Faustüs البيزنطى يذكر[١] قائداً اسمه دماوند ينتسب إلى أسرة اسمها كائوسگان Kāūsaghan . وهناك كثير من الألقاب التى تنتهى بالمقطع آن وهى تدل على أسرات إقطاعية أو فروع من بعض هذه العائلات . ولكن فى الجملة ، لم يكن الجزء الذى كان إقطاعا فى أيدى الأرستقراطية العالية يشمل قسما مهماً من إيران ، إذا قورن بالمساحة التى كانت تتبع الدولة مباشرة والتى كان يديرها حكام من قبل الملك .

وليس لدينا معلومات محددة عن الامتيازات التى كان يتمتع بها أصحاب الإقطاعات ، ولا نعلم أكان لحكومة الملك بعض سلطان على المقاطعات التى تقع فى حكمهم . وهل كان لهؤلاء حصانة كاملة أو جزئية وهكذا . . . لكن الذى نعلمه علم اليقين هو أن الرعايا كانوا ملزمين بدفع الضرائب إما إلى سيد الإقطاع أو إلى الدولة أو إليهما جميعاً ، وأنهم كانوا ملزمين بأداء الخدمة العسكرية تحت رياسة صاحب الإقطاع .

ونجد فى أيام الساسانيين ، اتباعا للتقاليد القديمة ، بعض المناصب العامة تورث بين أفراد الأسر السبع الممتازة . وقد عرفنا تيوفيلكت Théophylacte (٣ — ٨)

---

(١) لانجلوا (١) ، ٢٦٢ .

بهذه الوظائف الوراثية : « كان للأسرة المسماة بالأردوانية Artabite الرتبة الملكية وكان من اختصاصها وظيفة تتويج الملك ، وأسرة أخرى كانت تتوارث إدارة شئون الحرب . وثالثة تتولى الإدارات المدنية ، ورابعة يعهد إليها فض المنازعات بين المتخاصمين الراغبين فى التحكيم ، وخامسة تتولى قيادة الفرسان ، وسادسة وليت جباية الضرائب من أفراد الشعب ورعاية الكنوز الملكية ، وسابعة تتولى العناية بالأسلحة ونظام التعبئة الحربية .

وكلة أرگبَذ هى تحريف للكلمة هرگبذ وهى كلة تعنى فى الأصل رياسة قلعة حصينة[١] ثم دلت بعد ذلك على وظيفة حربية عظيمة القدر . وقد كان أردشير بابگان حاملا لهذا اللقب ، ولذا صار فى الدولة الجديدة ، من حق الأسرة المالكة على أنه أكبر رتبة عسكرية[٢] .

وأما الوظائف الوراثية الست الباقية التى أشار إليها تيوفيلكت Théophylacte فنها ثلاث وظائف حربية وثلاث مدنية . فأما الوظائف الحربية فهى رياسة الشئون العسكرية[٣] ، ورياسة الفرسان[٣] ، والقيام على الأهراء (إيران —

(١) نولدكه ، الطبرى ، ص ٥ ، ملحوظة ١ و ٣ ؛ هرزفيلد Pikuli, gloss ، رقم ٤١٦ . ويشك هرتسفيلد فى الفرض الذى اقترحه جوستى Justi وأيده فيه بارتولوميه Bartholomae ، Zur Kenntnis der milliranschen Mundarten (١) ص ١٦) — من أن هذا اللقب مشتق من كلة أرك « القلعة الحصينة » .

(٢) كان ابهرسام ارحبذا أيام اردشير الأول (الطبرى ، ص ٨٢٣ ، نولدكه ، ص ٢٧ ، وقد صحح ماركارت Marquart هذا النص ، أنظر هرزفيلد ، Paikuli, gloss ، رقم ٤١٦ وكريستنسن AO. Christensen ، (١٠) ص ٤٣ وما بعدها) . وقد حمل هذا اللقب نفسه مهر — شاپور أيام يزدگرد الأول (لابورت Labourt ، ص ٩٧) .

(٣) كان رئيس الشئون العسكرية هو ال — إيران سپاهبذ ؛ وهكذا اعتبرته فى كتابى : L' Empire des Sassanides (ص ٢٧)) من المستبعد أن يكون تعيين القائد العام لإيران أو وزير الحربية خاضعا لظروف الوراثة . ومن الممكن أن نفترض أن المقصود هنا منصب محدود الاختصاصات ، وهو رتبة كنارنگ (پروكوپ Bell-pers. Procope (١)؛٦ : ميشيل السريانى Michel le Syrien ترجمة شابو Chabot ، ٢) ، ص ١٥٨) ، وهى مرتبة وراثية فى أسرة معينة كما يقول پروكوپ . وكنارنگ كان اللقب الخاص بمرزبان (أبهر شهر (وكانت عاصمته نيسابور) ، وهو ثغر دائم التعرض لغزوات البرابرة (ماركارت Marquart ، =

امبارگبد)[1] وهى الوظيفة السابعة من الوظائف التى عددها تيوفيلكت . وأما الوظائف المدنية فهى رياسة الشئون المدنية وهى تسمية غامضة بالنسبة لقاضى الصلح والقائم على تحصيل الخراج ورئيس تفتيش الخزائن الملكية[2] وكلام تيوفيلكت Théophylacte يرجع إلى الشطر الأخير من العهد الساسانى . وإنه لمن الصعب أن نقرر إلى أى عائلة يعهد بكل من هذه الوظائف . نعرف أن وظيفة أرگبذ كانت للبيت الساسانى ، وليس بعيداً أن نظن بأن رياسة الفرسان كانت تابعة لأسرة اسپاهبذ . وأخيراً ربما كان من المحتمل أن ننتهى بأن كلا من أسرة سورين ومهران كانت لها إحدى وظيفتى الحرب الأخيرتين ، لأن اسمهما طالما تردد بين أسماء رؤساء

= Erañšahar ، س ٧٤ — ٧٥ ، هرتسفيلد .Arch mitt ، (٢) ، س ١١٠) . وفى أيام يزدگرد الثالث ، وفى أثناء الحرب مع العرب ، عين مرزبان طوس مع لقب كنارنگ (الثعالبى ، نشر زوتنبرج Zotenberg س ٧٤٣ ، والبلاذرى نشر دى جويه de Geoe ، س ٤٠٥ ، سطر ٧ حيث صحفت الكلمة) . ويذكر أصحاب قواميس الفارسية الجديدة كلمة كنارنگ مع شرحها بأنها « حاكم ولاية » .

ليس مؤكدا أن شاغل منصب رياسة الفرسان كان اسپهبذ L'Empire des Sassanides) س ٢٧) والأغلب أن لقبه كان شبيهاً : آسْپْوَارْبذ ، آسْوَارْبذ .

(١) انظر نولدكه ، الطبرى ، س ٤٤٤ ؛ هرتسفيلد ، .Paikuli, gloss ، رقم ٦٦ .

(٢) لا أعتقد أن هذه الوظيفة الأخيرة هى وظيفة واستريوشانسالار . المشرف العام على الضرائب . وقد سمى الطبرى الوظائف الكبيرة التى عهد بها الوزير مهرنرسى إلى أبنائه الثلاثة ، فقال إن ماه گشنسب ، ابنه الثانى ، شغل منصب واستريوشا نسالار طول حكم بهرام الخامس . ولو كان هذا المنصب وراثيا للزم أن يكون ماه گشنسب الولد الأرشد . وقد نستطيع أن نشك إلى حد ما فى رواية الطبرى (فإنه فى نص آخر ، نولدكه ص ١١٢ ، يذكر الأبناء الثلاثة بترتيب آخر ، ويجعل ماه گشنسب ، أحياناً ، أصغر الأبناء) ، ولكن لو ذهبنا إلى أن ماه گشنسب هو الولد الأرشد حقيقة وأنه قد ورث منصب واستريوشا نسالار لتبع ذلك أن هذا المنصب كان لمهر نرسى ولأبيه وَرَازگ من قبله . ولكن الدينورى (طبعة جويرجس Guirgass ، ص ٧٥) يذكر شخصا اسمه گشنسب آذار على أنه وزير الخراج وهوال واستريوشا نسالار بغير شك ، وكان ذلك بعد موت يزدگرد الأول ، أى أثناء حياة مهر نرسى ومع ذلك فلو أننا طرحنا قول الدينورى جانبا فإن الإشكال يستمر قائما ، وهو أن ماه گشنسب قد ولى المنصب الوراثى أثناء حياة أبيه ، وهو ما لا يحتمل الفرض فيما أعتقد . ولكن من الممكن أن نفكر فى منصب واسپوران آمارگر (مستوفى خراج الواسپوران ، وتشير المراجع الأرمنية إلى هذا الموظف العظيم ، وقيل فى بعض المناسبات إن خراج أصفهان كان يجمع فى بيته .

الجيش الإيراني ، ولكن ليس هذا إلا افتراضاً خلواً مما يؤيده من البراهين أما عن توزيع الوظائف المدنية فلسنا نعرف عنه شيئاً قط .

ومع ملاحظة أن الوظائف الوراثية كانت مهمة جدا ، حقا ، إلا أنها لم تكن أعلى وظائف الدولة وأهمها . فليس من المعقول أن تكون الوظائف الأولى فى الدولة وظائف رياسة الوزارة ، وقيادة جيش الملك وغيرهما خاضعة لأن تنتقل بالميراث من رجل لآخر ، كذلك ليس معقولا ألا يكون للملك حق الخيار بين مستشاريه ، بل يكون له إذا أراد أن يتخلص من موظف كبير أن يقتله لكى يخلفه ابنه الأكبر . فإن مثل هذا النظام لا يلائم نظام الحكومة المطلقة التى كانت فى الواقع أساس الحكم فى الدولة الساسانية ، ولو حدث لجر الخراب على الدولة فى زمن قليل[1] . والوظائف الوراثية فى الدولة الساسانية كانت وظائف « شرف » تبين مكانة شاغلها من الأسرات السبع الممتازة[2] وكانت قوة هؤلاء تستند كذلك على دخل إقطاعاتهم ثم على ما بينهم وبين رعاياهم فى الإقطاع من صلة قوية وخاصة فى العهد السابق على قباد وكسرى الأول ، وأخيرا يستمدون قوتهم من أنهم يستطيعون

---

(١) كان منصب الوزير (الردف) فى إمارة الحيرة وراثيا فى يربوع وذلك فى مقابل تنازلهم عن المطالبة بعرش الحيرة (رواية الجوهرى ، أنظر انجر ZDMG Enger ، (١٣) ، ص ٢٤٠ وقارن روذستين ص ١١٢ و ١٣٣) . هذا هو الأسلوب الإدارى الإيرانى الذى يعدو الحدود المعقولة ! فإن هذا لم يكن ممكن التطبيق إلا فى إمارة صغيرة كالحيرة قد وضعت تحت رقابة وحماية دولة كبيرة .

(٢) من الجائز أن التقليد الذى جرى عليه الأكميفيون قد عمل به الساسانيون أيضاً : وهو أن الشاهنشاه كان يتزوج من بنات أسرته أو من بنات الأسر الست الأخرى . وكانت أم كسرى الثانى من أسرة اسپهبذ ، وهى أخت ويستهم (بسطام) وبندويه (نولدكه ، ص ٢٧٣) . وعلى كل حال فإن هذه القاعدة لم تخل من الشواذ . فقد تزوج يزدگرد الأول من بنت رأس الجالوت اليهودى ؛ وقد اتخذ كسرى الأول زوجا له من بنات خاقان الترك ، وتزوج كسرى الثانى من أميرة بيزنطية . ثم أميرات آل ساسان يستطعن الزواج من رجال الأسر الست الممتازة ، وهذا ما يثبته أن ابن أخت كسرى الثانى كان يسمى مهران (نولدكه ، ص ١٤٠) ويشير يوحنا الماميكونى ، Jean le Mamiconien إلى قائد اسمه وَخْشْتَنْشْج وإلى أخيه سورين على أنهما خالا كسرى الثانى (لانجلوا Langlois ، (١) ، ص ٣٧٠ وما بعدها و ٣٧٣)

فى يسر مقابلة « الشاهنشاه » فكان هذا يعطيهم بعض المزايا لكى يعينوا فى أسمى وظائف الدولة .

وقد لبث « الواسپوران » (أبناء البيوتات) يتساندون زمناً طويلا بعد سقوط الدولة الساسانية وانقراض الجمعيـــة القديمة . كتب ابن حوقل فى القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى) يقول : « وبفارس سنة جميلة وعادة فيما بينهم كالفضيلة من تفضيل أهل البيوتات القديمة وإلزام أهل النعم الأولية ، وفيها بيوت يتوارثون فيما بينهم أعمال الدواوين على قديم أيامهم إلى يومنا هـذا »(١) ويذكر المسعودى أيضاً أهل البيوتات فى فارس .

العظماء (بزرگان) : نجد فى تاريخ الساسانيين ، الذى روى بعضه فى كتاب الطبرى فى كل صفحة تقريباً ، ذكراً لاصطلاح « العظماء والأشراف » فكلما ذكر ارتقاء ملك جديد للعرش قيل إن العظماء وأهـل البيوتات اجتمعوا ليقدموا له فروض الولاء وليستمعوا الحديث الذى يتقدم به إلى الشعب ، وأهل البيوتات والعظماء هم الذين عزلوا أردشير الثانى ، وهم الذين قتلوا سابور الثالث(٢) . وقد حاول بعض العظماء وأهل البيوتات أن يبعـــدوا نسل يزدگرد الأول عن العرش(٣) وفى المفاوضات التى جرت مع ملك العرب المنذر فى وراثة العرش كان العظماء وأهـل البيوتات هم الذين يتحدثون(٤) . وأحياناً نجد الاصطلاح المركب « العظماء والأشراف »(٤) والاصطلاحات العربية «أهل البيوتات» و «العظماء» و «الأشراف»(٥) وهى تراجم حرفية للاصطلاحات البهلوية واسپوهران vaspuhran ، وبزرگان

(١) BGA ، (٢) ، ص ٢٠٧ وما بعدها .

(٢) الطبرى ، ص ٨٤٦ ؛ نولدكه ، ص ٧٠ ، ٧١ .

(٣) الطبرى ، ٨٥٨ ؛ نولدكه ، ص ٩١ .

(٤) الطبرى ، ص ٨٥٠ وما بعدها ؛ نولدكه ، ص ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ .

(٥) الطبرى ، ص ٨٣٥ ، ٧٨١ ، ٨٨٣ ؛ نولدكه ، ص ٥٠ ، ١١٣ ، ١٣٣ .

vuzurgan وآزادان Azadhan[1] وأحياناً يذكر كلمة « العظماء » وحدها[2] وتبعا للدور الذى يلعبه « العظماء » فى خلال تاريخ الدولة الساسانية ، ولأنهم يظهرون بانتظام بجوار الأرستقراطية المالكة للأراضى ، فليس هناك أدنى شك فى معرفة إلى أى فريق من الناس يشار بهذا التعبير : إنهم الضباط الكبار للدولة ، إنهم أعلى ممثلى الإدارة ، فالعظماء يشملون الوزراء ورؤساء الإدارة[3] .

الأشراف (آزادان) : لا يزال معنى هـذا الاصطلاح غامضاً . والمفروض أن أن آزادان (ومعناه الأحرار) كان فى الأصل اسما للغزاة الآريين يميزهم عن السكان الأصليين الذين غلبوا على أمرهم ، ولا شك أن الأجناس قد اختلطت إلى حد ما ، وأن هـذا الاختلاط قد أدى إلى نزول كثير من العائلات الآرية إلى طبقة الحراثين المستعبدة وإلى طبقة أهل المدن . وقد أدت إلى هذا التطور أحوال أخرى ، منها : نتائج الحروب والديون والمشاركة المستمرة فى الأراضى . ومن الأسرات الآرية التى احتفظت نسبياً بأصالتها من سما إلى الدائرة القوية الصغيرة دائرة أهل البيوتات بينما كون آخرون طبقة النبلاء الأقل شأناً والتى كثر أفرادها أيام الساسانيين ، والتى كانت مبعثرة فى الدولة ، يعمل عدد كثير منها ، موظفين صغاراً فى إدارة الأقاليم ، وهؤلاء هم الذين احتفظوا لأنفسهم بالكلمة العامة — آزادان — الأشراف .

ومن المحتمل أن نعد الفرسان من هذه الطبقة ، وهم زهرة الجيش الساسانى ، وفى فقرة من تاريخ اليعقوبى[4] تتناول نظام الطبقات أيام يزدگرد الأول فى أوائل القرن الخامس[5] ، يحدثنا المؤلف بأن ضباط الجيش كانوا يسمون الأساورة .

---

(١) نولدكه ، ص ٧١ ، ملحوظة ١ . أما فيما يتعلق بكلمة أهل البيوتات فقارن الصيغة بر — بيتان المأخوذة من واسپوران . ومن بين التراكيب المماثلة التى نجدها فى الطبرى : الوجوه والعظماء (الطبرى ، ص ٩٩٩ ، نولدكه ، ص ٢٨٢) .

(٢) الطبرى ، ص ٨٣٤ ، ٨٤٦ ، ١٠٤٥ ، ١٠٦١ ؛ نولدكه ، ص ٤٨ ، ٦٩ ، ٣٦١ ، ٣٨٦ .

(٣) انظر فيما بعد الإدارة المركزية .

(٤) نشر هوتسما Houtsma ، (١) ، ص ٢٠٢

(٥) انظر الفصل السادس ، والملحق (٢)

والمفروض أن معظم الأساورة كانوا يعيشون إبان السلم من ريع أراضيهم ، فكانوا يزرعونها ويباشرون فلاحها .

وكان من الطبيعي لشعب قد تذوق الفروسية منذ الأزمنة الموغلة في القدم وآثاره يغمرها الميل إلى البطولة أن يكون لطبقة الفرسان المكانة الأولى وأن تلي في الرتبة الأرستقراطية العالية التي كانت أقل عدداً . وسنرى أنه في الزمن الأخير صار لقب فارس (سوار) قيمة اجتماعية أعلى شأناً[1] .

وإلى هذا كانت طبقات النبلاء الذين هم في الدرجة الثانية والذين يذكرون باسم كذگك — خوذايان[2] « رؤساء العائلة » ودهگانان[3] « رؤساء القرية » يستمدون قوتهم من الملكية الوراثية للإدارة المحلية وكان الدهاقين كمجلات لا غنى عنها في آلات الدولة قليلا مايظهرون في الحوادث التاريخية الخطرة ، ومع ذلك كانت لهم قيمة لا تقدر من حيث إنهم أساس متين للإدارة وبناء الدولة . وقد انقسم الدهاقين إلى خمسة أقسام يتميز بعضها عن بعض بملابس مختلفة[4] ويقول صاحب « مجمل التواريخ » إن الدهاقين « هم الرؤساء وملاك الأراضي والقرى[5] » ولكن في أغلب الأحوال لم تكن الأراضي المزروعة التي تؤول إلى الدهقان بالميراث واسعة

---

(١) انظر الفصل الثامن .

(٢) انظر هرتسفيلد Palkuli, glose, ، رقم ٥٦٧ — ٥٧٠ ؛ وقارن بارتلوميه Zur Kenntnis der mitteliranischen Mundarten : Bartholomae ، (٣) ، ص ٣٤ وما بعدها وهذا الاسم الخاص بطبقة اجتماعية وسياسية يتصل بالاصطلاح القديم مانبد الذى يذكر في الكتب الدينية (أنظر قبل ذلك ص ٦ وانظر في كذگك خوذاى ، كلقب لأمراء الأشكانيين ، ص ٨) .

(٣) يبدو أن اصطلاح « دهقان » قد ساد في آخر أيام الدولة الساسانية وأنه بقي في العصور الإسلامية ، ويقال إن طبقة الدهاقين ترجع إلى ويهگرد Vehgard أخي الملك الخرافي هوشنگ (أنظر كريستنسن Christensen في Le Premier homme et le Premier roi dans l'histoire légendaire des Iraniens ، (١) ، ص ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٩) .

(٤) المسعودي ، مروج ، (٢) ، ص ٢٤١ .

(٥) أنظر مول Mohl في ترجمته للشاهنامه ، (١) ، مقدمة ، ص ٧ .

جداً ، وأحياناً لم يكن الدهقان نفسه إلا أول فلاحى الناحية[١] ، فلم يكن إذاً للدهقان ، قبل الفلاحين ، ما للسادة مالكى الأراضى من الأرستقراطية الرفيعة : إن هؤلاء ممثلو الحكومة أمام حراثى الدولة وعلى هذا الاعتبار كانت وظيفة الدهاقين الأصيلة أن يتسلموا الضرائب وإليهم يعود الفضل خاصة فى أن الدولة القليلة الخصب ، قد استطاعت بوجه عام أن تتحمل النفقات التى اقتضتها المعيشة المترفة فى بلاط الملك وأن تقدر على الحروب التى تتطلب تكاليف باهظة ، من غير أن ينوء بها هذا العبء . إذ كانوا يعرفون البلاد والسكان معرفة جيدة . وبعد الفتح العربى ، لم يستطع الغزاة رغم عنفهم أن يستولوا على ما فى إيران من النقود التى جمعها ملوك الساسانيين ، دون أن يتحالفوا مع الدهاقين[٢] .

الإدارة المركزية

رئيس الوزراء

كان كبير الوزراء رئيساً للإدارة المركزية ، وكان يلقب أولا بـ « هزاربد » . ومن قبل كان هزارپاتى Hazarpati أيام الأكمينيين (فى الأصل رئيس ألف رجل) أول موظف فى الدولة ، الوظف الذى يدير الملك الدولة بواسطته[٣] ، وقد استمر

(١) نولدكه ، الطبرى ، س ٤٤٠ .

(٢) أنظر ڤان ڤولتن Verhand. d. Koninkl. Akad. ، Van Wetenschapen أمستردام ، ١٨٩٢ ، س ١٣ وما بعدها .

(٣) وقد لقب بهذا اللقب هفائستيون Héphaistion أيام الإسكندر ، وحمله بعد هذا پردكاس Perdicaas (أحد قواد الإسكندر وقد قتل سنة ٣٢١ ق . م بعد أن انى الهزيمة فى مصر على يد بطليموس) . وقد نصب انتيپتر Antipater كاسندر Cassandre شيلياركا تحت وصاية پوليسپركن Polysperchen ويضيف ديودور Diodore (١٨ ، ٤٨) ملاحظة يقول فيها إن الشيليارك كان يشغل أسمى مرتبة فى الدولة بعد الملك عند الفرس ، (أنظر ماركات Marquart ، Philogus ، ج (٥٥) ، ص ٢٢٧ وما بعدها ، ومقالة پولى ويسوا Pauly-Wissowa فى « Realencyklopädie » . ولقب هزاربد يوجد فى نقوش پيكولى (هرتسفيلد ، gloss ، ٣٨٢) .

هذا اللقب أثناء حكم البرتيين ثم انتقل منها إلى العهد الساسانى ، ويذكر الأرمن كبير وزراء إيران باسم «هزاربت دران ارياتس»[١] hazarpet dran Ariats (شيليارك فى البلاط الإيرانى) وقد وصف مهر نرسى كبير وزراء يزدگرد الثانى فى خطاب وجه إليه بأنه « هزاربت إيران وغير إيران » وهذا الوزير عينه يسمى نفسه حين يكتب إلى الأرمن (بزرگ فرمادار[٢] إيران وغير إيران[٣]) ونعرف من الطبرى (نولدكه ص ١١١) أن هذا هو لقبه الرسمى . وهناك نصوص من المسعودى واليعقوبى تشهد شهادة مقنعة بأن لقب بزرگ فرمادار كان لقب الوزير الكبير إلى آخر العهد الساسانى ويبدو أن كلمة (در اندرزبد) Dar-andarz badh — ناصح أو أمين البلاط — كانت لقبا آخر للبزرگ فرمادار[٤] .

ومن بين الذين شغلوا هذا المنصب أبهر سام أيام أردشير الأول[٥] ، وخسرو يزدجرد أيام يزدجرد الأول[٦] ومهر نرسى الملقب هزار بندگ (صاحب ألف رقيق) أيام يزدجرد الأول ووهرام الخامس[٧] وسورين پهلو أيام بهرام الخامس[٨] والمعلومات المباشرة التى لدينا عن نفوذ وسلطان بزرگ فر مادار قليلة .

---

(١) تشبيهاً بلقب الشاهنشاه « شاهنشاه إيران وغير إيران » .

(٢) بالأرمنية ozurg-hrama (na) tar (انظر هوبشمان Arm. Gramm: Hübschmann (١) ، ص ١٨٢ — ١٨٣) ومعناها «صاحب الأمر الكبير» (انظر هرتسفيلد ، Paikuli، رقم ٤٣٥) وتطلق كلمة فرمادار وحدها — الأمر أو الحاكم — على موظف دينى كبير فى المذهب الزردشتى ، ولكن مهمة هذا الموظف لم تعرف (وست Pahlavi Texts West ، (١) ، ص ١٤٥ ، (٢) ص ١٥٢ ، ٢٧٦) .

(٣) لانجلوا Elyseé Langlois ، ج (٣) ، ص ١٩٠ ، ١٩٢ .

(٤) انظر الملحق (٢) ، وقارن هرتسفيلد پيكولى ، رقم ١٠٠ ، : دراندرزبد = اندرزبذ طيسفون .

(٥) الطبرى ، ص ٨١٦ ؛ نولدكه ، ص ٩ ؛ كريستنسن A.O. ، (١٠) ، ص ٤٣ وما بعدها كان أبهر سام « ارجبذ » فى الوقت نفسه ، فهو ينتسب إذاً إلى الأسرة الساسانية ،

(٦) لابورت ، ص ٩٧ .

(٧) الطبرى ، ص ٨٤٩ و ٨٦٨ وما بعدها ؛ نولدكه ، ص ٧٥ وما بعدها و ١٠٨ وما بعدها .

(٨) لازار الفربى ، لانجلوا ، (٢) ، ص ٢٧٠ .

ومن البديهى أنه كان مكلفا بإدارة دفة الأمور فى الدولة تحت رقابة الملك ، وكان فى كثير من المسائل يتصرف بما يرى ، وأنه كان كذلك يقوم مقام الملك حين يكون هذا فى رحلة أو فى الحرب(١) وكانت المفاوضات الدبلوماسية من اختصاصه بل كان يستطيع أن يحصل على قيادة الجيش أحيانا(٢) والخلاصة أنه وهو مستشار رئيس للملك ، كان يجمع فى يديه كل إدارة الدولة وكان يتدخل فى كل شىء(٣) . وكبير الوزراء (بزرگ فرمادار) الأمثل كان الرجل المثقف ثقافة كاملة ، الممتاز فى سلوكه ، المتقدم لأهل زمانه(٤) النبيل الطبع ، الحذر ، الذى له فى الحكمة عملية ونظرية بصر(٥) ، القادر على التأثير فى الملك إذا اتبع الهوى(٦)

ومنصب رئيس الوزراء على الصورة التى عرف بها فى عهد الخلفاء ، وهى الصورة التى احتفظ بها فى جميع الدول الإسلامية ، هو صورة صحيحة لما كان عليه أيام الدولة الساسانية(٧) . وكذلك فما يذكره كتاب العرب فى السياسة عن منصب كبير الوزراء ذو قيمة فيما يرجع إلى البزرگ فرمادار أيام الدولة الساسانية بوجه عام

وقد كان للوزير ، كما يرى الماوردى السلطان التام الذى كان للخليفة وإنما يجب عليه أن يعلم الخليفة بجميع تصرفاته وذلك لإظهار ولائه وخضوعه له . كذلك كان لزاما على الخليفة أن يراجع ويراقب جميع أعمال وزيره . ومع ذلك كانت سلطة الوزير محدودة فى ثلاث نقط :

الأولى : أنه لم يكن فى سلطته أن يعين بنفسه خلفه أو من يقوم مقامه . والثانية :

---

(١) الطبرى ، ص ٨٦٦ وما بعدها ؛ نولدكه ، ص ١٠٦ .

(٢) الطبرى ، ص ٨٦٨ ؛ نولدكه ص ١٠٦ .

(٣) فى القرن السادس تضاءلت سلطات ال بزرگ فرمادار . أنظر الفصل السابع والملحق الثانى .

(٤) الطبرى ، ص ٨٤٩ ؛ نولدكه ، ص ٧٦ .

(٥) المثل على ذلك بزرگمهر ، انظر كريستنسن A.O. ، (٨) ، ص ٨١ وما بعدها

(٦) الطبرى ، ص ٨٤٩ ؛ نولدكه ، ص ٧٧ .

(٧) Enger فى ZDMG ، (١٣) ، ص ٢٤٢ .

لا يجوز له أن يطلب إقالته من الشعب لأنه يتصرف باسم الملك لا باسم الشعب .
الثالثة : لا يستطيع أن يعزل أو ينقل الموظفين الذين عينوا بناء على أمر ملكي من غير استئذان من الملك[1] . والنقطة الثانية من هذه النقط الثلاث ترجع إلى الخلافة التي وضعت بذورها في بلاد ديمقراطية ، ولكن بقطع النظر عن هذه النقطة كانت العلاقة بين الملك الأعظم ووزيره (بزرگ فرمادار) ، في صميمها هي نفس العلاقة التي وجدت ، بعد زوال الدولة الساسانية ، بين الوزير والخليفة . وقد جاء في الكتاب العربي المسمى (دستور الوزراء) : « كان ملوك الفرس يمجدون وزراءهم أكثر من أي ملك آخر وكانوا يقولون إن الوزير هو منظم أعمالنا وزينة دولتنا ، إنه لساننا الذي نعبر به وسلاحنا الذي أتاح لنا أن نضرب أعداءنا في البلاد البعيدة »[2] .

رجال الدين

كان المغان في الأصل قبيلة ميدية أو بالأحرى كانوا طبقة خاصة بين الميديين وكان لهم امتياز الرياسة الروحية في الديانة المزدية غير الزردشتية[3] . وعندما اجتاحت الزردشتية الأقاليم الغربية ، ميديا وفارس بمعناها الخاص ، أصبح المغان السادة الروحانيين للدين الجديد . وتشير الأوستا إلى طبقة الروحانيين بالاسم القديم آثروان ، ولكن التسمية العادية لهذه الجماعة أيام الأشكانيين والساسانيين هي المغان .

وقد استمر المغان يعدون أنفسهم قبيلة ، ويعتبرون أنفسهم طبقة من الناس « نشأوا من قبيلة واحدة وجلبوا على خدمة الآلهة »[4]

وقد سار رجال الدين في الدولة الساسانية مع نبلاء الإقطاع جنبا إلى جنب ،

---

(١) المرجع السابق ص ٢٤٢ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٤٠ .
(٣) انظر كريستنسن في Die Iranier ، ص ٢٨٩ وما بعدها .
(٤) أمين مرسيلن ، (٢٣) ، ٦ ، ٣٤ .

وفى أثناء عهود الانحلال كان رجال هاتين الطبقتين ، رجال الدين والنبلاء ، يتحدون ضد الملك ولكنهما ظلا دائما منفصلين كطائفتين لكل منهما تطوراتها الخاصة بها . ولست أعرف على قدر ما قرأت ، فردا من أفراد الأسر النبيلة الكبيرة المعروفة لنا فى العهد الساسانى شغل وظيفة موبذان موبذ[١] . فقد كان الرؤساء الروحانيون يختارون دائما من بين قبيلة المغان التى تزايدت على مر العصور[٢] . وكان رجال الدين ينسبون أنفسهم نسبا يرجع إلى التاريخ الخرافى المجيد لإيران ، لكى يتساووا مع العائلات النبيلة الكبيرة . فبينما الساسانيون يرقون بأنفسهم إلى الأسرة الأكمينية ، إلى كاوى ويشتاسپا (گشتاسب) حامى زردشت ، وبينما معظم الأسر الكبيرة الأخرى ينتسبون إلى أصل مجيد من الأشكانيين ، انتسب الموابذة إلى جدهم الملك الخرافى منوچيترا الذى هو من أسرة پرذاتا الخرافية ، وهو أقدم كثيرا من ويشتاسپا جد الأسرة الساسانية[٣] ، وقد أسبغت السلطة الروحية على السلطان الدنيوى طابعها المقدس وكانت تدخل فى الوقت نفسه فى حياة كل فرد فى كل أمر مهم فهى بهذا المعنى كانت تلازم الرجل من المهد إلى اللحد . « فإن الجميع يجلون اليوم المغان وينظرون إليهم بكثير من التعظيم فالأشغال العامة منسقة وفق نصائحهم وإرشادهم ، وهم يتولون بنوع خاص قضايا المتخاصمين فيقومون عليها بعناية تامة ثم يقضون فيها ولا يحل الفرس أى شىء أو يرونه عادلا ما لم يقل رجال الدين بذلك[٤] » .

ولا يستند تأثير المغان إلى سلطانهم الروحى وإلى حق القضاء الذى خولتهم الدولة ، وإلى سلطانهم فى إثبات شهادات الميلاد وعقود الزواج وغيرها ، وإلى قيامهم بالتطهير ورعاية القرابين فحسب ، ولكن تأثيرهم يستند أيضاً إلى أراضيهم التى

---

(١) يروى أن زروان داذ بن مهر نرسى (من أسرة سپندياد) أصبح هربذان هربذ .

(٢) قارن الأسرة الكبيرة « السادة » فى جماعة الشيعة .

(٣) الفصل ٣٣ من ترجمة وست West ؛ ص ٢٣٧ من البندهشن الإيرانى (طبعة انكلساريا) ووفقا لشجرة النسب التى يذكرها الطبرى (ص ٨٧٧ — ٨٧٨ ؛ نولدكه ، ص ١٢٧ — ١٢٨) فإن أسرة قارن كانت تنتسب إلى منوچيترا هذا .

(٤) أجاثياس ، (٢) ، ٢٦ .

يملكونها وإلى مواردهم الغزيرة التى يجنونها من الغرامات الدينية ، والعشور والهبات ومن ناحية أخرى كانوا يتمتعون باستقلال بعيد المدى ، إنهم كانوا يكونون بالتقريب دولة داخل الدولة . ثم إنه فى أيام سابور الثانى ، كانت ميديا ، وخاصة آذربيجان (Atroptene) إقليم المغان . هناك كانت أراضيهم الخصبة ، وكان لهم بيوت قروية لم تكن لها أسوار لحفظها[١] ، وكانوا يعيشون وفقا لقوانينهم الخاصة[٢] وبالجملة كان كبار رؤساء هذه الطائفة يملكون عقارات كبيرة .

ورجال الدين الزردشتيون يكونون جماعة مرتبة غاية الترتيب ولها درجات منسقة ليست لدينا عنها معلومات دقيقة . والمغان (وتكتب مگوان أو مگوگان) كانت الطبقة الكبيرة من رجال الدين الصغار . وكان رؤساء المعابد الكبيرة يلقبون فيما يظهر بلقب مُغَان مغ (وتكتب مگوان مگو أو مگو مگوان)[٣] والطبقة العليا من رجال الدين تشمل الموابذة (مگوپت ها)[٤] . وكانت الدولة كلهامقسمة إلى مراكز دينية على رأس كل منها موبد . ولدينا كثير من الحجارة الكريمة عليها صور ونقوش الموابذة ، منها : پابگ (موبد خسرو شاد هرمزد) وويد شاهپور (موبد أردشير خوره) ، وفرخ شاهپور (موبد إيران خوره شاهپور) ، وبافرك (موبد ميشان)[٥] .

ورئيس الموابذة جميعاً ، الذى هو عند الزردشتيين بمثابة «البابا» عند النصارى يسمى موبذان موبد . وأول ما نسمع عن هذا الرجل الدينى الكبير ، أن أردشير

---

(١) وكان كبار رجال الدين محيين بصفتهم الدينية .

(٢) أمين مارسيلن (٢٣) ، ٦ ، ٣٥ .

(٣) خاتم كل من بافرك وقياد . وكان أولهما مغان مغ لمعبد نار آذرگشنسپ (أنظر الكلام عن هذا المعبد فى الفصل الثالث) . هرتسفيلد ، پيكولى ، س ٨٢ .

(٤) يقصد الكتاب الإغريق واللاتين بكلمة — مجوس — المغان والموابذة بلا تمييز . وعلى العكس من ذلك كتاب العرب والفرس فإنهم يستخدمون كلمة موبد غالباً للدلالة على جميع طبقات رجال الدين البرسيين .

(٥) هرتسفيلد ، پيكولى ، س ٧٩ — ٨١ .

الأول قد عين موبدان موبد رجلا قد يكون اسمه ما هباد(١) ومن المحتمل أن يكون هذا المنصب قد وجد من قبل . ولـكنه لم يكن له هذا الخطر العظيم إلا حين أصبح الدين المزدى دينا رسميا للدولة الساسانية .

وممن شغلوا منصب موبدان موبد بهگك وخليفته آذرباد مَهْرَسپندان أيام سابور الثانى ، ومهر وَرَاز ، ومهر آگاوبذ(٢) ومهر شاهپور أيام وهرام الخامس ، وآزاد سذ أيام كسرى الأول(٣) .

وكان للموبدان موبد السلطة العليا فى المسائل الدينية ، فإليه يرجع الفصل فى المسائل النظرية فى الأصول والفروع ، وهو الذى يفتى فى المسائل العلمية وفى السياسة الروحية . والموبدان موبد بلا شك هو الذى يعين ويعزل الموظفين الدينيين . ومن ناحية أخرى كان الملك يعينه كما تدل كل الظواهر . وهو يشترك فى تـكوين هيئات محاكم التفتيش وخاصة فى الأقاليم التى يشتد فيها العداء للدين(٤). وقد كان — أو ينبغى أن يكون — مستشاراً للملك فى جميع الأحوال التى تمس الدين(٥). وكان من الممكن أن يكون له تأثير قوى فى جميع شئون الدولة بوصفه الرائد الخلق والمرشد والمسير الروحى للملك(٦).

وكان الهرابذة يديرون المراسيم الدينية فى المعابد مما يتطلب معارف خاصة وتجربة

(١) الطبرى ، ص ٨١٦ ؛ نولدكه ، ص ٩ (بهشر ؟) وانظر كريستنسن فى .A.O ، (١٠) ، ص ٤٩ — ٥٠ .

(٢) بندهشن ، وست ، الفصل ٣٣ ، وطبعة انـكلساريا ، ص ٢٣٦ وما بعدها .

(٣) برون Ansgew. Akten persischer Märtyrer O. Braun ، ص ٢١٣ .

(٤) انظر الفصل السادس .

(٥) قارن الطبرى ، ص ٩٦٥ ، نولدكه ، ص ٢٥٠ ، على سبيل المثال .

(٦) انظر الدور الذى لعبه كبير الموابذة والموابذة عامة فى شاهنامة الفردوسى . وقارن « النهاية » ص ٢٤٠ ، ٢٢٧ حيث يقول إن الموبدان موبد يفتح وصية الملك الميت ويقرأها أمام ولده وخليفته . وانظر الفصل السادس فيما يختص بمركز الموبدان موبد فى اختيار الملك فى بعض العهود . وانظر الطبرى ص ٨٦٢ ، ونولدكه ص ٩٧ فيما يختص بالموبدان موبد كالأب الروحى للملك .

عظيمة ؛ وهم المسمون آثترا پايتى Aéthra paitli فى الأوستا . ويعرف الخوارزمى[١] كلمة هربذ بأنه « خادم النار » . ويروى الطبرى أن كسرى الثانى قد أمر فبنيت بيوت النيران وأقام فيها اثنى عشر ألف هربذ للزمزمة[٢]. والدليل على ما كان يتمتع به الهرابذة من الشرف أن أحدهم كان يحكم إقليم فارس أميراً دينياً فى القرن السابع حين فتح العرب هذا الإقليم[٣] .

والرئيس الأعلى للهرابذة هو الهربذان هربذ . وهو يظهر فى بعض عصور العهد الساسانى ، على الأقل ، بين أعظم الشخصيات ، تالياً للموبذان موبذ[٤]. ومن بين رؤساء الهرابذة يذكر تنسر ، الذى عاون أردشير على تنظيم شئون الدين الرسمى[٥] وزروان داد بن مهر نرسى « الذى قصد به أبوه للدين والفقه فأدرك من ذلك أمرا عظيما »[٦] ويستنتج من هذه الفقرة التى أوردها الطبرى أن الوظائف القضائية كانت من اختصاص الهربذان هربذ ، ويقول المسعودى صراحة إن الهرابذة كانوا يصدرون أحكاما بوصفهم قضاة[٧] . ومن الموظفين الدينيين الآخرين الذين نستطيع أن نحدد اختصاصاتهم بالتأكيد ال : وردَبذ (أى أستاذ العمل)[٨] وال : دَسْتوَر الذى كان

---

(١) مفاتيح العلوم ، نشر ڤان ڤولتن ، ص ٢١٦ ، أونوالا ، J. Cama. Or. Inst. سنة ١٩٢٨ ، ص ٤ و ١٣ .

(٢) الطبرى ، ص ١٠٤١ — ١٠٤٢ ، نولدكه ، ٣٥٣ . ولا شك أن هذا العدد مبالغ فيه . ويشرح اليعقوبى كلمة هربذ بقوله إنه « حافظ النار » ، طبعة هوتسما ، (١) ، ص ٢٠٢ . وفى النهاية ، ص ٢٢٨ ، كان الهربذان هربذ هو الذى يعلن الملك بأن النار المقدسة قد خبت .

(٣) انظر فى الفصل الثالث تفصيلات عن معابد النار والعبادات .

(٤) انظر الملحق الثانى .

(٥) دينكرد ، نشر پيشوتين سنجانا ، (٩) ، ص ٤٥٠ و ٤٥٦ ، الترجمة ، ص ٥٦٩ و ٥٧٨ . وانظر كريستنسن ، A.O. ، (١٠) ، ص ٤٥ — ٤٧ . وقارن الفصل الثالث .

(٦) الطبرى ، ص ٨٦٩ ، نولدكه ، ص ١١٠ .

(٧) مروج الذهب ، (٢) ، ص ١٥٦ .

(٨) بنڤنست فى Revue des études arméniennes ، (٩) ، ص ١٠

خبيرا بالمسائل الدينية ، فهو رجل دين ومشرع يلجأ الناس إليه لحسم القضايا المشتبه فيها[١] . وعلاوة على هذه الوظائف كان هناك وظيفة عليا هي «مغان أندرزبد أو مگوگان أندرزبد (أي مؤدب المجوس)»[٢] . وكان لرجال الدين ، في علاقاتهم مع الجمهور ، وظائف متعددة ومتفاوتة : إجراء أحكام الطهارة ، والاعتراف ، والعفو والغفران ، والحكم بالغرامة بعد الإقرار بالذنب ، ثم إقامة المراسم العادية في المواليد وفي وضع الحزام المقدس والزواج والجنازات[٣] وسائر الأعياد الدينية المختلفة .

وإذا عرفنا كيف أن الدين يتدخل في أقل أمور الحياة اليومية شأنا وإلى أي حد كان الفرد العادي معرضا ، ليلا ونهارا ، لأن يقع في الإثم أو النجاسة لأقل غفلة تبدو منه ، لفهمنا أن وظيفة رجال الدين لم تكن قط وظيفة تشريف ، وأن رجل الدين الذي لم يرث منقولا أو عقارا يستطيع بسهولة أن يجني ثروة طائلة بفضل أعماله المختلفة[٤] .

كان على الفرد أن يصلي للشمس أربع مرات أثناء النهار ، وعليه أن يصلي للقمر ، وللنار ، والماء ، وعليه أن يرتل الأدعية قبيل النوم وحين يصحو ، وأثناء الاستحمام والتمنطق بالحزام وأثناء الأكل ، وحين يذهب إلى الضرورة ، وإذا عطس ، وإذا حلق شعر رأسه أو قلم أظافره ، وحين يضيء السراج وهكذا . ونار البيت لا يجوز أن تخبو ولا يجوز أن تقع الشمس على النار ، ولا يجوز أن يقترب الماء والنار ، وآنية المعدن ينبغي أن لا تصدأ لأن المعادن كانت مقدسة ، والمراسيم الضرورية

(١) جمع أردشير الأول الدساترة والموابذة كلهم حين أراد أن يحدد نص الأوستا . وتستخدم كلمة دستور أحيانا بمعنى أعم لتدل على جميع أعضاء الديانة الزردشتية .

(٢) اليزيه ، انظر هوبشمان ، Armen. Gramm ، (١) ، ص ٩٩ ، هوفمان ، ص ٥٠ — ٥١ . ويهينه ، مگوگان اندرزبد ، المشرع ، أنظر المقدمة ص ٤٣ . أما وظيفة مس مغان « رئيس المغان » التي نجدها في دماوند أيام الفتح العربي والتي ظلت مستخدمة بعد الهجرة بحوالي قرن ونصف فإنها لا ترجع إلا للأزمنة المتأخرة من العصر الساساني (ماركارت ايرانشهر ، ص ١٢٨) .

(٣) انظر ص ٢٣ فيما يختص بعرض الجثث في الداخمات .

(٤) دينكرد ، (٨) ، ٢٠ ، ٤٤ .

للتطهير من لمس ميت أو امرأة حائض أو نفساء وخاصة إذا وضعت طفلا ميتاً ، كل هذه التكاليف كانت متعبة للغاية وصعبة جدا . وقد رأى أردگ ويراز ، الولى الزردشتى الكبير ، رأى فى النار ، بين القتلة وأهل اللواط والحانثين فى أيمانهم وغيرهم من كبار المجرمين ، أفرادا أذنبوا بأن اغتسلوا بالماء الساخن أو ألقوا بأشياء نجسة فى النار أو الماء ، أو تكلموا وهم يأكلون أو بكوا الموتى أو مشوا حفاة الأقدام .

وقد ذكرت تفصيلات عن مركز رجال الدين فى هيربدستان (قانون الروحانيين) وال : نيرنجستان (قانون المراسيم الدينية) ، وهما قسمان من نسك هُوسْپارم أحد الكتب المفقودة من الأوستا الساسانية[١] . ويتناول الهيربدستان بين ما تناول من موضوعات مسائل إرسال رجل من رجال الدين للتعليم أو تنفيذ المراسم الدينية فى الجهات المختلفة ، والوسائل التى عليه أن يتخذها ليضمن استمرار العبادة فى هذه الجهات أثناء غيابه ، ثم عن استخدام امرأة وغلام بشروط خاصة ، ليعاونا فى إحياء المراسيم الدينية وما شابهها .

وفى قسم آخر من نسك هو سپارم شىء عن الأجر الذى يدفع للزاُوتر مقابل تعليمه ، وهو موظف كبير للقيام على أمور بيت النار[٢] وسائر أمور الدين[٣] . ويلتزم بنفقات الرئيس الروحى واحتياجاته فلاحو القرية[٤] .

ولم يكن تنفيذ مراسيم الحفلات الدينية كل ما على رجال الدين من أعباء ، بل كان عليهم توجيه الشعب أخلاقياً ، كانت لهم حكومة الأرواح . وكان التعليم الابتدائى والعالى ، بوجه عام ، فى أيدى رجال الدين وهم يختصون وحدهم بجميع فروع علوم

---

(١) ملخصة فى الدينكرد ، (٨) ، ٢٨ ، ولا يزال قسم من هذين القسمين موجود بالزنكوغراف Nîrangestân ، نشر داراب دستور پيشتوان سنجانا ، بمباى ، ١٨٩٤ ؛ الترجمة الانجليزية لبلسارا ، بمباى ، ١٩١٥ .

(٢) انظر التفصيل من المراسيم الدينية فى الفصل الثالث .

(٣) دينكرد (٨) ، ٣١ — ٢٠ .

(٤) دينكرد (٩) ، ٤١ ، ١٦ ؛ وفقا لما جاء فى نسك ورشتمانسر وهو كتاب آخر من الأوستا الساسانية .

الزمان . وقد كان هناك آداب دينية وفقهية متسعة للغاية ، عدا الكتب المقدسة وشروطها . ويشير[١] اليزه Elisée إلى موبد — رئيس المجوس — قد اكتسب بفضل تبحره فى علوم الدين لقباً فخرياً هو « همگث دين » (الذى يعرف الدين كله) ، فقد قرأ الكتب الخمسة التى تحوى نظرية المجوس وهى : آنبرتمكاش[٢]، بزپائيث[٣] ، پهلويگث ، پارسيگث دين ، (الدين الفارسى) ويعرف علاوة على هذا مذهب الموابذة الخاص .

أما الوظائف القضائية لرجال الدين فقد تناولت بحثها فى الفصل السادس .

المالية

يلى الواستريوشانسالار رياسة الضريبة العقارية[٤] وكلمة واستريوشانسلار أو واستريوشبد معناها رئيس الزراع . فإن على الزراعة يقع عبء الضريبة العقارية . وبما أن الضريبة تفرض حسب الخصوبة وجودة زراعة القرى ، أو رداءتها ، فقد أصبح على الواستريو شانسالار أن يسهر على زراعة الأرض وريها وغير ذلك . ومن المحتمل أن يكون الوستريو شانسلار على رأس مصلحة الأموال ويظن أن اختصاصه لم يكن يشمل الضريبة العقارية وحدها بل وسع الضريبة الشخصية أيضاً . ذلك لأنه يلقب بلقب آخر هو هو توخش بد (رئيس الصناع) أو رئيس كل من يمتهن حرفة يدوية عبيداً أو حراثين أو تجاراً . . . فكان عليه ، فى الجملة ، أن يكون وزير المالية . وكانت هذه الوزارة تتضمن وزارت الزراعة والعمل والتجارة .

---

(١) لانجلوا (٢) ، ص ٢٣٠ .

(٢) ربما اختبأ وراء هذه الصيغة التى أصبحت ارمنية : امبرد كيش پهلوى ، وقد يكون معناها بالتقريب « مجموعة كاملة للمذاهب الدينية » .

(٣) البهلوى bszpatit ، الاعتراف بما اقترف من ذنب . أنظر پتازونى فى كلامه عن صلاة الاعتراف التى هى بدعة فى العصر الساسانى ، ترجع فيما يظهر إلى تأثير ديانات أجنبية (المسيحية ؟ المانوية ؟) ، فى Modi Mem. Vol. ، ص ٤٣٧ وما بعدها .

(٤) الطبرى ، ص ٨٦٩ ؛ نولدكه ، ص ١١٠ . وقارن هرزفيلد ، پيكولى ، رقم ٢٧٤ .

ويعرف ممن شغلوا وظيفة واستر يوشانسالار گشنسپاذار قبل ارتقاء بهرام الخامس[١] وماه گشنسپ بن مهر نرسى[٢]، ويزدين ، المسيحى أيام كسرى الثانى[٣].

ومن بين كبار موظفى المالية ينبغى أن نشير إلى ولاة الخراج (آمار كاران) فإيران آماركار من المحتمل أن يكون نائباً عن كبير الوزراء (بزرگ فرمادار)[٤].

وقد يكون من الصعب أن نعرف اختصاصاته بالنسبة للوستريوشا نسلار . ثم هناك در آماركار (وهو رئيس محاسبى البلاط أو القصر الذى يقيم به الملك)[٥] وواسپوران آماركار (والى الخراج الذى تتقاضاه الدولة من أراضى الواسپوران)[٦] وشهرپوامارکر (والى خراج (الستربى) ؛ ويبدو أن هذا كان ضابطاً من ضباط إدارة الإقليم[٧] ، وكذلك نعرف آذرباذگان آماركار (والى خراج آذربيجان)[٨].

وربما اقب خازن مال الملك بلقب « گنجور »[٩]. ويرى هرتسفيلد أن حارس المسكوكات كان يحمل لقب گهبذ[١٠].

وكانت المصادر الرئيسية للدخل فى الدولة تتكون من الضريبتين العقارية

---

(١) الدينورى ، ص ٥٧ .

(٢) الطبرى ، ص ٨٦٩ ؛ نولدكه ، ص ١١٠ .

(٣) الطبرى ، ١٠٦٠ ؛ نولدكه ، ٣٨٣ .

(٤) أنظر الملحق الثانى فى جزئه الأخير .

(٥) أنظر هرتسفيلد ، پيكولى ، ص ٨٠ — ٨١ .

(٦) المرجع نفسه ، رقم ٥٠ — ٥١ .

(٧) المرجع نفسه ، رقم ٥٣٨ .

(٨) أنظر پشوموف ونيبرج فى Bulletins de la Société scientifique d'Azer-béïdjan ، ٢٦ ، ٣٤ .

(٩) هوبشمان ، Armen. Gramm ، (١) ، ص ١٢٦ .

(١٠) پيكولى ، رقم ١٢٧ .

والشخصية[١] ، وكانت الضريبة الشخصية تحدد مرة واحدة بمبلغ سنوى محدد ، وعلى السلطات المختصة أن توزعه بقدر استطاعتها بين دافعى الضريبة . وكذلك كانت الضريبة العقارية تجبى بنفس الطريقة . فإن التقدير يتم حسب ما تنتجه الأرض من غلات ، وعلى كل قرية أن تدفع من السدس إلى الثلث ، حسب خصوبة الأرض[٢].

ولكن توزيع وتحصيل الضرائب كثيراً ما كان سبباً فى الجور وسوء الحصيلة من ناحية الموظفين ، ولأنه تبعاً لهذه الطريقة كانت مبالغ الدخل تتفاوت كثيراً من سنة لأخرى ، فإنه كان من غير الممكن عمل حساب تقريبى مقدماً للحالة المالية واستخدام ما يجبى منها . ومن ناحية أخرى ، كانت الرقابة على ذلك غاية فى الصعوبة . وكان ينتج عن ذلك غالباً أن تفاجئ الحرب الدولة فيعوزها المال ، وفى هذه الحال كان ينبغى فرض ضرائب استثنائية ، وكان عبئها الفادح يقع غالباً على الأقاليم الغربية الغنية وخاصة العراق (بلاد بابل) .

وكثيراً ما يشار إلى إعفاء الزراع من الضرائب الباقية عليهم حسب النظام القديم . وقد كان ذلك للملك الجديد وسيلة لتقربه من الشعب . وقد حط بهرام الخامس عند ارتقائه العرش الضرائب التى لم تحصل وقد بلغ مقدارها سبعين مليوناً من الدراهم . كما أمر بترك الثلث من الضريبة العقارية التى تستحق فى السنة التى ولى

---

(١) وعندما خضعت إيران للعرب استخدم اللفظان الخراج والجزية ؛ والأولى فى البهلوية خراج والثانية هى جزية الآرامية التى أدخلت فى البهلوية كلفظ مستعار (انظر نولدكه ، طبرى ، ص ٢٤١ ، ملحوظة ١) . وقد استعملت الكلمتان فى القرن الأول الإسلامى من غير تفرقة بينهما للدلالة على الضريبة العقارية حينا وعلى الضريبة الشخصية حينا آخر . ويقول نولدكه أيضاً إنهم كانوا يطلقون كلمة خراج فى ذلك الزمان على الجزء من الدخل الذى يلزم العبد بدفعه إلى سيده وفقا لنظام المعاملات . ونجد فى المدود كلمة Kharagâ بمعنى الضريبة الشخصية . وكذلك نرى أن استخدام كل من هاتين الكلمتين بمعناها الصحيح ، أيام الساسانيين ، مشكوك فيه . فإن هذا المعنى الاصطلاحى لم يحدد إلا فى النصف الأول من القرن الثامن الميلادى أيام العرب ، ومنذ ذلك الوقت أصبحت كلمة خراج تطلق على الضريبة العقارية ، وكلمة الجزية تطلق على الضريبة الشخصية (أنظر ولهاوسن ، Das arab. Reich. ، ص ١٧٣ و ٢٩٩ ؛ بيكر ، Beiträge zur Geschichte Agyptens ، ص ٨٧ و ١١٠ .

(٢) أو كما يقول الدينورى من العشر إلى نصف المحصول (ص ٧٢) . وكذلك كان يدخل فى التقدير قرب القرى أو بعدها من المدينة .

فيها(١). وقد أعفى الملك فيروز الشعب ، أثناء القحط ، إعفاء نهائياً من الخراج والجزية ، وكذلك مما كان يدفعه الناس من الأموال للمنافع العامة كما أعفاهم من السخرة وغيرها من الأعباء(٢) .

ويضاف إلى الضرائب المنظمة الهبات العادية ، التى تسمى آيين والتى يحسب منها التحف التى تقدم للملك — جبرا — فى عيدى النوروز والمهرجان(٣) . ومن أهم موارد الدخل ، فيما أظن ، ما تغله الأملاك الخاصة (أملاك الملك) وما كان للملك من الحقوق على الموارد الأخرى ، وقد كان من بين هذه الحقوق حقوقه فى مناجم الذهب فى فرانجيون ، بإقليم فارس أرمينية(٤) . وكانت غنائم الحرب مورداً غير منتظم من موارد الدخل . يقول كسرى الثانى(٥) وهو يفتخر بانتصاره فى الحرب ، إنه غنم منها الذهب والفضة والجواهر من كل صنف والنحاس والفولاذ والحديد والأطلس والسندس والمواشى والأسلحة والنساء والأطفال والأسرى من الرجال .

وكذلك كان دخل الجمارك مورداً من موارد الدخل ، نستنتج ذلك من معاهدة الصلح التى عقدت بين كسرى الأول والإمبراطور جستنيان سنة ٥٦٢ ميلادية فقد اشترط فى المادة الثالثة من هذه المعاهدة على أن يستمر التجار الفرس والروم فى تبادل جميع أنواع البضائع ، كما كانوا يفعلون منذ الأزمنة الغابرة ، ولكن على أن تمر البضائع بالمكاتب العادية بالجمرك .

وتقول المادة الرابعة من هذه المعاهدة إن المبعوثين والمسافرين الرسميين من كل

---

(١) الطبرى ، ص ٨٦٦ ؛ نولدكه ، ص ١٠٥ .

(٢) الطبرى ، ص ٨٧٤ ؛ نولدكه ، ص ١٢٢ .

(٣) انظر ڤان ڤولتن ، Recherches sur la domination Arabe (امستردام ١٨٩٢) ص ٩ . وقد استمر تقليد تقديم الهبات هذا حتى الزمن الحديث . انظر كرزون Persia ، فى مواضع مختلفة . وانظر جرينفيلد، Die Verfassung des persischen staates (برلين ١٩٠٤) ، ص ٣٤٦ . وانظر الفصل الثالث عن عيدى النوروز والمهرجان .

(٤) پروكوب ، BP ، ٢ ، ١٥ .

(٥) انظر الفصل التاسع .

من الدولتين المتعاقدتين لهم الحق فى استخدام خيول البريد من بلاد الطرف الآخر وأن يدخلوا معهم كل البضائع التى يحملونها من غير اعتراض مع إعفائها من الضرائب الجمركية(١).

ونفقات الدولة ، خرجها ، كان ينصب غالباً على الحرب ، ومصاريف البلاط ورواتب الموظفين . وبالجملة الأبواب اللازمة لتسيير دولاب العمل العادى فى الدولة ثم فى الأشغال العامة لتيسير زراعة الأرض ، وإنشاء الجسور والمحافظة عليها وحفر الترع وهكذا ، ولو أن المتبع غالباً بل عادة ، أن تفرض على أهل الجهة التى تستفيد من مشروع عام ضرائب استثنائية حتى يتيسر تنفيذه . وكان الملك حين يعفى رعاياه من المتأخر عليهم من الضرائب يوزع ، أحياناً ، هبات مباشرة على الفقراء . ومن أمثلة ذلك ما فعله بهرام الخامس وفيروز (٢) فأول هذين الملكين تبرع بكثير من المال لا على الفقراء والمساكين فقط ولكن على أهل البيوتات وذوى الأحساب ، وقد خصهم من هباته عشرون مليوناً من الدراهم . على أن ما كان ينفق من الخزانة فى سبيل الخير العام لم يكن كثيراً ، لأن ملوك إيران من عادتهم أن يجمعوا فى خزائنهم أقصى ما يستطيعون من الأموال والنفائس .

ويقول الكتاب الأرمن ، إنه عند ارتقاء ملك جديد العرش ، كانوا يذيبون كل النقود المتداولة ثم يعيدون سكها باسم الملك الجديد ورسمه . وكذلك فإن الوثائق المحفوظة كانت تكتب من جديد باسمه مع التغييرات التى لا غنى عن إجرائها(٣).

الصناعة والتجارة والمواصلات

يلخص هيون تسيانج ، السائح الصينى المشهور الذى وصف الحياة فى البلاد الغربية التى زارها فى أوائل القرن السابع الميلادى ، فى كلمات قليلة منتجات الصناعة

(١) انظر لويس جراى ، Modi Mem. Vol. ، ص ١٤٩ . وقارن « استقلال جركى إيران » لرضا صافى النية ، طهران ، ١٣٠٧ ، ص ٩٩ — ١٠٢ .

(٢) انظر الطبرى ، ص ٨٦٦ ، ٨٧٣ ، نولدكه ، ص ١٠٥ ، ١١٠ .

(٣) JA ، ١٨٦٦ ، (١) ، ص ١١٣ مقال پتكانيان .

فى إيران فيقول : تنتج البلاد الذهب والفضة والنحاس والبلور الصخرى ، والجواهر النادرة والمواد الثمينة المختلفة . وصناع إيران يجيدون نسيج السندس الحريرى ، والأقمشة الصوفية ، والسجاد وغيرها »[١].

وقد اعتاد الإيرانيون إنشاء مستعمرات من أسرى الحرب من البلاد المختلفة ، لإدخال فروع جديدة من الصناعة وكذلك لزرع الأراضى البور . وعلى هذا النحو نقل دارا الأول عدداً من سكان ارتريا إلى خوزستان[٢]، كما أقام أورود أسراه من جند الرومان فى ضواحى مرو . وكذلك أقام سابور الأول أسرى الروم فى جند يسابور ، حيث استطاع الفرس أن يفيدوا منهم الأعمال الهندسية لإنشاء السد المشهور « بسد الإمبراطور »[٣]. ووزع سابور الثانى الأسرى الذين استسلموا فى آمد بين سوس وشوشتر وغيرها من مدن الاهواز ، حيث أدخلوا أنواعاً جديدة من صناعة الديباج وغيره من أنواع الحرير[٤]. والغالب أن مثل هذه المستعمرات كان يندثر فى زمن قصير ، ولكنها أحياناً تثمر وتجنى فوائد دائمة[٥].

وكانت التجارة البرية تتبع طرق القوافل القديمة . فمن المدائن العاصمة على شاطىء دجلة ، كان الطريق الكبير يؤدى إلى همدان ، عن طريق حلوان وكنجاور ، وقد تفرعت منه طرق عديدة ، طريق ناحية الجنوب ، يخترق خوزستان وفارس وينتهى عند الخليج الفارسى ، وطريق يذهب إلى الرى ، قرب طهران الحالية يبلغ به السائر بحر قزوين مخترقاً منحدرات جبال جيلان وسلسلة البرز أو يسير منه إلى خراسان ليستمر فى رحلته حتى الهند عن طريق وادى كابل أو حتى الصين عن طريق تركستان وحوض طارم .

وأما عن المواصلات مع الإمبراطورية الرومانية فقد كانت مدينة نصيبين مركزا

---

(١) بيل ، Budhist Records of the Western World ، (٢) ، ص ٢٧٨ .

(٢) هيرودوت ، (٤) ، ١١٩ ؛ Flav. Philostr. ، (١) ، ٢٤ .

(٣) نولد كه ، طبرى ، ص ٣٣ ، ملحوظة ، ٢ .

(٤) مروج الذهب ، المسعودى ، (٢) ، ص ١٨٦ .

(٥) شبيجل ، Eranische Alterthumskunde ، (٣) ، ص ٦٦٠ .

هاماً لها . ومن بين شروط الصلح التى عرضها الإمبراطور ديوكلستين سنة ٢٩٨ على الملك نرسى أن تكون نصيبين وحدها نقطة الاتصال بين الدولتين . ولكن نرسى رفض هذه المادة من المعاهدة . وفى زمن أمين مارسلن كان يقام فى أول شهر سبتمبر من كل سنة فى مدينة باتنه ، التى تقع غير بعيد من الشاطىء الشرقى لنهر الفرات ، سوق كبيرة ترد إليها البضائع من الهند والصين[1].

وفى سنة ٤١٠ كانت المدن المفتوحة للمعاملات التجارية مع الإيرانيين ، حسب أمر الإمبراطورين هونوريوس وتيودوس الصغير هى نصيبين فى الشرق على شاطىء دجلة ، وكالينيك فى الغرب ، على شاطىء الفرات ، وارتكزاتا فى أرمينية ، من ناحية الشمال[2]. وكانت المدينتان نصيبين وسنجر قد أخليتا من سكانهما ، وتنازل عنهما ملك إيران للرومان بمقتضى صلح سنة ٣٦٣[3].

وكانت التجارة البحرية مهمة . وحينما أصبح أردشير الأول ملكا على ميسان وخرسين وسع المرافىء البحرية القديمة وأنشأ مرافىء جديدة . يقول رينو « إن الفرس وقد اتحدوا مع العرب ، واشتركوا معا فى الحكومة بمهارة ، كونوا بحرية جديرة بالإعجاب بالتدريج . وقد أخذت السفن الفارسية تمخر عباب البحار الشرقية كلها ، وقد بدأت منافسة للأسطولين الرومانى والحبشى أول الأمر ، ثم صارت قوة متفوقة بعد ذلك . وكان النفوذ الذى كسبه الفرس فى البحر من الأسباب الرئيسة للتدهور ثم للسقوط الكلى الذى لحق سمعة الرومان فى البحار الشرقية[4]» . وفى سنة ٥٢٣ ، حين أراد ملك الحبشة محاربة سكان بلاد الحجاز ، أعد بجانب سبعمائة السفينة التى شيدها لهذا الغرض ، ستمائة سفينة رومانية وفارسية .

---

(١) أمين مارسلن ، (١٤) ٣ ، ٣ .

(٢) رينو ... Relations Politiques et Commerciales de l'empire romain ، باريس ١٨٦٣ ، ص ٢٦٧ وما بعدها .

(٣) أمين مارسلن ، (٢٥) ، ٧ ، ١١ .

(٤) رينو (١) ، c ، ص ٢٤١ ، وقارن ص ٢٩٢ ، والمؤلف نفسه ... Mémoire ص ١٥٥ وما بعدها . وانظر أيضا شيدر Hasan al-Basri ، Der Islam ، (١٤) ، ص ١١ وما بعدها .

وكانت منتجات الهند وجزيرة سيلان تنقل حينذاك إلى الرومان على سفن حبشية[١] .

وكان الحرير أهم أصناف التجارة الترنزيت عند الفرس[٢] . ولكن كان يحجز بفارس مقدار كبير جداً من الحرير الخام المستورد من الصين ، لينسج بها ، وكان الفرس يستطيعون دائماً بيع منتجاتهم الحريرية للبلاد الغربية بالأسعار التى يحددونها بأنفسهم . ولكن منذ القرن السادس ، نجح البيزنطيون فى غرس أشجار التوت فى بلادهم فأصبحوا إلى حدما فى غنى عن استيراد الحرير .

وقد حاول الترك عبثاً ، بإلحاح رعاياهم من الصغد ، أن يحصلوا من كسرى الأول على إذن بمرور حريرهم فى إقليم فارس[٣].

وكان الصينيون يشترون ضمن البضائع الفارسية الكحل الإيرانى المشهور لتزجيج الحواجب ، وكانوا يدفعون فيه ثمناً باهظاً ، وكانت ملكتهم توصى بشرائه لاستعمالها الخاص[٤]. وكذلك كانت السجاجيد البابلية من البضائع المطلوبة[٥]. ثم كان الفرس يصدرون للصين الأحجار الثمينة السورية ، طبيعية وصناعية ، والمرجان واللؤلؤ من البحر الأحمر . والأقمشة المنسوجة فى الشام ومصر ، والمواد المخدرة من آسيا الوسطى[٦].

وأما نظام البريد فقد استعار الخلفاء النظام الإيرانى ، بصورة لا تختلف كثيراً عما كان عليه أيام الدولة الأكمينية . وهو النظام الذى يحدثنا عنه الكتاب الإغريق ، ونستطيع أن نؤكد وجود هذا النظام نفسه أيام الساسانيين ، وكان البريد مسخراً

---

(١) رينو ، Relations politiques... ، ص ٢٦٩ وما بعدها .

(٢) تارن جوستى ، OIPH ، (٢) ، ص ٤٧٧ ، ملحوظة ١ .

(٣) هرتسفيلد ، Am Tor von Asien ، ص ١٢٢ ؛ شيدر ، Iranica ، ١٩٣٤ ، ٤١ وما بعدها .

(٤) هيرث ، Chinesische Studien ، ص ٢٣٥ وما بعدها .

(٥) هيرث ، China and the Roman Orient ، ص ٢٥٣ .

(٦) نفس المرجع ، ص ٢٣٤ — ٢٧٩ .

لمصالح الدولة لا لمصلحة الرعية ، فكان غرضه الأول ضمان مواصلات سريعة مريحة بين الحكومة المركزية وإدارة الأقاليم . فكانت الأشخاص والرسائل تسير فى طرق معبدة ؛ وكذلك كانت المنازل (المحطات) مزودة حسب أهميتها بالموظفين والخيل[١]. وكان هناك سعاة للبريد يركبون الخيل وآخرون من العدائين . وهؤلاء كانوا يستخدمون بنوع خاص فى الأقاليم الإيرانية الخالصة ، حيث المسافات بين المحطات أقصر كثيراً جداً مما فى البلاد السورية أو العربية ، التى كان يستخدم فى جزء منها بريد الجمال[٢]. وكلمات أوبريد ، دو بريد ، سه بريد ، اصطلاحات بهلوية تدل على سعاة البريد الذين يسيرون بسرعة كبيرة ويصحبون معهم حصاناً أو اثنين أو ثلاثة من خيل البريد الملكى ، بالتناوب[٣] .

الجيش

كان الجيش خاضعاً لقائد واحد ، إيران سپاهبد[٤] ، إلى أيام كسرى الأول . ولكن ولاية هذا القائد كانت أوسع من ولاية قائد الجيش بالمعنى الحديث ، فقد

---

(١) باغد بسپانيگ « الحصان الخاص بساعى البريد الملكى » ، انظر أونوالا King Husraw and his page § ٩٩ ، وملحوظة الناشر .

(٢) كرامر ، Kulturgesch. d. Orients ، (١) ، ص ١٩٥ — ١٩٦ . ومن غير الممكن أن نحدد إذا كان لمديرى مراكز البريد ، كما كان لهم أيام الخلفاء فى العهد الإسلامى ، الرقابة على إدراة الأقاليم وهل كان عليهم كتابة التقارير ورفعها إلى البلاط . على أن رقابة مماثلة كانت مفروضة على قضاة المراكز ، وكانت سرية تقريبا ، وليس من المستبعد قيام رقابة سرية تحت مظهر آخر ؛ فقد عرفت إيران منذ عصور بعيدة الجاسوسية الدقيقة النظام . ويستنتج من كتاب تنسر (الخشاب ص ٤٩) أن العظماء قد شعروا بثقل هذه الرقابة السرية « وأن الناس منهم فى رعب وحيرة » . وقد دافعت الحكومة الملكية عن خطتها فى التجسس بحجة « أن عيون الملك والمنهين إليه لا يعينون إلا إذا كانوا من الصالحين الأتقياء العلماء الأمناء المتدينين الزاهدين ليصدر ما يعرضون على الملك عن تثبت ويقين » . ويرى كريستنسن أن هذا كان أيام كسرى الأول ، وقد رددنا هذا الرأى . مقدمة كتاب تنسر ٦ — ١١)

(٣) جيجر WZKM ، ١٩١٥ ، ص ٣٠٩ وما بعدها .

(٤) اللقب الكامل مذكور فى كارنامك ، ١٠ — ٧ ؛ نولدكه ، BB. ، (٤) ص ٦١ .

كانت وظيفته تشمل أعباء ثلاثة : وزارة الحرب ، وقيادة الجيش العليا ، والقيام بمفاوضات الصلح .

أما أنه كان يسيطر على تنظيم الجيش الإمبراطورى ، وتدبير أموره فهذا يبينه مركزه عضواً فى الدائرة الصغيرة من مستشارى الملك . وكانت أمور الحرب ترفع إليه بوصفه وزيراً ؛ ولكننا مع ذلك نذكر أن سلطة كبير الوزراء ، بزرگ فرمادار ، لم تكن محددة بالدقة ، فكان يستطيع دائماً أن يتدخل فى إدارة الجيش ؛ وأن الملك كان يتدخل فى معظم الأوقات فى المسائل الهامة المتعلقة بالحرب . وقد كان أكثر ملوك الساسانيين شغوفين بالحرب واشتركوا فعلا فى أعمالها . وهكذا نستطيع أن نظن أن مركز إيران سپاهبد كان مستقلا إلى حد ما فى عهد الملوك غير الحربيين .

وأما القواد فى القسم الأول من العهد الساسانى فإنه من الصعب أن نعرف من كان منهم يشتغل وظيفة الإيران سپاهبد . فإنا نجد كذلك وظيفة سپاهبد فى جهات معينة[١] ، وكذلك نجد كنارنگ ومرزبان وهكذا ، وكلهم يمكن أن يرسلهم الملك لإدارة معركة . والمؤرخون البيزنطيون والأرمن والسريان وغيرهم قلما يمدوننا بمعلومات محددة عن لقب قواد إيران . وهناك موظفون آخرون فى الدولة ، لوظيفتهم طابع حربى ، كانوا يرقون أحياناً إلى رياسة جيش . ومن بين القواد الإيرانيين الكثيرين الذين ذكرهم فاوستوس البيزنطى فى روايته لحروب سابور الثانى مع أرمينية[٢] ، نجد مثلا دبيران دبير ، رئيس الحجاب ، والرئيس العام للتموين .

ونجد خاصة عند الكتاب البيزنطيين ، عدداً من الأمثلة على أن القواد (سپاهبد ، إيران — سپاهبد) قد اتخذوا مفاوضين للصلح بتوكيل من الملك . وهكذا كان سورين مبعوثاً لمفاوضة الإمبراطور جوڤين[٣] ، وكذلك ذهب سياوش الارتشتارا —

---

(١) يذكر الدينورى كثيراً اسم سپاهبد السواد : ويستهم ، بعد موت يزدجرد الأول (ص ٥٧) ، وسابور بن وهرام ، أيام الملك قباد الأول (نهاية ص ٢٢٦) . وانظر الملحق الثانى .

(٢) لانجلوا ، (١) ، ص ٢٥٨ وما بعدها .

(٣) آمين مرسلن ، (٢٥) ، ٧ — ٤ .

نسلار (رئيس المحاربة)[١] ، وسپاهبد ماهبوذ ، معاً إلى الحدود الرومانية للتجسس للمفاوضات[٢] ؛ ثم مهر — مهرويه الذى شهد أجاثياس بمقدرته فى الرأى والحرب[٣] ، قد أوفد إلى جستنيان . وفى التاريخ المنسوب لستيليت يظهر السپاهبد بنوع خاص على أنه رجل سفارة (دپلوماتى)[٤]، على حين يدير فيه المرازبة أعمال الحرب[٥].

وكان من مزايا القواد أن يدخلوا المعسكرات على صوت الطبل[٦] .

وتشير الكارنامگ إلى أحد الأرتشتارا نسلار(أى رؤساء المحاربين) (١٣ر٣) وهو اللقب الذى كان يحمله فى القرن الخامس كاردار أحد أبناء مهرنرسى[٧] ، ثم بعد ذلك سياوش أيام قباد الأول . ويقول الطبرى[٨] « إن الأرتشتارا نسلار مرتبة فوق مرتبة الإصبهبد تقارب مرتبة الأرجبذ » . وبعد عهد قباد الأول اختفى هذا اللقب من المصادر التى بأيدينا . وكل مالدينا من معلومات يحملنا على الظن بأن ارتشتارا نسلار هو اسم آخر لإيران — سپاهبد ، الذىألغى وظيفته كسرى الأول ، خليفه قباد . يقول پروكوب « حق أن سياوش كان الأول والآخر الذى حمل لقب ارتشتارا نسلار ، وأن هذا اللقب قد ألغاه الملك قباد بعد مقتل هذا الموظف الكبير» ولكن بما أن الشطر الأول من هذه الرواية ظاهر البطلان ، لأن ابن مهرنرسى كان يحمل هذا اللقب قبل سياوش ، فإن الشطر الثانى يحتمل أن يكون أيضاً غير صحيح .

---

(١) انظر ما بعد هذا .

(٢) پروكوب ، B.P. ، ١ — ١١ .

(٣) ٢ — ٢٢ .

(٤) ترجمة ريت ، ص ٧٤ و ٧٥ وما بعدها .

(٥) انظر الفصل الثامن لمعرفة التعديلات التى أدخلها كسرى الأول بإلغاء منصب إيران — سپاهبذ وتعيين أربعة قواد بدلا عنه .

(٦) پاتكانيان فى J.A. ، ١٨٦٦ ، (١) ، ص ١٦٦ .

(٧) كارنامگ ، ١٠ — ٧ ؛ نولدكه BB . (٤) ، ص ٦١ — ٦٢ .

(٨) الطبرى ، ص ٨٦٩ ؛ ونولدكه ، ص ١١١ .

وكان رئيس الحرس الملكى يسمى پشتيگبا نسالار . وكانت فرق من المشاة (پايگان) تحت قيادة رئيسهم (پيگا نسالار) تحت تصرف موظفى الأقاليم شرطاً أو جلادين وغير ذلك[1] ، ولشغل وظائف مماثلة كانت فرق الرماة تحت رئاسة قائدها تيربد ، تلحق بالقرية ، فى بعض أنحاء المملكة[2] على الأقل . وفى البلاط كان جنود الحرس غالباً ملزمين بالقيام بعمل الجلادين[3] .

وهناك موظف كبير ، هو مؤدب الأساورة كانت وظيفته أن يعمل على تعليم أبناء المحاربين فى المدن والرساتيق حمل السلاح وآدابه[4] .

وأما عن تفاصيل النظم الحربية فانظر الفصلين الخامس والثامن .

الكتاب وسائر موظفى الإدارة المركزية

إن الجاه الذى كان يتمتع به طبقة الكتاب (دبيران)[5] فى إيران واضح غاية الوضوح . فإن الإيرانيين كانوا دائما يعنون بالشكل . فالوثائق الرسمية ومراسلات الأفراد ينبغى أن تصاغ صوغا أنيقا ، فتختلط بها نبذ من أقوال الحكماء ، والحكم الخلقية والدينية والأشعار والألغاز الرائقة ، لكى تكون الرسالة أو الوثيقة قطعة

---

(١) نولدكه ، الطبرى ، ص ٤٤٨ .

(٢) هوفمان ، ص ٦١ .

(٣) انظر الطبرى ، ص ١٠٤٣ ؛ نولدكه ، ص ٣٥٦ . كان رئيس حرس الخليفة ، فى أوائل العصر العباسى ، يقوم بوظيفة الجلاد أيضاً (كرامر ، Kultur gesch. des Orients ، (١) ، ص ١٩٠) . أما نظام البوليس فإننا لا نعرف عنه كثيراً . وفى نسك سكاذم ، وهو أحد الكتب المفقودة من الأوستا الساسانية ، يظهر أنه كان هناك ضباط من البوليس مكلفون بالمحافظة على النظم الخاصة بالشراء والبيع فى الأسواق وكان أفراد هذا البوليس مسلحين بنوع من الرماح (دينكرد ، (٨) ، ٣٨ — ٢١ ؛ طبعة پيشوتان ، (٨) ، ٣٧ — ٢١) . پهرگ (رامى سهم السكين) ، گزيرايه geziraye (كلمة إيرانية كتبت بالخط السريانى بمعنى « البوليس ») ، انظر نولدكه ، Gött gel. Anz ، ١٨٨٠ ، ص ٨٧٧ .

(٤) كتاب تنسر ، دار مستتر ، ص ٢١٨ ، ٥٢٢ ؛ مينوى ، ٧٥ — ١٦ . الترجمة العربية ليحيى الخشاب ص ٣٧ .

(٥) هرتسفيلد ، پيكولى ، رقم ٢٦٤ . وانظر شيدر ... Esra der Schreiber » توبنجن ، ١٩٣٠ ، ص ٣٩ وما بعدها . وخاصة صفحتى ٤٧ — ٤٨ .

جميلة كما أن الطريقة التى يصاغ بها الكتاب ويوجه ، يُراعى فيها الفوارق بين رتبتى المرسل والمرسل إليه مراعاة دقيقة .

ويبدو الميل إلى بلاغة شكلية غالباً فى الآداب البهلوية أو فى أحاديث العرش التى يبدأ بها عهده كل ملك جديد[١] . وكذلك ، يظهر هذا بل أوضح منه بين الهيئات المختلفة أيام الدولة الساسانية ، وبين الدولة وغيرها من الدول . يقول الكاتب الفارسى نظامى عروضى فى كتابه « چهار مقاله »[٢] : « من سنن ملوك العصر وجبابرة الزمان الأول كالبيشداديين والكيانيين والأكاسرة والخلفاء . . أنهم كلما أرسلوا رسولا زودوه بالحكم والألغاز والرموز . وكان الملك يستعين بأرباب العقل والتمييز ، وأولى الرأى والتدبير ، يعقدون مجلساً بعد مجلس حتى يتفقوا على أجوبة هذه المسائل وتتضح هذه الألغاز والرموز . وحينئذ يأذنون للرسول فى العودة » . ثم يقول « فينتج من هذه المقدمات أن الكاتب العاقل ، والأديب الفاضل ، جمال الملك ، وأعظم رفعة للملك[٣] » .

والكتابة فى الدولة الإسلامية ، كالوزارة ، صورة صادقة من النظام الإيرانى ، وما يذكره نظامى عروضى عن هذا النظام فى أيامه (القرن الثانى عشر الميلادى والخامس والسادس الهجرى) يسهل علينا بوجه عام ، فهم وظيفة وأهمية الكتاب فى العصر الساسانى ومكانتهم : « الكتابة صناعة مشتملة على قياسات خطابية وبلاغية ، ينتفع بها فى المخاطبات بين الناس على سبيل المحاورة والمشاورة والمخاصمة فى المدح والذم ، والاحتيال والاستعطاف ، والإغراء ، وتكبير الأعمال ، وتصغير الأمور ، والتصرف فى وجوه الاعتذار والعتاب ، وفى إحكام العلائق ، والتذكير بالسوابق ، وترتيب الكلام وتنظيمه فى كل واقعة على الوجه الأولى والمنهج الأحرى .

---

(١) الطبرى والفردوسى والثعالبى فى مواضع مختلفة .

(٢) نشر براون ، ص ٢٣ والترجمة الإنجليزية ، ص ٢٠ ؛ والترجمة العربية لعزام والخشاب ص ٣٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٥ ، والترجمة ص ٢٧ والترجمة العربية لعزام والخشاب ص ٣٣ . وانظر عيون الأخبار لابن قتيبة (١) ، ص ٤٢ وما بعدها ، طبعة القاهرة .

فينبغى أن يكون الكاتب كريم الأصل ، شريف العرض ، دقيق النظر ، عميق الفكر ، ثاقب الرأى ، وأن ينال الحظ الأوفر ، والنصيب الأكبر من الأدب وثمراته . وينبغى ألا يكون بعيداً من القياسات المنطقية ، غريباً عنها ، وأن يعرف مراتب أبناء الزمان ومقادير أهل العصر ، وألا يشغل بحطام الدنيا وزخارفها ، ولا يلتفت إلى التحسين والتقبيح من الأغراض ، وأولى الإغماض ولا يغتر بهم[١] » وينبغى بعد هذا أن يكون حسن الخط . وقد كان أذكى الكتاب ، ومن حسنت خطوطهم يستخدمون فى البلاط الملكى ، أما الآخرون فكانوا يرسلون إلى الأقاليم[٢] .

كان الكتاب إذاً دبلوماتيين حقيقيين ، فقد كانوا يملون كل أنواع الوثائق ، ويسيطرون على مراسلات الدولة ، ويصيغون جميع الأوامر الملكية ، وينظمون قوائم الضرائب ومحاسبات الدولة[٣] ، وكان عليهم فى الكتابة للأعداء وخصوم الملك أن يقسطوا فى كتاباتهم ويراعوا الظروف التى يكتبون فيها ، فيطبعوا كتاباتهم بالمسالمة أو التهديد والوعيد . ولكن إذا كانت للعدو الغلبة ، عرضت حياة الكاتب للتلف . وهكذا قتل سابور بن أردشير الأول بيده داد بنده كاتب آخر ملوك البرت ، لأنه كتب رسالة مهينة باسم مليكه إلى الملك أردشير[٤] .

وكان رئيس طبقة كتاب الدولة يلقب بلقب إيران — ديهربذ (إيران — دبيربذ) أو ديهران مهيست ، وكان فى بعض الأحيان يعين من بين حاشية الملك[٥] ،

---

(١) چهار مقاله ، من الترجمة العربية ، عزام والخشاب ، ص ٢٢ .

(٢) الفردوسى ، والشاهنامه ، نشر مول ، (٥) ، ص ٣٥٨ ، الأبيات ٣٢٤ وما بعده .

(٣) الطبرى ، ص ١٠٦٠ ؛ نولدكه ، ص ٢٤٢ . وقد عهد كسرى الأول إلى كاتب قد امتاز بالأصل الرفيع والمقدرة والقوة ليقوم على كشوف الجيش وليستعرضه .

(٤) الطبرى ، ص ٨١٩ ؛ نولدكه ، ص ١٤ .

(٥) كارنامگ ، ١٠ ، ٧ ؛ نولدكه ، BB ، (٤) ، ص ٦٢ ؛ وقارن نولدكه ، الطبرى ، ص ٤٤٤ .

وكان الملك يعهد إليه ، حسب الظروف ، بمهام دبلوماتية[1] .

وقد عدد الخوارزمى كتاب الدولة على النحو الآتى[2] :

(١) داد — دبهير (كاتب الأحكام) .

(٢) شهر — آمار — دبهير (كاتب البلد للخراج)[3] .

(٣) كذ گ — آمار — دبهير (كاتب حساب دار الملك) .

(٤) گنج — آمار — دبهير (كاتب الخزائن) .

(٥) آخر — آمار — دبهير (كاتب الاصطبلات) .

(٦) آتش — آمار — دبهير (كاتب حسابات النيران) .

(٧) رُوَانه گان — دبهير (كاتب الأوقاف)[4] .

وقد كان فى بلاط ملك إيران كاتب مختص بالشئون العربية ، وكان يتخذ أيضا مترجما ، وكان يؤجر من عرب الحيرة[5] . وفى الكارنامك[6] يشار إلى أندرزـــ واسپوران (معلم أبناء الأسر الكبيرة) مع الموبدان موبد والإيران — سپاهبد ، والدبيران — مهيست ، والپشتيگبانسالار ، بين كبار الرافقين للملك فى رحلة الصين .

ونعرف أيضا معلمين آخرين (أندرزبد) ، فغير من يسمى در — أندرزبد

---

(١) كارنامك ، (١) ، c ؛ نهاية ، ص ٢٣٢ : يزدجرد الكاتب الأول ويشير كتاب النهاية إلى رجل قد جمع صفتى الكتابة ووظيفة حاكم العاصمة . ولا نستطيع الجزم بما إذا كان جوانى — صاحب الرسائل أيام يزدجرد الأول (الطبرى ، ٨٥٩ ؛ نولدكه ، ٩٢) كان إيران — دبير بد أو كان رئيسا لمكتب خاص للكتابة فحسب .

(٢) انظر هرتسفيلد ، Paikuli ، رقم ٤٢٩ ؛ أونوالا فى الترجمة الإنجليزية لجزء من مفاتيح العلوم للخوارزمى فى J. Cama Orient. Inst ، ١٩٢٨ ، ص ٧٢ من طبعة مصر .

(٣) انظر شيدر ، Esra der Schreiber ، ص ٤٧ وما بعدها .

(٤) القائم على أعمال البر ؛ انظر الدينورى س ٥٧ ؛ وقارن بنفنست : Études d' Orientalisme ، (٥) ، ص ١٥٧ ؛ اندرياس — هننج : Mitteliranische Manichaica (٢) ، ص ٣١٧ ، ملحوظة٢ ؛ شيدر Iranica ، (١) ، ص ٨ ، ١٩ .

(٥) روذشتين ، ص ١٣٠ .

(٦) ١٠ — ٧ ، نولدكه ، BB ، (٤) ، ص ٦١ — ٦٢ ، وهو يقرأها لندرزبد — اسپورگان ، ولكن قراءة واسپوران أصح . انظر هرتسفيلد ، Paikuli ، رقم ١٠٩ .

(معلم البلاط) الذى يحتمل أن يكون اسما آخر للبزرگ — فرمادار (كبير الوزراء)(١) ، نعرف ال مغان — اندرزبد (معلم المجوس) ، وسجستان — أندرزبد (المعلم الخاص بسجستان)(٢) . وهناك موظفون آخرون كانوا قواما على الأختام(٣) ورؤساء لديوان الأخبار(٤) . وكان لأمناء سجلات الملك مرتبة عالية كذلك .

وعند الطبرى كان « الوزراء والكتاب » يعينون غالبا كطائفتين من العظماء ينوب بعضهم عن بعض ، فهكذا مثلا يستدل من نص فى الطبرى ص ٨٣٦ (نولدكه ص ٥٣) أن جميع الوزراء والكتاب يتغيرون أحيانا عند ارتقاء الملك العرش . وقد كان أعضاء الوزارة وكبار الموظفين معرضين لتغييرات ، فإن عدد الوزراء ومايقابلهم من الوظائف كان يتغير أحيانا(٥) . وكان من أهل هذه الطبقة التى لايزال اسمها البهلوى مجهولا لدينا كل من(٦) : البزرگ فرامادار ، والموبدان موبد ، والإيران سپاهبد ، والإيران دبيربد ، والوستريوشبد . وفى بعض العصور كان الهربدان هربد الرئيس الأعلى لسدنة بيوت النار ، يعتبر أحد أعضاء الوزارة ، ومن الممكن أن يكون الأستبد ، رئيس التشريفات(٧) ، من طبقة الوزراء أيضا(٨) .

---

(١) انظر الملحق الثانى .

(٢) هرتسفيلد ، Paikuli ، رقم ١٠١ ، ١٩٤ ، ٧٢٣ .

(٣) انظر مقدمة ابن خلدون ، Notices et Extraits ، (١٧) ، ص ٥٢ ، (٢٠) ، ص ١٦ .

(٤) نهاية ، ٢٣٥ .

(٥) انظر الفصل الثامن عن كبار موظفى البلاط الملكى ورجال البلاط عامة .

(٦) ظن نولدكه (الطبرى ، ص ٤٤٤ ، ملحوظة ٣) أن الإشارة إلى الوزراء عامة كانت بلفظ وزير بذ ، وقد أشار الأستاذ المرحوم فى خطاب له إلىّ إلى عدوله عن هذا الرأى : وكان ال گزيربت gézirpat الذى ورد ذكره فى التلمود ضابطا من رجال البوليس (انظر ص ١٢١ ، ملحوظة ٣) .

(٧) أشير إلى استبذ فى سنة ٥٠٢ — ٥٠٣ (ستيليت المزعوم ، ريت ، c ، ٥٩) ؛ وانظر ماركارت فى إيرانشهر ، ص ١٢٨ ، ملحوظة ٤ .

(٨) انظر الملحق الثانى .

إدارة الأقاليم

ومن كبار موظفى الدولة حكام الأقاليم ، الستاربة أو المرازبة [١] ، وبجانب المرزبان — شهر داران الذين يلقبون بلقب شاه [٢] وجد مرازبة من درجة أقل يحكمون الأقاليم وهم مقيمون بها .

وقد أثبت أمين مارسلن [٣] بياناً بمعظم الولايات التى كان يحكمها فى زمنه بيدخشات (جمع بيدحش وهم يحكمون كذلك بوصفهم قوادا لفرسان الولاية) وملوك وستاربة . وهذه الولايات هى : آشور ، وخوزستان ، وميديا ، وفارس ، وپرتيا ، وكرمان الكبيرة ، وهيركانيا (جرجان) ، ومرو ، وأقاليم بلخ والصغد ، والساج ، والسيت وراء الأمودون ، وسريكا ، وهراة وأقاليم پاروپانيزاد ودرانجيان (سجستان) ، وآراخوزى ، وجدروزى ، وقد رأى أنه لاقيمة لذكر أسماء ولايات كثيرة أقل شأناً . وقول أمين محتمل الصحة فيما عدا بعض المبالغات كما فى (سريكا !) . والواقع أن الدولة الساسانية فى القرنين الثالث والرابع كانت تمتد سيادتها على أقاليم الشمال والشرق امتداداً عظيما وفقاً لأبحاث هرتسفيلد [٤] . فكانت تشتمل بعد غزوات

---

(١) إن كلمة شهربان (شتربان) — ستربٍ — التى توجد فى نقش بال فى پيكولى (٣٠ من طبعة هرتسفيلد وقارن رقم ٩٧٨) ، يحتمل أن تكون الاسم القديم للمرازبة . قارن هذا باللقب المشار إليه من قبل « شهرپو » (ويكتب شترپو — بالبهلوية الأشكانية خشترپو — آمارگر) . ومن المحتمل أن يكون لقب حكام الأقاليم ، فى الأزمنة الأولى من العهد الساسانى ، سترپ أو بيدخش (بيتخش هرتسفيلد ، پيكولى رقم ٢١٤) ، وأن كلمة مرزبان لم يعم استعمالها إلا بعد ذلك . وعلى كل حال فإن كلمة مرزبان لاتظهر فى النقوش الخاصة بالملوك الساسانيين الأول ، ولا فى النقوش التى عثر عليها فى پيكولى وكان ينتظر أن تكون بها ونرى هذا اللقب لأول مرة ، فيما أعتقد ، أيام بهرام الخامس (٤٢٠ — ٤٣٨) ؛ حين عين أحد المرازبة واليا على أرمينية ، وكان نرسى ، أخو الملك ، يلقب بمرزبان كوشان ، أى مرزبان الحدود فى كوشان (ماركارت فى إيرانشهر ، ص ٥٢) .

(٢) انظر ص ٨٨ من هذا الكتاب .

(٣) (٢٣) ، ٦ — ١٤ .

(٤) Paikuli ، ص ٤٣ .

بهرام الثانى فى سنة ٢٤٨ الأقاليم الآتية فى الشرق :. جرجان وكل خراسان فى مساحتها التى كان عليها هذا الإقليم الشرقى(١)، ويجوز أنها شملت ، خوارزم والصغد وسجستان فى أبعد حدودها بما فيها مكوران وتوران ، وأقاليم المجرى الأوسط لنهر السند ومصباته ، كچه ، كاثيوار ، مالووا ، والولايات الواقعة خلف هذه البلاد مع استثناء وحيد هو وادى كابل والپنجاب فقد كانا تابعين للكوشانيين(٢).

ويعدد نولدكه(٣) ، معتمداً خاصة على النصوص العربية ، الولايات الآتية كولايات يحكمها مرازبة : أرمينية (بعد سنة ٤٣٠) ، وبيت أرماى ، وفارس ، وكرمان ، وإصفهان ، وآزربيجان ، وطبرستان ، وزرنك ، والبحرين ، وهراة ، ومرو ، وسرخس ، ونيسابور (نونيسابور = أبهر شهر) ، وطوس .

وكانت مساحة بعض هذه الولايات صغيرة نسبياً . وبالجملة فإنه يبدو أنه لم يكن للولايات أيام الساسانيين ، كما لم يكن لها أيام الأكمينيين ، حدود ثابتة . كان الملك يرسل مرزباناً إلى إحدى الولايات حيث يحتاج إليه فيها ، وكان الملك يجمع أو يقسم الولايات حسب المصلحة . ويظهر أن معظم المرازبة كان يغلب فيهم الطابع الحربى على الطابع المدنى ، فإن الإدارة المدنية ، فى جزء كبير منها ، إبان النظام المركزى الأعظم دقة فى العهد الساسانى ، كانت فى أيدى موظفين مرءوسين ، وذلك فيما يخص الجهات الصغيرة (شهريگث ودهيگث أى المدن والقرى) وفى أثناء الحرب كان المرازبة يعملون قواداً فى الجيش تحت رياسة الإصبهبذين(٤) .

---

(١) ذكر هرتسفيلد حدود خراسان أيام الساسانيين (Paikuli ، ص ٣٧) بأنها : أبواب بحر قزوين قرب الرى ، وجبال البرز ، والركن الجنوبى الشرقى لبحر قزوين ، ووادى أترك Atrek ، وخط يتبع السكة الحديدية وراء الخزر حتى لطف آباد ، وخط يخترق الصحراء التى تضم ناجند ومرو حتى جيحون جنوب كاركى ، وكما يبدو من نقود السيت الساسانيين ، يتبع قمة سلسلة جبل هسار حتى پامير ، منحنية ناحية الجنوب مع الجزء من جيحون المحيط ببدخشان ، وبالغة قمة الهند وكوش ؛ وتتجه الحدود ناحية الغرب ، وعلى طول هذه السلسلة وهذه الجبال جنوبى هراة ، مخترقة كوهستان جنوب تور شيز وخاف ، عائدة هكذا نحو أبواب بحر قزوين

(٢) قارن هرتسفيلد ، Paikuli ، ص ٤٧ .

(٣) الطبرى ، ص ٤٤٦ .

(٤) Pseudo Stylite ، ريت Wright ، ص ٦١ وما بعدها .

وكان المرازبة يختارون من بين النبلاء[١] . ويشار فى الكتب أحياناً إلى أنه كان لأحد المرازبة قصر فى العاصمة[٢] ومن التشريف الممتاز للمرزبان أن يمنح عرشاً من الفضة[٣] . بينما كان لمرزبان — شهر دار ثغر ألان — خزر ، على سبيل الاستثناء ، الحق فى الجلوس على عرش من الذهب[٤]. وكان مرزبان أبهر شهر يحمل لقب كنارنگك[٥] .

وكانت الولايات مقسمة إلى مديريات (أستان) ولعل كلمة پاذگوسپان كانت فى الأصل لقباً للوالى الذى يرأس جزء من الولاية ، وقد كان يزد — گشنسپ پاذگوسپانا أيام بهرام الخامس[٦] . ومن ناحية أخرى فإن حاكم المديرية ، كان يطلق عليه لقب أستاندار . ونجد أستاندار فى كشكر وفى ميسان[٧]. وفى نصيبين عين بابهاى ، وهو رجل من أصل ملكى أستاندارا فخرياً لتأمين الحدود[٨] ويظهر أن هؤلاء الحكام

---

(١) وقد أصبح أحد أفراد أسرة سورين مرزبانا على أرمينية أيام كسرى الأول (پاتكنيان ، J.A ، ١٨٦٦ ، ص ١٨٣) . وشاهپور — وراز ، مرزبان آزربيجان أيام الملك نرسى هو أحد العظماء (فاوستوس البيزنطى ، لانجلوا ، (١) ص ٢٢٩) ، وكان شهرين أحد أفراد أسرة مهران مرزبانا على بيت — داراى وعلى أقاليم كوسيين (هوفمان ، ص ٦٩) ، وكان پيران — گشنسپ ، من عائلة مهران أيضا ، مرزبانا على گرزان وأران وكان يرأس آلافا من الفرسان (هوفمان ، ص ٧٨ — ٧٩) ، وقد عهد إلى وهريز ولعله من الأسرة الساسانية (انظر نولدكه ، الطبرى ، ص ٢٢٣ — ٢٢٤ الملحوظة) بوظيفة مرزبان على اليمن بعد أن فتح كسرى الأول هذا البلد .

(٢) نهاية ، ص ٢٠٢ .

(٣) الطبرى ، ص ٨٦٤ ؛ نولدكه ، ص ١٠٢ .

(٤) نهاية ، ص ٢٢٧ .

(٥) انظر ص ٩٤ ، الملحوظة ٣ .

(٦) نولدكه ، الطبرى ، ص ٩٦ ، الملحوظة ٣ . وقد أدخلت على وظيفة پاذگوسپان تعديلات جوهرية فيما بعد ، ربما كانت أيام قباد الأول . انظر الفصل السابع والملحق الثانى من هذا الكتاب .

(٧) قارن هننج ، ZII ١٩٣٣ ، ص ٢٢٤ وما بعدها . أما عن لقب « زد » فانظر نولدكه ، الطبرى ص ٤٤٧ .

(٨) هوفمان ، ص ٩٣ .

وكان لهم ، كالمرازبة ، جماعة من الجند تحت تصرفهم[١] ، كانوا فى الأصل المديرين للأملاك الملكية[٢] ولعلهم كانوا يستمرون فى مباشرة هذه الوظيفة ولو كانوا حكاماً عسكريين فى الأقاليم التى توجد بها هذه الأملاك .

أما التقسيم إلى كور (جمع كورة) فكان تقسيما إدارياً بحتاً . ويرى نولدكه أن كلا من الكور الصغيرة (شهر ، ولكل منها عاصمة وتسمى شهرستان) [٣] التى تتكون منها الدولة كان يحكمها شهريك ينتخب من بين الدهاقين[٤]. وأما القرية (ديه) وسوادها (رستيكث) فكان على رأسها ديهيك[٥] .

(١) نولدكه ، الطبرى ، ص ٤٤٨ .

(٢) تطلق كلمة أستان فى اللغة الأرمنية ، فى الأصل ، على الأرض أو المدينة التابعة للملك (هو بشمان Armen-Gramm ، (١) ، ص ٢١٥) ، وتطلق كلمة أستنيك على الفرق المقيمة فى الحاميات .

(٣) نولدكه ، الطبرى ، ص ٤٤٦ ؛ هوفمان ، ص ٢٣٩ . ويلاحظ مع هذا أنه ، فى النصوص البهلوية ، كانت كلمة « شهر » تدل دائما على الدولة . والألقاب التى يكون مقطعها الأول كلمة شهر تشير دائما إلى كبار الموظفين الذين تهيمن وظائفهم على الدولة كلها .

(٤) الـ — شهريك (شهريغ) هو رئيس الكورة (اليعقوبى ، نشر هوتسما ، (١) ، ص ٢٠٣) . وكان الشهاريك (جمع شهريك) ، فى العراق ، يؤلفون طبقة من الأحرار أعلى درجة من الدهاقين (المسعودى ، مروج ، (٢) ص ٢٤٠ ؛ وقارن نولدكه ، الطبرى ، ص ٤٤٦) . ويقول صاحب كتاب نهاية الأرب إن كسرى الثانى أجرى تقسيما جديدا فى الدولة فقسمها إلى خمس وثلاثين ولاية (برون ، ص ٢٤٣) .

(٥) هوفمان ، ص ٢٣٩ . وقد تكون ديهيك بمعنى ديهسالار (البلاذرى ، وانظر نولدكه فى الطبرى ، ص ٤٤١) .

الفصل الثالث

الزردشتية دين الدولة

اتخاذ دين رسمي . النص الساساني للأوستا ، الفروق بين الزردشتية الساسانية وما قبلها ، الآراء الزروانية ، بيوت النار ، التقويم الإيراني ، الأعياد ، التنجيم الشعبي .

اتحد الساسانيون منذ بداية عهدهم مع رجال الدين الزردشتيين وقد استمرت الصلات الوثيقة بين الدولة والدين طوال العهد الساساني .

أمر أردشير الأول كما تقول الروايات البرسية[1] بعد أن ولي عرش إيران الهربذان هربذ تنسر بجمع النصوص المبعثرة من الأوستا الأشكانية وبكتابة نص واحد منها . ثم أجيز هذا النص واعتبر كتاباً مقدساً[2] . ثم جاء شابور الأول ابن أردشير وخليفته فأدخل في هذه المجموعة من الكتب المقدسة النصوص التي لا تتعلق بالدين والتي تبحث في الطب والنجوم وما وراء الطبيعة والتي كانت موجودة في الهند واليونان وغيرها من البلاد . والذي لا شك فيه أن هذه الرواية على هذه الصورة غير دقيقة فإن هذه الكتب ترجع إلى مختارات من كتب ألفها علماء إيران وقد ظهر فيها في الواقع تأثير المدنية الإغريقية . أما الأثر الهندي الذي يبدو فيها فيرجع إلى زمن أحدث .

---

(١) وهناك روايتان مهمتان في الكتابين الثالث والرابع من الدينكرد . أما الملحوظات الخاصة بالأوستا الأكمينية فإنها من المؤكد منتحلة (انظر نيبرج ، J.A. ، سنة ١٩٣١ ، ص ٢٢ وما بعدها) ، والإشارة إلى وجود نص أشكاني من الأوستا صحيحة بالتأكيد . أما عن تاريخ الكتب المقدسة أيام الساسانيين فالرواية تعتبر صحيحة فيما يختص بالأساسي منها . قارن الملحق الأول .

(٢) دينكرد ، الكتاب الثالث ، نشر بيشوتان سنجانا ، المجلد التاسع ، ص ٤٥٠ ، الترجمة ، ص ٥٦٩ ؛ وست ، Pahlavi Texts ، الجزء (٤) ، ص ٢١ ؛ والمرجع نفسه ، المجلد الرابع من طبعة سنجانا ، ص ٤٥٦ ، الترجمة ، ص ٥٧٨ ؛ ومن وست ، ص ٤١٤ ؛ أردك — ويراز — نامك ، (١) ، ص ١ — ١٨ .

وقد أمر شاپور بوضع نسخة من الأوستا التى حررها تنسر فى بيت نار آذر گشنسپ فى شيز[١] ، وأضيفت إليها الزيادات الجديدة . ولـكن الخلافات الدينية ظلت مستمرة . فأمر شاپور الثانى ، لـكى يضع لهذه الخلافات حداً ، بعقد مجمع مقدس يرأسه الموبدان موبد « آذربد مهر سپندان » الذى حدد نهائياً نص الأوستا وقسمها إلى واحد وعشرين كتاباً (نسك) على عدد كلمات الصـــلاة المقدسة (يثا آهو ويرو) وتقول الرواية أن آذربد أثبت قداسة هذا النص فيما يحكى بأن أدى الابتهال بالنار (وهو صب المعدن المذاب على صدر المبتهل) .

والأوستا الساسانية ، التى لم يبق منها اليوم غير أقلها ، والتى لدينا مختصر منها فى الـكتابين الثامن والتاسع من الدينكرد ، جمع لنصوص پهلوية ترجع إلى القرن التاسع[٢] لم تكن قاصرة على النصوص الخاصة بالعبادات فحسب بل كانت فى الوقت نفسه نوعاً من دائرة معارف تحوى العلوم كلها . فعلوم المبدأ والمعاد وأساطير الأولين والنجوم وعلم التكوين والعلوم الطبيعية ، والتشريع والحـكمة العملية للعهد الساسانى ، كلها مقتبسة من الأحد والعشرين نسكا التى تنقسم إليها الأوستا . وكثير من هذه النصوص المـكتوبة باللغة الأوستية يحتمل أن يكون قد سطر بخط كتاب الأوستا الساسانية ، بل إنه من الممكن أيضاً أن يكون بعضها قد وجد بالپهلوية قبل إدماجه مترجماً باللغة الأوستية فى مجموعة الـكتب المقدسة[٣] .

والمختصر الذى جاء به الدينـكرد غير متناسب الأجزاء . ففى بعضه وخاصة فيما يتناول المسائل الفقهية نجد بيانات مفصلة ، بينما أجزاء أخرى ولا سيما ما يتناول المبدأ والمعاد منها ، ملخصة فى بضع كلمات .

ويتساءل المؤرخ لماذا اختفى أكبر جزء من الأوستا الساسانية أيام الإسلام ،

---

(١) جنزشيزگان أو جنزشيزگان : أى جنزك فى إقليم شيز بآزربيجان ، انظر ماركارت . مسينا ، Catalogue ، ص ١٠٨ وما بعدها وانظر بعد هـذا عن بيت نار آذر گشنسپ فى جنزك .

(٢) انظر ص ٤١ — ٤٢ .

(٣) راجع نيبرج ، .J.A ، ص ٢٦ و ٤٦ .

فنحن نعرف أن المسلمين قد اعتبروا المجوس من أهل الكتاب ، فاختفاء كتبهم المقدسة لا يمكن إرجاعه إلى تعصب دينى من المسلمين . وقد رأينا أن معظم الأوستا الساسانية كان موجوداً إلى القرن التاسع الميلادى فى الترجمة البهلوية التى كانت مصحوبة بالتفسير (الزند) على الأقل . لا شك أن الظروف المادية القاسية التى كان عليها المجوس فى ذلك الوقت جعلت من الصعب عليهم أن يستمروا فى استنساخ هذه المجموعة الكبيرة من النصوص المقدسة . ونفهم من ذلك أنهم تركوا الأجزاء المتعلقة بمسائل الفقه يطويها النسيان ذلك لأنها قليلة الخطر لعدم وجود دولة مجوسية تطبق أحكام هذا الفقه .

ولكن لماذا لم يعملوا على المحافظة على أجزاء الأوستا التى تحوى الكلام عن المبدأ والمعاد وغيرها من أركان الدين ؟ هناك دلائل تدعونا إلى افتراض أن المجوسية قد عدلت إلى حد ما فى القرون الأولى من الفتح العربى ، وقد أريد بهذا التعديل حذف بعض الأساطير الدينية الشعبية وبعض المعتقدات التى كانت تتضمنها الأوستا الساسانية ، وسنرجع إلى هذا البحث عند نهاية الفصل الثامن .

ومهما يكن من شىء فإنا إذا قارنا النظام الدينى فى الأوستا الحالية والكتب الدينية البهلوية بما جاء فى روايات الكتاب الأجانب (بيزنطيين أو سريانيين أو أرمن) من إشارات مختلفة إلى دين الإيرانيين أيام الدولة الساسانية فإنا نلاحظ تفاوتاً ظاهراً يرجع بوجه خاص إلى الأساطير الدينية والمبدأ والمعاد .

وإذا تقصينا المصادر النصرانية ، فإن أمراً خاصاً يلفت نظرنا : وهو الحرمة العظيمة التى كانت للشمس فى الديانة المزدية الساسانية . فيزدجرد الثانى يقسم «بالشمس» الإله الأعلى ، الذى ينير الدنيا بأشعته ، والذى يدفىء بحرارته المخلوقات جميعاً(١) . ثم هو يكرر ثلاث أو أربع مرات القسم الصريح بالشمس(٢) . ورجال الدين النصارى الذين طولبوا بترك دينهم أجبروا على أن يظهروا كفرهم به وذلك بعبادة

---

(١) Langlois ، Elisée ، (٢) ، ص ١٩٧ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٩٨ .

الشمس . وينص على هذا باستمرار فى رسائل شهداء النصارى السريان . وقد وعد الملك شابور الثانى سيمون برصَبعى بالحياة إذا ارتضى عباده الشمس[١] . وفى أثناء الاضطهاد الذى لقيه النصارى بأمر يزدجرد ، قال القس النصرانى ليونس لرئيس هيئة التفتيش تن ـــ شاهپور « إنك أولا تفرض علينا عبادة الشمس وتدعى أنه الملك هو الذى أمر بذلك ، وإنك تعظم الشمس معلناً اسمها بصوت مرتفع . . »[٢] وفى مناسبة أخرى كانوا يهبون الخلع فى عبادة الشمس ، وذلك بتعظيمها بتقديم القرابين وبجميع مراسيم المجوسية[٣] ، وكان على المغان أن يأمروا بعبادة الشمس المشرقة ، كما يقول پروكوپ (B.P. ١ ، ٣) .

فمن هو إله الشمس هذا ؟ إن خور (الشمس) أو خورخشايتة (الشمس العليا كما يقول أندرياس) تظهر بين الآلهة فى الكتب الأوستية ، ولكن لا يبدو مطلقاً أنها قامت بدور هام بين الآلهة .

والحقيقة ، أن الشمس التى كان يعبدها مجوس العهد الساسانى ليست « خور » ولكنها مِهْر ، ميترا اليشتات (جمع يشت) القديم ، وميترا هذا هو إله العقد ونور الصباح الذى عرفه البابليون بشَمَس ، إلههم ، إله الشمس ، والذى جعل منه الميتريون « الشمس التى لا تقهر »[٤] يصرح بهذا الميزه على لسان رئيس خلوة ملك إيران : إنه لا سلطان لك لترفض عبادة الشمس ، التى تضىء بنورها الكون كله والتى تنضج بحرارتها غذاء الناس والحيوان ، والتى سميت بالإله مِهْر بسبب سخائها الشامل وكرمها العادل ، لأنه ليس فيها مكر أو جهل »[٥] والإله مِهْر إله قادر ، وهو ابن الإله وهو مساعد يقظ للآلهة السبعة[٦] .

---

(١) لابورت ، س ٦٥ ؛ وانظر سوزومين ، (٢) ، ٩ — ٥ ، وقد ذكره شيروود دوكس فى J. Cama. Or' Inst. ، رقم ١٤ ، ص ١٠٢ .

(٢) Elisée ، Langlois ، (٢) ، ص ٢٣٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٩٩ .

(٤) كيمو F, ، Les Mystères de Mithra ، الطبعة الثالثة ، س ١١ ، ٨٦ .

(٥) لانجلوا ، (٢) ، ص ٢٣٧ .

(٦) آى الأمشا سپنتا (أمهر سپندان بالپهلوية) ، Elisée ، Langlois ، (٢) ، ص ١٩٤ .

وفى نقش أردشير الثانى فى طاق البستان[١] وقف ميترا ، وقد عرف بإكليله الذى يشع منه النور ، خلف الملك الذى كان يتسلم ولاية الملك من يد أهورا مزدا . وفى متحف برلين[٢] أيضاً خاتم ساسانى على وجهه اسم صاحبه بالخط البهلوى ، هو مِهْر (بالبهلوية هو ميترا) ، ونقش عليه هيكل نصفى للإله ميترا ومن حوله التاج النورانى ، وعربة الشمس يجرها جوادان مجنحان . وفى النقوش اليونانية القديمة كان يجر عربة الشمس أربعة جياد . ولكن الخاتم المذكور وكذلك قطعة من النسيج محفوظة فى متحف بروكسل ترى عربة الشمس يجرها جوادان[٣] . وقطعة النسيج هذه تقليد لنموذج ساسانى[٤] ، ولذا ندرك أن رسم العربة بجوادين بدلا من أربعة كان شائعاً فى ذلك العصر .

وهناك نصوص من الأوستا لاعد لها تبين أن تقديس عناصر الطبيعة قد استمر على أنه خاصة أصيلة فى الدين الزردشتى . وإنا نعرف كيف عمل الزردشتيون على المحافظة على الماء والنار من النجاسة . ويؤكد هذا الكتاب الأجانب . يقول أجاثياس (٢ — ٢٤) إن الفرس يقدسون الماء قبل كل شىء إلى حد أنهم لا يغسلون به وجوههم ولا يلمسونه ، إلا أن يكون ذلك للشرب أو رى الزرع . وقد عرفنا من الونديداد كيفية استخدام الماء للطهارة . وكان بول الثيران وحده أبعد فى هذا أثراً من الماء .

ومع هذا فإن مكانة النار أعظم شأناً فى الدين الزردشتى[٥] . وتميز الأوستا بين

---

(١) انظر آخر الفصل الخامس .

(٢) هرتسفيلد ، Jahrb. der preuss ، مجلد ٤١ ، (٢) ، ص ١٠٨ .

(٣) قارن نيبرج ، J. A. ، ١٩٣١ ، ص ٩١ وما بعدها .

(٤) هرتسفيلد ، I ، C ، ص ١٠٦ .

(٥) أوضح هرتل فى عدة أبحاث (Indo-iranische Quellen und Forschungen) ، وخاصة فى القسم السادس (Die arische Feuerlehre) عبادة النار عند الهند الإيرانيين . وقد حاول أن يثبت أن جل الاصطلاحات الدينية الزردشتية والاصطلاحات الأخلاقية الشائعة فى اللغات الإيرانية القديمة كانت مفهومة فهما خطأ وأنها تتصل فى الحقيقة بمذهب النار التى

خمسة أنواع من النار . ذكرت فى يسنا ١٧ — ١١ ، كما جاء شرحها فى التعليقات البهلوية على هذه الفقرة ، كذلك جاء مع شىء من عدم الدقة فى البندهشن : « بَرزِى سَوَه » وهى نار المعابد (وتسمى نار بهرام) وهى أيضاً النار التى ينتفع بها الناس عادة ، « وهو فريانه » وهى النار التى توجد فى جسد الإنسان والحيوان ، « أورْوازيسته » وهى النار التى توجد فى النباتات ، « وزيستا » وهى النار الكامنة فى السحاب ، أى الصاعقة ، « اسپنيشته » وهى النار التى تشتعل أمام أهورامزدا فى الجنة . وقد اعتبر المجد (خوارنه ، البهلوى خَر وبالفارسية فَرّ) الذى يصاحب الملوك الشرعيين الآريين ، تجليا لهذه النار الأخيرة ، النار السماوية[١] .

أما النار المجسمة التى تسميها الأوستا آتَر Atar والتى تسمى آذُر فى الفارسية المتوسطة فإنها تسمى غالباً بابن أهورامزدا ويسمى المسيحيون أحياناً النار المقدسة للزردشتيين بابنة أوهرمزد . كما قال القس هاشو الذى أطفأ النار المقدسة فى أحد المعابد محتداً « إنه ليس بيتاً من بيوت الله ، وليست النار بنتاً لله . ولكنها بنت تستخدمها الملوك والسفلة ، الفقراء والصعاليك »[٢] .

ولعل هذا يرجع إلى تطور ثانوى عند الأرمن الزردشتيين ، فإن النار قد لبثت كائنا مؤنثا فى القصص الشعبى الأرمنى[٣] وقد تحدث أجاثياس عن قداسة النار عند

= هى العنصر الذى يتدخل فى وقت واحد فى خلق العالمين الصغير والكبير . ولا شك أن فى هذا القول بعض الحق . ولكن تأويل هرتل لنصوص الأوستا يبدو لى محدودا جداً وغير محقق فى بعض أجزائه رغم الأدلة التى استشهد بها تافاديا وهو يحاول تأييد هرتل والتى استمدها من الكتب البهلوية (Studia Indo-Iranica, ص ٢٣٧ وما بعدها سنة ١٩٣١) وقد أخذ تطور الآراء الدينية التى نشأت قبل زردشت طابعاً جديداً باصطلاحات هذا النبى ، ثم إن هذا التطور قد استمر فى احتكاكه بالآراء غير الإيرانية فى آسيا الغربية فأضاف ، بالتدريج ، قيما جديدة على الاصطلاحات الدينية القديمة .

(١) دار مستتر ، Le Zend-Avesta ، (١) ، ص ١٥١ وما بعدها ؛ هرتل ، Die arischer Feuerlehre ، (١) ، ص ١٦ Avestischen Herschsfts und Siegesfeuer (Abh. d. Sachs. Aked ، ١٩٣١) .

(٢) هوفمان ، ص ٣٥ .

(٣) ابغيان ، Der armenische Volkeglaube ، ليبزج ١٨٩٩ ، ص ٦٧ .

الفرس (٢ — ٢٥) . كما أن كثيراً من النصوص فى الأجزاء المفقودة من الأوستا قد تناولت النار المقدسة وحسناتها وواجبات الناس نحوها[١] .

والطبيعيات والمبدأ والمعاد التى ذكرت موادها الأصلية اليشتات القديمة قد بسطها العلماء المتأخرون ووحدوا أصولها فشملت دورة الدنيا[٢] ، وهذه الدورة تستمر إثنى عشر ألف سنة ، فى أثناء ثلاثة الآلاف الأولى يبقى العالمان ، عالم أهورامزدا عالم النور — وعالم أهريمن — عالم الظلمات — متجاورين فى هدوء . والعالمان لامتناهيان من جوانب ثلاثة ، ولكن كلا منهما يحد الآخر فى الجانب الرابع ، فعالم النور فى الجانب الأعلى ، وعالم الظلمات فى الجانب الأسفل وبينهما فراغ مملوء بالهواء . وفى مدة ثلاثة آلاف سنة يعيش خلق أهورا مزدا بالقوة — مينوگيها — وبعد ذلك يرى أهر من النور ويضمر إبادته . فيبادر أهورا مزدا الذى يعلم الغيب ، بأن يعرض عليه حقبة من الحرب طولها تسعة آلاف سنة فيقبل أهرمن ، وهو لا يعرف غير الماضى . وبعد ذلك ينبئه أهورا مزدا بأن المعركة تنتهى بهزيمة عالم الظلمات . ويفزع أهر من هذا فيسقط فى الظلمات ويبقى فيها مشلولا مدة ثلاثة آلاف سنة فيبدأ أهورا مزدا بخلق الدنيا ، فلما أتمها خلق الثور المعروف بالثور الأول ثم خلق الإنسان الأول — گيو مرد — (الأوستا « گيا — مَرِتَن » أى الحياة الفانية) ، الذى هو أول البشر . وحينئذ ألقى أهر من بقوته ضد خلق أهورا مزدا ، فنجّس العناصر وخلق طوائف من الزواحف والحشرات . فأقام أهورا مزدا خندقاً أمام السماء . ولكن أهرمن يكرر هجماته وينجح أخيراً فى قتل الثور وگيو مرد . وكانت بذور هذا الأخير مخبأة فى الأرض فنتج منها عند انقضاء أربعين سنة شجرة خرج منها أول زوجين من بنى آدم هما «مشيگ» و«مشيانگ .» وهكذا بدأت فترة الاختلاط « گو ميزشن » — أى اختلاط الخير بالشر . وأخذ

---

(١) أنظر مثلا دينكرد ، (٩) ، ٣٥ ، ١١ ، ٥٧ ؛ ١٢ — ١٥ ، ٥٨ — ٢١ .

(٢) المصادر الرئيسية البندهشن ورسالة زاد — سپرم وزند بهمن يشت وقد ترجمها وست فى Pahlavi Texts ، (١) ، أما عن البندهشن فانظر س ٤٢ من هنا ، وانظر الملحوظة ٤ فى الصفحة نفسها ، وراجع كتاب Les Kayanides ص ٤٤ وما بعدها .

البشر يلعبون دوراً فى الحرب بين مملكتى النور والظلمة . وذلك بانضمامهم حسب أعمالهم إلى جانب الخير أو إلى جانب الشر . فمن اتبع الصراط المستقيم منهم ، كان يمر سالما بعد الموت على الصراط المسمى « چينوت » ثم يدخل الجنة . ولكن حينما يمر على هذا الصراط أحد الأشرار يدق ثم يدق حتى يصير كالسيف القاطع فيهوى المجرم إلى جهنم حيث يلقى من العذاب ما يعادل سيئاته . أما من تعادلت موازينه فكانت حسناته مساوية لذنوبه فإنه يقيم فى «الهمشتگان[١]» ، أى فى المكان المتوسط ، حيث لا عقاب ولا ثواب .

وبعد ثلاثة آلاف سنة من خلق العالم يظهر زردشت فيهدى الناس إلى الدين الحق .

وحينئذ لا يبقى للعالم فى الوجود غير ثلاثة آلاف سنة . ففى نهاية كل ألف يظهر مخلص « سوشيانس » يولد بطبيعة الحال من بذور زردشت المخبأة فى إحدى البحيرات . وفى اللحظة التى يولد فيها آخر المخلصين الثلاثة ، المخلص الحقيقى ، تبدأ المعركة الأخيرة ، فيبعث الأبطال والتنانين الشيطانية التى ذكرها التاريخ الخرافى لكى يتقاتلوا . وأخيراً يبعث الموتى جميعاً ويقع النجم المذنب جوتچهر على الأرض فتشتعل وتذيب جميع المعادن فتنتشر على الأرض كأنها سيل ملتهب . وعلى الناس جميعاً ، الأحياء والأموات المبعوثين ، أن يعبروا هذا السيل ، الذى يكون للأتقياء كاللبن الساخن فيطهرهم المرور به ، و يمضون منه إلى الجنة . وبعد المعركة الأخيرة بين الآلهة والشياطين ، تلك المعركة التى تنتهى بهزيمة هؤلاء وهلاكهم ، يسقط الشر ، إلى الأبد ، فى الظلمات وتمد الأرض وتبسط . وتبقى الدنيا المطهرة إلى الأبد ، فى سكون لا يعكر صفوه .

هذا هو ما يسمونه فرشكرد (فى الأوستا فرشوكرتى) أى التصفية والتجديد[٢].

---

(١) أنظر فى اشتقاق هذه الكلمة نيبرج فى Oriental Studies in Honour of Pavry Dasturji ، أكسفورد ، ١٩٣٤ . ص ٣٤٦ .

(٢) يحتمل أن يكون معنى هذا الاصطلاح الدينى التجلى ، شيدر ، Urform und Fortbildung des manichäischen Systems ، ص ١٤١ . وانظر لومل ، ZII ، (١) ، ص ٢٩ وما بعدها ؛ ويونكر Worter und Sachen ، ١٢ ، ص ١٣٢ وما بعدها ؛ ونيبرج ، J. A. ، ١٩٣١ ، ص ٨٦ وما بعدها .

وقد استطاع نيبرج فى بعض الأبحاث التى نشرت فى المجلة الأسيوية (١٩٢٩ : ١ ص ١٩٣ وما بعدها (٢) : ١٩٣١ صفحات ١ وما بعدها ، و ١٩٣ وما بعدها) أن يلخص وينظم فى دقة نظر فائقة المطالب والإشارات المتفرقة التى تبحث عن تكوين العالم فى الفصول الأولى من البندهشن[١] . فهو يثبت أنه قد أدخل على الفصل الأول من كتاب البندهشن المعروف بالبندهشن الإيرانى[٢] عبارة مفصلة متعلقة بعقائد زروانية . ولكن فى بعض أجزاء هذه العبارة تغييرات ذات هوى كتبها رجل غير زروانى ، وهذه العبارة كانت فى النص الأصلى الذى أخذ عنه كل من كتابى البندهشن لأننا نجد بعض آثار منها فى البندهشن الهندى[٣] .

أما عن النظرية الزروانية فقد ألممنا بها فى المقدمة[٤] ، وها نحن أولاء نبحثها بشىء من التفصيل ، ففى إحدى عبارات الجاثات (يسنا ٣٠ — ٣) يظهر كل من روحى الخير والشر على أنهما « الروحان الأصليان المسميان بالتوأمين العظيمين » . فالظاهر إذاً أن زردشت قد عرف أصلا أقدم هو والد هذين الروحين ولم يصل إلينا الاسم الذى سمى به النبى الإيرانى هذا الأب[٥] . وقد وجدت أيام الأكمينيين آراء مختلفة عن طبيعة هذا الإله الأول الذى كان موضع تأملات دينية وفلسكية . فاعتبره البعض المكان (أواشا باللغة الأوستية) واعتبره الآخرون الزمان (زُروان وبالبهلوية زِروان أو زْروان) ، وذلك حسب ما عرّف أديموس روديوس تلميذ

---

(١) فى أولى هذه المقالات ذكر الكاتب العبارة الأصلية مع ترجمة الفصلين الأول والثالث من البندهشن ، ثم بعض نصوص إضافية من مينوگ خرد ، ثم عبارة سريانية مأخوذة عن نص يظهر أنه كتب أيام الساسانيين (أنظر نيبرج (٢) ، ص ٨٥) .

(٢) عن نسختى البندهشن أنظر ص ٤٢ من هذا الكتاب ، ملحوظة ٤ .

(٣) هناك عبارات فى النص الذى نقله نيبرج أفهمها على غير الوجه الذى يقول به ، ولكن هذا الاختلاف بيننا لا يمس النقط الأساسية فى تأويله .

(٤) ص ٢٢ . أنظر بنفنست ، The Persian Religion ، الفصل الرابع ؛ J.A. ، ١٩٢٩ ، ص ٢٨٧ وما بعدها ؛ وأبحاث نيبرج التى أشرنا إليها قبل ذلك ؛ وبحث شيدر فى Deutache Literaturzeitung ، سنة ١٩٣٢ ، ص ٣١١٣ وما بعدها .

(٥) نيبرج ، (٢) ، ص ١١٣ وما بعدها ، وهو يعتقد أن الأب هنا هو أوهر مزد الذى يجب أن يميز عن روح الخير (ص ٢٠ هنا) .

أرسطا طاليس[١] . والرأى القائل إنه هو الزمان هو الرأى الذى ساد . وقد اعتنق النظرية الزروانية أتباع ميترا (الميتراسزم) . وفى نقش الملك انتيوش الأول القومشى — وقد أشرنا إليه فى المقدمة (ص ٢٢) وسنتحدث عنه فيما بعد — يذكر زروان أكرنه بالاسم اليونانى كرونوس آبيروس أى الزمان اللامتناهى . وقد أطلق مانى — النبى الذى دعا إلى دينه الجديد أيام الملوك الساسانيين الأولين وهو يطبق مذهبه على المعتقدات الزردشتية فى زمنه — اسم زروان على الإله الأعلى .

أما أن الزروانية كانت الصيغة العادية للمزدية الساسانية فهذا ما يثبته كثرة أسماء الأعلام المركبة مع كلمة زروان أيام الدولة الساسانية[٢] ويثبته أيضاً سلسلة من كلمات الكتاب الإغريق والأرمن والسريان[٣] ، وأقدمهم تيودور المصيصى (حوالى ٣٦٠ — ٤٨٨ مسيحية) . والمؤلف المذكور لتيودور قد ضاع ، ولكن فوتيوس حفظ لنا نبذة صغيرة منه[٤] : وعرض تيودور فى كتابه الأول نظرية الفرس القبيحة التى دعا إليها زرديس (زردشت) ، وهى الخاصة بزروام (زروان) وقد عرف به على أنه إله العالم أجمع ويسميه أيضاً القضاء والقدر ، وحينما قدم هذا القرابين حتى يلد أهورا مزدا ، ولد أهورا مزدا والشيطان فى الوقت نفسه » ، والكاتبان المسيحيان الأرمنيان أزنيك[٥] وأليزه[٦] (القرن الخامس) ، والبطريق مار بها (القرن السادس)[٧] ، والمؤلفات الجدلية للسريانيين آذر هرمزد

---

(١) Damascios, de primis principiis ، نشر ريبول ، (١) ، ص ٣٢٢ .

(٢) ويزيندونك ، Das Wesen der'Lehre Zarthustros ، ليبزج ١٩٢٧ ، ص ١٩ .

(٣) أنظر كريستنسن فى Études sur le Zoroastrisme de la Perse Antique D. Vid. Selsk, fil-hist. Medn) ، (١٥) ، ٢) ص ٤٨ وما بعدها .

(٤) Bibl ، ٨١ .

(٥) لانجلوا ، Coll ، (٢) ، ص ٣٧٥

(٦) المرجع نفسه ، (٢) ، ص ١٩٠ . وانظر الفصل السادس من هذا الكتاب نقد ٥ لمرسوم مهرونرسى » عند اليزه .

(٧) ساخاو ، فى Syriache Resehtsbücher ، (٣) ، ص ٢٦٥ .

وأناهيد ضد أحد كبار الموابذة الزردشتيين[١] (القرن الخامس أو بعد ذلك) ، والكاتب السرياني تيودور بركوناي[٢] (القرن الثامن أو التاسع) ، والكاتب السرياني المجهول الاسم الذى طبع كتابه وترجمه نيبرج[٣] ، كل هؤلاء يعرفوننا بالتفاصيل الخاصة بهذه الخرافة الدينية المتعلقة بخلق الدنيا : فإن زروان ، الإله الأقدم ، ظل يقدم القرابين زهاء ألف سنة لكى يكون له ولد يسميه أهورا مزدا ، ولكنه فى آخر الأمر أخذ يشك فى فائدة ما قدم من قرابين وحينئذ ظهر ولدان فى بطنه[٤] ، أحدهما أهورا مزدا لأنه قدم القرابين ، والثانى أهرمن لأنه شك فيما يفعل . فوعد زروان من يبدأ بالمثول أمامه منهما بملك الدنيا . فشق أهرمن بطن أبيه[٥] ومثل له فسأله زروان : من أنت فأجابه أهرمن : أنا ولدك ، فقال زروان إن ولدى ذكى الرائحة نورانى ، وأما أنت فظلمانى عفن وفى تلك اللحظة مثل أهورا مزدا منوراً ذكى الرائحة ، فعرف زروان أنه ولده وقال له « إنى كنت أقدم القرابين حتى الآن من أجلك فمنذ اليوم تقدمها أنت من أجلى » . ولكن أهرمن يذكر أباه بوعده ، وهو أن ينصب من يمثل أمامه قبل أخيه على ملك الدنيا ، فيجيبه زروان بأنه سيهبه حكما مدته تسعة آلاف سنة[٦] على أن يحكم أوهرمزد منفرداً بعد ذلك . وأما المدة التى يبقاها العالم ، فمصادرنا مضطربة فيها . فبعضها يتحدث عن تسعة آلاف سنة والبعض الآخر عن اثنى عشر ألف سنة . ويرى بنفنست[٧] فى رقم تسعة آلاف سنة النظرية

---

(١) نولدكه فى Syrische Polemik gegen die persische Religion ، ص ٣٤ وما بعدها .

(٢) پونيو فى Inscriptions Mandaïtes des coupes de Khouabir ، ص ١٠٥ وما بعدها ؛ بنفنست فى M. O. ، ١٩٣٢ ، ص ١٥٠ وما بعدها .

(٣) (١) ، ص ٢٣٨ وما بعدها .

(٤) أو بطن زوجه خوشيزك (حسب الأناهيذ) .

(٥) أو فى بطن أمه (حسب الأناهيذ) .

(٦) وكان لأوهرمزد الغلبة عليه أحيانا حسب تأويل نيبرج ((٢) ، ص ٧٣) .

(٧) The Persian Religion according to the Chief Greek Texts. ، الفصل الرابع .

الزروانية ، وأما نيبرج[١] فيرى خلاف هذا ، وعنده أن تسعة آلاف سنة تمثل النظرية المزدية غير الزروانية ، وذلك على الرغم من أن البند هشن يشير ، حتى فى أجزائه الزروانية ، إلى مذهب الإثنى عشر ألف سنة . وأما أنا فأرى أن الاختلاف فى التواريخ لا يتصل بما بين الزروانية وغير الزروانية من خلاف وأن النظريتين قد يدخلان أو يستبعدان فى تعدادهما المرحلة البدائية وقدرها ثلاثة آلاف سنة وذلك حين كان العالم فى بدايته ؛ وفى جميع الروايات ، زروانية وغير زروانية ، تستمر مدة الحرب بين روحى الخير والشر تسعة آلاف سنة . ولكن إذا كان فى رواية إزنيك وإلبزه أن زروان ظل يقدم القرابين ألف عام قبل أن يولد أوهر مزد وأهر من ، فإن هذا القول يدل على حقبة قد سبقت على تسعة الآلاف سنة التى استمر الحرب بين الروحين فيها .

فالنظرية الزروانية فى خلق الدنيا قد سادت الزردشتية الرسمية إذاً فى العصر الساسانى ، ونجدها فى صيغة شعبية مبتذلة فى القصص الدينى الذى يرويه الكتاب النصارى . وأما فيما يتعلق بالعلوم الدينية الزروانية ، فانه يجب البحث عنها كما فعل نيبرج فى الآداب البهلوية ، وخاصة فى البندهشن الذى حفظ فى نسخته الإيرانية ، عبارات زروانية ، وفى « المينوگ خرد » ، الذى هو زروانى ، ولكنه لا يبين إلا لماماً مواضيع خلق الدنيا[٢] . والدنيا كما رأينا ، وجدت بادئ ذى بدء فى حالة بدائية ، بالقوة — مينوگيها — وفى هذه الفترة كان زروان ، الذى هو الزمان والقضاء والقدر ، موجودا وحده وجودا فعليا . ويقول الشهرستانى[٣] إن الزروانية قالوا إن النور أبدع أشخاصاً من نور كلها روحانية نورانية ربانية لكن الشخص

---

(١) (٢) ، ص ٢٣٢ وما بعدها .

(٢) وهناك كتاب پهلوى ، لم يبق منه غير ترجمته الفارسية ، ذكرت فيه نظرية الخلق الزروانية . وهو الكتاب الذى يشار إليه باسم « عُلماى إسلام » . أنظر وست ، OIPH ، (٢) ، ص ١٢٣ ؛ لنشر بلوشيه فى R H R. ، جزء ٣٧ ، ص ٤٠ وما بعدها ؛ وقارن بارتلوميه ، Zendhandschriften ، ص ١٥٢ وما بعدها .

(٣) نشر كيرتون . ص ١٨٣ ، الترجمة لهاربروشر ، (١) ، ص ٢٧٧ .

الأعظم الذى اسمه زروان شك فى شىء من الأشياء فحدث أهرمن الشيطان من ذلك الشك . ونستطيع أن نقارن بهذه العبارة الناقصة التى يذكرها الكاتب العربى الشهرستانى ما ذكرته بعض الروايات السريانية ، عند تيودور بركونائى . وآذر هرمزد ، والكاتب السريانى المجهول الاسم[١] ، وهى أن الزردشتيين يعتقدون فى أصول أربعة على غرار أربعة العناصر[٢] : آشوقار فرشوقار زروقار زروان وآخرهم هو والد أوهر مزد وأهر من . ويقول الكاتب المجهول الاسم إن فرشوقار هو الذى نسل أو هر مزد . ويعتمد نيبرج على الأبحاث الهامة التى قام بها شيدر[٣] فيقول إن زروان قد تخيل على أنه إله ذو أربع صور ، أى أن أشكالا كثيرة بثلاثة أسماء قد أعدت « وفيها يبدو زروان فى مظاهر ثلاثة ، كيفما تكون أعماله وتجلياته ؛ ثم هو نفسه يضاف إلى هذه المظاهر الثلاثة ويكون معها تربيعاً[٤] » .

وفى هذه التربيعات يرى زروان تارة فى علاقات مع الفلك ، وتارة على أنه إله القضاء والقدر ، وفى بعض الصلات نجد مزيجاً من هاتين الوجهتين . ويرى نيبرج أنه يضاف إلى هذه التربيعات التربيع الذى أشار إليه الكتاب السريانيون الذين ذكرناهم ،والذى يسميه نيبرج التربيع الزروانى الأرضى ، وهو التربيع الخاص بمراحل الحياة « آشوقار » (لأرشوقار) ومعناه « هذا الذى يهب قوة الرجولة » و « فرشوقار » ، ذلك الذى يهب الأزدهار ، و « زروقار » هذا الذى يهب الكبر ، والمقصود بتجلى زروان بهذه الصور الثلاث أن ذاته تجمع هذه الحالات وهى الصبا والكهولة والشيخوخة[٥] .

---

(١) پونيون ، (١) ، c ، ص ١٦٢ ؛ نولدكه ، Syriache Polemik ، ص ٣٥ — ٣٦ ؛ نيبرج ، (١) ، ص ٢٤٠ — ٢٤١ .

(٢) تيودور بركونائى ، أنظر نيبرج ، (٢) ، ص ٨٥ .

(٣) Urform und Fortbildungen des manichäischen Systems ، ص ١٣٥ وما بعدها .

(٤) (٢) ، ص ١٠٨ .

(٥) نيبرج ، (٢) ، ص ٨٦ وما بعدها ، ١٠٧ وما بعدها . قارن بنفنست فى ، Vrtra et Vrthragna ، (باريس ١٩٣٤) ، ص ٦٤ وما بعدها ؛ M.O. ، ١٩٣٢ ، ص ١٧٦ وما بعدها .

ومن ناحية أخرى يمثل زروان فى صورة مزدوجة ، فهو زروان اكنارگك أى الزمان السرمدى الأبدى ، وهو زروان دير نگك — خداى أى الزمان الطويل المتسلط ، أى السيد إبان فترة الإثنى عشر ألف سنة التى يحياها العالم[١] .

وقد جعلت القصة الدينية الشعبية من زروان — فى الأصل — كائنا بين الذكر والأنثى . وهناك رواية أحدث تجعل منه أنثى اسمها خوشيزك وقد فسر نيبرج هذا الاسم ، تفسيرا صحيحاً بلا شك ، بأنه تصغير لكلمة خوش بمعنى الجميل أو الطيب[٢] . ومن زروان (أو من زواج زروان بخوشيزگك) ولد التوأمان أهرمن وأوهرمزد ، روحا الشر والخير ، الظلمات والنور . وكان أهرمن ، أول المولودين ، عملك السلطان على الدنيا منذ البداية ، واضطر أوهرمزد للقتال لكى يظفر بالسيادة[٣] . وفكرة تقدم عنصر الشر على عنصر الخير ترجع إلى نظرية متشائمة تناظر قول الجنوستيكيين[٤] وتخالف الطابع الأساسى للزردشتية التى تظهر فى الجاثات ، ولكن العلماء حاولوا بشق الطرق سد الهوة التى تفصل بين الآراء والمشاعر والنصوص الدينية ، فلجأوا تارة إلى فرض يصور أهرمن تابعاً ، فى مدة سيادته ، بشكل ما لأوهرمزد[٥] وتارة أخرى يحددون سيادة أهرمن بثلاثة الآلاف سنة الأولى من سنى الحرب . فيكون أهرمن قد حكم ثلاثة آلاف سنة وفقاً للطريقة العادية عند الزروانيين ، ثم إنه فى مدى ثلاثة آلاف سنة أخرى تعادلت قوى أوهرمزد وأهرمن ، ثم فى ثلاثة الآلاف سنة الأخيرة تكون الغلبة لأوهرمزد

---

(١) المرجع نفسه ، (٢) ، ص ١١٠ .

(٢) ويطلق نص مانوى باللغة الصغدية (مولر ، Handschriftenreste ، (٢) ، ص ١٠١ ؛ ١٠٢) على « أم الحياة » زوج إله النور (زروان) وأم الرجل الأول (أوهرمزد) اسم رام راتّغ (مقسمة السرور) أنظر بنڤنست ، M. O, ، ١٩٣٢ ، ص ١٨٣ وما بعدها .

(٣) معركة التوأمين ، نيبرج ، (٣) ، ص ١١١ وما بعدها ؛ قارن كريستنسن ، مقالة باللغة الدانمركية عن خرافات الأخوة الثلاث والأخوين مطبقة على أصل القبائل والشعوب ، فى Danske Studier ، ١٩١٦ ص ٦٩ وما بعدها .

(٤) نيبرج ؛ (٢) ، ص ٧٩ وما بعدها .

(٥) ومع ذلك فإن تأويل نيبرج لنص ازنيك فى هذه النقطة يبدو لى غير مقنع .

وهى ثلاثة الآلاف سنة التى تبدأ بظهور زردشت وتنتهى بالمعركة النهائية التى تلقى بأهرمن عاجزاً إلى الأبد ، والتى تؤدى إلى التحويل . ونجد رأى المزديين غير الزروانيين فى هذه النقطة الرئيسية مذكورا فى العبارة الآتية من الفصل الأول من البندهشن (نيبرج (١) ص ٢١٠ ، (٢) ، ص ٢٣٢) : « كان أوهرمزد يعرف بفضل علمه الأزلى ، أنه فى تسعة الآلاف سنة التى تبقاها الحالة المختلطة ، تحكم قوتا أهرمن وأوهرمزد سويا ، وأنه فى المعركة الأخيرة تكون قوى أوهرمزد من الغلبة بحيث يصرع أهرمن فيعجز »(١) .

وقد رأينا منذ أيام الأكمينيين ، وجود رأيين مختلفين عن مبدأ أصل الخلق فبعضهم يعتبر المبدأ الزمان (زروان) ، والبعض المكان (ثواشه) . ويؤيد نيبرج بأدلة قوية الرأى الذى يقول ثواشه ترادف وايو أى الجو (واى بالپهلوية) وأن فى الأوستا الحالية بعض البقايا من عقائد أتباع « الوايوية » الذين يعتبرون منافسين للزروانية(٢) .

وقد تركت العقيدة الزروانية بعد سقوط الدولة الساسانية لأسباب سنشرحها من بعد(٣) ، وقد اضطر المؤلفون اللاحقون للعهد الساسانى أن يسقطوا العقائد الدينية الزروانية وهم يقيدون المذهب الدينى فى كتبهم الپهلوية ، ولكن هذه العقائد قد تركت مع ذلك كثيرا من الآثار .

---

(١) ناقش العلماء مسألة ما إذا كانت رواية من الروايات الخاصة بدين الفرس كرواية تيوپومب التى ذكرها پلوتارك (إيزيس وأوزريس Isis et Osris ، الفصل ٤٦ — ٤٧ ، انظر بڤنست ، The Persain Religion ، ص ٦٩ وما بعدها ، J.A. ، ١٩٢٩ ، ص ٢٨٧ وما بعدها ، نيبرج ، (٢) ، ص٢٢٣ وما بعدها) تتعلق بالمزدية أو بالزروانية ، وعندى أن المزدية والزروانية ليسا مذهبين متمايزين . فإن الزروانية مذهب كونى مشبع برأى عن الحياة ، وهذا المذهب قد يتصل بالطريقة المزدية اتصالة بالميترائية والمانوية وغيرها . فكان هناك مزدية زروانية ومزدية غير زروانية (قارن مقالى فى M.O. ، ١٩٣١ ، ص ٣٢ وما بعدها ، وملاحظات بڤنست على هذا الموضوع ، M.O. ، ١٩٣٢ ، ص ٢٠٦ وما بعدها) .

(٢) نيبرج ، (٢) ، ص ١٠٣ — ١٠٤ و ١٩٩ وما بعدها . أما عن الإله واى فى الخرافة الزردشتية فقارن كريستنسن Les Kayanides ، ص ٩١ — ٩٢ .

(٣) آخر الفصل الثامن ، .

ويشير الكتاب النصارى إلى قصص دينية أخرى ، مما كان شائعاً أيام الدولة الساسانية ، فمولد الأجرام السماوية كان ينسب إلى زواج أوهرمزد من أمه أو أخواته أو بناته[١]. ويبدو أن ميترا قد ولد من زواج أو هرمزد من أمه نفسها ، زوج زروان[٢].

وبعد أن ذكر تيودور بركونائى القصة الزروانية عن مولد أوهرمزد وأهرمن والخلق الطيب والخبيث الذى نشأه كل منهما ، استمر يحكى قائلا[٣] : « وعندما أعطى أوهرمزد المتقين نساء هر بن وذهبن إلى الشيطان (أهر من) . فلما منح أوهرمزد المتقين الهدوء والسعادة ، منح الشيطان النساء السعادة أيضاً ، وقد أذن لهن الشيطان أن يطلبن ما يردن . فخشى أوهرمزد أن يطلبن الاتصال بالمتقين فيحملهم العذاب ، فبحث عن وسيلة ليبعدهن فخلق الإله نرسائى ، وهو مخلوق فى الخامسة من عمره[٤] ، ثم وضعه عاريا خلف الشيطان وذلك لتراه النساء فيشتهين إليه ويطلبنه . فرفع النساء أيديهن إلى الشيطان وقلن له : يا أبانا الشيطان هب لنا الإله نرسائى[٥] . وهذه القصة تكشف عن نظرية فى المرأة عجيبة حقاً فى المذهب الزردشتى ولكنها توضح الميل المتشائم الأصيل فى الزروانية ، ذلك الميل

---

(١) ماريها ، ساخاو ، Syrische Rechtsbücher ، (٣) ، ص ٢٦٥ ، ولم تذكر تفاصيل . أما عن صحة زواج الأقارب الأدنين فانظر الفصل السابع .

(٢) اليزه ، لانجلوا ، (٢) ، ص ١٩٣ . وفى نص آخر (ص ١٩٤) ولد ميترا من « أم بين الرجال » .

(٣) پونيون ، Inscriptions mandaïtes ، ص ٦٣ وما بعدها .

(٤) المقصود هو نيريُوسَنج ، نيريوسنجا فى الأوستا ، رسول الآلهة ، « الذى دفع العالم إلى الأمام » ؛ وهو إله مشهور جداً ، يذكر كثيراً فى الكتب البهلوية ، أنظر كريستنسن ، Les Kayanides ، ص ٥٨ و ٩٨ و ١٠٢ ؛ كيمو ، Recherches sur le Manichéisme ، ص ٦١ وما بعدها .

(٥) وهذا الباعث نفسه موجود فى مذهب الخلق عند المانوية ؛ أنظر الفصل الرابع .

الذى لاحظه نيبرج بدقة(١). ثم يشير تيودور بعد ذلك إلى خرافات دينية أخرى من قصص إيران ولكن فى عبارات غامضة جداً. كانت الأرض عذراء صغيرة وكانت مخطوبة لمن يسمى پريزگك وكانت النار ذات عقل ثم إنها كانت تصاحب شخصاً اسمه گوزاب « رطوبة الغابات » ، وكان پريزگك(٢) حمامة حيناً ونملة أو كلباً مسناً حيناً آخر وكان كوم خنزيراً برياً وديكا وكان يرحب بپريزگك ،وكان كيكاووز كبشاً جبلياً وكان ينطح السماء بقرنيه ، وكانت الأرض وگوگى يهددان السماء يبلعها(٣).

وقد أشار أحد الموابذة ، فى روايات أحد الشهداء السريانيين (تاريخ سابها)(٤) إلى آلهتنا « زيوس ، كرونوس ، أپولن ، بيدوخ ، والآلهة الأخرى » .

وها هنا تربيع زروانى آخر ، فإن زيوس وكرونوس وأپولن هم أوهرمزد وزروان وميترا . ولكن ما هى الآلهة المسماة بيدوخ التى يذكرها الكاتب السريانى ؟ لعل الصيغة البهلوية لهذا الاسم بيدخت (بنت الإله أو الآلهة) — بى = بغا بالفارسية — وفى نص آخر فى كتابات شهداء السريان يذكر اسم هذه الآلهة باسم سريانى معناه « ملكة السماء » (٥) . وفى النقش الذى أسلفنا الحديث عنه وهو نقش أنتيوش الأول القومشى (٦٩ — ٣٤ ق . م) القائم فى نمرود داغ يشار إلى

(١) وقد اطلعت بعد كتابة هذه الأسطر على مقال بنفنست الذى ذكر كثيراً وهو "Le temoignage de Theodore bar Cōnaï sur le Zoroastrisme" ،(M.O.) ١٩٣٢) حيث درس بنفنست فى تعمق الآراء الزروانية الخاصة بطبيعة المرأة الشيطانية (ص ١٨٥ وما بعدها) .

(٢) كذلك بنفنست ؛ ترجمها يونيو « ابتلم » .

(٣) شرح بنفنست فى المقال الذى أشرت إليه (M.O. ، ١٩٣٢ ، ص ١٩٢ وما بعدها) هذا النص الصعب . وقد أشار تيودور ، الذى يحتمل رجوع إشارته إلى اسك چهرداد ، إلى قصص دينية وخرافات ذكرتها المصادر الإيرانية للتاريخ القصصى . پريزگك هو فراسياك (فى الأوستا ، آفراسياب عند الفردوسى) ، كوم هو الإله هو ما (پهلوى وفارسى هوم) ، كيكاووز هو كى كاووس . گوزاب صيغة خاطئة لاسم گرشسپ (گرشسپا فى الأوستا) ؛ ويعتقد بنفنست أن گوگى هو اسم شيطانة عرفتها المانوية باسم گونى (أوستا گوندى) . وللتفصيل أحيل على كاتب المقال ، الذى يبدو كأنه عثر على مفتاح اللغز .

(٤) هوفان ، ص ٧٢ .

(٥) هوفان ، ص ١٣٠ .

أربعة آلهة : ١ — زيوس — أوهر مزد ، ٢ — پولن ميترا — هيليوس — هرميس ٣ — ورثراغنا — هيركليس — أريس ٤ — وطنى البالغ الخصب قومش (كما چين) . وقد أوضح شيدر[1] أن هـذا التربيع يمثل زروان الذى أشير إليه فى النص نفسه تحت اسم كرونوس أپيروس ، وهو يتعلق بتربيع إيرانى زروانى آخر أجزائه الدين المزدى مجسما (دين مزديسن) . وإذا قارنا هذا التربيع بنظيره فى تاريخ سابها ، على فرض أن زروان قد أخذ مكان ورثراغنا ، فإن بيدوخ بنت الإله تـكون مطابقة لدين مزديسن . وفى أعمال الشهداء نفسها نجد الآلهة ننا أو ننائى وهى من أصل غير إيرانى ، ويظهر أنها كانت تعتبر الآلهة أناهيتا[2]، وقد نقش اسمها على النقود الهندسيتية أيضاً[3] . ثم هناك عبارة فى أعمال الشهداء هذه[4]أشير فيها إلى أن الملك سـابور الثانى قد أمر القائد معين بأن يعبد الشمس (ميترا) ، والقمر ، والنـار ، والإله الأكبر زيوس (أوهر مزد) ، وننائى الآلهة الـكبرى لجميع الأرض ، والإلهين القويين بيل ونبو وذلك لأنه قد شك بحق فى أن معين قد اعتنق النصرانية . وقد يـكون فى ذكر الإلهتين الأخيرتين ، وهما معروفتان لدى البابليين ، خطأ من مؤلف أعمال الشهداء المشار إليها ، بينما يجدر بالملاحظة أن تيوفيلاكت يذكر الإلهين ميترا وبيل معاً على أنهما من آلهة الإيرانيين (٤ — ١٦ — ٥) .

ومن الممكن أن نشير بهـذه المناسبة إلى النقش الإيرانى ، نقش عربسون فى كبدوكية ، ذلك النقش الذى يبـدو أنه يرجع إلى القرن الثانى ق . م والذى لفت الأنظار إليه شيدر وهو يتحدث عن نقش أنتيوش الأول القومشى[5].

(١) Urform und Fortbildung d. manich. Systems ، ص ١٣٨ وما بعدها ؛ وقارن نيبرج ، (٢) ، ص ٤٩ و ١٢٦ .

(٢) هوفمان ، ص ٤٩ ، قارن ص ١٣٠ وما بعدها ؛ ويزبندونك Das Weltbild der Iranier ميونيخ ١٩٣٣ ، ص ١٤٥ — ١٤٦ ، والملحوظة ٧١٠ .

(٣) أنظر قبل هذا ص ٢٣ .

(٤) هوفمان . ص ٢٩ .

(٥) Urform ، ص ١٣٧ ، قارن نيبرج ، (٢) ، ص ٤٩ .

فهذا النقش يمثل الدخول الرسمى للدين الإيرانى فى كبدوكية ، وذلك بزواج الإله المحلى المسمى « بيل » بالإلهة المسماة « دين مزديسن » . والواقع أننا لا نعلم إلى أى حد تأثر الدين الزردشتى الزروانى بالمذاهب الآرامية المختلفة ولكن المؤكد أن رجال الدين البرسيين الذين عاشوا بعد زوال الدولة الساسانية لم يكونوا يعرفون اسم بيدخت أو الآلهة نناثى وبيل ونبو .

وفى خاتمة هذا الشرح المختصر للديانة الرسمية أيام الساسانيين نرى أن نشير إلى ملحوظة هامة جداً وصائبة جاء بها نيبرج[١] يقول إن الأشهر الزردشتية ثلاثون يوماً يحمل كل منها اسم أحد الآلهة ، ووفقاً للمبدأ المذكور فى الفصل الثالث من البندهشن يمكن تقسيم هذه الأيام الثلاثين ، التى ذكرت أسماؤها فى نهاية الفصل الأول ، إلى أربعة أقسام بالطريقة الآتية (ذكرتُ أسماء الآلهة بالصيغة الإيرانية الوسطى حسب طريقتى فى الكتابة) :

١ — أوهرمزد	٢ — آذر	٣ — مهر	٤ — دين
وهمن	آبهان	سروش	ارد
أردوهيشت	خوار	رشن	اشتاد
شهريور	ماه	فروردين	اسمان
سپندارمذ	تير	ورهران	زامداذ
خورداذ	گوش	رام	مهرسپند
أمرداذ	دذو	واذ	انه گران
دذو		دذو	

وكلمة دذو التى ينتهى بها كل من الأقسام الأول والثانى والثالث هى الخالق (فى لغة الأوستاداذوه). والقسم الأول يشمل أوهر مزدوالأمشا — سپندات الستة[٢]، فأوهر مزد قد جاء فى الأول وفى الآخر . يقول نيبرج[٣] « فلنا أن نعتقد أن جميع

(١) (٢) ، ص ١٢٨ وما بعدها .

(٢) وهو منه أشا وهشتا ، خشترا وبريا ، سپنتا آرميتى ، هوروتات . امرتات (انظر قبل هذا ص ٣٠) .

(٣) (٢) ، ص ١٢٩ — ١٣٠ .

الأقسام الأخرى مشكلة بنفس الطريقة التي شكل بها القسم الأول فهي تبدأ بإله رئيس خالق ثم تتلوه قواه الخالقة وأخيراً يجيء داذو الذي هو خلاصة جميع الأسماء والصفات في كل قسم . وأنا مقتنع أن كلة داذو في القسم الثاني تحمل قدرة آذر كما أنها في القسم الثالث تحمل نشاط مهر وكذلك القسم الرابع يعبر عن القوى الخالقة للدين ، ولكن هذا القسم لايتلخص في داذو ، وواضح أن ذلك راجع إلى أنه ينتهي بكلمة « أنه گران » وهي الأنوار اللامتناهية وهي غير مخلوقة » . فأوهرمزد والداذوات الثلاث هم إذاً فيما يرى نيبرج أوهرمزد — آذر (النار) ، ومهر (ميترا) ودين (دين مزديسن) . « ولكن من المحتمل جداً أن لايكون « أنه گران » شيئاً غير استبدال مزدى لكلمة زروان اكرنا [١] . والشهر المزدى يمثل إذاً الأيون ، في الآلهة الأربعة أوهرمزد وآذرومهر ودين مع قواهم الخالقة[٢] » ويختم نيبرج كلامه قائلا « إننا بإزاء جدول مستقيم للمجموعة التي وجدت في نقش أنتيوش ، هذه المجموعة التي تتكون كما رأينا من : أوهرمزد ، ومهر ، وورهران ، ومن شخصية مقدسة جعلناها دين مزديسن ، ومن هذه الاصطلاحات اصطلاح واحد يختلف عن الاصطلاحات التي ترجع إلى التقويم الإيراني ، ألا وهو « ورهران » الذي يضع التقويم مكانه آذر . على أن هذا الاختلاف ليس إلا ظاهرياً ، ففي الحقيقة هناك وحدة في هذه النقطة ، ذلك أن لورهران صلة خاصة بالنار » ومن الممكن أن نضيف إلى الحجج التي أوردها نيبرج في هذا الصدد أن نار المعابد تسمى نار ورهران (أو وهران في الصيغة البهلوية الأحدث)[٣].

والاستنتاجات التي يخرج بها نيبرج من التقويم الفارسي تطابق كل المطابقة الإشارات المذكورة في مصادرنا السريانية والآرامية ، فالآلهة الأعلون للشريعة

---

(١) أي غير زرواني .

(٢) (٢) ، ص ٣١٠ .

(٣) انظر بعد هذا . وقارن بنفنست ، Vrtra et Vrthragna ، ص ٧٢ .

الساسانية كانوا زروان ، وأوهرمزد ، والشمس (مهر ، ميترا) والنار (آذر) ، وبيدخت = دين مزديسن ، الدين المزدى مجسما .

* * *

وقد رأينا أن جد أردشير الأول كان قيما على بيت نار أناهيتا فى مدينة اصطخر وأن الأسرة الساسانية حافظت دائماً على صلتها القريبة بهذا البيت وكان هناك معابد يختص كل منها بإله . ومن المحتمل مع ذلك ، أن تكون المعابد بصفة عامة مخصصة لعبادة آلهة الشريعة الزردشتية جميعاً وأنها كانت من نوع واحد فكان مركز الخدمة المقدسة هو الهيكل الذى فيه النار المقدسة ، وكان لبيت النار عادة ثمانية أبواب وعدة أبهاء من ثمانية أركان . ويمثل هـذا النوع من المعابد فى أيامنا هذه معبد نار مدينة يزد ، وقد حول إلى مسجد كبير منذ الفتح الإسلامى[1] . ويصف المسعودى[2] خرائب بيت النار القديم فى اصطخر ، وكان فى أيامه مسجد سليمان فيقول : « وللفرس بيت نار باصطخر تعظمه المجوس ، كان فى قديم الزمان للأصنام فأخرجتها حماية بنت بهمن بن اسفنديار وجعلته بيت نار ، ثم نقلت عنه النار فخرب . والناس فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة (٩٣٤) يذكرون أنه مسجد سليمان بن داود وبه يعرف . وقد دخلته ، وهو على نحو فرسخ من مدينة اصطخر ، فرأيت بنياناً عجيباً وهيكلا عظيما وأساطين صخر عجيبة على أعلاها صور من الصخر طريفة من الخيل وغيرها من الحيوان عظيمة القدر والأشكال محيط بذلك حيز وسور منيع من الحجر وفيه صور الأشخاص قد شكلت وأتقنت صورها ، يزعم من جاء هذا الموضع أنها صور الأنبياء » .

ويوجد على نقوش القبور الملكية الأكمينية فى نقش رستم صور تمثل الهياكل التى توقد فيها النار المقدسة ويظهر أن شكلها قد نقش على الهياكل التى كان يتخذها أقوام آسيا الآخرون . فهناك معبدان ضخمان للنار ، قائمان على قاعدة واحدة مصقولة ، قد نقشا على حجر من حجارة نقش رستم . والجزء الأعلى ، ذو الطيقان ، يبدو أنه

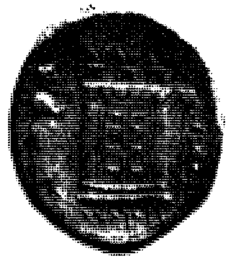
---

(١) أونوالا فى Revue d'Assyriologie ، (٢٥) ، باريس ١٩٢٨ ، ص ٧٨ .

(٢) مروج ، (٤) ، ص ٧٦ — ٧٧ .

مقام على أربعة أعمدة بارزة فى النقش . ولكن النار السرمدية قد استلزمت وجود معابد لتحفظ فيها من عادية الأيام . ويرى بعض الباحثين أن المعبد ذا الفجوات القائم أمام قبور الملوك فى نقش رستم ، والذى يرجع تاريخه إلى أيام الأكمينيين والذى يسميه الفرس « كعبة زردشت » مثل لهذه المعابد التى تحفظ النار الأزلية(١). وقد استقرت القاعدة فى الدين الزردشتى على أنه لايجوز أن تصل الشمس إلى النار المقدسة ، وعلى هذا الأساس وجد الشكل الجديد من بيوت النار الذى فى وسطه غرفة مظلمة كل الإظلام يوضع فيها هيكل النار . ويوجد من هذا بيت نار مصور على نقود حكام فارس من قبل السلوقيين(٢) (رسم ٤) .

وقد صور هنا ثلاثة معابد للنار فى الصورة ومكانها فى داخل المعبد فنرى العابد على اليسار ، والعلم على اليمين . وترينا نقود أردشير الأول تفاصيل بيت نار : الهيكل فيها قائم على حامل ذى ثلاثة أرجل من المعدن بلا شك ، ومن فوقه النار تتوقد (رسم ٥) .



(رسم ٤)

٤ . بيت نار مرسوم على قطعة نقود لولاية فارس (عصر السلوكيين) (هيل . كتالوج المسكوكات الإغريقية فى بلاد العرب والعراق وفارس)



(رسم ٥)

٥ . بيت نار زردشتى مصور على ظهر قطعة نقود من عصر أردشير . (متحف كوبنهاجن)

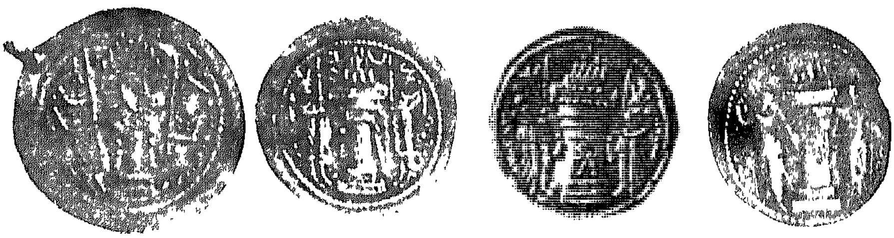
ولكن فى أيام خليفة سابور الأول اختفى الحامل ذو الأرجل الثلاثة واتخذ الهيكل الذى يحمل النار المقدسة صورة عمود مربع ضخم ، وعلى جانبيه صورة رجل

---

(١) ويوافق على هذا الرأى سار (Die Kunst des alten Persiens ، ص ١٥) . ويرى آخرون أنه قبر .

(٢) انظر قبل هذا ص ٧٣

يحمل عصا طويلة أو رمحا . وقد ظل هذا الرسم فى نقود جميع الملوك الساسانيين . وأحياناً يظهر رأس فى وسط النار ، لعله رأس آذر إله اللهب[1] (رسم ٦) . وفى نقود الملوك الأوائل ، إلى يزدگرد الثانى ، نجد غالباً ، على الحاشية كلمة « نار » متبوعة باسم الملك الذى أمر بضرب النقود . وباختلاف الدرجات فى نظام الأسرة عند الإيرانيين القدامى وجد درجات متفاوتة من النار فكان هناك :



د ج ب أ

٦ . صور مختلفة لبيوت النار ، ا منقوشة على ظهر نقود سابور الأول ، ب على نقود سابور الثانى ، ج و د على نقود بهرام الخامس
(ا ، ج ، د مجموعة المؤلف . ب متحف كوبنهاجن)

نار البيت ونار القبيلة ونار القرية (آذُران) ونار لكل كورة أو إقليم وهذه الأخيرة تسمى ورهران (وهرام) . فبينما نار البيت كانت منوطة بالمانبذ ، رب البيت ، كان اثنان من الهرابذة ، على الأقل ، لازمين للقيام بخدمة نار القرية (آذران) ، وكانت نار « ورهران » تتطلب هيئة من الهرابذة أكثر عدداً يرأسها موبذ[2] . وقد جاء فى «السوذگر» وهو نسك من الأوستا الساسانية ، تفاصيل عن طريقة عبادة النار[3] مؤيدة بالقصص الدينية . وفى المعبد ، حيث الهواء مفعم بالبخور ، يقف الهربذ ، وقد أخفى فمه برباط (پايتدانا بالأوستية) لكى لاتلوث أنفاسه النار ، ليغذى النار بقطع من الخشب طهّرت تطهيراً دينياً ، وهى فى الغالب

---

(١) قارن سار — هرتسفيلد ، Iran. Felsreliefs ، ص ٨٩ — ٩١

(٢) شپيجل Eranische Altestlinmskunde ، (٣) ، ص ٥٧٥ ، بنفنست Vrtra et Vrthragna ، ص ٢٩ و ٧٢

(٣) دينكرد (٩) ، ١٢

من نبات اسمه (هذانة پتا) ، ماداً يده بحزمة الخشب المسوى والمهيأ طبقاً لمراسيم الدين (برسما) ، مرتلا الأدعية الدينية ، ويأخذ هرابذة المعبد بعد ذلك فى نثر الهوما . فالأغصان المطهرة من نبات الهوما تدق فى الهون بينما الهرابذة يرتلون الأدعية أو يتلون بعض آى الأوستا . وهذه مراسيم طويلة ومعقدة ينبغى أن تنفذ بدقة وفق التعاليم . ثم تنثر الهوما ، ويتلو الزاأوتر نصوصاً معينة بنظام محدد مع مراسيم متفاوتة تقدم أثناءها البرسما . ولكل من الرتوات السبعة ، وهم مساعدوه ، دوره الخاص : « فالهاونان » الذى يدق الهوما ، وال « آتروخش » عليه أن يعنى بالنار وأن يرتل الدعاء مع الزائوتر ، وال « فرابراتر » يحمل الأعواد ثم يضعها فوق النار وال « آبرت » يحمل الماء ، وال « آس نتر » ينقى الهوما ، وال « رئيث ولشكرا » يخلط الهوما مع اللبن[1] والسابع ال « سروشا ورز » يراقب العمل ، وله وظائف عليه القيام بها خارج المعبد ، إذ عليه مراقبة المواظبة على النظام الدينى .

وفى معبد النار يرتل رجال الدين الأدعية المقررة للأوقات الخمسة المحددة فى النهار ثم يقومون بكل أعمال المذهب وهى تأخذ شكلا علنياً رائعاً فى الأعياد السنوية الستة التى تسمى بال — « گاهانبار » والتى تساير فصول السنة على اختلافها . ولكن الطبقات من غير رجال الدين لم يكونوا مبعدين عن المعابد بل على العكس كان من الواجبات الدينية على كل فرد منهم أن يذهب ليرتل دعاء مجد النار « آتش نيايشن »[2] . ومن يذهب منهم ثلاث مرات إلى المعبد ويرتل هذا الدعاء يظفر بالمال والسعادة الروحية[3] . وقد كان منظر المعبد يبعث المؤمنين على الاستغراق ، وذلك بقاعاته المظلمة حيث تشتعل النار فوق المذبح والآلات المعدنية تلمع من أظرف وأهوان وشبابيث ومساند البراسما التى تشبه الهلال ، وحيث الهرابذة يتلون الأوراد

(١) تقدم الهوما مخلوطة باللبن وعصير نبات هذنبيتا شرابا للآلهة والقربان يسمى ميزدا ويحتمل أن يتكون من اللحم والدهن أو الزبد .

(٢) النيايشن الخامس من الأوستا التى بأيدينا .

(٣) پندنامك زردشت WZKM (٢٠) ، § ٣٦

التى لا تنقطع بصوت مرتفع ولحن جميل حينا وبصوت منخفض إلى حد التمتمة حيناً آخر ، وهم يرددون الأدعية والصلوات دائماً فى أوقاتها على قدر المرات المحددة لكل حالة . وقد امتاز ثلاثة بيوت من بيوت النار بين المعابد المنبثة فى الدولة كلها ، فكانت تتمتع بتقديس خاص ، وهى البيوت الثلاثة التى حفظت فيها النيران الثلاث المسماة : آذر فربغ[1] وآذر گشنسپ وآذر بورزين — مهر . وفى خرافة قديمة تروى فى البندهشن[2] إن جماعة من الناس ، من أيام الملك الخرافى تخمورب انتقلوا من إقليم خونيرس[3] إلى ستة أقاليم أخرى لم يكن فى طاقة البشر بلوغها ، وذلك على ظهر الثور الخرافى «سرسائوغ» Sarsaōgh . وقد حدث ليلة ، فى وسط المحيط ، أن سقطت ثلاث نيران كانت متقدة فوق ظهر الثور أسقطتها عن ظهره الرياح فوقعت فى الماء ولكن النيران ، كأنها ثلاثة أرواح حية ، قد نبتت (من جديد) حيث كانت فوق ظهر الثور فأنارت الدنيا . وبعد ذلك جاء يم (جم) وهو خليفة الملك تخمورب (خرافى أيضاً) فبنى لإحدى هذه النيران الثلاث ، نار فربغ ، معبدا فوق جبل خورهمند فى خوارزم . ونحن لاندرى إلى أى زمان يرقى تاريخ هذه النيران الثلاث . ويظن هوفمان[4] أن هناك صلة بين النار الأبدية بمدينة أساك بمقاطعة استائوين ، وهى النار التى احتفل عندها بتنصيب أرشاك ، مؤسس الدولة الأشكانية ، ملكا[5] وبين نار برزين مهر التى كان بيتها قريباً من هذه الجهة فى عهد الدولة الساسانية . وفى رواية من روايات رجال الدين المزدى إن النيران الثلاث كانت متصلة بالطبقات الاجتماعية الثلاث التى أسسها أبناء زردشت الثلاثة —

---

(١) آذر فرنبغ فى الكتابة البهلوية ، وقد تكون كلمة فرنبغ كتابة تاريخية أو كتابة خاطئة للفظ فروغ بذ ؟ ولكن يظهر أن الصيغة السريانية آذر فردا (هوفمان ، ص ٢١٣) تقصد ذكر الصيغة الإيرانية آذر — فربغ .

(٢) الفصل ١٧ ، ٤ — ٥ ، وست ، Pahlavi Texts ، (١) ، ص ٦٢ ومابعدها ؛ ١٢٤ ، ١ — ٥ وما بعدها من نشر انكلساريا .

(٣) ينقسم العالم ، حسب نشأة الخلق فى القصص الدينى ، إلى سبعة أقاليم (كشور) ، منها واحد يسكنه الآدميون وهو الإقليم الأوسط المسمى خونيرس .

(٤) Auszüge ، ص ٢٩١

(٥) Isodore de Characène ، ١١

كما تقول هذه الخرافة — فآذر فربغ كانت نار رجال الدين ، بينما كانت نار آذر گشنسپ نار رجال الحرب ، وآذر برزين مهر نار الزراع . وأما وضع النيران الثلاث فى المواضع التى كانت معابدها فيها أيام الدولة الساسانية فترجعه القصص إلى الملوك الخرافيين قبل الأكينيين .

آذر فربغ : وهى حسب رواية البندهشن الهندى ، فوق جبل روشن فى كابلستان بناحية كابل . ولعل فى هذا خطأ من الناسخ ، فإن البندهشن الإيرانى قد يقرأ على وجه آخر ، ولكن للأسف غير مؤكد . فيقرأه وليم جاكسون(١) الجبل المنير فى كاوار وند (البخارى) فى مقاطعة كار ، ثم يحاول أن يرينا أن النص يقصد مدينة كاريان فى إقليم فارس ، فى منتصف الطريق بين سيراف على شاطئ الخليج الفارسى ودارا بجرد ، حيث لا تزال خرائب معبد قديم حتى الآن . ويظهر أن النار المقدسة هنا كانت تتقد من عين نفط(٢) . وأما المسعودى(٣) فيرى أن هذا المعبد كان يسمى آذر جوى وتفسير ذلك « نار النهر » ومن الظاهر أن هذا هو المعبد نفسه الذى يشير إليه البيرونى باسم آذر خوره(٤) . هذا ويقترح(٥) هرتسفيلد قراءة أخرى للعبارة التى نحن بصددها من البندهشن الإيرانى ، فعنده أن بيت نار فربغ كان مقاما فى إحدى ولايات الثغور التى يحددها العالم الألمانى بسهل نيسابور(٦) . وعندى أنه من المعقول جداً أن يكون موقع بيت نار فربغ فى كاريان ، إذا لاحظنا الروايات العربيـة التى ذكرها جاكسون تأييداً لرأيه . وكانت النار تؤخذ من معبد كريان لتنقل إلى المعابد

---

(١) The Location of the Farnbāgh Fire ، JAOS ، ١٩٢١ ، ص٨١ومابعدها

(٢) قارن ستاك ، Six Months in Persia ، نيويورك ، ١٨٧٢ ، ص ١١٨ وما بعدها .

(٣) مروج ، (٤) ، ص ٧٥ وما بعدها .

(٤) طبعة ساخاو Sachau ، ص٢٢٨ ومابعدها ، ترجمة الناشر ، ص٢١٥ ومابعدها ؛ وقد تكون آذر خورا مكان آذر خوروا ؛ وخر وفر صورتان من كلمة واحدة هى خورنه فى الأوستا ، قارن ص ١٣٠

(٥) Modi, Mem. Vol. ، ص ٢٠١ ، Arch§Mitt ، (١) ، ص ١٨٢ ومابعدها .

(٦) قارن قبل هذا ص ٩٤ ، ملحوظة ٣ ، وصفحة ١٢٨ و ١٢٩

الأخرى وذلك إلى القرن العاشر[١] فقد كان من العادات القديمة أن تجدد النار في المعابد الصغرى بإمدادها من إحدى النيران في المعابد الثلاثة الكبرى[٢].

آذر گشنسب : وهي النار الملكية ، وكان معبدها في الشمال في گنجك (شيز) بآزربيجان . وقد حدد جاكسون مكانها بين خرائب تخت سليمان في منتصف الطريق بين أورمية وهمدان[٣] . وكان الملوك الساسانيون يحجون إلى هذا البيت العظيم حين الأزمات . وكانوا يهبونه حينئذ هبات سخية من الذهب والأموال والأراضي والعبيد . وقد أرسل إليه بهرام الخامس الجواهر النفيسة التي كانت في التاج الذي أخذه من الخاقان كما أرسل إليه زوجه للخدمة فيه[٤] . وكذلك أظهر خسرو الأول مثل هذا السخاء لهذا المعبد . وقد نذر كسرى الثاني لمعبد آذر گشنسب حلياً من الذهب والفضة إذا انتصر على بهرام چوبين وقد أوفى بنذره . ويصف المسعودي[٥] في القرن العاشر خرائب هذا المعبد فيقول : « وفي الشيز من بلاد آزربيجان آثار عجيبة من البنيان والصور بأنواع الأصباغ العجيبة من صور الأفلاك والنجوم والعالم وما فيه من بر وبحر وعامر ونبات وحيوان وغير ذلك من العجائب ولهم فيها بيت نار معظم عند سائر طبقات الفرس يقال له آذر خوش[٦] ، وآذر أحد أسماء النار بالفارسية والخوش الطيب . وكان الملك من ملوك الفرس إذا ملك زاره ماشياً

---

(١) مقدسي ، نشر دي جويه de Geoje ، ٣ ، ٤٢٧

(٢) تقول الرواية الخرافية (البندهشن) إن ويشتاسپا الملك القديم الذي حمى زردشت هو الذي نقل نار فربغ من خوارزم إلى المكان الذي وجدت فيه حين ألف هذا الكتاب وأما المصادر العربية فلها روايتان مختلفتان عن نقل النار المقدسة في كاريان فالبعض ينسب ذلك لويشتاسپا وآخرون ينسبونه للملك الساساني كسرى الأول . ومهما يكن فلا شك أن نار فربغ كانت موجودة في مكانها النهائي في بدء العهد الساساني .

(٣) Persia Past and Present ، ص ١٢٤ — ١٤٣ ؛ JAOS ، ١٩٢١ ، ص ٨٢

(٤) الطبري ، ص ٨٦٥ ، ٨٦٦ ؛ نولدكه ، ص ١٠٢ و ١٠٤ ، وقد بعث أردشير الأول رؤوس القتلى من أعدائه لمعبد اناهيتا في اصطخر ، وكذلك علقت رؤوس قتلى المسيحيين في هذا المكان نفسه سنة ٤٣٠

(٥) التنبيه ، ص ٩٥ ، ترجمة كارادي ڤو Carra de vaux ، ص ١٣٧

(٦) اسم آخر لآذر — گشنسب .

تعظيما له ، وتنذر له النذور وتحمل إليه التحف والأموال(١) وغير ذلك من البلاد كالماهات وأرض الجبال » .

وبالجملة فقد كانت هذه النار رمزاً للوحدة الملكية والدينية ، رمز الملكية الساسانية ، التى قويت بتحالفها مع رجال الدين ، على خلاف الملكية الأشكانية ، التى كان لكل ملك مقاطعة فيها — أى لكل سترپ — معبد خاص به . وهنا يعبر كتاب تنسر(٢) عن حقيقة تاريخية ، ولكن ماجاء فى ذيل الكتاب نفسه « من أن معابد ملوك الطوائف كانت بدعة وأن النار الملكية الواحدة عند الساسانيين كانت إعادة لما كان متبعاً منذ عهد داريوس » ليس له أساس من التاريخ(٣).

آذر برزين مهر : معبد نار الزراع ، وهو قائم فى شرقى الدولة فى جبال رِيوَند شمال شرقى نيسابور . ويسمى لازار الفربى قرية رِيوَند بقرية المغان(٤). وقد أراد جاكسون أن يجعل مقر هذا البيت بقرب القرية الحديثة مِهْر . فى منتصف الطريق بين ميان — دشت وسبزاور على الطريق الخراسانى المؤدى إلى نيسابور .(٥)

كانت بيوت النار الثلاثة هذه موضع تقديس خاص وكانت هباتها وما ينذر لها أغنى مما يخصص للمعابد الأخرى . وكان فى إيران معابد كثيرة من الدرجة الثانية ولكنها كانت محل رعاية كبيرة ، وخاصة ما نسب تشييده منها إلى بعض الأبطال الخرافيين الذين عاشوا فى العصور البالية أو إلى زردشت نفسه ، ومن أمثلة هذه البيوت بيت النار فى طوس ونيسابور وأرجان فى فارس وبيت

---

(١) وقد أشار ابن خرداذبة أيضا إلى عادة سير الملوك الساسانيين مشاة إلى معبد آذر — گشنسب بالمدائن عند توليتهم الملك (BGA ، (٦) ، ص ١٢٠ ، الترجمة ، ص ٩١) .

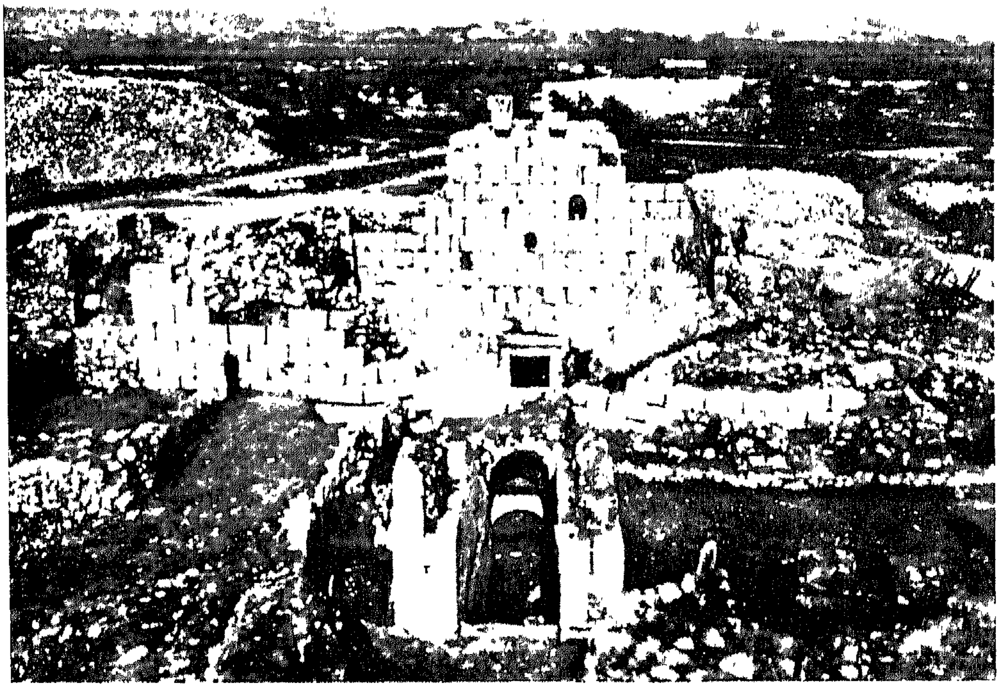
(٢) دار مستتر ، ص ٢٢٥ و ٥٣٠ وما بعدها ؛ مينوى ، ص ٢٢ . الترجمة العربية للخشاب ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٣) فى المكتبة الأهلية بباريس خاتم عليه صورة ونقش لمغان مغ آذر گشنسب المسمى بافرك (انظر هنا ص ١٠٥) .

(٤) لانجلوا ، (٢) ، ص ٣١٥ ؛ هوفمان ، ص ٢٩٠

(٥) From Constantinople to the home of Omar Khayyam ، ص٢١١ — ٢١٧ ؛ JAOS ، ١٩٢١ ، ص ٨٢

نار كركرا فى سيستان وبيت كويسا بين فارس وإصفهان(١) . وتذكر أسماء بيوت للنار فى قرى كثيرة من بلاد الجبال ، وهى بلاد ميديا القديمة ومنها نار قزوين ، وشيروان قرب الري ، وقومش (لعلها هكتمپوليس الأشكانيين(٢)) ويرى ، حتى اليوم ، على قمة تل قريب من إصفهان خرائب بيت من بيوت النار(٣) (شكل ٧) . وقد جاء فى كارنامگ(٤) أن الملك أردشير الأول قد أقام ناراً من



٧ . بيت نار فى شاپور
(سال وگيرشمان . مجلة الفنون الأسيوية ، (١٠) ، لوحة ٤٠)

(١) الشهرستانى ، نشر كيرتون Cureton ، ص ١٩٧ ؛ الترجمة هاربروشر ، (١) ، ص ٢٩٨

(٢) القائمة الكاملة فى شوارتز ، Iran im Mittelalter ، ص ٨٣٧ ، وقد ذكرت نار كومش (كوماجين ، قومش بالعربية) فى البندهشن الإيرانى (انكلساريا ، ص ١٢٨ ، ١ — ٧ : ١١) ؛ انظر ماركارت — مسينا ، Catalogue ، ص ٦٥

(٣) عن كتاب جاكسون Persia Past and Present, ، ص ٢٥٢ وما بعدها ، فى وصف الخرائب .

(٤) (٤) ، ٨ و ١٩ .

نيران ورهران فى بوخت — أردشير على شاطئ البحر ، وأقام كثيراً غيرها فى أردشير خوره .

* * *

وتعتبر الأعياد السنوية أيام الساسانيين — التى يعتبر كتاب البيرونى « الآثار الباقية» من المصادر الرئيسية لمعرفتها — أعياداً زراعية تتصل عادة بأعمال المزارع، ولما اعترف الدين الرسمى بهـذه الأعياد صار الاحتفال بها ذا مراسيم دينية مع احتفالات ، سحرية فى الأصل ولـكنها اختصرت كثيراً إلى مراسم عادية يصحبها كثير من الملاهى الشعبية من كل نوع ، ووفقاً للخيال الذى ألِفه الـكتّاب فى الخرافات الشعبية أصبح معظم هذه الأعياد السنوية متصلا بالتاريخ الخرافى ، فهـذا العيد قد عيد تمجيداً لذكر هـذه الحادثة التى وقعت أيام ييم (جمشيد) أو أفريدون أو غيرهما من الأبطال الخرافيين .

وتتألف السنة الزردشتية من اثنى عشر شهراً ، وهـذه الأشهر تحمل أسماء الآلهة الرئيسيين ، وهى بالترتيب الآتى :

١ — فروردن (فروشى ها — الملائـكة)	٧ — مهر (ميترا)
٢ — أردوهيشت (اشاو هشتا)	٨ — أبهان (أناهيتا)
٣ — خورداذ (هوروتات)	٩ — آذر (آثر)
٤ — تير (تيشتريا)	١٠ — دار (أوهرمزد ، الخالق)
٥ — مرداذ (إمرتات)	١١ — بهمن (وهو منه)
٦ — شهريور (خشاثرا ويريا)	١٢ —إسپندارمذ(اسپنتا آرميتى)

وكل شهر يعد ثلاثين يوماً ، وكل يوم يحمل اسم إله من آلهة الزردشتين ، وسبعة الأيام الأول تحمل اسم أوهرمزد والستة أمهر سپندات (جميع أمهر سپند[1]) . ويضاف إلى هذه الأيام الثلاثمائة والستين خمسة أيام إضافية أو مسترقة ،

---

(١) انظر هنا ص ١٤٨ . والرأى السائد عند العلماء هو أن تقسيم الشهر إلى أسابيع لم يكن معروفا عند الفرس القدماء (انظر جيجر ، Ostiranische Kultur im Altertum ، ص ٣١٦) . ولـكنا نجد بعد ذلك ما يدل على وجود الأسبوع فى التقويم الساسانى .

توضع فى نهاية الشهر الأخير من السنة وتحمل أسماء الـگاتات (جميع گاتا) الخمسة.

والأعياد الموسمية ستة تسمى گهانبارات (جميع گهانبار) وكل منهـا يستمر خمسة أيام . وفى أثنائها تنحر الخراف وفقاً للمراسيم المعينة وذلك فى احتفالات خاصة(١) . وها هى الأسماء الأوستية لهذه الأعياد(٢) :

١ — ميذيوىزرميه(فى شهر أردوهيشت) ٤ — أياثريه . (فى شهر مهر)

٢ — ميذيوى شام (فى شهر تير) ٥ — ميذياى ريه (فى شهر داذو)

٣ — پايتيسش ههيه(فى شهر شهريور) ٦ — همس پتمائديه

والـگهانبار السادس ، همس پتمائديه ، الذى يشمل الأيام الخمسة المسترقة كان فى الأصل عيد الموتى . وكان يستمر فى الأزمنة القديمة عشرة أيام بلياليها ، وقد قيل فى اليشت الثالث عشر من الأوستا الق بأيدينا (فروردين يشت ٤٩ — ٥٢) أنه فى أثناء عيد « الهمس پتمائديه » تقترب أرواح المؤمنين (فروشى ها) من مساكن الصالحين مدة عشر ليال متوالية ، طالبة الصدقة والقرابين ، ومن أجل ذلك سمى « يوم الموتى » هذا باسم فروردیگان أو عيد الأرواح (فروشى ها) . يقول البيرونى(٣) وفى أيام هـــذا العيد « كانوا يضعون الأطعمة فى نواويس الموتى (دخمات)(٤) والأشربة على ظهور البيوت ويزعمون أن أرواح موتاهم تخرج فى هذه الأيام من موضع ثوابها وعقابها فتأتيها وتنشق قوتها وترشف طعومها ، ويدخنون بيوتهم بالرإسنْ ليستلذ الموتى برائحته » .

ولـكى تـكون السنة الزردشتية مطابقة للسنة النجومية كانوا يضيفون شهراً فى كل مائة وعشرين سـنة ، وحينئذ كانت الأيام الخمسة المسترقة تضاف عقب هـذا الشهر . ولـكنهم كانوا ، لأسباب شق ، يضيفون شهرين دفعة واحدة لمدة ٢٤٠

---

(١) دينكرد ، (٨) ، ٧ ، ١ : ٣

(٢) ذكر البيرونى أسماء الـگهانبارات فى لهجة خوارزم . ولـكن فى ترتيب يغاير ذكر الأوستا لها .

(٣) الآثار الباقية ، س ٢٢٤ والترجمة ، س ٢١٠ .

(٤) انظر س ٢٤ هنا عن نواويس الموتى (دخمات) .

سنة . وهكذا ، فى أيام يزدجرد الأول (٣٩٩ — ٤٢٠) أضيف شهران بعد شهر آبهان . ومنذ ذلك الوقت جروا على وضع الأيام الخمسة المسترقة بين شهرى آبهان وآذر ؛ ولكنهم أهملوا إضافة الشهرين حين آن أوان إضافتهما فى المدة التالية (١) .

ويظهر أن السنة كانت تبدأ بشهر مهر فى العصر السابق على الساسانيين ، وكان المهرجان ، عيد الخريف ، أول أيامها(٢) . ولكن هناك دلالات من التقويم تفيد أنه عندما اتخذ أول الربيع مبدأ للسنة فيما بعد صارت السنة المصطلح عليها تبدأ بشهر داد (شهر أوهرمزد)(٣) . وقد أصبح جلياً من الأبحاث التى قام بها كل من جوتشمد(٤) ونولدكه(٥) أنه وجد أيام الساسانيين نوعان من التقويم ، الأول دينى ، وقد روعى فيه أن يكون بدء السنة قريباً من ابتداء الربيع ، والثانى مدنى ، وهذا التقويم لا يكبس بل إنه استبدل الأيام الخمسة المسترقة بشهر كامل ، فصار اليوم الأول من السنة لا يقع فى الوقت نفسه إلا بعد ١٤٤٠ سنة = (١٢ × ١٢٠) وقد حدد يوم ارتقاء الملوك الساسانيين وفقاً لهذا التقويم .

وجدير بنا أن نلاحظ وجود التقاويم المختلفة وطرق الكبس المتباينة — فهذه واقعة محققة — إذا أردنا أن نشرح التضاد الذى نراه بين التاريخ الذى يضربه البيرونى لبعض الأعياد وبين الظواهر الطبيعية التى يشار إليها بمناسبة هذه الأعياد . فمن هذه مثلا العيدان المسميان آذرچشن فقد وصفا بأنهما عيدا الشتاء ، بالرغم من التقويم العادى الذى يجعل أول فروردين فى ابتداء الربيع ، فإنه يحدد لعيد الآذرچشن

---

(١) البيرونى ، الآثار الباقية ، ص ٣٣ و ٤٥ ؛ الترجمة ، ص ٣٨ و ٥٥ — ٥٦ .

(٢) قارن اندرياس — هننج ، Mitteliranische Manichaica (Sitz. Pr. Ak) ١٩٣٢ ، ص ١٨٩ ، الملحوظة ١ .

(٣) أنظر كريستنسن ، Le Premier Homme et le premier roi dans l'histoire légendaire des Iraniens ، (١) ، ص ١٧٥ وما بعدها .

(٤) Berichte d. Kön. sächs. Ges. d. Wiss., phil-hist. Classe ، ١٨٦٢ .

(٥) Tabari ، ص ٤٠٦ وما بعدها .

الأول يوم ٢١ أغسطس ويحدد للثانى يوم ٢٤ نوفبر[١] .

وكان النوروز أكبر الأعياد الشعبية كما هو اليوم فى إيران (نوگ روز = بالفارسية نوروز) وهو يوم رأس السنة الذى يلى عيد فروردیگان[٢] مباشرة فى السنوات البسيطة . وقد جاء فى الدينكرد[٣] ، أن الملوك كانوا يسعدون رعاياهم فى جميع الولايات فى هذا اليوم السعيد ، وكان من يشتغل يستريح ويحتفل بالعيد . وقد عدد نص پهلوى حديث[٤] كل الحوادث الماضية والمستقبلة المتصلة بالنوروز منذ خلق أوهرمزد الدنيا ومنذ عهد الجد فى التاريخ الخرافى حتى نهاية الدنيا . وقد تحدث عن هذا العيد ، عدا البيرونى[٥]، كتاب من العرب والفرس[٦] كما أن شعراء كالفردوسى ومنوچهرى قد تغنوا به . إنه عيد ربيعى قد حفظ بعض خصائص الزجموك Zagmok الذى هو عيد البابليين القدماء . كانت الضرائب الجبية تقدم للملك فى النوروز ، وفيه يعين أو يستبدل حكام الأقاليم ؛ وتضرب النقود الجديدة وتطهر بيوت النار[٧] ويستمر العيد ستة أيام متوالية ، وفى هذه الأيام يجلس ملوك الساسانيين للعامة ،

---

(١) كريستنسن ، Le premier homme ، (١) ، ص ١٧٩ وما بعدها ؛ وانظر أيضا ماركارت ، Modi. Mem. Vol. ، ص ٧١١ وما بعدها .

(٢) كانوا يحتفلون برأس السنة فى أول الربيع أيام الإسلام ، وكان تاريخه فى التقويم العربى يتغير كل سنة ، وفى العهد الحالى نظام التقويم الشمسى الذى يجعل النوروز رأس السنة كما اتخذ أسماء السنة الزردشتية القديمة .

(٣) (٣) ، ١٩ . ، ٥ ، طبعة پيشوتن سنجانا ، (٩) ، ص ٤٤٧ ، الترجمة ، ص ٥٦٣ .

(٤) Pahlavi Texts ، نشر جاماسب اسانا (٢) ، ص ١٠٢ وما بعدها ؛ وقد أعاد نشره وترجمه ماركارت ، Modi Mém Vol ، ص ٧٤٢ وما بعدها .

(٥) الآثار الباقية ، ص ٢١٥ وما بعدها ، الترجمة ص ١٩٩ وما بعدها .

(٦) نبذتان من كتاب المحاسن ، ايرلش ، Modi Mem. Vol. ، ص ٩٥ وما بعدها . وقد ترجمت أولى النبذتين إلى اللغة الروسية واستخدمها اينسمرتر انزف فى أبحاثه عن النوروز (SE ، ص ٨٢ وما بعدها) ثم ترجمت بعد ذلك إلى الفارسية ، ترجمها مازندى ، ثم ترجمت إلى الإنجليزية مع لمحة تاريخية عن النوروز بقلم ناريمان فى الكتاب الصغير « أرمغان نوروز » (Supplement of the Iran League) ، بمباى . وقد تحدثت عن النوروز فى الملحق الذى أضفته للجزء الثانى من كتاب Le premier homme (ص ١٣٨ وما بعدها) .

(٧) الجاحظ ، التاج ، ص ١٤٦

ويقابلون العظماء وآل ساسان فى نظام حسن ويقدمون لهم الهدايا ، وفى اليوم السادس كان الملك يحتفل هو نفسه بالعيد مع خاصته ، والواقع أن اليوم الأول واليوم الأخير من النوروز (اليوم السادس) كان يحتفل بهما احتفالا يحوى كل المظاهر الشعبية[١] . وكانوا يصحون مبكرين فى اليوم الأول ويذهبون إلى مجارى المياه والقنوات للاستحمام ورش بعضهم بعضاً بالماء ، وكانوا يتبادلون هدايا الحلوى . وكانوا فى الصباح ، قبل أن ينطق أحدهم بكلمة يأكلون السكر ويلعقون العسل ثلاث مرات ، ويدلكون أجسامهم بالزيت ، ويتبخرون بثلاث قطع من الشمع ليحفظوا أنفسهم من الأمراض والآفات .

وأما عن أعياد السنة الأخرى فإنا سنقتصر على الإشارة لأهمها . ففى كل شهر عيد اليوم المسمى باسمه الشهر ، وعلى هذا النحو كان تير من شهر تير عيداً (١٣ تير) هو التيرگاه . وفيه يغتسل الفرس ويطبخون الحنطة والفواكه[٢] .

وكان عيد آذرچشن الأول ، عيد النار ، يعيد فى السابع من شهر يور (يوم شهر يور من شهر يور) ، وهو يوم عيد النيران التى فى دور الناس ، وفيه يوقدون النيران العظيمة فى بيوتهم ويكثرون من عبادة الله وحمده ويجتمعون على الأكل والفرح . ولكن يظهر أن هذا اليوم لم يكن عيداً إلا فى بعض ولايات إيران[٣] .

وكان المهرجان عيداً كبيراً جداً ، هو عيد ميترا . يحتفل به يوم مهر (١٦ من شهر مهر) . وكان فى الأزمنة القديمة يوم رأس السنة كما رأينا ، وقد احتفظ بكل تقاليده . وقد كان المهرجان ، كالنوروز ، احتفالا بخلق الإنسان والأرض وغير ذلك من حوادث التاريخ الخرافى . ومن رسوم الأكاسرة فى هذا اليوم التتوج بالتاج الذى عليه صورة الشمس وعجلتها الدائرة عليها . ومنه جرى الرسم بأن يقف فى صحن دار

---

(١) يحتفل اليوم بنوع خاص باليومين الأول والثالث عشر من النوروز ، وهذا اليوم هو آخر العيد .

(٢) البيرونى ، س ٢٢٠ ؛ الترجمة ، ص ٢٠٥ — ٢٠٦ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٢٢١ — ٢٢٢ ؛ الترجمة ، ص ٢٠٧ .

الملك رجل شجاع وقت إسفار الصبح ويقول بأعلى صوته : يا أيها الملائكة[١] انزلوا إلى الدنيا وامنعوا الشياطين والأشرار وادفعوهم عن الدنيا . ومن طعم يوم المهرجان شيئاً من الرمان وشم ماء ورد دفع عنه آفات كثيرة[٢] .

وفى أول آذر يحيون عيد بهارچشن « عيد الربيع » ولأن أول آذر وقع فى عهد الأكاسرة (أى حين اختلفت التقاويم) فإن هذا اليوم صادف أول الربيع . وكان هذا العيد يسمى فى العهود الإسلامية « بخروج الكوسج » فيركب كوسج بغلا ويطوف وقد أمسك بيده مروحة مظهراً سروره بأن البرد قد ولى وأن فصل الحر قداقترب[٣] .

وبعد انقضاء عدة أيام على البهار چشن كان يحتفل فى يوم آذر (التاسع من شهر آذر) بالآذر چشن الثانى وفيه يحتاج إلى الاصطلاء بالنار لأنه آخر شهور الشتاء وكان بالبرد فى آخر الفصل أكلب والقر حينئذ أغلب[٤] .

أول داذ ، وهو يوم آخر من أيام السنة القديمة[٥] ، كان عيد خُرّم روز (اليوم السعيد) . وكان الملك فيه ينزل عن السرير ويلبس الثياب البيض ويجلس على الفرش البيض فى الصحراء ويرفض الحجبة وهيبة الملك ويتفرغ للنظر فى أمور الدنيا وأهلها ومن احتاج أن يكلمه فى شىء دنا منه رفيعاً كان أو وضيعاً وخاطبه غير ممنوع من ذلك . ويجالس الدهاقين والمزارعين ويؤاكلهم ويشاربهم ويقول « أنا اليوم كواحد منكم وأنا أخوكم لأن قوام الدنيا بالعمارة التى تجرى على أيديكم وقوام العمارة بالملك ولا استغناء بأحدهما عن الآخر[٦] . »

---

(١) لعل أصل الصيغة البهلوية أن يكون يزدان (يازاتا) أو أمر سپندان (امشا سپنتا) .

(٢) البيرونى ، ص ٢٢٢ — ٢٢٣ ؛ الترجمة ، ص ٢٠٧ — ٢٠٨ .

(٣) البيرونى ، ص ٢٢٥ ؛ الترجمة ، ص ٢١١ ؛ وقارن المسعودى ، مروج ، (٣) ، ص ٤١٣ وما بعدها حيث وصف العيد كما كان يحتفل به أيام المؤلف ، مع ما فيه من ألعاب .

(٤) البيرونى ، ص ٢٢٥ ، الترجمة ، ص ٢١١ .

(٥) انظر ص ١٦٠ وما بعدها .

(٦) البيرونى ، ص ٢٢٥ ، الترجمة ، ص ٢١١ — ٢١٢ .

وفى الرابع عشر من شهر داذ العيد المسمى « سير سور » أو عيد الثوم . وفيه يؤكل الثوم ويشرب الخمر ويطبخ النبات باللحوم التى يتحرز بها من الشيطان وبها يتداوون من العلل المنسوبة إلى أرواح السوء(١) .

وفى الخامس عشر من داذ يحتفل بعيد آخر وفيه كان يتخذ شخص من طين أو عجين على هيئة إنسان ويوضع فى مدخل الأبواب ولم يكن يستعمل ذلك فى دور الملوك .

وفى السادس عشر من داذ كانوا يحتفلون بعيد له اسمان مختلفان ولكن قراءتهما غير مؤكدة ولعل أولهما يتكون من اسم مركب فيه كلمة گاو بمعنى الثور . وأصل هذا العيد يتصل بخرافة الملك فريدون القديم . فقد ركب هذا الملك ثورا فى الليلة التى ظهر فيها الثور الذى يجر عجلة القمر : « وهو ثور من ضوء قرناه من ذهب وقوائمه من فضة يظهر ساعة ثم يغيب والموفق لرؤيته مجاب الدعوة فى ساعة نظره إليه ، وفى هذه الليلة يرى على الجبل الأعظم زعموا خيال ثور أبيض يخور مرتين إن أخصب الزمان ومرة إن أجدب »(٢) . ومن الطريف ذكر الثور الجرار لعربة القمر فقد وجد فى متحف لننجراد كأس ساسانى من الفضة (كاس كليموا) يظهر فيه ملك القمر (ماه) جالساً على عرشه داخل هلال يتكون منه الجزء الأعلى من عربته التى يجرها أربعة ثيران(٣) (رسم ٨)

والعاشر من بهمن يوم مشهور بعيد ساذگ (ساده بالفارسية) وهو أهم أعياد النار . وقد ذكره كثيراً الكتاب العرب والفرس(٤) . ووصله بعضهم بتاريخ هوشنگ أول ملوك الأسرة الخرافية ، أسرة البيشداديين ، ووصله آخرون ببيوراسب الظالم أو الضحاك (ضحاك عند الفردوسى) ، وهو الرجل الذى نبت

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٢٢٦ ، الترجمة ص ٢١٢ .

(٢) نقص فى النص (البيرونى ، ص ٢٢٦ ، الترجمة ، ص ٢١٢ ، ٢١٣) وفى هذه الملحوظة الأخيرة نستطيع أن نرى أثرا من التقويم الذى يبدأ السنة بشهر داذ (انظر هنا ص ١٦٠ وما بعدها) .

(٣) هرتسفيلد ، Der Thron des Khosrô ، Jahrbuch der preussischen Kunstsammlungen ، جزء ٤١ ، ص ٤ و ١٤٢ وما بعدها .

(٤) كريستنسن ، Le premier homme ، (١) ، ص ١٦٤ وما بعدها .

على كتفيه ثعبانان والذى عزله وقيده أفريدون . ويروى البيرونى[1] أن الإيرانيين فى مساء عيد السذق يتبخرون لطرد السوء حتى صار فى كل رسوم الملوك فى ليلته إيقاء النيران وتأجيجها وإرسال الوحوش فيها وتطيير الطيور فى لهبها والشرب والتلهى حولها » .

واليوم الثلاثين من شهر بهمن عيد آبريزگان (آب ريزان) — عيد السقى — وفيه يصب كل فرد الماء ، وهو عمل سحرى يقصد به جلب المطر . وقد روى البيرونى أصل هذا العيد ولم يرجعه إلى التاريخ الخرافى السابق على الدولة الأكمينية



٨ . كأس كايموا

(هرتسفيلد . تقويم . ج ٤١)

ولكن يرجعه إلى العهد الساسانى ، ويقال إن هذا اليوم قد عيد احتفالا بنزول

(١) ص ٢٢٦ — ٢٢٧ ، الترجمة ، ص ٢١٣ — ٢١٤ .

المطر الذى هطل بعد جدب طال أوانه وذلك بعد أن حج الملك إلى بيت نار آذر خوره (آذر فربغ)[١]

ويوم اسپندار مذ (الخامس من شهر اسپندار مذ) هو عيد النساء ، ويسمى مُزدگيران . وفيه يجود الرجال على النساء ، ويستق فيه العوام زبيباً وحب رمان مدقوقين ويقولون إنه ترياق يدفع مضرة لدغ العقارب ويكتبون من لدن وقت طلوع الفجر إلى طلوع الشمس رقية على أوراق مربعة ويلزقون فى هـذا اليوم ثلاثا منها على الجدران الثلاثة من البيت ويتركون الجدار المقابل لصدر البيت لتهرب منه الهوام[٢] .

واليوم التاسع عشر من سپندار مذ عيد يسمى « نوروز الأنهار والمياه الجارية » وفيه يطرحون الطيب والماورد وغير ذلك فى المياه الجارية[٣] .

ويشير أجاثياس (٢ — ٢٤) إلى عيد دينى كان حسب قوله أعظم الأعياد عنـد الإيرانيين وهو يسميه « عيد إبادة الكائنات الشريرة » فى هذا العيد يقتل عـدد كبير من الزواحف والحشرات التى تعيش فى الصحراوات ثم تقدم إلى المغان إثباتاً لتقوى القاتلين . وليس لدينا مصادر غير أجاثياس عن هذا العيد ولكنا نعلم أن الدين المزدى قد أوصى بإبادة الحيوانات الضارة التى خلقها أهريمن ، وأن قتل عدد معين من كل صنف منها كان مما يكلف به المؤمنون[٤] .

وكانت قراءة الطالع من الأعمال التى يقوم بها المغان فكانوا يتحدثون عن الغيب وهم ينظرون إلى النار المقدسة[٥] وكانوا يحضرون الطالع بما لهم من معرفة بعـلم

---

(١) البيرونى ، ص ٢٢٨ — ٢٢٩ ، الترجمة ، ص ٢١٥ — ٢١٦ . ويقول الدمشقى (ترجمة مهرن Mehren ص ٤٠٥) إنه السقى الذى يجرى فى النوروز وهو الذى يذكر بعهد فيروز ، ولكن فيروز ، هنا ، قد ذكر بدلا من يم (وهى رواية أكثر قدما عند البيرونى) .

(٢) البيرونى ، ص ٢٢٩ ، الترجمة ، ص ٢١٦ .

(٣) البيرونى ، ص ٢٣٠ ، الترجمة ، ص ٢١٧ .

(٤) انظر ، مثلا ، الونديداد ١٤ — ٥ : ٦ .

(٥) أجاثياس ٢ ، ٢٥ .

النجوم . ولكن مع ذلك كان هناك طريقة شعبية لمعرفة النجوم . فالبيرونى[١] يذكر قائمة بأسماء أيام السنة السعد منها والنحس ، كما أنه يبين أحكام الحية ورؤيتها فى أيام من الشهر ، العلة والمرض ، موت أو ذهاب شىء من أهل البيت ، منفعة ومعونة من أهل البلد ، ذكر ومحمدة ، سفر فيه منفعة كثيرة ، دخول على السلطان ، تزويج ونكاح ، مال بلا تعب[٢] ... وكانت أيام قران النجوم أو تقابلها من أيام النحس .

ويشير البلعمى[٣] إلى كتاب فارسى اسمه « كتاب التفاؤلات » يشمل كل التفاؤلات التى ذكرت فى حروب الإيرانيين ثم يذكر فقرة من هذا الكتاب[٤] .

---

(١) ص ٢٣١ — ٢٣٢ ، الترجمة ، ص ٢١٨ .

(٢) تارن روزنبرج Notices de litterature parsie (ليننجراد ١٩٠٩) ، ص ٤٩ ، رقم ١٨ ، مارنامه « كتاب الثعابين » ، منظوم .

(٣) ترجمة زوتنبرج ، (٢) ، ص ٣٢٢ .

(٤) كتب اينسترانتزف بحثا عن التفاؤل والتشاؤم عند الفرس أيام الساسانيين ، نقلا عن المصادر العربية .

الفصل الرابع

النبي مانى ومذهبه

تولية سابور الأول . نقش التتويج . مانى ومذهبه . الجماعة والدرجات المانوية . التبشير بهذا الدين بعد موت نبيه . الفن المانوى

توفى مؤسس الأسرة الساسانية سنة ٢٤١ م[١] . وصور نقش رجب الخاصة بتنصيب ولده سابور خلفاً له تمثل الملك وهو يتلق الخاتم الملكى من يد الإله أوهرمزد . والمنظر محاكاة لصورة تنصيب أردشير فى نقش رستم . فهنا يظهر الملك والإله على حصانين ، وهيئة الملكين واحدة فى النقشين إلا أن الإله يقف شمالا والملك يميناً فى نقش سابور ، كما أن الأشخاص الجاثمة على الأرض فى نقش أردشير ليست فى نقش سابور . ووجه الملك لم يبق من صورته الكثير ، وأما سائر التفصيلات فإنها من التلف بحيث لا تميز . وقد صور أوهرمزد وعلى رأسه التاج التقليدى ، وقد ظهر من فوقه الشعر المجعد متدلياً من قمة الرأس ، وكانت الأشرطة العريضة المتصلة بالتاج تخفق وراءه ، وأما رداءه فمزرور على الصدر تحت عقد من اللؤلؤ ، وأما سراويله فذات ثنايا رقيقة فوق الفخذ . وقد زينت رقبة الحصان وصدره بسلسة من الحلق المستدير ، وتظهر الكرة المفلطحة أمام رجليه الخلفيتين[٢] .

ولم يتم الاحتفال الرسمى بتتويج سابور إلا فى سنة ٢٤٢م[٣] . وكانت أول خطبة لمانى[٤] ، حسب رواية ابن النديم ، فى يوم تتويج سابور ، وذلك يوم الأحد أول

---

(١) وهو التاريخ المقبول بوجه عام . ويذكر هنريش شميدت (Syria ، ١٩٣٤ ، س ٢٢) أن عهد أردشير الأول كان من ٢٢٦ حتى ٢٤٠ .

(٢) سار — هرتسفيلد ، Felsreliefs ، س ٩٧ ، اللوحة (١٣) .

(٣) جرى تقليد قديم بالاحتفال بتتويج الملك الجديد فى أول عيد نوروز يلى ولايته (انظر شيدر Gnomon (٩) ، س ٣٥٠) .

(٤) أهم المصادر القديمة عن المانوية : الرسائل الجدلية التى ألفها كتاب النصارى وخاصة تيتوس البسترى وسانت أوجستين ؛ ثم ما جاء فى Acta Archelai ؛ وفى الصيغ اليونانية =

نيسان ، حين كانت الشمس فى برج الحمل . فإذا استطعنا تصديق هذه الرواية فإن

=والاتينية الخاصة بالاستغفار والتى فرضت تلاوتها على المانويين المهتدين ؛ ورسالة فلسفية أفلاطونية حديثة كتبها الكسندر ليكوبوليس ؛ ثم المواعظ السريانية التى كتبها سيڤير الأنطاكى وعددها مائة وثلاث وثلاثون موعظة ؛ وكتاب "Livre des Soclies" للأسقف السريانى تيودور بركونائى . وهذا الكتاب الأخير والرواية المفصلة عن المانوية التى ذكرها المؤلف العربى ابن النديم فى الفهرست كانتا زمنا طويلا المصدرين الأساسيين لمذهب مانى فى خلق الدنيا . ثم إن بعض المصادر العربية الأخرى ، وخاصة الآثار الباقية للبيرونى ، تمدنا بتفاصيل هامة فى هذا الموضوع . وقد بدأ الباحثون عن تاريخ الديانة المسيحية دراسة المانوية ومنهم : دى بوسوبر : "Hist. critique de manicheé et du manichéisme" ، (امستردام ١٧٣٤ — ٣٩) ؛ بور : "Das manichaeische Religionssystem" (١٨٣١ وأعيد طبعه فى جوتنج ١٩٢٨) . وقد نشر فلوجل رواية الفهرست مع ترجمة ألمانية وحواش مفصلة . وفى سنة ١٨٨٩ ألف كسلر رسالة عن مانى ولكنه لم يتمها . وفى سنة ١٩٠٨ نشر كيمو فى "Recherches sur le manicheisme" بحثا عن خلق الدنيا فى مذهب مانى أساسه نبذ من تيودور بركونائى كان قد نشرها پونيو قبل ذلك بعشر سنوات . وفى القرن العشرين كشفت البعثات العلمية الألمانية والإنجليزية والفرنسية وغيرها فى التركستان الصينية عن عدد كبير من النصوص المانوية بالپهلوية (بلهجات الشمال والجنوب الغربى) والصغدية والأويغورية والصينية (انظر هنا ص ٣٢) . وقد نشر جزء كبير من هذه النصوص . وأهم ما نشر منها ما قام به مولر وزالمن ، ثم ما كتبه اندرياس وهننج ولوكوكوشتين (١٩١١ فى JRAS) وشاوان وپليو (١٩١١ فى JA) .

ونشر نصوصا أصغر من هذه مولر وبانج وپليو . وفى سنة ١٩٢٦ نشر كل من والدشميدت ولنتز درجا صينيا يحوى أدعية مانوية ونصوصا پهلوية وصغدية مع تعليقات تتناول دور المسيح فى مذهب مانى ، كما نشرا بحثا آخر فى سنة ١٩٣٣ عن العقائد المانوية فى المتون الصينية والإيرانية . وبحث ريتزنشتين مواضيع مانوية فى عدة كتب وقد أضاف إلى ترجمة أندرياس نبذا پهلوية بلهجة الشمال لم تكن منشورة من قبل .

ونذكر من أبحاث السنوات الأخيرة عن المانوية ما كتبه الفريك عن الخطوط المانوية ؛ والمقالات العديدة لجاكسون فى JRAS و JAOS وكتابه عن المانوية (نيويورك ١٩٣٢) حيث درس النصوص الأساسية وعلق عليها ؛ وتحقيقات كل من ريتزنشتين وشيدر ؛ ثم إن شيدر نشر كتابا فى سنة ١٩٢٧ عن أصول المانوية ؛ وما كتبه ويسيندونك فى AO المجلد السابع ص ١١٤ وما بعدها .

وأخيراً فقد كشف فى مصر فى السنين الأخيرة كمية من ورق البردى تحتوى على نصوص من كتب مانوية وخاصة الجزء الأكبر من كتاب « كفلايا » مترجمة إلى اللغة القبطية ، وقد نشر جزء منها مع ترجمة ألمانية كل من شميدت وپلتسكى ، وهذه النصوص تحوى تفصيلات عن حياة مانى ومذهبه كانت مجهولة من قبل . وجزء من هذه النصوص ، وهو الذى عثر عليه شميدت ، موجود فى برلين اليوم ، وقد اشترى جزء آخر شستربيتى وهو فى لندن . وقد=

اليوم العشرين من شهر مارس سنة ٢٤٢ شهد حادثين تاريخيين . ولكن جاء فى عبارة من كتاب كفلايا[١] أن مانى نفسه يحدثنا بأنه منذ أيام أردشير قام برحلة فى بلاد الهند ليدعو إلى مذهبه فيها ، وأنه قد عاد إلى إيران حين سمع بوفاة أردشير وتولية سابور ، وأنه قابل سابور فى خوزستان[٢] .

كان مانى إيرانياً من أسرة عريقة . وتقول الروايات إن أمه كانت من العائلة المالكة الأشكانية وكانت لا تزال تحكم إيران حين ولد مانى ، وليس بعيداً أن يكون أبوه ، فاتك ، من الأصل نفسه[٣] وقد هاجر فاتك هذا من بلده همدان (أكبتان القديمة) إلى بابل حيث أقام فى قرية فى وسط ولاية ميسان[٤] ، وهناك كان يحضر مجالس « المغتسلة » وهى إحدى الفرق التى وجدت فى الأقاليم الواقعة بين الفرات ودجلة[٥] . وفى هذه القرية ولد مانى سنة ٢١٥ أو ٢١٦ . وقد نشأ الطفل الصغير على مذهب المغتسلة . ولكنه تعمق بعد ذلك فى درس أديان زمانه ،

= استطاع إيبشر أن يستخرج بمهارة فائقة ستاوتسعين ورقة تكاد تكون تالفة من مجموعة شستربيتى ، وهى تحوى مجموعة من المواعظ لتلاميذ مانى يرجع تاريخ أكثرها إلى القرن الثالث الميلادى . وقد نشرت هذه النصوص مع ترجمتها إلى اللغة الألمانية . ولهذه المواعظ قيمة تاريخية عظيمة فهى تحوى تفصيلات قيمة عن الحكم بقتل مانى وموته (ويبدو أنه لم يكن مستظلا بحماية سابور الأول طوال عهده فحسب ولكن حماه هرمزد الأول أيضاً) ، وعن اضطهاد المانوية أيام بهرام الثانى ، وعن قتل سيس خليفة مانى ثم عن خلافة اينابوس له . ولم أستطع أن أفيد من أحدث هذه المنشورات إلا فى اللحظة الأخيرة ، قبيل الأخذ فى طبع هذا الكتاب .

(انظر تفصيل هذه المراجع فى النسخة الفرنسية ص ١٧٥ ، ١٧٦) .

(١) شميدت — پلسكى ، ص ٤٧ وما بعدها .

(٢) قارن شيدر ، Gnomon (٩) ، ص ٣٤٩ وما بعدها . ويرى شيدر أن الهند كانت بلاد الهندوس وأن قندهار كانت تابعة للدولة الساسانية .

(٣) انظر شيدر ، Urform ، ص ٦٨ — ٦٩ ، ملحوظة ٤ .

(٤) شيدر ، حسن البصرى ، Der Islam ، (١٤) ، ص ٢٣ .

(٥) انظر هنا ص ٢٩ .

الزردشتية والمسيحية[١] والمذاهب الجنستيكية وخاصة مذهبي ابن ديصان[٢] ومرقيون فترك مذهب المغتسلة . وكان يرى الوحي عدة مرات في صورة ملاك اسمه « القرين » فكان يكشف له عن الحقائق الإلهية . ثم بدأ يعلن دعوته .

وزعم مانى أنه « الفار قليط » الذى بشر به عيسى عليه السلام[٣] : « إن الحكمة والأعمال هى التى لم يزل رسل الله تأتى بها فى زمن دون زمن فكان مجيئهم فى بعض القرون على يدى الرسول الذى هو « البدّ » إلى بلاد الهند وفى بعضها على يدى « زردشت » إلى أرض فارس وفى بعضها على يدى « عيسى » إلى أرض المغرب ثم نزل هذا الوحى وجاءت هذه النبوة فى هذا القرن الأخير على يدىّ أنا « مانى » رسول إله الحق إلى أرض بابل »[٤] وقال مانى فى أغنية بهلوية سائدة فى شمالى إيران : « إنى جئت من بلاد بابل لأبلغ دعوتى للناس كافة[٥] » . ومانى كبهاء الله فى القرن التاسع عشر ، ادعى أنه أتى لتكميل كلام الله وأنه خاتم الأنبياء .

ويرى مانى[٦] أنه كان فى مبدأ العالم كونان أحدهما نور والآخر ظلمة . وأن

---

(١) ظهرت الترجمة السريانية للعهد الجديد حوالى سنة ٢٠٠ . رسالة رالفس فى Waldschmidt-Lenz ، ص ٣٤ .

(٢) انظر أبحاث ويسندونك عن أثر ابن ديصان فى مذهب مانى (A. O. ، (١٠) ، ص ٣٣٧ وما بعدها) ، وشيدر (Zeitschr. für Kirchengeschichte ، ١٩٣٢ ، ص ٢١ وما بعدها) .

(٣) الفهرست ، فلوجل، مانى ، ص ٥١ و ٨٥ . وفى الكفلايا (Schmidt-Polotsky ص ٥٣) سمى هذا الملاك « بالفارقليط الحى » قارن شيدر ، Gnomon (٩) ، ص ٣٥١ — ٣٥٢ .

(٤) كلمة من مقدمة كتاب مانى المسمى « شاپورغان » ، ذكرها البيرونى (الآثار الباقية ، ص ٢٠٧ ، الترجمة ص ١٩٠) . قارن شميدت — پلتسكى ، ص ٤١ وما بعدها و ٥٤ وما بعدها ؛ هننج ، Henochbuch ، ص ٢٧ وما بعدها ؛ شيدر Gnomon ، (٩) ص ٣٥٤ وما بعدها .

(٥) القطعة M. ، ٤ (a) .

(٦) انظر بنوع خاص كيمو ، Recherches ؛ فلوجل ، مانى ؛ اندرياس — هننج ، Mitteliranische Manichaica (١) ، (نص النبذة (٣) ، ٢٦٠) و (٣) ؛ هننج ، "Ein manichaischer Kosmogonischer Hymnus" ؛ شميدت — پلتسكى ، Ein Mani-Fund ، ص ٦٢ وما بعدها .

« الأول » هو « العظيم الأول » أو الإله « سروشاو » ويشار إليه أحيانا باسم زروان[١] ، وهو يتجلى فى خمسة أشياء هى بمنزلة الوسائط بين الخالق والخلق وبمثابة أقانيم الأب الخمسة[٢] : الحلم والعلم والعقل والغيب والفطنة . وفى رواية شائعة فى بلاد ما بين النهرين[٣] أن العناصر الشريرة الخمسة قد كوّنت العوالم الخمسة لإله الظلمات وهى : الضباب والحريق والسموم والسم والظلمة . وقد اتفق مانى مع زردشت فى أن عالمى النور والظلمة لامتناهيان من جوانب ثلاثة وأنهما يتلاقيان فى الجانب الرابع .

ولكن إله الظلمات هاجم النور بكل قواه حين رآه . فنظم « العظيم الأول » إذا دفاعه عن مملكته وذلك بخلقه أول المخلوقات . فدعا « أم الحياة » أو « والدة الأحياء » التى تسمى أحياناً « رام راتخ » ودعت هى بعد ذلك « الرجل القديم » الذى يشار إليه أحياناً باسم أوهرمزد[٤] . « والعظيم الأول » « وأم الأحياء » « والرجل القديم » يكونون التثليث الأول (الأب والأم والولد)[٥] . وبعد هذا ولد الرجل القديم خمسة أبناء هم : النسيم والريح والنور والماء والنار ؛ وقد جُسِّدوا تحت اسم المهر سپندات الخمسة (جمع مهر سپند)[٦] وحينما أحاط « الرجل القديم » نفسه بالعناصر الخمسة كأنها جنة له ، نزل ليقاتل إله الظلمات الذى تسلح بعناصره الخمسة . وقد وجد « الرجل القديم » أن عدوه أشد منه قوة فتركه يزدرد عناصره المنيرة « كرجل له عدو فقدم له قطعة من الحلوى مغموسة فى السم الزعاف »[٧]

---

(١) قارن هنا ، ١٣٩ .

(٢) كيمو ، ص ١٠ ، Die Setellung Jesu : Waldschmidt-Lentz ، ص ٤٢ .

(٣) كيمو ، ص ١٢ .

(٤) عن « الرجل القديم » فى المذاهب الجنوستيكية ص ٢٨ من هنا . وتسمية زروان بالعظيم الأول وأوهرمزد بالرجل القديم يبين أن المانوية كما عرفها مانى كانت مشبعة بآراء زروانية ؛ انظر شيدر ، Urform ، ص ١٤٤ . وانظر أيضاً هننج ، Geburt ، ص ٣١٥ .

(٥) اندرياس — هننج ، (٢) ، ص ٣٢٤ ، ملحوظة ٧ .

(٦) أمهر سپندات ، انظر هنا ص ٢٠ و ١٣٣ ، الملحوظة ٦ . اندرياس — هننج ، (٢) ، ص ٣٢٢ ؛ Dogmatik ، Waldschmidt- Lentz ، ص ٥٦٨ .

(٧) تيودور بركونائى ، كيمو ، ص ١٨ . بحث عن مردك وتيامت ؛ قارن هنا ص ٨٣ ؛ هننج ، Gebnrt ، ص ٣٠٧ .

وقد اختلطت العناصر الخمسة النورانية بعناصر الظلمات الخمسة ونتج عن ذلك عناصرنا الخمسة التي لها صفتا الطيبة والخبث. ولكن «الرجل القديم»، بعد هذا، كان متألماً ضيق الصدر، فطلب الغوث من «العظيم الأول» سبع مرات[١]. فلكي يعينه هذا رأى أن يأتي بخلق جديد ألا وهو: «صاحب الأنوار» أو «نرسف»[٢] الذي دعا كذلك «ألبان الأعظم» وهو دعا «روح الحياة» (دميورجس عند مانوية الغرب) ويشار إليه في نصوص من لهجة الجنوب الغربي باسم مهريزد (الإله ميترا). هذا هو التثليث الثاني. وقد نسل «روح الحياة» خمسة أبناء: «زينة المجد»، «ملك الشرف» «آدم النوراني»، «ملك الافتخار»، «والحامل». وهبط «روح الحياة» مصحوباً بأبنائه الخمسة إلى مملكة الظلمات فدعا «الرجل القديم» بصوت عالٍ كالنصل البتار، ثم خلصه[٣]. ثم إن «روح الحياة» مستعيناً بأبنائه قتل ثم سلخ أراكين مملكة الظلمات. ومن جلودهم خلقت «أم الحياة» السماء. ولكن أجسادهم ألقيت إلى أرض الظلمات حيث تكونت الأرض من لحمهم، والجبال من عظمهم. وهي رواية جديدة لقصة دينية عن خلق الدنيا توجد منها آثار في القصص الزردشتية[٤]. والدنيا التي خلقت من أجسام الشياطين النجسة تتكون من عشر سماوات لكل منها اثنا عشر باباً ومن ثمانِ أرضين[٥]. وقد رفعت «زينة المجد»[٦]

---

(١) في لهجة الشمال؛ نرشنيخ عنـد الصغد. وهو نيريوسنجا الأوستا؛ قارن ص ١٤٥ ملحوظة ٤.

(٢) انظر جاكسون The Second Excavation in the Manichaean System of, Cosmogony. Researches in ملحق لمجلة JRAS، ١٩٢٤، ص ١٣٧ وما بعدها Manichaeism ص ٢٧١ وما بعدها.

(٣) إن «صيحة» روح الحياة وإجابة الرجل القديم قد جسما كإلهين: خروشتگ ويذوَاختگ، انظر شيدر، Studien z. antiken Synkretismus، ص ٢٦٣ وما بعدها، شميدت — پلتسكي، ص ٧٦ وما بعدها، والدشميدت — ، Dogmatik، ص ٥٧٥، ٦٠٦.

(٤) انظر كريستنسن، Le premier homme، (١)، ص ٣٤ وما بعدها.

(٥) أربع أراضين في نص من نبذة بلهجة الجنوب الغربي، اندرياس — هننج (١)، ص ١٧٧.

(٦) العظمة عند مانوية الغرب تساوي زينة المجد؟

السماء ، وأما « الحامل » فإنه — كأطلس الخرافة القديمة — قد حمل الأرض على كتفيه . وأما « ملك الشرف » فقد جلس فى الوسط ملقياً أوامره على الآلهة الحراس الآخرين .

ثم إن « روح الحياة » وجد صوره فى أبناء الظلمات فأثار الشهوة الجنسية فيهم[١] بحيث إنهم تركوا جزءاً من النور الذى اختلط بهم يسقط . ومن ذرات هـذا الجزء من النور خلق الشمس والقمر والنجوم ومن بعدها خلق الأفلاك الثلاثة وهى الهواء والماء والنار التى رفعها « ملك الفخار » فوق الأرض وذلك حتى تمنع سم الأراكنة من أن يصل إلى مساكن الآلهة .

ولـكى يتم طريقة الحماية خلق « العظيم الأول » خلقاً جديداً ، « المبشر » أو « الرسول الثالث » الملقب « بإله عالم النور » (روشن شهريزد) أو « نريسه[٢] » فى لهجة أهل الشمال أو الإله ميترا فى اللغة الصغدية (مهريزد ، ميشى بها گه[٣]) . وبهذا « المبشر » اكتملت سلسلة الآلهة السباعية . ومن الممكن مقارنة هذه السلسلة بالمجموعة المزدية التى تتكون من السبعة أمشا سپندات ؛ ومن ناحية أخرى كان الاعتقاد فى سلسلة تحتوى على تثليثين وإله واحد معروفاً عند الـكلدانيين أيام مانى[٤] . وقد نسل « المبشر » اثنتى عشرة عذراء نورانيات[٥] هى : السلطة والحـكمة والنصرة والاعتقاد والطهارة والحقيقة والإيمان والصبر والصدق والإحسان والعدل ثم النور ، وأما « المبشر » نفسه فـكان إلى درجة ما فى مرتبة البتول الأولى النورانية[٦] . وقد اتخذ مقامه فى

(١) قارن القصة المزدية ، ١٤٥ — ١٤٦ من هنا .

(٢) نَـريَـشْ هو الصيغة الجنوبية الغربية الإيرانية للاسم الأوستى نيريوسنجا . قارن ص ١٧٤ ملحوظة ١ .

(٣) رأينا فى لهجة الجنوب الغربى أن الإله ميترا هو روح الحياة .

(٤) كيمو ، ص ٣٤ .

(٥) قارن البروج الإثنى عشر ؛ كيمو ، ص ٣٦

(٦) نرى من بعض النبذ المحاورة بلهجة الشمال وباللهجة الصغدية أن « الخلق الثالث » قد تطور بعد ذلك ، كسابقيه ، إلى ثالوث : المسيح والعذراء النورانية « ومنوه ميذبزرگ » (شيدر Studien ، ص ٢٤٣ وما بعدها ؛ منوه ميذ : العقل) . وفى لهجة الجنوب الغربى يسمى الشخص الثالث من هذا التثليث بهمن (اندرياس — هننج ، (٢) ، ص ٣٢٨ ، ملحوظة ١ ، ٢) ؛ وهو ما يسمى وَهُـومَـنَـه فى گاثات الأوستا) .

الشمس(١)، ومن هنا سير السفينتين ، أى الشمس والقمر . وكانت النجوم والشمس والقمر . والبروج تكون نوعاً من الآلة عملها أن تخلص ذرات النور من اختلاطها بمخلوقات الظلام ثم تنقلها إلى سماء النور . وبأمر « المبشر » سيرت العجلات الثلاث وشيد « البان الكبير » أرضاً جديدة وسجناً للشياطين . وهكذا بدأت الحركة المنظمة للعالم كله . وحينئذ أعاد « المبشر » التجربة التى قام بها من قبل « روح الحياة(٢) » .

فقد اطلع على جمال صوره فى الأراكنة المقيدين بالسلاسل على السماء ، وذلك بأن طلع على الذكور من الأراكنة فى صورة امرأة فاتنة ، وعلى الإناث منهم فى صورة شاب جميل . فالأراكنة ، وقد أخذتهم الشهوة ، أسقطوا عنهم بعض الذرات النورانية ولكنهم نفضوا عنهم فى الوقت نفسه « الإثم » فسقط على الأرض . ومن نصف هذه المادة الظلمانية الذى سقط على الجزء المائى (البحر) ولد تنين ، وقد غلبه آدم النورانى وهزمه ، ومن النصف الآخر الذى وقع على الجزء اليابس (الأرض) نبتت خمس شجرات هى أصل النبات كله . وكانت الإناث من الأراكنة حاملات بطبيعتهن من قبل . فلما رأين جمال « المبشر » سقط من أجنتهن على الأرض مَزَن(٣) وآسر يشتار(٤) فولد منهما حيوانات الأرض والبحر والهواء . وهكذا نشأت الحيوانات ، كالنباتات ، من الشياطين النجسة(٥) .

وأخيراً فإن الحرص (آز) زوّج (آسريشتار) و (مزن) وبلعَ أولادها ،

---

(١) الإله ميترا ، إله الشمس ؟ انظر والد شميدت — لنتز Dogmatik ، ص ٥٣٩ وما بعدها .

(٢) انظر كيمو ، ص ٥٤ وما بعدها .

(٣) قارن « دايو امازانى » الأوستا وشياطين مازندران فى القصص الأحدث (الفردوسى وغيره) .

(٤) مازان وآسريشتار ، انظر اندرياس — هننج (١) ، ص ١٨٢ وما بعدها .

(٥) فى رواية النبذة T (٣) ٢٦٠ التى نشرها اندرياس — هننج ، كان خلق النبات والحيوان سابقا على خلق الدنيا الجديدة . قارن هننج Ein man. Kosm. Hymnus ، ص ٢١٧ وما بعدها .

وبعد ذلك ولد لعفريتين أحدهما ذكر والثانى أنثى[١] اسمهما اشـقلون ونمرائيل ولد اسمه گيهمرد[٢] ثم بنت اسمها (مردیانگ)[٣] وذلك فى الرواية السريانية . وفى هذا الزوج الشيطانى الأصل ، هذا الزوج الذى يسمى آدم وحواء ، أبو وأم الآدميين ، وخاصة فى گيهمرد — آدم ، تركزت آخر ذرات النور التى كان الشياطين يحتفظون بها : كانت الروح الإلهية سجينة اللحم النجس[٤] . ثم أرسل عيسى النورانى ، عالم العقل — خِرد شهر — الذى لم يخلقه (العظيم الأول) ولـكن خلقه آلهة من المقام الثانى (المبشر وأم الحيـاة والإنسان القديم وروح الحياة) إلى گيهمرد — آدم ليوقظه من السبات الذى كان يغط فيه وليوضح له طبيعته وحالته وأحوال العالم[٥] . يقول كيمو[٦]: ويرى المانوية ، بتشبيه جرىء ، فى عذاب عيسى آلام الجوهر الإلهى الذى انتشر فى الطبيعة كلها وأن (من يولد يقاسى ويموت كل يوم) . ايفوديوس ، De fide ، ٣٤) ، والذى إن سرى فى الأشجار فهو معلق وكأنه مصلوب فى الغابات كلها (August, contr. Faust. (٢٠) ، ٢) وإن سرى فى الفواكه والخضراوات فهو يقدم على الموائد (نفس المصدر (٢٠) — ١٣) ويستهلك فى المواد . هذا هو من يسمونه «المسيح المعذب» . ويصيح آدم فى ضيق : « ويح لخالق جسدى ، ويح لمن قيد روحى ، ويح للعصاة الذين أذلونى »[٧] . ونجا آدم ودخل الجنة[٨] .

وقد رجعنا لبيان هـذا الملخص فى خلق العالم عند مانى إلى المصادر السريانية والعربية ثم أكملناه بالنصوص البهلوية التى عثر عليها فى تورفان . وقد ذكر كتاب

---

(١) اندرياس — هننج ، (١) . ص ١٩٥ .

(٢) گيومرد فى خلق العالم عند المزديين ، انظر ص ١٣٧ .

(٣) صيغة أخرى لـكلمة مشيانگ عند الزردشتيين ، انظر هنا ص ١٣٧ .

(٤) كيمو ، ص ٤٦ .

(٥) حل أوهرمزد ، الرجل القديم مكان المسيح فى هذا الدور ، فى نبذة (S ، ٩) ، (انظر هننج Ein manich. Kosmog-Hymnus ، ص ٢٢٢) .

(٦) ص ٤٨ .

(٧) Théodore ، كيمو ، ص ٤٩ .

(٨) هننج ، (١) ، c ، ص ٢٢٤ — ٢٢٥ .

كفلايا(١) فهرستا كاملا للآلهة يحوى خمسة آباء موزعين على خمسة أجيال ، فى كل جيل ثلاثة أشخاص . وها هى شجرة النسب نقلا عن كفلاية(٢) :

العظيم الأول (أبو العظمة)

أم الحياة	عاشق الأنوار(٢)	البشير الثالث
عمود العظمة	عيسى النورانى	البتول النورانية
النفس النورانية (٤)(٣)	القاضى الأعظم	[. . . . . .]
خليفة النور	الرفيق المصاحب	(٥) الصورة النورانية
١ — ملك	٢ — ملك	٣ — ملك

وفى نهاية عمر الدنيا تصل المخلوقات الإلهية من الجهات الأصلية الأربع وينظرن إلى الجنة الجديدة مع إلقاء نظرة فى الوقت نفسه على هوة جهنم . ثم يأتى السعداء من جنتهم المؤقتة(٤) . ويضع الملكان اللذان يحملان السماء والأرض أحمالهما فتقع ، وينقض كل شىء وتشتعل النيران من وسط هذا الاضطراب وتمتد فتحرق العالم كله وفى هذا الحريق الشامل الذى يدوم ثمان وستين وأربعمائة وألف سنة(٥) (١٤٦٨) تخلص كل الذرات النورانية التى يمكن خروجها من الأجساد المظلمة ، ويبقى جزء

(١) شميدت پلتسكى ، ص ٦٢ وما بعدها .

(٢) نفس المرجع ، ص ٧٣ .

(٣) منوه ميذ ، شيدر ، Gnomon (٩) ، ص ٣٠٦ وما بعدها .

(٤) بعد الموت يدخل « الصديقون » الجنة ، ولكن المؤمنين الذين هم أقل درجة والذين لم يخلصوا أنفسهم من المادة ، يحيون من جديد فى الدنيا فى حالات متفاوتة حسب سلوكهم ، أما المجرمون فيذهبون إلى جهنم .

(٥) وقد حاولوا شرح هذا العدد من السنين بطرق مختلفة ، وهو من غير شك نتيجة لمشاهدات فلكية أو نجومية . انظر شارل أجدن فى Modi Vol, ، ص ١٠٢ وما بعدها .

صغير منها فى الظلمات أمداً ولـكن هـذا لا يؤلم الآلهة فإن الحزن لا يناسب طبيعتهم التى لا تعرف غير المرح والابتهاج[١] . ويقام جدار لا يعبر بين العالمين ، وتسعد مملـكة النور بسلام أبدى[٢]. ولا يستطيع الباحث أن يغفل الأصل الجنوستيكى لخلق الدنيا والمعاد عند مانى . وقد وجد شيدر[٣] فى ملخص عقائد مانى الذى ذكره الـكسندر الليكوبوليسى فى صورة فلسفية (يحتمل أن يكون حوالى سنة ٣٠٠) أساس الفلسفة الهلينية التى بنى عليها مانى ، تلميذ ابن ديصان ، نظريته[٤] . فالفكرة المجردة التى تختفى تحت هـذا التصوير الخرافى هى أن الأصلين القديمين هما الله والهيولى ، « الحركة المضطربة » .

الله هوا المبدأ الطيب والهيولى هى المبدأ الخبيث . ويتدخل الله لينظم الحركة ، وإذاً يبدأ بإرسال قوة ، هى النفس التى تختلط بالهيولى ثم يرسل قوة أخرى هى العقل فيبدأ حركة التخليص . فالنفس التى تنبعث من الله ، والتى قد وقعت تحت سلطان المادة باتحادها مع الجسد والتى فقدت الإحساس بأصلها وبمصيرها ، يوقظها ويخلصها روح من عند الله . والإنسان مكون من النفس التى ترجع كلياً إلى العالم العلوى ، ومن الجسد الذى يتبع تبعية كاملة العالم السفلى ، ومن بينهما الروح التى تتبع من غير شك العالم العلوى ، ولـكنها لامتزاجها بالجسد ، قد تعلقت بالعالم السفلى وهذا التنظيم فى عالم الإنسان له نظيره فى العالم الدنيوى الذى هو خليط من الحياة الإلهية المنيرة ومن مادة مظلمة وهو كالإنسان فى حاجة إلى التخليص[٥]. ونظرية المانوية فى خلق الدنيا تعطى الأخلاق أساساً عقلياً وإلهيا ، « فالعامل الخلقى يصبح على هذا صورة

---

(١) نبذ بلهجة الشمال ، ترجمها اندرياس فى Das mandaische. Buch des Herrn der Grösse ، ص ٢٧ .

(٢) الفهرست ، فلوجل ، مانى . ص ٧١ و ١٠١ ؛ الشهرستانى ، نشر كيرتون ، ص ١٩١ — ١٩٢ ، ترجمة هاربروشر ، ص ٢٨٩ — ٢٩٠ ، وفقا لما جاء فى كتاب الشابورغارن الذى وجدت بعض نبذ منه (مولر ، Handschriftenreste ، (٢) ، ص ١٩ وما بعدها) .

(٣) Urform ، ص ١٠٦ وما بعدها .

(٤) قارن بحث شيدر فى Z. K ، ٥١ (١٩٣٢) ص ٢١ — ٧٤ .

(٥) Urform ، ص ١١٠ .

التطور الدنيوى مصغراً ، والعكس بالعكس »[١] . ونرى فى قول الكسندر الليكوبوليسى خلق العالم حسب رأى المانوية كما عرضوه إلى النفوس المتعطشة إلى الفلسفة الهلينية. ولدينا اليوم فى الكتب القبطية مصدر مباشر لمعرفة المانوية الغربية .

والذى يصعّب تأويل المصادر فيما يتعلق بمذهب مانى هو أن هذه المصادر تمثل المراحل المختلفة لتطور النظرية والبيئات المتفاوتة ، وقد كان للدعوة المانوية لون خاص فى كل بيئة دينية ، وقد أراد مانى أن ينشر دينا عالمياً ، وقد طابق بين مذهبه ، بمهارة ، وبين الآراء والمصطلحات الدينية عند مختلف الأمم[٢] . وكانت اللغة السريانية لغته الأصلية بغير شك ولكنه كتب رسائل باللغات الإيرانية . ككتابه «شابور غان» ، الذى سنتحدث عنه فيما بعد ، وكتب أخرى كتبت باللهجة الجنوبية الغربية ، البهلوية الساسانية . وله أدعية باللهجة الشمالية ، البهلوية الأشكانية . ولكى يكون مانى وخلفاؤه قريبين من فهم سامعيهم الإيرانيين ، استعاروا ، كما رأينا ، أسماء آلهة من الديانة المزدية[٣] ، كما ذكروا أبطال إيران كأفريدون مثلا فى قصصهم الدينى . وذكرت بعض الآراء المانوية على لسان زردشت[٤] . وهناك أسماء ملائكة أخذت من البيئة السريانية مثل جبريل ورفائيل وميكائيل وإسرائيل وبرسيموس وغيرها . ولعل يعقوب ، الذى يذكر مع هؤلاء ، هو نبى العهد القديم[٥] ، وهو يماثل نريمن (الأوستا نيرم انه) الذى هو لقب للبطل الخرافى الإيرانى گرشاسپا[٦] .

---

(١) المرجع نفسه ، ص ١١٤ ؛ شميدت — پلتسكى ، ص ١٣ وما بعدها ؛ شيدر ، Gnomon (٩) ، ص ٣٥٩ وما بعدها .

(٢) شميدت — پلتسكى ، ص ٥٩ وما بعدها .

(٣) الظاهر أن مانى نفسه فى تقديره للزردشتية قد تعلق بمذهب الغرب ، انظر شيدر ، Gnomon (٩) ، ص ٣٥٤ ؛ هننج ، Henochbuch ، ص ٢٧ وما بعدها .

(٤) « أغنية زردشت » فى لهجة الشمال ، ترجمة أندرياس فى Reitzenstein ، "Die hellenistischen Mysterienreligonen" ، ص ١٢٦ وما بعدها ؛ أندرياس — هننج (٣) ص ٨٧٢ .

(٥) انظر پيترسون فى "Theologische Literaturzeitung" ، ٢٦ مايو ١٩٢٨ ، ص ٢٤٢ .

(٦) قارن كريستنسن ، Les Kayanides ، ص ٩٩ وما بعدها .

وهناك اختلافات كثيرة فى الأسماء الأسطورية فى رسائل المانوية التى كتبت باللهجات الجنوبية الغربية والشمالية والصغدية(١) .

وقد أثرت الآراء المسيحية تأثيراً عظيما فى مذهب مانى . « فالعظيم الأول » و « الرجل القديم » ، و « أم الحياة » ، التثليث المانوى الأول ، كانوا يقدسون كالأب والابن وروح القدس(٢) . وفى النصوص التى حفظت عن المانوية عبارات مأخوذة عن الأناجيل المسيحية ، وليس فى المذهب المانوى مركز رئيسى ، ولكن معرفتنا به لا تكفى لتحديد هذا المركز . ومهما يكن فإن عيسى المانوية غير عيسى الذى صلبه اليهود . فعذاب عيسى ، ولم يكن إلا فى الظاهر ، كان عند مانى رمزاً لاستعباد روح النور فى العالم السفلى(٣) . وعيسى الحقيقى عند مانى هو الإله الذى أرسل من عالم النور ليرشد آدم ويريه الطريق المستقيم . فعيسى هو رائد الأرواح نحو عالم النور(٤) . وقد نسب مانى إلى عيسى آراء فى التخليص أبعد قدماً كما أبان ذلك بوسيه عند جماعة جنوستيكيين آخرين ولم يكن ذلك بإضافة سطحية مصطنعة ولكن كان ذلك بتأويل رسالة المخلص المسيحى وفقاً لمذهبه(٥) .

والظاهر أن مانى قد أخذ نظريته فى التناسخ عن المذاهب الهندية ، ومن المحتمل أن يكون عن البوذية(٦) وقد اختلف العلماء فى مكانة هذه الفكرة من المذهب

---

(١) انظر هننج ، OLZ ، ١٩٣٤ ، ص ٥ وما بعدها .

(٢) لا أبدأ هنا مسألة العلاقة بين التثليث المسيحى والآراء السامية التى تقول بإله والد وإلهة أم وإله ولد وهى المسألة التى ناقشها ديتلف نيلسن ، (Der dreieinige Gott in religionshistorischer Beleuchtung) ، كوبنهاجن ١٩٢٢ .

(٣) والدشميدت — لنتز ، Die Stellung Jesu ، ص ٢٤ وما بعدها .

(٤) المرجع نفسه ، ٦١ وما بعدها .

(٥) والدشميدت — لنتز ، Die Stellung Jesu ، ص ٧٧ . أما عن دور المسيح فى المانوية فقارن شيدر ، Urform ، ص ١٥٠ وما بعدها ، أندرياس — هننج ، (٢) ، ص ٣١٢ وما بعدها .

(٦) والدشميدت — لنتز ، Die Stellung Jesu ، ص ١٠ ، جاكسون Jackson ، JAOS ، مجلد ٤٥ ، ص ٢٤٦ وما بعدها ؛ ويسندونك ؛ AO ، (٨) ، ص ١٧٨ ؛ أندرياس — هننج ، (٢) ، ص ٣١٠ .

المانوى ،ويلخص جاكسون وهو يبحث عن الموضوع بتوسع ، ملاحظاته على النحو الآتى : « إننا على حق إذا اعتقدنا أن مانى قد اتخذ من هذا المذهب — التناسخ — مبدأ خاصاً فى تعاليمه الدينية ، ذلك أنه كان يقول إن العقاب ، فى صورة ما من صور البعث ، سيكون مآل السماعين الأقل إيماناً والمذنبين ، واستثنى من ذلك الصديقين » .

ويرى ويسندونك أن الشخص نفسه لا يقع عليه التناسخ إنما يكون هـذا على الأجزاء النورانية فيه فهى التى تبعث ثم تبعث إلى أن تفنى فى مملـكة النور . وكذلك غشى المذهب المانوى حين دعى إليه بعد ذلك فى آسيا الوسطى مع البوذية التى كانت منتشرة هناك . ولدينا نص صينى لرسالة مانوية[1] أسلوبها بوذى محض .

وتتدرج الجماعة المانوية فى نظام من خمس طبقات تمثل المساكن الخمسة «للعظيم الأول» . إثنا عشر من المعلمين أصحاب الحلم (فريشتـگان) يكونون الطبقة الأولى ، واثنان وسبعون من المشمسين أبناء العلم (أپسيسگان) يكونون الطبقة الثانيـة . وتتكون الطبقة الثالثة من ستين وثلثمائة من القسيسين أبناء العقل (مهيشتـگان). وعدد الأشخاص فى الطبقتين الأخيرتين وهما طبقة « الصديقين أبناء الغيب » (ويز يدگان) والسماعين أبناء الفطنة (نيوشـگان) لم يكن محدداً[2] . ويشار غالباً فى النصوص إلى هاتين الطبقتين . والسماعون هم سواد الناس : وهم المؤمنون الذين لا قوة لهم على تحمل النظام الدقيق الذى يتبعه الصديقون . وأما الأخلاق المانوية فقد وسعها سلسلة من القواعد ، وخاصة الخواتيم السبعة ، التى منها أربعة روحانية تتعلق بالعقائد ، وثلاثة تبحث فى سلوك المؤمنين ، وهـذه

---

(١) شفان وپليو، J.A ، ١٩١١ ، ص ٤٩٩ — ٦١٧ .

(٢) إن طريقة الدرجات الخمس مختلفة ، وهناك بعض اختلافات فى أوصاف تدرج النظام المانوى ؛ انظرشيدر ، Iranica ، (Abb. d. Ges. d. wiss. zu. Gottingen ، ١٩٣٤) ، ص ١٢ وما بعدها ، وقارن والدشميدت — لنتز ، Dogmatik ، ص ٥١٩ وما بعـدها ، ٥٩٢ وما بعدها ، أندرياس — هننج ، (٢) ، ٣٢٣ وما بعدها . وانظر ، عن بعض ألقاب كبار المذهب المانوى ، جوتيو ، J A ، ١٩١١ ، (٢) ، ص ٥٩ وما بعدها ، وبنفنست ، Etudes d'orientalisme ، لنشر متحف جيميه لذكرى ريموند لينوسي ، (٥) ، ١٩٣٢ ، ص ١٥٥ وما بعدها .

الثلاثة هى : خاتم الفم (الكف عن الكلام المؤدى إلى الكفر أو الخبث) ، وخاتم اليد (الاحتراز من كل فعل أو تصرف يغضب النور) ، وخاتم القلب (تجنب الاستسلام للشهوات الجنسية المحرمة)(١) . وكانت هذه الأختام المتعلقة بالحكمة العملية ذات محمل مختلف بالنسبة « للصديقين » « والسماعين » . الصديقون حرم عليهم مباشرة المهن التى تغضب العناصر ، والسعى وراء الثراء أو البذخ ، وحرم عليهم أكل لحم الحيوان ، وطبخ الخضر لأن فيه إغضاباً لذرات النور التى فيها ، وكذلك حرم عليهم شرب الخمر ، وعليهم ألا يملكوا سوى غذاء يوم واحد ، وكساء سنة واحدة ، وأن يعيشوا بلا زواج(٢) وأن يطوفوا بلاد العالم يبشرون بالدين وينصحون الناس بالاستقامة .

أما السماعون فكانت التكاليف عليهم أيسر : فلهم أن يُعنوا بأعمالهم ويمارسوا مهنهم ولهم أن يأكلوا لحم الحيوان ، على أن يذبحوه بأيديهم ، ولهم أن يتزاوجوا ، ولكن عليهم أن يسيروا سيراً مستقيما ، وأن يجتهدوا فى ألا يتعلقوا بأمور الدنيا . وعليهم أن يوفروا الغذاء « للصديقين » بتقديم الهبات لهم ، وأن يطبخوا الخُضَرَ التى يتغذى منها هؤلاء ، وأن يقدموها إليهم راكعين ، ثم إن الصديقين يكفرون عنهم بصلاتهم ما ارتكبوه من وزر فى طبخ النبات(٣) .

وكان على المؤمنين عامة أداء العشر والمحافظة على الصيام والصلاة . وكانوا يصومون سبعة أيام كل شهر ، ويصلون أربع مرات فى اليوم ، على أن يتطهروا قبل

(١) عن الأختام السبعة ، انظر جاكسون ، JAOS ، المجلد ٤١ ، ص ٦٨ وما بعدها ، Researches in Manchéism ، ص ٣٣١ وما بعدها . خمس فضائل أساسية ، انظر والدشميدت — لنتز Dogmatik ، ص ٥٧٤ ؛ خمسة أصول أخلاقية ، المرجع نفسه ص ٥٧٩ و ٥٨٨ وما بعدها .

(٢) فى خطاب (أندرياس — هننج ، (٣) ، ص ٣٥٧ وما بعدها ، T (٢) D (٢) ١٣٤ ، ١٩٣ — ٢٠٠) قد يكون كاتبه سيس ، خليفة مانى (كما يقول هننج) تناول الكاتب مسألة ابنى مانى ، الابن الذى كان يؤثره ، والابن الذى كان يقصده والذى كان من الصديقين فيما يظهر . فهل استعملت كلمة ابن هنا مجازا ؟

(٣) قارن أندرياس — هننج ، (٢) ، ص ٢٩٦ وما بعدها .

الصلاة بالماء الجاري أو ، في حالة الضرورة ، بالرمل ، أو بما يماثله ، وأن يسجدوا اثنتي عشرة مرة في كل صلاة . وكان « السماعون » يُعيّدون يوم الأحد ، « والصديقون » يوم الإثنين . ذلك أن المانوية قد تبعت أسبوع الكواكب السيارة[1] . وقد كانت الزكاة فرضاً . ولم يكن المانوية يعطون الماء أو الخبز إلى الكفار لأن في ذلك اعتداء على ذرات النور التي في الماء والخبز ، ولكنهم كانوا يعطونهم الملابس والنقود وغيرها من الأشياء التي لا نور فيها .

ولقد لقيت دعوة ماني نجاحاً كبيراً منذ البداية ، لا في بابل وحدها بل بين الإيرانيين أنفسهم . ويظهر من نص الكفلايا الذي ذكرناه من قبل[2] ، أن ماني كان ذا حظوة عند سابور أيام حكم أردشير الأول .

وهناك مصادر أخرى تفيد بأن ماني قد نجح في إدخال أخوين لسابور في دعوته هما مهرشاه حاكم ميسان وفيروز . وقد حفظت لنا إحدى الخرافات[3] المانوية أول مقابلة لماني مع الأمير مهرشاه : فقد كان مهرشاه عدواً للنبي الجديد ، وكان قد أمر بغرس حديقة غناء واسعة الأرجاء لم يكن لها مثيل ، ودخل النبي عند مهرشاه وهو في الحديقة في وليمة ، مرحاً كل المرح . فقال للنبي : أفي الجنة التي تتحدث عنها حديقة كحديقتي هذه . فأدرك النبي أنه لا يؤمن برسالته ، فأراه بقدرته العظيمة جنة النور بآلهتها وملائكتها وسعادتها . فأغمى على الأمير وظل في إغمائه ثلاث ساعات وكان قد حفظ في قلبه ذكرى ما رأى . ثم إن النبي وضع يده فوق رأس الأمير فأفاق ، ولم يكد يقوم حتى ألقى بنفسه على أقدام النبي وأمسك يده اليمنى[4] .

ورواية الفهرست أن الذي حضر مجلس النبي هو الأمير فيروز فقد كان مع

---

(١) بعض ملاحظات عن التقويم المانوي : هننج ، Henochbuck ، ص ٣٢ وما بعدها .

(٢) ص ١٧٧ ، شميدت — بلتسكي ، ص ٤٧ وما بعدها .

(٣) مولر ، Handschriftenreste ، (٢) ، ص ٨٢ وما بعدها ، نبذة بلهجة الشمال .

(٤) الباقي ناقص .

سابور . ويظهر أن النبى كان يمارس فن الطب ، فقد حكى أن سابور لجأ لمانى ليشفى ابنه المريض ، وقد مات مع ذلك فى يديه[1]. ولعل ما جاء فى القطعة الثالثة (m ٣)[2] يشير إلى هذه القصة التى ذكرت أيضاً فى Acta Archelai والتى شك فيها كسلر . أما الصيغة التى أوردها الفهرست لهذه القصة فإنها تقول « ثم إن مانى دعا فيروز أخا سابور بن أردشير فأوصله فيروز إلى أخيه سابور فدخل إليه وعلى كتفيه مثل السراجين من نور ، فلما رآه أعظمه وأكبره فى عينه ، وكان قد عزم على الفتك به وقتله . فلما لقيه داخلته به هيبة وسرّ به وسأله عما جاء به . فوعده أن يعود إليه . وسأله مانى عدة حوائج منها أن يعز أصحابه فى البلد وسائر بلاد مملكته وأن ينفذوا حيث شاءوا من البلاد فأجابه سابور إلى جميع ما سأل » .

وأما أن سابور قد تساهل مع المانوية ورحب بهم فهذا ما يظهر من إهداء مانى لسابور كتاباً من كتبه الرئيسية الذى سماه « شابورغان » . وقد ضمن مانى كتابته عن سيرته التى جاءت فى الكفلايا معلومات قيمة من علاقاته بالملك سابور الكبير . فبعد أن أشار إلى رحلته فى الهند ثم عودته إلى إيران قال مانى : «وقد مثلت فى حضرة الملك سابور ، فأحاطنى برعايته . ثم أتاح لى أن أجوب (مملكته ؟) وأن أعظ بكلام الحياة . وقد أمضيت سنين عدداً ... فى حاشيته وسنين كثيرة فى إيران ، وفى بلاد البرت حتى آديب (آديابين ؟) وحتى البلاد المجاورة للإمبراطورية الرومانية »[4] .

---

(١) كثيراً ما تناولت المصادر المانوية وما يعارضها قدرة مانى فى علم الطب (انظر الفريك (١) ، ص ٤٢ وما بعدها) . والظاهر أن طب المانوية لم يكن مختلفا عن طب الزردشتيين فى زمنه ، وهو الذى يميز بين ثلاثة أنواع من العلاج : بالسكين والأعشاب الطبية والقول الطيب (انظر هنا الفصل الثامن) . وكان الكلام ، أى العبارات الدينية أو السحرية ، عند مانى كما كان عند الزردشتيين أنجع الوسائل لطرد العفاريت التى تجلب الأمراض .

(٢) مولر ، Handschriften Reste ، (٢) ، ص ٨٠ وما بعدها . (لهجة الجنوب الغربى) .

(٣) مانى ص ١٥٨ وما بعدها .

(٤) شميدت — پلتسكى ، ص٤٧ وما بعدها . "Quelques details sur la mission organisée par Mani" (نشاط المبشرين پاتيگ ، ادا ، امو ، اردوان) : أندرياس — هننج ، (٢) ، ص ٣٠١ وما بعدها ؛ شيدر Iranica ص ٦٩ وما بعدها .

وقد عين الأمير فيروز ، بعد تملك سابور ، واليا للمقاطعة الشمالية الشرقية (أبهرشهر وخراسان)[١] . وقد بقيت من عهده نقود سمى فيها « عابد مزدا ، الإلهى ، فيروز ملك الكوشان الكبير » ، وعلى نقود فيروز صورة إلهية كتب تحتها « الإله بوذا »[٢] فقد كان يستطيع ، بأنه مانوى ، أن يعبد فى وقت واحد مزدا وبوذا .

ومن كبار أتباع مانى — وقد أصبح داعياً كبيراً لمذهبه — رجل يسمى بالاسم الأشكانى أردوان ، وهذا يرجح أنه أحد أمراء الأسرة المنقرضة[٣] . أما الروايات العربية التى تتحدث عن المانوية فإنها تقول بأن سابور قد غضب على مانى فى آخر الأمر . ويقول اليعقوبى إن الملك سابور قد لبث من أتباع مانى عشر سنوات فقط ، وبعد ذلك نفى مانى من إيران ، فظل حائراً أكثر من اثنى عشر عاما فى بلاد آسيا الوسطى . وقد ذهب إلى الهند والصين داعياً بمذهبه فى كل مكان ومؤلفا للكتب والرسائل التى يبعثها إلى الرؤساء والجماعات فى بابل وإيران وبلاد المشرق . وأخيرا توفى سابور سنة ٢٧٢ م . وخلفه ابنه هرمزد الأول سنة ٢٧٣ فتجرأ مانى وتحدى خصومه الموابذة وعاد إلى إيران . ويشك شميدت[٤] فى تفصيلات هذه الرواية بل يذهب إلى حد الاعتقاد بأن مانى لم يخاصم سابور قط يقول « ومهما يكن فإن الهرب أو النفى إلى الهند قصة خرافية ، لأن هذه الرحلة قد جرت قبل عهد سابور » وقد كان مانى أثيراً عند هرمزد الأول لا عند سابور وحده .

والمحقق أن بهرام الأول ، أخا هرمزد الأول ، وهو ملك شهوانى قليل النشاط ، قد ترك مانى تحت رحمة رجال الدين . يقول اليعقوبى[٥] : إن مناظرة عامة قد

---

(١) انظر ص ١٢٦ — ١٢٨ .

(٢) هرتسفيلد ، Paikuli ، ص ٤٥ و ٤٩ — ٥٠ .

(٣) أندرياس — هننج ، (٢) ، ص ٣٠٣ . شيدر Iranica ، ص ٧٢ .

(٤) شميدت — پلتسكى Schmidt-Polotsky ، ص ٥١ .

(٥) نشر هوتسما Houtsma ، ص ١٨١ ؛ وقارن فارسنامه ، ص ٦٤ .

جرت بين مانى والموبدان موبد ، وقد غلب مانى على أمره لأن الموبدان موبد كان القاضى صاحب الفصل فى المناظرة(١) ، وقد حكم على مانى بالكفر فأدخل السجن حيث عذب عذاباً مبيناً مات على أثره(٢) ، وكان ذلك عام ٢٧٦(٣) . وفى رواية شرقية ، صلب مانى وسلخ حيا ، ثم قطعت رأسه وحشى جلده وظل معلقاً على أحد أبواب مدينة جنديسابور فى الأهواز (سوزيان) ، وقد سمى هذا الباب بعد ذلك « باب مانى » .

وقد اتخذ المانوية لهم عيدا سموه « بيما » ذكرى لمقتل نبيهم الشهيد . وفى هذا العيد ينصب منبر يرمز إلى الحضور الروحى لنبيهم الغائب . وفى نص من نصوص اللهجة الشمالية(٤) ، يقال : « تعال هنا يا . . . (؟) فى يوم بيما هذا ، حتى تتخلص من كثير من « السمسارات » . وإذاً فكلمة «سمسارا» (التناسخ) السنسكريتية كانت تستعمل لدى المانوية .

وقد ألف مانى كثيرا من الكتب والرسائل التى ضمنها مذهبه . وقد ذكر كثير من المصادر الغربية والشرقية أسماء هذه الكتب التى كتب معظمها باللغة السريانية ، كما أشارت هذه المصادر إلى الموضوعات المهمة فى هذه المؤلفات(٥) . ففى كتاب «سفر الأسرار» تناول المؤلف فيما تناول من الأبحاث : باب ذكر الديصانية ، وكتاب « الأصلين » ولعله نظير رسالة « العفاريت »(٦) (كوان) التى تقص قيام

---

(١) صحة هذه الرواية مشكوك فيها .

(٢) فارن پلتسكى Manichäische Homilien ، ص ٤٢ وما بعدها ؛ اندرياس — هننج Andreas-Henning ، (٣) ، ص ٨٦٢ ، ملحوظة ٣ . قطع نثرية وأغان فى موت مانى ، اندرياس — هننج ، (٣) ، ص ٨٦٠ وما بعدها ، ٨٩١ .

(٣) شيدر Gnomon ، (٩) ، ص ٣٥١ ؛ Iranica ؛ ص ٧٩ — ٨٠ ، ملحوظة ٤ .

(٤) والدشميدت — لنتز Die Stellung Jesu ، ص ١٠ ؛ فارن پلتسكى ، Homilien ، ص ٣٢ وما بعدها و ٧١ وما بعدها .

(٥) انظر الفريك ، Les écritures manichéennes ، (٢) .

(٦) الفريك ، (٢) ، ص ٣١ وما بعدها .

الشياطين بحرب السماء وقصصاً أخرى من قصص الأبطال(١) . وكتاب پراجمتايا أو « كتاب الأصل » ولعله كتكملة لكتاب « الأصلين » ، « الإنجيل الحى » أو « الإنجيل » فقط الذى يحتوى على اثنين وعشرين بابا ، عدد الألف باء السريانية « وهو يعتبر الفلسفة الدينية الحقيقية التى أنزلها على ذوى الإرادة الطيبة المخلّص الإلهى » (٢) ، وقد ألحق بالإنجيل كتاب آخر عن مذهب الجنستيكية هو « كنز الحياة » . ويحدد مانى فى « التعاليم » قواعد الأخلاق وفروض الدين للصديقين والسمّاعين . وقد ترجمت جميع الكتابات السريانية إلى البهلوية منذ عصر مبكر . ومن كتب مانى الأخرى كتاب ألفه باللغة البهلوية الجنوبية الغربية وهو كتاب « الشاپورغان » الذى ألفه باسم سابور الأول الملك العظيم الذى يشار إليه كثيرا وهو يتناول المبدأ والمعاد . وقد عثر على بعض أجزاء من كل من « الشاپور غان » « والإنجيل » ضمن نصوص تورفان . ويشمل كتاب « الكفلايا » Kephalaïa تعاليم النبى التى جمعت بعد موته وقد أصبح بأيدينا جزء كبير منه باللغة القبطية ، ولعله منقول عن اليونانية . وأخيراً لدينا كثير من كتب مانى وخطاباته التى كتبها بنفسه حسب المناسبات ، وكان يوجه الخطابات إلى تلاميذه الممتازين أو إلى الجماعات المانوية فى مختلف البلاد ، فى المدائن وبابل وميسلن والرها والأهواز وأرمينية والهند وهكذا ، مما يبين الدعوة المانوية أثناء حياة مؤسسها مانى . وتوجد مجموعة من هذه الخطابات باللغة القبطية بين أوراق البردى التى اكتشفت فى مصر(٣) .

وقد أدخل مانى إصلاحاً على الكتابة البهلوية ، بوصفه أحد كتابها . وذلك بأن

---

(١) كيمو ، (١) ، ص ٣ — ٤ ؛ (٢) ، ص ١٦٠ وما بعدها . وقد افترض كل من بنفنست (MO ، ١٩٣٢ ، ص ٢١٤) وهننج (من غير أن يتأثر بسابقه ، Honochbuch ، ص ٣٠) أن الكلمة الإيرانية التى ترجمت بكلمة « عفريت » هى كو (أو ستيه كوى — كى وهى فى لغة الكتب الزردشتية البهلوية لقب للملوك الخرافيين) . والواقع أنه وجد حديثا فى نص مانوى (اندرياس — هننج ، (٣) ص ٨٥٨) كلمة كوان (العفاريت) كعنوان الكتاب .

(٢) الفريك ، (٢) ، ص ٣٤ .

(٣) شميدت — پلتسكى ، ص ٢٣ وما بعدها .

استبدل بالكتابة البهلوية — التى كانت لغموضها قابلة لقراءات كثيرة مغلوطة — الألف باء السريانية التى استطاع تطبيقها بغاية الدقة على اللهجتين الإيرانيتين (لهجتى الجنوب الغربى والشمال)، وقد عبر عن الحروف البهلوية الصوتية بأقرب الحروف السريانية لها. ولم تترك طريقة العلامات المعبرة التى كانت تستعمل فى البهلوية العادية وحدها فى هذه الكتابة الجديدة، وإنما وجدت كتابة مضبوطة حسب النطق بدلا من الطريقة القديمة التى لم تستطع أن تتخلص منها البهلوية الزردشتية لميل أهلها إلى المحافظة على القديم.

وقد استعمل حروف الهجاء المانوية المانويون الذين يتكلمون بالصغدية، كما أنها أحدثت فيما بعد طرقا للكتابة عند سكان آسيا الوسطى.

وبعد موت مانى رأس الديانة المانوية، بناء على وصيته، أحد تلاميذه المسمى سيس أو سيسين (Sisinnios)[١]. وقد أقام هذا فى بلاد بابل التى أصبحت منذ ذلك الوقت مقاماً للهيئة العليا لأتباع المانوية. وقد حل إينايوس (Innaïos) محل سيس فى رياسة المانويين بعد صلب هذا الأخير[٢]. وانتشر الدين الجديد فى الأقاليم الغربية، من المملكة الرومانية[٣]. وقد اعتنقه الأب أوجستين Père Augustin قرابة تسع سنوات ثم إنه هاجمه بعد ذلك فى كثير من العنف. وقد جزع النصارى من دين مانى الذى بدا لهم أنه يفسد الأساس الحق لدينهم وبالغ كل فى رميه بالسوء. يقول مؤلف أعمال شهداء الكرخ[٤]: «وفى أيام سابور بصق مانى، موئل الخبث كله، صفراءه الشيطانية». ويلخص تيودور بركونائى رأيه فى أتباع مانى الكافر فيقول: «إن جميع أتباع المانوية هم من الأشرار الذين يقتلون الناس بطرق

---

(١) انظر شميدت — پلتسكى، ص ٢٤ وما بعدها؛ والدشميدت — لنتز Dogmatik ص ٦٠٦؛ شيدر، Gnomon، (٩)، ص ٣٤٣، و Iranica، ص ٦٩.

(٢) شميدت — پلتسكى، ص ٢٨.

(٣) تارن شميدت — پلتسكى، ص ١١ وما بعدها. وقد أرسل پاپوس، أحد تلاميذ مانى، إلى مصر للدعوة لمذهبه (المرجع نفسه، ص ١٤ — ١٥).

(٤) هوفمان، ص ٤٦.

خفية شيطانية ، وهم يرتكبون الفاحشة فيما بينهم بلا حياء ، وقد تجردوا من الرحمة وليس فيهم فضيلة »[١] .

ولكن إذا أردنا أن نعرف الحقيقة عن الرحمة والأخلاق الطاهرة الإنسانية عند المانوية فعلينا أن نقرأ «خواستو ونيفت» أو « صلاة الاعتراف » عندهم . وقد حفظ نص هذا الكتاب باللغة التركية القديمة (أويغور) ضمن المخطوطات التى عثر عليها فى تورفان وتوين هيانغ[٢] .

ومع الاضطهاد الذى لقيه المانويون فى إيران من رجال الدين الزردشتين ، فإن هذا الدين الجديد قد عاش فى صورة شبه سرية . وفى النصوص القبطية[٣] قصص عن اضطهاد المانوية فى إيران أيام الملكين نرسى وهرمزد الثانى .

وقد حمى المانوية عمرو بن عدى ، أحد ملوك الحيرة[٤] ، وقد وجد كثير من المانوية فى بابل بنوع خاص لأنها مهد هذا الدين ، وفى المدائن عاصمة الدولة . ومن ناحية أخرى أدى الاضطهاد إلى هجرة كثير منهم إلى أقاليم الشرق والشمال حيث يقيم كثير من الإيرانيين . وتكونت فى بلاد الصغد جالية مانوية كبيرة . وقد فقد هؤلاء المانويون الشرقيون بمضى الزمن كل صلة بإخوانهم المقيمين فى الغرب ، وأخيراً عدلوا عن الاعتراف بالرياسة الدينية العليا التى كانت فى بابل ، وكونوا من أنفسهم طائفة مستقلة . وقد استخدم أهل الشرق تراجم مكتوبة بالبهلوية الجنوبية الغربية للكتب السريانية ، لأنهم كانوا لا يفهمون هذه اللغة ، ولكنهم احتفظوا بمعرفة لهجة أهل الشمال التى كتب بها جزء كبير من النصوص الدينية وخاصة الأدعية والأشعار المذهبية التى كشفت حفائر تورفان عن بعض نماذج منها[٥] مع نص به فهرست

(١) پونيو ، Inscriptions mandäites ، ص ١٨٤ .

(٢) لوكوك ، JRAS ، ١٩١١ ، ص ٢٨٧ وما بعدها .

(٣) پلتسكى ، Man. Homilien ، ص ٤٢ — ٨٥ .

(٤) انظر شيدر ، Gnomon ، (٩) ، ص ٣٤٤ وما بعدها .

(٥) انظر بنوع خاص أندرياس — هننج ، (٢) و (٣) (أغان باللهجتين) .

عددت فيه مطالع القصائد مرتبة ترتيباً هجائيا(١) . ثم بدىء بعد ذلك بترجمة النصوص الدينية إلى اللغة الصغدية ، ومنها ترجمت بعد ذلك إلى اللغة التركية القديمة ، وذلك حين كوّن الأويغور الذين هم من أصل تركى دولة لهم فى آسيا الوسطى فى القرن الثامن ، وحين آمن أحد الخانات الأويغور الذين حكموا فى النصف الأخير من هذا القرن بالديانة المانوية ونال لقب « مَظهر مانى »(٢) . ويرجع تاريخ نصوص تورفان إلى العهد الذى بدأه هـذا الخان الأويغورى ، وهى النصوص التى تظهر فيها كل اللغات التى ذكرنا ، البهلوية الجنوبية الغربية والبهلوية الشمالية والصغدية والتركية . وقد تمشت مانوية آسيا الوسطى مع البوذية كما ذكرنا من قبل ، فاستخدم الوعاظ الاصطلاحات الدينية البوذية كما استفادوا من القصص البوذية ، وكذلك اقتبس مانوية الغرب حكما من العهد الجديد(٣) .

والروايات التى تميل إلى القصص والتى ذكرها الكتاب المسلمون عند مانى قد احتفظت بمسحة واضحة عن شخصية النبى ، وذلك فيما يختص بمهارته فى الخط والنقش . ومن هؤلاء الكاتب الفارسى أبو المعالى فى كتابه « بيان الأديان » الذى أتمه فى سنة ١٠٩٢ (٤٨٥ هـ)، يقول إن مانى كان يكتب بخط دقيق على قطعة من الحرير الأبيض إذا نزع خيط واحد منها اختفت الكتابة التى كتبها . وقد ألف مانى كتابا جامعا لأنواع التصاوير يسمى « ارژنگ مانى » وهو فى خزائن غزنة . وأما الفردوسى فعنده أن مانى ، الذى أتى من الصين ، كان نقاشاً لم ير له مثيل على وجه الأرض(٤) .

---

(١) مولر ، Ein Doppelblatt aus einem manichäischen Hymnenbuch. (مهر نامگ) .

(٢) مولر ، Uigurica ، (٢) ، ص ٩٥ ، و Ein Doppelblatt ، ص ٥ .

(٣) أما عن الخلاف الذى جرى حوالى نهاية القرن السادس حين انفصل مانوية الشرق (الديناوران) عن الديندارن فى الغرب ، فانظر شيدر ، Iranica ، ص ٧٨ وما بعدها . نص ألف عن التعليم الدينى والخلق عند الديناوران ، اندرياس — هننج ، (٣) ، ص ٨٠٤ وما بعدها .

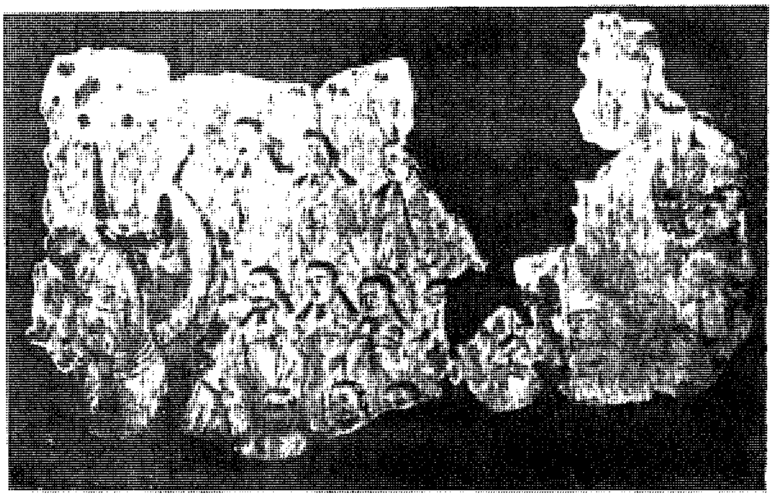
(٤) نيامد يكى مرد گويا ز چين　　كه چون أو مصور نبيند زمين

وقد رويت كل صور الخرافات[1] حول كتاب مانى « اردنج » (ارتنج أو ارژنگ) الذى أصبح من المصطلحات الشعرية لدى الشعراء الفرس . وقد جاء فى قصة مجهولة المصدر رواها ميرخوند أن مانى قد زين بالنقوش غاراً فى بلاد الشرق . ثم إن حفريات تورفان وخوچو Khocho قد أمدتنا بالدلائل على وجود فن مانوى . ففى خوچو غار قد زينت جوانبه بنقوش نستطيع أن نتبين تفاصيل واحد منها بوضوح . وفى أحد هذه النقوش قديس (مانى نفسه ؟) مغولى الهيئة ، شاربه مدلى ، ولحيته فرعان ، وقد بدا قرص الشمس أحمر من وراء رأسه كأنه هالة من نور ، وحواشيه بيضاء ، والجزء الأسفل من هذا القرص محاط بهلال . وكان يلبس فوق رأسه نوعا من التاج ، يحتمل أن يكون مصنوعا من الديباج وأسفله ضيق جداً لا يغطى غير قمة الرأس ، وقد ربط بعصابة مما يحيط بالذقن ، وأعلاه واسع . ويرى إلى الآن بقايا تطريز من الديباج على الرداء . وعلى يمين القديس يرى بعض الصديقين قاماتهم أقصر من قامته فيما يظهر ويبدو أن معظمهم من الأجناس الغربية وهم يلبسون ثياباً بيضاء ، وأما عمائمهم وهى من نوع تاج القديس فيبدو أنها مصنوعة من نسيج أبيض . وأطراف عصابة الذقن الحمراء لا تزال ترى فوق الذقن . وكل هؤلاء قد ربعوا أيديهم فوق صدورهم بحيث تدخل اليد اليمنى فى الكم الأيسر واليسرى فى الكم الأيمن . وهذا وضع يدل ، عند أهل الشرق ، على الخضوع والإجلال . وبعض أسماء الأفراد المكتوبة على الصور بالخط الأويغورى لا يزال يقرأ . وفى نهاية الرسوم ترى نساء الصديقين ، وقد لبسن كالرجال فيما عدا غطاء الرأس ، فإنه عندهن أسطوانى الشكل . ومن خلفهن يرى بصعوبة صور السماعين من الجنسين وقد ارتدوا ثياباً مختلفة الألوان وأحذية سوداء ، ولكن هذا الجزء من النقش تالف جدا[2] .

---

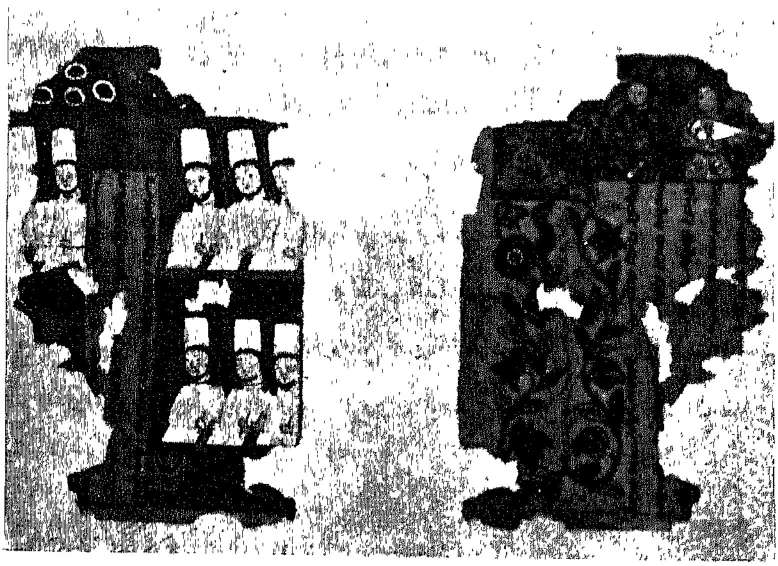
(٢) انظر الفريك ، (٢) ، ص ٤١ وما بعدها . وقد ذكر اردنگ مع كوان فى إحدى الخطابات المكتوبة بلهجة الشمال والتى نشرت فى اندرياس — هننج ، (٣) ، ص ٨٥٨ . تارن شيدر Gnomon ، (٩) ، ص ٣٤٧ ؛ بلدسكى ، Man. Homilien ، ص ١٨ ، ملحوظة a .

(١) لوكوك ، Chotscho ، لوحة ١



٩ . رسم مانوى
(لوكوك . خوچو)

وقد كشف أيضا عَلَمَان من أعلام المعبد عليهما تصاوير . أحدهما يصور امرأة من الصديقات وأمامها سيدة حمراء الثوب راكعة ، قوامها أقصر من الصديقة .



١٠ . ميناتير مانوية
(لوكوك — خوچو)

ونعرف من إحدى النقوش أن الصورة الرئيسية لأميرة اسمها بُسُوسْك Bosusk . ورسم على العلم الثانى اثنان من السماعين ، رجل وامرأة ، وقد ركعا أمام أحد الصديقين . وقد اندثر الجزء الأسفل من صورة الرجل وعلى رأسه عمامة كالتى يلبسها أهل هذا الإقليم اليوم . وأما المرأة فقد اتخذت هيئة العابدة ، وقد مدت كفيها متقابلتين أمام صدرها . أما الصديق فيبدو أنه يغفر ذنوب السماعين ؛ ونحن نعرف أن هذا كان من مزايا الصديقين من الرجال[١] .

ثم إن نماذج من فن المينياتير المانوى قد كشفت . وهناك ورقة فيها نص باللغة التركية على وجهيها تصاوير ، وفيها رجال الدين من المانوية وقد ارتدوا الثياب البيض وعلى رءوسهم عمائم عالية أسطوانية وقد اصطفوا أمام منابر مزينة بأعلام مختلفة الألوان . وقد أمسكوا أقلاما بأيديهم ، وكان أمام كل منهم قطعة من الورق . والصحيفة محاطة بإطار مزين بالأشجار المثمرة وعناقيد العنب ؛والوجه الآخر من الورقة يحتوى على عمودين عليهما نصان أحدهما بالمداد الأسود والآخر بالمداد الأحمر ، ومن حولهما إطار مزين بنقوش على هيئة الأغصان . وعلى الحاشية صورة تمثل ثلاثة أشخاص جالسين القرفصاء على سجادة ، وقد ارتدوا ثياباً كثيرة الألوان . وأعلى هؤلاء مقاما جالس على اليسار ، ولم يبق منـه غير الجزء الأسفل وقد اتجه إليه الاثنان الآخران وعلى رأسيهما قلنسوتان طويلتان . وأولهما جالس فى طمأنينة ، وقد أخفى يديه باحترام فى كميه ، بينما الآخر يعزف على العود[٢] (صورة ١٠) .

هذه التصاوير التى صورت دقائقها فى مهارة فائقة تذكرنا بلوحات فن التصوير الفارسى فى العهد الإسلامى . إنها تشهد بقدم هذا الفن فى إيران فإنه يبدو من المحقق كما يقول كيمو[٣] إن المانوية قد نقلوه من الدولة الساسانية إلى بلاد التركستان حيث توسع فيه وأدى إلى إخراج الروائع . ويروى كيمو أيضا[٤] نصا من حديث سريانى

---

(١) المرجع نفسه ، اللوحة ٣ .

(٢) لوكوك ؛ ٥ .

(٣) Revue archéologique ، ١٩١٣ ، (٢) ، ص ٨٥ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٨٦ .

لإفرم (الرهوى) الذى عاش بعد موت مانى بأقل من مائة سنة يقول فيه إن مانى قد نقش بالألوان على طومار صورا منفرة لأبناء الظلمات وذلك ليبغضها إلى الناس ، بينما صور أبناء النور صوراً جذابة ليحبّب جمالها إلى الناس ، وكانت هذه الصور الملائكية والشيطانية معدة ليهذب العامة أنفسهم . وإذاً فمن الممكن أن يقال إن عادة تصوير الكتب المانوية ترقى إلى النبي نفسه ، وأن هناك بعض الحقيقة فى القصة التى عثل مانى نقاشا عظيما . وقد ظن ألفريك[1] أن كتاب « ارژنگ » المشهور كان نسخة لإنجيل مانى مزينة بالصور .

(١) (٢) ، ص ٤٢ .

الفصل الخامس

دولتا المشرق والمغرب

النظام الحربى للدولة الساسانية . حروب أردشير الأول وسابور الأول مع روما . انتصار سابور على الإمبراطور والرين . نقوش نصر سابور . تدمر . حكم هرمزد الأول وبهرام الأول وبهرام الثانى . نقوشهم . حكم بهرام الثالث ونرسى . نقش نرسى . الحرب الجديدة مع روما . حكم هرمزد الثانى . سابور الثانى والحرب الكبرى . نبذ من رواية أمين . شخصية سابور الثانى . حكم أردشير الثانى وسابور الثالث وبهرام الرابع . نقوش أردشير الثانى وسابور الثانى والثالث .

اتسعت دولة أردشير فى ظل نظام حربى قوى . ولا شك أن سياسته كانت متأثرة بذكريات غير محدودة عن عهد الأكمينيين الزاهر . وقد أحس أردشير أنه وارث دارا ، وأن عليه أن يجدد الجهود التى بذلها الأشكانيون فكان نجاحهم فيها منقوصا ، وذلك لكى يحيى الإمبراطورية الشرقية التى قضى عليها الإسكندر(١) . وعلى هذا نجد اتجاها نحو التوسع فى السياسة الخارجية التى انتهجها أردشير وخلفاؤه الأوائل . وكانت هذه السياسة متجهة أولا إلى حماية الحدود فى الشرق والشمال والغرب . تلك الحدود التى كانت مهددة دائما فقد مست الحاجة إلى إعداد دفاع محكم عنها .

وقد عدلت النظم الإقطاعية القديمة وفقا للأوضاع ومقتضيات الأحوال فى نظام الدولة الساسانية الحربى . فأدمجت طوائف الجند التى كانت تتبع صاحب الإقطاع فى الجيش المنظم . وقد رأينا أن أكبر الألقاب العسكرية وهو لقب أرجبذ ، كان وراثيا فى الأسرة المالكة ، وأن وظيفتين عسكريتين أخريين ، وهما رئيس شئون الجيش وقائد الفرسان ، كانتا كذلك ، وراثيتين فى أسرتين من الأسر الكبيرة(٢) . وربما كان تعيين الإصبهذين (جمع سپاهبد) فى جهات معينة قبل عهد

---

(١) قارن هيرودين ، (٦) ، ٢ .

(٢) قارن هنا ص ٩٣ وما بعدها . وانظر عن إدارة الجيش ص ١١٨ وما بعدها .

كسرى الاول ، من الأمور الشادة . وكان تحت إمرة حكام المقاطعات التى على الحدود جنود مرتزقة فى كل زمان ، وكذلك كانت دائما تقيم الحاميات فى الأماكن الحصينة من الحدود(١).

وكانت نخبة الجيش ، كما كانت فى عهد الأشكانيين تتكون من الفرسان الدارعين ، الفرسان النبلاء . وكان لهؤلاء (أسْوَارَان) المقام الأول فى المعارك ، وكان النصر يتوقف على قوتهم وشجاعتهم قبل كل شىء(٢) . فقد كان الإيرانيون يلقون ضدّ الرومان بأفواج منظمة من الفرسان الدارعين ، فى صفوف كثيفة كل الكثافة ، فكان بريق الدروع التى كانت تتبع اتجاه الجيش يعكس هيبة تبهر الأبصار(٣) . كانت فرق الفرسان كأنها صيغت من حديد وقد غطى جسد كل منهم بألواح من الحديد ملتصقة به إلى درجة تجعل مفاصل الدرع الحديدية الصلبة تتحرك فى يسر وفقاً لحركة أعضاء الجسد . وكان للوجه قناع يحميه . وهكذا كان من المتعذر تصويب سهم إلى الفارس ما لم يسدد نحو الفتحات الصغيرة قبالة العينين أو إلى الثقبين الدقيقين أمام الأنف اللذين كان يتنفس الفارس منهما . وكان بعض الفرسان ، المسلحين بالحراب ، يقفون بلا حراك ، حتى ليظن أنهم شدوا إلى سلاسل من حديد . وبجانبهم يقف الرماة وقد مدوا أذرعهم ليشدوا الأقواس المرنة بحيث يلمس الوتر الجزء الأيمن من صدورهم بينما السهم معلق فى أيديهم اليسرى . وكان السهم ينطلق بضغط محكم بالأصبع فيدوى فى الفضاء ويُصمى من يصيبُه(٤) . ويقول أمين Ammien إن الفرس مع ذلك لم يكونوا ذوى بأس فى الوغى ، فإنهم لم يتعودوا النضال فى جسارة إلا أن يكونوا على مسافة بعيدة من أعدائهم(٥) ، وإذا أحسوا أن فرقهم تتراجع يتقهقرون سراعا

(١) نولدكه ، Tabari ، ص ٤٧٩ ، ملحوظة ١ .

(٢) كان الفرس يعتزون بالفرسان قبل كل شىء ، « حيث يؤدى هذا الواجب الشاق جميع النبلاء والممتازين » ؛ وامتازت الفروسية بنظامها الحربى وضبطها وكذلك بالتمرين المتواصل وعُددها . أمين مارسلن ، (٢٣) ، ٦ ، ٨٣ .

(٣) أمين مارسلن ، (٢٤) ، ٦ ، ٨ .

(٤) أمين مارسلن ، (٢٥) ، ١ ، ١٢ — ١٣ .

(٥) (٢٥) ، ١ ، ١٨ .

كالريح العاصف ، مطلقين سهامهم من خلفهم كى يخففوا من جرأة عدوهم وهو يقتفى أثرهم(١) .

وكان لدى الساسانيين ، كما كان للأخمينيين ، فرقة من الفرسان المختارين تسمى « فرقة الخالدين » وهى تتكون كأنموذجها الأخمينى ، من عشرة آلاف رجل يحمل رئيسهم لقب « ورهر نيكان خوذاى » varhranighan khvadhay(٢) . أما ما يسمى « جان — أوسپار » Agan-Auspar ومعناه « الفدائيون » فلعلها فرقة أخرى ممتازة بالجرأة وتحدى الموت(٣) . ونجد على بعض القلنسوات الطويلة لرجال يلتفون حول الملك فى النقوش علامات لعلها العلامات التى تميز الضباط من الفرق المختلفة .



وكانت الفيلة تتخذ مكانها خلف الفرسان . وكانت أصواتها ورائحتها ومناظرها المخيفة تلقى الذعر فى خيل العدو . وكان «الفيالة» يركبون وفى أيديهم اليمنى سكاكين طويلة المقابض ، فإذا ما ذعر فيل ، وكان هذا يحدث أحيانا ، فانقلب يتخبط فى صفوف الإيرانيين يوقعهم ويدوسهم ، فإن الفيال يبادر إلى قتله بأن يغمد السكين فى عظام رقبته(٤) . وأما مؤخرة الجيش فكانت مؤلفة من المشاة (پايگان) يقودهم رؤساؤهم ويسمى الواحد منهم « پايگان سالار » . وكان المشاة من أهل القرى وكانوا يتخذون جندا لحفظ النظام ، يذهبون للحرب من غير أن يشجعهم أحد بالأجر أو بغيره من المثوبة(٥) . إنهم كانوا جمهرة الحراثين الخاضعين للنظام العسكرى ، وقد

(١) اليزه ، Langlois ، (٢) ، ص ٢٢١ ؛ پروكوپ ، BP ، ١ ، ١٤ ؛ قارن هوبشمان ، Armen. Gramm ، (١) ، ص ١٩٢ .

(٢) هرتسفيلد ، Paikuli, gloss ، رقم ٣١٥ ؛ قارن بنفنست ورينو فى : "Vrtra et Vrthragna" ، (باريس ١٩٣٤) ، ص ٣٨ ، ملحوظة ٢ .

(٣) انظر جيجر ، WZKM ، جزء ٣٧ ، ١٩٧ — ١٩٩ .

(٤) أمين مارسلن ، (٢٥) ، ١ ، ١٤ — ١٥ .

(٥) أمين مارسلن ، (٢٣) ، ٦ ، ٨٣ .

كانوا ، على الأقل ، مصفحين بدروع مستطيلة ومقوسة من الخيزران المتشابك ، المغطى بجلد غير مدبوغ[١] . وقد كان المشاة جنوداً غير مهرة بوجه عام ، « كانوا معزا قذرة قد مسختهم القذارة وهم يلقون السلاح ويولون الأدبار قبل أن يتدرهم أحد بالحرب » . وبهذا قال الإمبراطور جوليان مشيراً بإصبعه إلى أسرى الجند من الإيرانيين ، لكي يبعث الشجاعةَ فى قلوب الجند الروم[٢] . وكانت الفرق المردفة التى تتكون من الشعوب المحاربة التى تقطن فى أطراف الدولة أكثر غناء فى الحرب من المشاة الحراثين . وكانوا ممتازين نسبيا لأنهم كان يحكمهم أمراء وطنيون ، وكان جزء من جيش الأكمينيين يتكون من مثل هـذه الفرق . وكان الساجيون من من أحسن الأقوام فى جيوش دارا وخشيارشاى . وكذلك نجد ، فى أيام الساسانيين، أن أجدر الفرق بالثقة بين الفرق الرديف فرق السجستانيين[٣]،أى الساج المهاجرين إلى ولاية درانجان القديمة . وكثيراً ما استخدم الإيرانيون فرقا من الأمم الجبليـة المختلفة فى القوقاز وشمال بحر قزوين ، والجيليين والـكادوسيين[٤] والورت والألبانيين والديالمـة[٥] وكذلك استخدم كوشان بقطريان[٦] والـكيونيت الذين يظهر أنهم منحوا إقليم كوشان فى النصف الأول من القرن الرابع[٧] . وربما كان بعض هذه الشعوب مستقلا استقلالا تاما . ولـكنهم كونوا ، بالمال ، فرقا من الجنود

---

(١) نفس المرجع ، (٢٤) ، ٦ ، ٨

(٢) نفس المرجع (٢٤) ، ٨ ، ١ .

(٣) نفس المرجع (١٩) ، ٢ ، ٣ .

(٤) اليره ، Langlois (٢) ، ص ٢٢١ ؛ أمين مارسلن ، (١٧) ، ٥ ، ١ .

(٥) أجاثياس ، ٣ ، ١٧ وغيرها ، انظر نولدكه الطبرى ، ص ٤٧٩ ، ملحوظة ١ . يقول أجاثياس : وكان الديالمة أقدر فى المعركة حيث يحاربون بالسيف والحربة والخنجر أكثر مما يرمون بالسهم . وقد ذكر ماركارت (A Catalogue of Provincial Capitals of Eranšahr ، نشر مسينا ، ص ٥٢) نصا من تاريخ أربيل جاء فيه أن سابور الأول قد أخضع الجيليين والديالمة والجرجانيين .

(٦) ماركارت (Eranšahr ، ص ٣٦) حيث يذكر Cusenos بدلا من Eusnos ، أمين مارسلن ، (١٦) ، ٩ ، ٤ .

(٧) ماركارت ، Eranšahr ، ص ٥٠ .

المرتزقة ، ومن هذا القبيل ، على الأقل فرقة الهون التى ألحقت فى بعض الظروف بالجيش الإيرانى[١] . وكانت هـذه الفرق المردفة تحارب راكبة كالأساورة الإيرانيين[٢] . وكان الفرسان الأرمن الذين يحاربون تحت الراية الإيرانية موضع رعاية خاصة . فكانوا حين يدخلون المدائن يبعث الملك إليهم أحد العظماء المشهورين ليتحرى عن حالة أرمينية ، وكان هـذا يتكرر ثلاث مرات ، ثم يستعرض الملك فرقهم[٣] .

وكانت الوحدات الكبيرة من الفرق تسمى « گُنْد » ورؤساؤهم « گندسالار » أما « درفش » فكانت فرقا أصغر ، والفرقة الصغرى من هذه الفرق كانت تسمى « وَشْت » Vasht[٤] وكان لكل « درفش » رايته[٥]. وترينا النقوش الساسانية بعض أمثلة من الرايات والشارات الحربية فنرى راية من النسيج[٦] طويلة ورفيعة تشبه كثيرا الرباط ، وهى تخفق على عصا .

وفى إحـدى صور نقش رستم ، وهى الصورة التى يظهر فيها ملك ساسانى[٧] ممسكا الحربة وهو يندفع نحو عدو له قد حطمت نشابته فى القتال ، فى هذه الصورة يُرى حامل الراية ممسكا القناة بيده وقد التصق بها عارض من الخشب تعلوه ثلاث كرات، واحدة على كل من طرفيه والثالثة فوق القناة مباشرة[٨] (الصورة ١١) وقد أشير إلى الرماح الفارسية بين الغنائم التى ظفر بها أوريلين بعد الانتصار على الزباء[٩] . وكانوا

(١) اليزه ، Langlois ، (٢) ، ص ٢٢١ .
(٢) أمين مارسلن ، (١٩) ، ٢ ، ٢ — ٣ .
(٣) باتكانيان ، JA . ١٨١٦ ، (١) ، ص ١١٢ .
(٤) هوبشمان ، Armen. Gramm ، (١) ، ص ١٣٠ و ١٤٦ .
(٥) كلمة درفش تعنى « الراية » أو « العلم » .
(٦) فلاندان وكوست ، Voyage en Perse ، لوحة ٥٠ .
(٧) لعله بهرام الثانى .
(٨) سار — هرتسفيلد ، Felsreliefs ، لوحة ٦ ، ص ٧٤ وما بعـدها ؛ سار ، Die Kunst des alten Persien ، لوحة ٨٣ ؛ قارن سار فى Klio (٣) ، الملزمة ٣ ، حيث وصفت الراية وصورت .
(٩) Vita Aureliani عند فلافيوس ڤوپيسكوس ، ٢٨ .

عند ما يبدأون الهجوم يلوحون بالعلم النارى اللون[١] . وكثيراً ما يتحدث الفردوسى ، فى أجزاء الشاهنامه التى تتعلق بالأزمنة الخرافية أيام الكيانيين ، واصفاً



١١ . نقش بارز ساسانى فى نقش رستم (بهرام الثانى ؟)

(سار . فن فارس القديمة)

رايات الأبطال الأقدمين . وهذه الأوصاف مأخوذة عن مصادر ساسانية ، فلا شك أن الأعلام الساسانية هى التى اتخذت نماذج لها . فنجد فى قول الفردوسى وصف علم ملكى عليه صورة الشمس بلون بنفسجى ، ومن فوقها قمر مذهب[٢] كما نجد علما محلى بصورة أسد أمسك فى مخالبه بدبوس وسيف[٣]، وآخر أسود عليه صورة الذئب ، ورابعاً عليه صورة النمر ، وأعلاما أخرى مزينة بغزال أو خنزير برى ، أو نسر ملكى

---

(١) أمين مارسلان ، (٢٠) ، ٦ ، ٣ .

(٢) ڤولرز ، (١) ، ص ٤٧٨ ، بيت ٧٣٤ .

(٣) راجع الأسد (الذى أمسك السيف بيده) والشمس فى أسلحة إيران الحديثة .

أو تنين له سبعة رءوس متقابلة[١] . ثم هناك علم عليه صورة الشمس ، وآخر عليه صورة حمار الوحش ، وعلم قد جعلت له أهداب قد صور عليه القمر بلون أرجوانى ، وعلم عليه صورة ثور[٢] .

وكان العلم الساسانى « درفش كاويان » يتكون كما يقول القصص التاريخى ، من فوطة الحداد كاوگ (كاوه) الذى كان ، فى الأزمنة القديمة الخرافية ، قد أثار الناس على الملك الظالم الضحاك ، ولكن الأوصاف الباقية من هذا العلم الملكى لا ترقى إلا إلى العصر الأخير من حكم الساسانيين[٣] .

وفى المعارك الكبيرة التى كان يديرها الملك بنفسه ، كان يحمل له عرش كبير ، يوضع وسط الجيش ويلتف حول العرش خدم الملك وحاشيته وفرقة من الجند كان عليها أن تدافع عنه حتى الموت . وقد رفعت الأعلام فى أركان العرش . وخلف هذه الأعلام يقف حرس من الرماة والرّجل . فإذا لم يكن الملك حاضرا ، وكان قائد الجيش هو الذى يتولى المعركة ، فإنه يجلس على العرش . ومن فوق عرش كهذا تابع رستم تقلبات معركة القادسية[٤]. وكانت معابد نار متنقلة توضع فى خيمة خاصة ، فإن الملك لا يحارب مطلقا من غير أن يصحبه المغان وبيوت النار[٥]

كان البرتيون قليلى الحيلة والمهارة فى الحصار ولكن الساسانيين قد تعلموا فن الاستيلاء على القلاع من الرومان . فكانوا يستخدمون آلات للهدم ، والمجانيق ، والأبراج المتحركة ، وآلات الحصار الأخرى التى كانت تستعمل قديما . وكانوا إذا حوصروا هم أنفسهم ، يعلمون كيف يفسدون آلات عدوهم ، وذلك بإيقاع آلات

(١) ڤولرز ، (٢) ، ص ٧٨٥ ، بيت ٣١٠ وما بعده .

(٢) المرجع نفسه ، (٢) ، ص ٨٠١ ، بيت ٥٢٧ وما بعده .

(٣) انظر الفصل العاشر فيما بعد .

(٤) ابن خلدون ، Not. et Extra ، (١٧) ، ٦٩ ؛ (٢٠) ، ٧٩ — ٨٠ . أما أن ملكا ، كسابور الثانى ، قد اشترك فى القتال بنفسه وكان عليه أفدح عبء فيه فهذا ما لم يسمع به حتى ذلك الوقت .

(٥) Sébéos ، انظر پاتكانيان ، JA ، ١٨٦٦ ، (١) ، ص ١١٣ .

الهدم ، التي يستخدمونها ، في المكامن ، أو بصب الرصاص المذاب أو المواد الملتهبة عليها[١] . ونجد على كأس فضي يرجع إلى القرن الأول من العهد الساساني ، وهو من محفوظات متحف لينِنجراد ، صورة قلعة حصينة قد شن عليها الأعداء الهجوم . فنجد فوق الحائط ذي الشرفات المستند إلى الأعمدة والذي يفتح في وسط باب مغلق ، برجاً من فوقه ثلاثة جنود للحراسة . وقد نصب في الجانب الأيسر للبرج عمود يتدلى منه علم طويل ، وفي وسط الحائط ، أمام البرج ، تجمع نافخو الأبواق حول معبد أو بناء أثري آخر . وكانوا ينفخون الأبواق كي ينبهوا المحاصرين . وكان المهاجمون يسرعون بخيولهم نحو القلعة من الجانبين وقد تسلحوا بالسيوف والحراب والحلق المستدير . وكان أحد الفرسان يحمل في يده علماً له أربعة أطراف متموجة[٢] . (شكل ١٢)

وكان الإيرانيون يحرقون حقول القمح إذا توغل العدو في أراضيهم لكي يحولوا دون تموينه[٣] ، أو يفتحون السدود في الأراضي التي يخصصها الري ، فيغرق الوادي ويوقف تقدم العدو[٤] .

وكان أسرى الحرب عامة يساقون وقد قيدت أيديهم خلف ظهورهم . ليباعوا رقيقاً[٥] ، أو كانوا يرحلون إلى الأماكن المهجورة من الدولة حيث يكونون مستعمرات زراعية[٦] .

وفي نقش ساساني بمدينة سابور ، صَوّره فلاندان Falandin[٧] يُرى الملك وقد عرضت عليه رءوس أسرى الحرب أو الثوار .

وقد اتخذ الإيرانيون طريقة بديعة لإحصاء القتلى في الحرب فقبل الحرب كان

---

(١) انظر الأوصاف عند أمين مارسلن ، (١٩) ، ٥ وما بعدها ، (٢٠) ، ٦ — ٧ و ١١

(٢) سار ، Die Kunst des alten Persien ، لوحة ١٠٥ .

(٣) أمين مارسلن ، (٢٤) ، ٧ ، ٧ .

(٤) المرجع نفسه (٢٤) ، ٣ ، ١٠ .

(٥) المرجع نفسه (١٩) ، ٦ ، ٢ .

(٦) قارن هنا ص ١١٥ ؛ أمين مارسلن ، (٢٠) ، ٦ ، ٧ ؛ وانظر أيضاً لابور Labourt ، ص ١٢٢ ، ملحوظة ٣ .

(٧) فلاندان وكوست ، (١) ، لوحة ٥٠ .

يحدث استعراض أمام الملك ، جالساً فوق عرشه ، والقائد الذى أسندت إليه إدارة دفة الحرب . وكان الجنود يمرون الواحد تلو الآخر ، وكل منهم يرمى سهما فى أسفاط كبيرة وضعت هناك لهذا الغرض ثم تختم الأسفاط بالختم الملكى ، فإذا انتهت الحرب فتحت الأسفاط ويأتى الجند فيأخذ كل منهم سهما . فالأسهم التى تتبقى تنم عن عدد القتلى أو الأسرى . وهكذا كان يتسنى للملك أن يعرف هل اشترى القائد نصراً بثمن غال[1] . والأمر هنا فيما يبدو يتعلق بعادة قديمة جداً عند الشعوب الإيرانية . ذلك أن ما يذكره هيرودوت (٤ — ٨١) عن المرجل الكبير المقدس عند إقليم إجزامپيوس يثبت ، مهما تكن الرواية خرافية ، أنه فى زمن المؤرخين الإغريق ، كان السيث فى أقاليم البحر الأسود يستخدمون طريقة مماثلة لتعداد السكان .



١٢ . حصار قلعة مصور على كأس فضى
(سار . فن فارس القديمة)

(١) پروكوپ ، BP ، (١) ، ١٨ ، ٥٢ — ٥٣ .

وقد تضمنت الأجزاء الضائعة من الأوستا الساسانية وشروحها البهلوية الضائعة أيضا(١) كثيرا من الإشارات إلى الشئون العسكرية . وقد تناول البحث فيها الحروب الدفاعية عند الحدود ضد الهجمات التى تشنها الشعوب الأجنبية(٢) . واستيلاء المحاربين وهم فى سيرهم(٣) وهكذا . والنسك المسمى « دزدسر — رِزد » يحوى فصلا كاملا « أرْتيشتار ستان »(٤) وهو يبحث فى الحرب والجيش وهى مسائل مهمة لأن « استئصال الذئاب ذوات الرجلين أكثر ضرورة من قتل الذئاب ذوات الأربع » وفى هذا الفصل تفاصيل عن الفرق المصفحة وغير المصفحة ، ورتب قواد الجيش وغيرهم من الضباط ، وعدد الفرق التى يقودها ضباط من رتب متفاوتة ، ومراتب الضباط ، وعدد الجند ، وتموينهم ، وعلوفة خيولهم ، وما أشبه ذلك .

وفى زمن السلم كانت الأسلحة ومعدات الحرب تحفظ فى المخازن (أَمْبَارَ كَ = عنابر) وفى المخابئ (گنز) وقد كان على « إيران — امبارگبذ(٥) » أن يراعى كون كل شىء منظما ومعدا للتسليم فى أقصر مدة . فإذا انتهت الحرب أعيدت المهمات(٦) . وكانت الخيول موضع عناية خاصة ، وكان الطبيب البيطرى (ستور بزشك) ذا شأن . وكانوا يجمعون له الأعشاب ليستخدمها فى علاج الحيوانات(٧) . ولم يكن الاستيلاء على خيول الرعية مباحاً إلا أن تكون الحرب واقعة على الفور من غير أن تصل الخيل اللازمة فى حينها(٨) . وأما عن تموين الجيش ، من اللحم واللبن والخبز ، فإن هذه المواد كانت توزن وتوزع يوميا على المحاربين بالتساوى(٩) . ويظهر

---

(١) قارن هنا ص ٤٠ — ٤١ ، ١٣١ .
(٢) دينكرد (٨) ، ٣٧ ، ٥٠ .
(٣) دينكرد (٨) ، ٢٢ ، ٦ .
(٤) دينكرد (٨) ، ٢٦ .
(٥) انظر هنا ص ٩٤ .
(٦) دينكرد (٨) ، ٢٦ ، ٢٧ .
(٧) دينكرد (٨) ، ٢٦ ، ١١ .
(٨) دينكرد (٨) ، ٢٦ ، ١٨ .
(٩) دينكرد (٨) ، ٢٦ ، ١٠ .

أن الجنود والخيل كانوا ينالون رواتب يوم المعركة أكثر مما يأخذون عادة[١] .

ويحوى « الأرتيشتارستان » أيضاً ملاحظات عن خطط الحرب ، عن الأحوال التي يجب فيها الاشتباك في المعركة أو الحالات التي يتفادى فيها النزال . وكان يشترط في القائد أن تتوفر فيه المناقب الضرورية لإدارة الحرب ، والقدرة على وضع الخطط ، والنظرة السليمة ، والإلمام بحالة جيشه ، ودقة سلوكه ، وعليه أن يعرف خاصة وحدات جيشه وقدرة كل وحدة منها ، وعليه أن لا يبدى غضبه يوم المعركة ، وأن لا يتخذ عملا يوقع الخوف في نفوس جنده . ويجب أن يرتبط الجندي بأخيه بميثاق المحبة ، ويجب أن يطيع الجنود قائدهم طاعة عمياء ، وعلى هذا أن يشجع جنده يوم المعركة حتى لا يبالوا بالموت وذلك بأن يذكرهم بواجبهم الديني الذي يحتم عليهم قتال الكفار ، وبالجزاء والأجر الذي سينالونه في الدنيا ، وبالذكر الطيب الذي سيكون لهم في الآخرة[٢] وكان الجيش يثار للقتال على قرع الطبل[٣] ويبدأ القتال بعد أن يصب الماء المقدس في أقرب مجرى ماء ، وبعد أن يُرمى غصن مقدس على أنه السهم الأول[٤] . وجرت العادة بأن القائد ينصح عدوه قبل المعركة ، بأن يخضع للشاهنشاه وأن يؤمن بدين زردشت[٥] ، أو يدعو إلى المعركة بصيحة "مَرْد وَمَرْد" (رجل ورجل) كل رجل له شجاعة في القتال[٦] ويبحث «الأرتيشتارستان» أخيرا في المكافآت التي تمنح للفرق المحاربة بعد الظفر ، ومعاملة العدو المنهزم ، والأسرى والرهائن ، وتخيير الشعب المغلوب بين الموت أو قبول الجنسية الإيرانية[٧]

---

(١) دينكرد (٨) ، ٢٦ ، ١٢ .

(٢) دينكرد ، (٨) ، ٢٦ ، ١٤ — ١٦ ، ٢٢ — ٢٣

(٣) أمين مارسلن (١٩) ، ٢ ، ٥ ؛ اليزه ، Langlois ، (٢) ، ص ٢٢١ .

(٤) دينكرد ، (٨) ، ٢٦ ، ٢٤ .

(٥) » » ٢٦ ، ٢١ .

(٦) نهاية ، برون ، ص ٢٥٠ ؛ پروكوپ BP ، (١) ، ١٣ ؛ البلعمي ، زوتنبرج ، (٣) ، ص ٣٨٩ — ٩٠ ؛ قارن سار — هرتسفيلد ، Felsreliefs ، ص ٧٤ ، ملحوظة ١ ، وبنفنست في JA ، ١٩٣٢ ، ص ١٣٥ وما بعدها .

(٧) دينكرد ، (٨) ، ٢٦ ، ٢٢ .

ويحتمل أن يكون معنى هذا ، الإلزام بخدمة إيران بالسلاح ، أي الاندماج في جيشها . وفي نص في النسك المسمى سكادم[1] ذكر «للجيوش الملوعة والجيوش الجريئة» وقد أبدى المعلق في سذاجة فخره القومي بأن أضاف إلى ذلك قوله : إن الإقدام هو العلامة المميزة للجيش الإيراني إذا قورن بجيوش الأجانب . وهناك نموذج مهم للخطط الحربية عند الساسانيين ، ذكره ابن قتيبة[2] نقلا عن الآيين نامگ[3] ، وقد أوضحه أنسترنتزف[4] . والنص ينقسم إلى قسمين كما أوضح العالم الروسي ، فقسم منه يتناول المعركة الرهيبة وهي دائرة ، والثاني يتحدث عن محاصرة الحصون . ففي القسم الأول يتحدث الكاتب عن إعداد الجيش ، فالقلب يرتاد مكانا مشرفا ، والفرسان في المقدمة ، ومن كان من الجند أعسر (وهم الذين يقدرون على الرماية بأيديهم اليسرى) يوضع في الميسرة . وهنا نذكر تفاصيل عن المعركة . فلا يألونّ صاحب الجيش على حال من الأحوال أن يستدبر جنده عين الشمس والريح ، وإن كان العدو قد نزلوا بماء وأراد الجند غلبتهم عليه فإن وقت ذلك عند ري العدو من الماء وسقيهم دوابهم منه وعند حاجة الجند إليه ، فإن أسلس ما يكون الإنسان عن الشيء عند استغنائه عنه وأشد ما يكون طلبا للشيء عند حاجته إليه . وبعد ذلك يأتي الكاتب بنصائح عن الكمين ، فينبغي أن ينتخب له من الجند أهل جرأة وتيقظ وصرامة ، ليس بهم أنين أو سعال ولا عطاس ، ويختار لهم من الدواب ما لا يصهل ولا يعنت ، ويختار لجنودهم مواضع لا تغشى ولا تؤتى ، قريبة من الماء حتى ينالوا منه إن طال مكثهم . ثم يتحدث عن البيات من إلقاء الرعب في العدو بالضجة والضوضاء وهكذا . والقسم الثاني يتناول الحيل في محاصرة الحصون ، فكيف يمكن استنباط أسرار أهل الحصن ، وكيف يتم إخافتهم وإفزاعهم وذلك بأن يدس فيهم من يصغر شأنهم

---

(١) دينكرد ، (٨) ، ٣٨ ، ٣٠ .

(٢) عيون الأخبار ، طبعة القاهرة ، (١) ، ص ١١٢ وما بعدها .

(٣) انظر هنا ص ٤٩ .

(٤) S.E ، ص ٤٦ وما بعدها ؛ الترجمة الانجليزية بوجدانوف في J. Cama. Or. Inst. رقم ٧ (عام ١٩٢٦) ، ص ٧ — ٥٢ .

ويؤيسهم من المدد أو بكتابات تُرسل إليهم على نشابة فيها تثبيط لهممهم . وقد لاحظ اينسترنتزف أن الفروق الأولى بين الفن الحربى عند الإيرانيين وعند الرومان البيزنطيين قد زالت قليلا قليلا ، حتى صارت النظريات الحربية عند الأمتين واحدة تقريبا . ونتيجة هـذا أننا نستطيع الإفادة من أوصاف حوادث القتال أو الرسائل الحربية البيزنطية لـكى نوضح تفاصيل نص « الآيين نامك » . وهو مافعله الأستاذ الروسى فى تعليقاته المفصلة على ترجمته للنص المشار إليه . والواقع أن الكاتب قد وجد بين النظريات الحربية عند الأمتين صلات قد تؤدى إلى افتراض وجود رابطة أدبية بينهما . ومن الممكن الاستفادة من كلام اينسترنتزف أيضا فى بعض المعلومات التى ذكرها المعلقون الساسانيون على « الأريتشتارستان » .

* * *

إن الإقليم الجبلى الذى يمتد ما بين أقاصى شرق البحر الأسود والمجرى الأوسط لدجلة لايقف حدا طبيعيا فاصلا بين الإمبراطوريتين العظيمتين ، إمبراطورية الشرق، وإمبراطورية الغرب . ولو أن أرمينية كانت قوية لدرجة تكفى على حفظ استقلالها من اعتداء الدولتين الـكبيرتين لاستطاعت أن تـكون حائلا بينهما ، ولـكنها كانت ضعيفة جداً . وكان يحكم أرمينية ملوك يمتون بصلة النسب البعيد إلى الأشكانيين . ولـكن موضعهم هناك لم يكن ثابتاً . فقدكان عظماء أصحاب الإقطاع على استعداد دائم لشق عصا الطاعة كما كان نفوذ الرومان متفوقا على النفوذ الإيرانى .

ولم يأت أردشير الأول بنتائج باهرة فى حربه مع الرومان وقد قاومته بقوة المملـكة العربية الصغيرة فى الحضر فى الصحراء جنوب نينوى القديمة ولعل الحضر لم تذعن إلا فى أيام سابور الأول[1] .

---

(١) تقول الرواية إن الحيرة سقطت بخيانة : فإن ابنة ملك الحضر قد فتحت أبواب المدينة لملك الفرس الذى عشقته والذى قبل أن يتزوجها جزاء لها على خيانة أبيها . فأرسلت إليه ليلة العرس ودلته على مدخل الحصن ، ففعل ذلك سابور فلم يشعر أهل الحصن إلا وأصحاب سابور معهم فيه . وقد عمدت فسقت أباها حتى أسكرته طمعا فى ترويج سابور إياها . وأمر سابور بهدم الحصن بعـد أن قتل الضيزن ومن معه . وعرس سابور بالنضيرة بنت الضيزن فباتت مسهدة . فقال لها سابور مالك لا تنامين . قالت إن جنبى يتجافى عن فراشك قال ولم =

وقد انتهت الحرب مع روما بمعاهدة سلام سنة ٢٤٤ بين سابور الأول والإمبراطور فيليب العربى ، وقد نص فيها على أن يترك الأخير أرمينية إلى الإيرانيين . وقد شُغل سابور بادئ الأمر بحرب سكان الولايات القزوينية والشعوب الأخرى



١٣ . من نقود سابور الأول
(مجموعة المؤلف)

الثائرة فى الداخل وعلى الحدود الشمالية والشرقية . وقد جاء فى تاريخ أربيل[١] « أن سابور ، فى السنة الأولى من حكمه ، حارب الخوارزميين ثم الميديين الجبليين[٢] وهزمهم فى معركة حامية . ومن هناك ذهب لإخضاع الجيليين ، والديالمة والهرقانيين (سكان جرجان) الذين كانوا يسكنون الجبال البعيدة المجاورة لبحر قزوين » . وجاء فى الكتاب البهلوى المسمى « شهرستانيهاى ايرانشهر »[٣] (§ ١٥) إنه هزم فى خراسان ملكا تورانياً اسمه پهليزگ وقتله ، ثم أنشأ بعد ذلك فى المكان

= فوالله ما نامت الملوك على ألين منه وأوطأ وإن حشوه لزغب النعام . فلما أصبح نظر فإذا ورقة آس بين عكنها فتناولها فكاد بطنها أن يدمى . فقال لها ويحك بم كان أبواك يغذيانك ؟ فقالت بالزبد والمخ والقمح والشهد وصفو الخمر . فقال لها سابور إنى لجدير أن لا أستبقيك بعد إهلاك أبويك وقومك وكانت حالتك عندهم الحالة التى تصفين . فأمر بها فربطت بغدائرها إلى فرسين جموحين ثم خلى سبيلهما فقطعاها (الثعالبي ، نشر زوتنبرج Zotenberg ، ص ٤٩٢ المسعودى ، مروج ، (٤) ، ص ٤٨) .

ويرى كتاب آخرون من الفرس والعرب أن بطل هذا الحادث هو أردشير أو سابور الثانى ؛ قارن جبريللى ، RSO ، (١٣) ، ص ٢٠٩ . وباعث هذه القصة موجود ، من غير المأساة المدبرة ، فى القصة الخيالية المرحة (La princesse sur le pois) لأندرسن .

(١) نشر منجانا (Sources syriaques) ، (١) ، ليبزج ١٩٠٨) ، انظر ماركارت A catalogue of the Provincial capitalas of Eranshahr ، نشر مسينا ، ص ٥٢ .

(٢) فى آذربيجان (ماركارت) .

(٣) ماركارت — مسينا ، Catalogue ، I ، c .

الذى دارت فيه المعركة المدينة الحصينة نيو — سابور (سابور الطيب) ، وهى نيسابور الحديثة(١) ، وكانت عاصمة أبهر شهر ومقاطعة الأبارن(٢) . وكان أردشير قانعاً بلقب شاهنشاه إيران ، ولكن سابور بعد انتصاراته وفتوحه قد اتخذ لنفسه ، فى نقوشه ، اللقب الفخم « شاهنشاه إيران وأنيران » أى ملك ملوك إيران وغير إيران(٣) . وبعد سنوات قليلة ثارت حرب جديدة مع روما . ففى سنة ٢٦٠ هُزم الإمبراطور ڤاليرين ثم أُسر ، وكان قد قاد بنفسه الحملة ضد الإيرانيين . وقد أحس الشاهنشاه فى ذلك الوقت أنه ملك الشرق والغرب جميعاً . وقد خلع لقب الإمبراطور على رومانى خان بلاده ولجأ إليه ، اسمه كيريادس ، ومع ذلك فإنه لم يتح لهذا أن يلعب دوراً فى التاريخ(٤) . وأما مصير ڤاليرين فمجهول . والمحقق أنه مات أسيراً ، ولعله لقى حتفه فى جنديسابور . وروايات المؤرخين الرومان لكتنتيوس وغيره ؛ التى تصف المعاملة السيئة التى لقيها الإمبراطور من الشاهنشاه تقبل بتحفظ . وتقول الروايات الشرقية إن سابور أخذ ڤاليرين (الريانوس) ببناء « شاذروان تستر » على أن يجعل عرضه ألف ذراع ، وهو السد الذى يستخدم فى أيامنا أيضا لتحويل مياه نهر قارون إلى المزارع التى ترتفع عنه ، ويعرف باسم « بند قيصر » أى سد الإمبراطور(٥) . ومهما يكن من شىء فإنه يحتمل أن يكون الشاهنشاه قد أقام الأسرى الرومان فى منطقتى جنديسابور وتستر . وكانوا يقدرون فن الرومان كثيراً . ولا شك أن السد والجسر الكبير فى تستر هما من صنع المهندسين الرومان(٦) .

---

(١) أشار حمزة أيضاً فى تاريخه إلى بناء سابور الأول لنيسابور (س ٤٨ ، الترجمة ص ٣٥) . ويقول الطبرى (ص ٨٤٠ ، نولدكه ، ص ٥٩) والثعالبى (ص ٥٢٩) ، إن سابور الثانى هو الذى بنى نيسابور .

(٢) الأبارن قبيلة إيرانية متنقلة من الداها . وكان مؤسس الأسرة الأشكانية رئيسا للأبارن أول الأمر .

(٣) قارن هرتسفيلد ، Paikuli ، ص ٤١ .

(٤) سار — هرتسفيلد ، Iran. Felsreliefs ، ص ٧٩ .

(٥) نولدكه ، الطبرى ، ص ٣٣ ، ملحوظة ٢ .

(٦) ديولافوا ، L'art antique de la Perse, ، جزء (٥) ، لوحة ١٢ و ١٣ . أما عن الروايات الشعبية عن بناء جسر شوشتر ، انظر هيار فى Transactions du XIII Congrès des Orientalistes (همبورج ١٩٠٢) ، ص ١١٥ وما بعدها .

وقد خلد سابور انتصاره على ڤاليرين فى آثار عدة . ففى نقش كبير ، بنقش رستم ، يرى سابور وهو يهب الحياة فى عظمة ، للإمبراطور المغلوب . يصل الشاهنشاه على حصان رجله اليمنى مرفوعة ، وفوق التاج الملكى ترتفع كرة القماش المميزة عالية إلى حد ألجأت إلى إطالة الجانب الأملس من حاشية الصخر بشكل نصف دائرة ، ليتسع لها . ونهاية لحية الملك كثيفة ومجعدة وقد جمعت فى خلقة ، وخلف شعره المجعد أيضا وخلف ظهره الأشرطة المعتادة فى اللباس الملكى ، وقد رسمت فى طيات متوازية . وقد ارتدى ثوبا ضيقا وسروالا يتغضن على ساقيه ، وتحلى بعقد وقرط وقد انتصب على السرج المزركش ممسكا بيده اليسرى قبضة سيفه وكان مائلا ، باسطا يده اليمنى فى رحمة نحو ڤاليرين الذى جثا أمامه على ركبتيه . وكان الإمبراطور يلبس إكليل الغار ، وكان الهواء يلعب بردائه فتطاير وراء ظهره : لقد أقبل بكل سرعة لكى يرتمى على أقدام الملك الظافر ، فى صورة خاشعة وقد ثنى ركبته اليمنى ، وأسند اليسرى إلى الأرض ، ومدّ ذراعيه نحو الشاهنشاه يلتمس عفوه . ووقف بجانبه رجل يلبس الملابس الرومانية كذلك . ويرى سار أنه كريادس ، عدو القيصر . وهذا النقش من أحسن ما أنتج الفن الساسانى ، فالمنظر مملوء بالحياة وقد عبر عن موضوعه تعبيراً رائعا . ويظهر أن صورة أخرى قد نقشت على الحجر ، فى عصر لاحق تمثل فارسيا تظهر رأسه ويداه المرفوعتان تجلةً خلف حصان الملك ، فوق كتابة پهلوية غير الزمان معالمها(١) .

ويظهر المنظر نفسه ، مع تفاوت فى مجموع الأشخاص ، فى نقش بغرب مدينة سابور التى شيدها سابور الأول ، غربى اصطخر(٢) . (رسم ١٤) .

وقد صور انتصار ملك إيران على نقشين كبيرين فى جوانب صخور مدينة سابور . فنقش يرينا ، فى الوسط ، سابور ممتطيا جوادا وكريادس واقفا على رجليه . وتحت حصان الملك صورة آدمى ملقى على الأرض ، وأمامه الإمبراطور راكعا . وترى صورة

---

(١) ديولافوا Dieulafoy ، (٥) ، لوحة ١٥ ؛ سار — هرتسفيلد ، Felsreliefs ، لوحة ٧ وصفحات ٧٧ — ٨٠ ؛ سار ، Die Kunst des alten Persien ، لوحة ٧٤ .

(٢) ديولافوا ، لوحة ١٨ ؛ سار — هرتسفيلد ، لوحة ٤٤ ، ص ٢٢٢ .



١٤ . ظفر سابور الأول على واليرين ، رسم بارز فى نقش رستم
(سار . فن فارس القديمة)

الملاك نيسه يحلق فى الفضاء وهو يقدم للملك الظافر تاجا من ورق الشجر له أشرطة تتطاير ، وعلى اليمين واليسار وقف الفرسان والمشاة الإيرانيون فى صفين متقابلين ، وهم يمثلون الفرق الحربية لمختلف الشعوب بأسلحتهم المتفاوتة[١] .

وحجم النقش الثانى كبير كبرا يفوق المعتاد ويشمل مجموعة من الصور منتظمة فى صفوف أربعة بعضها فوق بعض وهو اليوم دارس جداً . وفى وسط الصف الثالث تظهر صورة كل من الملك والإمبراطور على الهيئة التى يظهران بها فى النقش الذى وصفنا من قبل ، فالملك يمتطى صهوة جواده وقد جندل تحت أقدامه صورة آدمية ، ووقف بجانبه كريادس وكان الإمبراطور راكعا وباسطا ذراعيه . وبجانب

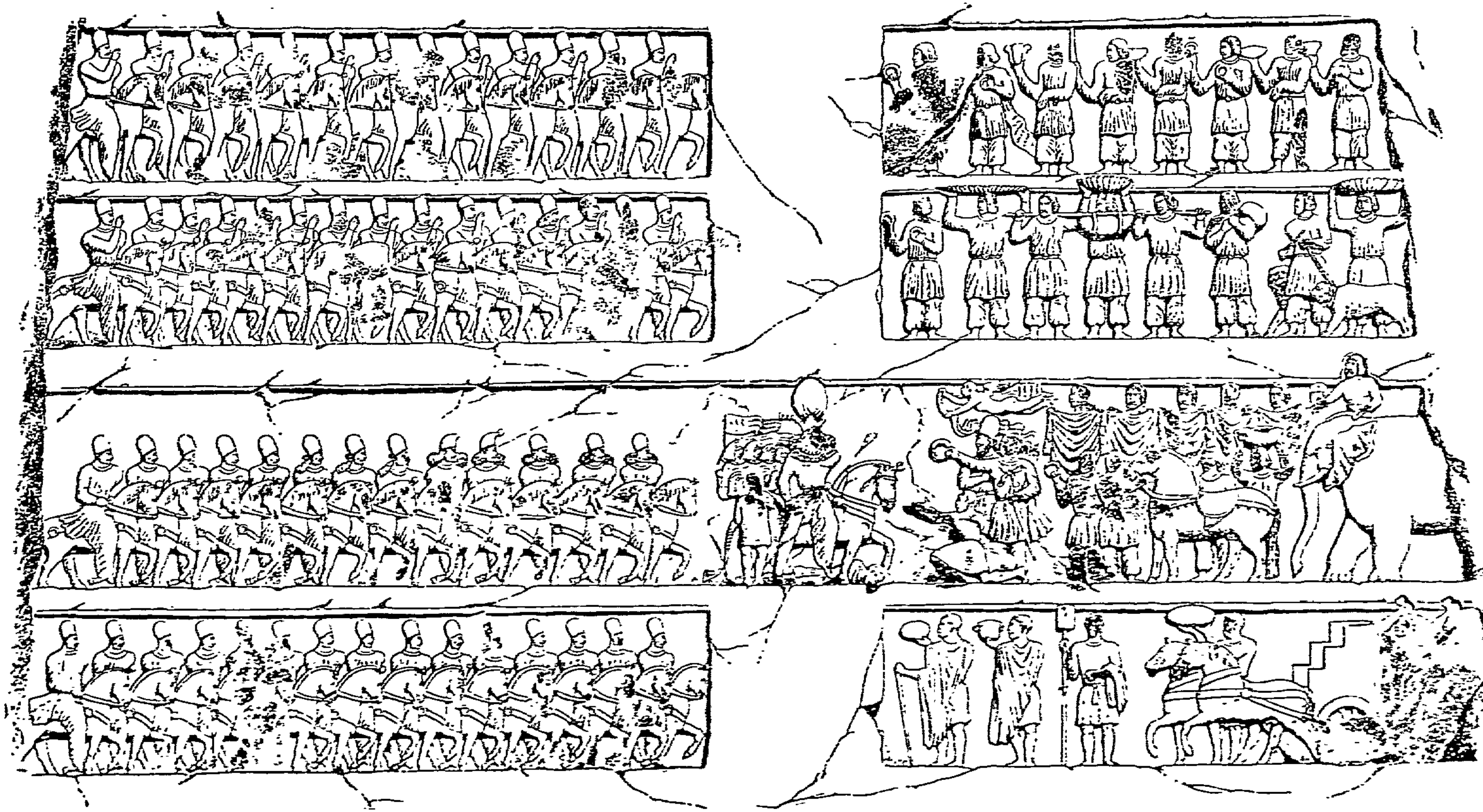
(١) ديولافوا ، لوحة ٢٠ ؛ اندرياس وستولز ، Persopolis ، لوحة ١٤٣ ؛ سار — هرتسفيلد ، لوحة ٤٥ ، ص ٢٢٣ .

هذا الأخير رجلان يلبس أحدهما القلنسوة الإيرانية العالية ويقدم الثانى خاتما أو تاجا للملك . ويحلق فوق هذا صورة الملاك نيكه . وخلف هـذه المجموعة وقف بعض الروم ممن يرتدون ثياب الرومان ، كما وقف جماعة من الرجال يسوقون حصانا وفيلا ؛ ورجل آخر يضع قصعة فوق رأسه . وهذه الصورة تشغل الناحية اليمنى من الصف الثالث . وعلى الصفين الأعليين من هذه الناحية نفسها تظهر صور رجال يرتدون سُتُرا تتدلى حتى ركبهم وسراويل تهبط إلى كعوبهم ، وهم يحملون القصاع والتيجان وكيسا ، لعله مملوء بالنقود ، ويمسكون أسدين موثقين . . . وفى الصف الأسفل أشياء أخرى من الغنائم ومن بينها علم رومانى ، وفى آخره عربة الإمبراطور الحربية يجرها جوادان . وأما الصفوف الأربعة من النصف الأيسر للنقش فإنها تمثل الفروسية الإيرانية ، ومعظم الرجال يلبسون فوق رءوسهم قلنسوة أسطوانية طويلة أعلاها مستدير . وخمسة الفرسان الذين يقفون خلف الملك مباشرة ، فى الصف الثالث ، صففوا شعورهم دوائر مجعدة كما يفعل الملك ، ولعلهم أمراء من الأسرة الملكية وقد لبس اثنان منهم قلنسوة أو خوذة مدببة تميل قمتها إلى الأمام . وقد وقف جميع الفرسان فى الصفين الأعليين فى احترام وقد أشار كل منهم بسبابة يده اليمنى إلى الأمام(١) (رسم ١٥) .

وقد لقى سابور الهزيمة ، بعد وقت قصير من أسر ڤاليرين ، وذلك على يد عدو صغير الشأن . فقد استخف الملك بأذينة الحاكم العربى لمدينة تدمر فى الصحراء السورية ، وهى المركز المهم للتجارة بين الشرق والغرب ، ففى أثناء عودة سابور إلى بلاده بعد اجتياح سوريا وكبادوكية جمع أذينة إلى قواته الفرق الرومانية ثم هاجم الجيش الإيرانى فاضطر هذا إلى الارتداد إلى ما وراء نهر الفرات بعد أن منى بخسائر فادحة . فاستولى أذينة على الكرخ ونصيبين وامتد سلطانه إلى الشام ومعظم الأقاليم الرومانية فى آسيا الغربية شبه وال مستقل عن روما ، وقد خلع عليه الإمبراطور جالينوس لقب إمبراطور . وقد استمر الإيرانيون يحاربون تدمر بغير جدوى حتى

---

(١) فلاندان وكوست ، (١) ، لوحة ٥٣ ؛ سار — هرتسفيلد ، لوحة ٤٣ ، ص٢٢٠ ومابعدها ؛ وقد جاء النصف الأيمن من النقش فى كتاب ديولافوا ، (٥) لوحة ١٩ .



١٥ . نقش بارز لظفر سابور الأول فى شاهپور
(كما رسمه فلاندان وكوست)

سنة ٢٦٥ . فلما قتل أذينة استولت أرملته الزباء (زينب أو بت — زبينا) على مقاليد الحكم وصية على ابنها وهب اللات . وقد أراد وهب هذا أن يستقل نهائيا



١٦ . من نقود بهرام الأول
(متحف كوبنهاجن)

عن الإمبراطورية الرومانية فسمى نفسه فى سنة ٢٧١ أجستوس (العظيم) . وحينئذ سار الإمبراطور أوريلين بجيش قوى إلى تدمر . فاستولى على المدينة وخرّبت بعد دفاع مجيد نظمته الزباء . وقد حاولت هذه الملكة ، عبثاً ، أن تلجأ إلى الإيرانيين ، ثم وقعت أسيرة فى أيدى الرومان سنة ٢٧٢ ، واقتيدت إلى روما ، والخرائب الباقية من تدمر تشهد بعظمة الدولة التى عاشت فيها بعض الزمان[١] .

وتوفى سابور فى سنة ٢٧٢ . وهناك حجر عظيم من الشكل اليونانى الرومانى عليه اسم سابور الأول بالبهلوية ، ولكن الصورة من الآثار الإغريقية الأكثر قدما ، وقد حفر سابور اسمه عليها[٢] .

ولا نكاد نعلم شيئا عن الحوادث السياسية التى جرت فى عهدى هرمزد الأول (٢٧٢ — ٢٧٣) وبهرام الأول (٢٧٣ — ٧٦) ابنى سابور الأول .

وفى نقش منحوت فى صخر سابور نرى بهرام الأول[٣] يتلقى تتويجه من يد الإله

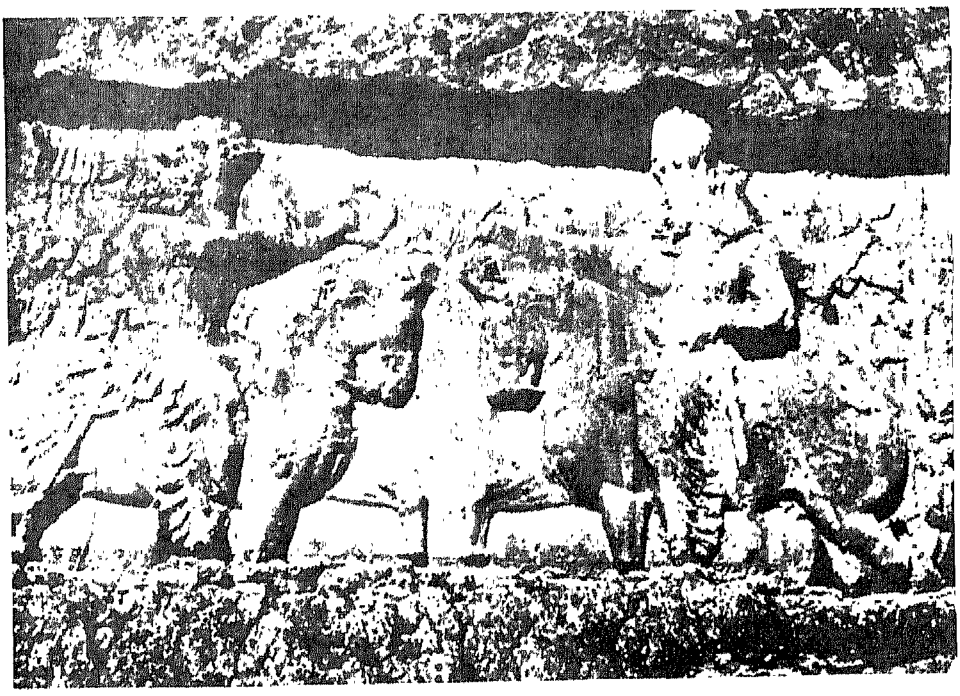
---

(١) انظر اينغولت Studier over palmyrensk Skulptur ، كوبنهاجن ١٩٢٨ .

(٢) سار ، Die Kunst des altan Persien ، ص ٤٥ ؛ هرتسفيلد Paikuli ، ص ٧٤ .

(٣) على النقش كتابة لنرسى ؛ هكذا نسبها سار أول الأمر (ص ٢١٥ وما بعدها من Felsreliefs) ، ولكنه فى كتابه الحديث Die Kunst des alter Persien (ص ٤٠) ينسبها إلى بهرام الأول . وقد بين هرتسفيلد (Paikuli ، ص ١٧٣) ، بطراز النقش وصفات الملك ، أن نرسى قد زور اسمه على نقش أخيه الأكبر . وهذا الرأى لا شك فيه ، لأن تاج الملك هو تاج بهرام الأول الذى نراه على نقوده وهو يختلف عن تاج نرسى .

أوهرمزد . وكان يلبس تاجا ذا أطراف مدببة يظهر أن الـكرة المنسوجة كانت توضع فوقها . والملك والإله ، الذى لبس التاج ، راكبان . ويتقبل أولهما الخاتم الذى يمده أوهر مزد إليه . ويفوق هذا النقش كل النقوش التى سبقته من حيث جودة الفن . فقد كاد يختفى عدم التناسب بين الحصان والفارس ، كما يقول سار « فإنا نرى لأول مرة أن الخيل وقد وقفت ، فى حس مرهف ، منتظمة فى حركاتها وسكناتها ، وأطراف أرجلها وعضلاتها واضحة بنوع خاص » . وبالرغم من أن الفنان كان مضطرا دائما لرعاية التقاليد فى تصوير الملك فقد عرف كيف يبرز الملامح فى هيئة بهرام ووجهه « فرغبة الأمير فى تسلم رمز المملكة الذى يمده إليه الإله ، واضحة وضوحا تاما » . (رسم ١٧ (١))



١٧ . نقش بارز لتنصيب الملك بهرام الأول
(سار . فن فارس القديمة)

---

(١) سار — هرتسفيلد ، Felsreliefs ، لوحة ٤١ ، ص ٢١٥ وما بعدها ؛ سار ، Die Kunst des alten Persien ، لوحة ٧٨ .

واستؤنفت الحرب مع روما أيام بهرام الثانى (٢٧٦ — ٢٩٣) ابن بهرام الأول . وتقدمت جيوش الإمبراطور كاروس حتى بلغت المدائن ، ولكن الروم تراجعوا عنها لوفاة كبيرهم فجأة . وفى سنة ٢٨٣ عقد صلح تملكت به روما أرمينية والجزيرة . وقد كان لتنازل الملك عن هاتين الولايتين للعدو الذى كانت قواه قد وهنت أسباب وجيهة : ذلك أن ثورة خطيرة قد شبت فى الشرق .

والنقود المسماه « السيت الساسانية » والتى كانت تضرب باسم نائب الملك فى الجزء الشرقى من إيران (خراسان)[1] تدل على أن هذه الولاية الكبيرة ، إلى زمن بهرام الثانى ، كان يحكمها دائما أمير من البيت المالك يلقب بكوشانشاه . وهكذا سمى فيروز أخو سابور الأول « كوشانشاه الأعظم » على نقوده . ثم بعد سنة ٢٥٢ ولى سابور الأول[2] ابنه هرمزد (الذى صار هرمزد الأول فيما بعد) حاكما على خراسان مع اللقب الأفخم « شاهنشاه بزرگ كوشان » أى ملك ملوك كوشان العظيم . وقد ولى هذا المنصب الكبير كل من بهرام الأول وبهرام الثانى قبل أن يرقيا عرش إيران .

وفى أيام بهرام الثانى حكم خراسان أخوه هرمزد . ولكن هرمزد هذا ثار أثناء الحرب مع روما ، وحاول أن يجعل لنفسه إمبراطورية مستقلة فى الشرق بمساعدة الساجيين والكوشانيين والجيليين . فلأجل هذا أسرع بهرام الثانى لإنهاء الحرب كى يلقى بقواته جميعاً لقتال أخيه الثائر . وقد أخمدت الثورة وخضعت سجستان ،



١٨ . من نقود بهرام الثانى
(متحف كوبنهاجن)

---

(١) انظر ص ١٢٦ — ١٢٨ .
(٢) قارن ص ١٨٥ — ١٨٦ .

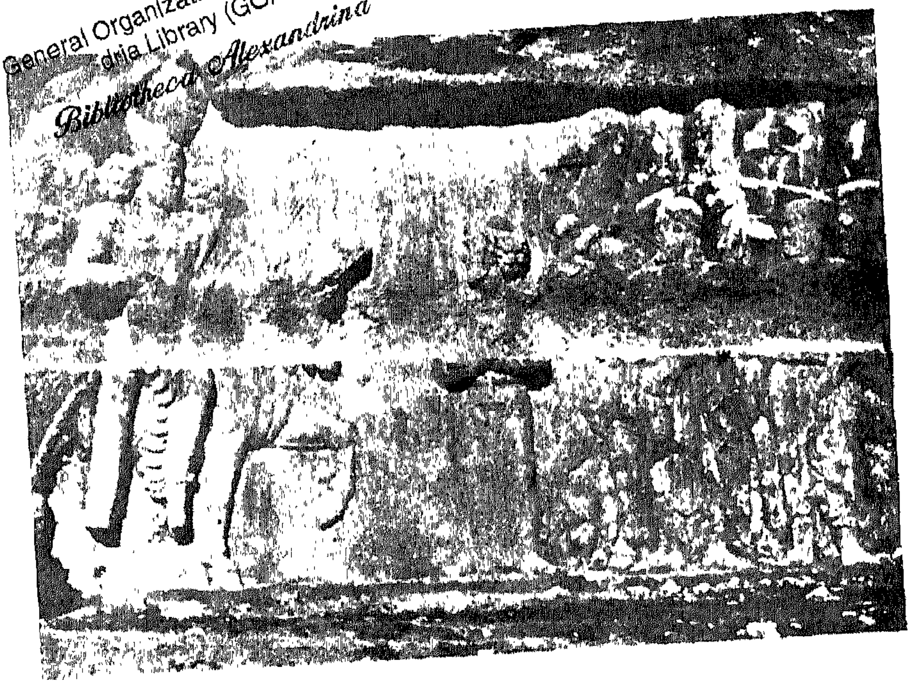
وولى عليها الأمير بهرام (بهرام الثالث فيما بعد)ولقب ساجانشاه أى (ملك الساج) وذلك أن الأمير المرتقب لعرش إيران كان ، كما يقول هرتسفيلد ، يعين حاكما لأهم الولايات أو لآخر ما فتح منها[١] .

وقد خلف بهرام الثانى نقوشا هامة من الناحية الأثرية . ففى نقش رستم ، بجانب نقش تنصيب أردشير الأول ، أعد بهرام نقشا أصغر حجماً ، حيث يبدو واقفا وسط أسرته ، لأن هذا الملك كان يحب أن يظهر ربّ أسرة . وترى صورة الوجه الجانبية له وللملكة على نقوده ، وأمامهما أمير صغير قد أدار وجهه نحوها ؛ ويلبس الملك التاج المزين بالكرة التقليدية وبجناحى النسر بينما غطاء رأس الملكة والأمير على هيئة رؤوس الحيوانات (صورة ١٨) . وعلى نقش رستم[٢] يشغل الملك المكان الأوسط وشعره ولحيته مصفوفتان على طريقة ملوك الساسانيين ، والتاج المجنح فوق رأسه ، وقد استندت يداه على مقبض السيف الطويل المستقيم . وأمامه ، يسارا ، ثلاثة أشخاص يتجهون بوجوههم نحوه ، ولكن تقاطيعهم لا تظهر إلا قليلا . ويعتقد سار أن الأول هو الأمير بهرام ساجانشاه وأن الآخرين اللذين يلبسان خوذتين على شكل رءوس الحيوانات هما الملكة والأمير الصغير المعروفان من النقود . وخلف هؤلاء الثلاثة شخص لا لحية له ، يلبس القلنسوة العالية التى يلبسها كبار القوم ، وقد رفع يده تجلةً . وآخر الصف رجل لم يرفع يده ويدل تصفيف شعره وهيئته على أنه من أفراد الأسرة المالكة . ويرى سار أن الرجل ذا القلنسوة العالية هو الموبدان موبد وأن الثانى هو الأمير نرسى ، عم الملك . وخلف الملك ، فى النصف الأيمن من النقش ، وقف ثلاثة من العظماء ذوى القلنسوة العالية ، وقد رفعوا أيديهم اليمنى[٣] .

(١) هرتسفيلد Paikuli ، ص ٤٢ وما بعدها . New light on Persian History from Pahlavi Inscriptions, (J. Cama. Or Inst. ، رقم ٧ ص ١١٠ — ١١١) ، Kushano-Sassanian Coins (رقم ٣٨ من Memoirs of the Ar olog Survey of India)

(٢) انظر رسم ٢ ، على اليمين (ص ٧٨) .

(٣) ديولافوا ، (٥) ، لوحة ١٤ ؛ سار — هرتسفيلد Sarre-Herzfeld ، لوحة ٥ ، ص ٧١ وما بعدها . واسمر ، Numismatic Chronicle ، السلسلة الخامسة ، المجلد (٨) ، ص ٢٨٦ ، ٢٨٨ .

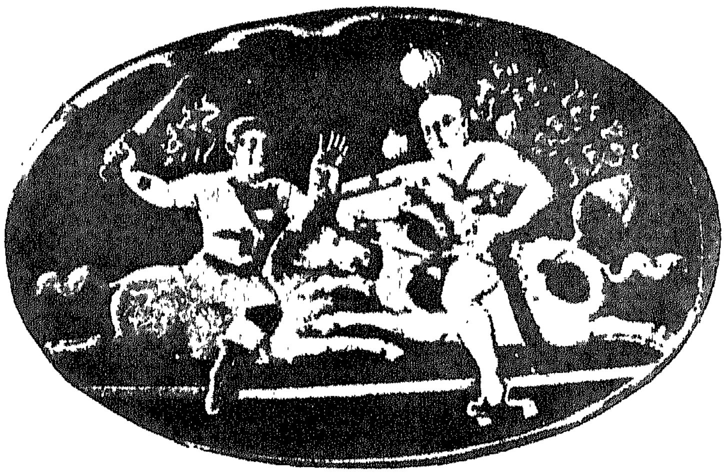


١٩ . نقش بارز لظفر بهرام الثانى فى شاهپور
(سار . فن فارس القديمة)

وقد نقش بهرام الثانى على صخور سابور صورة النصر ، وقد رأى فيهارولنسن وديولافوا صورة الانتصار على الساجيين ؛ وأما سار فيعتقد أن الرجال ذوى الأردية الطويلة الذين يقادون أمام الملك والذين تبدو رءوسهم مغطاة بقطعة من النسيج مشدودة إلى خيط (؟) هم ممثلو قبيلة عربية أكرهت على الخضوع . ويرى بهرام ، الذى ثبتت شخصيته من خوذته المجنحة ، راكبا حصانا . وشعره ولحيته على الشكل المعهود . والأشرطة ذات الطيات الملحقة بالخوذة تتأرجح فى الهواء من ورائه . ويتدلى من حزامه جعبة سهام طويلة . وترى الكرة المستطيلة كالعادة أمام رجلى الحصان الخلفيتين . وأمام الملك ، وقف رئيس جيش إيران ، وقد أسند يديه إلى السيف . وتصفيف شعره يبين أنه من الأسرة المالكة . وقد تبعه رئيس الأعداء

القهورين ، ويرى واضحا فى هذه المجموعة حصان ورأسا جملين[١] . (صورة ١٩) .

وينسب هرتسفيلد صور نقش رستم التى أشرنا إليها آنفا[٢] (صورة ١١) ، والتى تمثل معركة فرسان إلى بهرام الثانى[٣] . وهناك نقشان آخران على صخور نقش رستم ، عدا عليهما الزمان ، وعليهما مناظر مماثلة ، ترجع غالبا إلى ذلك الوقت[٤] . والباعث على معركة الفرسان بين الملكين الساسانى والرومانى مذكور على حجر عقيق أسود من محفوظات المكتبة الأهلية فى باريس (صورة ٢٠) ، ومن المحتمل ن يكون بهرام الثانى هو الملك المصور عليه[٥] .



٢٠ . معركة بين فارسين

(سار . فن فارس القديمة)

(١) ديولافوا ، (٥) ، لوحة ٢١ ؛ سار — هرتسفيلد ، Felsreliefs ، لوحة ٤٢ ، ص ٢١٧ وما بعدها ؛ سار ، Die Kunst des alten Persien ، لوحة ٧٩ — فى برم ديلك ، على مقربة من پازارگرد القديمة ، نقش فى الصخر نقشان بارزان أتلفهما الزمن ، ويرى سار (Felsreliefs ، لوحة ٣٢ ، ص ١٨٧ وما بعدها) أن فى هذين النقشين منظر تتويج بهرام الأول أو الثانى والملكة .

(٢) ص ٢٠١ .

(٣) Am Tor von Asien ، ص ٤٣ — ٤٤ .

(٤) سار — هرتسفيلد ، Felsreliefs ، لوحة ٨ و ٥١ ؛ قارن سار ، Die Kunst des alten Persien ، ص ٤١ .

(٥) رقم ٣٦٠ من بابلو ، Catalogue des Camées de la Bibliothèque Nationale ؛ سار ، Die Kunst des alten Persien ، لوحة ١٤٥ .

وبعد موت بهرام الثانى فى سنة ٢٩٣ ولى العرش ابنه بهرام الثالث ، ولكن حكمه لم يدم غير أربعة شهور . فقد ثار عليه أكبر أعمامه ، نرسى بن سابور الأول (صورة ٢١) ، ثم انتصر . وهذا هو الوقف الذى يتكون منه النقش الكبير الذى عمله نرسى فى پيكولى[١] . ومن المحتمل أن يكون بهرام الثالث قد احتفظ بسلطانه على بعض أجزاء من إيران الشرقية[٢] بعد سنة ٢٩٣ .



٢١ . من نقود نرسى
(متحف كوبنهاجن)

وقد نقش نرسى صورة تتويجه المقدس على صخور رستم .

وهذا هو الباعث المشهور : فإن الملك يتسلم الخاتم ذا الأشرطة ، رمز السلطة الملكية ، من يد إلهه ، إلهة أنثى هنا ، يرى فيها سار أنها أناهيتا وقد ارتدى الملك الثوب العادى اللاصق به ، أما التاج الذى يرى على بعض نقود نرسى فإنه على هيئة قلنسوة قصيرة يتفرع منها أشعة عمودية ، ومن فوقه الكرة المنسوجة الكبيرة ، وكان شعره المجعد الذى تهدل فى تموجات عظيمة على كتفيه ، ولحيته المدببة التى تجمع طرفها فى خاتم ، والأشرطة التى ترفرف خلف رقبته ، والعقد اللؤلؤى ، كل هذا قد نقش حسب الرسم التقليدى . والإلهة تلبس فوق رأسها التاج ذا الجدار المفتوح الخاص بالآلهة والإلهات التى صورت فى النقوش الساسانية ، والذى ترى منه دوائر الشعر المجعدة فى قمة الرأس . وكانت ضفائر الشعر تتهدل فوق الرقبة والذراعين ،

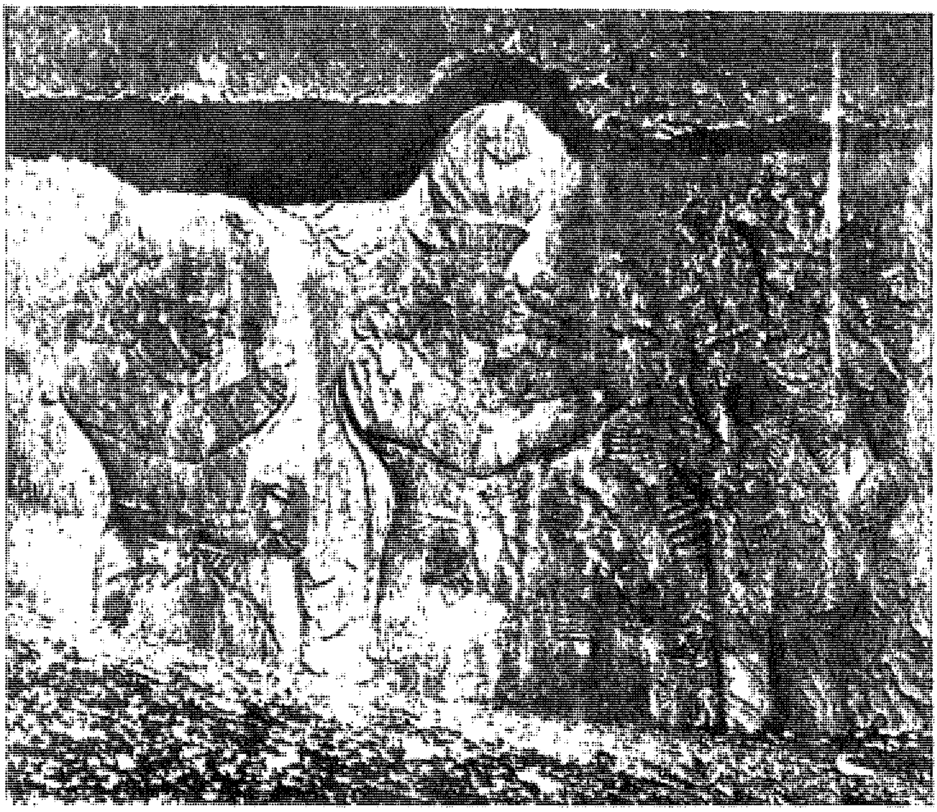
---

(١) انظر هنا ص ٣٧ ، ٣٨ . يرى شيدر (Gnomon ، (٩) ، ص ٣٤٤ ملحوظة ١) فى أسماء الملوك الساسانيين الأول علامات ، أثبتها طابع نقش بيكولى ، على أن تطور الضمير الوطنى الفارسى للسيادة الساسانية قدتم فى عهد نرسى .

(٢) نولدكه ، Tabari ، ص ٤١٦ .

أما الرداء فقد زرّ بزرار مزين بالأشرطة عند الصدر تحت العقد اللؤلؤى ، وبحزام فى الخصر .

ويرى بين الملك والإلهة صورة طفل طامسة ، لعله ابن نرسى ، هرمزد الثانى فيما بعد . ووقف خلف الملك أحد كبار الأشراف ، وكانت قلنسوته العالية على هيئة رأس الحصان ، وعليها شارة مميزة ، وقد رفع يده فى وقفة الإجلال العادية[١] . (صورة ٢٢) .



٢٢ . نقش بارز لتنصيب نرسى ، فى نقش رستم
(سار . فن فارس القديمة)

---

(١) ديولافوا . (٥) ، لوحة ١٦ ؛ سار — هرتسفيلد ، Felsreliefs ، لوحة ٩ ، ص ٤٨ وما بعدها ؛ سار Die Kunst des alten Persien لوحة ٨١ .

ولم يكن نرسى موفقاً فى حربه مع روما . لقد طرد ملك أرمينية ، تِرْدَات ، الذى كان يدين بعرشه لحماية الإمبراطور . ولكن جاليريوس قاد الجيش الرومانى وغلب نرسى ووقعت زوجه الملكة أرسان أسيرة فى أيدى الرومان . واضطر نرسى أن يتنازل للرومان عن مقاطعات من أرمينية الصغرى ؛ وعاد تردات ملكا على أرمينية . واعترفت أيبريا (جورجيا) بسيادة الإمبراطور[1] .



٢٣ . من نقود هرمز الثانى
(متحف كوبنهاجن)

واستمر السلم الذى عقد بين إيران وروما مايقرب من أربعين سنة ، ثم أعقبت حكم هرمزد الثانى ابن نرسى (٣٠٢ — ٣٠٩ — ٣١٠) الذى اشتهر بأنه ملك رقيق الحاشية وعادل ، معارك حامية الوطيس . فقد ولى العرش آذر — نرسى أحد أبناء هرمزد الثانى من زوجته الأولى ، ولكنه لم يكن محبوبا من العظماء ، فعزل بعد أشهر من حكمه ، وسملت عينا أحد إخوته ، وسجن آخر اسمه هرمزد ، ولكنه وفق إلى الإفلات من سجنه واحتمى بالرومان . ولكن العظماء نصبوا على العرش أحد أبناء هرمزد الثانى من زوجة أخرى ، الأمير سابور كان طفلا وقتذاك[2] .

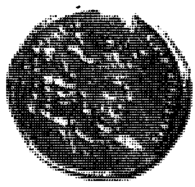
وقد حكم سابور الثانى سبعين سنة متواصلة (٣٠٩ أو ٣١٠ — ٣٧٩)[3] . وحكمت أمه يساعدها العظماء حين كان قاصرا . وتذكر المصادر الشرقية كيف أبدى

(١) انظر يوستى ، GIPH ، (٢) ، ص ٥٢٠ .

(٢) نولدكه Tabari ، ص ٥١ ملحوظة ٣ . وقد افترض هرتسفيلد ، وفقا لنقش فى برسپوليس يصعب حله (هرتسفيلد ، Paikuli (١) ، ص ١٢١ و ٥٠ ؛ Archaeologische Mitteilungen aus Iran ، (٤) ، ص ٢) ، وجود سابور ثان كان أخا لسابور الثانى وكان يلقب بسكانشاه .

(٣) ٣٠٩ — ٣٨٠ فى رأى هنريش شميدت (Syria ؛ ١٩٣٤ ، ص ٢٢) .

سابور، وهو طفل بعد ، اتجاها إلى الإصلاح عجيبا . فقد كان ينام ذات مرة فى القصر الملكى بالمدائن فاستيقظ على ضجة كبيرة أمام القصر . فلما سأل عن سبب هذا



٢٤ . من نقود سابور الثانى
(متحف كوبنهاجن)

الصخب أجابوه بأنه ناجم عن تزاحم القوم على جسر دجلة حيث يتقابل الناس فى الذهاب والإياب . فأمر الملك فى الحال بتشييد جسر آخر بجانب الأول بحيث يكون أحد الجسرين للذهاب والآخر للإياب(١) .

وليست لدينا معلومات محددة عن الثلاثين سنة الأولى من حكم سابور الثانى . ولكن ما حدث من تركه سنوات عدة تنقضى بعد بلوغه سن الرشد دون التفكير فى شن الحرب الانتقامية على الرومان يحملنا على الاعتقاد بأنه كان عليه أن يذلل مصاعب داخل بلاده . ويحتمل أن يكون قد وجه جهوده الأولى إلى الحد من سلطان « الشهر داران » و « الواسپوران » ذلك السلطان الذى عظم كثيراً أيام الوصاية . فقد كانت تقاليد العهد الأشكانى لا تزال تجرى فى دماء الأشراف . وحينما كان ملك قليل اليقظة يسلس القياد لأطماعهم ، كان يخشى طغيان الأرستقراطية والفوضى الإقطاعية . ولعل الملك الصغير كان مشتغلا أيضا بحماية الحدود ضد الأعراب . ويشير الطبرى وغيره من الكتاب الشرقيين إلى معارك مظفرة ضد القبائل العربية واحتلال البحرين على الشاطئ العربى للخليج الفارسى فى أيام سابور الثانى(٢) .

وكان سابور الثانى ملكا عظيما جديراً بأن يخلف أردشير الأول وسابور الأول وبهرام الثانى . وقد أطلق عليه الإيرانيون لقب « ذى الأكتاف » لأن الروايات

---

(١) الطبرى ، ص ٨٣٧ ، نولدكه ، ص ٥٤ .

(٢) روذشتين ، Die Dynastie der Lahmiden ، ص ١٣١ وما بعدها .

تقول إنه كان فى حربه الشديدة مع العرب ينقب أكتاف أسراهم[١] .

وأخيراً أعد العدة لقتال روما بعد أن وطد سلطانه . وكانت حوادث هامة قد حدثت فى الإمبراطورية الرومانية ، فقد دخل قسطنطين الأكبر فى الدين المسيحى . وكان من نتيجة إدخال الدين المسيحى فى أرمينية ، وقد أدخله فيها حوالى هذا الوقت تردات وأتباعه ، توثق الصلات بين روما وأرمينية ، وإذا كان الإمبراطور جوليان المرتد قد حارب المسيحيين فإن أثره لم يدم ، ولم يغير شيئاً فى هذا المركز . وكان بين الأرستقراطية العليا الأرمينية أحزاب تسعى ، وراء مطامعها الشخصية ، إلى مساعدة الإيرانيين . وكانت أرمينية دائمة التمزيق بما بين أحزاب كبار النبلاء من تطاحن ، وتوالى اغتيال الأمراء والمؤامرات والخيانات ، وكان كل هذا يؤدى أيضاً إلى تدخل روما أو إيران . وقد ظلت أرمينية ميدانا للحروب الإيرانية الرومانية .

وفى هذه المرة تذرع سابور بالمنازعات الداخلية فى أرمينية ليبدأ الحرب التى أراد بها استرجاع البلاد التى فقدت بهزائم نرسى . واجتاح أرمينية بغير صعوبة ثم اصطدم بعد ذلك بالرومان فى الجزيرة . وكان قسطنطين قد مات فأشرف خلفه كونستانس الثانى على سير الحرب الرومانية[٢] . وقد ثبتت قلعة نصيبين لهجمات الفرس المتوالية ، وظفر الرومان بمعركة سِنْجار ، ولكن هذا النصر تلته هزائم عديدة . وبعد ذلك

(١) يذكر الكتاب العرب الذين ينقلون عن المصادر الساسانية لقب سابور « بذى الأكتاف » . ويرى نولدكه أن هذا اللقب كان فى الأصل صفة مشرفة إذ معناها الرجل القوى الأكتاف أى الذى يستطيع تحمل أعباء الحكومة الثقيلة . ولكن حمزة والكتاب الذين ينقلون عنه يذكرون لقب سابور بالصيغة الفارسية « هوبه سُنْبا » ، وهى كلمة معناها « نقّاب الأكتاف » . ويعتقد نولدكه (Tabari ، ص ٥٢ ملحوظة ١) أن هذا التركيب صناعى وأنه رُكب وفقا لمعنى التعبير العربى . ولكن التعبير عن كلمة « كتف » بالكلمة الفارسية القديمة « هوبه » تجعلنى أظن أن الصيغة التى ذكرها حمزة هى فى الواقع ذكر لاسم پهلوى وأن التفسير المتفق عليه هو صحيح فى الواقع (نقاب الأكتاف) . هذا وليست هذه أول مرة فى تاريخ الساسانيين يذكر فيها هذا التعذيب الوحشى : فإن كسرى الثانى حين غضب على المنجمين هددهم بخلع أكتافهم .

(٢) انظر پيترز L' intervention politique de Constance II dans la Grande Arménie en 338 فصلة من مجلة الأكاديمية الملكية البلجيكية (آداب) ، السلسلة الخامسة ، المجلد ١٧ (١٩٣١) .

توقفت الحروب على حدود الرومان عدة سنين ، وانتهز سابور فرصة هذا السلم ليدفع الكيونيت وغيرهم من الشعوب المتوحشة التى كانت تغزو الأقاليم الشمالية الشرقية . وقد أنهى هذه الحرب بتحالف مع الكيونيت والساجيين فى سجستان[١] .

وفى سنة ٣٥٦ وجه موسونيانس قائد الحرس الملكى الرومانى إلى المرزبان الإيرانى تهم — سابور اقتراحا للصلح فرفعه هذا إلى الملك . وكان سابور قد أمن الحدود الشرقية فأرسل سفيراً إلى الإمبراطور كونستانس مع الهدايا ورسالة ملفوفة فى الحرير الأبيض وفيها : «يحيي سابور ، ملك الملوك رفيق النجوم ، أخو الشمس[٢] والقمر ، أخاه القيصر كونستانس ، وقد أدرك — مغتبطا — أن الإمبراطور قد أصلح بالتجربة خطأه وعاد إلى الطريق السوى . وقد مد آباؤه (آباء سابور) سلطانهم حتى نهر ستريمون وإلى حدود مقدونيا ، وأنه هو (كذلك بغير غرور) قد جاوز فى الجلال وكثرة الفضائل ، الملوك الأولين ، وأن عليه أن يستعيد أرمينية وبلاد الجزيرة اللتين أخذتا غصباً من جده . وإنا لن نجيز الرأى الذى أجزته فى عتوك ، الرأى الذى يرى كل فوز فى الحرب جديراً بالثناء ، من غير أن يفرق بين نصر يرجع إلى الشجاعة ونصر أساسه الحيلة الخادعة ، وكما أن الأطباء يكوون أو يبترون أعضاء الجسد أحياناً حتى يستطيع استخدام أعضائه الأخرى ، فعلى الإمبراطور أن يتنازل عن جزء صغير من أرضه على هذه الطريقة ، عن الجزء الذى كان مصدر القلق وإراقة الدماء ، حتى يحكم هادئا باقى مملكته . وإذا عاد السفراء الإيرانيون من غير أن يظفروا بشىء فإن الملك العظيم سيسير بكل قواه لحرب الإمبراطور ، بعد استراحة الشتاء» .

وكان جواب «كونستانس المظفر فى الأرض والبحر والعظيم دائما إلى أخيه الملك سابور» رفضاً خالصا مع لوم شديد للملك الجشع الذى يتزايد جشعه على الدوام . وإن كان الرومان قد آثروا — أحيانا — الحرب الدفاعية على الحرب

---

(١) ماركارت ، Eranšahr ، ص ٣٦ و ٥٠ . وفى نص آمين Ammien وردت كلمة سجستانى مكان جيلانى ، (١٧) ، ٥ ، ١ وهو تصحيح لماركارت . ويظهر أن سجستان قد استقلت أيام كان سابور قاصرا .

(٢) ثمستياس ، Orat. ١٣ ، انظر نشر ڤاليسيوس بكتاب آمين مارسان ، حواشى ، ص ١٣٨ .

الهجومية فإن هذا الإيثار لم يكن عن خوف ولـكنه عن اعتدال ، وإذا كان الرومان قد اضطربوا فى الحرب فى بعض المعارك فإن النتيجة النهائية للحرب لم تكن تدور عليهم .

والخطابان كما يظهران فى كتاب آمين (١٧ ، ٥ — ٣ : ١٤) يحملان الطابع الخاص لهذا المؤرخ . وقد ذكرها آمين متصرفا تصرفا كاملا كعادة المؤرخين القدماء ، ولـكنه رأى النص الأصلى . ونستطيع أن نستنبط ذلك من الألقاب التى ينسبها سابور لنفسه : «سابور ملك الملوك ، رفيق النجوم ، أخو الشمس والقمر » ، ومع أن آمين لم يذكر الألقاب بدقة تامة فإن ما ذكره منها يشبه ألقاب سابور الرسمية التى تظهر فى نقوش حاجى آباد : « عابد مزدا ، الإله سابور ، ملك ملوك (شاهنشاه) إيران وغير إيران سليل الآلهة » وفى الألقاب التى يمنحها الملك العظيم لنفسه فى خطاباته الرسمية للسلطات الأرمينية « أكبر مظفرى (أو شجعان) عابدى أو هرمزد الذى يطاول الشمس ، ملك ملوك إيران وغير إيران »(١) .

وقد بدأ سابور الحرب بهجوم على قلعة آمد ، ديار بكر الحديثة ، واستولى عليها بعد دفاع مجيد . وكان ذلك سنة ٣٥٩ . وبعد سنتين توفى كونستانس فصار جوليان إمبراطورا واحدا على الرومان ، فقاد بنفسه الجيوش الرومانية وسار ليحارب الإيرانيين . وكان من بين قواده الأمير هرمزد . الأمير الإيرانى المنفى ، أخو الملك ، وكان يأمل أن يجلسه الروم على عرش إيران ، ومن ناحية أخرى كان للإمبراطور حليف فى ملك أرمينية ، أرشك الثالث الذى قتل قريبه جنيل وتزوج أرملته فرندزم وهى امرأة مولعة بالدسائس . وتقدمت جيوش الرومان وحلفاؤهم نحو المدائن ، ولـكنها أوقفت بجيش إيرانى قوى يقوده قائد من أسرة مهران ، وقد قتل جوليان سنة ٣٦٣ فى المعارك التى تلاحقت . وقد سحب خلفه جوفيان الجيوش الرومانية إلى ماوراء الحدود ، وكسب الإيرانيون فى الصلح الذى تم عاجلا لمدى ثلاثين عاما نصيبين وسنجار والمقاطعات المتنازع عليها فى أرمينية . وتعهد الإمبراطور فيما عدا ذلك بألا يساعد أرشك الذى عزل على أثر ثورة جماعة من أمراء الأرمن ، وأخذ أسيراً إلى إيران حيث انتحر بعد ذلك . وقد اضطرت فرندزم إلى التسليم بعد أن

---

(١) باتكانيان ، JA ، ١٨٦٦ ، (١) ، ص ١١٦ .

قاومت زمناً طويلا فى قلعة أرتجرس ثم نقلت إلى إيران وقتلت . وبمقتضى شروط الصلح انتزع الإقليمان القوقازيان إيبريا (جورجيا) وألبانى من السيادة الرومانية ووضعتا تحت سيادة إيران . ولكن الرومان تعهدوا تعهدا شبه رسمى بأن يساهموا ، كما كانوا يفعلون من قبل ، فى المحافظة على «الأبواب القزوينية» عند ثغرة داريال ، التى تحمى أقاليم جنوبى القوقاز من غارات الشعوب المتوحشة[1] .

وقد حاول الإمبراطور والنس مرتين أن ينصب الأمير پاپ بن أرشك ملكا على أرمينية تحت حماية الرومان . ففى المرة الأولى طرده سابور ، وكان مشغولا حينئذ بحرب ضد الكوشانيين[2] ، وفى المرة الثانية غلب الإيرانيون على أمرهم ، غلبهم القائد الأرمنى موشل . الذى كان يتعادل مع الفرق الرومانية بعد أن أخضع أرزنين والولايات الأخرى الثائرة[3] ، ثم اتحد مع جاثليق أرمينية نرشى (نرسى) . ويقول فاوستوس البيزنطى إن موشل هذا كان يسلخ أسرى الإيرانيين أحياء ثم يرسل جلودهم محشوة إلى پاپ الذى لم يلبث أن قتل رائده الظالم نرشى بالسم . ولكن الدساسين الأرمن قد شككوا والنس فى پاپ فحرض على قتله فقتل . وبعد

---

(١) ماركارت ، إيرانشهر ، ص ٩٥ و ١٠٣ . دريال صيغة مختصرة من در آلان « الباب الحامى من سكان آلان » . قارن پيترز فى Analecta Bollandiana ، جزء (٥٢) ، ١٩٣٤ ، ص ٣٥ .

(٢) لعل فاوستوس البيزنطى يقصد بكلمة الكوشان هنا جماعة الكيونيت فى بقطريان (ماركارت Erānšahr ، ص ٥٠) .

(٣) فى سور مدينة فركين (ميافارقين ، مارتيرپوليس وهو الاسم الأحدث لتجرانوكرتا عاصمة ارزنين ، انظر ليمان — هوپت ، Armenien (١) ، الفصل ١٣) يوجد مربعات من الحجارة عليها نقش يونانى . وقد عبث بهذه المربعات ونقد منها الكثير . وقد حاول ليمان — هوپت (c (١) ، ص ٤١٠ وما بعدها) أن يعيد النقش الذى أمر بعمله ملك أرمنى وهو يروى الاستيلاء على تجرانوكرتا بعد ثورة ، والنقش يبين هذه الحوادث وأن پاپ Pap هو صاحبه . وعلى مسيرة ساعتين ونصف ساعة من فركين وجد ليمان — هوپت نقشا بارزا منحوتا فى الصخر الذى أقيمت عليه قلعة بشات الكردية يمثل ملكا ساسانيا على حصانه وقد أدار وجهه نحو اليمين ووقف رجل خلف ذيل الحصان . ويرى المؤلف (هوپت) تؤيده قصة محلية ، أن الفارس هو سابور الثانى ، وأن النقش يمثل انتصاره على أرشك والد پاپ ، قبل عدة سنوات (١) ، c ، ص ٤١٩ = ٤٢٠) .

ذلك وقعت مفاوضات بين الروم وإيران وكان يمثلها شريف من أسرة سورين . وقد تنازل والتمس من جديد لملك إيران عن حق التدخل فى عرش أرمينية . ومع ذلك نصب الرومان الأمير الأرمنى ورزادت ، ولكنه اختلف مع روما فعزل .

وحينئذ ولى العرش الأرمنى أميران قاصران ، من أبناء پاپ ، ونصب وصيا عليهما مانويل الماميكونى أخا موشل الذى قتله ورزادت ، وكان صديقا للإيرانيين فطلب مساعدة الشاهنشاه ضد تدخل الرومان المتوقع ، فانتهز سابور هذه الفرصة وأرسل إلى أرمينية جيشا يقوده سورين الذى عين مرزبانا على أرمينية[١] ، ومات سابور بعد ذلك مباشرة .

***

هذه أهم حوادث حرب الأربعين سنة بين سابور الثانى والروم . ولم تحفر يد أى فنان على صخور إيران مناظر هذه الحرب بين القوتين الكبيرتين فى العالم القديم[٢] . ولكن الكتب الرومانية حفظت إلينا رواية حية كتبها رجل ساهم فى أعمال الحرب ، وكان شاهد عيان فى كثير من الحوادث ، نقصد آمين مارسلن الضابط الرومانى ، وهو من أصل يونانى ، وكان جنديا جريئا ، مثقفا وراوية من الطراز الأول رغم لغته المتكلفة . ووصفه المعارك التى انتهت بسقوط آمد فى يد الإيرانيين سنة ٣٥٩ واضح ليس وراءه مزيد . كان على ولاية كوردوين الأرمينية حاكم إيرانى اسمه جوڤينين . وقد أحب المدنية الرومانية لأنه أسر صغيراً ثم أخذ رهينة فى الشام ، ولا شك أنه سمى اسمه الرومانى فى ذلك الوقت ، وعلى كل حال فإنه كان ذا ميل للرومان . وقد أوفد إليه آمين رسولا مع ضابط ثقة لكى يتنسم الأخبار عن حركات الجيش الإيرانى . وقد بعث جوڤينين معه دليلا يعرف الأماكن ، فلما صعد إلى مرتفعات سلسلة عالية من الجبال ، رأى المترصدون ، فى اليوم الثالث أن

---

(١) حين ألخص هنا تاريخ العلاقات بين أرمينية وإيران والإمبراطورية الرومانية ، وهو غامض جدا ، أتبع بوجه عام رواية يوستى (GIPH ، (٢) ، ص ٥٢٤ وما بعدها) الذى استخدم كل المصادر الأرمنية والرومانية والبيزنطية . قارن ماركارت ، Untersuchungen zur Geschichte von Iran (١) ، ص ٤٤ وما بعدها من المستخرج من المجلة .

(٢) نقش بشات الذى أشرت إليه فى ملاحظة سابقة موجود فى البلاد الأرمينية القديمة .

الأرض منذ شروق الشمس قد غصت بفرق لا عدد لها . وعلى رأسها ملك إيران بلباسه البراق وعلى يساره جرومباتس ملك الكيونيت الجديد ، وهو رجل متوسط العمر ، ضعيف البنية ، ولكنه قوى الروح ، وقد اشتهر بانتصارات كثيرة ، ووقف ملك الألبان على يمين سابور ، مساويا فى الرتبة جرومباتس ولم يكن أقل منه شهرة . ووقف خلفهم كثير من القواد الممتازين . ثم تأتى مجموعة الجيش المؤلفة من أفضل فرق الأمم المجاورة . ولما رأى آمين الجيش الايرانى وهو يعبر نهر الزاب على جسر من القوارب ، عاد إلى جوثيلين ، وبعد أن استراح أقل راجعاً مجتازاً الجبال ليلحق بالجيش الرومانى . وحينئذ استعد الرومان للحرب وأشعلوا النيران فى حقول القمح . ومر الفرس سراعا من أمام نصيبين وواصلوا السير متتبعين الأودية الخصبة عند سفوح الجبال اجتنابا للحقول المحترقة . وأما الفرق الرومانية فقد أحثت السير ، من ناحية أخرى ، نحو ساموزات عاصمة ولاية قومش لكى يعبروا النهر عندها . وقد تمكن القائدان الإيرانيان تهم — سابور وتخ وذار[1] لجبن وإهمال عن فَوَجَين من جند الرومان ، أن يتقدما ومعهما ألف محارب وأن يكمنا خلف التلال المحيطة بآمد . وهنا تحدث اللقاء الذى يصفه آمين فى العبارات التالية : « وبينما نحن نسير على ضوء الشروق الضعيف ، نبغى بلوغ ساموزات كما قلت ، رأينا من فوق تل بريق الأسلحة . وسمعنا فى الحال صيحات تنذر بأن العدو هناك ، ثم أبدوا العلامة العادية لإيذاننا بالاستعداد للنضال . فوقفنا وجمعنا الصفوف ولم يبد لنا من الفطنة أن نولى الأدبار فى تلك اللحظة ، فقد كنا نرى العدو الذى يتعقبنا إن فعلنا ، ولا أن نبدأ الحرب فإنها ستعرض أرواحنا جميعا للبوار المحتم فى قتال عدو يفوقنا فى فرسانه ورجّالته . وأخيراً رأينا أن لا مفر من القتال وكنا مترددين فيما نتخذ من رأى ، وقتل جماعة منا وهم الذين أسرفوا فى التقدم وحينئذ تقارب الجيشان » .

« ولما مضى على ذلك نصف ساعة ، صاح رجال مؤخرتنا ، وكانوا على قمة تل ، بأنهم يرون وراءنا فرقا أخرى من الفرسان المصفحين تقترب منا مسرعة كل الإسراع . ولم نستطع أن نعرف أى ناحية نتبع ، كما يقع دائما فى مثل هذه اللحظات

---

(١) صفحة ١٠ ، ملحوظة ٣ .

الخطرة ، وها هى الجماهير الغفيرة تدفعنا دفعا . وهكذا هربنا ونحن نتفرق فكل منا ذهب إلى الناحية التى ظن فيها السلامة من أيسر سبيل . ولكنا لم نستطع أن نتجنب الاشتباك مع طلائع العدو ونحن نحاول كل بمفرده الخلاص من الخطر المحدق بنا . وفى هذه اللحظة لم يفكر أحد فى أكثر من النجاة بحياته . ولقد دافعنا عن أنفسنا بكل قوانا ، وقد اندفعنا نحو شواطىء دجلة الوعرة ، وهنا هوى بعضنا وكان مثقلا بما عليه من أسلحة فغاص فى النواحى الواطئة من النهر ، وآخرون جرفهم اليم بدواماته العميقة فغرقوا ، وآخرون وقعوا يناهضون العدو ويحاربونه ، موفقين وخائبين ، وكان هناك من ماتوا رعبا من الجموع المتراصة من الجند فحاولوا بلوغ أقرب فجاج جبل طوروس »

« ... أما أنا فقد انفصلت عن زملائى ، وفكرت على أى شئ أعزم حينما اقترب منى ويرنيين ضابط الحرس وقد أصابه سهم فى فخذه وعلق به . وبينما كنت أود أن أحمله معى لإصراره على ذلك إذا بى أرى الفرس وقد أحاطوا بى من كل جانب فحاولت أن أسرع نحو المدينة (آن) وكانت أعلى من المكان الذى هوجمنا فيه ولم تكن لتنال إلا عن طريق ضيق جدا زاده ضيقا طاحون بنيت فى وسط المرتفع حتى تسد كل الطرق المتفرعة . وهنا اختلطنا بالفرس وقد بلغوا الجبل حينما بلغناه ، فكان لزاما علينا أن نبقى بلا حراك ، حتى تطلع الشمس ، فى تدافع بلغ من شدته أن جثث الموتى ظلت واقفة من الزحام لا تجد فسحة من الأرض تهوى إليها . وقد كان أمامى مباشرة جندى شجت رأسه نصفين بضربة سيف مروعة ، وقد اشتد عليه الضغط من كل جهة فلبث واقفا كأنه وتد . وقد نصبت المناجيق من جميع الأنواع فوق القلعة ، وسقط علينا وابل من النشاب ولكنا كنا قريبين جدا من الأسوار فلم يمسنا سوء منها . وأخيراً نجوت بالدخول من باب خفى فوجدت جمهورا كبيراً ، رجالا ونساء ، وقد هرعوا للداخل من الأماكن المجاورة ، ذلك أن السوق السنوية كانت قائمة حينذاك فى الضاحية تتجمع فيها خلق كثير من القرويين كانوا جميعا يتصايحون ويتسابقون بكل ما فى وسعهم ، وكان بعضهم يبكى من فقد ، وبعضهم

وبعضهم مصابا بجرح مميت ، وكثيرون ينادون أصحابهم فلا يجدونهم وسط هذا الاضطراب »[١] .

وحينئذ بلغ سابور نفسه آمد يقود الجزء الأكبر من جيش الفرس . « وكانت الأرجاء جميعاً إلى أقصى مدى البصر ، منذ تنفس الصبح ، تلمع ببريق الجيوش ، وبالفرسان المصفحين بالحديد وقد انتشروا على السهول والتلال . وكان الملك نفسه يبز الآخرين بقامته الطويلة ، وقد تقدم على حصانه الجيش كله ، ولبس بدلا من التاج رأس ماعز مذهبة ومرصعة بالأحجار الكريمة . وقد نم على عظمة موكبه عدد الأشراف الذين أحاطوا به والحاشية المؤلفة من رجال أمم مختلفة . ولا ريب أنه حاول أن يحمل المدافعين على التسليم اختيارا ، إذ كان عليه ، كما نصحه أنتونيوس[٢] أن يسرع إلى غير هذا المكان . ولكن آلهة السماء ، كي تجمع آلام الإمبراطورية الرومانية فى ساحة ضيقة ، جعلته يثق بنفسه ثقة عظيمة ، وخيلت إليه أنه إن حضر فسيأتى المحاصرون مذعورين طالبين العفو . وقد سار راكبا إلى الأبواب فى حرسه الملكى . ولكنه اقترب مطمئنا كل الاطمئنان ، حتى كان فى الإمكان معرفته ، فكان ، بسبب زيناته الواضحة ، هدفا لجميع السهام والنشاب ، وكاد يقضى عليه لو لم يحفظ مثار النقع حياته من الرماة . وهكذا ارتدّ فى أمان وسلام ، غير أن رداءه قد مزقته نشابة ، ونجا بحياته ليذيق آلاف الناس الموت بعد ذلك ، فقد استشاط غضباً ، كأنا قد أجرمنا بالاعتداء على مكان مقدس . وكان يقول إنه قد اجترأ بعض الناس بالاعتداء عليه على إغضاب ملك أكبر من كثير من الملوك ، وأعد فى حماس بالغ كل العدة لتخريب المدينة . ولكن القواد العظام استحلفوه ألا يحيد عن طريقه المظفر ، وهدأه الأشراف الآخرون مستعينين بصداقتهم له . فعزم على أن يأمر حامية المدينة بالتسليم فى الغداة » .

وهكذا تقدم جرومباتس ملك الكيونيت الذى كلف بهذه الرسالة ، واثقا بنفسه ، حتى بلغ الأسوار ، وكان مصحوبا بفرقة من الفرسان الأقوياء . ولكن

---

(١) (٢٨) ، ٨ .

(٢) جندى رومانى هارب ليلحق بالعدو .

راميا ماهراً ، حينما أدرك أن جرومباتس أصبح على مرمى السهم ، أدار المنجانيق فخرق درع ابن جرومباتس وصدره وكان راكبا حصانه بجوار أبيه ، وكان شابا يمتاز على سائر الشبان أترابه بطوله وجمال قامته . وقد تفرق أبناء جنسه بعد مقتله ، ولكنهم أحسوا فى إخلاص بأن جثته لا يجوز أن يأخذها الرومان ، فعادوا بعد قليل وحرضوا كثيرا من الناس على حمل السلاح بصيحات عالية . وثارت معركة حامية بعونهم ، وتساقطت السهام فى كثرة من كل ناحية . وأخيرا ، بعد واقعة مهلكة ، دامت حتى آخر اليوم نجح الأعداء وقد احتموا بسواد الليل ، فى أخذ الجثة من بين أكوام الموتى وغزير الدم ... » .

« وقد غمر هذا الموت البيت الملكى بالحزن وشاطر النبلاء جميعا الأب فى حزنه البالغ من هذه الخسارة الفادحة . وأوقفت أعمال الحرب كلها ، وأقيم ، حسب الرسم المتبع فى بلاد القتيل ، احتفال بجنازة الشاب الذى كان شريفا بمولده والذى كان عزيزا جداً كذلك . وقد حمل لابسا درعه العادى ووضع فوق كرسى عال ، وأحيط بعشرة أسرّة عليها صور موتى متقنة الصنع فكانت شبيهة تماماً بالجثث المكفنة . وقضى الرجال عشرة أيام كاملة فى العزاء ، فكانوا يحيون جماعات وأفواجا جنازة الأمير الشاب وهم يرقصون ويرتلون نوعا من أدعية الجنائز . وضرب النساء صدورهن فى حزن وكن يبكين ، حسب العادات المتبعة فى مثل هذه الأحوال ، يبكين أمل الناس وقد خاب فى مقتبل العمر . . »

« وبعد أن حرق الجثمان ووضعت الحطام فى ظرف من الفضة لتدفن ، كما رأى الوالد ، فى أرض الوطن(١) ، اجتمع مجلس حربى كبير ، اتفق فيه على أن يحملوا لروح الشاب المقتول ضحية محرقة بأن يحيلوا المدينة إلى تراب ، ذلك لأن جرومباتس لا يريد مغادرة المكان قبل أن يثأر لظل ابنه الوحيد . فسمح للجند بالراحة يومين ، واقتصر على بعث الفصائل الضرورية لتخريب الحقول الخصبة المزروعة غير المحمية كأنها فى أيام السلم . ثم حوصرت المدينة بخمسة صفوف من الجند الدارعين

---

(١) نرى من هذه العبارة أن الكيونيت لم يكونوا زردشتيين ، ذلك لأن حرق الجثث والدفن كانا مخالفين لقواعد الدين الزردشتى (انظر ص ٢٣ — ٢٤) .

ذوى التروس . وعند صبيحة اليوم الثالث انتشر الفرسان ذوو الدروع البراقة فى الأرض على مدى البصر ، ومشت الصفوف فى تثاقل إلى المكان الذى وقع الاختيار عليه ، وأحاط الفرس بالقلعة كلها . وكان الركن الشرقى ، حيث قتل الشاب لشقائنا مكان الكيونيت . وكان الورت Vertes فى الجنوب ، والألبان فى الشمال ، واصطف السجستانيون[1] أمام الباب الغربى ، وهم لانظير لهم فى حومة الوغى . وكان مع هؤلاء صفوف من الفيلة العظام ، يهول منظرها ، وكان جلدها مملوءا بالغضون ، وكانت تتقدم ببطء ومن فوقها رجال مسلحون . وهذا ، كما قد قلته مرارا ، أبشع وأشنع ما يمكن أن يتصور من مناظر . . » .

« وعندما تم اصطفاف الجنود ، وقفت الفرق جامدة حتى المساء ، ثم عادت من حيث أتت بالنظام نفسه . وقبيل بزوغ الشمس ، أحاطوا بالمدينة من جديد ، وذلك على صوت الأبواق . ثم بدءوا المعركة . ولكن المدافعين عن المدينة ذادوا عنها بقوة .

« وقد هشمت الأحجار الكبيرة التى قذفناها بآلاتنا رءوس عدد هائل من الأعداء ؛ كما أصبنا آخرين بالسهام ، وغيرهم بالنشاب ، حتى أن العدو لم يكن يتقدم إلا بمشقة بسبب أكوام الجثث التى غطت الأرض . وقد جرح بعضهم فكان يجتهد فى اللحاق برفاقه . وأما المدينة فلم يكن ما فيها من أحزان ومَقاتل بأقل مما فى خارجها فسيل من السهام كان يحجب السماء ، وأصابت الآلات التى استولى عليها الفرس فى نهب سنجار كثيرا . وقد جمع المحاصرون قواهم كلها وأخذوا يعيدون الكرّة كلما توقفت المعركة ؛ ولكن سقوطهم كان محزناً حين يصابون وهم يحاربون بهذا الروح المتوقد ، ذلك أنهم حين يسقطون مضرجين بدمائهم يوقعون جيرانهم ، وكانوا إذا أصيبوا بسهام وهم أحياء يستغيثون ويطلبون أناساً مهرة لنزعها . وهكذا توالت المعارك الدموية طول النهار ، ولم يكن ظلام الليل ليسكن من حدة المتقاتلين ، هكذا كان العناد الذى يقاتل به الطرفان . وبينما كان الحراس واقفين بأسلحتهم بالليل ، كانت التلال تتجاوب بأصداء الصياح من المعسكرين ، فرجالنا يمجدون فضائل

(١) سكان سجستان ، الساجيون .

الإمبراطور كونستانس سيد العالم كله ، والفرس تمجد سابور الذى يسمونه شاهنشاه أو فيروز (پيروز) ، ومعناهما « ملك الملوك » و « المظفر فى كل الحروب » .
واستمرت المعركة حامية الوطيس طوال اليوم التالى ، ثم اضطرت الخسارة الفادحة الطرفين إلى إيقاف الحرب فترة . ولكن دفن الموتى كان متعذرا فى المدينة التى يسكنها أناس أكثر مما تسع (إذ فيها عدا سبع فرق رومانية جماعة كبيرة من المهاجرين ، يناهزون العشرين ألف رجل بالإحصاء الدقيق) ثم تفشى الطاعون فيها زيادة فى الحظ العاثر .
وقد أحاط الفرس المدينة بقفف من الخيزران مملوءة بالتراب ، كما أقاموا أسواراً للهجوم وبنوا أبراجاً عالية محصنة بالحديد من الأمام ، ووضعوا فوق كل برج منجانيقا خصص لإبعاد حماة الأسوار . وقد شرع المحاصرون يهجمون هجمات جريئة . وقد استولى سبعون من الرماة الفرس ، من الحرس الملكى ، يقودهم رومانى هارب ، على برج فى الناحية الجنوبية من السور . فتسلق الجنود الفرس سلالم الهجوم .
وأما الرومان فقد أداروا مجانيقهم ضد البرج وسددوا النشاب الضخمة التى كانت تصيب أحياناً عدوين معاً . وحينما قتل من فى البرج من الأعداء تكاثف الدفاع عن الأسوار واستمر حتى شتت شمل الورت الذين كانوا يقيمون فى الناحية الجنوبية .
وفى هذه الأثناء استولى العدو على عدة قلاع حصينة من الضواحى ، فنهبت وأحرقت .
وقد أخرج منها آلاف من الناس من بينهم شيوخ ونساء لا يقدرون على السير ، فتركوا فى الطريق ، وقد قطعت ربلات سيقانهم وعظام أرجلهم . وقد استشاط جنود الجالوا Gaulois غضبا حين رأوا صفوف الأسرى . فهجموا هجوماً يائساً ونشروا الموت والفزع فى الجيش الإيرانى . وأخيرا ، بعد أن أتم الفرس معدات الحصار ، بدءوا هجومهم الأخير العنيف على المدينة . وظلت المعركة بلا نتيجة فى اليوم الأول .
وفى اليوم التالى تقدم الفرس من جديد ومعهم فيلتهم . وقد هدم الرومان أبراج الهجوم وحطموا المجانيق بحجارة ألقوها بآلاتهم ، ثم دفعوا الفيلة بالمشاعل . وهنا نصل الحديث فى عبارات مؤرخنا :

« وأخيرا تلفت آلات الحصار ولكن هذا لم يؤد إلى تهدئة المعركة . ذلك لأن ملك الفرس نفسه ، ولم يكن مجبراً على أن يباشر الحرب ، غضب جداً من هذا

السيل من المصائب حتى أقدم على شيء لم يقدم عليه أحد من الملوك قبله : لقد دخل المعركة وسط الجند كواحد منهم ، حيث كانت الصفوف أكثف ما تكون . ولكن صوب عليه عدد كبير من النشاب لأن تمييزه كان يسيرا حتى على البعيدين منه ، وذلك بكثرة الذين يحيطون به ، وقد سقط كثير من هؤلاء ، ولكنه هو قد ارتد وأخذ يجرى من صف لآخر ، حتى نهاية اليوم من غير أن يروعه منظر القتلى والجرحى . وحينئذ سمح للجيش بأن يستريح قليلا » .

« وفى الحق أن الليل وقف القتال ، ولكن الشمس لم تكد تشرق حتى كان الملك ، وهو يكاد يتميز غيظا ونقمة ، غير مبال بفروض الإنسانية ، يحث الجنود على القتال من جديد ليصل إلى تحقيق رغباته . وكانت أدوات الحصار قد أتلفتها النار كما قلت ، وكان الهجوم علينا من أعلى أسوار الهجوم التى كانت أقرب شيء إلى أسوار المدينة فأقام رجالنا ، فى الداخل ، كذلك أسواراً ملائمة للهجوم ، بكل ما فى وسعهم من الحمية ، وقد قاموا فى هذا المقام الصعب ، بقوة معادلة تماماً لقوة العدو » .

وظلت المعركة الدامية سجالا مدة طويلة ، ولم يهن عزم أحد على الدفاع خوفا من الموت . وقد كانت المعركة فى أقصى شدتها حين تقرر مصير الطرفين المتحاربين بالمفاجأة التى لا تدفع ، فقد انهار جدارنا الذى عملنا فيه مدة طويلة ، كأن زلزالا أقضه . وهكذا صارت المسافة بين القلعة وأسوار الهجوم ممهدة أمام العدو ، كأن طريقاً أنشئ بها أو جسراً أقيم عليها ، حتى يعبر العدو هـذا المعبر حيث لا تعترضه عقبة ما . وقد سقط معظم الجند أو قد فجعهم الانهيار فهم لا يقوون على العمل . ومع ذلك أسرع الجند من كل مكان لدرء هذا الخطر الذى لم يخطر على بال ، ولكن هذه العجلة نفسها قد جعلت كل واحد يمنع الآخر من التقدم . بينما ازدادت شجاعة العدو بما نال من نجاح . وقد أمر الملك بأن تتقدم جميع قوات الجيش ، وبدأ الحرب بالنضال ، وسال الدم من الجانبين فى مذبحة عنيفة ، وامتلأت الحفر بالجثث . وهناك اتسع الطريق لفرق الأعداء ، فملأت البلد كله ، فضاع كل أمل لنا فى الدفاع أو الفرار وقد قتل الرجال المسلحون وغيرهم ممن لا سلاح لهم كما تذبح البهائم بلا تمييز بين الفريقين » .

ويختم المؤرخ هذه الرواية قاصا تفاصيل هربه وما كان فيه من المخاطر . وقد أقدم عليه فى ظلمة الليل ، وبصحبته رفيقان من الرومان . وقد تجنب لحسن الحظ ، الفرس الذين تتبعوا فرقة من فرسان الروم . ثم إنه وزميليه قد اجتازوا الجبال وبلغوا آخر الأمر مدينة ملطية Melitine فى أرمينية الصغيرة ، ومنها سافروا بصحبة ضابط رومانى إلى أنطاكية[١] .

* * *

وسابور الثانى بين الساسانيين الأول هو الملك الوحيد الذى تتيح لنا مصادرنا أن نتعرف مزاياه . ولم يستطيع آمين مارسلن ، رغم بغضه الطبيعى لعدو الإمبراطورية الرومانية الخطر ، أن يغفل فى روايته بعض الإعجاب بمظهر سابور المهيب وبجرأته . فالملك ، بقامته المديدة كان يفرع حاشيته كلها طولا بمقدار الرأس . وقدتقدم فى حصار بيزبده (بيت زبده) وآمد ، فى جرأة ، إلى الخندق ليختبر ما حول القلعة غير هياب من مقذوفات المجانيق أو وابل السهام[٢] .

ولم يكن أول اضطهاد لحق النصارى أيام كسرى راجعاً إلى التعصب الدينى ، بل كان مرجعه إلى أمور سياسية . ويحكى الكتاب السريانى الذى يصف حياة القديس أوجين أن سابور قد رغب فى رؤية هذا الزاهد النصرانى وكان يجله كثيرا فقد شفى أوجين ولدين للملك ، كانا فريستى الشيطان . وحق أن كتاب « حياة أوجين » مصدر مشكوك فيه كثيرا ، ولكن الروايات السريانية عن حياة القديسين تتضمن بعض إشارات[٣] يبدو أنها مستقاة من الروايات القديمة ويتبين منها أن سابور لم يكن ينطوى على ضغن للنصارى . ومع ذلك فإن البغض الدفين الذى يحمله نصارى إيران للدولة كان خطراً دائما عليها ، ذلك بعد أن اتخذ ملوك الرومان الصليب شعاراً ، ولم يتردد سابور فى اضطهاد هذا العدو المواطن ، وقد استمر هذا الاضطهاد إلى نهاية عهده الطويل[٤] .

---

(١) (١٩) ، ١ — ٨ .

(٢) (٢٢) ، ٧ ، ٢ .

(٣) لابور ، ص ٣٠٥ ، ملحوظة ١ .

(٤) انظر الفصل السادس .

وقد كان سابور مزهواً إلى أقصى حد بقوته وعظمته . كان سريع الغضب قاسيا . وقد كان ينتفض غضباً إن اعتدى أحد على جلالته أو وقف فى سبيل خططه[١] . وحينما أعلن المسيحى بوساك أو بوسيك ، وكان قد سيق إلى الملك ، أنه يحسد إخوانه فى الدين على استشهادهم وأنه يحتقر جلالة سابور ، استشاط هذا غضبا ، وصاح « ألا لا يقتلن كسائر الناس . إنه احتقر جلالى وتحدث إلىّ كأنى صنو له ، فاستأصلوا لسانه من قفاه حتى يخشانى من لا يزالون أحياء »[٢] .

أما أن الإنسانية ومروءة الفروسية لم تكونا غريبتين عن أخلاق سابور فهذا ما نستبينه من بعض إشارات فى كلام آمين . ففى الاستيلاء على قلعتين رومانيتين أسر عدد من النساء وجىء بهن إلى سابور وكان من بينهن زوج المستشار جروجاسيوس وهى امرأة جميلة جدا وكانت ترتعد خشية أن يغتصبها المنتصرون . فأمر الملك بإحضارها عنده ثم وعدها بأن ترى زوجها عما قريب ، وبأن أحداً لا يستطيع أن يعتدى على عفافها . ذلك لأنه كان يعلم ، كما يقول آمين ، أن جروجاسيوس كان يحب زوجه حبا جما . وكان سابور يأمل أن يحث هذا الرجل على تسليم مدينة نصيبين . ويضيف الكاتب إلى ذلك أن الملك وضع تحت حمايته بنات أخريات من النصارى قد وهبن حياتهن لخدمة المعابد ، فأمر بأن يتركن متفرغات لواجبات دينهن فلا يضايقهن أحد . ولعله من غير الجائز أن نرى فى هذه الشفقة مراءاة من الملك كما يريد آمين مارسلن . وقد هرب جروجاسيوس بعد ذلك ، لأنه رأى أن الرومان يشكون فى سلوكه ولأنه خشى أن يتهم بالخيانة . وقد انحاز إلى الإيرانيين ، مدفوعاً بحبه لزوجه ، فردها سابور إليه كما رد إليه كل أهله وما صودر من ثروته ، وجعل له فى إيران مكاناً عليا[٣] .

وقد أتاحت الحروب الطويلة مع روما لسابور أن ينتفع بمزايا القائد العظيم فيه .

---

(١) آمين مارسلن ، (١٩) ، ١ ، ٦ و (٢٧) ، ١٢ ، ١١ ، ١٨ .

(٢) لابور ، ص ٦٨ .

(٣) آمين مارسلن ، (١٨) ، ١٠ ، (١٩) ، ٩ .

وقد كان النظام سائدا فى جيوشه . ولم تحدث مذابح بلا جدوى عند الاستيلاء على بلاد معادية غالبا . وفى سنة ٣٦٠ حين سقطت قلعة سنجار فى أيدى الإيرانيين قتل عدد قليل من الناس حين دخلت الفرق الإيرانية . وقد أسر جميع السكان ومن بقى حيا من الحامية الرومانية بأمر من سابور ثم أرسلوا إلى أقاليم نائية من الدولة[١] . وهذا كما رأينا الخطة العادية التى تبعها الملوك الساسانيون الذين أرادوا الاستفادة من الرومان المتفوقين فى الصنائع الفنية . وكان سابور غاية فى الدقة ، فعرف كيف يتصرف فى تواضع أو كبرياء على اختلاف الأحوال[٢] . وقد استدرج بلطفه ملك أرمينية أرشاك إلى وليمة فقبض عليه ثم سجنه .

وكان سابور قد ألقى بزمام حكم أرمينية إلى رومانيين خائنين لجآ إليه ، كيلاكيس وأرتبان . فحينما انحاز هذان إلى الرومان ، بعد حبس أرشك ومهدا لنصب پاپ[٣] بن أرشاك ملكا ، لم ير سابور الظرف مناسبا لاستعمال العنف ، فخدع پاپ بأمل عقد معاهدة صداقة ثم لامه ، فى لهجة ودية ، بأنه من غير أن يفكر فى مقامه ، قد جعل نفسه كالرقيق لكيلاكيس وأرتبان ، حتى إنه لم يبق له من الملك غير المظاهر . وهكذا دفع هذا الملك الذى لا خلق له إلى قتل مستشاريه[٤] .

وأخيرا قد خلد سابور اسمه بين مشيّدى المدن العظام . فبعد أن هدم مدينة سوس القديمة وقتل أهلها بسبب ثورتهم[٥] بنى مدينة أخرى وسماها إيرانشهر — شاپور . ثم شيد على مسافة قريبة ناحية الشمال مدينة إيران — خوره — كرد — شاپور التى يسميها السريان « كرخا الليدان » ، حيث يوجد اليوم خرائب قصر يرجع تاريخه إلى عهد سابور ، هو إيوان كرخ ، وهو البناء الذى استبدلت بقبته الدهليزية

---

(١) المرجع نفسه ، (٢٠) ، ٦ ، ٧ .

(٢) المرجع نفسه ، (٢٧) ، ١٢ ، ١٤ .

(٣) پارا عند آمين مارسلان ، وتقرأ پاپا Papa .

(٤) آمين مارسلان ، (٢٧) ، ١٢ ، ١٢ .

(٥) لابور ، ص ٧ .

عقود كبيرة ذات أعراش يتخللها قباب صغيرة ، والذى أصبح النموذج المعمارى فى بلاد العراق[١] .



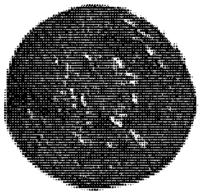
٢٥ . سابور الثانى يصيد الأسود . كأس فضى
(متحف ارميتاج . لينينجراد . فوتوغرافية كوبر ، لندن)

وخلفاء سابور الثانى ، أخوه (؟) أردشير الثانى (٣٧٩ — ٨٣) وابنا سابور الثانى سابور الثالث (٣٨٣ — ٨٨) وبهرام الرابع (٣٨٨ — ٩٩)[٢] ، كانوا ملوكا ضعافا ، استعاد عظماء الدولة فى عهودهم ما فقدوه من الأرض أيام سابور

(١) نولدكه ، الطبرى ، ص ٥٨ ، ملحوظة ١ ؛ ماركارت ، إيرانشهر ، ص ١٤٥ ؛ هرتسفيلد فى Sarre - Herzfeld ، Felsreliefs ، ص ١٣٠ وما بعدها .

(٢) ٣٨٦ — ٣٩٧ كما يقول هنريش شميدت (Syria ، ١٩٣٤ ، ص ٢٢) . وسمى بهرام الرابع كرمانشاه لأنه كان حاكما على كرمان من قبل أثناء ولاية أبيه . ويرى نولدكه ، (Pabari ، ص ٧١ ، ملحوظة ٣) أن مدينة كرمانشاه فى إيران الغربية تذكر بلقب هذا الملك .

الأكبر . وقد عزل العظماء الأوّل ، وذاق الآخران عنيف الموت . وفى السنوات الأولى من حكم بهرام الرابع (صورة ٢٦) اقتسمت إيران وروما ملك أرمينية



٢٦ . من نقود بهرام الخامس
(متحف كوبنهاجن)

فدخل قسمها الشرقى ، وهو أكبرها ، تحت حماية إيران ، وخضع القسم الغربى لحماية الرومان . وقد نصب خسرو بن ورزدات ملكا على القسم الشرقى . ولكنه عزل فى سنة ٣٩٢ ، عزله بهرام الرابع ونصب مكانه أخاه بهرام — شاپور[1] . وبعد ذلك عاد خسرو ملكا من جديد وحكم بين سنتى ٤١٤ — ٤١٦ . وكان الملوك الساسانيون الأول حتى نرسى يثبتون نقوشهم على الصخور المحيطة بمدينة پرسوپوليس (قرب شيراز) ، ولكن أردشير الثانى وخلفاءه قد اختاروا لتخليد عهودهم جهة فى ميديا القديمة ، أكثر قربا من العاصمة أعنى صخور طاق البستان ، شمال شرق كرمانشاه ، على ما يقرب من فرسخ من هذه المدينة ، على الطريق الكبير بين بغداد وهمدان ، وهو طريق القوافل القديم ، وهو الطريق الذى ترك عليه الملوك ، منذ أقدم العصور ، آثارهم والذى يسميه هرتسفيلد «باب آسيا»[2] ولا شك أنه كان هناك معبد قديم فى طاق البستان ، حيث ينابيع غزيرة تتدفق من جوانب الجبل ؛ ولعل هذا المعبد كان خاصا ، فى الأزمنة المزدية ، بعبادة أناهيتا[3] . وهذا الجبل ، الذى نحت بالمعاول ، قائم

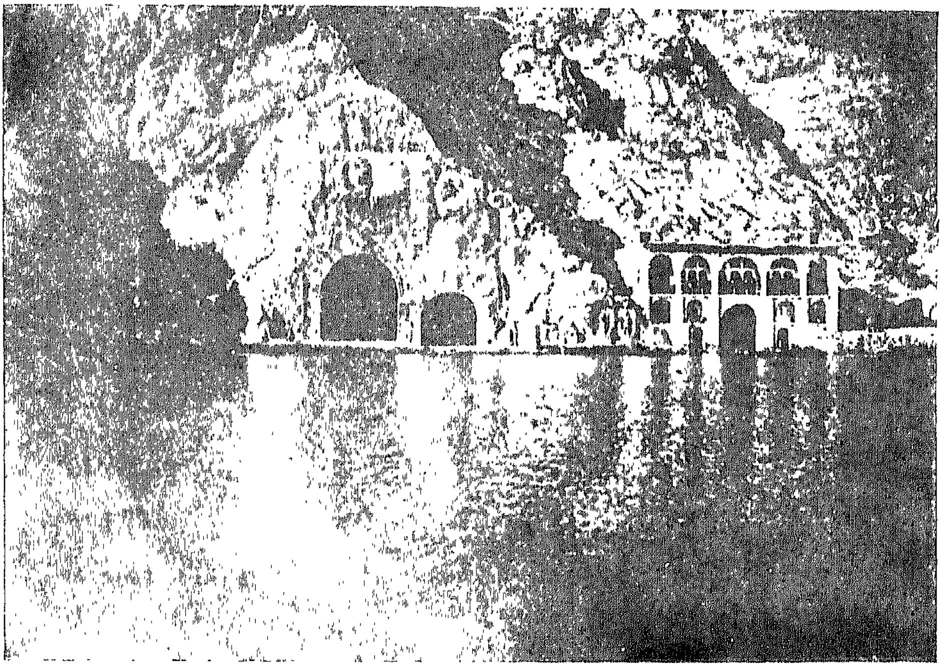
---

(١) صيغة أرمينية للاسم الفارسى بهرام — شاپور .

(٢) ديولافوا ، (٥) ، ص ٩٥ وما بعدها ؛ مورجان ، Mission Scientifique en Perse جزء (٤) ، ص ٣٠٣ وما بعدها ؛ هرتسفيلد ، Am Tor von Asien ، ص ٥٧ وما بعدها .

(٣) هرتسفيلد ، (١) ، C ، ص ٥٨ .

خلف غدير ، ويعلو قصراً حديثا للملاهى (صورة ٢٧) . وقرب هذا البناء على اليسار

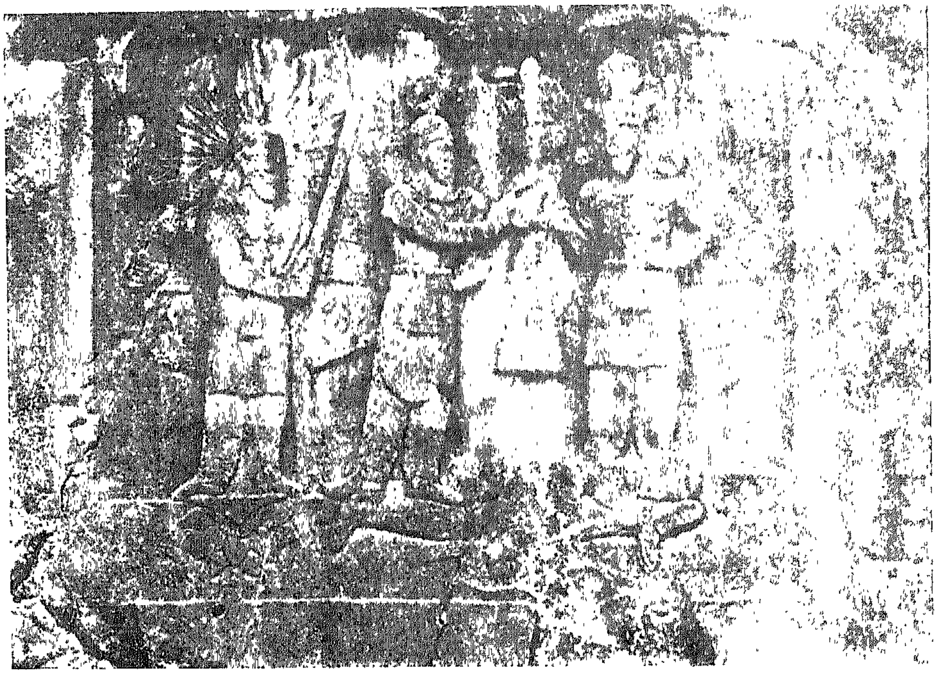


٢٧ . طاق بستان

(هرتسفيلد ، باب آسيا)

نقش على الصخور يمثل منظر تنصيب أردشير الثانى . فعلى يمين الملك أوهرمزد وقد أدار وجهه نحوه ، وعلى رأسه التاج ذو الجدار وهو يمد الخاتم ذا الأشرطة . وقد لبس الملك والإله ، كلاهما ، ثوبين يصلان حتى الركب . فأما رداء الملك فذيله مستدير . وسراويلهما مثناة من الناحية الداخلية للأرجل ، وقد أحكمت على الكعوب بحلق ، وقد تمنطقا ، ولبسا العقود والأساور ؛ ووقف خلف الإله إله آخر ، يشبه لباسه لباس أوهرمزد ، ولكنه يتميز بالأنوار تسطع حول رأسه ، وفى يده اليمنى البرسم (فى الأوستا بَرِسْمَن) ، باقة الأغصان التى تتخذ فى المعابد . وقد اعتقد البرسيون فى الأزمنة الحديثة أن هذا الإله ذا الأكليل النورانى هو صورة «صحيحة» لزردشت . والحقيقة أنه رسم الإله ميترا ، وهو معروف لنا بأثر أنطاكية الجنائزى فى قومش من

ناحية ، ومن النقود الزردشتية لملوك « توروشكا » من ناحية أخرى ، فإن شخصيته بينة هنا ، كما هي بينة هناك ، بالكتابة . وقد انبطح على الأرض ، تحت أرجل الملك ، وأوهرمزد ، عدو مقهور ، بينما رسم ميترا فوق ورقة اللوتس[١] . (صورة ٢٨)



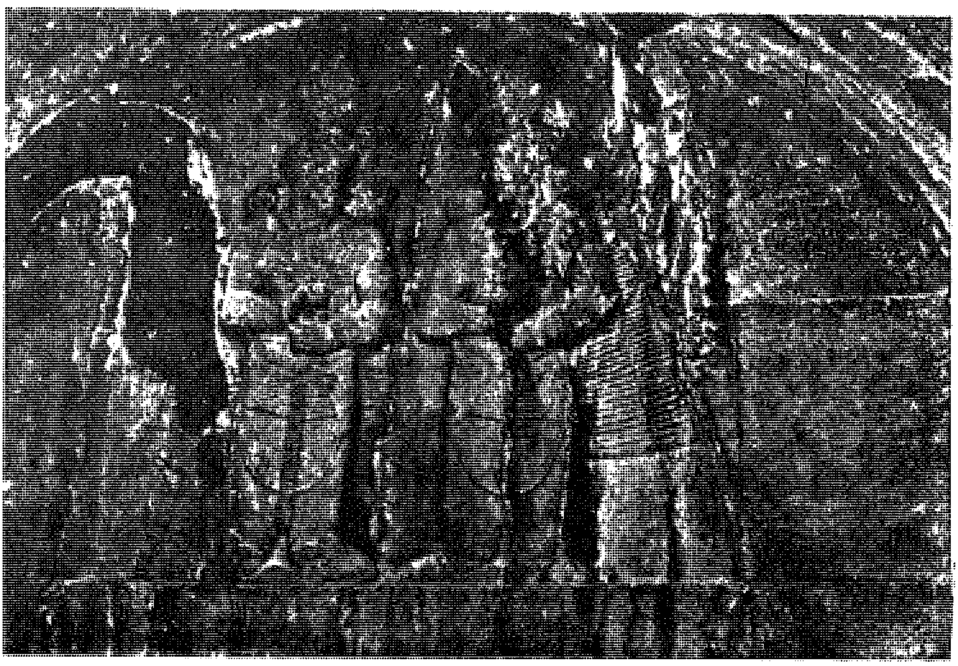
٢٨ . نقش بارز يمثل تنصيب سابور الثانى ، طاق بستان
(هرتسفيلد . باب آسيا)

وعلى يسار هذا النقش غاران ، الأول أصغرهما ويظهر أنه حفر أيام سابور الثالث ، لأن فيه رسم هذا الملك مع أخيه سابور الثانى . والصورتان المنقوشتان على الحاجز الخلفى والمحوطتان من الناحية العليا بالغار ذى القبة نصف الدائرية ، واللتان عرفت شخصيتهما بكتابات بهلوية مقروءة للآن ، قد صورتا فى الوقت نفسه ، أعنى فى عهد سابور الثالث . وقد رسم المالكان[٢] وجهاً لوجه ، ولكن الوجهين صورا جانبيا ،

(١) هرتسفيلد ، Am Tor von Asien ، لوحة ٢٩ ، ص ٥٩ وما بعدها .
(٢) المرجع نفسه ، لوحة ٣١ و ٣٣ ، ص ٦٦ وما بعدها .

وينظر كل منهما إلى الآخر ، سابور الثانى على اليمين ، والثالث على اليسار . واللباس هو الرداء التقليدى : فالسروال المثنى ، والعقود والأشرطة الخفاقة ، والشعر المجد ، واللحية المدبية ، التى أحكمت نهايتها بحلقة . وقد وضع كل منهما يديه على السيف الطويل المستقيم ، فاليد اليمنى على المقبض ، واليسرى على الجزء الأعلى من الغمد ، وقد لبس سابور الثانى التاج ذا الجدار والشرفات ومن فوقه الكرة المنسوجة ، وبه الأشرطة الخفاقة ، وهو تاج يقلد تاج سابور الأول ، ولكنه يتميز عنه بسلسلة من الأقواس الصغيرة فوق الجزء الأسفل . وتظهر دقائق تاج سابور الثالث بصعوبة ، وذلك لتلف الصخر .

وتذكرنا هيئة الرجلين بهيئة « حاملى السيوف » وبغيرها من الأشكال الأخرى المنقوشة فى مغارات تركستان الصينية . وكذلك تشبه صور الصليبيين وفرسان أوربا وأساقفتها فى القرون الوسطى(١).



٢٩ . نقش بارز لسابور الثانى وسابور الثالث ، طاق بستان
(هرتسفيلد . باب آسيا)

(١) هرتسفيلد ، Am Tor von Asien ، ص ٦٨ .

الفصل السادس

النصارى فى إيران

ازدياد سلطان رجال الدين والأرستقراطية العليا . الكنيسة الزردشتية فى أوجها . مكانة اليهود والنصارى فى الإمبراطورية الإيرانية . اضطهاد النصارى فى عهد سابور الثانى . عهد يزدگرد الأول وبهرام الخامس . البزرگ فرما دار مهرترسى وأسرته . تجدد اضطهاد . النصارى . يزدگرد الثانى . شئون أرمينية . شهداء السريان والفرس . منازعات اليعاقبة والنساطرة . الملكان فيروز وبلاش . غزو الهياطلة . انتصار مذهب النساطرة . النظام القضائى فى إيران . نظرة على أعمال الشهداء .

لم يكن النظام الإدارى المركزى للدولة الساسانية خلقاً جديدا ، فإن النظم الإدارية وألقاب الموظفين الاصطلاحية ، كل ذلك كان موروثا عن البرت بوجه عام ، وقد كانت الأرستقراطية الإقطاعية ممثلة فى بلاط الملك أيام الأشكانيين . ولكن الملوك الساسانيين الأوَل قد وطدوا هذا النظام الإدارى المركزى بصورة لم تعهد من قبل ، كما أقاموا رابطة وثيقة بين الحكومات الإقليمية والحكومة المركزية . وقد بلغ تفكك الدولة أيام الأشكانيين أن أصبحت دولتهم مجموعة من « الدويلات » الملزمة بالجزية ، شبه المستقلة ، حول الحكومة المركزية ، ولكن كانت الأسرات البرتية الكبيرة تنازع الشاهنشاه السلطة . فجاء أردشير واستهل أعماله بإدخال المركزية المحكمة التى كانت السبب فى عظمة الدولة الساسانية . وأصبح حكام الأقاليم ، منذ ذلك الوقت ، تابعين تبعية كاملة للشاهنشاه . وقد تقرر ألا يكون لتقسيم البلاد إلى كور رابطة نظامية بالأنواع المختلفة لحكومات الأقاليم التى مالت كلها إلى الطابع العسكرى . وكذلك عمل أردشير على منع تسرب التقاليد الإقطاعية إلى الولايات ، وعلى ألا تكون هذه إمارات وراثية . وقد جعل الإدارة المدنية فى الولايات بين طبقة النبلاء الأدنين وهم الدهاقين الذين كانوا أوفياء له دائماً . وكان نظام الجاسوسية القديم يسير بطريقة ناجحة . وتظهر قوة السلطة الملكية الجديدة بشكل واضح

فيما كان من تعيين الملكين الساسانيين الأولين لمن يرث العرش بعدهما[١]

وقد استمر العمل بالنظام الإقطاعي . وكان أبناء الأسر الكبيرة (واسپوران) يخرجون للحرب على رأس جمع من رعاياهم (الحراثين) ، ولكن هذه الجيوش المكونة من الحراثين كانت سيئة التكوين ومؤلفة من جند غير أكفاء . وكذلك كان للمرتزقة من الجند نصيب كبير في الجيش . إنما تتكون صفوة الجيش من الأساورة (الفرسان) المصفحين ، وهم نبلاء ، ومن المحقق أن معظمهم لم يكن تابعا للواسپوران ، وإنما كانوا سادة صغارا من أصحاب الإقطاعات والقصور الذين يتبعون الملك رأسا ، وكذلك لم تكن إقطاعات الواسپوران متحدة جغرافيا ، كما يحتمل أن تكون أيام الأشكانيين ، ولكنها كانت مشتتة في جميع أنحاء الإمبراطورية . وكل هذا قد حال دون تمكن الأشراف من بلوغ السيادة التي كانت لهم من قبل .

وكانت الأرستقراطية الإقطاعية أرستقراطية البلاط في الوقت نفسه ، كما كان الحال أيام الأشكانيين . وكان بعض الوظائف الهامة وراثيا في الأسرات السبع الممتازة ، وعند ما تغلب النظام المركزي على النظام الإقطاعي ، رويدا رويدا ، جرى كبار الملاك إلى الاحتفاظ بمزية شغل أكبر الوظائف غير الوراثية في الحكومة المركزية . وبهذه الطريقة حافظوا على النفوذ الذي كان عرضة لأن يضيع منهم بالتطور الحديد في نظام الدولة .

وكان معظم خلفاء سابور ملوكا ضعافا . فكان موت سابور الثاني فاتحة عهد طال حوالي خمس وعشرين ومائة سنة تنازع فيه السلطة الملك وأشراف الدولة ، وعادت الأرستقراطية العليا ، وقد وجدت في رجال الدين حلفاء لها ، خطراً على سلطان الملك .

ولا تمدنا مصادرنا بتفاصيل المعركة الحامية التي دارت بين طبقة رجال الدين والملك . ولكن نستطيع بعد جمع الروايات التي نلتقطها من مصادر شتى أن ندرك

(١) الطبري ، ص ٨٢٥ و ٨٣١ ، نولدكه ، ص ٣٠ و ٤٢ . من الصعب أن نعتقد أن الصدفة هي التي جعلت الطبري يذكر أن أردشير وسابور الأول وسابور الثاني وقباد وكسرى الأول هم وحدهم الذين عينوا بأنفسهم خلفاءهم .

التطور الذى رفع رجال الدين ، وقد استعانوا بنفوذ أصحاب الإقطاعات ، إلى ذروتهم . ونتبين بشكل مبهم ، من هذه المصادر ، نزاعا بين نظريتين تتعلقان بالصلات بين الملكية والرياسة الدينية العليا . فملوك الساسانيين فى كتاباتهم ، يسمون أنفسهم دائما بمباد مزده (مزده يسٔن) ، ولكنهم فى الوقت نفسه يلقبون أنفسهم بالإله أو الشخص الربانى (بَغ) أو ابن الآلهة (يزدان)[1] .

ويطلق سابور على نفسه ، فى كتابه إلى كونستانس Constance الذى ذكرناه من قبل[2] ، الألقاب الضخمة « ملك الملوك ، قرين النجوم ، أخا الشمس والقمر » . ويمجد كسرى الأول نفسه بأنه « الإله ، الطيب ، الذى يهب السلام للوطن ، المقدس ، كسرى ، ملك الملوك ، المجدود ، الورع ، الخير ، الذى وهبه الآلهة سعادة عظيمة وسيادة واسعة ، جبار الجبابرة ، المخلوق على صورة الآلهة »[3] ، وكذلك يسمى كسرى الثانى نفسه : « الرجل الخالد بين الآلهة ، والإله العظيم جدا بين الرجال ، صاحب الصيت الذائع . الذى يصحو مع الشمس والذى يهب لليل عينيه »[4] .

ولا بد أن يخلو الملك من كل نقص فى التكوين ليكون جديرا بهذه الألقاب العظيمة ، ولذلك كان الملوك أحياناً يسملون الأعين أو يقطعون أعضاء من يخشون منافستهم من أفراد أسرتهم ، ليجعلوهم غير لائقين لارتقاء العرش . ولم يكن من الملائم أن يكسب الملك المال عن طريق الزراعة أو التجارة ، وعليه أن يتعهد عند ما يتوج بأن يحكم بالعدل ، وأن لا يمتلك الضياع ، وأن لا يمارس التجارة[5] ،

---

(١) بَغْ هو التسمية الإيرانية القديمة للإلهة (بَجَـا) ، ويزدان هو التسمية الزردشتية بنوع خاص . والتمييز بين التعبيرين فى ألقاب الملك الأكبر له معناه .

(٢) ص ٢٢٥ — ٢٢٧ .

(٣) كتاب كسرى إلى جستنيان ، وقد ذكره ميناندر (Corp. scr. hist. Byz ، (١) ، ص ٣٠٣) .

(٤) تبو فيلاكت ، (٤) ، ٨ .

(٥) يفسر ابن خلدون ، الذى أخذنا عنه هذه الملاحظة ، هذه الحالة بأن اشتغال الملك بالزراعة قد يضر بمصالح جيرانه ، وأنه إذا مارس التجارة قد يرفع أسعار السلع ؛ ولكن هذه مسألة ترجع بالأحرى إلى اللياقة .

وأن لا يملك العبيد لخدمته ، « لأنهم لا يمحضونه النصح الخالص المفيد مطلقا » . وإنما دخلُ الدولة وحده يغنى الملك ويزيد فى رفاهيته[1] . ويجتهد الملك فى المحافظة على مكانته فى الرياسة العليا لطائفة رجال الدين لأنه ابن لآلهة السماء . وجاء فى القصص أن بابك رأى فى منامه النيران الثلاثة المقدسة نار المحاربين ونار رجال الدين ونار الزراع[2] ، قد اجتمعت فوق سقف بيت ساسان الذى تقول الرواية إنه صار بعد ذلك زوج ابنته ووالدا لأردشير . ويظهر من شاهنامة الفردوسى أن المتحدثين إلى الملك كانوا يصفونه غالبا « بالموبد » ، وهو وصف يحتمل أن يرجع إلى مصدر پهلوى . ونجد فى هذا بغير شك النظرية الأصلية التى روعيت من جديد فى حماسته منذ زمن كسرى أنوشروان (نظرية الدنيا والدين توأمان) .

ومن ناحية أخرى فإن الدينكرد ، وهو كتاب پهلوى ألف بعد زوال الدولة الساسانية يشرح حقوق الملك وواجباته ، ونستطيع أن نقول إنها خلاصة للنظرية الدينية فى السلطة الملكية أيام الساسانيين . وقد عدلت هذه النظرية تعديلا طفيفا بحكم التطور ، أيام كسرى الأول . ولكنها لبثت دينية دائما . وصفات الملك وواجباته وفقا لدينكرد هى[3] :

١ — الصفات والواجبات التى تتصل بالدين القيم ، ٢ — العقل السليم ، ٣ — الخلق القويم ، ٤ — القدرة على العفو ، ٥ — حب الرعية ، ٦ — القدرة على تهيئة الراحة للرعية ، ٧ — السرور ، ٨ — التذكر الدائم بأن السلطة فانية ، ٩ — تقدير الأكفاء برفع درجاتهم ، ١٠ — تنبيه الغافلين ، ١١ — حسن السلوك مع رؤساء الأقاليم ، ١٢ — إصدار الأوامر العادلة ، ١٣ — مراعاة عقد اجتماعات عامة فى حضرته ، ١٤ — الكرم ، ١٥ — طرح الحرص ، ١٦ — تأمين الناس من الخوف ، ١٧ — مكافأة الطيبين بجعلهم مع رجال البلاط أو برفع

---

(١) ابن خلدون ، Not. et Extr. (١٧) ، ص ٨٦ ، (٢٠) ، ص ٩٨ .

(٢) انظر هنا ص ١٥٤ .

(٣) نشر پيشوتان سنجانا ، جزء (٣) ، § ١٣٣ ، ص ١٥٣ وما بعدها ، الترجمة ، ص ١٨٠ وما بعدها .

درجاتهم ، ١٨ — العناية بتعيين المديرين فى الدولة ، ١٩ — طاعة الله طاعة تامة .

ومن خلال هـذه الصفات والأوامر ، وهى كجميع البيانات الأخلاقية البرسية تفتقر إلى الأسـلوب المنظم ، نستطيع أن نتبين بوضوح النظرية الدينية فى الدولة ونرى إلى أى حد كانت هذه النظرية تعتمد على الطابع الدينى للدولة . ويظهر هذا الطابع فى الدينكرد كله . ونضرب مثلا بالفقرة الآتية[١] : « إن خير ملك لهذه الدنيا هو الذى يثق بعلماء الدين الحق (دستوران) الذين يحفظون حكمة أوهرمزد» . وإن الجلالة الإلهية لتترك الملك الضال الذى ينبغى ألا يستمر فى الحـكم ، بعد أن يتبين سوء إرادته وعجزه « فإذا ظهر القحط وعم ، وعجز الملك بقواه الخاصة ، أن يضع له حدا ، أو لم يعن به أو لم يعرف له (علاجا) فهذا (الملك) الضعيف الذى لا يقدر على تخطى الشر ولا يعالجه ، هو بالطبع عاجز عن أن يحـكم بالعدل بأى طريق ، وينبغى أن يحاربه الآخرون من أجل العدالة »[٢] .

وقد قام دستور الدولة الساسانية ، قولا وفعلا ، على أساس الاستبداد الذى يلطفه (جزاء) العزل أو القتل . وفى هذا حد من سلطة الملك ، حد لا يستند إلى نصوص فى دستور مسطور ، ولـكن يستند إلى الروح الدينى والخلق فى الدولة . وكان عجز الملك يتجلى بطرق مختلفة ، منها أنه لا يتبع نصائح كبار رجال الدين وتوجيههم . وكانت نظرية عزل الملك سلاحا قويا فى أيدى الموابذة . وإذا كثر المرشحون للملك وكان يشد أزر كل منهم حزب من النبلاء ، كان رأى كبير الموابذة فاصلا (فى تعيين الملك الذى يرضاه) : فإنه يمثل القوة الروحانية ، وفى شخصه يتجسد إيمان الأمة وشعورها الدينى .

وقد قلنا إن الملوك الساسانيين الأول كانوا يعينون خلفاءهم . ولـكن ولاية العهد لم تكن مرتبطة بقواعد محددة . والعادة أن ينصب الملك أحد أبنائه لولاية عهده ، ولـكنه يستطيع إذا أراد أن يعين فردا آخر من بيته .

---

(١) نشر پيشوتان سنجانا ، (٤) ، § ٢٧٣ ، ص ٣١٩ ، الترجمة ، ص ٤٢٢ — ٢٣ .

(٢) المرجع نفسه ، (٢) ، ص ١٠١ ، الترجمة ، ص ١١٥ . أذكر هنا ترجمة پيشوتان سنجانا ولـكنى أعترف بأن بعض تفاصيل النص ليست واضحة تماما لدى .

وفى المدة التى ضعف فيها سلطان الملك استطاع ملوك مثل بهرام الخامس ويزدگرد الثانى أن يسيروا فى حكمهم بلباقة ، فقد أظهر هذان الملكان للناس التقوى وتركا أمور الدولة للعظماء يسيرونها . كان بهرام الخامس ملكا يتفق تماماً مع ذوق النبلاء ، فقد قسم حياته بين أعمال الفروسية والملذات ذات الهرج . وقد طاب ذكر فيروز لتدينه ، رغم ما كان من غدره بملك الهياطلة . وكان فيروز ملكا يقظا محبا للحرب ولكنه لم يكن موفقا فيها فجرت على البلاد كثيرا من الويلات . وفى أثناء هذه المدة لم يكن الملك يختار ولى عهده ، بل جرى العمل فى الواقع على اختيار الملك من بين أفراد أسرة الساسانيين ، وقد أعطى حق انتخاب الملك لرؤساء رجال الدين والجيش والكتاب أو — فى حالة اختلافهم — إلى كبير الموابذة وحده . ويجرى الانتخاب بالطريقة الآتية ، كما جاء فى كتاب تنسر[1] : كان الملك يكتب بيده ثلاث وصايا ويودع الأولى الموبدان موبد ، والثانية كبير الكتاب (دبير مهيست) والثالثة كبير رجال الجيش (إيران سپاهبد) . ولم تكن هذه الوصية لتحوى كما يقول دار مستتر[2] غير نظرات عامة ، وآراء فى أخلاق المرشحين المختلفين واستعدادهم وحاجات الدولة ، فهى لا تتضمن توصية محددة ، ولو كان الأمر كذلك ما كانت حاجة المداولة واختيار واحد بواسطة الثلاثة الكبار » . وقد جاء فى الكتاب : حينما يموت الشاهنشاه يدعى الموبدان موبد ومعه الرجلان الآخران . ثم يجتمعون للمداولة ويفضون الرسائل ويتشاورون فى اختيار أحد أبناء الملك . فإذا اتفق رأى الموبدان موبد مع رأى الآخرين ، يذاع الرأى فى الناس ، أما إذا كان اختلاف لم يذع شىء فى الخارج ، ولا يعلم أحد شيئا عن الوثائق المكتوبة أو عن رأى الموبدان موبد إلى أن يدعو هذا إلى مجلس سرى فيه الهرابذة وعلماء الدين (دستوران) والزهاد ، فيصلون ، ويقف الأتقياء من خلفهم يقولون آمين ويسجدون ويرفعون أيديهم وهم خاشعون . وينتهى هذا بصلاة المساء ، ويؤمن الحاضرون بما أوحى الله إلى قلب الموبد الكبير .

---

(١) دار مستتر ، ص ٢٣٩ — ٢٤١ و ٥٤٤ — ٥٤٥ ؛ مينوى ، ص ٣٨ — ٤٠ الترجمة العربية للخشاب ص ٦٤ — ٦٥ .

(٢) ملحوظة على هذا النص فى كتاب تنسر .

وفى تلك الليلة يحضرون ، إلى القاعة الكبرى فى القصر ، التاج والعرش . ويأخذ كبار الضباط مكانهم . ثم يدخل كبير الموابذة مصحوبا بالهرابذة والعظماء والوزراء ، إلى مجلس أمراء البيت المالك ، فيصطفون جميعاً أمام الأمراء ويقولون : لقد تشاورنا أمام الإله الأعلى ، فأرشدنا وألهمنا وهدانا إلى الخير » ثم يصيح كبير الموابذة عاليا : « إن الملائكة[1] قد ارتضوا فلان ابن فلان ملكا . فبايعوه أيها الناس ، وإنها لبشرى لنا ! » وحينئذ يرفعون هذا الأمير ويجلسونه على العرش ويضعون التاج على رأسه ثم يمسكون يده ويقولون له : « أتقبل من الله دين زردشت الذى قواه گشتاسپ بن لهراسپ ، والذي أحياه أردشير پابكٓ » . فيجيب الأمير بالإيجاب ويقول : « سأعمل لخير رعيتى إن شاء الله » . ويمكث رجال القصر والحرس معه ، وتعود الجماعة إلى أعمالها وشئونها .

وهكذا كان انتخاب الملك متوقفا فى نهاية الأمر على الموبذان موبذ الذى كان يحتفظ ، من ناحية أخرى ، بالمهمة العظيمة وهى تتويج الملك[2]. وهذا ما يبين بجلاء مركز رجال الدين الزردشتيين ومكانة كبيرهم فى العهد الذى نتحدث عنه . وقوائم كبار رجال الدولة الفارسية التى يذكرها اليعقوبى والمسعودى فى كتابه التنبيه تسمح لنا بتتبع التغييرات التى وقعت فى النصف الأول من القرن الخامس ، وقائمة اليعقوبى ترجع فيما يظهر ، إلى أوائل هذا القرن حوالى عهد يزدگرد الأول[3]، فهو يذكر[4] بعد الشاهنشاه مباشرة البزرگ فرمادار (كبير الوزراء) ، والموبذان موبذ ، والهيربذان هيربذ ، ودبيربذ ثم السپاهبذ الذى كان من تحته الپاذ گوسپان[5]. ويضيف المؤرخ قوله إن رئيس الولاية كان يسمى مرزبان ، ورئيس الكورة شهريج ، وإن الضباط كانوا يسمون الأساورة[6] ، وإن قضاة الصلح يسمون

---

(١) لعل النص الأصلى البهلوى يقول : يزدان أو امهر سپاندان .

(٢) الطبرى ، س ٨٦١ ، نولدكه ، ص ٩٦ .

(٣) انظر الملحق (٢) .

(٤) نشر هوتسما ، (١) ، ص ٢٠٢ .

(٥) انظر الفصل الثانى ، القسم الخاص بإدارة الدولة .

(٦) أساورة ، فى الجمع البهلوى أسواران أو أسوارگان .

شاهريشت (؟) وإن رئيس المجلس الإدارى يسمى إيران — أمارگر[١] .
وكان نظام المراتب حسب رواية التنبيه والإشراف للمسعودى ، وهى الرواية المأخوذة من گاهنامگ[٢] ، يصور ما كان يجرى عليه العمل أيام يزدگرد الثانى ، حوالى منتصف القرن الخامس[٣] .

١ — موبذان موبذ (ووكيله هيربذان هيربذ) ، ٢ — بزرگ فرمادار ٣ — سپاهبذ[٤] ، ٤ — دبير بذ ، ٥ — هوتوخشبذ ، ويسمى أيضا وستريوشبذ (حافظ كل من يكد بيديه كالمهنة والفلاحين والتجار وغيرهم) وكان هؤلاء الأشخاص الخمسة « المدبرين الملك والقوام عليه والوسائط بين الملك وبين رعيته » نقول إنهم كانوا يكونون وزارة الدولة . إنهم ممثلو الطبقات الأربع ومعهم كبير الوزراء الذى يمثل الملك . ويذكر المسعودى بين العظماء الآخرين المرازبة وحكام الثغور وكان عددهم أربعة ، واحد لكل جهة من الجهات الأصلية[٥] ، وهنا قد تناوب البزرگ فرمادار والموبذان موبذ المكان ، فإن هذا الأخير قد أخذ المكان الأول بين العظماء .

وكان رجال الدين الزردشتيون شديدى التعصب ، ولكن مثار تعصبهم كان لأسباب سياسية خاصة . ولم يكن الدين الزردشتى دين دعاية ، فلم يكن رؤساؤه مملوئين بالحماس لبث سعادة الأرواح فى العالم كافة . ولكنهم ادعوا السيادة المطلقة فى داخل حدود الدولة ، وكانوا لا يطمئنون كثيرا إلى من يدينون بدين آخر ، وخاصة إذا انتموا إلى دين دولة أجنبية قوية . وقد قضى على الخطر الذى جلبته دعوة المانوية فى داخل الدولة . ولم تكن الجماعات اليهودية فى بابل تهدد سلطة رجال الدين الزردشتيين أو كيان الدولة الإيرانية . وحق أن أردشير الأول كان قليل المراعاة لليهود الذين كانوا ينعون

(١) انظر الملحق (٢) حوالى النهاية .
(٢) انظر هنا ، ص ٥٠ .
(٣) BOA ، (٨) ، ص ١٠٣ ؛ كارادى ڤو (Le livre de l'avertissement) ، ص ١٤٧ وما بعدها .
(٤) أى إيران — سپاهبذ .
(٥) قارن هنا ، ص ٨٩ و ١٢٥ وما بعدها ، والملحق (٢) .

تساهل الأشكانيين ، وقد كانوا فى العهد الأول من حكم الساسانيين عرضة المضايقات وخاصة عند ماأرادوا أن يعفوا من الضرائب . ولكنهم ، بوجه عام ، كانوا يستطيعون العيش فى سلام مستظلين بحماية الملك[١] . ولكن حال النصارى كان مختلفا . فحين حلت الأسرة الساسانية مكان الأشكانيين كان للجالية النصرانية مركز كبير فى الرها (Edesse) وقد رأينا فى أثناء الحروب الكبيرة مع روما ، أن جماعة من الأسرى قد أقيموا فى الجهات النائية من الدولة الإيرانية . وكان ملك إيران ، فى غزواته للشام ، ينقل فى بعض الأحيان سكان مدينته أو ناحيته ليسكنهم فى داخل بلاده . وكان معظم هؤلاء السكان الجدد من النصارى ، فانتشرت النصرانية على نطاق ضيق فى كل مكان[٢] .

وفى أوائل القرن الرابع ، حاول پاپا بر العكاوى ، أسقف سلوقية — المدائن أن يجمع كل الجماعات النصرانية الإيرانية تحت إدارة مركز روحانى واحد فى المدائن ، فأثار هذا نزاعا غير مثمر إذ انتهى الأمر بخلع پاپا ، خلعه مجمع مسيحى ؛ ولكن الحرب استمرت . وكان هناك أسقفيات كثيرة فى المناطق الأرمينية والكردية شرقى دجلة حتى كركوك وحلوان ، وناحية الجنوب فى جنديسابور وفى سوس وهرمزد أردشير (سوق الأهواز) فى الأهواز (Susiane) . وقد صور حال النصارى فى القرن الرابع صورة مظلمة صوّره كذلك افرعت فى موعظته الرابعة عشرة ، وأفرعت هذا من أشهر الرجال بين نصارى السريان فى ذلك العهد الذى قل فيه اهتمام رؤساء الكنيسة النصرانية بمصالح جماعتهم ورعاية دينهم ، بل انصرفوا إلى مطامعهم الشخصية[٣] .

وقد راج ، فى ذلك الزمان ، بين أبطال الديانة المسيحية الشرقية الغرور والحسد والخسة وبيع الأشياء المقدسة وشراؤها ، ودأبوا على هذا حتى أثناء الاضطهاد . ولكن هذا لم يقلل من تعصبهم الشديد الذى لم يكن موجها ضد المانوية وحدهم بل

---

(١) نولدكه ، Tabari ، ص ٦٨ ، ملحوظة ١ ؛ لابور ، ص ٧ — ٩ .

(٢) لابور ، ص ١٨ — ١٩ .

(٣) لابور ، ص ٢٤ وما بعدها .

وجه أيضا للوالنتيين والمرقونيين والديصانيين وغيرهم من الكفرة الغنوصيين .

وقد عاش نصارى إيران فى سلام ما كانت الإمبراطورية الرومانية وثنية ولكن موقفهم تغير حين اعتنق الإمبراطور قسطنطين Costantin الدين المسيحى . فكان حينئذ على نصارى إيران ، وكانوا كثيرين فى الولايات المجاورة للدولة الرومانية ، أن يتحملوا نتيجة جذب استمالة دولة قوية لهم دينها الرسمى هو دينهم . وقد تنبأ افرعت بالنصر النهائى « لشعب الله » أى الرومان . وإن كانت جيوش الفرس مظفرة فما ذلك إلا عقاب يوقعه الله . ولكن وحش الأبوكاليپس (تنين رمزى يذكر كثيرا فى كتاب القديس حنا) سيقتل فى أوانه[١] . وفى أعمال الشهداء إن سابور الثانى كتب لأمراء إقليم الأرمن يقول : «عند ما تعلمون بأمرنا هذا ، نحن الآلهة الآخرين ، وهو فى الدرج الذى بعثناه إليكم ، فعليكم أن تقبضوا على سيمون رئيس النزاريين[٢] ، ولا تطلقوه ما لم يوقع هذه الوثيقة ويقبل أن يجمع جزية وغرامة مضاعفتين يؤديهما إلينا عن كل النزاريين الذين يعيشون فى بلاد قداستنا والذين يسكنون أراضينا ، لأنا نحن الآلهة الآخرين ليس لنا غير متاعب الحرب وهم ليس لهم غير الراحة واللذات ! إنهم يسكنون بلادنا ويشاركون قيصر ، عدونا ، المشاعر ! »[٣] وقد سجن سيمون ، ولكنه رفض إطاعة أمر الملك ، فاستشاط سابور غضبا عند ما سمع بهذا وصاح قائلا : إن سيمون يريد إثارة أعوانه ليثوروا على الدولة ويخضعوها لرق قيصر الذى هو على دينه . ويوافق المؤرخ الكاثوليكى الذى سجل حوادث الشهداء ، لابور بأن شك سابور لم يكن على غير أساس ، بالرغم من أن سيمون استنكر أثناء استجوابه ، اتهامه بالخيانة العظمى ، وقد أعدم[٤] .

وقد كانت هذه الحوادث مقدمة لأول اضطهاد وقع على نصارى إيران ، وقد دام منذ سنة ٣٣٩ حتى وفاة سابور الثانى . وقد وقع الاضطهاد خاصة فى ولايات الشمال

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٤٨ — ٤٩ .

(٢) سيمون برصبّعى ، خليفة پاپا .

(٣) لابور ، ص ٤٥ — ٤٦ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٤٥ وما بعدها .

الشرق وفى المناطق المتاخمة للإمبراطورية الرومانية . كان هناك مقاتل ومذابح كما كان هناك تشريد . وفى سنة ٣٦٢ نفى تسعة آلاف مسيحى مع الأسقف هيليودور من قلعة فنك ، فى بزابده ، إلى خوارزم ، بعد ثورة[١] . ويقدر سوزمين عدد ضحايا اضطهاد سابور بستة عشر ألفا ، وهم الذين عرفت أسماؤهم ، وهو عدد مبالغ فيه قليلا عند لابور . وتروى أعمال الشهداء السريان الاضطهادات التى وقعت على النصارى والتى توالت فى مدد معينة طوال قرنين . ومما لا يحتاج إلى بيان أن هذه الروايات مطبوعة بالتحيز إلى أقصى حد . كما أن جزءاً منها قد امتلأ بقصص خرافية . ولكنها لاستنادها إلى روايات وأسناد قيمة ، ولا سيما فيما يتعلق بأقدم العهود[٢] ، تمدنا بتفاصيل كثيرة من الحياة الإيرانية فى ذلك الوقت .

وكذلك لم يكن أردشير الثانى ، خليفة سابور ، محبا للنصارى . وعلى عكس هذا جرى الملوك التالون ، سابور الثالث وبهرام الرابع ، على سياسة التقارب فى علاقاتهم بالإمبراطور . وفى أثناء حكم يزدگرد الأول (٣٩٩ — ٤٢١)[٣] دخلت العلاقات المسيحية — الزردشتية فى مرحلة جديدة .



٣٠ . من نقود يزدگرد الأول
(بمجموعة المؤلف)

وقد كان يزدگرد الأول (صورة ٣٠) موضع حكمين مختلفين من المؤرخين الفرس والمسيحيين . يشير إليه مصدر سريانى معاصر بأنه « الملك الطيب الرحيم يزدگرد ، المسيحى المبارك بين الملوك » ، و « إنه كل يوم يشمل الفقراء والتعساء

(١) المرجع نفسه ، ص ٧٨ وما بعدها .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٥٣ وما بعدها .
(٣) ٣٩٧ — ٤١٧ كما يقول هنريش شميدت (Syria ، ١٩٣٤ ، ص ٢٢) .

بفضله »[١] ويمتدح المؤرخ البيزنطي بروكوپ علو نفس هذا الملك . وأما الكتاب العرب والفرس الذين ينقلون عن تاريخ الساسانيين وهو التاريخ المفعم بعواطف رجال الدين الزردشتيين والأشراف ، فإنهم على عكس ذلك يلقبونه بألقاب مثل الأثيم (بزه گر) والخادع (دبهر)[٢] وهو في رأيهم ناكر للجميل متهم ، وكان إذا جسر أحد على كلامه في أمر كلمه فيه رجل قال له «ما قدر تجمالتك في هذا الأمر الذي كلمتنا فيه وما أخذت عليه ؟ » كان قاسياً شريراً يتربص لمن يخطئ من رعيته لينزل به عقابا صارما كل الصرامة . يقول الطبري في سذاجة إن الرعية لم تستطع أن تسلم من سطوته وبليته وما كان فيه من جميع الخلال السيئة إلا بتمسكهم بما كان للملوك قبله من السنن الصالحة والآداب[٣] . وكانوا لسوء أدبه ومخافة سطوته متواصلين متعاونين[٤]. وهناك نص آخر في الطبري قد يصلح في تقويم هذا الوصف المتحيز . فقد قال بهرام الخامس ابن يزدگرد وخليفته في حديثه لأهل مملكته إن أباه كان افتتح أمرهم باللين والمعدلة فجحدوا ذلك أو منهم من جحده ، ولم يخضعوا له خضوع الخول والعبيد للملوك فأصاره ذلك إلى الغلظة وضرب الأبشار وسفك الدماء[٥] . ونحن نميز خلف صور يزدگرد التي تكاد تكون مزيفة صورة ملك مملوء بالنشاط ، ميال بطبعه إلى الخير . ولكنه صار ظالما حين خاض غمار المعركة الحامية التي ذاد فيها عن سلطته ضد طغيان الطبقات الممتازة بعينها .

وبعد أن تم السلام بين الإمبراطوريتين الكبيرتين ، وكان يزدگرد قد أخذ تحت حمايته تيودوس الثاني ، وهو طفل قاصر[٦] ، علامة من علامات المجاملة التي ليس لها في الواقع قيمة عملية ، أقر الملك بضرورة وضع حد للنزاع بين الدولة ورعاياها النصارى ليعيشوا هادئين . وقد أرسل وفداً برياسة ماروتا أسقف ميافارقين

---

(١) Land, Anecd. Syr. ، (١) ، ٨ ؛ انظر نولدكه ، Ṭabarī ، ص ٧٥ ، الملحوظة

(٢) انظر ماركارت — مسينا ، Catalogue ، ص ٦٧ .

(٣) أي : الأشراف .

(٤) الطبري ، ص ٨٤٨ ، نولدكه ، ص ٧٤ .

(٥) الطبري ، ص ٨٦٥ ، نولدكه ، ص ١٠٤ .

(٦) بروكوب ، BP ، ١ ، ٢ .

(مايفرقط) من قبل الإمبراطورية الرومانية الشرقية إلى الملك يزدگرد . وقد ترك ماروثا بحسن مظهره أثراً حسناً فى نفس الملك الذى أولاه ثقته . وقد أمر يزدگرد بإعادة بناء الكنائس المخربة وإطلاق سراح المسجونين بسبب عقيدتهم من النصارى . وسمح لرجال الدين المسيحى بالتجول فى كل مكان بالدولة . ثم إن ماروثا حث الملك على عقد مجمع للأساقفة فى سلوقية (بجانب المدائن) حيث ترتب أمور نصارى إيران وتتحقق وحدة الكنيسة المسيحية . وقد عقد هذا المجمع فى سنة ٤١٠ تحت رياسة إسحق أسقف سلوقية المدائن وماروثا وافتتح بدعاء على لملك إيران ، وكانت نتيجته العمل بسلسلة من القواعد أدت إلى اتفاق الكنيسة الشرقية ومذهبها مع القواعد المعمول بها فى الغرب . وقد اعتمدت فيه عقيدة نيكه (Nicée) كما أعيد تنظيم المراتب الروحانية . وكان لأسقف سلوقية المدائن ، المطران الكبير أو جاثليق الكنيسة المسيحية فى إيران والذى كان أسقف كشكر يعمل وزيرا له ، خمس مطرانيات تحت رياسته فى بيت لايت (جنديسابور) بخوزستان ونصيبين وپرات ميشان بميسان وأربل وكرخا بيت سلوخ (كركوك) . وقد خضع لهذه المطرانيات ما يقرب من ثلاثين أسقفية . وقد ظلت بعض الفرق المعزولة فى المناطق النائية خارجة عن نطاق هذا التنظيم . وأخيراً ظل أربعة من رؤساء الكنيسة فى خوزستان على رأس فرقهم وبعوتهم أصبح تعيين خلفائهم بأمر من الجاثليق . وكان يزدگرد ينفذ قرارات المجمع . وقد أمر اثنين من أكبر أشراف المملكة وهما البزرگ فرمادار خسرو — يزدگرد ومهر سابور الذى كان يحمل لقب أرگبذ — وهذا يبين نسبته إلى الأسرة المالكة[١] — أمرهما الملك بأن يجمعا الأساقفة فى بلاط الملك وأن يتحدثا إليهم باسمه مؤكدين من جديد حرية الديانة للمسيحيين وحق تشييد الكنائس ، ومعلنين أن من يعارض أوامر الجاثليق إسحق وماروثا يعاقب بشدة[٢] . وبعد عدة سنوات من ذلك بعث «يهبالله» ، الخليفة الثانى لإسحق ، إلى القسطنطينية لإتمام الصلح بين الإمبراطوريتين . وقد عاد بكثير من الهدايا التى استفاد منها فى ترميم كنيسة سلوقية — المدائن وبناء

(١) انظر هنا ص ٩٢ ، ٩٣ .

(٢) لابور ، ص ٨٧ — ٩٩ ،

كنيسة جديدة فى المدينة نفسها . ولكن النتائج العظيمة التى وصل إليها النصارى فى ظل يزدگرد لم تنه الخصومات التى كانت تسود كنيستهم فى إيران . تلك الخصومات التى أدت فيما يظهر ، إلى عقد المجمع المقدس سنة ٤٢٠[١] . ولا شك أن روح المسالمة التى أظهرها يزدگرد الأول فى معاملته للنصارى كانت تمليها أسباب سياسية : فإنه بتوطيد السلام مع الإمبراطورية الرومانية الشرقية كان يستطيع أن يجمع جهوده فى تقوية السلطة الملكية ولكن يظهر أن التسامح فى مسائل الدين كان ظاهرة طبيعية فى خلقه . فقد كان متسامحا كذلك مع اليهود الذين لم يكن لهم شأن سياسى[٢] . بل تزوج هو من يهودية ، شوشين دخت (؟) ابنة رأس الجالوت[٣] .

وإن كان يزدگرد قد غير سياسته مع النصارى فى أواخر حكمه فإن هذا كان بخطأ هؤلاء . ذلك أنهم عتوا وتحدّوا الرأى العام حتى لم يكن مفر من مقابلة الشر بمثله . ففى مدينة هرمزد — أردشير بخوزستان اجترأ أحد القساوسة واسمه هاشو على أن يهدم بإذن صريح أو ضمنى من الأسقف عَبْدا ، بيت نار قريب جدا من الكنيسة النصرانية . وقد قبض على القسيس والأسقف وغيرهما ممن ذكروا فى هذا الحادث وأرسلوا جميعا إلى المدائن . وقد سأل الملك نفسه عَبْدًا فنفى كل اتفاق جنائى ، ولكن هاشو اعترف أنه هو خرب بيت النار هذا ثم فاه مع هذا الاعتراف بألفاظ عدائية فيها إساءة إلى الدين الزردشتى ، وحينئذ أمر الملك عَبْدا بإعادة بناء المعبد ، ولكنه رفض الأمر بإصرار فحكم عليه وقتل . وقد أشاد المؤرخ الدينى تيودوروت بسلوك هذا الأسقف الذى أصرّ على خطته ، بالرغم من اعتباره هدم المعبد عملا بعيدا عن الحكمة[٤] .

---

(١) لابور ، ص ١٠٠ — ١٠٣ .

(٢) نولدكه ، Tabarī ، ص ٧٥ ملحوظة .

(٣) انظر هنا ص ٢٥ ؛ ماركارت ، Eranšahr ، ص ٥٣ ، ملحوظة ١ ؛ لويس جراى ، The Jews in Pahlavi Literature ، محاضر مؤتمر المستشرقين الدولى الرابع عشر ، (١) ، باريس ١٩٠٦ ، ص ١٩٠ وما بعدها .

(٤) هوفمان ، ص ٣٤ وما بعدها ؛ لابور ، ص ١٠٥ وما بعدها .

وهناك حادث آخر يلفت النظر بأن أسماء النصارى الذين ذكروا فيه كانت إيرانية كلها . ذلك أن القسيس شاهپور قد حرض نبيلا إيرانيا اسمه آذر — فربغ[١] على الدخول فى النصرانية ، بأن أمّله بالشفاء من مرض . فدعا هذا القسيس إلى قريته وأتاح له أن يبنى كنيسة فيها ، وقد تملك شاهپور الأرض أولا بعقد ثم بنى الكنيسة عليها . وقد أبلغ الموبد آذر بوزى[٢] الأمر إلى الملك على أنه مثل سيئ لارتداد النبلاء عن دينهم ، فأذن يزدگرد للموبد بأن يبذل كل الوسائل لإرجاع المرتد إلى الدين الزردشتى ، ولكن على ألا يقتله . والواقع أن آذر — فربغ قد رجع إلى دينه القديم ، ثم طلب صك التمليك من القسيس شاهپور فأبى ذلك بتحريض من أحد رجال الدين المسيحى المسمى نرسى[٣] ، ثم هرب بعقد الملكية . ثم أعيدت الكنيسة إلى بيت نار ولكن نرسى أطفأ النار فى المعبد وأقام فيه مشاعر المسيحية ، فلما شاهد موبد القرية هذا الإثم العظيم أذاعه على أهل القرية ، وجلد نرسى ثم أرسل مكبلا بالسلاسل إلى المدائن حيث وعده آذر بوزى بالإعفاء من العقاب على شرط أن يصلح ما أفسده فى المعبد ، وقد رفض نرسى هذا العرض فألقى فى غياهب السجن فلما أصر على إبائه قتل[٤] .

وقد أوذى النصارى بالضرورة بأمثال هذه الأعمال العنيفة ويمكن أن نرى فى تعيين مهر — نرسى ، عدو النصارى الصريح ، فى وظيفة كبير الوزراء (بزرگ فرمادار) البرهان على تغير سلوك الملك مع المسيحيين[٥] .

يغطى على موت يزدگرد الأول فى سنة ٤٢١ غموض بعيد الغور ، وتقول الرواية الإيرانية إنه فى أثناء إقامته بجرجان رمحه على فؤاده فرس عاثر لم ير قبله مثله فى الخيل

(١) بالسريانية : آذُرْ فَـرَّوا .

(٢) ربما الموبدان موبد ؛ وبعد ذلك سمى « رئيس المجوس » فى حوادث التعذيب .

(٣) نرسى بالسريانية .

(٤) هوفمان ، ص ٣٦ — ٣٨ ؛ لابور ، ص ١٠٧ — ١٠٨ .

(٥) بين نولدكه (Ṭabari ، ص ٧٦ ملحوظة ١) ، مستشهدا بأسباب من التاريخ السنوى ، عدم صحة رواية الطبرى التى تقول بأن يزدگرد عين مهر — نرسى وزيرا بعد توليه العرش مباشرة .

فى حسن صورة وتمام خلق رمحة هلك منها مكانه ، ثم لم يُر ذلك الفرس ، ويقال إنه اشتد فى عدوه فلم يدرك ولم يوقف على كنهه . ولعل نولدكه قد أصاب حين افترض أن هذه القصة قد اخترعت لتخفى حقيقة انتهاز الأشراف لإقامة يزدگرد فى مكان قصى ليتخلصوا من ملك يبغضونه[١] .

وقد ترك يزدگرد من بعده ثلاثة أبناء : سابور ، وبهرام ونرسى . وكان يزدگرد قد أقام سابور ملكا على قسم أرمينية الخاضع لإيران وكان بهرام يقيم عند ملك الحيرة العربى ، التابع للملك . ويقول الطبرى إن بهرام قد أرسل صغيرا إلى الحيرة لتربيته وحضانته[٢] وإنه لم يتأدب بأدب العجم وإنما أدبه أدب العرب وخلقه تخلقهم[٣] . ولكن هذه الإقامة الطويلة فى الإقليم العربى المتاخم كانت نفيا على الأرجح ، ويفسر ذلك ما كان من الاختلاف بين يزدگرد وولده الصغير[٤] ، والمؤكد أن بهرام كان يعيش فى قصر الخورنق بالحيرة . وهو القصر الذى ينسب بناؤه إلى النعمان اللخمى ، ولكن تاريخه يرجع بغير شك إلى تاريخ أبعد قدما[٥] ، وأن بهرام قد رُبى بإرشاد المنذر ، ابن النعمان وخليفته، الذى حباه يزدگرد بمرتبتين سنيتين ، رام افزود يزدگرد (الذى زاد سرور يزدگرد) ومهيشت (أعظم الحول)[٦] أما الابن الثالث من أبناء يزدگرد ، نرسى (ابنه من السيدة اليهودية)[٧] فيحتمل أنه كان قاصرا عند وفاة أبيه . وأما بهرام فلم يكن يتجاوز العشرين من عمره[٨] .

ولكن الأشراف ورجال الدين ، وقد تخلصوا من ملك غير موفق ، أرادوا

---

(١) نولدكه ، Ṭabari ، ص ٧٧ ، ملحوظة ١ .

(٢) الطبرى ، ص ٨٥٥ ، نولدكه ، ص ٨٦ وما بعدها .

(٣) الطبرى ، ص ٨٥٨ ، نولدكه ، ص ٩١ .

(٤) انظر نولدكه ، Ṭabari ، ص ٩٠ ، ملحوظة ٢ .

(٥) روذشتاين ، ص ١٦ و ١٤٤ .

(٦) الطبرى ، ص ٨٥٥ ، نولدكه ، ص٨٦ وما بعدها ؛ وقارن روذشتين Rothesein ص ٧٦ وما بعدها .

(٧) انظر هنا ص ٢٥٨ .

(٨) الطبرى ، ص ٨٦٣ ، نولدكه ، ص ٩٨ .

انتهاز الفرصة لكي يوطدوا جاههم فتألفت جماعة من الأشراف لكي يبعدوا أبناء يزدگرد جميعا عن وراثة العرش ، ويذكر الدينوري من هؤلاء[١] : ويستهم اصبهبد السواد وكان لقبه هزارفت ، ويزدگشنسپ پاذگوسبان ناحية الزاب (الزوابي) [٢] وپيرگث مهران[٣] وگوذهر صاحب ديوان الجيش وگشنسپ آذرويش والي ديون الخراج وپناه خسرو (روانگان دبير) أي قيّم الصدقات[٤] . ومما هو جدير بالنظر أن اسم مهر نرسي ، الوزير العظيم أيام يزدگرد ثم أيام بهرام الخامس فما بعد ، لم يذكر في هذه القائمة . وقد سارع سابور ملك أرمينية إلى المدائن ليضمن العرش ، ولكن العظماء قتلوه[٥] ونصبوا أميرا اسمه كسرى ملكاً عليهم ، وهو من فرع بعيد من الأسرة الساسانية .

ولكن الأمير بهرام لم ينتظر أن يهزم بغير معركة ، وقد أمده ربيبه إمدادا مجديا . ويقول المؤرخون العرب إن ملك الحيرة قد سار على رأس فرقتين من الفرسان ، اسم الأولى « دوسر »[٦] ، وهي لتنوخ وغيرها من القبائل التي تسكن حول الحيرة[٧] ، والأخرى « الشهباء » وهي للفرس[٨] . ومهما يكن فقد كان لدى المنذر قوة أحسن إعدادها فوضعها تحت قيادة ابن النعمان . فتقدم هذا نحو المدائن فارتاع العظماء وأهل البيوتات فبدأوا يفاوضون المنذر وبهرام وعزل كسرى وولي بهرام العرش . وقد أفاض القصص الإيراني على هذا الحادث خرافة خياليه :

(١) نشر جيرجس ، ص ٥٧ .

(٢) ناحية من إقليم بابل الأسفل تخترقها القنوات المسماة بالزاب ، نولدكه ، Ṭabari ، ص ٥٠١ وما بعدها ؛ ماركارت ، Erānšahr ، ص ١٦٤ . اقترح هرتسفيلد قراءة أخرى ، انظر الملحق ٢ .

(٣) يعتبر الدينوري « مهران » كأحد العظماء ؛ انظر الملحق ٢ .

(٤) روانگان دبير . انظر ص ١٢٥ .

(٥) موسى الخوريني ، ٣ ، ٥٦ ؛ نولدكه ، Ṭabari ، ص ٩١ ، ملحوظة ٤ .

(٦) فارس « ذو الرأسين » ، « الرئيسين » ؟

(٧) روذشتين ، ص ١٨ وما بعدها .

(٨) تذكر الفرقتان معاً في المصادر العربية ، ويفترض روذشتين (ص ١٣٦) أن الإسمين كانا في الأصل يعنيان فرقة واحدة .

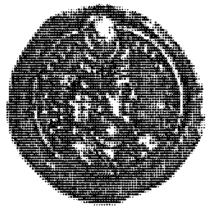
فبهرام يعد بإصلاح ما أفسد أبوه ورأب ما صدع ويطلب مهلة سنة ليقيم الدليل على تنفيذ ما وعد به . ثم إن اختيار الملك يتوقف على نوع من حكم الله : فإن من يتناول التاج والزينة من الطامعين فى الملك ، من بين أسدين ضاربين مشبلين فهو الملك . وقد رفض كسرى أن يدخل حيث الأسدان ، فتقدم بهرام وقتل الأسدين ثم تناول التاج والزينة، ثم هتف به جميع الحاضرين ، وكان كسرى أول من هتف ، وأذعنوا له وخضعوا . ولا شك أن هذه القصة قد اخترعت لتخفى حدثا مخجلاً وهى أن تدخل جيش عربى صغير قد كان كافيا لإحباط عمل الأشراف وإجبارهم على قبول ملك كانوا عنه معرضين .

ولم يكن لأحدٍ من ملوك الساسانيين ، عدا أردشير الأول وكسرى أنوشروان وكسرى برويز ، ما كان لبهرام الخامس من ميل قلوب الناس إليه . (صورة ٣١) فإنه خفض الضرائب عن أصحابها عطفا منه على الناس أجمعين . وقد ألفت قصص كثيرة حول بلائه الحسن فى حروب أقوام الشمال وبيزنطة ، وحول غرامياته ومخاطراته فى الصيد . وهذه الأخيرة ، وهى تشبه أحيانا أسلوب قصص «مونشهاوزن» (بارون ألمانى ١٧٢٠ — ١٧٩٧) ، قد خلدت فى الآداب الفارسية ، وبالتصوير أيضا ، كما أنها أوحت ، على تتابع القرون بحلىً للسجاجيد والمنسوجات من كل الأنواع . ولا يزال لدينا كؤوس فضية ترجع إلى العهد الساسانى وقد صور عليها مناظر من مخاطرات هذا الملك فى الصيد . وفى متحف الإرميتاج فى لينجراد كأس يمثل بهرام الخامس ، ويعرف من هيئة تاجه ، وقد ركب فرساً مردفا وراءه قينة له . وقد أشير إلى التفاوت الاجتماعى بين الملك والمرأة باختلاف قديهما فى الطول . وقد أرادت القينة ، فى خبث ، أن تعرف أيستطيع الملك بسهمه أن يشبه ذكران الوحش بالإناث وإناثها بالذكران ، فرمى تيسا من الظباء بنشابة ذات شعبتين فاقتلع قرنيه ورمى عنزا منها بنشابتين فأثبتهما فى موضع القرنين(١) .

---

(١) انظر عيون الأخبار لابن قتيبة ((١) ، ص ١٧٨ من طبعة القاهرة) نقلا عن كتاب سير العجم ؛ الفردوسى ، طبعة مول ، (٥) ، ص ٦٠٥ — ٦٠٨ .

وقد رسم صانع الكأس السهم بشكل خاص فجعل نهايته على هيئة الهلال[١] .



٣١ . من نقود بهرام الخامس
(مجموعة المؤلف)

كان بهرام مطبوعا على الجلد والنشاط فدعا الناس إلى التمتع بالحياة . وكان يقول الشعر بالعربية ويتكلم بسائر اللغات[٣] . وكان محبا للموسيقى فسوى بين الطبقتين من الندماء والمغنيين ورفع من أطربه ، وإن كان من أوضع الدرجات ، إلى الدرجة الأولى[٤] ، وإليه تنسب القصة المشهورة إنه أحضر من الهند جماعة من اللور أجداد الغجر حتى لا يحرم سواد الناس من الاستمتاع بالموسيقى[٥] . وقد أدت حياته المرحة إلى أن لقب بگور (حمار الوحش) . وقد ربطت هذه التسمية بقصة جاء فيها أنه انتظم بضربة سهم واحدة ، حمار وحش وأسد كان يعلو ظهره .

والحق أن مؤرخى الساسانيين لم يستثنوا بهرام گور من النقد ؛ فقد أخذوا عليه انغماسه فى اللذات والإسراف ، ثم إنه كان مؤثراً للهو على أعمال الدولة[٦] .

---

(١) انظر شوارتز ، Iran im Mittelalter ، (٥) ، ص ٥٤٧ عن « بقعة الغزال » (المتعلقة بقصة أخرى عن الصيد) وقصر بهرام گور قرب همدان ، اللذين وصفهما ابن الفقيه . وأما عن مهارة بهرام فى رمى السهم فقارن ما يرويه الجاحظ فى التاج ، ص ١٧٧ وما بعدها .

(٢) المسعودى ، مروج ، (٢) ، ص ١٩١ ؛ الثعالبى ، ص ٥٥٥ .

(٣) الجاحظ ، التاج ، ص ٢٨ ؛ المسعودى ، مروج ، (٢) ، ص ١٥٧ .

(٤) الفردوسى ، طبعة مول ، (٦) ، ص ٧٦ — ٧٨ ؛ الثعالبى ، ص ٥٦٦ وما بعدها .

(٥) الجاحظ ، التاج ، ص ٣٠ و ١٥٩ ؛ الطبرى ، ص ٨٦٣ ، نولدكه ، ص ٩٨ ؛ المسعودى ، مروج ، (٢) ، ص ١٦٨ وما بعدها ؛ الثعالبى ، ص ٥٥٧ .

ولكن ليس من شك فى أنه ، حين ترك زمام أمور الدولة فى أيدى العظماء ، صار محببا إليهم وإلى رجال الدين ، وأن بعض شهرته العظيمة يرجع إلى هذا الحب .

وكان أقوى العظماء فى ذلك الوقت وأوسعهم نفوذا مهر — نرسى بن ورزگ[1] ، كبير الوزراء (زرگ فرمادار) الذى يحمل لقب أو رتبة هزار بندگ (الذى يملك ألف عبد)[2] . ومهر — نرسى هذا من الأسرة الأشكانية « سپندياذ » ، وهى إحدى الأسرات السبع الممتازة . ويصوره الكتاب العرب والفرس ، ويحتمل أن ترجع أقوالهم عنه إلى التاريخ الساسانى الكبير ، رجلا متوقدا واسع المعرفة . وليس عجيبا أن يبغضه مؤرخو المسيحيين ، وأن ينعته المؤرخ الأرمنى لازار الفربى Lazare de Pharpe بالغدر والقسوة ، لما بدا من تعصبه (مهر نرسى) للدين الزردشتى . ولكن هذا التعصب لم يظهر فى كراهيته لأتباع الأديان الأخرى فحسب ، فقد وضع « فرض » فلاحة الأرض وإخصابها الذى فرضته الديانة الزردشتية نصب عينيه . فبنى فى الممتلكات الشاسعة التى كانت له ، فى نواحى أردشير — خرّه وفى كورة سابور فى فارس أبنية رفيعة واتخذ فيها بيت نار يقال له « مهر نرسيان » ، ثم بنى بالقرب من أبروان ، مسقط رأسه ، أربع قرى وجعل فى كل واحدة منها بيت نار ، فجعل واحدا منها لنفسه وسماه « فرازمرا آور خدايان » (؟) (أقبلى إلىّ سيدتى)[3] على وجه التعظيم للنار ، وجعل الآخرين لأبنائه الثلاثة ، فأحدها لزروانداد وسماه « زر وانداذان » والآخر لكاردار وسماه « كارداران » ، والأخير لماه گشنسپ وسماه « ماه گشنسپان » . ثم اتخذ فى هذه الناحية ثلاث باغات (حدائق) جعل فى الأولى اثنى عشر ألف نخلة ، وفى الثانية اثنى عشر ألف

---

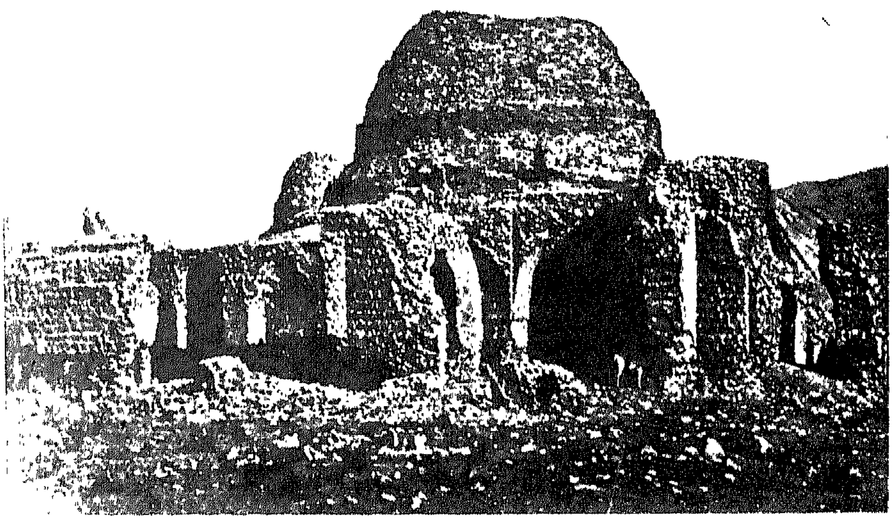
(١) الطبرى ، ص ٨٧٢ ، نولدكه ، ص ١١٦ .

(٢) ذكر الطبرى (ص ٨٦٩ ، نولدكه ، ص ١٠٩ وما بعدها) المعلومات التالية عن مهرنرس وأبنائه .

(٣) « سيدتى » حسب الترجمة العربية التى قال بها الطبرى ، يقول نولدكه Tabari ، ص ١١١ ، ملحوظة ٧) ، كلمة النار مؤنثة بالعربية ؛ قارن مع هذا ص ١٣٥ من هنا . أما عن صيغة الأمر آور فانظر نيبرج . E. Symbolis Philologicis O. A. Danielsson octogenario dicatis, (اوبسال ، ١٩٣٢) ، ص ٢٣٧ وما بعدها .

أصل زيتون . وفى الثالثة اثنى عشر ألف سروة ، يقول هذا الطبرى ويضيف إليه قوله : « ولم تزل هذه القرى والباغات (الحدائق) وبيوت النيران فى يد قوم من ولده معروفين إلى اليوم ، وإن ذلك مما ذكر إلى اليوم باق على أحسن حالاته » ؛ ولكنا لا ندرى أيرجع هذا إلى الوقت الذى عاش فيه الطبرى نفسه أم إلى عهد مؤرخ أكثر قدما يروى الطبرى عنه .

وقد لاحظ هرتسفيلد أن قصر « سروستان » الذى يقع على طريق القوافل المؤدى من شيراز إلى دارابجرد وبندر عباس ، الذى يرجع تاريخه ، فيما يرى ، إلى حوالى عهد بهرام الخامس ، قد يكون من العمارات التى شيدها مهر — نرسى ، إذ أن معنى كلمة سروستان « منبت السرو » . وسروستان هذا (صورة ٣٢) قصر صغير ذو قباب[١] . ويرى هرتسفيلد أنه أصغر حدا من أن يصح



٣٢ . قلعة سروستان

(ديولافوا . فن فارس القديم)

(١) سار — هرتسفيلد Felsreliefs ، ص ١٣١ ؛ سار — هرتسفيلد ، Archäologische Reise im Euphart-und Tigris-Gebeit ، (٢) ، ص ٣٣٢ وما بعدها .

سكنا للملك . وقد كان بهو الاستقبال قصير الأطوال خاصة . وقد فتحت بالحيطان أبواب الجدران كثيرة . ويدل تشييد القعود على أن فن العمارة الساسانية قد تقدم تقدماً واضحاً فى ذلك الوقت[١] .

وكان أبناء مهر نرسى الثلاثة يشغلون ، منذ أيام أبيهم ، أعلى الوظائف فى الدولة . فكان زروانداد هربدان هربد وهى مرتبة شبيهة بمرتبة موبدان موبد . وكان ماه گشنسپ متواليا ديوان الخراج (واستر يوشا نسالار) وكان كاردار قائد الجيش الأعظم (ارتيشتارا نسالار) .

وقد بدأ بهرام الخامس بشن الحرب على البرابرة فى الشمال ، وهم الذين يشير إليهم الكتاب العرب والفرس باسم الترك . ويحتمل أن يكونوا هم الكيونيت[٢] . وقد رأينا هؤلاء الناس الذين يرجعون إلى أصل هونى بين الفرق المردفة فى جيش سابور الثانى . وكان إخلاصهم غير مؤكد . وقد استقروا حينذاك فى الصحراء شمال مرو فقاموا فى العهد الذى تلا موت سابور ، بثورات متكررة فى خراسان حتى أصبحوا العدو الأول للفرس عند هذه الحدود . وقد قاد بهرام بنفسه حملة مظفرة ضد هؤلاء البرابرة واستخلف أخاه نرسى على ما كان يدير من ملك أثناء غيابه . وقد ولى نرسى هذا على خراسان بعد أن استتبت السلم فى أقاليم الشرق[٣] . ولكن العلاقات بين إيران وبيزنطة قد تكدر صفوها فى هذه الأثناء .

أدى عتو النصارى إلى فقدهم عطف يزدگرد الأول ، فأعد لهم اضطهاد جديد قبل موت هذا الملك . وكان منظم الحركة ضد النصارى الموبدان موبد مهر سابور ، فلم يكد يعتلى بهرام الخامس العرش حتى بدأ هذا الاضطهاد . وأخذ

---

(١) Felsreliefs ، (١) ، c ؛ جمل ديولافوا ((٤)) ، ص ٣٠ وما بعدها) قصر سروستان بين العمارات الأكمينية .

(٢) وهكذا ماركارت ، Eranšahr ، ص ٥٢ .

(٣) الطبرى ، س ٨٦٥ ، نولدكه ، ص ١٠٣ ؛ قارن ماركارت — مسينا ، Catalogne ، ص ٤٣

النصارى المقيمون فى البلاد المجاورة للعرب يفرون زرافات إلى الأراضى البيزنطية . وقد أثار عليهم مهر — نرسى القبائل العربيـة فقتل عدد كبير منهم . وقد نفر «اسبيد»[١]، وهو الموظف الإيرانى الكبير الذى نيط به وسائل اضطهاد النصارى ، مما كلف به ، ورفض إطاعة ما صدر إليه من أوامر وساعد النصارى على الفرار ، فلما أجبر هو نفســه على الهرب لجأ إلى القائد الرومانى أناتول فولاه قيادة القبائل العربية الموالية لبيزنطة . وقد طالب ملك إيران حكومة بيزنطة بتسليم اللاجئين فرفضت .

هذه الحوادث التى انتهت فى سنة ٤٢١ بإثارة الحرب الجديدة بين بيزنطة وإيران . وكانت حربا قصيرة المدى . وقد رأس الجيش الإيرانى مهر — نرسى ، وكان للرومان التفوق بوجه عام . وفى الصلح الذى عقد فى السنة التالية (٤٢٢) اعترف الفرس للنصارى بحرية العقيدة فى بلادهم . وأما منح الزردشتيين المقيمين فى الإمبراطورية الرومانية هذا الحق نفسه فلم يكن له أثر عملى ولـكن نص على ذلك تعزيزا لهيبة الإيرانيين . وجدد الاتفاق على الأموال التى تدفعها بيزنطة لحفظ معابر القوقاز ضد الهون .

وفى ذلك الوقت كان نصارى إيران يتنازعون بشدة فيما بينهم . فإن داد يشوع الذى انتخب جاثليقا فى سنة ٤٢١ أو فى أوائل السنة التالية ، قد أدى لملك إيران خدمات جليلة فى دفاع خراسان ضد برابرة الشمال . وقد اتهمه لفيف من المنشقين ، على رأسه بطاى أسقف هرمزد — أردشير ، ببيع الأشياء المقدسة والتعامل بالربا وإثارة المغان لاضطهاد أهل ملته . وقد أحكم تدبير هـذه الحملة الغادرة . وأخيرا أمر بهرام بسجن داد يشوع . ولما أطلق سراحه بعـد ذلك بفضل مساعى الإمبراطور تيودوس الثانى ، كان ضيق الصدر بمنصبه حتى رغب فى الاستقالة منه ، ولـكن أتباعه توسطوا فى الأمر ، وعقد مجمع من ستة وثلاثين أسقفا ، فأيده هذا

---

(١) تجعله Analecta graeca أميرا عربيا (لابور ، ص ١١٧) ولـكن يبدو أن اسم هذا الرجل إما أن يكون فارسيا من أسرة اسبهبد الـكبيرة ، أو أنه كانت وظيفته اسبهبد ، وهى وظيفة قد لا يعهد بها إلى عربى .

المجمع وحمله على العدول عن استقالته . ولهذا المجمع الذى عقد فى بلد عربى ، خطر من حيث أنه نادى باستقلال كنيسة النصارى فى إيران وبانفصالها عن الكنيسا الغربية . ولا شك أن داد يشوع حين حمل المجمع على التصويت لهذا الرأى ، قصد إلى أن يكون مركز نصارى إيران أكثر ثباتا ، فلا يتهمهم أحد بعد ذلك بالتآمر مع بيزنطة(١) .

وبعد موت سابور أخى بهرام الخامس وملك ولاية أرمينية التابع ، تملك عليها أرْتَشَس (أردشير) الأشكانى بن وَرَام شابو مدة عشر سنوات ، ثم عزله بهرام . وحكمت أرمينية بعد ذلك حكم المقاطعات الإيرانية ، ثم ولى عليها مرزبان من الأشراف الفرس اسمه ويه — مهر — سابور .



٣٣ . من نقود يزدگرد الثانى
(متحف كوپنهاجن)

وقد توفى بهرام الخامس سنة ٤٣٨ أو ٤٣٩ ، وكانت وفاته طبيعية فى قول الفردوسى . ولكن معظم المصادر العربية تجعله يموت ضحية حبه للصيد : فقد كان يركض على فرس ذات يوم فى بعض أيام صيده ، فغاص هو وفرسه فى حومة حَمْأة ، وقد اختفى فلم يعثر أحد على جثته(٢) . ومن الممكن أن يكون تردى الملك فيروز فى حفرة قد ساعد على صياغة هذه القصة التى تتضح من ناحية أخرى من تداعى المعانى : فقد كان بهرام يلقب بگور (حمار الوحش) ، وقد تردى فى گور (قبر) . وقد استفاد عمر الخيام ، الشاعر الفارسى المشهور ، من هذا الجناس فى رباعية له مشهورة جدا :

---

(١) لابور ، ص ١١٩ — ١٢٥ .

(٢) نولدكه Ṭabari ، ص ١٠٣ ، ملحوظة ٣ ؛ والرواية نفسها فى الثعالبى ، ص ٥٦٨ .

آن قصر که بهرام درو جام گرفت   آهو بچه کرد وروبه آرام گرفت
بهرام که گور می گرفتی همه عمر   دیدی که چگونه گور بهرام گرفت

هذا القصر الذى أمسك بهرام الكأس فيه ، أصبح مولدا للغزلان ، ومستراحا للذئاب ، لقد كان بهرام يصيد حمر الوحش (گور) طول عمره ، وها هو بهرام فريسة القبر (گور)(١) .

ولم يكن يزدگرد الثانى ابن بهرام وخليفته ، متحليا بصفات أبيه الحميدة . ويقول الطبرى(٢) إنه صرح فى حديثه إلى العظماء الذين أتوا يهنئونه بالملك بأنهم فقدوا عنده ما كانوا يعهدونه من أبيه من إطالة الجلوس للرعية ولكنه يريد أن تكون خلواته فى مصلحة المملكة . ويشير مصدر سريانى إلى هذا التغيير فى سياسة الملك أيضاً ، وقد جاء فيه أن يزدگرد الثانى قد ألغى السنة القديمة التى كانت تتيح لكل موظف فى الدولة الحق فى المثول فى حضرة الملك فى الأسبوع الأول من الشهر ، ويقدم له بيانا عما ارتكب من مظالم أو تعدّ من جميع الأصناف(٣) .

وقد حدثت حرب صغيرة مع بيزنطة ، فى أوائل عهد يزدگرد (٤٤٢) وانتهت ، من غير حوادث خطيرة ، إلى صلح لم يبدل من جوهر الأوضاع السابقة(٤).

وإذا كان فى استطاعتنا أن نثق بما فى أعمال الشهداء فإن يزدگرد يبدو أول الأمر متسامحا مع النصارى ، ولكن تغييراً قد طرأ على سلوكه معهم فى السنة الثامنة لحكمه ، وذلك بعد أن قتل ابنته التى كان قد تزوجها ، كما قتل بعض عظماء المملكة(٥). ولم تبين أعمال الشهداء من هم هؤلاء العظماء ، ولكن المفروض أنهم

---

(١) انظر كريستنسن : Critical Studies in Rubā iyāt of Umari Khayyam
ص ٧٥ ، رقم ٤٤ . بهرام هو الصيغة الفارسية الحديثة لوهرام ، گور (gūr) هو النطق الفارسى الحديث للكلمة البهلوية گور .

(٢) ص ٨٧١ ، نولدكه ، ص ١١٣ .

(٣) هوفمان ، ص ٥٠ .

(٤) نولدكه ، Ṭabari ، ص ١١٦ ، ملحوظة ٢ .

(٥) هوفمان ، ص ٥٠ ؛ لابور ، ص ١٢٦ .

ممن اعتنقوا المسيحية أو كانوا يميلون إلى اعتناقها . وليس من المستطاع أن نفكر فى أن هذا الملك كان يعارض سلطان كبار الأشراف عامة ، ذلك لأن المؤرخين العرب والفرس ، الذين يبينون رأى رجال الدين أيام الدولة الساسانية ، يصورون يزدگرد ملكا رؤوفا محسنا[1]. وأما اليهود فقد كان متشدداً فى معاملتهم إذ حرم عليهم « السبت » سنة ٤٥٤/٤٥٥[2] . وقد اشتد على نصارى أرمينية منذ السنة العاشرة من حكمه[3]. ويقدم لنا اليزه مسألة طريفة[4]: وهى أن يزدگرد قد درس الأديان فى مملكته مقارنا إياها بالزردشتيه وإنه تثقف كذلك بمذاهب النصارى . وكان يقول :« اسأل واختبر وارقب فسوف نختار ما يظهر لنا أنه الأفضل » .

ولم يكن هذا السلوك ، فى نظر الكاتب الأرمنى الشرس ، إلا نفاقا . وسنرى فى هذا السلوك مجهوداً محموداً لفهم الحركات الدينية فى ذلك الوقت . وليست هذه الظاهرة بنادرة فى تاريخ الملوك الساسانيين : فقد رأينا أن سابور الأول وهرمزد الأول كانا شغوفين بمعرفة المانوية ، وسنرى فيما بعد إلى أى حد تأثر الملك قباد الأول بمذهب مزدك ومع هذا فإن يزدگرد الثانى ظل متمسكا بالزردشتية ، بعد أن قارن بين الأديان المختلفة ، وظلت مقاليد الأمور فى إيران فى يد نرسى ، خصم النصارى المبين .

وقد كان انتشار المسيحية فى أرمينية مصدرا لقلق حكومة إيران منذ زمن طويل . وقد كان المفهوم فى المدائن أن استعمار أرمينية يظل منتجا مابقيت فيها الخلافات الدينية ، وقد لقيت الدعوة إلى القمع مدافعا قويا فى شخص مهر نرسى . وقد كانت نتيجة المداولات التى دارت بين الملك ومهر نرسى والعظماء وكبار رجال الدين الزردشتيين أن وجه مهر نرسى أمرا إلى الأشراف الأرمن باسم الملك . وقد ذكر لازار الفربى — ويظهر أنه عاش بعد هذه الحوادث بنحو نصف قرن — هذا

---

(١) الطبرى ، ص ٨٧١ ، نولدكه ، س ١١٣ .

(٢) نولدكه ، Ṭabarī ، س ١١٤ ، ملحوظة ١ .

(٣) اليزه ، Langlois ، (٢) ، س ١٤٨ .

(٤) المرجع نفسه ، س ١٨٧ وما بعدها .

الأمر على النحو التالى :(١) ... « لقد أمرنا بسطر (أصول) ديننا الذى يعتمد على الحقيقة والذى يقوم على أسس متينة ، وأرسلناها لكم . وإنا راغبون فى أنكم ، أنتم الأعزاء النائمون للبلاد ، تقبلون وتدخلون فى ملتنا المقدسة الحقة ، وتطرحون هذا الدين الذى نعرف جميعا بلا ريب أنه زائف عقيم . وإذاً فعليكم حين تعرفون مرسومنا أن تقبلوه مختارين راضين ولا توجهوا أنفسكم نحو نحل أخرى . وعلاوة على هذا قد تنازلنا إلى أن نأمركم بأن تكتبوا إلينا دينكم المزعوم الذى كان ، حتى اليوم ، سبب ضلالكم . وإنكم حين تعرفون ، كما عرفنا ، ديننا فلن يجرؤ سكان جورجيا والألبان على مخالفة إرادتنا ».(٢)

والمفروض أن الأمر كان معه رسالة وضحت فيها أركان الدين المزدى . وحينئذ اجتمع الأساقفة النصارى وأعظم قساوسة أرمينية ، لكى ينظروا فى القضية . وقد أمدنا لازار الفربى بأسماء الحاضرين جميعاً ، وهذا يحملنا على اعتقاد أنه استمد ما يرويه من مصادر قيمة ، ثم ذكر الرد الذى صاغته هذه الجماعة والذى كان بالغا فى الشدة . ونحن نذكر بعض أهم فقراته(٣) : « الحق أننا إن كنا ، ونحن فى قصرك بحضرة المغان الذين يسمون مشرعين ، قد هزأنا بهم واحتقرناهم فإنا نكن لهم اليوم أكثر من هذا وذاك ، إن كنت تريد إجبارنا على قراءة كتبك والإصغاء إليها ، وهى كتب لاتعنينا ولا يمكن أن تكون موضوع تفكيرنا . ثم نحن زيادة فى احترام إرادتك ، لم نكن نريد أن نفتح كتابك ونقرأ ذلك لأن دينا نعرفه باطلا ونعرف أنه أوهام رجال بلهاء ، وقد نقل تفاصيله إلينا مشرعوك ، مشرعو الزور ؟ دينا كهذا نعرفه أكثر مما نعرف ، لايستحق أن يقرأ عنه ، أو يصغى إليه . والحقيقة أننا حين قرأنا شريعتك اضطررنا إلى أن نهزأ بها ، وكذلك سخرنا من هذه الشرائع والمشرعين ، ومن يؤمنون بمثل هذه الأضاليل ومن أجل هذا رأينا عبثا غير لائق

---

(١) لانجلوا ، (٢) ، ص ٢٨١ . وقد تركنا بعض ملاحظات تقديمية .

(٢) عن التبشير بالمسيحية بين أقوام القوقاز انظر بيترز ، Les débuts du christianisme en Géorgie d'après les sources hagiographiques ، Analecta Bollandiana . جزء (٥٠) ، ص ٥ — ٥٨ .

(٣) لانجلوا ، (٢) ، ص ٢٨٢ .

أن نكتب ، وفقا لأمركم ، (قواعد) ديننا ونرسلها إليكم . لأنا لم نعتقد أن دينكم الباطل المضل جدير بأن يقرأ وأن يعرض علينا ، كى لانؤذيكم بالسخرية به ، فكان عليكم ، لحكمتكم العالية ، أن تفكروا فى هذا حين كتبتموه وأرسلتموه إلينا ، فكيف نستطيع إذن أن نعرض ، على جهلكم ، ديننا الإلهى المقدس وأن نسلمه إلى سخرياتكم وشتائمكم ؟ . وأما مايمس عقيدتنا فاعلم علم اليقين أننا لن نعبد أبداً ماتعبدون ، لن نعبد العناصر والشمس والقمر والهواء والنار ، ولن نعبد هذه الآلهة كلها التى تسمونها فى الأرض والسماء . ولكنا ، كما تعلمنا ، نعبد إلهاً واحدا حقا هو خالق السماء والأرض وما فيها ... »[1]

---

(١) وقد ذكر مؤرخ أرمنى آخر ، اليزه ، بالتطويل أمر مهر — نرسى ، ولكن بصيغة مختلفة كل الاختلاف ، متضمنا فقط عرضا لمبادئ دين زردشت ومآخذ عن الدين المسيحى ، ثم ينتهى بالأمر الصارم برفض الآراء المعروضة أو المثول أمام المحكمة العليا . وقد ذكر اليزه أيضاً صيغة الرفض المفصلة التى كتبها الأساقفة والقسس الأرمن . ولكن مييه Meillet قد حاول فى مقالة دقيقة وغاية فى الوضوح (JA ، ١٩٠٩ ، (١) ، س ٥٤٨ وما بعدها) أن يبين أن ما ذكره اليزه وإزنيك ، الذى وصف مذهب المجوس بنفس العبارات تقريبا ، يرقى إلى عرض قديم للمذهب المزدى (وفقا للآراء الزروانية) ، وهو موجود أيضاً فى حياة الشهداء السريان ، وفى نص مشهور لتيودور دى موپسيست ذكره فوتيوس Photios ، وكان هذا العرض قد عمل تبعا لمصدر قيم (انظر هذا الكتاب ص ١٣٩) . وقد أيد مارييس M.L. Mariès نظرية مييه ،فإنه قد بحث المسألة من أساسها فى كتابه (Le De Deo d'Egnik de Kolb (باريس ١٩٢٤) . ومع قبول وجهة نظر العالمين ، فإنى أظن أن عرض لازار الفربى صحيح فى كلياته ، وأن الواقع أن رجال الدين المسيحى فى أرمينية قد جهلوا الكتاب الذى يحوى عرض الآراء الدينية الزردشتية وأنهم حتى لم يفتحوه . وإذا كان الأمر كذلك ، وقد اختفى نص كتاب مهر — نرسى ، فإن اليزه Eliseé — لكى يسد النقص — اصطنع العرض الذى نتكلم عنه وكذلك الرفض الذى لم يكن قد كتب أبدا ، وذلك بأن استعان فى كتابة العرض الديى بترجمة يونانية أو أرمينية لرسالة پهلوية كانت أيضاً مصدر ملاحظات تيودور موپسيست وازنيك وغيرهما ، والظاهر أنه كتب الرد مستعينا ببعض رسائل المسيحيين . ومع ذلك فإن كتاب مهر — نرسى المنتحل الذى يقدمه اليزه مهم ، ليس فقط المعلومات التى يحويها عن المذاهب الزردشتية أيام الساسانيين ، ولكن لأنه يعرفنا بالآراء المسيحية التى كان ينقم عليها الزردشتيون أكثر من غيرها . وهناك نقط الجدل التى نجدها عرضا فى أعمال الشهداء السريان : فالنصارى مخطئون إذ يؤكدون أن الخير والشر صادران من فاعل واحد ، وأن الله غيور ، وأنه ، من أجل تينة واحدة قطعت من شجرة ، خلق الموت وحكم على الناس بأن يتحملوه . «مثل هذه الغيرة لا توجد بين الناس أبدا ولا بين الله وبينهم » وخطيئة أخرى =

فلما تسلم يزدگرد جواب الأساقفة أمر باستدعاء رؤساء الأسر الأرمينية وسجنهم وقد تظاهر هؤلاء «بأنهم يشاركون الملك فى كفره» ؛ وكانوا قد عاهدوا ربهم من قبل على أن يظلوا مؤمنين بدينهم . (اليزه Elisée) . وكان يزدگرد مشغولا حينئذ بحرب الكوشانيين ، أعنى الأقوام المتوحشة التى كانت تملك إقليم الكوشان القديم ، فلم يشك مطلقا فى الحيلة الماكرة التى مكر بها أشراف الأرمن عليه ؛ (اليزه) فرد إليهم مراتبهم وأملاكهم ، ولكنه احتفظ مع ذلك ببعض أمرائهم رهينة ، ثم أرسل أكثر من سبعمائة من المغان وعلى رأسهم « كبيرهم » ، لكى يعملوا لتمجيس بلاد الأرمن . (إدخالها فى الدين المجوسى) .

وكان يزدگرد قد هزم ملك القبائل الهونية الرحل فى چول ، وكان يسكن شمال جرجان ، وهو الذى تحدثت عنه أعمال الشهداء[١] ، وشيد يزدگرد فى الإقليم الذى فتحه مدينة شهرستان — يزدگرد ، وأقام بها بضع سنين ليكون قريبا من الحدود المعرضة لغزو البرابرة[٢] . واضطر بعد ذلك أن يشهر سلاحه حين قامت القبائل الهونية أو الكيونيت التى تسمى الكدارية[٣] بغزوة فى الشرق بإقليم طالقان .

وفى أثناء ذلك ثار عظماء أرمينية ودعا رجال الدين المسيحى إلى الجهاد . ولكن

= وقع فيها النصارى هى أن الله خالق السموات والأرض ، جاء إلى الدينا ، وولدته عذراء اسمها مريم التى كان اسم زوجها يوسف ، فالمسيح هو فى الحقيقة ابن فنتور (پنتيروس فى رواية يهودية قديمة ، انظر لانجلوا (٢) ، ص ١٩١ a ، ملحوظة ٢) ، من صلة غير شرعية . ويقول علماء الدين النصارى إنه ليس إثما أن تأكل اللحم وهم أنفسهم لا يأكلونه ؛ وإن النساء حلال للرجال وهم أنفسهم لا يتزوجون . ويقولون إن من يكنز المال يذنب ويمتدحون الفقر ويبالغون فى هذا . وهم يحبون المصائب ويحتقرون التوفيق ؛ إنهم يزدرون الثراء ويعتبرون المجد كالعدم ؛ إنهم يحبون رث الثياب ويؤثرون العادى من الأشياء على ثمينها ؛ إنهم يمتدحون الموت ولا يحفلون بالحياة ؛ إنهم يعيبون ولادة الأطفال ويأسفون على العقم وهكذا (Langlois، (٢) ، ص ١٩١) .

(١) هوفمان ، ص ٥٠ و ٢٧٧ ؛ ماركارت ، Eranšahr ، ص ٦٥ . ومنذ النصف الثانى من القرن الخامس أقام خاقان الچول فى بلخان ، شرق خليج كرسنوڤدسك Krasnovodsk . ماركارت — مسينا ، Catalogue ، ص ٣٨ وما بعدها و ٤٣ .

(٢) هوفمان ، ص ٥٠ .

(٣) تبعا لاسم ملكهم كِدّاره .

تباغض الأسرات الكبيرة فى أرمينية حال ، كما حال كل حين ، دون تحقيق هذا الغرض العام . فقدلبث مرزبان أرمينية، وزگ السيونيكى وهو من أعظم أمراء أرمينية ، على ولائه للإيرانيين واعتنق الزردشتية . وظلت أرمينية مشقتة عدة سنوات بسبب الحرب الداخلية . والتمس الثائرون المعونة من الإمبراطور ، ولكن بغير جدوى ، فإن بيزنطة كانت مشغولة بؤود قبائل الهون عن حدودها ؛ ولكن إقدام الأرمن على هذه الخطوة جعل الصلح مع حكومة إيران مستحيلا . وقد هزمت جيوش إيران وأسر وزگ وأجبر على العودة إلى حظيرة المسيحية . وحينئذ سار يزدگرد — ولم يكن موفقا فى حرب الكداريين — على رأس جيشه إلى أرمينية ، فهزم الثوار فى معركة كبيرة سنة ٤٥١ ، وعاد إلى إيران وفى صحبته رؤساء الثورة الذين لم يلقوا



(٣٤ ـ صورة إيران امبارگبذ (الخازن) وه دين ساپور
(سار . فن فارس القديمة)

حتفهم فى المعارك ، ومعهم كبار رجال الدين . وقد عزل وزگ عن المرزبانية وصودرت أملاكه . فقد اعتبر — لا بغير سبب — خائناً للإيرانيين والأرمن جميعاً كما أنه أجرم بما ارتكب من أعمال السلب . وقد أمر الملك « إيران — امبارگبذ » وبهدين — شاهپور (رسم ٣٤) بقتل القساوسة النصارى المسجونين . وقد بذل المرازبة الإيرانيون الذين تعاقبوا على ولاية أرمينية مساعى جدية لتحسين أحوال الولاية ، وأعيدت حرية العقيدة إليها بعد وفاة يزدگرد .

وقد أضر بالنصارى السريان استفحال الخلافات الدينية ، ومع ذلك لم تكن الاضطهادات على الشكل الذى كانت عليه أيام الملك سابور الثانى . وقد طرد يزدگرد أثناء حربه مع ملك الهون ، من جيشه الجنود النصارى . إذ أيقن بعدم جدواهم بعد تجارب سيئة ؛ ثم أمر بعد عودته إلى المدائن كلا من « مغان — اندرزبد »[(١)] تهم يزدگرد ، « سرو شَـورز داريَك »[(٢)] ولاية أرزنين آذر — افروز گرد ، وسورين و« ستور همداد[(٢)] » ولاية بيت — گرماى على الزاب الأصغر[(٣)]، أمرهم بأن يسجنوا عظماء النصارى فى الولايات الغربية وأن يحملوهم على ترك ملتهم وقد أبى معظم المسجونين أن يرتدوا عن دينهم فقتلوا سنة ٤٤٦ بعد تعذيب مروع . وكان من بين هؤلاء المطران يوحنان . وفى السنة التالية عذب پيثيون ثم قتل صبرا ، وعرض رأسه على صخرة قرب الطريق السلطانى الكبير الذى يؤدى من المدائن إلى الأقاليم الشرقية من المملكة . وپيثيون هذا من أشهر الشهداء وكان قد لقى نجاحا كبيراً فى تبشيره فى الأقاليم الجبلية بين ميديا ووادى دجلة[(٤)] وقد كان على يزدگرد فى سنوات حياته الأخيرة أن يحارب الكداريين ، ثم مات ميتة طبيعية سنة ٤٥٧ .

وقد توج من بعده ولده هرمزد (الثالث) وكان قد حكم سجستان مع لقب ملك . ولكن أخاه الأصغر منه ، فيروز ، كان يتطلع إلى التاج . فجمع جيشاً فى الأقاليم الشرقية وهاجم هرمزد ، وكان فى الرى[(٥)]. وبينما كان الأخوان يتقاتلان كانت أمهما دينَگ تحكم فى المدائن . وهناك نقش فى فجوة من الصخر يمثل صورة هذه الملكة

(١) انظر ص ١٠٨ .

(٢) من كبار موظفى العدل ، انظر ص ٢٨٥ .

(٣) هوفمان ، ص ٢٥٣ وما بعدها .

(٤) هوفمان ، ص ٤٣ — ٦٨ ؛ لابور ، ص ١٢٦ وما بعدها .

(٥) الملحوظة التى وردت فى بعض الروايات العربية (انظر الطبرى ، ص ٨٧٢ ، نولدكه ص ١١٥ و ١١٧ ، ملحوظة ٣) والتى تقول إن فيروز قد ظفر بمساعدة عسكرية من ملك الهياطلة هى حديث خرافة ، لعلها نسجت على نمط تحالف قباد بن فيروز مع ملك الهياطلة وهو ما سنتحدث عنه . وفى وقت موت يزدگرد الثانى لم يكن الهياطلة قد توغلوا حتى حدود إيران (ماركارت ، Eranšahr ، ٥٧) .

مع اسمها ولقبها بالحروف البهلوية وهو « بامْبِشْنان بَامْبِش » (ملكة الملكات)[١]. وقد لبست السيدة التاج ومن فوقه قبعة على شكل الكرة وقد عصب بشريط صغير ، وهى تلبس قرطا ذا ثلاث لآلئ وعقدا من اللؤلؤ ، وشعرها ضفر ضفائر صغيرة كثيرة تتدلى حول الرقبة[٢] .

وقد أوضحت الروايات الإيرانية الشعور الدينى لفيروز ومعرفته للدين المزدى . فالمفروض إذاً أنه كان مفضلا عند رجال الدين الزردشتيين[٣] ، وكان فيروز أيضاً معضدا من رجل من أعظم الأشراف ، هو « رَهام » من أسرة مهران وكان مربياً له . وقد حمل رَهام السلاح وقاتل هرمزد وهزمه . وأسر هرمزد نفسه . ويقول إليزه إنه قتل بناء على أمر رَهام ، الذى توّج فيروز[٤] .

وكان عهد فيروز (٤٥٩ — ٨٤) غير موفق ؛ فقد كان الدفاع عن الحدود الشمالية والشرقية يتطلب جهودا حربية ، وقد زاد على متاعب الحرب قحط طويل[٥] على أثر الجفاف . وقد حفظت الروايات الوسائل التى اتخذها فيروز لعلاج هذه الشدة : فإنه رفع عن الناس جزءاً من الضرائب كما نظم توزيع الغلال[٦] . وقد



٣٥ . من نقود فيروز
(متحف كوبنهاجن)

---

(١) صيغ هذا اللقب على غرار لقب « شاهنشاه » — ملك الملوك — ، وهو يبين كما يقول هرتسفيلد أن دينگ كانت حينئذ حائزة على السيادة الملكية .

(٢) موردتمان ، ZDMG ، (٢٨) ، ص ٢٠١ وما بعدها و (٣١) ، ص ٥٨٢ ؛ هرتسفيلد Paikuli ، ص ٧٥ و gloss. رقم ٢٦٢ و ٦٣٦ .

(٣) الطبرى ، ص ٨٧٢ ؛ نولدكه ، ص ١١٨ ، ملحوظة ٤ .

(٤) اليزه ، لانجلوا ، (٢) ، ص ٢٤٨ .

(٥) يقول المؤرخون العرب إنها دامت سبع سنوات .

(٦) الطبرى ، ٨٧٣ ؛ نولدكه ، ص ١١٨ وما بعدها . قارن هنا ص ١٦٥ — ١٦٦ « كتب إلى جميع رعيته يعلمهم أنه لا خراج عليهم ولا جزية ولا نائبة ولا سخرة » .

أشار خطاب الأسقف المسيحى برصوما إلى الجاثليق أكاس[١] المؤرخ حوالى سنة ٤٨٥ إلى القحط الذى تقاسيه منذ سنتين ولايات الشمال[٢] .

وقد حدث اضطهاد لليهود أيام فيروز . ويقال إن الذى أثاره هو الأراجيف التى شاعت بأن اليهود قد سلخوا رجلين من رجال الدين الزردشتى حيين . والظاهر أن هذا الاضطهاد كان قاسيا وخاصة فى مدينة إصفهان التى كان بها ، كما بها اليوم ، جالية يهودية كبيرة[٣] .

وكان العالم المسيحى فى ذلك الحين يتجادل فى إحدى المسائل الأصولية . فكان النساطرة يقولون : إن للمسيح طبيعتين متميزتين إحداهما إنسانية والثانية إلهية ، بينما كان القائلون بوحدة الطبيعة (المونوفيزيت) يقولون إن هاتين الطبيعتين قد وحدتا فى شخص المسيح . وقد كان أولئك وهؤلاء جبهة واحدة ضد الآريين ، وكان الفريقان يبغضانهم ، ولكنهما فى الوقت نفسه كانا يتخاصمان ويكن كل منهما للآخر بغضا دفينا . وكان الجدال قائما فى مدرسة الرها حيث كان نصارى إيران يتلقون الدين المسيحى . وحينما توفى إباس Ebas سنة ٤٥٧ وهو أستاذ هذه المدرسة المشهور ، وكان نسطوريا متحمسا تفوق المونوفيزيت ، وطرد رجال الدين النساطرة من الرها . وكان من بين هؤلاء بعض القراء الشبان ، الذين أشار إليهم خصومهم بألقاب مثل « ناشل الفلوس » أو « شارب ماء الغسيل » أو « الخنزير الصغير » وهكذا ؛ «وقد لقب أحدهم لقبا لا يليق ذكره » . وكان أكثرهم نشاطا برصوما « العصفور بين الأعشاش » والذى يسمى فى المجمع : « قاطع طريق إفيز Ephése » (٤٤٩) ، وقد دافع عن النسطورية بقوة حق طلب الأساقفة نفيه . وكان كثير من هؤلاء القراء يشغلون منصب الأسقفية فى إيران . ولم يكفهم خصومهم المونوفيزيت تهم الإباحة وكل أنواع الفجور . وقد عرف برصوما ، وكان فيما يظهر طموحا وصاحب حيل

(١) انظر بعد ذلك .

(٢) لابور ، ص ١٤٤ وما بعدها .

(٣) نولدكه ، Tabari ، ص ١١٨ ملحوظة ٤ ؛ حمزة ، نشر جوتولد ، ص ٥٦ ، الترجمة ، ص ٤١ .

ولـكنه كان رجلا فذا على كل حال ، عرَف كيف يكسب عطف فيروز إلى حد ما . والواقع أنه كان يخدم بروح واحد مصالح دينه ومصالح الملك . ولا شك فى أن فيروز لم يكن يقدر الأساقفة النصارى المتنازعين الحقودين أكثر مما يقدر الدين الذى يبشرون به . ولـكنه كان يقدر الفائدة السياسية التى يكسبها من النساطرة ، وذلك أنه يبعد نصارى إيران عن إخوانهم فى الدين فيما وراء الحدود الغربية للدولة .

وحينما بدأ الإمبراطور زينون Zénon سياسة إخفاء المونوفيزيتية تحت ستار من التدين الخالص المحايد ، وعاد برصوما — الذى كان مطرانا على نصيبين ومفتشاً على فرق الحدود — مع جماعة من المطارنة إلى مجمع للأساقفة فى نصيبين قرروا فيه عزل الجاثليق بابُوَائى الذى عرف عجزه بصفة عامة . وقد لعن بابوائى من ناحية برصوما وأتباعه . واحتدمت المعركة وانتهت بسجن بابوائى ، ثم علق من أصبعه البنصر وضرب بالسياط حتى مات . ولم يكن الانسجام تاما بين برصوما وزميله القديم فى الحرب أكاس (ناشل الفلوس) الذى عين جاثليقا بعد بابوائى . وقد رفض برصوما ، بأعذار مختلفة ، حضور مجمع أراد أكاس عقده فى سلوقية[١] .

كانت الإمبراطورية الرومانية ، أثناء القرن الخامس ، مشغولة جداً بالفتن الناشئة عن غزوات البرابرة ، فلم تكن خطرا على إيران . ولـكن هذا الغزو أصاب الدولة الساسانية أيضاً ، كما رأينا[٢] .

وقد أراد فيروز فى أول عهده إجبار الـكداريين على دفع الجزية . فرفض كدارا ، ملـكهم ، واستؤنفت الحرب . ويقال إن فيروز حاول عقد الصلح مع كُنْخَسْ Kungkhas ، ابن كدارا وخليفته ، وذلك بأن عرض عليه أن يتزوج من أخته[٣] . ومهما يكن فإن الحرب استمرت . وقد دعا فيروز إمبراطور بيزنطة

---

(١) لابور ، ص ١٣١ — ١٤٤ .

(٢) أنظر أبحاث ماركارت ، Erānsahr ، ص ٥٥ وما بعدها فيما يتعلق بالصلات بين الفرس وأقوام الشرق أثناء حكم فيروز .

(٣) قد تكون هذه الرواية خرافية . فقد خدع فيروز كداره بأن أرسل إليه امرأة أخرى بدلا من أخته . وهى قصة شعبية ذائعة فى إيران (قارن خدعة الملك أماسيس مع قمبيز ، هيرودوت ، (٣) ، ١) ؛ وتحـكى القصة نفسها عن كسرى الأول فى صلاته مع خاقان الترك . انظر ماركارت ، Erānsahr ، ص ٥٧ ، ملحوظة ٤ .

إلى أن عده بمال ليدفع له إعانة كى يقود الحرب ضد الكداريين إلى نهاية طيبة ، ثم لكى يدفع غزوات السرجوريين وأقوام آخرين برابرة كانوا قد توغلوا فى جورجيا وأرمينية من معابر القوقاز ، ولكن هذه الدعوات المتكررة لم تأت بنتائج فيما يظهر . ومع ذلك أوقع فيروز بالكداريين هزيمة حاسمة ، فهاجروا بقيادة كنجخس وأقاموا فى قندهار . ولكن قوماً آخرين ، الهياطلة(١) ، جاءوا من الولاية الصينية قان صو وغزوا مناطق طخارستان التى هجرها الكداريون . وهؤلاء الهياطلة الذين يسمون أيضاً « بالهون البيض » لم يكونوا هوناً حقيقيين(٢) . ويرى پروكوپ Procope أنهم يمتازون عن أقوام الهون الآخرين ببياض بشرتهم وبمعيشتهم المتمدنة . وقد خاض فيروز المعركة ضد هذا العدو الجديد ، فغلب وأسر . وقد ألزم بالتنازل عن مدينة طالقان ، وكانت مدينة الحدود قبل انتصاره على الكداريين ، كما تعهد بألا يجتاز هذه الحدود . ثم إنه التزم بأن يشترى حريته بوعده بأداء فدية ، وظل ابنه قباد فى بلاط ملك الهياطلة سنتين رهينة إلى أن أدّى الفداء(٣) . وبعد ذلك أعاد فيروز حرب ملك الهياطلة(٤) ، رغم نصائح الإصبهبذ بهرام(٥) . وقد

---

(١) هيفتالان فى البندهشن الإيرانى (انكلساريا ، س ٢١٥ ، ١ ، ٧و٩) ، بالأرمينية Hep't'al ، بالفارسية هيتال ، بالعربية هيطل ؛ قارن بيلى BSOS ، (٦) ، ٤ (١٩٣٢) ، س ٩٤٦ وما بعدها وتعرف بعض النقود الهيطلية مع كتابة بالحروف الكوشانية الهيطلية المشتقة من حروف الهجاء اليونانية ، وبالكتابة الهندية المسماة البرهمية ؛ انظر يونكر ، Die Hephtalitischen Münzinschriften ، Sitz.Pr. Ak ، ١٩٣٠ ، ص ٦٤١ وما بعدها .

(٢) يقول ماركارت (Eransahr ، س ٥٥ ، ملحوظة ٨) إن الكيونيت كانوا يسمون أولا بالهون البيض ثم غيرت هذه التسمية إلى كلمة الهياطلة .

(٣) يقول المتسمى ستيايت إن فيروز أسر مرتين فى بلاد الهياطلة بعد حروب خاسرة . ولكن هذا القول ظاهر البطلان .

(٤) سمى هذا الملك فى المصادر العربية والفارسية التى أخذت عن الخداينامة أخشُنْوَار ، أخشُوَان أو خشنوَاز ، وهى صيغ يرجع خطأها إلى طريقة الكتابة العربية وهى تنقل النص البهلوى . وقد كتب الاسم بالحروف البهلوية فى البندهشن الإيرانى (أنكلساريا ، ص ٢١٥) ويظهر أنه خُشْنُواز ، ولكن العبارة التى وجد بها هذا الاسم جاءت ضمن فصل من البندهشن نقلت معظم فصوله عن النسخ العربية أو الفارسية للخداينامة (انظر كريستنسن ، Les Kayanides ، ص ٦١ — ٦٥) ، فيكون لضبط اللفظ فيه ما لأشكال الضبط الأخرى ؛ ويرجح أن اللقب الصغدى خشيوان « ملك » يستتر وراء هذه الصيغ المحرفة ، وهو ما ذهب إليه مولر (Soghdische Texte ، (١)،س ١٨٠ ،ملحوظة) .

(٥) تتصل بحرب فيروز مع ملك الهياطلة بعض قصص شعبية . فإن فيروز لكى يتحلل =

كانت هذه الحملة مشئومة كل الشؤم . ففى سنة ٤٨٤ ، لقى الجيش الإيرانى وقد توغل فى الإقليم الصحراوى ، الفناء التام على يد الأعداء . وقد قتل فيروز نفسه ولم يعثر على جثمانه . ويقول المؤرخون من العرب والفرس إنه لقى حتفه مع كثير من رجاله فى خندق حفره ملك الهياطلة ؛ وسواء أصحت هـذه الرواية أم لم تصح فإنها قديمة جدا لأن لازار الفربى — وهو كاتب معاصر — قد أشار إليها[١] . وقد وقعت إحدى بنات فيروز فى يد ملك الهياطلة فأرسلها إلى حريمه . وتوغل الهياطلة فى إيران واستولوا على ولايات كثيرة ومدن الرود وهراة وفرضوا على الفرس جزية سنوية[٢] .

وكان أقوى النبلاء فى إيران فى ذلك الوقت زرمهر أو سوخرا من أسرة قارن العظيمة[٣] التى كانت من بيوت شيراز ، والتى كانت تحكم ولاية سجستان وتلقب بلقب « هزارفت »[٤] ، وشاهبور الرازى وهو من بيت لا يقل عظمة عن

= من الوعد الذى عاهده عليه أمر بالحجر الذى جعله بينهما ليحمل على عجلة أمامه وهو يسوق جيشه فى أراضى أخشنوار (أو أنه جعل البرج الذى جعل حدا بين مملكتيهما ، والذى بناه من قبل بهرام الخامس ، على خمسين فيلا وثلاثمائة جندى) . وكذلك دخلت قصة زو پيروس فى حرب فيروز مع ملك الهياطلة . انظر ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، طبعة القاهرة ، (١) ، ص ١١٧ وما بعدها (نقلا عن كتاب سير العجم) ، والطبرى ص ٨٧٨و٨٧٥ ، ونولدكه ص ١٢٨ وما بعدها و ١٢٤ مع الملحوظة ١ ؛ وقارن جبريلى ، Revsta degli Studi Orientali ، (١٣) ، ص ٢٠٩ وما بعدها .

(١) لانجلوا ، (٢) ، ص ٣٠١ .

(٢) انظر ماركارت ، Erānšahr ، ص ٦٠ — ٦٣ .

(٣) يظهر أن سوخرا كان اسم العائلة للفرع من أسرة قارن الذى كان منه زرمهر ؛ انظر نولدكه ، Ṭabarī ، ص ١٢٠ ، ملحوظة ٣ وصفحة ١٤٠ ، ملحوظة ٢ . وقد ذكرت الكتب الفارسية والعربية الاسم بصيغ مختلفة (سوخرا ، سواخر ، سوفرى وهكذا) . والصيغة البهلوية سوخرگ أو قد تكون سخراى أو سوخرائى ؛ (انظر نولدكه Persisch Studien Sitzb. d. phil-hist. Classe der Kais- Akad. d. Wiss. in Wien. ١٨٨٨ ، ص ٤١٣ وما بعدها) .

(٤) الطبرى ، ص ٨٧٨ ، نولدكه ، ص ١٢٧ وما بعدها ؛ لازار ، لانجلوا ، (٢) ، ص ٣٢٦ .

سابقه ، بيت مهران[١] . يحدثنا لازار الفربى أن هذين الرجلين كانا يعملان على رأس جيشين عظيمين فى جورجيا وأرمينية ، وأنهما حين سمعا بموت فيروز شدا الرحال إلى المدائن ليعملا جاههما فى اختيار الملك الجديد . وقد وقع الاختيار على بلاش أخى فيروز ، وكان زرمهر الحاكم الحقيقى لإيران أثناء ولاية هذا الملك . وقد عقد صلحا مع زعيم ثوار الأرمن ، وَهن المامیكونى . وقد عرف الأرمن كيف يستفيدون من الحال ؛ وتدل شروط الصلح التى ظفر بها وهن على أن النصارى كانوا أكثر تعصبا من الزردشتيين الفرس : فإنه لم يكتف بأن يطلب الحرية الكاملة والمطلقة لتأدية شعائر الدين المسيحى بل طلب إلغاء الزردشتية وهدم بيوت النار فى أرمينية[٢] . فلما ظفر بهذه الامتيازات أعان وهن زرمهر ضد زرير (بالأرمنية زره) أخى فيروز وبلاش الذى ادعى الملك ، فغلب هذا وهرب إلى الجبال حيث قبض عليه وقتل[٣] وقد نصب وهن مرزبانا على أرمينية .

كانت الحال تعيسة جدا . فقد تحولت إيران إلى دولة ذليلة بتبعيتها لملك الهياطلة ؛ وكان فى وسع القائد الفارسى گشنسپداذ الذى كان له لقب تَخْوارگث[٤] ، والذى خوله زرمهر مفاوضة الأرمن ، أن يقول لوهن وهو يحادثه : « إنه (فيروز) قد أسلم لسيادة الهياطلة دولة كبيرة جدا مستقلة ، فلن تستطيع الخلاص من هذا الإذلال القاسى ما دامت سيادة الهياطلة[٥] » . وقد قضى على خير رجال الجيش ولم يكن لدى الملك من المال ما يدفع منه أجور الجند . وقد تخيلت الرواية ، إنقاذا لشرف الفرس ، حربا انتقامية شنها زرمهر على ملك الهياطلة وانتهت بصلح مشرف لإيران ، فقد أجبر الهياطلة على رد كل ما استولوا عليه من غنائم فى المعركة الأخيرة

---

(١) لازار ، لانجلوا ، (٢) ، ص ٣٥٢ ؛ الطبرى ص ٨٨٥ ، نولدكه ، ص ١٣٩

(٢) لازار ، لانجلوا ، (٢) ، ص ٣٦٠ .

(٣) لازار ، لانجلوا (٢) ، ص ٣٤٣ وما بعدها . ويذكر بروكوب — الذى يخلط بين بلاس وجاماسب بن فيروز — ، خطأ ، قباد على أنه خليفة مباشر لفيروز .

(٤) انظر ص ١٠ .

(٥) لازار ، لانجلوا ، (٢) ، ص ٣٥٧

بينهم وبين فيروز ، ومنها بنت هـذا الملك . والحقيقة أن ابنة فيروز لم ترد ، وقد ولد ملك الهياطلة منها بنتا تزوجها بعد ذلك الملك الساسانى قباد الأول[١] .

وقد كان بلاش ، فيما يظهر ، رجلا مخلصا توفرت فيه أطيب النيات لإسعاد رعيته . ويقال إنه كان لا يبلغه أن بيتا خرب وجلا أهله عنه إلا عاقب صاحب القرية التى فيها ذلك البيت على تركه إنعاشهم وسد فاقتهم حتى لا يضطروا إلى الجلاء عن أوطانهم[٢] . ويمتدح الكتاب النصارى أيضا ميوله الحسنة وروحه المسالم ، ولكنه مع ذلك لم يكن الرجل الذى يجب أن يكون لإحياء الدولة[٣] ، فقد أصبح التذمر عاما بين العظماء[٤] ، وعزل بلاش بعد حكم أربع سنوات وسملت عيناه ، وحل محله قباد بن فيروز[٥] ، (٤٨٨) . ولا شك أن زرمهر كان المحرك الأول لهذه الثورة[٦] ، التى كان لها ما يبررها من الأسباب السياسية الوجيهة : فقد عاش قباد عدة سنوات رهينة فى بلاط ملك الهياطلة بعد هزيمة فيروز الأولى على يد هؤلاء الناس ، وقد كانت لقباد بهم صلات طيبة ، وقد أملوا أن يكون فى اختياره ملكا تخفيف لضغط

(١) نولدكه ، Tabari ، ص ١٣٠ ، ملحوظة ٣ . والمصادر المعاصرة لا تذكر شيئاً عن هذه الحرب الانتقامية .

(٢) الطبرى ، ص ٨٨٣ ، نولدكه ، ص ١٣٤ .

(٣) انظر مثلا ميشيل السريانى ترجمة شابو ، (٢) ، ص ١٥١ .

(٤) يقول المتسمى ستيليت إن بلاش لم يكن لديه من المال ما يدفع منه أجور الجند وإنه أغضب رجال الدين الزردشتيين « بمحاولته إلغاء قوانينهم وبإبداء الرغبة فى بناء حمامات فى المدن الكبرى » . وقد بينت ما يحوم حول هذه الرواية الخاصة بالحمامات من الشك فى كتابى "Le règne de Kawādh I" (ص ٩٣ ملحوظة ٢٠) . على أن هذا الموضوع كان مجالا للحديث فى ذلك الزمن . ويروى المتسمى ستيليت بعد ذلك أن الملك قباد بعد أن استولى على آمد رأى فيها الحمامات فأمر ببنائها فى جميع مدن إيران . ويرى الزردشتيون أن الاستحمام بالماء الساخن ذنب (ارداگ ويراز — نامگ ٤١) ، ولكن الأوستا الساسانية تبيح الحمام الساخن على شرط اتخاذ الاحتياطات الخاصة لحماية طهارة النار (دينكرد (٨) ، ٢٧ ، ١ ، كما جاء فى دزد سرنزد — نسك) .

(٥) وفقاً لبعض الأسطر من رواية الخداينامة يقال إن قباد ولى الحكم وهو طفل ، وهذا غير صحيح ؛ فإن مالالاس والفردوسى يقولان إنه مات فى الثانية والثمانين من عمره (٨٠) بعد حكم ثلاث وأربعين سنة (٤٠) . (نولدكه ، Tabari ، ص ١٤٣ ، ملحوظة ١) .

(٦) الدينورى (والنهاية) والفردوسى .

ملك الهياطلة . والواقع أنه يبدو أن العلاقات بين البلدين أصبحت أقل عداء بالرغم من أن إيران استمرت تدفع الجزية للهياطلة[1] .

* * *

وقد كان برصوما موضع الرعاية طوال حكم بلاش . وقد أرسل إلى القسطنطينية لإبلاغ ارتقاء بلاش العرش . ثم أمره الملك في رجعته بأن يبقى في نصيبين لتسوية مسألة الحدود فاتخذ من هذا الأمر عذرا جديدا ليبتعد عن المجمع الذي أعده أكاس . ومع هذا عقد المجمع في سلوقية ، ولكن حضره إثنا عشر أسقفا فقط . وقد حضر بعضهم من بلاد قاصية ، كجبريل أسقف هراة وقد أقروا فيه ثلاثة قوانين خطيرة .

استقرت النسطورية نهائيا على أنها المذهب الوحيد لنصارى إيران . وحرم على الرهبان منافسة القسس في تنفيذ المراسيم الدينية ، وحرم على رجال الدين أن ينذروا الرهبنة فإنها لم تبح إلا لمن آثر الحياة الدينية في الصومعة . وكان هذا القرار الأخير خطوة نحو التفاهم مع المزديين الذين كانوا يجزعون من الرهبنة . وقد تزوج برصوما بناء على رغبة فيروز « كـكل الفرس » . ومن ناحية أخرى احتجوا للقانون الثالث من قوانين مجمع سلوقية بأسباب من الاحتشام لأن « العادة القديمة قد عابها وسخر منها الناس في الخارج بسبب سوء الأخلاق والخلاعة » ، يعني الفرس .

وواقعة أخرى ساعدت على إبعاد النصرانية في الشرق من نصرانية الغرب هي إنشاء مدرسة للقساوسة في نصيبين . وقد أنشأها برصوما بعد أن أمر الإمبراطور زينون Zénon بإغلاق مدرسة الرها التي تغلغلت فيها البدعة النسطورية . وقد نصب العالم نرسيس (الأبرص) على رأس مدرسة نصيبين التي صارت من ذلك الوقت حصنا

---

(١) يقول پروكوپ إن سيادة الهياطلة على إيران دامت سنتين ، وإن قباد قد أحس في نفسه القوة بعد ذلك فرفض أن يدفع لهم الجزية . وقد رأينا أن پروكوب يجهل السنوات الأربع لحكم بلاش . ويظهر أن الحقيقة أن إيران ظلت تدفع الجزية للهياطلة حتى زمن كسرى أنوشروان ، لأنه وجدت نقود فضية باسم بلاش وقباد وكسرى أنوشروان تحمل كتابة بحروف الهجاء السكوشانية الهيطلية ، وقد ضربت فيما يقول ماركارت (Eranšahr ، ص ٦٢ — ٦٣) من أجل الجزية التي تدفع لملوك الهياطلة . قارن يونكر ، Die Hephtatitischen Münzenschriften ، Sitz Pr. Ak ، ١٩٣٠ ، ص ٦٥٧ وما بعدها .

للنسطورية . وقد كان موت برصوما ثم الجاثليق أكاس وقد عاشا حتى حوالى سنة ٤٩٥ نهاية عهد من أهم عهود المسيحية الإيرانية[١]. ولكى نحدد العلاقات بين المسيحية والدين الرسمى فى إيران إبان القرنين الرابع والخامس نسوق ماقاله ساخاو[٢]:
« لقد أجيزت المسيحية كل حين فى الإمبراطورية الساسانية ، حتى فى أعنف أوقات الاضطهاد ، ومن الحق أن جماعات دينية فى المدن والقرى كانت عرضة ، فى الغالب ، لمضايقات ونكايات الموظفين الفرس الطامعين . وقد أقامت المسيحية الشرقية دستورها فى مجامع سنة ٤١٠ وسنة ٤٢٠ التى عقدت فى عاصمة الدولة وتحت أنظار الحكومة ، وقد تم هذا ، وهو بليغ الدلالة ، بمساعدة رسولين من قبل إمبراطور بيزنطة هما الأسقف ماروتا أسقف ميافارقين (ميفرقط) وأكاس أسقف آمد[٣] . وقد ألف أفرعت مواعظه فى وقت الاضطهاد المروع الذى وقع على النصارى أيام سابور الثانى ، ولكنه لم يذكر ما يدل على أن الديانة المسيحية فى عهده لم تكن تقام كالعادة دون عائق ، وكان الاضطهاد يقع على رجال الدين خاصة ، ولم يذكر فى أى نص أن أحدا طلب من النصارى المدنيين أن يرتدوا عن دينهم . ويظهر أن النصارى فى دولتى الفرس والروم قد اتبعوا ، فى علاقاتهم القانونية قواعد القانون السريانى الرومانى (Leges Constantini Theodos Leonis) مع تطبيقاتها المحلية[٤] . وكانت الاضطهادات الكبيرة نادرة ، وقد استطاع النصارى ، أكثر الأحيان ، العيش هادئين تحت الإرشاد الروحى من جثالقتهم وأساقفتهم » .

* * *

وتعتبر أعمال الشهداء السريان ذات قيمة خاصة لأنها تعين على معرفة قانون العقوبات والتحقيق الجنائى بوجه عام . وبعد أن اختصرنا المجادلات الدينية الكبرى

---

(١) لابور ، ص ١٤٣ — ١٥٢ .

(٢) Vou der rechtlichen Verhältnissen der Christen im Sassanidereich ،
(١٠) ، ٢ ، ص ٧٢ وما بعدها .

(٣) انظر عن أكاس هذا لابور ، ص ٨٩ ، ٩٣ ، ١٠١ وما بعدها .

(٤) ساخاو ، (١) ، C ، ص ٨٠ وما بعدها .

فى القرنين الرابع والخامس مستعينين بكتاب الدكتور لابور ، نرى من الطبيعى أن نجمع هنا المواد التى فى متناولنا لتوضيح هـذا الموضوع . كان للعدالة حرمة عظيمة فى إيران القديمة . وهناك دلائل كثيرة على أن الملوك ، منذ عهد الأكمينيين ، كانوا يراعون بدقة التوجيه الصحيح من القضاء وعدل القضاة ، وكان اسم القاضى ، أيام الساسانيين أيضا ، له حرمة تامة . وكان القضاة يختارون من بين ذوى التجارب والعدل من الرجال ، الذين لايحتاجون إلى المشاورة . وكانوا يهزءون بالطريقة الرومانية التى تقضى بأن يقف خلف القضاة الجهلاء رجال من أهل الفصاحة والعلم بالقانون[1].

وقد رأينا أن وظيفة الوسيط والحكم — وربما كانت بين النبلاء وحدهم — كانت من الوظائف السبع الوراثية فى الأسر الممتازة[2]، ولكن مابين الدين والأخلاق والقانون من الارتباط الوثيق الذى هو فى طبيعة الدين الفارسى استلزم أن تكون السلطة القضائية بالمعنى الصحيح فى يد رجال الدين ، وكانت العلوم كلها منحصرة فيهم ويشار إلى القضاة ، « دادوران » والدساتير (جمع دستور) والموابذة والهرابذة . وكان الرئيس الأعلى للقضاة هو « قاضى الدولة » « شهردادور » أو « دادور دادوران »[3]. ويظهر أن «الآيين بد» (كأنه الأمين الرئيس على العادات والتقاليد) كانت له وظائف القاضى[4] . وكان أحد القضاة الروحانيين يقوم على القضاء فى كل كورة وكان عليه بوجه عام أن يراقب سير العدالة حتى فى سلوك السلطات المدنية العليا فى الإقليم . ومن كبار الموظفين الذين لهم سلطة قضائية كل من « سروشورزداريگ » أى القاضى

---

(١) آمين مارسلن ، (٢٣) ، ٦ ، ٨٢ . وجاء فى الدينكرد ((٨) نسك نكاذم) كذلك أن وظيفة القاضى يعهد بها إلى من يعرف الشريعة . وقد احتوى نسك هسپارم على عرض أكثر تفصيلا لواجب القاضى فى أن يكون عادلا وللاعتبارات الدينية التى يسير عليها .

(٢) انظر هنا ص ٩٣ — ٩٤ .

(٣) تاقاديا Eine Tischrede aus der Zeit der Sasaniden .مؤتمر المستشرقين الرابع عشر ، ص ٩ .

(٤) برون : Aesgew. Akten persischer Märtyrer ، ص ٢١٣ .

الروحانى و « دستور همداد »[1]. وكان لزاما أن يكون لكل قرية مرجع قضائى أدنى ، كان هو الدهقان أو قاض خاص يعين بالقرية . ويشار لماماً إلى قضاة الصلح (شاهريشت ؟)[2]، ولكن ليس لدينا معلومات عن عملهم واختصاصهم . ويشير النسك الأوستى المسمى « سكاذم »[3] إلى التفرقة بين القضاة الذين درسوا القانون عشر سنوات وإحدى عشرة أو اثنتى عشرة أو ثلاث عشرة أو أربع عشرة أو خمس عشرة سنة . والظاهر أن أحكامهم وفتاواهم كانت تتفاوت فى درجاتها . وقد نيط القضاء العسكرى بقاض خاص هو (سپاه دادور)[4]. هذا والمفروض أن كثيرا من الموظفين القضائيين الذين يلقبون بألقاب خاصة كانوا من الموابذة أو الهرابذة . ونعرف أن الهرابذة كانوا يصدرون أحكاماً قضائية بوصفهم قضاة[5].

وكانت السلطة القضائية تابعة للملك . ولم يكن هذا أمراً نظريا محضاً ، فهناك روايات تشهد بما كان للملوك الساسانيين من شغف بالعدالة . كان كلام الملك مقدساً لاينقض ، وللدلالة على هذا التقديس كان الملك ، حين يوقع المعاهدات أو يأذن بجواز المرور لشخص ، يرسل إلى خصمه أو صاحب المصلحة كيسا من الملح مختوما بخاتمه[6]. وإذا استعصى على رجل أن ينال حقه من السلطات المحلية استطاع دائما الوصول إلى حقه برفع أمره إلى الملك . ولكن الملك كان بعيداً ؛ وكان من الصعب الاتصال به . ويحكى أن معظم ملوك إيران كانوا يمتطون صهوات جيادهم فى مناسبات معينة ويقفون

---

(١) هوفمان ، ص ٥١ . إذا جاز ما ذهب إليه هوفمان من تفسير هذه الكلمة : دستور — همداد (من له نفس سلطة القاضى) بأنها « نائب القاضى » فإنا نستنتج من هذا التفسير أنه كان للقاضى (دستور) وظائف تشريعية . ويقرأ نولدكه ، (Tabari ، ص ٤٣٨) : دست — برهم (من شبك يديه) . وعندى أن تفسير هوفمان أفضل .

(٢) اليعقوبى ، انظر هنا ص ٢٥١ — ٢٥٢ .

(٣) دينكرد (٨) ، ٤٣ ، ٩ .

(٤) هوبشمان ، Armen. Grammatik ، (١) ، ص ١٣٦ .

(٥) المسعودى ، مروج ، (٢) ، ص ١٥٦ .

(٦) فاوستوس البيزنطى ، لانجلوا ، (١) ، ص ٢٦٨ — ٢٦٩ ؛ بروكوب ، BP ، (١) ، ٤ ؛ انظر باتكانيان ، JA ، ١٨٦٦ ، ص ١١٣ .

على مرتفع يشرفون منه على جمهرة الشعب في الميدان . وهناك يقضون بالعدل لمن أتاهم شاكيا ظلما وقع عليه ؛ والسبب في ذلك هو أن « الملك إذا جلس في مكان له أبواب وحواجز ودهاليز وستر فإن أصحاب الأغراض والظالمين من الحاشية يمنعون المتظلم من الدخول إليه »(١).

ونحن نعلم أن الملوك الساسانيين الأول كانوا يجلسون للعامة مرتين في السنة ، يوما في النوروز ويوما في المهرجان(٢)، ولا يحجب عن الملك أحد في هذين اليومين لاصغير ولا كبير ، ولا جاهل ولا شريف . وكان الملك يأمر بالنداء قبل جلوسه بأيام ليتأهب الناس لذلك ، فيهيء الرجل القصة ، ويهيء الآخر الحجة في مظلمته . ثم يأمر الملك الموبد أن يوكل رجالا من ثقات أصحابه فيقفوا بباب العامة ، فلا يمنع أحد من الدخول على الملك ، وينادى مناديه بأن من حبس رجلا عن رفع مظلمته فقد عصى الله وخالف سنة الملك ، ومن عصى الله فقد أذن بحرب منه ومن الملك . ثم يؤذن للناس بالدخول وتؤخذ رقاعهم فينظر فيها ، فإن كان فيها شيء يتظلم فيه من الملك بدئ به أولا . فيحضر الملك الموبد الكبير والدبيربد ورأس سدنة النار ، ثم يقوم مع خصومه حتى يجثو بين يدى الموبد فيقول له إنه ما من ذنب أعظم عند الله من ذنب الملك ، وإنما خولها الله تعالى رعاياها لتدفع عنها الظلم وتذب عن بيضة الملك جور الجائرين وظلم الظالمين ، فإذا كانت هى الظالمة الجائرة فحق لمن دونها هدم بيوت النيران وسلب ما في النواويس من الأكفان . «ومجلسي هذا منك ، وأنا عبد ذليل(٣)، يشبه مجلسك من الله غداً . فإن آثرت الله آثرك ، وإن آثرت الملك عذبك » فيقول له الموبد : « إن الله إذا أراد سعادة عباده اختار لهم خير أهل أرضه فإذا أراد أن يعرفهم قدره عنده أجرى على لسانه ما أجرى على لسانك . » ثم ينظر في أمره وأمر خصمه بالحق والعدل ، فإن صح على الملك شيء أخذه به ، وإلا حبس من ادعى عليه

(١) نظام الملك ، سياست نامه ، نشر شيفر Schefer ، ص ١٠ ، الترجمة ، ص١٢ .

(٢) انظر ص ١٦٢ — ١٦٤ .

(٣) تعبير « سلب ما في النواويس من الأكفان » يذكر بالآراء الإسلامية .

باطلا ونسكل به ونودى عليه : هذا جزاء من أراد شين الملك وقدح فى المملكة . فإذا فرغ الملك من مظالمه فى نفسه ، قام فحمد الله ومجده طويلا ثم وضع التاج على رأسه وجلس على سرير الملك وأخذ ينظر فى شكاوى الناس[١]. وهذه الرواية التى تمثل تدخل رجال الدين وهم قضاة للفصل فى القضايا التى يكون الملك ، السلطة الزمنية الكبرى ، طرفا فيها ، تستند ولا ريب إلى أصل تاريخى إلى حد ما . وتقول مصادرنا إن يزدگرد الأول قد ألغى هذا التقليد ، وهو أشد ملوك الساسانيين بغضاً إلى رجال الدين . وقد جاء فى أعمال الشهداء أن العادة قد جرت فى الأصل[٢] بأن للناس الحق الكامل فى التوجه إلى موظفى الدولة وتلاوة الشكاوى مما وقع من ظلم عليهم ، كما كان لهم الحق فى رفع كل ما اعوج من أمر إلى الملك ، وكان لهم هذا الحق فى الأسبوع الأول من كل شهر ، وأن يزدگرد الثانى (لا الأول) قد أبطل هذه العادة . ويؤيد هذه الرواية ملحوظة جاءت فى الطبرى[٣]

وكانت مصادر القانون ، الأوستا مع الشروح[٤] ومجموع فتاوى الفقهاء الدينيين الطيبين[٥]. ولم يكن هناك مجموعة قانونية بالمعنى الصحيح[٦]. ولكن يظهر من مختصر أجزاء الأوستا الساسانية الذى تضمنه كتاب الدينكرد أن أجزاء كثيرة قد تناولت المسائل القانونية . وهذا الملخص قد أجرى على الأوستا الساسانية ، والتعليق الذى يحتمل أن يرجع إلى عهد الأكاسرة وهو يتضمن تعليقات أقدم ، وربما زاد عليها شروحا جديدة . وهكذا نجد التفاصيل المتعلقة بالفقه والتى أشار الدينكرد إلى بعضها يرجع معظمها إلى الشراح القدامى ، وهى تمثل الأحكام القضائية أيام الساسانيين . وقد تناولت الأجزاء الباقية من كتاب الفقه المسمى «ماذيگان هزار داذستان »[٧]

(١) الجاحظ ، التاج ، ص ١٥٩ — ١٦٣ ؛ وقد ذكرها نظام الملك باختصار فى سياست نامه ، طبعة شيفر ، ص ٣٨ — ٣٩ ; الترجمة ، ص ٥٦ وما بعدها .

(٢) هوفمان ، ص ٥٠ .

(٣) انظر هنا ص ٦٩ > .

(٤) زند ، انظر هنا ص ٤١ .

(٥) دينكرد ، (٨) ، ٢٠ ، ٦٩ .

(٦) بارتولوميه Bartholomae ، Die Frau im sasanideschen Recht ، ص ٦ .

(٧) انظر هنا ص ٦ .

وقد ترجم وشرح بعضها بارتلومیه ، مسائل الملك والزواج وحقوق الأسرة عامة . وهى مسائل نترك الكلام عنها للفصل التالى . ثم جزم مؤلف هذا الكتاب بأن كون الكلمة العليا فى الدعاوى المدنية للموبذان موبذ[1] يمكن أن يسرى أيضا على القضايا الجنائية التى سنتناولها هنا :

فإن قرار الموبذ الكبير أقوى من اليمين . إن قراره لايخطىء وقد تناول النسكان « نِسكاذُم »[2] و « دُزْدسَرْزَد »[3]موضوع المحاكم المختلفة التى تتكون من قضاة من مختلف الدرجات . وقد حدد القانون للقضاة مدة لاستدعاء الشهود كما حددت القواعد مدة المرافعات كلها[4] وهناك قيود محددة لثرثرة المتخاصمين الذين يحاولون إطالة المرافعات أو عرقلة سير القضايا[5]، كما كان من الممكن التظلم من القاضى الذى يقدم ، لمصلحته الخاصة ، قضية مشكوكا فيها على أنها ثابتة أو قضية ثابتة على أنها مشكوك فيها[6].

وقد كان للابتهال شأن كبير فى الفصل حين الشك فى إدانة المتهم أو براءته[7] . وكانت طريقة الابتهال تتفاوت فى خطورتها[8] . وكانوا يفرقون بين « الابتهال الحار » و « الابتهال البارد »[9] فالابتهال الحار (ورى گرم أو گرموك ــ وريه) كان يتم مثلا باختراق المتهم النار ، وقد وصف وصفا شاعريا فى قصة سياوش بن كيكاوس »[10] و « ويس ورامين »[11] وهناك قواعد معينة لنوع الخشب الذى

---

(١) بارتلوميه ، Zum Sasanidischen Recht ، (٤) ، ص ٢٩ وما بعدها .
(٢) دينكرد ، (٨) ، ١٦ — ٢٠ .
(٣) » ، (٨) ، ٢١ — ٢٧ .
(٤) » ، (٨) ، ٢٢ ، ١٢ — ١٥ .
(٥) » ، (٨) ، ٢٠ ، ٢٧ .
(٦) » ، (٨) ، ٢٢ ، ١٠ .
(٧) » ، (٨) ، ٤٢ ، ٣ وما بعدها (نسك سكاذُم) .
(٨) نسك سكاذم ، دينكرد ، (٨) ، ٣٨ ، ٦٤ .
(٩) المرجع نفسه ، (٨) ، ٤٢ ، ٦ .
(١٠) الفردوسى ، شاهنامه ، طبعة ولرز Viillers ، ص ٥٥٠ وما بعدها (بيت ٥٠٢ وما بعده) .
(١١) ويس ورامين ، طبعة ليس ، ص ١٣٦ وما بعدها

يتخذ الموقود ، وكان الابتهال يجرى فى احتفالات دينية[١]. وقد أراد آذربد بن مهرسپند أن يثبت حقيقة مذهبه الدينى ، أيام سابور الثانى ، فقبل ابتهالا حاراً وترك المعدن المذاب يصب فوق صدره[٢]. وأما الابتهال البارد (ورى سرد) فإنه يكون بأفنان مقدسة : هى بَرْسموگورِيه[٣] . وهناك نوع آخر قديم جداً من الابتهال يصحب أداء اليمين ، وقوامه شرب الماء المختلط بالكبريت . وهذه الطريقة قد أشير لها فى الونديداد (٤ — ٥٤ وما بعدها) ، وقد احتفظت اللغة الفارسية فى أيامنا بتعبير سوكند خوردن (المعنى الحرفى شرب الماء المختلط بالكبريت) ومعناه أداء اليمين ، ومع ذلك فمن المحتمل أن يكون استخدام الماء الكبريتى فى حالة أداء اليمين أيام الساسانيين أمراً صوريا[٤]. وكان هناك موظف من رجال العدالة « وَرْ — سردار » مهمته الإشراف على صحة الابتهال[٥].

ونستطيع أن نستنتج بعض المعلومات عن نظرية العقاب من كتاب تنسر فهو يميز بين ثلاثة أنواع من الجرائم التى يعاقب عليها القانون : الجرائم فى حق الله حينما « يرتد رجل عن الدين أو يحدث البدع فى الشريعة » والجرائم فى حق الملك « حين يعصى الفرد أو يخون أو يغش » والجرائم بين الأفراد « حين يظلم بعضهم بعضا » وكان عقاب النوعين الأولين من الجرائم ، أى جرائم الكفر والعصيان والخيانة والهرب من الجيش الموت الوحى . وذلك فى القرون الأولى من العهد الساسانى . وأما جرائم الأفراد ، السرقة وقطع الطريق وهتك العرض والظلم وغير

---

(١) دينكرد ، (٨) ، ٢٠ ، ٤١ .

(٢) نبذ پهلوية ذكرها وست كالفصل ١٥ من شايست ناشايست (١٥ ، ١٦) ، نصوص پهلوية Pahlavi Texts ، (١) ، ص ٣٧٦ ؛ شكند — گمانيگ — وزار ، ١٠ ، ٧٠ (وست PT ، (٣) ، ص ١٧١) ؛ دينكرد ، (٧) ، ٥ ، ٥ (PT West ، (٥) ، ص ٧٤) . قارن هنا ص ١٣١ .

(٣) دينكرد ، (٨) ، ١٩ ، ٣٨ و ٢٠ ، ١٢ .

(٤) بارتلوميه ، Zum Sasandischen Recht ، (٢) ، ص ٧ وما بعدها .

(٥) انظر بارتلوميه Zur kenntniss der mitteliranschen Mundarten فى قوة العهد ، من غير أداء اليمين وعقود ناكث العهد .

ذلك فكان يعاقب عليها بعقوبات بدنية شديدة أو بالموت[١]. وقد كان قانون العقوبات صارما جدا حينذاك وهو ما لاحظه امين مارسلن أيضاً[٢]: « إن القوانين بالغة الصرامة عند الفرس ، والقوانين الزاجرة للجاحدين أو الهاربين من الجيش كانت قاسية بوجه خاص ، والقوانين الخاصة بالجرائم الأخرى كانت فاحشة ربما تجر جريمة فرد الهلاك على أقاربه جميعاً » . وقد تضمن الهِنكاذُم نسك[٣] قواعد الاتهام وإقامة الدعوى فى قضايا السرقة وقطع الطريق والأضرار المختلفة ، والقتل ، وهتك العرض ، والتهديد بالاغتصاب والسجن بدون حق ، والحرمان من الزاد ، والتخفيض الجائر لأجور العمال ، والإضرار برجل بالسحر وغيرها . وقد تناول هذا النسك أيضا مسائل قانونية أخرى مثل حدود مسئولية الطفل ، والتحريض على قتل أجنبي وغير ذلك . ولكن تلخيص الدينكرد لايذكر غير إشارات مختصرة . وهى فى الجملة لاتتناول التفصيلات . ونحن نعلم أن السارق الذى يضبط متلبسا كان يساق إلى القاضى وقد علق الشيء الذى سرقه برقبته[٤] وأنه كان يلقى به فى السجن مكبلا بالحديد . وكان عدد السلاسل يختلف باختلاف خطورة الجريمة ، وأعضاء الجسد التى ارتكب بها الإثم كان يضيق عليها الوثاق أكثر من غيرها[٥]. وواضح أن هذه السلاسل لم تكن ضمانا من الهروب فحسب ، بل كان لها صبغة رمزية أيضاً . وقد جاء فى نسك نكاذم أن الأغلال لم تكن تستعمل مع المجرمين الأجانب ، أى الذين لا يدينون بالزردشتية ، وذلك لأسباب دينية[٦]. ولعل هذا هو رأى بعض الشراح وليس بالقاعدة فى القانون المعمول به . وعلى كل حال فقد أشارت أعمال الشهداء كثيرا

---

(١) دارمستتر ، JA ، ١٨٩٤ ، (١) ، ص ٢١٩ وما بعدها و ٥٢٣ وما بعدها ؛ مينوى ، ص ١٦ — ١٧ ؛ والترجمة العربية للخشاب ص ٣٨ ، وفى رأينا أن يقال فى الأزمنة القديمة السابقة على الدولة الساسانية ، وليس فى القرون الأولى للدولة الساسانية كما قال كريستنسن .

(٢) (٢٣) ، ٦ ، ٨١ .

(٣) دينكرد ، (٨) ، ١٦ وما بعدها .

(٤) دينكرد ، (٨) ، ٢٠ ، ١٢٣.

(٥) دينكرد ، (٨) ، ٢١ ، ١ — ٥ .

(٦) دينكرد ، (٨) ، ١٩، ٥٦ .

إلى اتخاذ الأغلال والسلاسل والحديد فى الأرجل المسجونين النصارى[١] . وكان قاضى التحقيق يتوسل ، إذا اقتضى الأمر ، فى أسئلته بالمحبة المصطنعة أو الألفاظ الخداعة كى يحمل المجرم على الاعتراف[٢] وكان من يخون شركاءه فى الجريمة فيعترف عليهم يكافأ[٣] . وكان مخفى الأشياء المسروقة يعاقب بمثل عقوبة السارق[٤] . ولم يكن اللصوص ، وطنيون وأجانب ، يعاملون سواء فى الكساء إذا اشتد البرد ، وفى طرق العلاج فى حين المرض[٥] .

وقد تناول السكاذم نسك[٦] مسائل إقامة الدعوى مع استخدام الابتهال ، وتنفيذ الموت فى ساحر[٧] .

ومن المشكوك فيه أن يكون القانون الإيرانى قد اتخذ السجن إلى أمدٍ عقوبة ولكن من الممكن أن يمتد الحبس الاحتياطى إلى ماشاء الله . ووفقا لرواية النكاذم نسك كان المجرمون يحبسون فى مكان قذر خاصة ، حيث يطلق عليهم عدد من الحيوانات المؤذية تعين لكل حالة . وتجد هذه الرواية تأييداً فى رواية تيودور أسقف صور (رشيد ياسمى ٢١٣) التى تقول إن النصارى كانوا يسجنون أحياناً فى خنادق مع طائفة من الفئران ، وكانت أيديهم وأرجلهم موثقة ، بحيث لايستطيعون إبعاد هذه الحيوانات التى كان يدفعها الجوع إلى نهشهم فى عذاب قاس طويل[٨] . ومن ناحية أخرى استخدم السجن وسيلة لإبادة أفراد الطبقة الرفيعة لخطرهم على الدولة أو تأمينا للملك إبادة بغير جلبة . وكانت القلعة الحصينة المسماة « جيلـگرد » أو

(١) على سبيل المثال ، هوفمان ، ص ٦١ .

(٢) دينكرد ، (٨) ، ٢١ ، ١٠ .

(٣) » ، (٨) ، ٢١ ، ١١ .

(٤) » ، (٨) ، ٢١ ، ٨ .

(٥) » ، (٨) ، ١٩ ، ٥٥ .

(٦) » ، (٨) ، ٤٢ ، ١ — ٢ .

(٧) » ، (٨) ، ١٩ ، ٤٤ .

(٨) لابور ، ص ١١٠ .

«أنْدْمِشْن»[1] ، الواقعة فى خوزستان ، نوعا من البستيل . وكان هناك مايسمى «أنوشْبَرْد » أو قلعة النسيان ، لأنه كان محرما ذكر من يسجن بها بل اسم القلعة نفسها[2] .

وقد روى فاوستوس البيزنطى[3] الموت المؤلم الذى لقيه الملك الأرمنى أرشك الثالث[4] فى قلعة النسيان . وقد حدث أن خصيا اسمه درستامات[5] أصبح أميرا (اشكن) لإحدى كور أرمينية لأنه أنقذ من الموت سابور الثانى فى معركة مع السكوشانيين دعاه سابور لأن يطلب ماشاء ، اعترافا بفضله ، ووعده بتنفيذ كل مايطلب . فطلب درستامات أن يذهب ، ليوم واحد ، ليرى أرشك فى قلعة النسيان ليحييه ويسليه بالموسيقى . فأجابه سابور بأن هذا الطلب صعب المنال وأنه، درستامات قد خاطر بحياته حين ذكر اسم انوش بَرْد ؛ ولكنه مع ذلك يجيبه إلى ماطلب نظرا للخدمات الجليلة التى أداها له . وأرسل الملك مع درستامات ضابطا من حرسه وأعطاه خطابا عليه الخاتم الملكى ليبيح له دخول القلعة . وهكذا دخل القلعة مع ضابط الحرس ، فخلص أرشك من الحديد الذى غلت به يداه ورجلاه وعنقه ، ثم غسل رأسه ومكنه من الاستحمام ثم ألبسه أثوابا رائعة وأعد له العرش ، وهيأ له الطعام وفقا لنظام البلاط الأرمنى ووضع الخمر أمامه وفقا للتقاليد نفسها . وبهذه الطريقة انقذ درستامات أرشك من الغم ثم أخذ يسرى عنه مستعينا بالموسيقيين .

---

(١) يرى هوبشمان شبها بين هذا الاسم الأخير ، الذى نقل إلينا عن المصادر الأرمنية وحدها ، مع أنْدِ بِشْك ، وهو اسم قديم لمدينة دِزْ فول (ص ١٩ من الجزء (١) من (Armenische Grammatik)

(٢) هوبشمان ، (١) ، C ؛ نولدكه ، Tabari ، ص ١٤٤ ملحوظة ١ . وقد نزل هذا السجن كثير من أفراد الأسرات المالكة ، من بينهم أرشك الثالث ملك أرمينية . ويقول بروكوب Procope (BP ، (١) ، ٥ — ٦) إنه من هناك دبر قباد بعد عزله وسجنه السبيل إلى الفرار . ثم خلص منه بعد ذلك شيرويه أفراداً كثيرين ممن ساعدوه على عزل أبيه كسرى پرويز (پاتكانيان ، JA ، ١٨٦٦ ، (١) ، ص ٢٠٨ — ٩) .

(٣) انظر هنا ص ٢٢٦ .

(٤) لانجلوا ، (١) ، ص ٢٨٦ وما بعدها .

(٥) انظر هوبشمان ، Armen Gramm ، (١) ص ٣٨ ، عن هذا الاسم .

يقول فاوستوس « وقرب انتهاء الطعام ، وضع أمام أرشك الفواكه ، التفاح والخيار ولذيذ الأطعمة . وفى الوقت نفسه ، وضع أمامه خنجرا لكى يستعمله . وقد بذل درستامات كل مافى وسعه للتسرية عن أرشك ، ثم إنه لم يكف عن عزائه وهو واقف أمامه . وكان أرشك قد لعبت الخمر برأسه ، وأخذت الدنيا تسود فى عينيه فتذكر ماضيه وقال : ويل لأرشك ! هكذا تسير الأمور ! إنى هاهنا وقد بلغت هذا الحد ، قال هذا ثم أغمد الخنجر فى قلبه ، وكان قد أمسكه بيده ليقطع الفاكهة التى يأكلها ، وقد مات على أثر هذه الطعنة النجلاء ، فى مجلسه . فلما رأى درستامات ذلك ، انتزع الخنجر من صدره وأغمده فى جنبه فمات أيضا فى اللحظة نفسها . »

وهناك عقوبة مشهورة جدا ، يعاقب بها خاصة الأمراء الثائرون وهى سمل العيون بإبرة محماة أو بصب الزيت المغلى فى مآقى الفريسة[١]. وكان الإعدام ينفذ عادة بالسيف . وبعض الجرائم ، مثل خيانة الوطن أو الخروج على الدين كان يعاقب عليها بالصلب . ويحكى آمين مارسلن[٢] أن الفرس قد اعتادوا السلخ الكلى أو الجزئى للمجرمين وهم أحياء ، ويقول بروكوب إن قائداً أرمينا قد سلخ وعلق جلده المحشى على شجرة من أعلى الشجر[٣] . وقد حدث فى اضطهاد النصارى أن رجم الشهداء[٤]. وفى عهد يزدگرد الثانى صلب راهبتان ورجمتا على الصليب[٥] . وقتل بعض الشهداء بوضعهم كالحجارة فى البناء . وقد شاعت أيام الساسانيين العقوبة القديمة عقوبة الموت تحت أقدام الفيلة[٦] . وهناك أمثلة على أنها استخدمت فى العصور الإسلامية أيضا[٧].

---

(١) بروكوب ، BP ، ١ ، ٦ ؛ فاوستوس البيزنطى ، Langlois ، (١) ، ص ٢٣١ .

(٢) (٢٣) ، ٦ ، ٨٠ .

(٣) BP ، (١) ، ٥ .

(٤) لابور ، ص ٦١ .

(٥) نفس المرجع ، ص ١٢٧ .

(٦) نفس المرجع ، ص ١١٢ .

(٧) هوفمان ، ص ٥٣ ؛ الطبرى ، ص ١٠١٢ ، نولدكه ، ص ٣٠٧ .

ويذكر « النكاذم نسك » أنه كان من المستطاع إبقاء الأشخاص الذين يحكم عليهم بالموت لاستخدامهم فى أغراض طبية[١].

وقد عرفتنا أعمال الشهداء بكل أنواع التعذيب المحزن التى كانت تتخذها المحاكم. فكانوا يعرّضون أمام المتهمين، لتخويفهم، بأدوات التعذيب المختلفة[٢]. وكان المجرمون المسجونون يعلقون من الإصبع الخنصر، أو يعلقون ورؤوسهم إلى أسفل، وأحياناً من الرجل، وكانوا يعذبون بضربات من سياط صنعت من أعصاب البقر المجدولة[٣] وكانوا يصبون فى الجروح الخل والملح والمواد الكاوية (النقوزة)[٤]. وكانت أعضاء البؤساء تكسر أو تقطع واحدا واحدا. وكانوا يسلخون رؤوسهم أو وجوههم من الجبهة حتى الذقن، أو جلد الأيدى أو الظهر[٥] وكانوا يصبون الرصاص المذاب فى آذانهم وعيونهم، ويقطعون ألسنتهم. وقد شقوا رقبة أحد الشهداء ثم شدوا اللسان وقطعوه من الشق[٦]. وكانوا يضعون الإبر فى العيون وفى سائر الجسد[٧]، وكانوا يستمرون فى صب الخل والخردل فى أفواههم وعيونهم وخياشيمهم حتى يأتيهم الموت[٨]. وكانوا يستعملون فى الغالب آلة هى المشط الحديدى الذى يقطعون به لحم السجين، ولكى يضاعفوا العذاب، يصبون النفط على العظام التى كشف عنها اللحم ثم يشعلون فى النفط النار. ويظهر التعذيب بالعجلة والموت فوق كومة الحطب التى يغذيها النفط فى هذه المجموعة المروعة من القسوة، التى يوجد عدد كبير منها فى قانون العقوبات الهندى القديم[٩].

---

(١) دينكرد، (٨)، ٢٠، ٤.

(٢) هوفمان، ص ٥٣.

(٣) هوفمان (٨)، ص ٢٥.

(٤) هوفمان (٨)، ص ٢٩.

(٥) لابور، ص ١١٠.

(٦) لابور، ص ٦١.

(٧) هوفمان، ص ٥٥.

(٨) هوفمان، ص ٥٦.

(٩) انظر ماير، Dandins Daçakumâracaritam، ليبزج، ص ٣٦ وما بعدها

وكان أشد أنواع التعذيب فظاعة « تسع الموتات » وها هو تفصيلها : فإن الجلاد يقطع أولا أصابع اليدين ، ثم أصابع القدمين ، ثم يقطع اليدين حتى الرسغين ثم القدمين حتى الكعبين ، ثم الذراعين حتى المرفقين ، ثم الساقين حتى الركبتين ، ثم الأذنين فالأنف ثم يختم بالرأس(١) . وكانت جثث القتلى تترك للحيوانات المفترسة(٢) وأحياناً كان يعهد إلى المسجونين النصارى الذين وعدوا بالحرية أو برد الأموال المصادرة بتنفيذ القتل في إخوانهم في الدين(٣) . ومن العقوبات الأخرى مصادرة أموال المجرم(٤) ، والأشغال الشاقة التي تكون بتعبيد الطرق أو كسر الحجارة أو قطع الأشجار أو الأخشاب للمحافظة على النار المقدسة وهكذا(٥) .

ولا شك أنه يكون ظلماً للإيرانيين أن نعتقد أن ضروب القسوة التي تشهد بها أعمال الشهداء كانت متبعة في العدالة اليومية . وبصرف النظر عن المبالغات التي يمكن افتراضها في مثل هذه الروايات فإنه ينبغي أن نعتبر أنها خاصة بالاضطهادات الدينية . وهكذا تكون ضروب القسوة أثراً المزيج الخاص بين التعصب الديني والمفاسد الجنسية ، ذلك المزيج المشهور في محاكم التفتيش في أوربا إبان القرون الماضية . ثم إن العقوبات لم تكن تنفذ بحذافيرها في كل حين . وهذه بعض أمثلة من الاضطهاد الذي جرى أيام بهرام الخامس : فقد أمر مهر — سابور رئيس المغان و « كبير أعداء النصارى » بتعرية ستة عشر مسيحياً رفضوا الارتداد عن دينهم وأمر بسوقهم كل ليلة إلى الجبل حيث يتركون وقد صفدوا بالأغلال وبأن يقدم لهم من الطعام والماء ما يكفي لإبقائهم أحياء . فبعد أن استهدفوا لهذا العذاب أسبوعا نادى مهر — سابور حارسهم وسأله عن حالة هؤلاء النصارى البؤساء فأجاب الحارس بأنهم على

---

(١) هوفمان في جهات متعددة ؛ لابور ، ص ٦١ .

(٢) لابور ، ص ٦٢ .

(٣) لابور ، ص ٦١ وما بعدها .

(٤) لابور ، ص ١١١ ، حيث يشدد العقاب فيقضي على المتهم من النبلاء بالخضوع لأسوأ عبيده وبأن يترك له زوجه .

(٥) لابور ، ص ١١٤ و ١٣٠

شفا الهلاك . فقال مهر — سابور : « اذهب وقل لهم إن الملك يأمركم بالعمل برغبته وبعبادة الشمس ، فإذا لم تفعلوا فإني سأوثق بالحبال أرجلكم وأجركم فى أرجاء الجبل حتى يتساقط اللحم عن عظامكم ، وتبقى جثثكم بين الأحجار ولا يبقى منها غير العرقوب الذى شد بالحبل » وأدى الحارس الرسالة فلم يسمعها كثير منهم لأنهم كانوا فى غشية ، وقهر الألم الآخرين فاستكانوا وحينئذ أرسلهم مهر — سابور إلى سلوقية من غير أن يرغمهم على عبادة الشمس أو النار ، وهناك التأمت جراحهم فأخذوا يصومون ويصلون ويبكون لما ظهروا به من خروج على الدين . وبعد ذلك أطلق سراح خمسة عشر منهم وأرسلهم إلى بيوتهم مع أنهم رفضوا إثبات الخروج على مذهبهم بردة جديدة . ولقى الشهيد جاك وحده « تسع الموتات » بأمر من الملك ، ذلك لأنه ذكر بمصير يزدگرد الأول ، أمام محكمة الملك ، قائلا إنه لقى حتفه منبوذا من الجميع وأن جسده لم يجد رمسا يأوى إليه ، لأنه بدل سياسته الطيبة مع النصارى[١] .

ولم يكن للمحاكم العادية بوجه عام عمل فى الاضطهاد الموجه إلى الكفار . فالتحقيق والاستجواب والمحاكمة كانت تجرى كلها على يد المرازبة أو السلطات المحلية الأخرى أو ، وهو الأغلب ، على يد هيئات ملكية خاصة كان للموابذة فيها أعظم شأن[٢] . وأحيانا كان الموبدان موبد نفسه يستجوب النصارى ويصدر الحكم . يقول لابور[٣] « كان الملك والقواد والموابذة يسوقون وراءهم أفواجا من المسجونين ، وكانوا يسجنونهم متى شاءوا » . وحينما اتهم الأسقف عبد يشوع أيام سابور الثانى ، اتهمه ابن أخيه ، وهو شماس مسافح كان قد عزله ، بأنه يراسل الإمبراطور ويفشى أسرار الملك ، رأس محاكمته ، بادئ الأمر ، الأمير أردشير (أردشير الثانى فيما بعد) ، وكان يحكم أقليم اديابين ويلقب بالملك ثم رأس المحاكمة الموبدان موبد ، وكان يعاونه اثنان من المغان . وأخيرا رأسها رئيس الخصيان الذى

(١) لابور ، ص ١١٤ — ١١٦ .
(٢) انظر مثلا هوفمان ، ص ٣٨ و ٦١ وما بعدها .
(٣) ص ٥٩ .

كان « قيما لجميع فيلة الدولة »(١) . وقد ألفت محكمة تفتيش من المغان اندرزبد ، وال — سروشورز داريك وال — دستور همداذ(٢) ، وأخرى من مفتش المخازن الملكية والموبدان موبد يساعدهما رئيس الخصيان ورئيس الخلوة(٣) . وحينما بدأ « الراذ » (موظف دينى) الذى تولى قضية پيتيون Petion فى إظهار استيائه من أعمال القسوة وحاول أن يصرف النظر عن تنفيذ عقوبة « تسع الموتات » على الشهيد ، سلبه الموبدان موبد خاتم الشرف ثم عزله . وقد أرسل إليه البلاط قاضى القضاء (شهر — دادور) وكان قد عين حديثا ، ليعاونه بدلا من الموظف المعزول(٤) . وقد جرت العادة بأن من الضرورى على من يريد اتخاذ وسائل صارمة ضد أتباع الأديان المختلفة أن يأخذ إذنا خاصا من الملك(٥) .

وهكذا لم تكن العدالة مرتبطة بالقوانين العادية فى مثل تلك الحالات التى لها طابع غير عادى (حالات المحاكمات الدينية) . لأن بعض القضاة المكلفين بنظر هذه القضايا من موظفى الدولة الذين لا يستطاع افتراض معرفتهم بأصول القوانين ، فقد كان هؤلاء يتبعون أوامر ملكية غير عادية(٦) . وكانوا يتصرفون بغير محاباة أحد ، فالسريان والإيرانيون ، وأفراد الشعب والأمراء كان يحكم عليهم بالتعذيب أو بالإعدام وكان الجرم أشد إذا ارتكبه الإيرانيون الذين تخلوا عن دين آبائهم ، فإنا نجد أسماء إيرانية كثيرة بين شهداء النصارى . وقد لقى العذاب ثم الهلاك رجال من النبلاء ، بل أفراد من الأسرة المالكة ، مثل پير — گشنسپ ، ابن أخى سابور

---

(١) المرجع نفسه ص ٦٠ .

(٢) هوفمان ، ص ٥٠ — ٥١ .

(٣) لازار الفربى ، لانجلوا (٢) ، ص ٣٠٧ ؛ قارن اليزه ، المرجع نفسه ص ٣٢٠ وما بعدها .

(٤) هوفمان ، ص ٦٥ ، تصحيح شهر دبير ب شهر دادور ، انظر نولدكه Gött.gel.Anz ١٨٨ ، ص ٨٧٨ .

(٥) لابور ، ص ١١٤ .

(٦) قارن لابور ، ص ٥٧ .

الثانى[١] ، وكان قد دخل فى النصرانية وسمى نفسه بالاسم السريانى مارسابها . وقد روى اليزه قضية « لرئيس المغان » الذى كفّر بالموت عن ردته عن المزدية . فقد حدث فى عهد يزدگرد الثانى أن أحد الموابذة ، وكان قد نال لقب هُمَگ دين[٢] بسبب اطلاعاته الواسعة فى الدين الزردشتى ، وكثيرا ما أقلق نصارى أرمينية ، قد تأثر تأثرا بالغا بصلابة هؤلاء حتى دخل فى النصرانية آخر الأمر . يقول اليزه إن ناظر الأرزاق الذى تولى محاكمته على ردته ، لم يجرؤ على احتمال التبعة فى قتل رجل كبير من رجال الدين الزردشتى ، فرفع الأمر إلى الملك فأمره بأن يعمل على الحصول من السكان على اتهام هذا الموبذ بالعيب فى الملك ، فلما تم ذلك حكم عليه بالموت جوعا فى مكان قصى مهجور[٣].

والصبغة الغالبة على أعمال الشهداء السريان هى الصبغة الغالبة على قصص الشهداء . فالروح الدينى واحد فيهما ، وفى كل الأزمان ، وأعمال الشهداء القديمة أكثر اعتدالا ، وأما الحديثة منها فهى على العكس ، صيغت فى قالب مهرج يكاد لا يحتمل . ولكن يخلص من جميع أعمال الشهداء نزوع إلى التعصب والحقد يجب أن يدخل فى الاعتبار ، إذا أردنا تفهم العلاقات بين المسيحيين ورجال الدين فى إيران . ثم إن المسيحيين لم يقصروا كرههم على الزردشتيين الذين لم يكن علماؤهم الدينيون فى نظرهم غير سحرة مرذولين ، بل كانوا يكرهون الوثنيين والملاحدة . وكانوا يفترون على خصومهم كل أنواع الافتراء ، ويجتهدون خاصة فى التشكيك فى خلقهم الجنسى . وكانوا ينفرون نفورا شديدا من الغنوصيين . فأتباع هذا المذهب ، الذين يشار إليهم باسم « صدوقيين » خبثاء كاللوطيين وهم يعبدون رأس الخنزير[٤] . وأما عن « الكفر الشنيع والسنة الملوثة التى للبوربوريين الذين تتشابه مبادؤهم كثيرا مع

---

(١) كان پيرگشنسپ بن جاماسب . وكان جاماسب وآذر — افروزگرد أخوين من الأب لسابور الثانى (ذى الأكتاف) ، وكانا يحكمان أجزاء من ولاية اروستان بين نصيبين ودجلة (هوفان ، ص ٢٤ ؛ قارن ماركارت ، Eranšahr ، ص ١٦٣) .

(٢) انظر هنا ص ١١٠ .

(٣) لانجلوا (٢) ، ص ٢٣٠ وما بعدها .

(٤) هوفان ، ص ٧٦ .

مبادئ الصدوقيين «فإنه شنيع جداً أن نسمع حديث مذهبهم الآذان الطاهرة»(١). وقد جاب القديسان «سابها» و«وبهشهر يگ» البلاد فكانا يهدمان المعابد ويشيدان مكانها الكنائس والأديرة(٢). وقد عظم ربولا أسقف الرها لأنه استأصل من أسقفيته الديصانيين واليهود والآريين وأتباع مرقيون والمانوية والبوربوريين كما استأصل الصدوقيين الكفار «الذين يعتقدون، ضلالاً، في أوهام المكاشفات، ويضاهم العمى عن الحقيقة». «وقد شتت ربولا جماعاتهم، وطردهم من معابدهم التي أحسنوا بناءها، وأقام مكانهم إخواننا في الدين، وأما الذين يهتدون فكان يلحقهم بفرقته»(٣).

ومما لا يحتاج إلى الذكر أن مكاشفات النصارى لم تكن خرافات، وكذلك المعجزات. وأعمال الشهداء الحديثة تفيض بذكر المعجزات. فسابها، «هادى الكفار» قد أشار بيده إلى صخرة وقال: «اتركي مكانك» وفي الحال سمع رعد شديد وتحركت الصخرة(٤). وحينما قبض على بيتيون Péthion تحطمت السلاسل. فشد وثاقه بأطناب متينه اتخذت من أعصاب الخنزير، ولكنها مزقت قطعا بصاعقة. وقد قبل بيتيون مختارا، الأغلال، كما طلب «الراذ» الذي عهد إليه بسجنه، وسيق القديس هكذا إلى كبير الموابذة. فلما برم هذا بإجابات بيتيون جذب السلسلة بقوة، فقطعت، والجزء الذي بقي في يد الموبذ منها، احترق كأنه الشعلة. وألقي بيتيون في في السجن، ولكنه قام والمسجونين في منتصف الليل، فوقعت عنهم الأغلال وفتحت الأبواب من تلقاء نفسها. فألقي به في اليم، ولكن الماء تساند كأنه حائط وحمله من غير أن يبتل. فألقاه كبير المواابذه في نار، أشعلها فوق هيكل(٥)، ولكن النار ارتفعت واتخذت هيئة القبة فوق رأسه وبقيت هكذا أربع ساعات

(١) هوفمان، ص ١٢٥.
(٢) هوفمان، ص ٧٦.
(٣) هوفمان، ص ١٢٢.
(٤) هوفمان، ص ٧٦.
(٥) إن مثل هذا التنجيس للنار مستحيل عند المزديين.

متوالية ثم اختفت بعد أن أكلت بعض الكفار الحاضرين . فاقتادوا بيتيون إلى السجن ، مقيدا كالكلب ، وأمروا بأن لا يعطى طعاما ولا شرابا ، وبعد شهرين وجدوه حيا ، ولون وجهه نضر جميل كالإله نرساى[١]. وأخيرا حكم عليه « بتسع الموتات » وقد استمر تنفيذ هذا العذاب ستة أيام وكان يصلى طوال هذا الوقت ويقول الحاضرون « آمين ! »[٢] .

(١) انظر ص ١٤٥ .

(٢) هوفان ، ص ٦١ وما بعدها .

الفصـــل السّابع

ثورة مزدك

حالة الإيرانيين الاجتماعية أيام الساسانيين . طبقات المجتمع . الأسرة . القانون المدنى . العصر الأول من عهد الملك قباد الأول . الآراء المزدكية الثورية . تحالف قباد مع المزدكية . عزل قباد وفراره . حكم جاماسپ . عودة قباد . العصر الثانى من عهده . وراثة العرش . القضاء على المزدكيين . موت قباد .

قامت الجماعة الإيرانية على عمادين : النسب والملكية[1]. فكان يفصل النبلاء عن الشعب حدود محكمة ، وكان التميز يبدو جليا فى « المركب والملبس والمسكن والبستان والنساء والخدم[2] » أو كما جاء فى فقرة أخرى من كتاب تنسر : « ومُيز الأشراف عن المحترفة والمهنة باللباس والمركب والزينة كما ميزت أزواجهم بثياب الحرير والقصور العظيمة والسراويل وغطاء الرأس والصيد وبكل مزايا الأشراف[3] ». وكان رجال الحرب يتمتعون بدرجة « أعلى من تلك الجماعات كلها[4] » . وكثيرا ما جاء فى شاهنامة الفردوسى ذكر القلنسوة الملكية والخفاف المزركشة التى كانت من خصائص العظماء .

وعلاوة على هذا وجدت الدرجات الاجتماعية فى جميع الطبقات : فكان لكل فرد مرتبته ومكانه المحدد فى الجماعة ، وكان من قواعد السياسة الساسانية المحكمة ألا يطمع أحد فى مرتبة أعلى من المرتبة التى يخولها له مولده . وقد حكى سعد الدين

---

(١) عن نظام الطبقات فى الجماعة انظر صفحات ١ و ٨٥ وما بعدها .

(٢) كتاب تنسر ، الترجمة العربية ص ٤٠ .

(٣) كتاب تنسر ، ص ٤٨ ؛ أما أن النساء كن يشتركن فى الصيد فهذا ما يبينه قصص بهرام گور .

(٤) كتاب تنسر ، ص ٤٨ .

الورويني في كتابه « مرزبان نامة[1] » حكاية مهما تكن خرافية في صيغتها فإنها مفيدة فيما نتحدث عنه ؛ ذلك أن أحد الملوك الساسانيين قد أمر بإعداد وليمة يدعى إليها الناس من جميع الطبقات ، من أعظم النبلاء إلى أحقر الفقراء ، وأن يجلسوا على مراتبهم ، ثم قدمت لهم أفخر الأطعمة . وقد جلس على المائدة جماعة من موظفي الدولة ورجال الديوان لعرض المظالم حتى ينال الآثمون جزاءهم ، وفقا لرسوم الشريعة المقدسة . ثم اعتلى الملك عرشه وأمر المنادي بإذاعة هذا المقال : « أيها الحاضرون أمام الملك افتحوا جميعا عيون بصائركم ! أنتم ، أيها الحاضرون من الندماء ورجال الديوان ، انظروا إلى من هم أقل منكم طبقة ، ولا تتطلعوا إلى الطبقة الأعلى منكم ، ليقنع كل منكم بما هو فيه وليشكر الله على المرتبة التي هو فيها حين ينظر إلى غيره ممن هم أقل منه » وهكذا أخذ كل فرد ينظر إلى من هم أدنى منه مرتبة . حتى أن الذين كانوا في آخر مرتبة من أدنى طبقة أحسوا السعادة بالنسبة لمن أدى بهم سوء سلوكهم إلى التعزير ، وكان هؤلاء يحسون أنهم أعلى منزلة ممن عوقبوا ليكونوا مثلا رادعاً لغيرهم ، وكان من حكم عليه بمثل هذه العقوبة ، حين يرى من صلب أو قطعت رقبته أو قتل بطريقة أخرى يعد نفسه سعيداً لأنه ليس في مكان أحد منهم . ويضيف المؤلف إلى ذلك قوله إن إقامة مثل هذه المآدب أصبحت منذ ذلك اليوم عادة عند ملوك إيران .

وكانت القوانين تصون شرف النسب في الأسرات كما تحفظ أملاكهم الثابتة .

أما الأسرة المالكة فقد حفظ لنا كتاب « فارس نامه »[2] رواية مهمة يحتمل أن يكون مأخذها عن « الآيين نامگ » : « وكانت عادة ملوك إيران أن يتزوجوا من بنات جميع الملوك الأجانب كملك الصين وبيزنطة وملوك الترك والهند ولكنهم لايزوجون بناتهم من أحد هؤلاء الملوك ، فإنهم لايزوجوهن من غير أفراد أسرتهم » .[3]

---

(١) مرزبان نامه ، نشر ميرزا محمد قزويني ، لندن ١٩٠٩ (GMS ، (٨)) ، ص ٢٧٧ وما بعدها .

(٢) ص ٩٧ — ٩٨ .

(٣) انظر مع هذا ص ٩٦ ، ملحوظة ٢ ؛ ص ٢٧٨ والملحوظة ٣ .

وكانت الأسرات الكبيرة تقيد فى الكتب والدواوين[١] ، وكانت الدولة تعنى بحياتهم كما كانت تمنع أفراد الشعب من شراء أملاك النبلاء . إلا أنه لم يكن مفر من انقراض بعض الأسرات النبيلة على مضى الزمن . يقول كتاب تنسر[٢]:

« إن فساد البيوتات والدرجات نوعان : أولهما أن يهدم القوم البيت وأن يجيزوا وضع درجتهم فى غير موضعها . والثانى أن يحط الزمن نفسه ، بغير سعى من أحد ، عزهم وبهاءهم وجلال قدرهم وينشأ منهم عقب لاخير فيه ، يتخذون من أخلاق الأجلاف شعاراً ، ولا يعنون بكريم الخصال ، ولما كانوا يشتغلون بالمهن لكسب المال فيذهب مالهم فى نفوس العامة من وقار ، ولا يعبأون باكتساب الفخار ويصاهرون السفلة ومن ليس كفئاً لهم ، وينسلون من هذا التوالد السفلة مما يؤدى إلى تهجين المراتب » .

وتذكر أعمال الشهداء مسائل شتى عن أحوال النبلاء . بعد وفاة شهربن رئيس أسرة مهران أرسل أخوه فى طلب ابنه جشن يزداد (القديس سابها) الذى كان عليه « يوم القربان » أن يرأس احتفالات الغذاء المقدس التى تقام على أراضى الأسرة ، وهو واجب يقع على عاتق رئيس الأسرة ، ولو كان قاصراً كالواقع فى هذه القصة ، لحين علم العم الذى كان وصياً على جشن يزداد أن هذا قد دخل فى المسيحية اعتبر نفسه المالك الشرعى لأموال البيت . فمن الممكن أن نفترض أن الخروج على الدين كان يترتب عليه ، على الأقل فى فترة من عهد الساسانيين فقدان الإقطاعات الوراثية وتؤول حينئذ إلى أقرب وارث . وفى القصة التى نتحدث عنها توفى العم بعد ذلك بأيام . واستولى جشن يزداد على ثروته التى وزعها بين الفقراء[٣] . ولا ندرى هل أقر هذا التصرف .

---

(١) كتاب تنسر ، الترجمة العربية ، ص ٤١ .

(٢) كتاب تنسر ، ص ٤٠ . ومما يلاحظ أن كتاب تنسر قد كتب بعد الانهيار الاجتماعى الناشىء عن المزدكية التى سنتناولها فى هذا الفصل :

وقد رتب المؤلف كثيراً من النتائج على هذه النظرية التى نخالفه فيها فإننا نذهب إلى أن كتاب تنسر كتب أيام أردشير لا أيام كسرى أنو شروان (مقدمة كتاب تنسر ، ترجمة الخشاب) .

(٣) هوفمان ، ص ٦٨ وما بعدها .

كان هناك تمييز واضح بين الطبقات المختلفة للعامة . فكان لكل فرد مكانه المحدد ، وحرم على الواحد منهم أن يشتغل بغير الصناعة التى خلقه الله لها(١) . يقول المؤلف المجهول لكتاب « مينوگث خرد »(٢) :

« إن من واجب الصناع ألا يتدخلوا فى الأعمال التى لايعرفونها ، ولكن عليهم أن يتقنوا ويعنوا بالعمل الذى يعرفون ، وأن يطلبوا عنه الأجر القانونى ، ذلك لأن الصانع إذا اشتغل بعمل لايعرفه يفسده ويصبح بسبب تدخله عديم الجدوى » .

وقد جاء فى تاريخ أبى الفدا(٣) أن ملوك إيران لايعهدون إلى ذوى الأصل الوضيع بأى عمل من أعمال الديوان . ويروى الفردوسى قصة تبين إقصاء العامة عن هذا المجال : كان كسرى الأول فى حاجة إلى المال للمضى فى إحدى حروبه مع الروم . وكان أحد الإسكافيين مستعداً لإقراض الملك مبلغا كبيرا من النقود ، وكان الإسكاف فى أساطير الفرس أيام الساسانيين يمثل أحط رجال الطبقة الدنيا ، ومع هذا تم الاتفاق على القرض وبعث الرجل الجمال محملة بالمال . وقد سر الملك بأريحيته وأمر حين رد المال إليه أن يزاد مبلغ كبير عليه . ولكنه كان طموحاً وكان يود لو رأى ولده بين الكتاب ، كتاب الملك . فلما سمع كسرى بهذه الرغبة أمر بإعادة الجمال وما تحمل رافضاً أن يأخذ القرض بهذا الثمن . قال : حينما يرقى ولدى إلى العرش يحتاج إلى كاتب سعيد الحظ فإذا كان لابن الإسكاف هذا مقدرة ، فإن الملك لن يرى إلا بعينيه ولن يسمع إلا بأذنيه ، ولا يبقى لأهل الذكاء من الأشراف غير الحسرة والأسف ، وإنه مهما اعتلت درجته استهان بذوى الألباب واستعظم لهم فى الثواب رد الجواب(٤) .

وقد كان الانتقال من طبقة إلى أخرى أعلى منها محظوراً ، بوجه عام ؛ وإنما كان يقع هذا ، على سبيل الاستثناء ، حينما يظهر أحد العامة موهبة خاصة . « فنى

---

(١) كتاب تنسر ، ص ٣٥ .

(٢) الفصل ٣٢ .

(٣) Hist. anteislamica ، نشر فيشر ، ص ١٥٠ .

(٤) شاهنامه ، نشر مول ، (٦) ، ص ٥١٢ وما بعدها ؛ شاهنامه البندارى (عزام) ج ٢ ص ١٦٤ .

تلك الحالة يرفع الأمر إلى الملك وبعد اختيار الموابذة والهرابذة إياه وطول مشاهدتهم له ، فإذا رأوه مستحقاً أمر الملك بإلحاقه بغير طبقته »[١] فإذا كان يمتاز بالتقوى المحققة فإنه يدخل فى سلك رجال الدين ، وإذا كان موهوباً بالقوة والجسارة ألحق بطبقة رجال الحرب ، وإن امتاز بالذكاء وكانت له ذاكرة قوية ، ألحق بالكتاب . وعلى كل حال كان هذا الترقى إلى طبقة أعلى محاطاً بحدود قوية[٢]. وكذلك لم يكن رفع العوام إلى طبقة النبلاء ممنوعاً ، فقد كان للملك فى هذه الترقية وسيلة لإدخال دم جديد فى دماء الأشراف ، ولكن هذا الحادث كان نادراً جداً .

ومهما يكن فقد كانت حالة العامة من سكان المدن أحسن نسبياً . فقد كانوا يدفعون الجزية كالفلاحين[٣]، ولكن يظن أنهم كانوا معفيين من الخدمة العسكرية . وكانوا يستطيعون كسب المال وبعض المكانة باشتغالهم بالتجارة والحرف . وأما الفلاحون فكانوا أسوأ من هؤلاء حالا .

كانوا تابعين للأرض ، ومجبرين على السخرة[٤] ، وعلى الخدمة العسكرية رجالة . فكانت كثرتهم العظمى « تسير وراء الجيش كأنها ذاهبة إلى إذلال أبدى ، وبغير أجر يحفزها ولا مكافآت أخرى »[٥]. وبالجملة لم تقرر القوانين كثيرا من القواعد لحماية الفلاحين ، بل إن أوصى ملك من أصدقاء الرعية مثل هرمزد الرابع بألا يقسو الجيش على السكان المسالمين فى القرى[٦] ، فإنه كان يقصد من هذا

---

(١) كتاب تنسر ص ٣٥ .

(٢) كتاب تنسر ص ٣٥ — ٣٦ .

(٣) وقد استثنى من دفع الجزية أهل البيوتات والعظماء والمقاتلة والهرابذة والكتاب ومن كان فى خدمة الملك (الطبرى ، ص ٩٦٢ ، نولدكه ، ص ٢٤٦) . والأمر يتعلق براسيم كسرى الأول الخاصة بتوزيع الجزية والخراج ، ومن الممكن القول أن هذه القواعد فى هذا الموضوع كانت هى نفسها تقريبا قبل إصلاح كسرى .

(٤) انظر الطبرى ، ص ٨٧٥ ، الأسطر ١ — ٢ ؛ نولدكه ، ص ١٢٢ ، السطر ١٠ — ١١ .

(٥) آمين مارسلان ، (٢٣) ، ٦ ، ٨٣ .

(٦) الطبرى ، ص ٩٨٩ ؛ نولدكه ، ص ٢٦٥ .

مراعاة الدهاقين أكثر من الفلاحين . وليس لدنيا أخبار أكثر تحديداً عن حالة الفلاحين الخاضعين للنبلاء الذين « يدعون حق منح الحياة أو منعها فى العبيد والشعب »(١) ، ولم يكن مكان الفلاحين من السادة المالكين ليختلف مطلقا عن موقف العبيد المحكومين منهم . ولسنا نعلم أكان للوالى الذى يعينه الملك بعض السلطة على الإقطاعات التى فى ولايته ، وهل كانت حصانة هذه الاقطاعية حصانة كلية أم جزئية ، وهكذا . والمؤكد هو أنه كان على الرعايا أن يدفعوا الضرائب لصاحب الإقطاع أو للدولة أو لهما معاً ، وأنهم كانوا ملزمين بالخدمة العسكرية تحت رياسة صاحب الإقطاع .

وكان للزراعة شأن عظيم ، وقد مجدتها الكتب المقدسة كثيراً ، ونعلم من ذلك أن المركز القانونى للزراع قد نظم بدقة . وقد تضمنت أجزاء كثيرة من الأوستا وخاصة نسكى هسپارم وسكادم مجموعة كاملة من القواعد فى هذا الوضوع(٢) . وأما الرى الذى كان عماد الزراعة فى الدولة ، كما هو الحال اليوم ، فقد نظم تنظيما مفصلا . كانت هناك قواعد خاصة بأنواع القنوات المختلفة ، وبطرق السدود ، وملاحظة الترع وتطهيرها وشروط استعمالها وهكذا(٣) . وكانت عندهم قواعد محددة تناولت عدد الأغنام ، وحالة الرعاة ، كما تناولت مظاهر العناية ، الواجب توجيهها نحو كلاب الراعى . وكان للكلاب ، كما نعلم ، منزلة كبيرة عند الزردشتيين ، وقد تناول جزء بأكمله من نسك دُوزْدَسَرْ نِزَد الحماية القانونية الواجبة للكلب الراعى(٤) .

هذا هو ما بين الطبقات الاجتماعية من تفاوت . وقد كان هناك تفاوت آخر بين الإيرانيين وغيرهم ، ونجده غالباً فى ملخص الأجزاء الضائعة من الأوستا . فقد وجدت قواعد مذهبية يجب مراعاتها إذا اجتمع مثلا إيرانيون مع الوثنيين على مائدة

---

(١) آمين مارسلن ، (٢٣) ، ٦ ، ٨٠ .

(٢) دينكرد ، (٨) ، ٣١ ، ٣١ — ٣٢ ، ٣٤ — ٣٦ ؛ (٨) ، ٣٨ ، ٣٥ وهكذا .

(٣) « ، (٨) ، ٣٨ ، ٤٤ — ٥١ (نسك سكاذم) .

(٤) « ، (٨) ، ٢٣ .

واحدة[١] . والمستخدم الأجنبي كان ينقد على خلاف نظيره من أفراد الدولة المزدية ، بشروط خاصة فى كل حالة[٢] . وقد أجيز الزواج من الأجانب فى ظروف معينة[٣]. ولكن ليس لدينا تفاصيل عن هذا الموضوع . وكانت أوضاع الجماعة الساسانية ينظمها قانون مدنى ناضج يقوم على الأوستا والزند ، وقد حوى الملخص الذى جاء فى الدنيكرد كثيراً من النبذ المتعلقة بمسائل القانون المدنى ، من غير تعرض للتفصيل فى الغالب . ولكن توجد معلومات أكثر تفصيلا ، تذكر فى الغالب مع تأويلات متفاوتة للفقهاء ، فى نصوص « ماذيگان هزار دادستان » ، وهو كتاب قانون من العصر الساسانى . وقد درس بارتولومويه بعض أجزائه[٤] ، ومن الممكن أن نقارن به النص السريانى لمجموعة القوانين الساسانية التى كتبها عيشو بخت[٥] .

وقد قامت الأسرة على أساس تعدد الزوجات . وقد كان عدد الزوجات ، اللاتى يتخذهن الرجل من الناحية العملية ، على قدر يساره ، وكان المضيق عليهم فى الرزق يتخذون ، بوجه عام ، زوجا واحدة . وكان لرب البيت (كذگ خداى) رياسة الأسرة (سردارى دوذگ)[٦] .

وكانوا يميزون الزوج الرئيسية (زن پادشائيها) ، وهى الزوج « بالمعنى الكامل » أو الزوج « الممتازة » ، عن الزوج التى فى المرتبة الثانية أو الزوج الخادمة (زن چگاريها)[٧] . وكانت الأحكام القانونية لهاتين الطبقتين من الزوجات مختلفة[٨] . والظاهر أن الطبقة الثانية كان منها الرقيق المشترى والسبايا[٩] . ولا نعلم

---

(١) دينكرد ، (٨) ، ٣٨ ، ٦١ — ٦٢ (سكاذم) .
(٢) دينكرد ، (٨) ، ٣٢ ، ١ (سكاذم) .
(٣) دينكرد ، (٨) ، ٣٠ ، ١١ (هسپارم) .
(٤) انظر هنا ص ٤٣ و ٢٨٨ .
(٥) انظر ص ٤٤ .
(٦) بارتلومويه ، Rechtsbuch ، ص ٨ ؛ .Z. sas. Recht ، (١) ، ص ٣١ ؛ (٢) ، ص ٢١ .
(٧) Z. sas. Recht ، (١) ، ص ٣١ .
(٨) بارتلومويه ، Die Frau im Sasanidischen Recht ، ص ١٣ .
(٩) آمين مارسلان ، (٢٣) ، ٦ ، ٧٦ .

أ كان عدد الزوجات الممتازات محدداً ، ولكن كثيراً ما يشار فى المسائل القانونية إلى حالة الرجل الذى له زوجتان ممتازتان . وكانت كل زوجة ممتازة ربة لبيت (كذك بانوگث)[١] ، ولذا كان لكل واحدة بيت خاص بها[٢] . وكان للمرأة الممتازة الحق فى الطعام على زوجها طيلة حياتها ، وللابن هذا الحق حتى يبلغ وللبنت حتى تتزوج . وأما الزوج الخادمة فأولادها الذكور وحدهم يتبنون فى أسرة الأب[٣]. وقد ذكرت الكتب البارسية الحديثة ستة أنواع من الزواج[٤] ، ولكن يبدو أن القانون الساسانى لم يعرف غير النوعين الذين ذكرناهما[٥] . وكان النصارى يعيبون على الزردشتيين أن الزواج كان سهل العقد وسهل الحل ، ولكن هذا اللوم يبدو جائراً[٦].

وقد اقتضت العناية بنقاوة دم الأسره — التى كانت من الصفات البارزة فى عادات الجماعة الإيرانية — جواز الزواج بين المحارم : بين الأب والبنت ، والأم والابن ، والأخ والأخت ويسمى هذا النوع من الزواج « خويذ وگدس » (فى الأوستا خْوِيثْ وَدَثَه) . وعادة زواج المحارم قديمة عند الفرس ؛ ويمدنا تاريخ الأكمينيين بأمثلة كثيرة منه[٧] . وإن كان المعنى الصحيح للكلمة الأوستية خويث ودثه لا يستخرج من فقرات الأوستا التى ذكرت الكلمة بها ، فالذى لا شك فيه

---

(١) قارن بالفارسية الحديثه كدبانو .

(٢) Z. Sas. Recht ، (١) ، ص ٣٦ .

(٣) Rechtsbuch ، ص ٧ .

(٤) وست P.T. ، (١) ، ص ١٤٢ — ١٤٣ ، كما جاء فى الروايات ، انظر كريستنسن ، L'empire des Sassanides ، ص ٤٩ وما بعدها .

(٥) Z. sas. Recht ، (١) ، ص ٣ وما بعدها .

(٦) هوفمان ، ص ٩٦ . القضية هنا عجيبة ، فى هذه الحالة على الأقل : فإن مهر — گشنسب قد اعتنق النصرانيه مما اضطره إلى ترك زوجه التى هى أخته .

(٧) كان لقمبيز زوجة هى أخته اتوسا وأخت أخرى كذلك ؛ وكان دارا الثانى متزوجا من أخته پاريساتس ، وكان أرت خشتر (أردشير) الثانى متزوجا من بنتيه آتوسا وامستريس ، وتزوج دارا الثالث بنته ستاتيرا .

أن الأجزاء الضائعة قد قصدت بهذه الكلمة الزواج من المحارم وقد مجد آل — «خويذ وگدس» فى النسكين «باغ»[(١)] و«وَرْ شتمان سَر»[(٢)] حيث قيل إن الزواج بين الأخ وأخته منور بمجد إلهى وله فضيلة طرد الشيطان . وقد ادعى الشارح نرسى برزمهر أن زواج المحارم ، خويذ وگدس ، يمحو الكبائر[(٣)]. ثم إن العادة الإيرانية ، عادة الزواج من الأخت أو البنت أو الأم لم يشهد بها ، فى العصر الساسانى ، الكتاب المعاصرون مثل أچاثياس[(٤)] والمؤرخ الذى يسمى نفسه ابن ديصان[(٥)] فحسب ، بل إن تاريخ العصر نفسه يمدنا بكثير من أمثلة هذا النوع من الزواج . ومن الجائز أن يكون الولى أرداگ ويراز — الذى اتخذ من إخوته السبع زوجات له[(٦)] — شخصا خياليا . ولكن ها هو ذا المغتصب بهرام چوبين ، الذى سنتحدث عنه فيما بعد ، قد اتخذ أخته كردية زوجا له ، وها هو ذا مهران — گشنسپ الذى كان قد تزوج أخته قبل أن يدخل فى المسيحية « عملا بالعادة القبيحة النجسة التى يبيحها هؤلاء الضالون[(٧)] » . وأخيراً نجد فى كتاب قانون سريانى (خاص بالزواج) من تأليف البطريق ماربها الذى عاش أيام كسرى الأول[(٨)] ، الفقرة الآتية : « إن العدالة العجيبة عند عباد أوهرمزد تقضى بأن يكون للرجل صلات شهوانية مع أمه وبنته وأخته » . ويروى الزردشتيون أمثلة من القصص الخرافى يثبتون بها قداسة هذا العمل[(٩)] .

---

(١) دينكرد ، (٩) ، ٦٠ ، ٢ — ٣ .

(٢) دينكرد ، (٩) ، ٤١ ، ٢٧ .

(٣) شايست ناشايست ، (٨) ، ١٨ .

(٤) (٢) ، ٢٤ .

(٥) لانجلوا ، (١) ، ص ٨٣ ؛ قارن المصادر التى يذكرها فى الهامش المترجم الفرنسى .

(٦) إرداگ — ويراز — نامك ، ٢ ، ١ .

(٧) هوفمان ، ص ٩٥ .

(٨) ساخاو ، Syrische Rechtsbücher ، (٣) ، ص ٢٦٥ .

(٩) قارن فى مسألة خويذوگدس ، وست ، PT ، (٢) ص ٣٨٩ وما بعدها وانسترنتزف ، SE ، ص ١١٦ وما بعدها ، وقد ترجمها عن الروسية بوجدانوف ، J. Cama. Or. Inst ، رقم ٧ ، ص ٦٠ وما بعدها .

وإزاء هـذه الأدلة الصحيحة التي نجدها في المصادر الزردشتية وعند الكتاب الأجانب المعاصرين على السواء نرى الجهود التي بذلها بعض البارسيين المحدثين لنفي وجود زواج المحارم في إيران الزردشتية لغوا من القول . مثل التأويل الذي يقترحه بلسارا[١] ، إذ يقول « إنه يظهر أن « خويذ وگدس » تعني العلاقات بين الله والإنسان عن طريق حياة مقدسة » ، وإنه إن كانت ، أزمنة الكتب البهلوية ، قد لصقت بهذه العبارة فكرة السفاح بين الأقارب ، « فإن هـذا ينبغي أن ينسب جملة إلى الفلاسفة الشيوعيين مثل مزدك ، وليس إلى الزردشتية » . والواقع أن زواج المحارم كان لا يعتبر سفاحا ، بين الأقارب ، ولكنه عمل صالح يثاب عليه صاحبه من الناحية الدينية . ولعل السائح الصيني هيون تسيانج Hiuen Tsiang يشير إلى هذا النوع من الزواج إذ يقول إن عادات الزواج عند الإيرانيين في زمانه[٢] كانت الاختلاط المطلق[٣] .

وكان على الوالد الذي يولد له طفل أن يعلن شكره لله بمراسم دينية معينة ، ويبذل الصدقات ؛ ولكن هـذه الواجبات كانت أقل شأنا في ولادة بنت منها حين ولادة ابن[٤] . ثم تأتي تسمية الطفل . فالتسمية بأسماء الوثنيين تعتبر إثماً كبيراً[٥] . والأسماء الزردشتية — أيام الساسانيين — التي عرفناها من الروايات التاريخية أو من الكتابة على الأحجار الثمينة كانت كلها ، تقريباً ، أسماء أشخاص من الطبقات الممتازة . وهي في الغالب ذات طابع ديني . فهي مثلا أسماء آلهة مثل هرمزد (أوهرمزد — أهورا — مزده) ، بهرام (ورثراغنا) ، نرسى (نَـيْريُوسنها) ، أو تركيب من اسمين من أسماء الآلهة مثل مهر — نرسى (ميثرا + نيريوسنها) ، أو تركيب من جزئين أحدهما اسم أحد الآلهة : مهر — وراز (ميثرا + الخنزير البري) ،

---

(١) ائير پتستان ونيرنجستان ، ص ١٠ ، ملحوظة ٥ .

(٢) في أوائل القرن السابع الميلادي .

(٣) بيل ، Budhist Records of the Western Worl ، (٢) ، ص ٢٧٨ .

(٤) دينكرد ، (٨) ، ٣١ ، ١٣ — ١٤ (نسك هسپارم) .

(٥) دينكرد ، (٨) ، ٣١ ، ١٥ (هسپارم) .

مهر — بوزيد (ميثرا تنجى) ، زروان — داد (الذى خلقه زروان) ، يزد — بوخت (الذى خلصه الله) ، أناهيد — پناه (العائذ بأناهيتا) وهكذا . وكانت الأسماء المركبة مع كلمة آذر (النار) شائعة جداً ، مثلا آذر بزى (النجاة بالنار) ؛ والأسماء التى تذكر بمعابد النار الكبيرة : آذر — گشنسپ ، گشنسپ ، مهران — گشنسپ[1] ، گشنسپ — فر (له مجد گشنسپ) ، آذر — فربغ ، فربغ ، برزين ، پناه — برزين (العائذ برزين) . ونجد أيضاً أسماء مركبة من ثلاثة أجزاء مثل آذر — خورشيد — آذر (نار — شمس — نار) . وقد يعبر الاسم عن علو نسب الطفل : شاهپور (ابن الملك) ؛ أو قد يتضمن فألا حسنا : پیروز (الظافر) ، نام — ويه (صاحب الاسم الطيب) . وكانت الأسماء المصغرة تصاغ بطرق مختلفة ، والغالب أن يحذف المقطع الأخير من الاسم وتحل محله النهاية أويه : ماهويه (من ماه بمعنى القمر مضافاً إليه الجزء الآخر) ، يووا نويه (من يو وان بمعنى الشاب أو البطل) . ويغلب أن تنتهى أسماء السيدات بكلمة دخت (بنت) : هرمزد — دخت ، يزدان — دخت (بنت الله أو الآلهة ، إن لم يكن يزدان اسم والدها) ، آذر ، ميدخت (الفتاة الطاهرة) ، أو بلفظ أگ : دينگ (من دين) ، وردگ (من ورد بمعنى الوردة) . وكانت صفات المدح تستعمل كأسماء للسيدات : شيرين (الناعمة) .

ومنذ منتصف القرن الخامس سرى استعمال الأسماء المأخوذة عن التاريخ القصصى القديم . فالملك كواذ (قباد) يحمل اسم الملك القديم كواته Kavata الذى تعرفه بشتات الأوستا . وقد تسمى أناس فى القرون الخامس والسادس والسابع بأسماء ترجع إلى هذا الوسط نفسه مثل خسرو ، سياوش ، رستهم (رستم بالفارسية) وغيرهم . وهذه الأسماء تشهد بما كان من حب لقصص الأزمنة الخالية المملوءة بالمفاخر . وفى أثناء هذه القرون اتخذ التاريخ القصصى الصورة التى وجد عليها فى الخداينامگ[2]

---

(١) نطق شعبى : مهرام — گشنسپ (أعمال الشهداء) .

(٢) انظر هنا ص ٤٦ . قارن كريستنسن ، Les Kayanides ، ص ٤٠ وما بعدها .

ومن الواجب حماية الطفل الصغير من عين السوء ، وأن يحترز من أن تقرب الطفلَ حائض ، ذلك لأن النجاسة الشيطانية التى أصابت هذه المرأة تسبب للطفل سوء الحظ[١] . وكانوا يطردون الشياطين بالنار ، وذلك بالإضاءة لا سيما فى الليالى الثلاث التى تلى الولادة ، وكانوا يعطون الطفل عصارة نبات الهوما ويذيقونه زبدة الربيع[٢] . وينبغى أن تكون العناية بالطفل من الرضاعة واللفة وغير ذلك ، طبقاً لأصول الدين[٣] . وكان لحلق شعر رأسه أول مرة قواعد دينية أيضاً[٤] .

ويعهد بتربية الطفل إلى أمه ، أو عند الحاجة إلى العمة أو إلى الإبنة البالغة من الأب إذا لم يكن غيرها[٥] . وإن لم يبرّ الولد أباه كما يجب له ، فإن جزءً من ميراثه قد ينتقل إلى أمه على شرط أن تكون أهلا لذلك[٦] . أما البنت فيقع عبء تعليمها الدينى على عاتق أمها ، ولكن للوالد[٧] الحق فى أن يزوجها . فإذا كان الأب ميتاً فإن تزويجها يناط بشخص آخر[٨] ؛ يناط بالأم أولا ، فإن كانت متوفاة عهد به إلى أحد الأعمام أو الأخوال . وأما البنت نفسها فلا تملك أن تختار زوجها[٩] . ثم كان لزاماً على الأب أو من ينوب عنه فى الولاية على البنت أن يزوجها بمجرد بلوغها ، ومن الإثم إهمال تحقيق رغبتها الشرعية فى أن تكون أماً[١٠] .

وكانت الخطوبة تتم غالباً أثناء الطفولة ؛ وأما الزواج فيعقد فى السن المبكر . وينبغى أن تتزوج الصبية فى الخامسة عشرة من عمرها[١١] . والغالب أن الزواج يتم

---

(١) دينكرد ، (٨) ، ٣١ ، ٢١ — ٢٢ (نسك هسپارَم) .
(٢) « ، (٨) ، ٣٨ ، ٦ — ٧ (نسك سكاذم) .
(٣) « ، (٨) ، ٣٥ ، ٩ (هسپارم) .
(٤) « ، (٨) ، ٣٨ ، ١٩ (سكاذم) .
(٥) « ، (٨) ، ٣١ ، ٩ — ١٠ (هسپارم) .
(٦) « ، (٨) ، ٤٣ ، ١٣ (سكاذم) .
(٧) « ، (٨) ، ٤٣ ، ١٠ (سكاذم) .
(٨) « ، (٨) ، ٢٠ ، ٨٩ (نسكاذم) .
(٩) « ، (٨) ، ٤٣ ، ١١ (سكاذم) .
(١٠) « ، (٨) ، ٤٣ ، ٢٠ (سكاذم) .
(١١) « ، (٨) ، ٢٠ ، ٩٥ (نكاذم) .

بواسطة « الخاطبة »[١] . وكان المهر محدداً . ثم إن على الزوج أن يدفع إلى والد العروس مبلغاً من المال ، ولكن كان له حق استرداد ماله فى أحوال معينة ، أى (إذا كانت العروس ، بعد الزواج لا تساوى المبلغ المدفوع)[٢] ، والظاهر أن هذا التعبير يقصد به العقم . ثم ليس للأب الحق فى إجبار البنت على قبول الزوج الذى اختاره لها ، فإذا رفضت فليس للأب الحق فى حرمانها من الإرث لهذا السبب . وبعد الزواج تنتقل أهلية القيام بالأعمال الخيرية من الزوجة إلى زوجها[٣] .

وإذا اتصلت التى عنست برجل صلة غير شرعية فإنها تحتفظ بحق النفقة عليها من أبيها وبنصيبها من الإرث ، على شرط أن تقطع هذه الصلة ، وأما الأطفال غير الشرعيين فإن نفقتهم تكون على جدهم لأمهم[٤] .

وكان للزوج ، بمقتضى عقد قانونى ، أن يجعل زوجه شريكة له ؛ فتصبح شريكته فى ملك الثروة ، وتملك التصرف فيها كزوجها تماما[٥] . وبهذه الطريقة وحدها تستطيع الزوج أن تتعاقد مع غيرها ، لأنها تعتبر ، بالنسبة لمثل هذه العقود وما يترتب عليها من آثار قانونية ، كأنها خارجة عن نطاق الزواج (الذى تقتصر أهلية التعاقد فيه على الزوج وحده) فتتمكن مقاضاتها دون اشتراط رضا الزوج . وفى هذه الحالة يستطيع الدائن أن يطالب بحقوقه قبل الزوجة أو الزوج على السواء[٦] . بل كان فى وسع الزوج أن يبرم مع زوجتين ممتازتين له « عقد منفعة متبادل » (هم° وند يشينه) وفى هذه الحالة يكون لكل من الزوجتين ربحها شائعا مع الزوج ، ومنفصلا بالنسبة للزوجة الثانية . وللزوج أن يفسخ هذه « الشركة » فى كل وقت ولكن الزوجتين

---

(١) بارتلومويه ، Zur Kenntniss der milleliranischen Mundarten ، (٢) ، ص ٦ .

(٢) دينكرد ، (٨) ، ٢٠ ، ٩٤ (نكادم) .

(٣) Z. sas. Recht ، (٥) ، ص ١٠ وما بعدها ، ٢٧ وما بعدها ، ٣٨ ؛ Die Frau ، ص ١٠ — ١١ .

(٤) Rechtsbuch ، ص ١٥ ، ملحوظة ؛ Z. sas Recht ، (٥) ، ص ٧ ؛ Die Frau ، ص ١١ .

(٥) Z. sas Recht ، (١) ، ص ٢٧

(٦) المرجع نفسه ، ص ٢٥ وما بعدها .

لا تملكان هـذا الحق . ولـكن إذا كانت شركة تجارية بين رجلين فإن لـكل منهما الحق فى فسخ العقد حين يريد(١) . وهناك قواعد خاصة بحق الزوجة الممتازة فى التصرف فى أموال الأسرة فى الحالة التى يصاب الزوج فيها بمرض عقلى(٢) . .

وكان والد الأسرة عادة صاحب الولاية العامة ، يتصرف فى دخل زوجه الخاص ، وكذلك فى دخـل عبيـده ؛ ولـكن مع هـذا الفارق وهو أن الزوج إذا طلق زوجته كان ملزما بأن يرد إليها ما أخذ من مالها الخاص ، وأما إذا أعتق الرقيق فإن هذا لا يستطيع أن يطالبه بشىء(٣) . وحين يتم الطلاق برضا الزوجة لا يكون لها الحق فى استبقاء الأموال التى كان الزوج قد أعطاها لها أثناء الزواج(٤) ، وهذه القاعدة تتضمن أن للزوجة هذا الحق ، كله أو بعضه ، إذا طلقت على غير رضا منها(٥) .

وإذا قال زوج لزوجته « إنك طالق من الآن » (تستطيعين التصرف بحرية فى شخصك) فإنها لا تخرج بهذا عن عصمته ، إنما يؤذن لها بهذه الكلمة أن تكون « زوجة خادمة » لزوج آخر . وفى نكادُم — نسك(٦) إشارة ، فيما يظهر ، إلى هذه السنة التى أدت إلى كثير من التدليس . وإذا طلق زوج زوجته من غير أن يمنحها ، صراحة الحق فى التصرف بحرية فى شخصها ، فإن الأولاد الذين تلدهم من الزواج الجديد ، أثناء حياة الزوج الأول ، يلحقون بهذا الزوج ، وهذا يقتضى أنها تظل تحت ولايته(٧) .

وفى وسع الزوج أن ينزل عن زوجته أو إحدى زوجاته ، ولو زوجة ممتازة ، إلى رجل آخر قد وقع فى الفاقة بغير تقصير منه ، وذلك ليستغنى بعملها . ولم يكن

---

(١) Z. sas. Recht ، (١) ، ص ٤٩ وما بعدها .

(٢) دينكرد ، (٨) ، ٣١ ، ٥ (هسپارم) .

(٣) Z. sas. Recht ، (١) ، ص ٤٦ وما بعدها .

(٤) Rechtsbuch ، ص ١٣ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ٥ .

(٦) دينكرد ، (٨) ، ٢٠ ، ١٢٦ .

(٧) Rechtsbuch ، ص ٨ — ٩ .

قبول المرأة ضروريا . وفى هذه الحالة لا يستطيع الزوج الثانى أن يتصرف فى أموال الزوجة ، والأطفال الذين يولدون من هذا الزواج المؤقت ينسبون لأسرة الزوج الأول ويعتبرون أبناءه[١]. وهذا الاتفاق ، وهو شاهد جديد على مابين حال الزوجة والرقيق من الشبه القانونى ، كان يتم بعقد قانونى ، يتعهد بمقتضاه الزوج المؤقت أن يقوم برعاية زوجه طوال هذا الزواج الثانوى . وهذا العقد من قبيل : الإحسان على أخ فى الدين معوز . (وألقاب الزوج والزوجة فى البهلوية هى شوذ وزن) ، أما الزوج المؤقت والمرأة التى تعطى له كأنها مؤجرة ، فإن التعبير الفقهى قد أطلق عليهما اصطلاحين آخرين هما ميرك وزيانك (؟)[٢] .

وهذا البيان عن مركز المرأة ، وهو البيان الذى استطعنا الإلمام به بفضل أبحاث بارتولومويه ، تبدو فيه كثير من المسائل المتناقضة . وذلك لأن المركز القانونى للمرأة قد تطور فى خلال العصر الساسانى . فنظريا ، لم تكن المرأة شخصية قانونية[٣] ، وفقا لقول بارتولومويه ، ولكنها كانت موضوعا للحق فحسب . كانت شيئا ولم تكن شخصية قانونية . ولكن الحقيقة أنها كانت تملك حقوقا معينة . وكانت هناك أحكام عتيقة تقوم بجانب القواعد الجديدة ، يبدو أنها مناقضة لها . وكانت المرأة الإيرانية ، قبل الفتح العربى الإسلامى لإيران ، فى طريق الحصول على استقلالها[٤] .

ومن نظم القانون الساسانى المتعلق بحقوق الأسرة ، « زواج الابدال » الذى وصفه صاحب كتاب تنسر . وقد أشير إلى هذا النوع من الزواج باختصار فى الترجمة الفارسية للكتاب[٥] ، وأشير إليه بتفصيل أكثر فى نص من كتاب البيرونى عن الهند ، وهو مأخوذ عن الترجمة العربية المفقودة لابن المقفع . وهذا ما يقوله

---

(١) Z. sas. Recht ، (١) ، س ٢٩ وما بعدها ؛ Die Frau ، س ١٤ وما بعدها .

(٢) Z. sas. Recht ، (١) ، س ٣٦ — ٣٧ . وقراءة الاصطلاح الأخير غير مؤكدة .

(٣) Die Frau ، س ٧ .

(٤) المرجع نفسه ، س ١٨ .

(٥) س ٢٢٤ و ٢٩٥ من طبعة دار مستتر ؛ مينوى ، س ٢١ — ٢٢ ؛ الترجمة العربية للخشاب س ٤٣ — ٤٤ .

البيرونى[١] : «وعليهم إذا مات الرجل ولم يخلف ولداً أن ينظروا فإن كانت له امرأة زوجوها من أقرب عصبة باسمه ، وإن لم تكن له امرأة فابنة المتوفى أو ذات قرابته ، فإن لم توجد خطبوا على العصبية من مال المتوفى ، فما كان من ولد فهو له . ومن أغفل ذلك ولم يفعل فقد قتل ما لا يحصى من الأنفس لأنه قطع نسل المتوفى وذكره إلى آخر الدهر » .

وقد لعب التبنى (سَـتْـرِيه) ، وهو سنة إيرانية أخرى ، دوراً كبيراً فى جماعة الزردشتيين . فإذا مات والد من غير أن يكون له ولد بالغ يخلفه رئيساً للأسرة فإن أبناءه القصر يوضعون تحت الوصاية ، وإذا كان للميت ثروة[٢] وجب أن يقوم مقامه فى إدارتها « ابن متبنى » فإذا كان للميت « زوجة ممتازة » فإنها هى التى تتولى إدارة شئون الأسرة بوصفها « ابن متبنى »[٣] . وعلى العكس من ذلك ليس « للزوجة الخادم » سلطان ، وينبغى أن توضع تحت الوصاية كالأطفال القصر ، وحينئذ يكون الوصى أباها ، وحين وفاة الوصى يحل محله أخوها أو أكبر إخوتها أو واحد من أقاربها الأقربين[٤] . وإذا لم يكن للأب الميت « زوجة ممتازة » ولا ابنة وحيدة فإن وظيفة « الابن المتبنى » تسند إلى أخ ثم إلى أخت ثم إلى ابنة أخ ثم إلى ابن أخ[٥] ثم إلى الآخرين من الأقارب الأقربين[٦] .

وقد اشترط القانون فى الرجل الذى ينصب « ابناً بالتبنى » أن يكون بالغاً ، زردشتيا ، راشدا ، وأن يكون له أسرة عديدة وأن يكون له أولاد أو ينتظر أن يكون له ، وألا يكون قد ارتكب كبيرة من الكبائر . واشترط فى المرأة ألا تكون متزوجة وألا تبحث عن زوج وألا تعيش فى التسرى ، وألا تعيش على البغاء ،

---

(١) طبعة ساخاو ، ص ٥٣ ، الترجمة (١) ، ص ١٠٩ — ١١٠ .

(٢) انظر داذستان دينك ، ٥٦ ، ٢ و ٥٩ ، ٢ .

(٣) المرجع نفسه ، ٥٦ ، ٨ .

(٤) المرجع نفسه ، ٥٦ ، ٧ .

(٥) هكذا النص ، ولا شك أن هناك خطأ : ان ابن الأخ يجب أنْ يسبق بنت الأخ .

(٦) المرجع نفسه ، ٥٦ ، ٦ ؛ وقارن ٥٨ ، ٣ .

وألا تكون متبناة فى أسرة أخرى . وأما الرجل فيستطيع أن يكون ابناً «بالتبنى» فى أسرات كثيرة كما يريد(١) . ولا تنتقل الولاية التامة «للابن المتبنى» بمجرد التبنى وقد جعلت رعاية النار المقدسة فى البيت علامة عليه(٢) .

والتبنى ثلاثة أنواع : «الابن المتبنى الـكائن» ، وهو تعيين زوجة ممتازة أو بنت وحيدة عزباء . فالتبنى فى هـذه الحالة يستند إلى العلاقة الطبيعية ويتم بحكم القانون من غير استعداد خاص .

والثانى «التبنى بالنص» وبمقتضاه يعين من أوصى به الميت .

والثالث «التبنى بالتنصيب» وهو تعيين المتبنى من بين من يصلحون من أقارب الميت(٣) .

وعلى «الزوجة الممتازة» بعد أن تصبح أرملة أن تعنى بكل ما يمس الأسرة ، من المراسم الدينية والأعمال الخيرية التى يقع عبئها على الأسرة ، وعليها أن تزوج البنات وأن ترعى أخوات زوجها اللاتى لم يتزوجن إذا كن تحت وصايتها وهكذا . ولها الحق فى أن تتصرف فى جزء كبير من الميراث فيما تحتاج إليه خاصة . ولـكن إذا تزوجت إحدى بناتها فعلى الأم أن تقاسم ولايتها مع الزوج ، وتزداد سلطة هذا إذا ولد من زواجه ابناً يكون يوماً ما رئيسا للأسرة(٤) .

وقد عرف التبنى بالمعنى العادى للـكلمة أيضاً . وفى هذه الحالة لا يكون للأبوين المتبنيين الحق فى ميراثه : فإذا مات الابن المتبنى الذى ولدته زوجة ممتازة قبل أن يبلغ سن الرشد فإن ميراثه يرجع إلى والده(٥) .

وأما الميراث فإن الزوجة الممتازة وأبناءها يرثون بالتساوى ، والبنات المتزوجات

---

(١) داذستان — دينيگ ، ٥٧ ، ٢ — ٤ .

(٢) نبذة من ماذيگان هزار داذستان ، يونكر ، The Farhang i Pahlavik (هيدلبرج ، ١٩١٢) ، ص ٩٠ .

(٣) داذستان — دينيگ ، ٥٨ .

(٤) المرجع نفسه ، ٥٤ ، ١٠ — ١٢ . وفى نسكى هسپارم وسكاذم قواعد عن التبنى ، انظر دينكرد ، (٨) ، ٣٦ ، ١٣ و ٤٣ ، ١٤ .

(٥) Z. sas Recht ، (٣) ، ص ٧ .

يأخذن نصف ما يأخذ الواحد من هؤلاء . وليس للزوجات الخادمات وأبنائهن حق فى الميراث . ولكن الأب يستطيع أن يتصرف فى ثروته سلفا عن طريق الهبة أو الوصية[١] .

وقد عين مراقبون على قوانين الميراث . فإذا مات رجل كان على الوابذة أن يقسموا أمواله بين الورثة وفقا لقانون الوصية . فإذا لم يترك الميت ثروة فإن عليهم أن يقوموا بجنازته ورعاية أولاده . وقد كان مقررا أن يكون أبدال أمراء البيت المالك أمراء مثلهم وأن يكون أبدال الأشراف أشرافا[٢] .

وإذا تصرف الرجل ، فى مرض الموت ، فى بعض ثروته فأعطاها لبعض الناس حارما بذلك ورثته الشرعيين ، فإن تصرفاته لا تعتبر صحيحة ، إلا إذا كانت لسداد دين أو نفقة زوجة[٣] أو أبناء أو والد أو فرد من أسرته تحت رعايته . ولكن التصرفات التى يجريها رجل وهو مريض مرضا قليل الخطر تعتبر صحيحة بعد شفائه على شرط أن يكون قد أتمها وهو متمتع بكامل قواه . وكان على الموصى أن يجعل لكل بنت غير متزوجة نصيبا ولزوجته الممتازة إن كانت نصيبين[٤] .

ونستطيع أن نتبين كثيراً من التفاصيل عن قانون الملكية فى كتاب « ماذيكان هزاردادستان » ، فهو يحدثنا عن العقود الشفوية[٥] وعن الصيغ المختلفة للعقود الخاصة بالهبات[٦] ، وهبة الأرض مع حق الارتفاق فى القنوات[٧] ، والهبة المؤقتة[٨] ، ورهن الملك ، والتنازل عن عقار مع التزام المتنازل إليه بأن يتلو الأدعية على روح

---

(١) Z. sas Recht ، (٥) ، ص ١٤ ، ملحوظة ٤ ، ص ٣٥ ، ملحوظة ٣ ؛ Die Frau ، ص ١٣ — ١٤ .

(٢) كتاب تنسر ، الترجمة العربية ص ٤١ ؛ مينوى ، ص ٢١ .

(٣) زوجة غير ممتازة بلا شك لأن الزوجة الممتازة تعد من الأقارب الأقربين .

(٤) دادستان — دينيك ، ٥٤ ، ١ — ٩ .

(٥) Z. sas. Recht ، (١) ، ص ٧ وما بعدها .

(٦) Z. sas Recht (٣) ، ص ٥ وما بعدها .

(٧) المرجع نفسه (٣) ، ص ٢٩ وما بعدها

(٨) المرجع نفسه (٣) ، ص ٥٠ وما بعدها .

من يمينه الواقف ، وعنوان هذا الفصل (پا رُوانَ يَزِشن راى داشتن)[١]، وحلف اليمين للفصل فى دعوى خاصة بمسألة من مسائل الملكية[٢] ، والقواعد الخاصة بقرض اقترضه جماعة بالاشتراك[٣] ، والاحتياطات الواجبة فى حالة الكفالة[٤] وغيرها . وإذا تصرف الوصى على صبى قاصر فى جزء من تركة الأسرة لسداد الديون فإن للولد حين يبلغ سن الرشد أن يجيز هذه التصرفات[٥] . وإذا اعتق رجل أمة عشر إعتاق فإن أولادها يعتبرون أحراراً عشر الحرية . وهذه القاعدة الفريدة تكاد توجد بنصها فى كتاب الفقه السريانى لعيشو بوخت[٦] .

ثم إن نسك سكاذم قد تضمن قواعد مفصلة عن مسائل الملك والقرض والفوائد[٧] ، وحجز المواشى والدواب والخيل وغيرها ، والالتزامات المترتبة للحاجز ، ثم حبس المدين ومصادرة الملابس وما أشبهها ، والمسائل القانونية التى تترتب على كشف كنز ، وغير ذلك[٨] .

والمعلومات التى نستطيع أن نستخرجها من مصادرنا عن الجماعة الإيرانية ، مهما تكن جزئية وناقصة ، ترينا حالة اجتماعية كانت قوتها الذاتية مستمدة من الشعور القديم العميق بروابط الأسرة التى لا يتسرب إليها خلل . فقد شرعت القوانين لحماية الأسرة والملك وللمحافظة على التميز الدقيق بين طبقات المجتمع بأن عينت لكل فرد مكانه المعلوم فى النظام الاجتماعى . ولكن حوالى آخر القرن الخامس زازلت المزدكية هذا النظام الاجتماعى من أساسه . وقد ساعدت الأحداث السياسية هذا

---

(١) المرجع نفسه (٣) ، ص ١٩ .

(٢) المرجع نفسه (٢) ، ص ٥ .

(٣) المرجع نفسه (١) ، ص ٣٢ وما بعدها ، (٣) ، ص ٥٤ وما بعدها ، الملحوظة .

(٤) المرجع نفسه (٤) ، ص ٥ وما بعدها .

(٥) المرجع نفسه (٢) ، ص ٢٣ وما بعدها .

(٦) المرجع نفسه (٣) ، ص ٤٧ .

(٧) دينكرد ، (٨) ، ٤١ .

(٨) دينكرد ، (٨) ، ٣٩ .

التيار الثورى الذى كان له أثر مشئوم فى الفترة التى زلزلت فيها إيران من جراء نكبة فيروز الفادحة(١) .

---

(١) ذكرت تاريخ قباد والمزدكية فى المسائل الكلية نقلا عن البحث الذى قدمته فى كتابى Le règne du roi Kawad I. ، ص ٩٤ — ١٢٧ (D. vid. Selsk, fil. hist. Medd (٩) ، ٦) . وأحيل من أجل التفصيل فى المصادر المذكورة على القسم الأول من هذا الكتاب حيث جمعت المواد ؛ وحيث بحثت صلة المصادر ببعضها وقيمها التاريخية . وها هى المصادر الرئيسية : ١ — يشوع ستيليت الزائف ، وهو كاتب سريانى معاصر يتناول تاريخ السنوات ٤٩٤ — ٥٠٦ ؛ ٢ — الكاتبان البيزنطيان پروكوپ (BP (١) ، ٣ — ٢١) وأجاثياس ((٤) ، ٢٧ — ٣٠) ؛ ٣ — بعض ملاحظات شتى فى الآداب البهلوية الدينية (تعليقات على الونديداد ، بشت بهمن ، دينكرد ؛ وهناك ملحوظة لم أشر إليها فى كتابى وهى فى البندهشن الكبير ، طبعة أنكلساريا ، ص ٢١٥ ويحتمل أن يكون مصدرها ترجمة عربية للخداينامه) ؛ ٤ — الروايات العربية والفارسية التى يعتبر الخداينامه مصدراً أساسيا لها ، وأقسمها الى أربعة فروع : (ا) اليعقوبى ، الجزء الأول ، ص ١٨٥ ؛ الطبرى ، ص ٨٨٥ (١ ، ٧ — ١٨) ، ٨٨٦ (١ ، ٢٠) ، ٨٨٨ ، ٨٩٣ — ٨٩٤ (نولدكه ، ص ١٣٩ ((١) ، ١) — ١٤١ (٢٠١) ، ١٤٤ (١ ، ٢) — ١٤٧ ، ١٥٣ — ١٥٥) — (ب) ابن البطريق ، طبعة پوكوش ، صفحات ١٢٦ — ١٣٣ و ١٧٤ — ١٨١ ، وطبعة شيخو الجزء الثانى صفحات ١٩١ وما بعدها و ٢٠٦ وما بعدها ؛ ابن قتيبة ، طبعة وستنفيلد ، ص ٣٢٨ ؛ الطبرى ، ص ٨٨٣ — ٨٨٥ (١ — ٥) ، ٨٨٥ (١ — ١٩) ٨٨٦ (١ — ١٨) ، ٨٩٦ — ٨٩٨ (نولدكه ، ص ١٣٥ — ١٣٨ (١ — ١٣) و ١٤١ (١ — ٥) — ١٤٢ فى الأسفل ، ١٦٢ — ١٦٤) ؛ مطهر بن طاهر المقدسى ، طبعة هيار ، الجزء الثالث ، ص ١٧٦ وما بعدها ، الترجمة ، ص ١٧٠ وما بعدها ؛ المسعودى ، مروج ، الجزء الثانى ، ص ١٩٥ وما بعدها ؛ حمزة ، ص ١٠٦ — ١٠٧ ، الترجمة ص ٨٣ — (ح) الدينورى ، صفحات ٦٢ و ٦٦ — ٦٩ ؛ النهاية ص ٢٢٦ وما بعدها — (ى) كتاب الأغانى ، طبعة بولاق ، الجزء الثامن ، ص ٦٣ — ٦٤ ؛ حمزة ، ص ٥٦ ، الترجمة ٤١ ؛ الثعالبى ، ص ٥٨٣ ؛ الفردوسى ، طبعة مول ، الجزء السادس ، ص ١٠٣ وما بعدها ؛ البيرونى ، الآثار الباقية ، ص ٢٠٩ ، الترجمة ص ١٩٢ ؛ مجمل التواريخ ، مول ، JA ، السلسلة الثالثة ، جزء ١٤ ، صفحات ١١٦ وما بعدها و ١٦٣ وما بعدها ؛ ابن الأثير ، تورنبرج ، الجزء الأول ، ص ٢٩٦ وما بعدها ؛ أبو الفداء ، Hist. anteisl. ، طبعة فليشر ، ص ٨٨ . والكتاب الذين ينظمهم الفرع الرابع قد استخدموا قصة مزدك نامك التى نستطيع إعادة نظمها وفقا لما جاء فى سياست نامه لنظام الملك (طبعة شيفر ص ١٦٦ وما بعدها ، الترجمة ص ٢٤٥ وما بعدها) وكذلك استخدموا رواية فارسية (داراب هرمزيار ، الجزء الثانى ، ص ٢١٤ — ٢٣٠ ؛ انظر مقالتى : « Two versions of the history of Mazdak » ، فى Modi Mem Vol ، ص ٣٢٢ وما بعدها) . وقد استخدم كل من البلعمى (ترجمة زوتنبرج ، الجزء الثانى ، ص ١٤٢ وما بعدها) وفارسنامه لابن البلخى (طبعة =

وقد احتفظ زرمهر (سوخرا) فى السنوات الأولى من حكم قباد بمكانته على أنه أكبر رجل بين عظماء الدولة[1] ، ولكن قباد لم يكن مستعداً لأن يخضع لهذا الرجل الطموح الخطر ، فاستفاد مما بين زرمهر وسابور مهران من خصومة ، ولما أيقن من مساعدة الأخير له قتل زرمهر وكان سابور حينئذ « سپاهبد إيران » أو القائد الأعلى للدولة (الطبرى) أو ربما كان « سپاهبد السواد » فقط (النهاية)[2]



٣٦ . من نقود قباد الأول

(متحف كوپنهاجن)

وقد كان لهذا الحادث دوى عظيم فى سائر أنحاء البلاد ثم إنه أوحى بمثل شعبى : « نقصت ريح سوخرا وهبت لمهران ريح »[3] ، أو «جمدت نار سوخرا وهبت ريح سابور »[4] .

= لوسترانج ونكلسون س ٨٤ — ٩١ ، وانظر مقالى فى Modi Mem Vol ، س ٣٢٧ وما بعدها) الروايات المختلفة فى الخداينامه . تاريخ طبرستان : ابن اسفنديار (ترجمة برون ، س ٩٢ وما بعدها) وظهير الدين المرعشى (طبعة دورن ، س ٢٠١ وما بعدها) . تفاصيل عن نظرية مزدك : الشهرستانى ، طبعة كيرتون ، س ١٩٢ وما بعدها ، ترجمة هاربروكر ، الجزء الأول ، س ٢٩١ وما بعدها ؛ الفهرست ، س ٣٤٢ .

(١) انظر هنا س ٢٨٠ .

(٢) تخلط المصادر العربية والفارسية التى ترقى إلى الخداينامه بين مقتل زرمهر ، وأحد العظماء ، سياوس ، وكان هذا قد قتل بعد زرمهر بنحو ثلاثين سنة . انظر « Le règne du roi Kawadh I » ، س ٤٩ ملحوظة ١ .

(٣) الطبرى ، س ٨٨٥ ؛ نولدكه س ١٤٠ .

(٤) النهاية ، س ٢٢٦ .

ولكن لم نعد نسمع شيئاً عن سابور مهران بعد هذا ، ولعله لم يعش كثيراً بعد موت خصمه[1] .

وقد أكسب قتل زرمهر قباد عداوات خطرة ، ولكن الذى أشعل غضب العظماء هى صلات الملك بفرقة المزدكية الكافرة والبدع الثورية التى ترتبت على ذلك . وقد باشر قباد سلطانه متبعاً سبيل العنف ثم أدخل على النظام الإدارى بدعا كما يقول پروكوپ ، ويؤكد أجاثياس أنه كان مستعداً للتطويح بالنظام القائم ، ولقلب حياة الأفراد قلباً ثورياً ، وللقضاء على الآداب القديمة . ولكن المؤرخين البيزنطيين وكذلك المتسمى ستيليت لم يذكروا من هذه الأعمال الثورية التى أجراها الملك غير واحد هو شيوع النساء . أما أن هذا الإجراء كان جزءاً من نظام دينى فهذا ما لم يعنوا به ؛ والمتسمى ستيليت كان يعرف وحده ، «فرقة الزردشتگان الضالة» ؛ وينبغى الرجوع إلى مؤرخى العرب والفرس لمعرفة أنباء هذه الفرقة ومذهبها . وينبغى أن نلاحظ أولا الاسم الذى أطلقه المتسمى ستيليت على هــذه الفرقة . والمصادر العربية والفارسية لا تتحدث إلا عن الفرقة المزدكية ، وليس هناك أدنى شك أن الخداينامه قد أشار إليها بهذا الاسم أيضاً . ومع ذلك فإن كثيراً من المصادر العربية والفارسية ، الطبرى واليعقوبى والنهاية ، تذكر رجلا اسمه زردشت بن خورگان من أهالى پسا (فساى) بمقاطعة فارس ، على أنه المؤسس الأول لهذه الفرقة . ويذكر زردشت فى « النهاية » على أنه من أشراف الفرس وكان يؤيد دعوة مزدك . ثم إن معظم المصادر العربية والفارسية التى لا تشير إلى زردشت تجعل مولد مزدك ، خطأ ، فى مدينة

---

(١) يرى ماركارت (ZDMG ، ٤٩ ، ص ٦٣٧) أن هذا الاصبهبذ شاهپور هو اسپبيدس Aspabedes (سپاهبد) الذى عقد الهدنة مع سيلر الرومانى Celer سنة ٥٠٥ أو ٥٠٦ ، والذى كان أخو زوج قباد (پروكوپ) . ولكن المتسمى ستيليت يقول إن اسم هذا الاصبهبذ هو بويه . وهو من غير شك بويه الذى كان يلقب بوهريز (انظر هوبشمان ، Armen. Gramm ، (١) ، ص ٥٩ و ٧٨) والذى قاد ، فيما يقول پروكوپ ، الجيش الإيرانى لقتال جورجين ملك الكرج (جورجيا) . فيجب إذا أن نفترض أن بويه كان خليفة أو أحد خلفاء شاهپور فى وظيفة إيران — سپاهبذ أو سپاهبد السواد .

يسا وهى المدينة التى ولد بها زردشت[١] . فمن الظاهر أن الإشارة إلى زردشت قد أخذت عن الخداينامه . ولـكن مالالاس يروى[٢] أنه ظهر فى روما أيام ديوكلستين مانوى اسمه بندس Bundos أتى بمذاهب جديدة تتعارض مع المانوية الرسمية : فقد كان إله الخير يحارب إله الشر وأن هذا الأخير قد منى بالهزيمة .

ومن أجل هـذا وجب تمجيد المنتصر . وقد ذهب بندس هذا إلى إيران حيث دعى إلى مذهبه الذى سماه الإيرانيون « مذهب إله الخير » ؛ وهذا بالبهلوية « دَريست دينان » ، « أتباع الدين الحق »[٣] . وفى نص آخر يذكر مالالاس الملك قباد باسم (كوذايس هوداراس ثنوس)[٤] ، والصورة الصحيحة للقب هى (هوداريس ثنوس)[٥] . وهذا اللقب الذى أطلق على قباد بوصفه واحداً من أتباع مذهب مزدك بلا شك ، مذكور مع التحريف فى كثير من المصادر العربيـة والفارسية التى ترقى إلى الخداينامه[٦] .

فالمزدكية إذا هى نفس مذهب « دريست — دين » الذى دعا إليه بندس .

---

(١) عند الدينورى : اصطخر . انظر « Le règne du roi Kawādh » ، س ٤١ والملحوظة ١ .

(٢) مين Migne ، Patrologia ، Series Graeca ، جزء (٩٧) ، ص ٤٦٥ .

(٣) يسمى مزدك دينه ، حسب رواية فارسنامه (ص ٨٤) « بدين العدالة » .

(٤) مين Migne ، (١) ، e ، ص ٦٣٣ .

(٥) وجدت صيغة دريست (بدلامن دُرُست) فى نصوص ترفان (M ، ٤٧٥ ، ٧ ، و ٨ و M ، ٤٧ ، ٧ ، ٨ وقارن تودسكو فى « Le Monde oriental » ، (١٥) ، ص ٢٠٩) . وفى ملاحظة عابرة تردد نولدكه (Ṭabarī س ٤٥٧ ، ملحوظة ١) بين دِرست — دين و دَرَزْد — دين ، ولـكنه رجح الأخيرة . ولـكن كلمة دَرَزْد ، الصيغة البهلوية — الفارسية للـكلمة الأوستية زَرَزدا لم توجد حتى الآن فى النصوص البهلوية ، واكتشاف صيغة دِريست يرجح كفة تفسير دِرَيست — دين . وكتابة الـكلمة فى التواريخ العربية والفارسية يبين أن صيغتها مع آ هى الأصح . وتسمية دريست دين « الدين الحق » توافق به — دين « الدين الطيب » ، وهو الاسم الذى يطلقه الزردشتيون على دينهم .

(٦) انظر « Le règne du roi Kawādh » ، ص ٩٧ وما بعدها ، حيث تناولت هذه الصيـغ التى هى جميعاً تحريفات لـكلمة دِرَزد دين وهى النطق الشعبى لـكلمة دِريست — دين .

وإذا كان بندس المانوى الذى أعلن فى روما انشقاقه على المانوية قد سافر إلى إيران ليدعو إلى مذهبه ، فإنا نستطيع أن ننتهى من هذا ، مع بعض التأكيد ، إلى أنه كان من أصل إيرانى . واسم بندس لا يشبه أسماء الأعلام الإيرانية ولكن يمكن أن يكون لقباً[١] . ولما كان ذكر رجل سابق على مزدك ومبشر به وقائل بأنه المنشئ الحقيق المذهب لم يكن قاصراً على المؤرخين العرب الذين يستمدون كتاباتهم من الخداينامه بل إنه ورد كذلك فى نص بالفهرست الذى يستق من مصادر أخرى ، ولما كان هذا الرجل السابق قد سمى فى الخداينامه زردشت ، وهو ما يتفق مع اسم الفرقة ، زردشتگان ، الذى نجده عند المتسمى ستيليت وهو المؤرخ المعاصر لمزدك ، فإنا نستطيع أن نؤكد أن بندس وزردشت شخص واحد وأن زردشت كان الاسم الحقيق لهذا المبتدع كما كان كذلك اسماً للنبى المزدى القديم[٢]. والفرقة التى نتحدث عنها هى إذاً شعبة من المانوية أسست فى روما قبل مزدك بحوالى القرنين ، أسسها رجل إيرانى هو زردشت بن خوركان المولود فى پسا . وهكذا كان للمؤرخين البيزنطيين والسريانيين الذين اشتغلوا ببحث الضلالة أيام قباد[٣] أسباب قوية لتسمية أتباع مزدك بالمانوية[٤] .

ويستفاد من روايات المؤرخين العرب أن زردشت كان رجل دعوة فقط ، وأن مزدك كان رجل التنفيذ فهو « خليفة زردشت عند سفلة الناس » (الطبرى) ، وقد

---

(١) قارن البهلوى بَوَنْدَگ (الأرمنى بَوَنْدك) « كامل » ، انظر ساالمان Saleman ، GIPH ، (١) ، ١ ، ص ٢٨٠ (§ ٥٠ — ١٤) ؛ نيبرج Nyberg ، Hilfsbuch des Pehlevi (٢) ، ص ٣٣ .

(٢) لعله هو زردشت هـذا الذى يشار إليه فى نقش يونانى وجد فى سيرين ، حيث الموضوع شيوع المال والنساء الذى يوحى به زرديس وفيثاغورس (انظر شيرود فكس ، Passages in Greek and Latin Literature relating to Zoroastre and Zoroastrism (J. Cama Or. Inst. ، رقم ١٤) ، ص ١١٨) .

(٣) مالالا وتيوفان ، وعلى هديهما سيدرين وزوناراس وميشيل السريانى ، ترجمة شابو ، (٢) ، ص ١٩٠ .

(٤) يقول الطبرى وأبو الفدا إن كسرى الأول قتل كثيرين من أتباع مزدك وبعض المانوية . وقد يكون هؤلاء المانوية مزدكيين فى الحقيقة .

استطاع هذا أن يقضى على شهرة سابقه ، ولما عرفت الفرقة منذ أيامه بالمزدكية ظن الناس فيما بعد أن المؤسس الحقيق للمذهب كان يسمى مزدك أيضا ، وهكذا ظنوا أنه كان هناك رجلان اسمهما مزدك ، مزدك القديم ومزدك الأخير (الفهرست) . وإذاً فروايات الطبرى واليعقوبى والنهاية التى تجعل زردشت معاصراً لمزدك مخطئة .

أما شخصية مزدك فنحن نعرف عنها قليلا جدا . وقد رأينا أن روايات بعض المؤرخين العرب الذين يجعلونه من مواليد پسا روايات غير مصيبة ، فإن پسا هى البلد الذى ولد به زردشت لا مزدك . ويقول الطبرى إن مزدك ولد فى مدينة مذرية . ولعله يقصد مدينة ماذرايا الواقعة على الشاطئ الشرقى لدجلة حيث توجد اليوم مدينة كوت العمارة . وكانت هذه المدينة عامرة حتى القرن الحادى عشر الميلادى فقد كان يسكنها أشراف الفرس[١] . ثم إن اسم مزدك اسم فارسى وكذلك اسم أبيه بامداد . ويقول الدينورى إن أصله من اصطخر ، أما صاحب « تبصرة العوام » فيرى أن مزدك ولد فى مدينة تبريز[٢] . والواضح أن مدينتى اصطخر وتبريز قد حلتا مكان بلد غير معروف أو استعصت قراءته .

ومذهب « دريست دين » الذى قال به بُنْدُس — زردشت ومزدك كان طابعه إصلاح مذهب مانى[٣] . وهو كالمانوية الأولى بدأ يناقش الصلة بين الأصلين القديمين : النور والظلمة . وهو يختلف عن مذهب مانى لأنه يقول إن الظلمة لا تعمل كما يعمل النور بالقصد والاختيار ولكنها تفعل على الخبط والاتفاق ، وعلى هذا النحو يكون امتزاج النور بالظلمة — وهو الامتزاج الذى نشأت عنه الدنيا — غير ناتج بالقصد والاختيار كما قال مانى ولكنه كان على الاتفاق والخبط . وعلى ذلك فعلو النور أكثر توكيدا فى النظرية المزدكية منه فى المانوية . وهذا يتفق مع رواية مالالاس

---

(١) لوسترانج ، The Lands of the Eastern Caliphate ، ص ٣٨ ؛ الترجمة العربية لبشير فارس وكوركيس عواد ص ٤٤ (مطبوعات المجمع العلمى العراقى سنة ١٩٥٤) .

(٢) شيفر ، Chrestomathie Persane ، (١) ، ص ١٥٨ .

(٣) المصدر الرئيسى لمذهب مزدك هو الشهرستانى (طبعة كيرتون ، ص ١٢١ وما بعدها ، ترجمة هاربروكر ، (١) ، ص ٢٩١ وما بعدها) .

الذى قال إنه ، وفقا لنظرية بندس ، قد غلب إله الخير (النور) إله الشر (الظلمة) ، ومن أجل هذا وجب تمجيد الغالب . إلا أن هـذا النصر لم يكن كاملا ، لأن الدنيا خليط من الأصلين القديمين ، وهى باقية ، والمقصد النهائى من تكامل هذا العالم هو تخليص ذرات النور التى اختلطت بذرات الظلمة . وفى هذا تتبع المزدكية طريقة مانى . وقد قال هـذا بوجود خمسة أركان للنور : الأثير والهواء والنور والماء والنار ، ولـكن مزدك قال بثلاثة أركان : الماء والنار والتراب . وإذ كان الشهرستانى لم يتحدث فى هذا الشأن فإنا نظن أنه كان هناك ثلاثة أراكن للظلمة ، كما لها خمسة فى المذهب المانوى ولما اختلطت حدث عنها مدبر الخير ومدبر الشر ، فما كان من صفوها مدبر الخير وما كان من كدرها مدبر الشر . ومدبر الخير هو إله النور ، «ملك النور» عند المانوية . وقد صور مزدك معبوده وهو قاعد على كرسيه فى العالم الأعلى على هيئة قعود كسرى فى العالم الأسـفل ، وبين يديه أربع قوى[1] : قوة التمييز والفهم والحفظ والسرور ؛ كما بين يدى كسرى أربعة أشخاص : الموبدان موبد والهربدان هربد والإصبهبد والرامشكر (صاحب الموسيقى)[2] . وتلك الأربع تدبر أمر العالمين بسبعة من وزرائها : سالار (الزعيم) ، پيشكار (الرئيس) ، بارور (حامل العبء) ؟ ، پروان (الوكيل) ، كاردان (الخبير) ، دستور (المستشار) ، كوذك (الغلام — الخادم) . وهذه السبعة تدور فى اثنى عشر روحانيا[3] هم : خواننده (الداعى) ، دهنده (المعطى) ، ستاننده (الآخذ) ، برنده (الحامل) ، خورنده (الآكل) ، دونده (الجارى) ، خيزنده (القائم) ، كشنده (القاتل) ، زننده

---

(١) هى « زوران » فى النصوص المانوية . قارن : قوى إله النور الأربع ، موللر Handschriften Reste Muller ، (٢) ، ص ٦٢ .

(٢) قارن قوائم العظماء التى جاء بها اليعقوبى والمسعودى ، هنا ص ٢٥١ وما بعدها . ولـكى يقيم مزدك المقارنة بين حكم السماء وحكم الدولة الإيرانية اختار أربعة من العظماء والعجيب هو أنا نجد بين هؤلاء الرامشكر ؟ انظر هنا فى الفصل التالى .

(٣) قارن الإثنى عشر « شهر دار يفت » « إمارات » أو أيونات المانويه . والسبعه يدورون داخل الإثنى عشر ، كالأفلاك السـبعة فى دائرة الإثنى عشر برجا . ويذكر نص الشهرستانى ثلاثة عشر اسما .

(الضارب) ، كننده (العامل) آينده (الآتى) شونده (الذاهب) ، بإيده (الباقى)[١] وكل إنسان اجتمعت له هـذه القوى : الأربع والسبع والإثنى عشرة صار ربانيا فى العالم السفلى وارتفع عنه التكاليف . وينتهى حديث الشهرستانى عن العالمين العلوى والسفلى بكلام من الحروف التى مجموعها « الاسم الأعظم » .

وأما عن علم المعاد عند المزدكية فإن الشهرستانى لا يحدثنا تفصيلا . ولا شك أن قوله إن الخلاص إنما يقع بالاتفاق دون الاختيار ، كما حدث فى المزاج بين الظلمة والنور قول مختصر . ومهما يكن فإن على الإنسان أن يأمل فى الخلاص بالقيام بأعمال وبالامتناع عن أخرى . وإنما تتحدث مصادرنا عن الامتناع خاصة . والنقطة المهمة عند المزدكية ، كما هى عند المانوية ، هى تفادى كل ما من شأنه توثيق صلة الأرواح بالمادة ومن أجل ذلك حرم على المزدكية أكل لحم الحيوان[٢] . وقد حافظوا فى أكلهم ، بوجه عام ، على بعض قواعد الزهد[٣] . وللامتناع عن أكل لحم الحيوان باعث آخر : فلأكل الحيوانات يجب ذبحها ، وكل سفك للدماء إنما هو عمل يعوق الجهد فى سبيل تخليص الأرواح[٤] . وقد ذكر الشهرستانى رواية جاء فيها أن مزدك « قد أمر بقتل الأنفس ليخلصها من الشر ومزاج الظلمة » . ويحتمل أن يكون معنى هذا أنه يجب قتل النزوات والشهوات التى هى عوائق فى سبيل الخلاص . وقد نهى مزدك الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال ولما كان أكثر ذلك إنما يقع بسبب عدم

---

(١) نستطيع أن نقرأ كَنندگ بدلا من كُنندگ (الأولى بمعنى الحافر أو المخرب) . أنظر أيضاً : (Le règne du roi Kawadh)، ص ٨١ ، ملحوظة ٢ .

(٢) البيرونى وابن الأثير . وقد حرمت اللحم فى المانوية على « الصديقين » ، انظر هنا ص ١٨٢ .

(٣) فى عبارة من نص أوستى فى الونديداد (٤ ، ٤٩) جاء ذكر هؤلاء الذين يحاربون استوذوتو (البهلوى استوذات) ، شيطان الموت ؛ فمن هؤلاء « هذا الذى يحارب الكافر النجس الذى يمتنع عن الطعام » . والتعليق البهلوى (§ ٤١) يضيف الشرح التالى : « هذا الذى يحارب الكافر الدنس الذى يحمل الناس بالقوة على عدم الأكل ، مثل مزدك بن بامداذ ... ، الذى كان يترك الناس للجوع والموت ، هـذا الرجل يحارب استوذات » . ويقول ابن الأثير إنه أبيح للمزدكية أكل البيض واللبن والزبد والجبن .

(٤) رواية عربية ذكرها الطبرى ، انظر (Le règne du roi Kawadh) ، ص ٧٩ .

المساواة بين الرجال ، فقد أوجب إزالة هذا السبب ؛ وقد وجب ، فى الجماعة المانوية على الصديقين أن يعيشوا بلا نساء وأن لا يملكوا من الغذاء غير قوت يوم واحد ومن اللابس غير ما يكفى سنة واحدة . والمفروض أن قواعد مماثلة قد فرضت على الطبقات العليا من الفرقة المزدكية لأننا نجد فيها هذا الميل نحو الزهد ورياضة النفس . ولكن رؤساء المزدكية قد أدركوا أن الرجال العاديين لا يستطيعون التخلص من حب اللذات المادية ، أى الرغبة فى تملك الأموال والنساء أو المرأة التى يحبونها ، إلا فى اللحظة التى يستطيعون فيها إشباع هذه الحاجات بالاختيار . وبهذه الفكرة ظهرت النظرية الاجتماعية للمزدكية : فإن الله إنما جعل الأرزاق فى الأرض ليقسمها العباد بينهم بالتساوى بحيث لا يكون لأحدهم أكثر مما لغيره . وقد نشأ عدم المساواة بالقوة ، فكل يريد إشباع رغباته على حساب أخيه ، والحقيقة أن من كان عنده فضلة من الأموال والنساء والأمتعة فليس هو أولى به من غيره فينبغى أن يأخذوا من الأغنياء للفقراء وأن يردوا من المكثرين على المقلين ، وذلك ليقيموا المساواة البدائية[١] وينبغى أن تكون النساء والأموال شركة بين الناس كاشتراكهم فى الماء والنار والكلأ[٢] .

وذكر مزدك أن ذلك من البر الذى يرضاه الله ويثيب عليه أحسن الثواب . وأنه لو لم يكن الذى أمرهم به وحثهم عليه من الدين ، كان مكرمة فى الفعال ورضاء فى التفاوض[٣] .

ونفهم بسهولة كيف استطاع خصوم هذا المذهب اتهام الشيوعيين المزدكيين بالشهوة والإباحة وهما فى الحقيقة صفتان متناقضتان مع الزهد الذى كان أساسا للمذهب . وفى الجملة فإن زردشت ومزدك قد استطاعا الدعوة إلى ثورة اجتماعية مدفوعين بأفكار أخلاقية وإنسانية .

وقد أصر المزدكية على وجوب القيام بأعمال الخير ، فإنهم لم يحرموا القتل

---

(١) ابن البطريق ، الطبرى ، الثعالبى ، الفردوسى ، وغيرهم .

(٢) الشهرستانى .

(٣) الطبرى .

فحسب ، ولكنهم حرموا أيضا إدخال الآلام على النفوس ، ولهم مذهب فى الضيافات ليس عند أمة من الأمم . فهم إذا أضافوا الإنسان لم يمنعوه من شىء يلتمسه كائنا ما كان[1] . وقد أوصى مزدك بالرفق مع العدو[2] .

كيف اتصل مزدك بالملك ؟ ليس لدينا أسانيد موثوق بها . وقد ذكر الثعالبى والفردوسى أن مزدك استطاع ، أثناء قحط ، أن يستدرج قباد بأسئلة ماكرة إلى أن يعلن أن من منع رجلا من الطعام والشراب ينبغى أن يقتل به ، فخرج مزدك عند ذلك فقال للسوقة المتجمعين حول القصر إن الملك قد أباحكم ما فى الأهراء من الغلات فابسطوا أيديكم وأينما وجدتم شيئا فاستبيحوه . وواضح أن هذه الرواية خرافية فى تفاصيلها ، ولكن قد يكون جوهرها أساسا لحقيقة تاريخية . فقد أشار سعيد بن البطريق إليها[3] . وقد استطاع البؤس الذى خلفته هذه الشدة والذى كشف عن توزيع الثروة الظالم فى الجماعة الإيرانية ، حيث كانت السلطات ، بغير استثناء ، فى يد الأشراف ، أن يشجع المظلومين من الشعب وأن يوحى فى الوقت نفسه للملك بأن يجرى إصلاحات جريئة . وعلى كل حال فقد دخل قباد فى مذهب مزدك ، وتصرف على هذا الأساس . وقد اتفقت المصادر المعاصرة واللاحقة ، عدا المتسمى ستيليت ، على أن الملك قد أصدر قوانين تبيح النساء . وأما المتسمى ستيليت فقد قال إنه — الملك — قد أعاد ورقة الزردشتگان التى كانت تقول بإباحة النساء جميعا ، ولا يحمل هذا النص نفس المعنى الذى تقول به المصادر الأخرى . ما هى إذاً الأوامر التى أصدرها قباد فى هذا الصدد ؟ لم يدع أى مصدر أنه ألغى الزواج ، ولو أن هذا الامر كان يستحيل التنفيذ . ومن الممكن أن يكون قباد قد شرع بالقانون بعض أنواع جديدة من الزواج أيسر وأسهل فلا تتعدى هذه الأنواع التوسع فى القوانين التى كان معمولا بها من قبل فى القانون الساسانى . وقد رأينا أنه بهذا القانون

---

(١) الفهرست

(٢) الطبرى ، الرواية العربية .

(٣) يقول ابن البطاريق إن القحط حدث بعد السنة العاشرة من حكم قباد . ولكن قباد لم يحكم غير ثمان سنوات حينما عزل .

كان فى وسع الرجل أن يتنازل عن زوجه أو عن إحدى زوجاته — حق عن الزوجة الممتازة — إلى رجل آخر قد مسه الإملاق من غير خطأ منه حتى يستطيع الإفادة من عمل المرأة .

ثم مما تجب مراعاته أن مصدرا من المصادر المعاصرة لم يتحدث عن القوانين التى أصدرها قباد لشيوع الأموال . وقد تحدثت ال — خداينامه عن مثل هذه الوسائل ، وقد يكون فيها شىء من الحقيقة . ولكن التجديد لم يكن من الخطر بحيث يثير العجب فى نفوس المعاصرين من البيزنطيين والسريان . وربما تعلقت بفرض ضرائب باهظة على الأغنياء لتحسين أحوال الفقراء أو بشىء من هذا القبيل .

ويتساءل الباحث لماذا أعلن ملك إيران انضمامه إلى فرقة الشيوعيين . وقد أزعج السؤال المؤرخين الشرقيين . ويدعى بعضهم أن اعتناقه المذهب كان عن عقيدة ، ويرى الآخرون أنه لم يقبل مذهب المزدكية إلا محاباة أو خوفاً . وقد بين نولدكه(١) يقظة ونشاط هذا الملك الذى رقى العرش مرتين فى أشد الظروف عسراً ، وثبت فيه ، وكثيراً ما ألقى الفزع فى الإمبراطورية الرومانية ، ثم ختم قوله بأن قباد لم يتحالف مع المزدكية إلا بقصد تحطيم قوة الأشراف . ولكن لم يتحدث واحد من المصادر المعاصرة أو القريبة من عهد قباد على أنه « مكياڤلى » الخلق . لم يذكره بذلك پروكوپ الذى كان معجباً به ، ولا أجاثياس الذى لم يكن يحبه ، ولا المقسمى ستيليت الذى كان يبغضه . وإلى هذا نجد مصادرنا تشير إشارات كثيرة قد يفهم منها أن اعتناق قباد المزدكية كان بإخلاص . وقد انهارت دولته « لأنه كان يشتغل بالحياة المستقبلة » كما يقول حمزة . أما الطبرى فيعتبره من خير ملوك إيران إلى أن ضل واعتنق المزدكية . ومهما عددنا رواية الثعالبى والفردوسى عن الحادثة التى جرت بين مزدك وقباد أثناء القحط خرافية ، فإنها توضح الرأى بأن الوسائل التى اتخذها الملك بناء على نصح مزدك قد استوجبت الاهتمام بأمر الشعب المعذب ، وهذا هو نفس الشعور بالعدالة وبالإنسانية الذى يظهر فى إصلاح نظام الجباية الذى أعده قباد

(١) Tabari ، ص ١٤٢ — ١٤٣ ، ملحوظة ٣ ، ص ٤٦١ .

ونظمه خليفته من بعده . والروايات العربية القديمة ، وهى روايات عدائية اللهجة ، تقول بأن هذا الملك ، وهو زنديق[١] « قد ظهر بالرقة وبأنه يخشى سفك الدماء وأنه من أجل هذا كان يعامل أعداءه بكثير من الرأفة » . ومما لا يحتاج إلى بيان أنه ينبغى ألا نفهم هذا الخوف من إراقة الدماء بالألفاظ . فإن ملكا يشتبك فى الحرب فترة طويلة من حكمه ، وكان عليه فى الوقت نفسه أن يقمع الكبرياء وروح العصيان فى حزب من الأشراف الأقوياء ، لا يمكن أن يكون شديد الحساسية فى هذه الناحية . ثم إنه فى حروبه ضد البيزنطيين قد اتبع المثل السائر القائل بأن الهجوم خير دفاع . ولكننا نميز فى وسط الوحشية التى لم يكن منها مفر فى حروب ذلك الوقت آثار إنسانية الملك قباد . ويتحدث المتسمى ستيليت فى فزع عن المذبحة التى وقعت على سكان مدينة آمد بعد أن استولى عليها قباد ، ولكن حين نقرأ هذه الرواية يجب أن نقدر طبيعة الحرب وروح التعصب عند المؤرخين النصارى الذين دأبوا على اتهام خصومهم فى الدين . وأما رواية پروكوپ فتقول بأن الفرس حين دخلوا المدينة قاموا بمذبحة كبيرة فتقدم قسيس شيخ من قباد وقال له إنه ليس جديراً بملك أن يقتل الأسرى . فأجابه قباد وكان لا يزال غاضباً : « لماذا أصررتم أنتم على قتالى ؟ » فأجاب القسيس : « قد أراد الله أن يضع آمد بين يديك ، لا بتدبير منا ، ولكن بفضل شجاعتك » . فأمر الملك بوقف المذبحة ولكن أباح نهب الأملاك واسترقاق جميع الأحياء من سكان المدينة وأن يُختارَ له كل ذوى الكفايات . فلما عاد إلى إيران مع الجيش وأسرى الحرب أثبت رأفته مرة أخرى وذلك بالسماح لجميع الأسرى ، بعد زمن قليل ، بالعودة إلى أوطانهم[٢] . وقد ترك الملك القائد گلون مع فرقة صغيرة لاحتلال آمد ، ولكن لا هذا القائد ولا قباد نفسه ، أباحا لنفسيهما إتلافا أو تخريبا لأية كنيسة فى آمد أو خارجها[٣] . ويظهر أن قباد قد عامل أخاه

(١) انظر عن كلمة زنديق شيدر ، Iranische Beiträge, I, Schriften der Königsberger Gelehrten Gesellschaft ، ١٩٣٠ ، ص ٢٧٤ وما بعدها .

(٢) BP ، (١) ، ٧ ، ٣٠ — ٣٤ .

(٣) BP ، (١) ، ٩ ، ١٩ . ومثل آخر من كرم قباد فى المرجع نفسه ، (٢) ، ١٣ ، ٨ — ١٥ .

جاماسب ، الذى عزل عن العرش ، معاملة إنسانية تتنافى مع عادات ملوك إيران[١].
والخلاصة أنى أعتقد أن فى وسعنا أن نقول : حق أن الملك قباد لم يتبع بغاية الدقة قواعد الأخلاق المزدكية ، كما لم يتبع قسطنطين الأكبر بغاية الدقة قواعد الأخلاق المسيحية ، ولكنا نحس فى سلوكه ، إلى حد ما ، المثل الإنسانى الأعلى لمزدك .

وعدا هذا نظن أن القوانين الاجتماعية التى سنها قباد فى المدة الأولى من حكمه لم يكن لها تأثير ظاهر على مركز النبلاء وصلاتهم . ولو ظهرت اضطرابات اجتماعية فى ذلك العصر لواجه جاماسب ، الذى نصب ملكا بعد عزل قباد ، وكان رجلا رقيقا ضعيفا فيما يظهر ، مصاعب ولوجدنا آثار بعض هذه فى مصادرنا . ولكن ، لا الكتاب المعاصرون ، ولا المؤرخون العرب والفرس ، يذكرون كلمة واحدة عن معارك اجتماعية أو مساع بذلتها الحكومة الجديدة لقمع الحركات الثورية . وقد استمرت الثورات التى كان منشؤها نكبة فيروز وضعف بلاش أثناء المدة الأولى من حكم قباد . وأما ما يقوله المتسمى ستيليت من أن قباد الملك الضال قد قسى على الأرمن لأنهم رفضوا عبادة النار فقول بعيد عن الصواب . ولكن الصلح الذى عقده « گشنسپداذ » مع الأرمن الثائرين لم يكن كافيا لإخماد المنازعات التى كانت دينية وسياسية فى وقت واحد[٢] ، فتجددت الحرب وغلب الأرمن جيش قباد . وقد ثار القادشيون[٣] والتموريون ، وهم من العشائر الجبلية فى إيران ، وأغار العرب على الأراضى الإيرانية ، وهؤلاء الأعراب هم من غير شك القبائل العربية التى عجز عن كبح جماحها ملك الحيرة التابع لملك إيران . وقد أثبت قباد حقوقه قبل الإمبراطور أنستاس فى تقاضى معونة مالية للدفاع عن شعاب القوقاز ضد البرابرة ، وهى مثار خلاف قديم بين إيران والإمبراطورية الرومانية فطالب الإمبراطور بمدينة نصيبين الحصينة ثمنا لهذه المعونة ، ولكن قباد لم يقبل هذا الشرط[٤] .

---

(١) انظر ص ٣٣٦ .

(٢) انظر هنا ص ٢٨١ .

(٣) قادش فى إقليم سنجارا ونصيبين ، ويبدو أنهم كانوا قبيلة من الهياطلة (انظر نولدكه ZDMG ، (٣٣) ، ص ١٥٧ وما بعدها ، وماركارت ، Eranšahr ، ص ٧٧ وما بعدها) .

(٤) المتسمى ستيليت .

وقد بلغت الأمور هذا الحد حينما عزل قباد بثورة فى القصر أثارها بغض كبار رجال الدين الزردشتيين لـكل ما يشتم منه الضلالة المانوية ، وحقد جماعة من النبلاء الذين كانوا يناصرون زرمهر . وكان أشـد الأعداء بغضاً لقباد « النخوير گشنسپداذ » الذى كان يشغل المنصب الـكبير « كنارنگ »(١) ، وكان فيما مضى محل ثقة زرمهر فى المفاوضات مع الأرمن(٢) . وليس صحيحاً ما يقوله المتسمى ستيليت من أن قباد قد علم بمؤامرة العظماء وأنه هرب إلى بلاد الهون (أى الهياطلة) . وتتفق كل المصادر الأخرى على أن الملك المعزول قد سجن(٣) . وأما أقوال المؤرخين البيزنطيين التى تعزو عزل الملك إلى اسـتياء عام بين السوقة أثارته القوانين الثورية (پروكوپ) ، وأن الجميع ثاروا (أجاثياس) فينبغى أن تفهم على الطريقة الإيرانية فى الثورات : فقد أشعل النار الأشراف وكبار رجال الدين ، ولم يهتم السوقة بالأمر إلا بسبب خضوعهم المادى لأصحاب الإقطاعات العظام وتأثرهم الروحى بالموابذة . ثم إن المؤامرة لم تشمل الأشراف جميعاً ، فقد كان لقباد واحد منهم على الأقل ، كان مخلصاً ونشيطاً هو سياوش ويبدو أنه كان شاباً حينذاك . وقد نصب الثوار جاماسب أخا قباد(٤) على العرش . واجتمع الأشراف ، الذين كونوا مجلس شورى الملك تحت رياسة جاماسب ليتداولوا فى مصير قباد . فأشار « النخوير گشنسپداذ » ، الـكنارنگ ، والحاكم العسكرى على حدود الهياطلة ، بأن الأفضل قتل الملك المعزول ، ولـكن الأكثر رفضوا اقتراحـه وأشاروا برأى أقل غلوا(٥) ، وحبس قباد . وليس من سبب للشك فى رواية پروكوپ الذى يقول إن الملك المعزول سجن فى قلعة

(١) نخوَر ، انظر ص ١٠ ملحوظة ٣ .

(٢) ص ٢٨١ .

(٣) ليس كما يريد أجاثياس فى السنة الحادية عشرة من حكمه ؛ وقد نفذت المؤامرة سنة ٤٩٦ . إنما هى عودة قباد التى كانت فى السنة الحادية عشرة من الفترة التى بدأ فيها ولايته . انظر نولدكه Tabarī ، ص ٤٢٧ وما بعدها .

(٤) يسميه پروكوپ ، (بلاش) خالطا بينه وبين سلفه قباد . وقد أدى إلى هـذا الخلط تشابه إلى حدما فى أخلاق هذين الملـكين ومصيرهما .

(٥) پروكوپ .

انوش برد (قلعة النسيان) ، لأنا نعلم أن هذه القلعة قد اتخذت محبساً لمن هم خطر على الدولة من حيث مولدهم أو مرتبتهم(١) .

ولم يلبث قباد فى سجنه طويلا . فقد خلصه سياوش بطريقة ما ولم يلبث هربه أن صار موضوعاً للقصص الخيالى(٢) . وقد صحب سياوش قباد فى هربه(٣) . وقد أمكنه الفرار وبلغ قباد بلاط ملك الهياطلة أو الخاقان فاستقبله استقبال صديق قديم وزوّجه ابنته من ابنة الملك فيروز ، وكانت ابنة اخت قباد(٤) . وأخيراً أمده صهره

---

(١) انظر ص ٢٩٣ .

(٢) يذكر بروكوب إن الذى خلص قباد من سجنه صديق له حميم اسمه سياوش ، وكذلك فإن معظم المصادر العربية والفارسية التى ترجع إلى الخداينامه تجعل هـذا الصديق زرمهر . ولـكن يروى أيضاً أن الذى خلص قباد امرأة أطمعت الحارس بجمالها . وفى بروكوب Procope تذكر المرأة على أنها زوج قباد وأن الهرب تم بواسطة التخفى : فقد خرج قباد من السجن مرتديا ثياب زوجه . وفى إحدى الروايات التى يذكرها الطبرى وجاءت فى فارسنامه (ص ٨٥) أن هـذه السيدة أخت قباد ، وأنها أخرجت أخاها من القلعة ملفوفا فى بساط وقالت عن البساط إنه فراش كانت افترشته فى عراكها (حيضها) وإنها إنما خرجت لتتطهر . ومن المحتمل أن تكون السيدة ، بصيغة القصة الأولى ، أخت قباد وزوجه فى الوقت نفسه . وقد مزج الدينورى وصاحب النهاية ، كما فعل بروكوب ، الروايتين وذلك بأن جعلوا للصديق دورا أفلحت من بعـده السيدة فى إخراج قباد من السجن . ويقول أجاثياس Agathias فى بساطة إن قباد هرب من السجن ، سواء كان هـذا بحيلة من زوجه كما قال بروكوب ، أو بطريقة أخرى . ونستطيع أن نعرف من هذا أن قصة تحايل السيدة لم يكن موجوداً فى الروايات الإيرانية التى رجع إليها أجاثياس .

(٣) بروكوب ؛ خداينامه .

(٤) المدعى ستيليت ؛ بروكوب ؛ أجاثياس . وهاهى قصة ذكرتها كل الفروع التى تستقى من الخداينامه : ذلك أن الملك قباد قد تزوج أثناء هربه من امرأة مجهولة فى إحدى قرى إيران ، وقد اختلفت الروايات فى موقع هذه القرية ، وقد تركها وواصل هربه . وحينما عاد إلى إيران وجدها قد وضعت طفلا ، هو الملك المستقبل كسرى أنو شروان . وقد علم أن هذه السيدة تنتمى إلى أسرة مالـكة قديمة فأحضرها مع ابنها فى قصره . وقد ذكر بعض الـكتاب العرب والفرس (الفرعين الثانى والرابع) أن هرب قباد إلى بلاد الهياطلة (أو الترك) كان أيام بلاش . وقد رأينا أن اشتباه سلطنة بلاش بكان جاماسب قد سبب الخلط فى رواية بروكوب ، وقد جر هـذا اللبس تغيير الحقيقة التاريخية عند الـكتاب الشرقيين . وهكذا فإن كتاب الفرع الثانى يرجعون تاريخ هذه المخاطرة الغرامية التى قام بها قباد إلى زمن بلاش ، أما كتاب الفرع الرابع فقد قصوا هرب قباد مرتين (مرة إلى بلاد الترك أيام بلاش ومرة أيام جاماسب إلى الهياطلة) وبذا جعلوا القصة الغرامية فى مكانها الأصلى . أما عن الباعث على هذه القصة فانظر ... Das Motivenschema ، H.v. Mzik ، فيينا ١٩٣٠ ، ص ٢٤٠ وما بعدها .

بجيش وتعهد قباد بأداء الجزية إذا نجح فى استعادة عرشه . وفى سنة ٤٩٨ أو ٤٩٩ دخل قباد مملكته بغير حرب تقريباً[١] .

ولم تتحدث المصادر جميعاً عما جرى من حوادث أيام جاماسب ، فثورة الأرمن ، والاضطرابات الأخرى التى بدأت من قبل ، قد استمرت ولم يتم كبحها إلا بعد سقوط جاماسب . وهذا الملك الذى اكتسب شهرة الملك الرحيم العادل لم يثبت أنه نشيط عامل ، ولما لم يجد مدافعين عنه متحمسين آثر أن ينزل باختياره عن العرش لأخيه .

وقد اختلفت روايات المصادر بشكل واضح فى مصير جاماسب . ويقول مؤرخ واحد[٢] إن قباد قتل أخاه . ويقول پروكوپ إن الملك المؤقت قد سملت عيناه ، وهو يسميه الملك ولاش (بلاش) . ولكن الذى سملت عيناه هو حقيقة بلاش سلف قباد . ويروى ابن البطريق والطبرى أن جاماسب قد نفى . ويقول الدينورى والثعالبى والفردوسى ، وهم فى هذا يتفقون مع أجاثياس وهو مصدر من الدرجة الأولى ، إن قباد عفا عن جاماسب ولم يقتله . ويبدو لى أن اختلاف المصادر فى هذه النقطة يبين أن قباد لم يتبع الطريقة الشائعة فى البلاط الساسانى والتى تقضى بقتل من يدعى الملك أو بسمل عينيه على الأقل . فكل هذا يحملنا إذاً على الاعتقاد بأن رواية أجاثياس صحيحة من الناحية التاريخية ، وأن قباد قد دل فى معاملة أخيه على رحمة نادرة . أما أن قباد قد تعهد رسمياً بألا يحابى المزدكيين كما يقول بعض المؤرخين العرب[٣] فهذا لا يقبل على أى وجه ؛ ولكن يحتمل أن يكون قد تعهد صراحة بأن يكون من بعد أكثر حيطة مع المزدكية .

وأما الأشراف الذين عزلوه فإن المتسمى ستيليت يقول فى روايته التى يبالغ فيها إنه قتلهم . ومما لا يحتاج إلى بيان أنه ليس فى طاقة الملك أن يتخلص بهذه الطريقة السهلة من طبقة الأشراف القوية . ولا شك أن رواية الدينورى والثعالبى والفردوسى

---

(١) المتسمى ستيليت ، پروكوپ ؛ أجاثياس ؛ خداينامگ . أما عن التاريخ فانظر نولدكه ، Ṭabari ، ص ٤٢٨ .

(٢) الياس النصيبى ، انظر نولدكه ، Tabari ، ص ١٤٥ — ١٤٦ ، ملحوظة ٥ .

(٣) الدينورى ؛ النهاية .

أنه قبل اعتذارهم وعفا عنهم ، أقرب إلى الحقيقة التاريخية . وهو لم يعاقب غير من كانت عداوتهم بالغة الخطر . وقد اضطر الكنارنگ «گشنسپداذ» أن يدفع حياته ثمناً للنصيحة التي أسداها من قبل بقتل الملك المعزول قباد ، وأخذ مرتبة الكنارنگ هذه آذرگُنداذ أحد أفراد أسرة گشنسپداذ[١] . وكوفئ سياوش على ما أدى من خدمات فعين في المنصب العسكرى العالى « ارتشتار انسلار » ، كبير جيش إيران ووزير الحربية[٢] .

وقد عرف قباد كيف يثبت سلطان الملك . فقد خضع له القادشيون والتموريون ، وقضى على غارات القبائل العربية ، واشترك عرب الحيرة برياسة ملكهم النعمان الثانى[٣] فعلا فى الحرب التى بدأت مع بيزنطة . وأما الأرمن فقد أُخضعوا ، وأقر قباد على حقهم فى حرية العقيدة على شرط أن يعاونوه مخلصين فى الحرب ضد الروم ، فقبلوا كارهين[٤] .

ويبدو أن قباد قد عمل على إضعاف سلطة الأشراف . يقول شتين[٥] إنه عين بجانب « البزرگ فرمادار » موظفاً لقبه « استبذ »[٦] ، أى رئيس التشريفات ،

(١) لا يجوز وصف التفصيلات التى ذكرها پروكوپ بأنها تاريخية : فإن قباد حين أعلن أن أول من يحبيه بعد اجتياز حدود إيران يرفعه إلى درجة كنارنگ قدنسى (ا) أن كل وظيفة كبيرة كانت مرتبطة بأسرة معينة ، ولا يجوز أن يولاها رجل لاينتمى الى هذه الأسرة ؛ ولكن الصدفة السعيدة جعلت آذرگنداذ أحد أفراد أسرة گشنسپداد أول من يحبيه . والحقيقة أن وظيفة كنارنگ كانت إحدى الوظائف الكبرى التى تناط بأفراد الأسرات السبع الممتازة (انظر ص ٩٤ ملحوظة ٣) . وقد حدث أخيراً أن نقل كسرى أنوشروان ، بعد أن قتل آذرگنداذ ، وظيفة كنارنگ إلى ولده بهرام بن آذرگنداذ (پروكوپ ، BP ، (١) ، ٢٣ ، ٢٢) .

(٢) ليست صحيحة رواية پروكوپ التى تقول بأن سياوش كان أول وآخر من شغل هذه الوظيفة ، انظر ص ١٢٠ .

(٣) روذشتين ، ص ٧٤ .

(٤) المنسمى ستيليت ، الفصل ٢٤ .

(٥) انظر الملحق الثانى .

(٦) انظر ص ١٢٥ .

كما أدخل نظام الپاذ گوسپان[1] الأربعة الذين حلوا محل المرازبة الأربعة الكبار (مرزبان شهر دار)[2] .

ولكى يؤدى قباد الجزية التى وعد بها ملك الهياطلة ، استقرض الإمبراطور انستاس ، ولكن الإمبراطور أجاب بالرفض ، مؤملا فى فتور الصداقة بين الإيرانيين والهياطلة إذا لم تدفع الجزية . وحينئذ بدأ قباد الحرب سنة ٥٠٢ . وعلى عكس ما انتظر ساسة بيزنطة قاتلت فرق الهياطلة فى صفوف الجيش الإيرانى . والحادث المهم فى هذه الحرب هو استيلاء قباد على آمد . ولكن غزوات الهون الذين تسربوا من أبواب قزوين (فجوة داريال) جعلت الملك يعزم على عقد هدنة لسبع سنوات (٥٠٥ أو ٥٠٦) . وقد نجح فى أن يرجع هذا العدو ، ولكن الهون السابرية عادوا إلى غزو أرمينية وآسيا الصغرى بعد عشر سنوات[3] . وأخيراً جعل قباد من المدينة القوقازية پرتو ، وقد سميت فيروز — قباد ، حاجزاً منيعاً ضد غزوات البرابرة[4] وقد كانت هذه المدة هادئة بعض الهدوء .

ويمكن أن نفترض أن الإصلاح الذى تحدث عنه كتاب خدا ينامه قد تم أثناء هذه السنوات ، وهو حفر الترع وإنشاء الجسور ونحوه ، وتشييد المدن التى منها رام — قباد على الحدود بين فارس وخوزستان[5] وقباد خرّه فى فارس[6] .

وحوالى سنة ٥١٩ أثيرت مسألة وراثة العرش . وكان قباد قد وطد سلطانه

---

(١) قارن ص ١٢٨ .

(٢) هنا ص ٨٨ . والأربعة پاذگوس أو پاذكوس (هذه الصيغة فى نصوص تورفان) هم : أپُهاخْتَر (الشمال) ، خوراسان (خراسان ، الشرق) ، نيمروز (الجنوب) ، خوَرْوَران (الغرب) . انظر الطبرى ، ص ٨٩٢ — ٨٩٣ ؛ نولدكه ، ص ١٥١ — ١٥٢ ملحوظة ٢ .

(٣) ماركارت ، Erānšhr ، ص ٦٣ — ٦٤ و ١٠٧ .

(٤) ماركارت ، (١) ، c ، ص ١١٨ . فى حرب قباد الثانية ضد بيزنطة كان فى الجيش الإيرانى جماعة من السابرية (پروكوپ ، BP ، (١) ، ١٥ ، (١)) .

(٥) الطبرى ، ص ٨٨٧ — ٨٨٨ ؛ نولدكه ، ص ١٤٦ .

(٦) الثعالبى ، ص ٥٩٤ ؛ فارسنامه ، ص ٨٤ .

حينذاك إلى حد أن حاول إعادة النظام القديم الذى يخول للملك أن يختار خليفته[١]، ونجح فى ذلك . وكان له ثلاثة أبناء يصلحون لولاية العرش من بعده . وكان كاووس أكبرهم[٢] . وكان قباد قد عهد إليه بولاية «پَدَشخوَارْگر — طبرستان» — (الأقاليم الجبلية فى پذشخوار) بعد أن زال جاه أسرة گشنسپشاه وكانت تلى هذه الولاية منذ نهاية الدولة الأشكانية[٣] . وهكذا يتضح ، كما لاحظ ماركارت أن أمير پذشخوار (پذشخوار — شاه) الذى تحدث عنه تيوفان هو كاووس[٤] . ويقول تيوفان إن كاووس هذا هو ابن قباد من بنته هو المسماة سمبيكه . وقد بين ماركارت بعد هذه الرواية عن الحق : فقد ولد كسرى ثالث أبناء قباد ، حسب الروايات العربية — الفارسية ، أثناء فرار قباد وقبل أن يصل إلى ملك الهياطلة[٥]،ولا يمكن أن يكون كاووس ابنا من بنت أخت قباد بنت ملك الهياطلة ، وإذا يجب أن يكون مولد كاووس قبل هرب قباد ، ويحتمل أن يكون ابن هـذه السيدة التى هى أخت قباد وزوجه ، والتى ساعدت زوجها على الهرب من السجن[٦] . ومن الممكن سوق دليل آخر لتقوية رأى ماركارت . فإن كاووس ، فيما يقول تيوفان ربى على دين المانوية أى المزدكية . فمن المستبعد أن يكون قباد قد اجترأ بعد عودته إلى العرش على أن يعود إلى تحدى رجال الدين الأقوياء بأن يعهد بتربية ابنه إلى المزدكيين . وإذاً نفترض أن إشراف المزدكيين على تهذيب كاووس بدأ قبل أن يعزل والده عن العرش

---

(١) هنا ص ٢٥٠ .

(٢) پروكوپ ، BP ، (١) ، ١١ — ٣ ؛ ابن اسفنديار ؛ ظهير الدين ، انظر "Le règne du roi Kawadh" ص ٧٥ وما بعدها .

(٣) انظر نولدكه ، كارنامك ، ص ٤٧ ، ملحوظة ٢ وماركارت ، Erānšahr ، ص ١٣٠ .

(٤) اخطأ تيوفان بجعله ثالث أبناء قباد سنا .

(٥) لا نستطيع الاعتماد كثيراً على هذه الروايات القصصية .

(٦) ماركارت ، (١) ، c ، ص ١٣٠ — ١٣١ ، ملحوظة ٦ . ليس هناك من سبب للشك فى وجود هـذه الأخت والزوجة لقباد ، مع التسليم بأن رواية حيلة السـيدة قد تكون روائية .

وكان زام ، الأخ الثانى ، قد فقد عينا من عينيه . ويؤدى مثل هـذا العيب ، عادة ، إلى الحرمان من الملك . ولـكن هذا الحرمان لم يكن حتما ؛ وكان قباد الذى أراد أن يدع العرش إلى كسرى خائفاً أن يدعى زام أنه أحق بالعرش بعد أبيه وكان قد جمع لنفسه جماعة من الأصـدقاء بخلقه المتين[1] . وهنا أثر من آثار رحمة قباد فإنه لم يتخلص من ابنه الذى يخشى أن يدعى العرش بالطريقة المألوفة وهى القتل

وأما الولد الثالث ، كسرى ، الذى وجد فيه قباد كل صفات الملك الصالح ، فقد كان عيبه الوحيد ما فيه من استعداد لسوء الظن[2] . ورواية خداينامه تجعل أمه بنتاً لأحد الدهاقين من أسرة مالـكة قديمة ، كان قباد قد تزوجها أثناء فراره ، وهى رواية خرافية . ويقول پروكوپ Procope إن أمه كانت ابنة أحد الأصبهبذين أو « إيران — سپاهبد » بويه الذى عقد مع سلر الرومانى هدنة سنة ٥٠٥ أو ٥٠٦[3] .

وأما أن قباد قد آثر لخلافته كسرى الصغير على ابنه الأكبر كاووس پذشخوارشاه ، الذى كان مزدكياً معروفاً ، فيبين بشكل واضح تغير سياسة الملك تجاه الفرقة التى كان متعلقاً بها حيناً .

ولـكى يضمن قباد العرش لـكسرى عقد مع الإمبراطور جستين صلحاً نهائياً ثم طلب إليه أن يتبنى ابنه كسرى ، وهو عمل يؤدى إلى التزام الإمبراطور التزاماً أدبياً بالدفاع عن قضية كسرى ضد من يدعون العرش . وربما ظهر هذا الطلب لنا غير عادى ، ولـكن حوالى آخر القرن الرابع نصب الإمبراطور أركاديوس ملك إيران يزدگرد الأول كفيلا للأمير الصغير تيودوس لـكى يضمن ارتقاءه العرش من بعده ، ولو أنه فى الحقيقة لم يفعل هـذا فى صورة تبنى[4] . وقد عمل الإمبراطور

(١) پروكوپ .

(٢) الدينورى ؛ النهاية .

(٣) انظر ص ٣٢٣ ، ملحوظة ١ .

(٤) هنا ٢٥٦ .

جستين برأى المستشار بروكلس ، فقبل طلب قباد ، ولـكنه اشترط أن يتم التبنى بالسلاح « على الطريقة البربرية » لا بوثيقة مسطورة . ولعل المقصود هنا نوع من التبنى كان شائعاً بين البرابرة الجرمان فى أوربا ويظهر أنه لم يكن يستتبع مثل هذه الالتزامات الفادحة . ولما لم يقبل قباد هذا الشرط انقطعت المفاوضات التى أثار الفرس فيها طلبات لهم فى إقليم لازيكه وظلت التسوية معلقة بين الدولتين(١) .

وقد كانت هـذه الخيبة فى المفاوضات نذيراً بسقوط الـ — أرتيشتارا نسالار سياوش الذى كان حتى ذلك الوقت أقوى رجل بين عظماء إيران ، فهو الذى كان يتولى المفاوضات مع الرومان ، وكان معه عظيم آخر اسمه ماهبود من عائلة سورين فاتهمه بأنه السبب فى خيبة المفاوضات ، وكان ينقم عليه سلطانه ؛ وكان ماهبود متكبراً كل التكبر ولو أن بروكوپ يمتدح إخلاصه ، وقد رفعت القضية إلى المجلس الأعلى ، أى جمعية العظماء ، ولعل رئيسها الموبذان موبذ ، وهى المحـكمة التى يظهر أن لها ولاية القضاء فى جرائم الخيانة العظمى .

وكانت هذه المحـكمة مدفوعة بالحقد على سياوش وعازمة ، فيما يظهر ، على شـنقه فوجهت اتهامات أخرى إليه : فإنه لم يكن يريد أن يعيش على السنن المتبع ولا أن يحافظ على المراسيم الإيرانية ، بل إنه يقدس آلهة جديدة ، وقد ماتت زوجته ، قبيل المحاكمة ، فدفنها على غير عادة الزردشتيين الذين يحتمون أن تعرض الجثث على الدخمات (جمع دخمة) حتى تلتهمها جوارح الطير . وحكم على سياوش بالقتل ، وأقر قباد الحـكم ، ولو أنه كان آسفاً ، وذلك لـكيلا يخرق القوانين . ورواية بروكوپ هـذه تلفت النظر لأنها تجعلنا نشك أ كانت تتناول حكماً ضد المزدكية وكانت قد بلغت أقصى قوتها حينذاك ، وبروكوپ المؤرخ الوحيد الذى يحدثنا تفصـيلا عن سقوط سياوش لا يذكر أنـ هذا العظيم كان « مانويا » : فإنه لا يهتم مطلقا بالفرق الدينية فى إيران ، ولسنا نعرف أ كان المزدكيون يدفنون

---

(١) بروكوپ .

موتاهم[١] ، والذى نعرفه هو أن سياوش قد أنجى من السجن قباد الذى عزل ثم حبس لصلته بالمزدكيين ، وأنه (سياوش) يدين بمذاهب معادية للدين والمراسم الزردشتية ، وأنه يعبد آلهة جديدة . فالقول بأن سياوش كان هو نفسه مزدكياً يبدو طبيعياً . ولكن إذا كان الأمر كذلك ، فإن مسلك قباد مع سياوش ، وإن بدا لنا غير وفىّ ، يصير مفهوماً على الأقل : فإن النتائج الوخيمة للدعاية المزدكية قد أخذت تلقى الرعب فى نفس الملك فلطالما تسامح سنين طويلة مع إخوانه فى العقيدة ، ولكن اتجاهاتهم أخذت تزداد مضايقة له ، وفى هذه اللحظة رأى أن ينحاز نهائياً إلى ناحية الدين الزردشتى . وقد أصبح ماهبود المستشار الأمين للملك ولقب ب سر — نخوير گان[٢] .

ويظهر أن قباد قد انتهز فرصة ليظهر تمسكه بالدين الرسمى ، فأراد أن يحمل أهل جورجيا النصارى على قبول الدين والمراسم الزردشتية ، وحرم عليهم خاصة أن يدفنوا جثث الموتى وأوجب عليهم أن يعرضوها وفقاً للمراسيم الإيرانية . ولعل الخطر الذى جعل لهذا الموضوع الأخير الذى كان ذا أثر كبير فى قضية سياوش لم يكن مصادفة. وقد استجار جورجين ، ملك جورجيا التابع لملك إيران ، بالإمبراطور فأجاره ، وبدأت المنازعات بين إيران وبيزنطة . وقد وقعت الحرب العلنية منذ سنة ٥٢٧[٣].

ونستطيع بدراسة عميقة لما فى أيدينا من تاريخ المزدكية ، أن نكون لأنفسنا فكرة تقريبية عن تطور هذه الحركة أثناء حكم قباد المديد . كانت المزدكية فى الأصل مذهباً دينياً ، دعى إليه رجل مثالى مشبع بأخلاق الإنسانية ، وكانت نياته خالصة وخالية من الغرض بغير شك . ولم يكن لمظهر المذهب الاجتماعى إلا شأناً قليلا ، والقوانين التى أصدرها قباد فى المدة الأولى من حكمه ليحقق ، إلى حد ما ، المثل الأعلى

---

(١) أما عن المانوية فيبدو أن عرض الجثث كان شائعا فى بعض الأقطار أو عند بعض المذاهب ، ولكن كتاب « الأصلين » المانوى ينص على وجوب دفن الموتى عراة . انظر شوان وپليو ، JA ، ١٩١٣ ، (١) ، ص ٣٥٤ — ٣٥٦ و ٣٣٨ .

(٢) أى رئيس النخويرگان .

(٣) پروكوپ .

الدنيوى عند المزدكية ، كانت فى الحقيقة قوانين ثورية ، ولكن لا إلى الحد الذى ظهرت به للشاهدين الأجانب . ولعله لم يكن للمزدكية ، فى اللحظة التى عزل فيها قباد وفى أثناء حكم جاماسپ ، غير دعوة محدودة . ولكن المبادئ الشيوعية كانت قد بدأت تتأصل فى السوقة ، وكانوا منذ أجيال فى ضيق من ظلم الطبقات الممتازة ؛ وقد انتشرت هذه المبادئ ، بطيئة أول الأمر ثم لم تلبث أن أسرعت . وظهرت أعمال لا تنطوى على الرحمة الدينية ولا تتمثل فيها النزاهة عن الهوى التى كانت طابع مزدك، واستفحل الاستياء ، وجرأ السوقة التكاثر . فبدأوا العدوان . ولا نبعد عن الصواب كثيراً إذا قلنا إن العبارة الآتية من كتاب تنسر تعبر عن هذه الحال[١] : « فإذا حجاب الحفاظ والأدب قد ارتفع ، وظهر قوم لا يتحلون بشرف الفن أو العمل ، لا ضياع لهم موروثة ، ولا حسب ولا نسب ، ولا حرفة ولا صناعة . عاطلون ، مستعدون للغمز والشر وبث الكذب والافتراء ، بل هم من ذلك يحيون فى رغد من العيش وسعة المال » .

وهكذا عم التطاول كل مكان ، واقتحم الثوار قصور الأشراف ، ناهبين الأموال ، مغتصبين الحرائر ، وكانوا يملكون ، هنا وهناك ، أراضى تلفت لأن السادة الجدد لا يعرفون الزراعة .

ونرى إلى أى حد بلغت الفوضى ؛ من روايات المؤرخين العرب عن الوسائل التى اتخذها كسرى الأول من بعد ، لإصلاح ما نتج من المفاسد وسنتناولها فى الفصل القادم . وإن كانت المزدكية قد أخذت تتخذ رويداً رويداً طابع نظرية اجتماعية ثورية وهى تنتشر فى الطبقات الدنيا من المجتمع فإن أساسها الدينى قد بقى . وقد كان لها دائماً أنصار بين الطبقات العالية[٢] . وأخيراً أحست الجماعة المزدكية بالقوة الكافية لإنشاء المراتب الدينية . وكانوا ينتخبون رئيساً . ويقول مالالاس إن اسم هذا

---

(١) دار مستتر ، ص ٢١٥ و ٥١٩ ؛ مينوى ، ص ١٣ ؛ الترجمة العربية للخشاب ص ٣٥ .

(٢) « المستشارون الفرس الذين حافظوا على إيمانهم » (تيوفان) .

الرئيس كان « اندرزار »[1] ، وقد رأى فيه نولدكه[2] الكلمة البهلوية « اندرزگر » بمعنى « المستشار » أو « المعلم » ، وواضح أن هذه الكلمة لقب وليست اسماً علماً : إنها لقب الرئيس الأعلى لفرقة المزدكية[3] . ولكن مالالاس وتيوفان يقولان إن هذا الـ « أندرزگر » قد قتل فى مذبحة المزدكية . بينما تجمع المصادر العربية والفارسية التى تنقل من الـ « خداينامك » على أن مزدك قد قتل مع جماعة من أنصاره يوم المذبحة . فمن الجائز جداً أن يكون الـ « اندرزگر » ، الرئيس المنتخب للمزدكيين ، هو مزدك نفسه .

وقد أتاح ضعف الدولة الإيرانية بهذه الاضطرابات الشيوعية ، وان لم تمنع قباد من المثابرة على حرب الرومان ، للحارث بن عمرو ، من قبيلة كندة ، أن يطرد الملك المنذر الثالث عن عرش الحيرة وأن يغتصب الملك[4] .

وقد وقعت الكارثة حوالى نهاية سنة ٥٢٨ وابتداء سنة ٥٢٩[5] . وأدى إليها خطة المزدكية الجريئة فى معارضة قباد فى وراثة العرش ، ولتمهيد الطريق ، بالحيل ، إلى تولى كاووس « پذشخوار شاه » وإقصاء كسرى . هذه هى القطرة الأخيرة التى فاض بها الكأس . ولا ينبغى أن نأخذ التفاصيل التى ذكرها تيوفان عن هذا الموضوع كما هى ، ولكن زبدة المعلومات التى ذكرها مالالاس وتيوفان نقلا عن رواية يِسْتَگَر[6] الفارسى الذى آمن بالنصرانية أخيراً وعمد باسم تيموثة ، صحيحة ولا ريب وقد لجأوا إلى الطريقة المجربة : وأعدوا مؤتمراً دينياً[7] . وحضر كبير المزدكية مع

---

(١) ذكر أكثر تحريفا فى تيوفان : Indazaros .

(٢) نولدكه ، Ṭabarī ، ص ٤٦٢ ، ملحوظة ٣ .

(٣) عن لقب « اسقف » عند المانوية انظر هنا ص ١٨٢ .

(٤) روذشتين ، ص ٨٧ ومابعدها . قارن أوليندر ، The Kings of Kinda ، ١٩٢٧ .

(٥) نولدكه ، Ṭabarī ، ٤٦٥ .

(٦) وظيفة لا نعرفها فى جهة أخرى .

(٧) يقول تيوفان إن قباد قد جمع جمعية عمومية متظاهرا بالاستعداد لتنصيب كاووس پذشخوار — شاه وليا للعهد عملا برغبات المزدكية . وليست صحيحة هذه الرواية التى تتضمن =

رؤساء الفرقة ، واجتهدوا فى دعوة جماعة كبيرة من المزدكية أو جذبهم إلى حضور المناظرة الرسمية . وقد ترأس قباد نفسه المجلس(١) ، ولكن كسرى ، ولى العهد المعين ، الذى رأى حقوقه مهددة باجتماع الأمير كاووس وجماعة المزدكية ، عمل وسعه لإنهاء هذا الأمر بضربة قاضية يصوبها نحو هذه الفرقة(٢) . وجىء بأقوى المناظرين حجة من الموابذة ، ابن ماهداذ ، نيو سابور ، داذ — هرمزد ، آذر — فروغ — بغ ، آذر بذ ، آذر — مهر ، بخت آفريذ(٣) . وقد حضر الموبدان موبد وگلو ناز ، وبازان(٤) أسقف نصارى إيران وكانوا يعاونون الزردشتيين على المزدكية . وكان بازان ذا مكانة خاصة عند قباد لمعرفته بالطب . وبالطبيعة ارتج على أنصار المزدكية وغلبوا ، وفى هذه اللحظة انقض الجند الذين كانوا يحاصرونهم وانهالوا عليهم بأسلحتهم .

= أن قباد كان فى ذلك الوقت يميل نحو المزدكية . أما المصادر التى ترجع إلى الخداينامه — والمصادر التى أخذت عن رواية مزدك — فتقول إن ما حدث كان جدلا دينيا . وهى رواية تؤيدها ملاحظات يشت بهمن البهلوى ((١) ، ٦ — ٨ ، وست West ، PT ، (١) ، ص ١٩٣ وما بعدها ؛ وقد جاء النص البهلوى فى ملاحظة من طبعة دينكرد التى قام بها پيشوتن ، (١٢ ، ص ٣٤ ملحوظة ١) ، والتى قد تمثل تعليقات على الأوستا عملت أيام الساسانيين . وكان هذا النوع من الجدل يذيع فيما يظهر حين يراد القضاء على فرقة ضالة . ومما لا يحتاج إلى بيان أن نتيجة الجدل كانت تعرف من قبل . وإذا كانت مجادلة مانى للموبدان موبد فى جلسة علنية مشكوكا فيها فى الحقيقة ، فإن فى أعمال الشهداء السريان كثيراً من المجادلات بين النصارى والزردشتيين . وقد تجددت طريقة الفرس فى المجادلات الدينية بعد ذلك أيام الخليفة المأمون . (انظر « أبو المعالى » ، شيفر ، Chrestomathie persane ، (١) ، ص ١٤٥ وما بعدها ، ترجمة ماسيه ، RHR ، ١٩٢٦ ، ص ٢١ ؛ والكتاب البهلوى گجستك أباليش ، نشر بارتلمى) .

(١) مالالاس وتيوفان ؛ وهنا تعتبر شهادة تيموثه الفارسى قاطعة ضد ما ذكره الخداينامه من أن مذبحة المزدكية كانت أيام كسرى أنوشروان . وقد كانت قصة مزدك أقرب إلى الحقيقة فى هذه النقطة من الرواية التاريخية شبه الرسمية .

(٢) لم يشر مالالاس وتيوفان إلى نشاط كسرى فى هذا السبيل ، ولكنه ذكر فى ملحوظة يشت بهمن (١) ، ٦ — ٨ .

(٣) يشت بهمن ، وقارن الفردوسى ، انظر "Le règne du roi Kawadh" ، ص ٥٢ .

(٤) الصيغة الإيرانية لاسمى Glonazes و Bazanes لا تتميز بالتحقيق .

وقتل «الاندرزگر» (ولعله مزدك)[1] ولا نعلم كم قتل من المزدكيين فى هذا الكمين ، والأرقام التى يذكرها المؤرخون العرب والفرس غير دقيقة . ولكن يظهر أن رؤساء الفرقة قتلوا جميعاً فى هذه الواقعة ، ولما استبيح دم المزدكية بعد ذلك[2] وبدأت المذابح لم يستطع أهل المذهب ، وهم مشتتون ولا رئيس لهم ، مقاومة أعدائهم الألداء ، فقتلوا وصودرت أملاكهم ، وأحرقت كتبهم الدينية[3] .

ويبدو أن هناك صلة لا نستطيع تحديدها بين القضاء على المزدكية وعودة المنذر الثالث إلى عرش الحيرة ففى سنة ٥٢٩ استطاع المنذر اللخمى أن يقضى على الحارث المغتصب وأن يسترجع مملكته[4] وقد أدى هذا الأمير المحارب الخبير بفنون الحرب خدمات كبيرة للإيرانيين فى محاربة بيزنطة ، وهو الذى يشير إليه پروكوپ باسم المنذر ابن الشقيقة[5] .

والمظنون أن قباد ، بعد هلاك المزدكية خطا أولى الخطوات إلى تحقيق برنامجه فى الإصلاح وقد انتهى نهاية طيبة فى عهد خليفته ، ولعله اقترح وأعد فى هذا البرنامج نظام إصلاح الضرائب ، الذى أكسب كسرى المجد[6] .

وفى سنة ٥٣١ أصيب قباد بالمرض فأملى ، بمشورة ماهبود ، وصيته الأخيرة بولاية كسرى من بعده . وقد كتب ماهبود الوصية فختمها الملك ثم سلمها إليه[7].

---

(١) مالالاس ؛ تيوفان ؛ خداينامه ؛ وقصة مزدك ، التى ذكرت فى سياست نامه لنظام الملك (فصل ٤٤ من طبعة شيفر ، ٤٥ من الترجمة) .

(٢) مالالاس ؛ تيوفان ؛ أبو الفدا .

(٣) مالالاس ؛ تيوفان . وشهادة تيموته ، الفارسى المتنصر ، التى ذكرها هذان الكاتبان ، بأن الملك أعطى معابد المزدكية للنصارى ، فاتخذوها كنائس لهم ، ينبغى أن تقبل بتحفظ .

(٤) روذشتين ، ص ٨٩ .

(٥) روذشتين ، ص ٧٦ .

(٦) اليعقوبى ؛ الطبرى ؛ المسعودى ؛ الدينورى ؛ النهاية ؛ الثعالبى ؛ الفردوسى ؛ البلعمى

(٧) پروكوپ ؛ الطبرى .

وتوفى قباد بعد ذلك بقليل . وكان لا ريب من أعظم ملوك الساسانيين . وقد اجترأ كاووس ، الأمير المزدكى ، ويبدو أنه كان لا يزال قوياً فى « پذشخورگر » على أن يطالب بحقه فى العرش . ولكن ماهبود رفض دعواه ، وقدم الوصية إلى مجلس العظماء وكان عليه أن يقرر ، حسب العادة ، من يرث العرش . وقد وافق الأعضاء بالإجماع على رأى ماهبود وهو أن إرادة الملك هى القانون(١) ، وكانوا يعرفون أن كسرى سيتخذ سياسة حازمة قوية ضد النزعات الثورية . واقتصر عمل الموبدان موبد هذه المرة على فض وصية الملك المتوفى وقراءتها أمام كسرى(٢) . والظاهر أن كاووس قد توسل بالسيف وثار ضد أخيه ولكن بغير جدوى . ومهما يكن فقد قتل بعد قليل(٣) . وهكذا أبعد آخر خطر كان يستطيع أن يهدد الدولة من جانب المزدكية . وبقيت هذه الفرقة منذ ذلك الوقت فرقة سرية فقط ، وعاشت على هذا النحو أيام الدولة الساسانية ؛ ثم عادت إلى الظهور من جديد فى العصور الإسلامية .

---

(١) پروكوپ ؛ الطبرى .

(٢) النهاية ، ص ٢٢٧ . قارن عبارة تجارب الأمم لابن مسكويه التى ذكرها مينوى فى مقدمة طبعته لكتاب تنسر والتى يبدو رجوعها إلى الفترة التى افتتحها قباد رغم ما تنسب من الحوادث لأردشير الأول : كان الملك يكتب اسم خليفته فى أربعة كتب يودعها عند كبار موظفى الدولة الأربعة ؛ وبعد موت الملك تفتح هذه الكتب المختومة ، وكتاب خامس يكون فى طيات ثوب الملك المتوفى ، فمن كان اسمه مسطوراً فى الكتب الخمسة انتخب ملكا (مينوى المقدمة) . ومما هو جدير بالملاحظة الفرق بين هذا الإجراء وما نص عليه كتاب تنسر عما كان متبعا فى الزمن السابق (انظر هنا ، ص ٢٥٠ — ٢٥١) .

(٣) ابن اسفنديار ؛ ظهير الدين . قال هذان الكاتبان إن زمام الأمور ، بعد موت كاووس ، قد سلم إلى أحد أبناء زرمهر سوخرا ، ولكن قد تكون هذه قصة مخترعة لتمجيد أسرة قارن . انظر ماركارت ، Erānšahr ، ص ١٣٤ .

الفصل الثامن

كسرى أنوشروان (الروح الخالد)

تقوية سلطان الملك . تقويم النظام الاجتماعى . إصلاح نظام الضرائب . الاصلاح الحربى . حرب بيزنطة . الهياطلة والترك . غزو اليمن . شخصية كسرى . ثورة أنوشگزاد . وصف العاصمة والقصور الملكية . النظم الإدارية . الملك العظيم . مراسم البلاط . التشريفات . الألقاب الدبلوماسية . عصر النهضة الأدبية والفلسفية . التعليم . العلوم . الطب . برزويه الطبيب الأديب . الدين والفلسفة . تأثير الهند فى الأدب . كليلة ودمنة . الأدب الأخلاق . انحطاط دين زردشت . الأحوال المادية والروحية فى إيران إبان عصر كسرى .

يعتبر ارتقاء كسرى الأول عرش إيران — وهو المعروف فى التاريخ بلقب أنوشروان(١) — افتتاحاً لأزهى عصر من عصور الدولة الساسانية ، فإنه قد قضى على البدع التى أتت بها جماعة مزدك ، كما ساد فى حكمه الأمن فى داخل البلاد . ولكنه كان أمناً حزيناً لقوم منهكين فقراء من كثرة ما لقوا من الفتن وسوء الحكم ، الذى عم جميع الطبقات .(٢)

وقد حفظ الطبرى استهلال خطاب وجهه الملك الجديد إلى نخويرگ زادويه ، باذگوسپان القسم الشمالى(٣) من الدولة ، وقد جاء فيه : « من الملك كسرى بن قباد إلى وارى بن النخويرگان فاذوسبان آزربيجان وأرمينية وحيزها ودنباوند وطبرستان وحيزها ومن قبله ، سلام ، فإن أحرى ما استوحش له الناس فقدمن تخوفوا فقدهم إياه زوال النعم ووقوع الفتن وحلول المكاره بالأفضل فالأفضل منهم

---

(١) نوشيروان عند الفردوسى .

(٢) ص ٨٩٢ — ٨٩٣ ، نولدكه ، ١٥٢ — ١٥٣ .

(٣) يحتمل أن يكون هذا النص صحيح النسبة ، انظر نولدكه ، طبرى ، ص ١٥٣ ، ملحوظة ٢ .

فى نفسه أو حشمه أو ماله أو كريمه وإنا لا نعلم وحشة ولا فقد شىء أجل رزيئة عند العامة ولا أحرى أن تعم به البلية من فقد ملك صالح » . ولا شك أن وراء هـذا الخطاب نقداً متعمداً لسياسة قباد التى كان من نتيجتها تحرر السلطة الملكية من براثن الأرستقراطية ، ولـكن ذلك كان بخراب الدولة . ولـكن يبدو من الخطاب كذلك أن الملك الجديد عازم على الاستفادة من المركز الذى هيأه سلفه ، وأنه سيحافظ على السلطة الملكية من اعتداء أى رجل كان ، كما أنه عازم على استخدام جميع قواه المادية والمعنوية لإصلاح المفاسد التى تئن البلاد منها .

وهكذا أصبح أنوشروان عماد السلطات كلها ، فهو يحكم على النبلاء كما يحكم على أفراد الشعب ، وكذلك خضع له رجال الدين . وقد جاء فى الـكتاب المنسوب لتنسر ، وهو الـكتاب الذى تظهر منـه سياسة كسرى الأول ، أن الملك هو « النظام بين الرعية والجيش ، وهو الزينة يوم الزينة ، وهو المفزع والملجأ يوم الخوف من العـدو »(١) . وقد عزم كسرى الأول على أن يحكم كما يريد ، وألا يجيز تدخل النبلاء . ولـكى يضعف نفوذ رئيس الوزراء (بزرگ فرمادار) ، حول بعض أعماله إلى كبير الموظفين ، وكان يحتفظ بها إلى ذلك الحين(٢) .

وقد بدأ كسرى إصلاحاته بالقضاء على الفوضى التى أحدثها أتباع مزدك(٣) ؛ فرد الأموال إلى أهلها ، منقولة كانت أو ثابتة ، وجعل من الأموال التى لا وارث لها رصيداً لإصلاح ما فسد . وأما من غلب على أمره من النساء فـكان ينظر لحالة كل منهن على حدة : فإذا كانت المرأة المغتصبة من طبقة الغاصب ، ولم تـكن قد تزوجت من قبل أو كان زوجها قد توفى عنها ، يؤخذ الغالب لها حتى يغرم لها مهرها ويرضى أهلها ، فإذا لم يكونا من أهل طبقة واحدة فالطلاق واجب على رأى(٤) ، وفى رأى آخر يكون لها الخيار فى أن تبقى زوجة لغالبها أو أن يطلقها . وعلى الزوج

---

(١) صفحة ٤٢ ، الترجمة العربية ، ص ٢٠ من طبعة مينوى .

(٢) انظر الملحق الثانى قرب نهايته .

(٣) ابن البطريق والطبرى ، وانظر Le règne du roi Kawadh I ، ص ٣٢ — ٣٣ و ٣٦ — ٣٧ .

(٤) ابن البطريق .

أن يدفع لزوجه المهر وأن يرضى أهلها على أية حال(١) . وإذا كان للمرأة زوج ، على قيد الحياة ، وجب ردها إلى زوجها وألزم الغالب بأن يدفع لها مهراً مساوياً للمهر الذى دفعه زوجها الشرعى من قبل .

وأمر بكل مولود اختلف فيه عنده أن يلحق بمن هو منهم إذا لم يُعرف أبوه ، وأن يعطى نصيباً من مال الرجل الذى ينسب إليه إذا قبله الرجل . وأمر بكل من كان أضر برجل فى ماله أو ركب أحداً بمظلمة أن يؤخذ منه الحق ثم يعاقب الظالم بعد ذلك بقدر جرمه .

وأمر بعيال ذوى الأحساب الذين مات قيمهم فكتبوا له ، فأنكح بناتهم الأكفاء وجعل جهازهم من بيت المال وأنكح شبانهم من بيوتات الأشراف وساق عنهم وأغناهم وأمرهم بملازمة بابه ليستعان بهم فى أعماله . وعلى هذا النحو ظفر كسرى الأول بطبقة جديدة من النبلاء خاضعة له . وأمر بكرى الأنهار وحفر القنى وإسلاف أصحاب العمارات وتقويتهم ، وأمر بإعادة كل جسر قطع أو قنطرة كسرت أو قرية خربت وأن يرد ذلك إلى أحسن ما كان عليه من الصلاح .

وأمر بالنظر فيما تهدم من المساكن والقرى ، حينما عجز الملاك عن المحافظة عليها ، وعلى أدوات الرى والترع ، فأعان أهلها لإصلاح حالهم وأمدهم بالمواشى ، وأعيد بناء القرى التى خربت ، وأقيمت الجسور الخشبية التى كسرت وبنيت الجسور الحجرية التى انهارت ، ثم أقيمت الحصون فى الأماكن المعرضة للعدو .

واتجه كسرى الأول لإصلاح نظام الضرائب ، فإن الطريقة التى كانت تجبى بها الضرائب عقارية وشخصية حتى ذلك العهد لم تكن قليلة الفائدة للملك وحده ، بل كانت تجر كثيراً من المصاعب على الممولين أيضاً . ولم يكن الزراع يجرءون على مس ناضج الثمار قبل دفع الضرائب(٢) . وعندما أدرك قباد سوء هذا الوضع عزم على تغيير نظام الجباية تغييراً أساسياً ، ولكن هذا الإصلاح لم يتم إلا أيام كسرى الأول . فمسحت الأراضى المزروعة بدقة ، وحدد ما يدفع عنه المال منها . ثم اتخذ هذا النظام

(١) الطبرى .

(٢) نولدكه ، طبرى ، ص ٢٤١ ، ملحوظه ٢ .

وسيلة لتنظيم الضريبة العقارية من جديد ، وقد قام بهذا رجال عرفوا بالاستقامة والنزاهة ، اختارهم الملك بنفسه وعهد إليهم بهذا العمل . وقد حددهذا الإصلاح الفئات التي تفرض على هذه الأراضى : درهم واحد فى السنة عن كل جريب من القمح أو الشعير[1] ، ثمانية دراهم فى السنة عن كل جريب من الأعناب ، سبعة دراهم فى السنة عن كل جريب برسيم[2] ، خمسة أسداس درهم فى السنة عن كل جريب أرز ، درهم واحد عن كل أربع نخلات إيرانية أو ست آرامية أو ستة أصول من الزيتون .

وأعفيت كل المحصولات الأخرى من الضرائب ، كذلك أعفى النخل المتفرق الذى لا يكون حديقة واحدة[3] . ولكنا لا نعرف إلى أى حد كان من الممكن أن ترتفع النسبة المئوية للضرائب بالتشريع الاستثنائى أو التعسف الإدارى مع مراعاة القوانين المالية المذكورة . والذى لا شك فيه أن هذا النظام كان مرضياً للشعب بصفة عامة ، كما أنه قد أمد الخزانة بدخل أوفر وأكثر استقراراً .

وقد عدل أنوشروان الضريبة الشخصية وفقاً للقانون الذى أعده الرجال المختصون الذين ذكرناهم . ففرضت هذه الضريبة على من يتفاوت عمرهم بين العشرين والخمسين من الرجال ، واستثنى منها أهل البيوتات والعظماء والمقاتلة والهرابذة والكتاب ومن كان فى خدمة الملك .

وقسم من فرضت عليهم الضريبة إلى طبقات كثيرة حسب ثرائهم : فمنهم من كان يدفع اثنى عشر درهماً ، ومنهم من يدفع ثمانية ، ومنهم من يدفع ستة ، وأكثر الشعب كانوا يدفعون أربعة دراهم . وكانت الضرائب تجبى كل ثلاثة شهور[4] . وقد أودع كسرى الأول نسخة من نظام الضرائب الجديد فى سجلات الدولة ، وأرسل نسخاً أخرى إلى موظفى إدارة الضرائب فى الأقاليم ، وإلى جميع قضاة المراكز الذين كان من اختصاصهم النظر فى عدالة الجباية .

---

(١) ٢٤٠٠ مترا مربعا .

(٢) مهمة كعلف للخيل (انظر نولدكه Ic) .

(٣) الطبرى ، ص ٩٦٠ — ٩٦٢ ، نولدكه ، ص ٢٤١ — ٢٤٥ .

(٤) من المحتمل أن تكون الضريبة العقارية والشخصية .

وأعفى من الضريبة العقارية من بارت زراعة قمحه أو تلفت أشجاره وقت جباية الضريبة . وكان على قضاة المراكز أن يرفعوا إلى الحكومة المركزية بياناً بالأراضى المعفاة ليتسنى للحكومة إخبار الجباة عنها . وقد أراد كسرى بهذه الرقابة أن يقضى على الظلم الذى كان يقع على الناس عادة من تعسف الجباة فى استعمال حقهم[١] . وقد ذكر كسرى الباعث له على تنظيم الضرائب بقوله : « إنا رأينا أن نجمع فى بيوت أموالنا من الأموال مالو أتانا عن ثغر من ثغورنا أو طرف من أطرافنا فتق أو شىء نكرهه واحتجنا إلى تداركه أو حسمه ببذلنا فيه مالا ، كانت الأموال عندنا معدة موجودة ولم نرد استيفاء اجتبائها على تلك الحال »[٢] . فعنده أن الدفاع ضد الأعداء ، فى الخارج أو الداخل ، هو أهم ما توجه إليه عناية الملك .

وكذلك تبع تعديل النظام المالى إصلاح حربى جديد ، فقد كانت أسر النبلاء الفقيرة ، حتى ذلك الوقت ، هى التى تتكون منها نواة الجيش ، وكانوا مجبرين على القيام بوظيفة الجندية بلا أجر ، بل كان عليهم أن ينفقوا على أسلحتهم ، ولكن كسرى « تفقد الأساورة فمن لم يكن له منهم يسار قواه بالدواب والعدة وأجرى لهم ما يقويهم »[٣] . وكان المشاة من الحراثين الفقراء ، ولم يكن لهم فى الحرب ، فى جميع العهود ، شأن كبير . وقد وصفهم القائدان البيزنطيان Bélisaire و Hermogène بأنهم «جماعة من الحراثين البؤساء يعملون فى الجيش لهدم الأسوار وسلب القتلى ثم خدمة الجند أى الفرسان »[٤] .

وكان سلاح الفارس أيام كسرى يتكون من : « تجافيف ودرع وجوشن وساقين وسيف ورمح وترس وجرز تلزمه منطقة وطبرزين أو عمود وجعبة فيها قوسان بوترهما وثلاثين نشابة ووترين مضفورين يعلقهما الفارس فى مغفر له ظهرياً »[٥] .

---

(١) الطبرى ، ص ٩٦٢ — ٦٣ ، نولدكه ، ص ٢٤٦ — ٢٤٧ .

(٢) الطبرى ، ٩٦٠ — ٩٦١ ، نولدكه ، ص ٢٤٢ .

(٣) الطبرى ، ص ٨٩٧ — ٨٩٨ ، نولدكه ، ص ١٦٤ .

(٤) بروكوب ، BP ، (١) ، ١٤ .

(٥) الطبرى ، ص ٩٦٤ ، نولدكه ، ص ٢٤٨ — ٤٩ .

ومن أجل ثقل هذا السلاح الذى يلبسه الفارس أطلق عليه اسم تنوريغ[١] .

وكان السلاح الرئيسى القوس والنشاب وهو السلاح القديم الذى كان الفرس يحسنون استعماله منذ أقدم العصور . وقد شهد لهم بروكوپ Procope[٢] قائلا : إن الفرس يجيدون جميعاً رماية السهام وهم أمهر الناس فى استعمال هذا السلاح ، ولكن رميهم السهم يحتاج دائماً إلى قوة لأن أوتار الأقواس ليست محكمة الشد .

ومنذ عهد كسرى الأول أصبحت لكلمة « أساور » (فارس) قيمة أخرى ، وقد جاء فى الجاحظ والمسعودى[٣] نقلا عن مصادر ساسانية أن الطبقة الأولى فى بلاط كسرى كانت تتكون من الفرسان وأبناء الملك[٤]. وجاء فى نص من كتاب التاج للجاحظ[٣] أن الملك كان يختار رفقاءه فى السفر من الأساورة والعظماء . ونحن نعلم أن عدداً من الأساورة كلفوا بتنشئة أبناء كسرى پرويز[٥]. وقد أشار كتاب ماذيگان شطرنج إلى منصب « أسواران سردار » (رئيس الفرسان) (جاماسپ أسنا فى نصوص پهلوية (١) ص ١١٧ — ١ — ١) ، وكان وهريز ، بعد أن غزا اليمن ، والياً عليه من قبل كسرى الأول ، وهو من الأساورة ، وكذلك كان خلفه زين منهم[٦] .

وكان هناك طابع للإصلاح الحربى أيام أنوشروان ، وقد استطاع شتين[٧] بجدارة أن يوضح هذا الإصلاح ، ذلك أن كسرى قد أعظم القتل فى أمة يقال لها البارز

---

(١) انظر نولدكه ، ص ١٦٤ ، ملحوظة ٥ .

(٢) BP ، (١) ، ١٨ .

(٣) أنظر بعد ذلك بقليل فى هذا الفصل .

(٤) ينبغى أن نفهم من هـذا التعبير الأمراء من البيت الساسانى والشهرداران الذين يلقبون بلقب ملك (شاه) .

(٥) الطبرى ، س ١٠٤٣ ، نولدكه ، ص ٣٥٧ .

(٦) الطبرى ، س ٩٤٨ و ٩٨٨ ، نولدكه ، ص ٢٣٠ و ٢٦٤ . ماركارت (Philogus ، ج ٥٥ ، ص ٢١٥ رقم ٥) يقرأ وين بدل زين (وإبدال الحرف و بالحرف ز شائع جداً فى الكتابة العربية) .

(٧) Byzantinisch-neugriechische Jahrbücher ، ١٩٢٠ ، ص ٦٨ — ٦٩ .

وأجلى بقيتهم عن بلادهم وأسكنهم مواضع فى بلاد مملكته ، وأنهم أذعنوا له بالعبودية واستعان بهم فى حروبه . وأمر فأسرت أمة أخرى يقال لها چول[1] وقدم بهم عليه وأمر بهم فقتلوا ماخلا ثمانين رجلا من كماتهم استحياهم وأمر بإنزالهم شهرام فيروز يستعين بهم فى حروبه ؛ وأن أمة يقال لها أبخز وأمة يقال لها خزر وأمة يقال لها اللان تمالئوا على غزو بلاده وأقبلوا إلى أرمينية ليغيروا على أهلها ، وكان مسلكهم إليها يومئذ سهلا ممكنا فأغضى كسرى على ما كان منهم حتى إذا تمكنوا فى بلاده وجه إليهم جنوداً فقاتلوهم واصطلموهم ماعدا عشرة آلاف رجل منهم أسروا فأسكنوا أذربيجان وما والاها[2] . وهذه المعلومات التى استقيناها من الطبرى مؤيدة بما ذكره البلاذرى ففى مدينتى الشابران ومسقط ، وفى مدينة باب الأبواب (دربند) الحصينة التى قوى أسوارها ، أسكن قوما سماهم السياسيجين « ؟ » وأقام من هؤلاء القوم حاميات فى بلاد عديدة من البلاد الأرمنية التى أخذها من الرومان . وبنى بأرض جرزان «جورجيا» مدينة يقال لها سغدبيل وأنزلها قوما من السغد وأبناء فارس وجعلها مسلحة[3]. ويذكر البلاذرى أيضا[4] أن كسرى الأول نصب ملوكا تابعين له فى القوقاز . وقد كان نقل جماعات من السكان وإقامتهم فى مكان آخر عادة قديمة عند السريان وعند الأكمينيين أحياناً[5]، وقد رأينا أن ملوكا ساسانيين مثل سابور الأول وسابور الثانى قد أنشأوا مستعمرات للأسرى فى عدة أقاليم من إيران . ولكن الذى يميز مافعل الساسانيون قبل كسرى الأول وما عمله هذا مع الأسرى هو أن كسرى استخدمهم فى أغراض حربية كما لاحظ شتين Stein : وهكذا تكون جيش أنوشروان من الأساورة ومن المهاجرين الغرباء الذين طاوعوا سريعاً مع البيئة الفارسية من غير أن

---

(١) انظر قبل ذلك ص ٢٧٣ من هذا الكتاب .

(٢) الطبرى، ص ٨٩٥ ، نولدكه ، ص ١٥٧ وما بعدها .

(٣) البلاذرى ، نشر دى جويه ، ص ١٩٤ — ١٩٥ ، ترجمة ريشر ((٢) ستو تجارت ١٩٢٣) ، ص ٢١٦ وما بعدها .

(٤) نفس المرجع ، ص ١٩٦ ، ترجمة ريشر ، ص ٢١٨ — ٢١٩ ؛ وقارن ماركارت ، Irānšahr ، ص ١١٩ .

(٥) هيرودوت ، (٤) ، ٢٠٤ ، (٥) ، ٢٠ .

يفقدوا صفاتهم الحربية . ويذكر الطبرى أن كسرى لما صار بالمدائن وافاه قوم يستنصرونه على الحبشة فبعث معهم قائداً من قواده فى جند من أهل الديلم وما يليها فقتلوا مسروقا الحبشى باليمن وأقاموا بها[1].

واستتبع النظام الجديد للجيش تغييراً فى القيادة العليا ، فألغى أنوشروان وظيفة إيران — سپاهبذ « وكانت له الرياسة على الجنود ففرق كسرى هذه الولاية والمرتبة بين أربعة إصبهبذين منهم واحد المشرق وخراسان وما والاها ، والثانى من العراق حتى حدود الدولة البيزنطية والثالث لنيمروز وهى بلاد اليمن والرابع لآذربيجان وما والاها وهى بلاد الخزر ، لما رأى فى ذلك من النظام الملكه »[2] .

وأما مرتبة هؤلاء الإصبهبذين الأربعة فقد حفظ لنا المسعودى رواية طريفة خاصة بهم[3]: فهو ينسب إلى أردشير — الذى تنسب إليه كل تفاصيل النظام الإدارى — أنه رتب المراتب فجعلها سبعة أرواح[4]، ورتب الطبقات الأربع من أصحاب التدبير ومن إليهم أزمة الملك وحضور المشورة فى إيراد الأمور وإصدارها : ١ — الوزراء ٢ — الموبذان موبذ وهو القائم بأمور الدين وهو قاضى القضاة وهو رئيس الموابذة ٣ — الإصبهبذين الأربعة وهم أصحاب تدبير الملك ، كل واحد منهم قد أفرد بتدبير جزء من أجزاء المملكة فكل واحد منهم صاحب ربع منها ولكل واحد منهم خليفة هو المرزبان ٤ — المرازبة . ثم رتب طبقات المغنين وسائر المطربين وذوى الصنعة بالموسيقى[5]. ومن هذا نرى أن المرازبة ليسوا إلا خلفاء

---

(١) الطبرى ص ٨٩٩ ، نولدكه ص ١٧٦ . وانظر عن الديالمة بحث مينورسكى المنشور فى منشورات جمعية الدراسات الإيرانية والفن الإيرانى ، رقم ٣ : La domination des Dailamites (دولة الديالمة) ، باريس ١٩٣٢ ؛ وانظر اينسترانتزف ، ص ١١٠ وما بعدها ، ترجمة بوجدانوف ، J. Cama Or. Inst. ، رقم ٧ ، ص ٥٨ وما بعدها .

(٢) الطبرى ٨٩٤ ، نولدكه ١٥٥ وملحوظة ٢ ؛ الدينورى ص ٦٩ ؛ وقارن الثعالبى ص ٦٠٩ ؛ تفاديا ، Eine Tishrede aus der Zeit der Sasaniden ، ص ٩ .

(٣) مروج (٢) ص ١٥٥ ، وانظر شتين (١) ص ، ص ٦٩ — ٧٠ ، وانظر الملحق (٢) .

(٤) ويقول المؤرخ فيما بعد إن بهرام الخامس قد أدخل بعض التعديلات فى طبقة المغنين ، وإن كسرى الأول قد أعاد نظام أردشير . أى أنه يصف النظام الذى وجد أيام كسرى الأول .

(٥) ولا يفيدنا المسعودى شيئا عن هاتين الطبقتين .

للإصبهبذين . ثم إن هذه القائمة التي ذكرها المسعودي مفيدة من نواح : ذلك أن الوزراء هم من غير شك بزرگ فرمادار وكبار الموظفين الذين عهد إليهم كسرى الأول ببعض الولايات التي كانت للبزرگ فرمادار من قبل . وظهور المغنين وأهل الموسيقى في مراتب أعظم موظفي الدولة يؤيده — بطريقة عجيبة — القائمة التي أعدها مزدك لأتباعه عن مراتب الموجودات العلوية وفقاً لنموذج نظام الطبقات الذي كان ساريا في البلاط الإيراني حينئذ[1]. والذي يدعو إلى العجب هو اختفاء الفاذوسبانين (الپاذگوسپانان) في قائمة مروج الذهب . والظاهر أن الإصبهبذين الأربعة « الذين كان لهم أربعة مرازبة كخلفاء » قد حلوا محل الپاذگوسپانان الأربعة الذين نصبهم قباد في نظامه ، كما حل هؤلاء محل المرازبة الكبار الأربعة أيام يزدگرد الثاني . ونعرف من رواية الطبري[2] أنه حين اعتلى كسرى أنو شروان العرش كان بإيران أربعة « فاذوسبانين » ، كان كل واحد منهم على ناحية من نواحي بلاد فارس فإحلال أنوشروان أربعة من الإصبهبذين مكانهم يدل على أنه أراد أن يراعي بلا شك الطابع العسكري للولايات . ونجد أيام كسرى الثاني « پرويز » پاذگوسپان في الغرب[3] ، وأن له كل سلطة الإصبهبذ . ومن ذلك يظهر أن كلمتي پاذگوسپان وسپاه بذ كانتا تستعملان للدلالة على وظيفتين مختلفتين في ذلك العصر .

ولكن علينا ونحن نبحث هذه المسألة أن ندخل في حسابنا نصا مهما آخر ، فقد جاء في كتاب تنسر : « ليس لأحد[4] ممن لا ينتمون إلى بيتنا ، أن يحمل لقب ملك ، عدا أصحاب الثغور وهي اللان ، وناحية الغرب وخوارزم وكابل »[5] .

---

(١) انظر ص ٣٣٦ من هذا الكتاب . وسنرجع إلى بحث مرتبة المغنين وأهل الموسيقى في البلاط .

(٢) صفحة ٨٩٢ — ٩٣ ، نولدكه ص ١٥١ — ١٥٢ .

(٣) شاهين ، الطبري ص ١٠٠٢ ، نولدكه ص ٢٩١ .

(٤) عدا الملوك التابعين .

(٥) دار مستتر ص ٢١٠ ، ٥١٣ ؛ مينوى ص ٩ . وليس في نص دار مستتر غير الثلاثة الأول ، ولكنا نجد الرابع في نص مينوى ؛ الترجمة العربية للخشاب ص ٢٩ .

فالكتاب يتحدث هنا عن حكام الثغور الأربعة ، وبما أن تاريخ كتاب تنسر يرجع إلى عهد كسرى الأول ، أى بعد الإصلاح الحربى ، فالظاهر أنه يتحدث عن الإصبهبذين الأربعة . على أنه ينبغى أن يكون هناك بعض الخطأ فى تعيين الولايات ، لأنه إذا قيل إن كابل كانت تابعة لكسرى الأول فلا بد أنها كانت جزءاً من ثغر الشرق وعندئذ تنقص ولاية الجنوب(١) .

وفى الطبرى والفردوسى(٢) رواية تمثل بابك ، الكاتب الذى ولاه أنوشروان ديوان المقاتلة ، وكان يستعرض الجيش وفيه كسرى نفسه ، فلم ير كسرى بينهم فأمر بإجراء العرض فى اليوم التالى ، فلم يره ، فأمر بالعرض فى اليوم الثالث فمثل كسرى ولكن لم يكن سلاحه كاملا ، فحكم عليه بغرامة تزيد درهما واحدا عما يفرض على سائر الجند . والقضية تبين الأثر العميق الذى كان للإصلاح الحربى العظيم الذى أجراه كسرى ، كما تبين النظام الدقيق الذى لا استثناء فيه ، والذى جعل الملك يتخذ من جيشه أداة عظيمة فى الحرب وفى حفظ الأمن .

والواقع أن خطر المزدكية كان قد بعد عن الدولة فى الداخل ، إلا أن مركزها الخارجى كان يبرر الجهد الذى بذله كسرى فى إصلاح الجيش . حقيقة أن السلم قد استتب مع بيزنطة فى سنة ٥٣٢ وهى السنة الثانية من حكم كسرى أنوشروان ، ولكن كانت إثارة الحرب متوقعة دائما . وكان مركز إيران ضعيفا أمام المماطلة من ناحية أخرى ، فقد كانت إيران فى موقف ذليل منهم ، كان عليها أن تدفع جزية سنوية لملكهم(٣) . وقد كان النزاع بين دولة الغساسنة ، وهى تابعة لبيزنطة ، وملك الحيرة وهو تابع لملك إيران ، سبباً فى قيام الحرب بين الدولتين الكبيرتين(٤) . وفى سنة ٥٤٠ استولى كسرى على أنطاكية وخربها . وبعد سلسلة من الحروب انتقل زمام

---

(١) حين تحدثت النهاية (ص ٢٢٧) عن رياسة ثغر اللان — الخزر ، حفظت اللقب القديم المرزبان .

(٢) الطبرى س ٩٦٣ ، نولدكه ص ٢٤٧ وما بعدها والملاحظات ؛ الفردوسى ، طبعة مول Mohl ، (٦) ، ص ١٧٤ وما بعدها .

(٣) قارن ما ذكرناه ص ٢٨٣ ، ملحوظة ١ .

(٤) الطبرى ص ٩٥٨ ، نولدكه ص ٢٣٨ وما بعدها ؛ روذشتين ص ٨١ — ٨٢ .

المعركة فيها من يد إلى يد ، أعلنت الهدنة بين المتقاتلين سنة ٥٤٥ . وبعد ذلك نشب القتال حين حاول كسرى إخضاع اللازيين النصارى فى القوقاز وكانت محاولة عقيمة بسبب تدخل الروم ، وعقد الصلح النهائى بين الدولتين سنة ٥٦٢ لمدة خمسين سنة . وقد اتفق فيه على أن يترك للطرفين ما لهما من الأراضى القديمة ، وعلى حرية التجارة بين إيران وبيزنطة ، ومنح النصارى حرية العقيدة على ألا يسعى أحـد من رجال الدين ، فى الدولتين ، للتبشير بدينه .

وإذا انتهت الحرب مع بيزنطة نجح كسرى بين سنتى ٥٦٣ ، ٥٦٧ فى إبادة دولة الهياطلة التى ضعضعتها حملة قبيلة تركية عليها يقودها سنجيبو (Silzibul)[(١)] . وكان نهر جيحون هو الحد بين إيران وأراضى الخاقان التركى الذى أصبح عدواً شـديد المراس لا يقاس به ملك الهياطلة . وظهرت فى القوقاز قبائل الترك أيضاً . ولـكى يدفع كسرى عن هذه الحدود هجماتهم جدد تحصينات قلعة دربند وقواها[(٢)] .

وقد مد كسرى نفوذه جنوبا ، على اليمن ، التى كانت خاضعة حينذاك للأحباش ، فقد تحالف أحد قواد كسرى ، وهريز ، مع العرب وطرد الأحباش منها سنة ٥٧٠ ، ثم ولى حكمها من قبل كسرى[(٣)] .

وحوالى هذا الوقت أغار سنجيبو ، بتحريض الروم ، على الأراضى الإيرانية ولـكن التحصينات القوية التى أنشأها كسرى أوقفت هـذه الاعتداءات إلى حين . وإنما نتج عن هـذا قيام النزاع بين الإمبراطوريتين الرومانية والإيرانية سنة ٥٧٢ ،

---

(١) ماركارت ، إيرانشهر ص ٦٤ ، ٢١٦ ؛ شيدر (Abh. d. Ges. d. Wiss Zu. Göttingen) ، Iranica سنة ١٩٣٤ ، ص ٣٨ وما بعدها .

(٢) وتذكر بعض المصادر الشرقية غزوة لـكسرى ضد « ملك الهند الذى خضع من غير قتال تاركا لـكسرى البلاد المجاورة لعمان (!) التى كانت متروكة لإيران أيام بهرام گور » . (البلعمى ، (٢) ص ٢٢١) . ويذكر المسعودى (مروج ، (٢) ، ص ٢٠٠) « إن ملوك السند والهند والشمال والجنوب (وسائر الممالك) هادنت ملك إيران ... » .

(٣) وبموت وهريز أسند كسرى ولاية اليمن إلى فارس اسمه زين أو وين (؟) . وقد عزله هرمزد الرابع وولى مكانه مَرْوَزان . وقد ولى من بعده ابنه خره — كسرى بإذن من كسرى پرويز ، وبه انتهت سلسلة حكام الفرس فى اليمن (الطبرى ص ٩٨٧ و١٠٣٩ — ٤٠ ، نولدكه ص ٢٦٤ و ٣٤٩ — ٣٥١) .

وكان السبب المباشر لهذه الحرب اضطرابات أرمينية ، فاجتيحت بلاد ما بين النهرين من جديد ، وقد هزم القائد البيزنطى جستنيان Justenien ، بعد انتصاره الباهر فى وادى ملطية ، هزمه ملك إيران ؛ وقد خلفه القائد موريس الذى قام بغزوات فى أرض إيران واستولى على سنجار . وحينئذ بدأت مفاوضات الصلح ، ولكن كسرى مات سنة ٥٧٩ قبل أن يرى نتيجة الصلح .

* * *

ويبدو أنوشروان فى الروايات الشرقية مثالا للملك العادل . وقد أطال الكتاب العرب والفرس فى ذكر الحكايات التى تصور يقظة هذا الملك للمحافظة على العدل . ومن ذلك حكاية أوردها نظام الملك[1] عن مصادر صحيحة . فبالرغم من توصية كسرى الأول للكبراء والعظماء ، حين ولى العرش ، بأن يكونوا أمناء فى استعمال سلطانهم على الناس وألا يظلموهم فإن أصحاب الإقطاعات وكبار الموظفين استمروا فى ارتكاب الجرائم ضد الرعية ، فبعد ثلاث سنوات أو أربع من حكمه جمعهم وقال لهم : « قد أتاح الله لى ملك الدنيا . فأشركتكم فيه ، وأعطيت كلا منكم ولاية ، ولم أمنع رزق من له علىّ حق فى أثناء حكمى ، وتركت لعظمائكم ما أعطاهم أبى من ولايات أو مناصب ، فما خفضت من عيش أحدكم ولا خططت من قدر أحد » . فوعدوه جميعاً بالإنصاف والعدل بين الناس . وعاد الولاة إلى ولاياتهم غير مبالين بنصائحه . وقد رأى كل منهم ، فى غروره ، أنه أجلس الملك على العرش ، وأنه حر إن شاء اعترف به وإن شاء خلعه . وكان أشدهم عتوا سپاهسالار (قائدا) ولاه كسرى إقليم آذربيجان ، و « لم يكن له مثيل فى القوة والجاه »[2] ، فكان أكثر الولاة أسلحة وحرسا ، وكانت قصوره أفخم القصور وأكثرها بذخا . وقد أراد هذا الوالى أن أن يبنى بيتاً ريفيا فأراد أن يشترى كوخا صغيراً لفقيرة عجوز ، فأبت صاحبته بيعه فهدمه واستولى على ملكها . وكثيراً ما حاولت المسكينة بإلحاح أن يعوضها عما كان

---

(١) سياست نامه ، طبعة شيفر ص ٢٩ وما بعدها ، والترجمة الفرنسية ص ٤١ وما بعدها .

(٢) سپاهسالار هى سپاهبد ومعناهما واحد .

من إضراره بها ، ولكنه لم يستمع لها ، ولم تجد من حاشيته وموظفيه أذناً صاغية لشكواها . فذهبت تلتمس مقابلة الملك فى الصيد ، ورفعت إليه ظلامتها . فأخذ الملك الشكوى وأمر أن تنزل ضيفة عند حاكم أقرب قرية منه ، ثم أمر بنقلها إلى قصره حين عاد من الصيد . وأرسل كسرى رسولا إلى آزربيجان ، ووكل إليه مهمة تفتيش جميع المدن والنواحى وأن يتحرى حالة الحقول والبساتين[١] ويرى أأصاب المزروعات ضرر من الأمطار ، ثم ينظر فى حالة المراعى وأماكن الصيد . ولكن الرسالة السرية كانت بحث شكوى العجوز الفقيرة . وعاد الرسول بعد أن علم أن العجوز محقة فى شكواها . فجمع الملك العظماء والموابذة وسألهم كم يملك والى آذربيجان من نقود الذهب والفضة ؟ فقالوا « مليونين من الدنانير لا يمسها » وكم لديه من الأوانى والمنقولات ؟ قالوا « لديه ما يساوى خمسمائة ألف دينار من أدوات الذهب والفضة » قال : وماذا عنده من الحلى ؟ قالوا « ما قيمته ستمائة ألف دينار » . فسألهم عما لديه من الأملاك ، فقالوا : « ليس فى خراسان أو العراق أو فارس أو آذربيجان ناحية أو مدينة لا يملك فيها بيوتاً أو خانات أو أرضا مثمرة أو بيوتا تستغل »[٢]. قال الملك كم لديه من الخيل والبغال ؟ قالوا : « ثلاثون ألفا » . قال : كم لديه من الغنم ؟ قالوا « مائتا ألف » . قال كم لديه من العبيد ، إناثاً وذكورا ؟ قالوا « ألف وسبعمائة عبد تركى ورومى وحبشى ، وإن لديه أربعمائة وألف جارية »[٣] . فسألهم الملك أى عقاب يستحق رجل يملك هذا كله إذا طمع فى كوخ امرأة عجوز فقيرة تقية فيسلبها كوخها والقليل الذى عندها ؟ فأجابوا بأنه يستحق أقصى العذاب . فأمر الملك بسلخه ورمى لحمه للكلاب وبملء جلده بالقش وتعليقه على باب القصر ، وأن ينادى المنادى سبعة أيام بأن من يرتكب عملا ظالما يلق هذا الجزاء .

---

(١) بسبب توزيع الضرائب .

(٢) هذا شاهد مباشر على ما كان من أمر توزيع ثروة النبلاء على جهات مختلفة فى الدولة .

(٣) لا حاجة بنا إلى القول بأن هذه الأرقام ليست لها قيمة تاريخية حقة ، ولكن هذا التحقيق يعطى فكرة عن الأساس المادى لقوة الأشراف فى إيران .

وهناك قصة أخرى تشبه قصة فردريك الثانى والطحان وقد ذكرها المسعودى[١] ثم أعاد ذكرها المؤرخون العرب . وهى أنه وفدت على كسرى أنو شروان رسل الملوك وهداياها والوفود من الممالك ، وكان فيمن وفد إليه رسول من قبل ملك الروم قيصر . فلما نظر الرسول إلى إيوان كسرى وحسن بنيانه رأى اعوجاجا فى ميدانه ، فقال كان يحتاج هذا الصحن أن يكون مربعا . فقيل له إن عجوزا لها منزل من الجانب المعوج وإن الملك أرادها على بيعه ورغبها فيه فأبت ، فلم يكرهها الملك وبقى الاعوجاج من ذلك على ماترى . فقال الرسول . هذا الاعوجاج الآن أحسن من الاستواء . وهناك قصص أخرى ، خرافية بلا شك ، ولكنها حقيقية فى الدلالة على عدل أنوشروان[٢]. فقد ذكر نظام الملك فى كتابه «سياست نامه»[٣] قصة السلسلة والجرس ليمكن لذوى المظالم إبلاغ الملك ظلاماتهم وذلك بأن يشدوا السلسلة التى وضعت على باب القصر . وقد ظلت السلسلة سبع سنوات ونصف سنة لم يمسسها إنسان ، ثم دق الجرس فظهر أن حماراً أجرب قد تحكك بالسلسلة . فأمر الملك بالبحث عن صاحب الحمار وأرغم على العناية بحماره . وهذا الشطر الأخير لم يرد فى تاريخ أبى الفدا[٤] الذى ينسب اختراع فكرة الجرس إلى هرمزد الرابع . ومهما يكن فهذه القصة معروفة ، وهى مبنية على عادة يظهر أنها شاعت فى الهند والصين[٥].

وإن كانت القوانين قد طبقت بدقة وعدالة بوجه عام ، فإن العقوبات قد خففت إلى حد ما فى أيام كسرى الأول . وقد ذكرنا نصاً[٦] من كتاب تنسر يقول بأن

---

(١) مروج (٢) ، س ١٩٧ وما بعدها ، وقارن نولدكه ، طبرى ، س ٢٥١ ملحوظة ١ .

(٢) انظر ، على سبيل المثال ، البيهقى ، طبعة شوالى ، س ٥٣٨ ؛ والنهاية ، س ٢٣٢

(٣) طبعة شيفر ، ص ٣٦ وما بعدها ، الترجمة الفرنسية ، س ٥٢ وما بعدها .

(٤) طبعة فليشر ، س ٩٠ وما بعدها .

(٥) باسست ، "Revue des Traditions Populaires" (مجلة العادات الشعبية) ، جزء ٢٤ ، س ١٩٢ وما بعدها .

(٦) س ٢٩١ .

الإعدام العاجل كان عقوبة لجرائم الكفر والعصيان والخيانة والهرب من الجندية . أما الجرائم على الجار من سرقة ونهب واعتداء وعدوان فكانت عقوبتها جسمانية قاسية أو الإعدام . ويضيف تنسر أن الملك[١] قد استحدث لهذه الأحوال تشريعاً أرقى من تشريع الأقدمين . فقديماً كان من يخرج على الدين يعدم فوراً ، ولكن فى العصر الذى ألف فيه كتاب تنسر ، أمر الملك بسجن المتهم وبأن يتصل به جماعة من رجال الدين مدى سنة كاملة ، يعملون على هديه وينصحون له ويقيمون له الأدلة ويزيلون الشك عن نفسه . فإذا ندم واعترف بذنبه أطلق سراحه ، وإذا أخذته العزة بالإثم واستكبر فبقى فى ضلاله ، يقتل . والحقيقة أن هذا القانون لم يطبق على أهل الأديان كالنصرانية واليهودية ، ولكن يحتمل أنه طبق على أهل المذاهب الإلحادية الأخرى[٢] . وأما من يرتكبون جريمة ضد الملك — بالثورة والهرب من الجندية — فقد اكتفى فى ذلك العصر بقتل فريق منهم لتخويف الآخرين وليكونوا عبرة لهم . وأما الجرائم ضد الأشخاص فقد كانت العقوبة فيها الغرامة والبتر ، وكان عقاب الغاصب أربعة أضعاف عقاب السارق . وخلافاً المتبع قديماً كان البتر ينفذ بطريقة لا يترتب عليها الإخلال بقدرة المجرم على العمل ، فالزانى مثلا تقطع أذنه . والمجرم الذى يحكم عليه بعقوبة مالية ثم يعود إلى ارتكاب الجرم الذى غرم من أجله كانت تقطع أذنه وأنفه ويحرم من التماس عفو جديد »[٣].

ولكن هذا التخفيف النسبى فى العقوبات لم يكن يمنع الملك من التنفيذ بقسوة بالغة ، وهذا لا يحتاج إلى بيان . وقد ذكر پروكوپ كثيراً من حوادث القتل « بالخازوق » أيام كسرى الأول[٤]. وذكر أجاثياس[٥] أن كسرى أنو شروان أمر

---

(١) هذا الملك ، حسب الكتاب ، هو أردشير ، ولكنا نعلم أن الكتاب وضع أيام كسرى الأول . هذا رأى كريستنسن ورأينا أن تنسر يقصد أردشير (الخشاب) .

(٢) ويرى الأب نو Nau (RHR ، جزء ٩٥ ، ص ١٧١) أن كتاب تنسر يذكر هنا فحوى منشور لسابور الثانى يرجع الى سنة ٣٤٠ ، وقد أشير إليه فى أعمال الشهداء .

(٣) كتاب تنسر ؛ مينوى ، ص ١٧ — ١٨ حيث تقرأ نهاية الجملة الأخيرة : « ولكنهم لا يعاقبون ببتر آخر » ، الترجمة العربية للخشاب ص ٣٩ .

(٤) BP ، (٢) ١١ ، ٣٨ ، (٢) ١٧ ، ١١ — ١٢ .

(٥) (٤) ، ٢٣ .

بسلاح النخو برگ حياً ، وهو القائد الذى هزمه اللاز هزيمة كانت قاضية على الإيرانيين .

ولا تكتفى المصادر الشرقية بتصوير أنوشروان ملكا عادلا بل إنها تمثله نموذجا الملك العظيم الرحيم . يقول الثعالبي[1] إنه رفع إليه أن « الوكيل » تزيد نفقته ومروته على القدر له ، فوقع : متى رأيتم نهراً سقى أرضا قبل أن يشرب . وقد أكثرت كتب الآداب الإسلامية ، فى باب الأدب ، القصص الذى يبين سخاء أنوشروان[2] .

وأما الصورة التى يصورها الكاتب الفرنجى بروكوپ لكسرى فتختلف عما جاء فى الكتب الشرقية . والواقع أن بروكوپ ليس شاهد عدل ففى كل صفحة من صفحات كتابه يبدو الحقد المر على هذا الملك الذى كان خطراً على بيزنطة . فهو يصوره رجلا مفسداً طائشاً محباً للبدع يثير دائماً حوله الاضطراب ، وأنه كان شديد الحنق على عظماء دولته[3] . هذه هى النزعة الإصلاحية لكسرى فى نظر مؤرخ سيئ القصد . ثم يصفه بروكوپ بالمراءاة وعظيم المكر : فكان فى رأيه أقدر الرجال على تقرير مالم يقع وإخفاء ماوقع ، وعلى إلقاء تبعة جرائمه الفظيعة على ضحايا ظلمه . وكان مستعداً دائما لنقض وعوده ولتدنيس نفسه بكل أنواع المخازى ليكسب مالا ، متظاهراً بالطيبة ، متجنباً بالكلام تبعة أعماله[4] . ثم يأتى بروكوپ بمثال على فساد خلق كسرى فى حكاية ما جرى حين غزا الفرس مدينة سورا وهى حكاية قد تؤول بشكل آخر عند مؤرخ منصف . فقد ذكر أن كسرى الأول رأى رجلا متوحشاً يسوق أمامه سيدة جميلة بوحشية منكرة وقد سقط ابنها الصغير على الأرض ، فتباكى كسرى وأرى الجميع ، ومن بينهم سفير الروم انستاس ، وجهه الباكى ، ودعا الله أن ينتقم من الرجل الذى تقع عليه مسئولية كل ماحدث ، مع أنه يعلم أنه هو نفسه لا الإمبراطور جستنيان الذى عناه بقوله ، أكبر إثماً .

---

(١) ص ٦٠٨ .

(٢) انظر ، على سبيل المثال ، البيهقى ، طبعة شوالى ، ص ٥٥٣ ، ٤٩٤ ؛ والشيروانى ترجمة ريشر (ستوتجارت ١٩٢٠) ، ص ٢٠٧ وما بعدها .

(٣) BP ، ١ ، ٢٣ .

(٤) المرجع نفسه (٢) ٩ ، ٨ .

ولدينا دلائل على أن كسرى كان « ميكياڤلى » السياسة ، وذلك من حديث الكتاب الشرقيين عنه . فقد ذكر البلاذرى[١] أن أنوشروان قد رغب فى أن يستتب السلم بينه وبين ملك الترك (سَنْجِبيو) فأرسل إليه كتابا يسأله الموادعة والصلح وأن يكون أمرهما واحداً ، وخطب إليه ابنته ليؤنسه بذلك ، وأظهر له الرغبة فى صهره[٢] ، وبعث إليه بأمة كانت تبنتها امرأة من نسائه وذكر أنها ابنته[٣] ، فأهدى التركى ابنته إليه ، ثم قدم عليه فالتقيا وتنادما أياماً وأنس كل منهما بصاحبه وأظهر بره . ولكن أنوشروان أمر جماعة من خاصته وثقاته بإشعال النار فى معسكر الترك ليلا ، فلما شكا له الخاقان الحريق فى معسكره تظاهر بجهله الأمر وحدث الإحراق ليلة أخرى وانتهى بالنتيجة نفسها . وفى الليلة التالية أشعلت النار فى معسكر أنوشروان نفسه ، بأمره ، ثم اشتكى إلى الخاقان متظاهراً بأنه يعتقد أن النار أشعلت بأمر منه ، فحلف التركى أنه لم يعلم بشىء من هذا . فقال أنوشروان إن خير وسيلة لمنع هذا التعدى بين الجنود أن تأذن لى فى بناء حائط يكون بينى وبينك فأجابه الخاقان إلى ذلك ، ثم انصرف إلى بلاده وأقام أنوشروان بناء الحائط المنيع . ولما عرف الخاقان بعد ذلك أنه خدعه وزوجه غير ابنته وتحصن منه ، لم يقدر على حيلة[٤] .

وهناك قصة أخرى ذكرها الجاحظ فى كتابه التاج[٥] ، وفى كتاب المحاسن والمساوىء المنسوب إليه[٦] : فقد شك أنوشروان فى رجل من خواص خدمه أنه

---

(١) طبعة دى جويه ص ١٩٥ وما بعدها ، ترجمة ريشر ص ٢١٦ وما بعدها .

(٢) والحقيقة أن كسرى قد تزوج أميرة تركية هى بنت استمى خاقان الأخ الأصغر لسنجبيو وهى أم الملك هرمزد الرابع (انظر شيدر فى Iranica ، ص ٤١) .

(٣) حكاية شائعة ، انظر قبل ذلك صفحة ٢٧٨ — ٢٧٩ فى تاريخ فيروز .

(٤) وقد جاءت القصة نفسها فى ابن خرداذبه (BGA ، (٦) ص ٢٥٩ وما بعدها ، الترجمة ، ص ٢٠٠ وما بعدها) ، حيث حل ملك الخزر محل خاقان الترك .

(٥) ص ٦٢ وما بعدها .

(٦) طبعة ڤان ڤولتن Van Volten ص ٢٧٧ وما بعدها ، ترجمة ريشر ، (٢) ص ٨٨ وما بعدها .

يخونه فى إحدى نسائه ، ولكنه لم يكن لديه دليل ، فأرسل هذا الرجل إلى بلاط ملك الرم جاسوساً ، وكاد له حتى عرف ملك الروم خيانة الرجل وقتله . والحكايتان لا ترجمان ، فيما أرى ، إلى الخداينامة ، والتفصيلات فيهما خرافية ، ولكنهما قد يتضمنان ذكر جانب من أخلاق كسرى التى لم يكن يعرفها معاصروه ، ولكنه جانب لا يظهر إلا نادراً فى صورة كسرى المثالية التى امتاز بها التاريخ الإيرانى .

وأما قلة جدوى نصائح رجال الدولة والعلماء المختصين عند الملك فهذا ما تبينه القصة التى ذكرها الطبرى فقد حكى أن كسرى حين عدل الضرائب قال « إنا رأينا أن نضع على ما أحصى من جربان هذه المساحة من النخل والزيتون والجماجم وضائع ، ونأمر بإنجامها فى السنة ثلاثة أنجم . ونجمع فى بيوت أموالنا من الأموال ما لو أتانا عن ثغر من ثغورنا أو طرف من أطرافنا فتق أو شىء نكرهه واحتجنا إلى تداركه أو حسمه بيذلنا فيه مالا كانت الأموال عندنا معدة موجودة ولم نرد استيفاء اجتبائها على تلك الحال ، فما ترون فيما رأينا من ذلك وأجمعنا عليه ؟ فلم يشر عليه أحد منهم فيه بمشورة ولم ينبس بكلمة ، فكرر كسرى هذا القول عليهم ثلاث مرات ، فقام رجل من عرضهم وقال لكسرى : أتضع أيها الملك عمرك الله فى هذا الخراج على الفانى من كرم يموت وزرع يهيج ونهر يغور وعين أو قناة ينقطع ماؤها ؟ فقال له كسرى : ياذا الكلفة المشئوم من أى طبقات الناس أنت ؟ قال الرجل : أنا رجل من الكتاب . فقال كسرى : اضربوه بالدوى حتى يموت . فضربه بها الكتاب خاصة تبرأ منهم إلى كسرى من رأيه وما جاء منه ، حتى قتلوه . وقال الناس نحن راضون أيها الملك بما أنت ملزمنا من خراج »[1] .

وقد رأينا أن كسرى قد قتل أخاً له ، كاووس ، لأنه تطلع إلى ارتقاء العرش[2] وكان لأخيه زَم حزب يناصره من العظماء ، وكانوا مستائين من حكم كسرى ، فاستطاع هذا أن يقضى على الفتنة التى أعدوا العدة لها ، بقتله زم . ولكى يأمن مثل هذه المؤامرات أمر بقتل بقية إخوته وأبنائهم جميعا ، كما أمر بقتل عمه اسپد ،

(١) الطبرى ، ص ٩٦١ ؛ نولدكه ، ص ٢٤٢ — ٤٣ .

(٢) ص ٣٤٧ .

ولم ينج من هذه المذبحة غير قباد بن زم . فقد أخفاه « الكنارنگ » آذرگنداذ[١] ولم يُعرف هذا السر إلا بعد سنوات ، فأمر كسرى بقتل آذرگنداذ الشيخ وأعطيت وظيفته إلى ابنه وهرام . ويظهر پروكوپ وهو يروى هذه الحوادث بالتفصيل[٢] ، بهذه المناسبة ، تحايل أنوشروان كما يفعل فى كل مناسبة . وقد لقى هذا المصير عظيم آخر كان يدين بوظيفته الكبيرة إلى والد كسرى ، وهو ماهبود الـ «سرنخويرگان». وكان هذا قد دبر لإسقاط الأرتشتارانسلار سياوش ، ولكنه لقى حتفه بدسيسة من عظيم آخر هو زبرقان . فقد طلب كسرى الأول من زبرقان أن ينادى ماهبود وكان هذا مشغولا بعمل مع الجيش فقال لزبرقان إنه حاضر بعد أن يفرغ من عمله ، فذهب هذا وقال للملك إنه أبى المجىء إليك معتلا بأنه مشتغل مع الجيش . فغضب أنوشروان وأمر فى ثورة غضبه بأن يحضر ماهبود ، وأن يجلس فوق كرسى العقاب أمام القصر[٣] . وقد مكث ماهبود أياماً فوق الكرسى منتظراً إعدامه . وقد كان لهذه القصة دوى كبير[٤] . وقد رواها كل من الثعالبى والفردوسى فى قالب أوسع خيالا : زروان[٥] ، كبير الحجاب وعدو ماهبود الحميم دس لهذا عند الملك واستطاع برشوته أحد السحرة اليهود أن يثبت لدى الملك أن ماهبود يقصد قتله بالسم . ولم يكشف كسرى حقيقة الأمر إلا اتفاقا فأمر بصلب اليهودى وتنصيف الحاجب وندم كثيرا على قتله ماهبود[٦] .

---

(١) انظر هنا ص ٣٣٧ .

(٢) BP ، (١) ، ٢٣ .

(٣) الكرسى الذى نصب أمام القصر حيث يجلس المجرم منتظرا الحكم الذى يقضى به الملك .

(٤) پروكوپ ، BP ، (١) ، ٢٣ .

(٥) زرْوان أو زوران عند الفردوسى (= زبرگان) ؛ وقد خلطت رواية الثعالبى بين عظيمين من العظماء أيام كسرى ، فتسمى عدو ماهبود آذَرِ رونداذ (وتقرأ : آذُرِ رونداذ وهى صيغة أكثر قدما فى آذرگنداذ) .

(٦) الثعالبى ، ص ٦٢٥ وما بعدها ؛ الفردوسى طبعة مول ، (٦) ، ص ٢٩٤ وما بعدها .

وكذلك أخمد أنوشروان ثورة أشعلها ابنه أنوشگ زاد حين أشيع موت الملك وكان فى ذلك الوقت مريضاً مرضاً عضالا . وقد قضى على الثورة ولكنه لم يقتل ولده بل اكتفى بسمل عينيه أو كما قال پروكوپ أحرق جفنيه بالحديد المحمى ، وقد حرم هذا من ولاية العرش أو جعلها فى حكم المستحيل على أى حال[١].

* * *

وقد بلغت المدائن ، عاصمة الدولة ، فى عهد أنوشروان[٢] أقصى اتساعها . والمدائن بالمعنى الأخص مدينة رئيسية بين جملة مدن تسمى « المدائن » ، وتسمى بالسريانية ماخوزى Mākhōzē [٣] مع لقب مَلْكا (ملك) أو مِديِنتا أو مِدينة (المدن)[٤]. وهى التسمية التى استعملها العرب فى صيغة المدائن . والمفروض أن هذه الأسماء السامية ماهى إلا ترجمة للاسم البهلوى الذى قد يكون شهرستانان والذى لم يحفظ فى مصادرنا . وقد أشير إلى العاصمة على النقود الساسانية باسم در[٥]

(١) انظر نولدكه ، الطبرى ، ص ٤٦٧ وما بعدها .

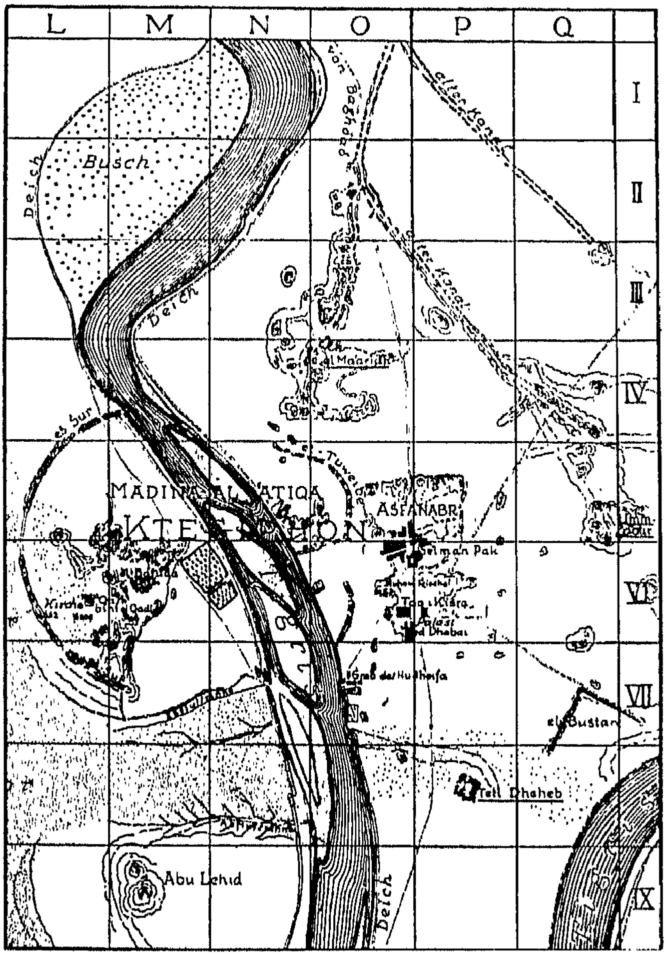
(٢) وصف هرتسفيلد خرائب العاصمة فى : سار وهرتسفيلد : Archäologische Reise im Euphrat-und Tigrisgebeit ، (٢) ، برلين ١٩٢٠ ، ص ٤٦ ومابعدها . وفى تاريخ طيسفون وساوقية انظر ستْرك Seleucia und Ktesiphon (Der alte Orient) ، (١٦) ، ٣ — ٤) . قارن هونجمن ، Ktesiphon ، Real - Ency الملحق (٤) . وقد بدأت حفائر ألمانية سنة ١٩٢٨ تحت إرشاد روتير ، انظر فى هذا تقريرا أعده ماير فى Mitteilungen der Deutschen Orient - Gesellschaft ، رقم ٦٧ (١٩٢٩) ؛ رويتر فى « The Antiquity » ، (٣) ، ديسمبر ١٩٢٩ ، ص ٤٣٤ وما بعدها ، Die Deutsche Ktesiphon-Expedition ، ١٩٢٨/٢٩ ، برلين ١٩٣٠ ؛ واتشموث فى Forschungen und Fortschritte ، ١٠ يونيو ١٩٣٠ . وقد استمرت الحفائر الألمانية بمعاونة Metropolitan museum of Arts فى نيويورك ؛ انظر اوپتن Bulletin of the Metropolitan Museum ، ١٩٣٢ ، ص ١٨٨ وما بعدها ؛ كوهنل و واتشموث ، Die Ktésiphon Expedition ١٩٣١ — ٣٢ ، برلين ١٩٣٣ ؛ هنريش شميدت ، L,Expédition de Ctésiphon سنة ١٩٣١ — ١٩٣٢ فى مجلة « Syria » ، (١٥) ، ١٩٣٤ .

(٣) جمع ؛ أما عن المفرد ماخوزا (المدينة ، المدينة الكبيرة) انظر ما بعد ذلك .

(٤) انظر سار — هرتسفيلد ، Archäologische Reise ، (٢) ، ص ٤٨ ، ملحوظة ٢ .

(٥) هو زوارش ، بابا ، شترك ، ص ٣٨ .

(الباب) . وكان عدد المدن المشار إليها سبعا فى العهد الأخير للدولة الساسانية . فالكتاب العرب أو الفرس الذين كتبوا حين كانت هذه المدن مندثرة قد اختلفوا فى عددها . ومهما يكن فإن طيسفون بالمعنى الصحيح و ويه — أردشير التى كانت سلوقية القديمة ، كانتا أكبر هذه المدائن . (رسم ٣٧) .



٣٧ . خطة مدينة سلوكية — طيسفون وضواحيها

(شميدت . حفريات طيسفون ١٩٣١ — ٣٢)

وكانت عاصمة إيران كما يقول آمين[١] بعيدة المنال بحكم موقعها . فقد كانت مجموعة

(١) (٢٤) ، ٧ — ١ .

المدن التى تكونها محاطة بأسوار حصينة عليها أبواب محكمة[١]. ويحتمل أن تكون هذه الأسوار قد جددت مرات كثيرة بمقدار زيادة عدد المدن التى تتكون منها «ماخوزى». وكانت المواصلات بين المدينتين، المدائن بمعناها الأخص و ويه‑أردشير وهما على شاطئ دجلة الشرقى والغربى، تجرى على جسر من السفن ولم يكن هذا الجسر كافيا للسابلة فأمر سابور، فى شبابه، أن ينصب جسر آخر حتى يكون واحد للذاهبين وآخر للآتين[٢].

وكانت المدائن بمعناها الأخص (بالبهلوية تيسپون)[٣]، شرقى النهر، وكانت محصنة بسور نصف دائرى عليه أبراج. والمسافة بين هذا الحائط والنهر، وترى بقاياه حتى اليوم، تبلغ نحو ٥٨٠ ألف متر مربع، وهى المدينة العتيقة[٤]. وكشفت الحفائر التى قامت بها البعثة الألمانية فى سنة ١٩٢٨ — ١٩٢٩ عن خرائب كنيسة نصرانية ترجع إلى عصر الساسانيين، وقد وجد منها النصف الأعلى لتمثال قديس من الرخام والجبس المنقوش؛ وشرقى المدائن — حيث يوجد اليوم مزار إسلامى يعرف باسم «سلمان پاك» — كان يوجد حى اسپانبر[٥]. وفى هذه الجهة توجد الخرائب متجمعة حول القصر الفارسى الشهير بطاق كسرى. والظاهر أن هذا المكان كان غاصاً بحدائق القصر الملكى وأشجاره، وركن من السور، يسمى بستان كسرى، يظهر

---

(١) الطبرى، س ٢ ١٠٦٢، نولدكه، ص ٣٨٧.

(٢) انظر قبل هذا ص ٢٢٤.

(٣) Ssu-pin عند الكتاب الصينيين (هيرث Hirth: China and Roman Orient، ص ٢٢٢). وهناك اسم صينى آخر لعاصمة الساسانيين هو Su li (المرجع نفسه ص ١٩٨)، ولعله مأخوذ من البهلوى Sūrīgh (سوريگ) (السريانى). ويسميها هيون تسيانغ Hiuen Tsiang: Su-la-sa-t'ang-na (سوريستان «سوريا»؟)، بيل، Budhist Records، (٢)، ص ٢٧٧.

(٤) المدينة العتيقة بالعربية. سار — هرتسفيلد، Arch. Reise، (٢)، ص ٥٨. وخريطة شميدت Schmidt (صورة ٣٧) تبين تحت اسم طيسفون و المدينة العتيقة مجموعة مدن المدائن وسلوقية.

(٥) المرجع نفسه، ص ٥٨، ٧٣. ويكتب المؤرخون العرب الاسم مع تغيير قليل (اسفانبر فى الخريطة رقم ٣٧).

أنه فى الحقيقة البقية الأخيرة من سور كان يحيط ساحة كبيرة للغزلان . وكانت أراضى اسپانبر محاطة من ناحية الجنوب بمجرى دجلة القديم . وفى هذه الناحية تل يسمى « خزانة كسرى » يظهر أنه يحجب أساس معبد كبير[١] .

ويرى باشمان مساعد رويتر أن بستان كسرى ربما يكون مكان أنطاكية الجديدة وهى إحدى المدن التى تتكون منها العاصمة . وكان الاسم الرسمى لهذه المدينة ويه — انتيوخ — خسرو[٢] ولكنها كانت تسمى فى العادة رومگان[٣] أى مدينة الروم . وقد أنشأها كسرى الأول ، فإنه بعد أن استولى على أنطاكية نقل سكانها إلى مدينة جديدة خصصها لهم قرب المدائن ، ونقل من الشام ورودس الرخام وأعمدة المرمر والفسيفساء الزجاجية والحجارة المصقولة[٤] . ويحكى المسعودى أن كسرى بعد أن عقد الصلح مع إمبراطور الروم نقل من الشام المرمر والرخام وأنواع الفسيفساء والأحجار[٥] ، « والفسيفساء شىء يطبخ من الزجاج والأحجار ذو بهجة وألوان يدخل فيما فرش به من الأرض والبنيان كالفصوص ، ومنه على هيئة الجامات شاف ، وحمل ذلك إلى العراق فبنى مدينة نحو المدائن وسماها الرومية وجعل بنيانها وما داخل سورها بما ذكرنا من الأحجار ، يحكى بذلك أنطاكية وغيرها من مدن الشام . وهذه المدينة سورها من طين قائم إلى هذا الوقت خراب يباب يعرف بما ذكرنا » . وتضيف القصة إلى هـذا أن هذه المدينة قد بنيت مشابهة لمدينة أنطاكية تماما فمضى أهل كل بيت من سكانها إلى ما يشبه منازلهم متى كانوا فيها فى أنطاكية فكأنهم لم يخرجوا عنها[٦] . وقد بنى لهم كسرى الحمامات وحلبات السباق ومنح سكانها مزايا

---

(١) سار — هرتسفيلد ، (١) ، c ، ص ٥٩ وما بعدها .

(٢) انظر بروكوب BP, Procope ، (٢) ، ١٤ .

(٣) الرومية بالعربية .

(٤) تيوفيلاكت ؛ Barhebraeus ؛ وانظر سار — هرتسفيلد فى كتابه عن الآثار فى دجلة والفرات (٢) ص ٤٨ . (Arch. Reise,) .

(٥) مروج (٢) ، ص ١٩٩ — ٢٠٠ .

(٦) الطبرى ، ص ٨٩٨ ، نولدكه ، ص ١٦٥ .

خاصة ، منهـا حرية العقيدة المسيحية ، وقد كانوا خاضعين الملك مباشرة كما كان لمدينتهم حق الحماية[١] .

وفى غرب دجلة بقايا حائط معظمه من اللبن الذى جلب من بابل ، وكان هذا الحائط يحيط بمساحة تبلغ حوالى ٢٨٦٠٠٠٠ مترا ، وهو المكان الذى كانت فيه مدينة سلوقية ، أقدم المدن ، وقد أعاد بناء جزء منها أردشير الأول وسماها ويه — أردشير[٢] . والحائط هو سور سلوقية أيام السلوقيين[٣]. وكانت مدينة ماخوزا[٤] متاخمة لسلوقية . وقد استخدم الـكتاب السريان واليهود اسم ماخوزا مريدين كل بلاد سلوقية . وكانت ويه — أردشير مدينة كبيرة مرصوفة الطرقات ، وكانت حظائر البهائم مجاورة المنازل فى هذه المدينة ، لأن سكانها الأثرياء كانوا يملـكون مواشى ترعى أثناء النهار فى واد مستطيل مجاور لمدينة ماخوزا يسمى عقبة ماخوزا . وكانت سوق المدينة كبيرة ، بها تجار النبيذ من اليهود وتجار متجولون لشتى السلع وكان الحمالون نشطين . وقد أثرت المدينة بفضل التجارة الرابحة ، وكانت السلاسل والأساور (الذهبية) تعتبر ضئيلة القيمة ، فكانت السيدات يهبنها عن سعة للفقراء ، وكان جامعو الصدقات يأخذونها بدل النقود . وكان أهلها قليلى العناية بالأمور الروحية ، وقد اتهموا بالإفراط وإدمان الشراب والترف ؛

---

(١) پروكوپ ، BP (٢) ، ١٤ ، ١ — ٤ .

(٢) ويه — أردشير قد تكون « أردشير الطيب » بالپهلوية . ولـكن نولدكه (WZKM ، (١٦) ، ١٩٠٢ ، ص ٧) يرى أن معناها الحقيق هو « بيت أردشير » ، لأن ويه هى بى الآرامية .

(٣) Sarre-Herzfeld (١) ، س ، ص ٥٠ وما بعدها .

(٤) فى المفرد . قارن ما جاء فى ص ٢٦٧ وجاء فى نص آمين ((٢٤) ، ٥ — ٣) أن كوش ، كوخى عند السريانيين Koche هى تسمية أخرى لسلوقية . ولـكن ماير قد لاحظ (Mitt. d. Deutschen Orient-Ges نمرة ٦٧ ، ص ١٨) أن اسم كوش قد أدخل خطأ فى نص آمين المحرف ، وأن نصا لزوسيموس ((٣) ، ٢٣ وما بعدها) يكاد يتفق تماما مع نص آمين قد ذكر الاسم Zωχάση ، وهو خطأ أيضاً ، فيما يظهر . والحقيقة أنه وفقا لنص آخر فى كتابة آمين ((٢٤) ٦ ، ٢) تذكر كوش على أنها واقعة على بعـد من مصب نهر ملـكا فى دجلة .

«كانت النساء تأكل ولا تعمل» . ومن الصناعات التي اختصت بها سلوقية — ماخوزا صناعة أكياس النقود ونوع من الحصير يجفف عليه التمر(١). وكانت ويه — أردشير مركز النصارى في إيران وقصر الجاثليق . وكان بها الكاتدرائية — كنيسة سلوقية الكبيرة — التي ضربت أيام الاضطهاد إبان ولاية سابور الثاني ، وأعيد بناؤها بعد موته ثم أصلحت عدة مرات بالأموال التي كان يمنحها البلاط البيزنطي . وكان بها أماكن أخرى مقدسة ككنيسة القديس نركس (نرسيس ؟ St. Narkos) ، ومدرسة القسس التي أنشئت في القرن السادس . وكانت صومعة بيثيون في مدينة طيسفون بمعناها الأخص . وقد بنى بها كسرى الثاني كنيستي القديسة مارى والقديس سرج St. Serge(٢).

وكان في ويه — أردشير و طيسفون جالية يهودية كبيرة . وكان بها مدرسة يهودية للتعليم العالي منذ القرن الثالث ، وكان رأس الجالوت ، رئيس الجالية اليهودية في بلاد بابل (العراق) ، يقيم في ماخوزا(٣) .

وعلى نحو خمسة كيلومترات شمالي ويه — أردشير كانت توجد مدينة صغيرة تسمى دَرْزَنيذان(٤) . وكانت مدينة بلاش — آباد (ساباط) على الشاطئ الأيمن لدجلة ، وهي المدينة التي بناها الملك بلاش (ولاش) ، ولعلها كانت غربي ويه — أردشير(٥).

---

(١) برلينر A. Berliner في كتابه عن جغرافية وشعب بابل : Beiträge zur Géographie und Ethnographie Babyloniens ، ص ٤٠ وما بعدها .

(٢) شترك Streck في كتابة عن سلوقية وطيسفون : « Seleucia und Ktésiphon » ص ٤٥ — ٤٦ .

(٣) برلينر في كتابه السابق ، ص ١٩ ، ٢٣ — ٢٤ ، ٣٩ — ٤٣ ، ٦١ — ٦٢ ؛ شترك ، ص ٢٧ و ٦٣ ؛ وانظر دائرة المعارف الإسلامية مادة المدائن .

(٤) شترك ، ص ٣٦ .

(٥) الطبرى ، ص ٨٨٣ نولدكه ، ص ١٣٤ ؛ لوسترانج في كتابه عن بلاد الخلافة الشرقية « The Lands of the Eastern Caliphate » ، ص ٣٤ ، (الترجمة العربية لهذا الكتاب ص ٥٢ لبشير فرنسيس وكوركيس عواد) .

ويعرف من مجموعة المدن التي كانت تتكون منها العاصمة الفارسية أيام كسرى الأول خمس مدن : طيسفون القديمة ، وروميگان (الرومية) وهي على الشاطئ الشرقي للنهر ، وويه — أردشير (سلوقية) ، ودَرْزَنيذان ، وبلاش — آباد على الشاطئ الغربي . ويكمل عدد المدن إلى سبع إذا نحن حسبنا حتى اسپانبر وحتى ماخوزا على الشاطئ الأيمن مدينتين مستقلتين .

وقد كشفت الحفائر التي حفرت سنة ١٩٣١ — ٣٢ في أم السعاتير والمعاريض (تلان في شرق وشمال طاق كسرى) عن أساس لمنازل ساسانية ، وقد استطاع وتشموث أن يعيد تخطيطها . وقد وجد هناك عدة قطع من زخارف من الجصيص ، ونقوش زعف النخل ، وزهور براعم وتيجان من الورد ونقوش التوريق — نوع سابق على توريق الفن الإسلامي — وأشكال حيوانات وصفحات مستطيلة فيها صور الدببة والخنازير الوحشية وصورة لشجرة الحياة وعليها الطواويس وحجارة مربعة عليها تماثيل نصفية للأمراء والأميرات . ومن بين الأنقاض أيضاً حجارة من تماثيل صغيرة للراقصات واللاعبين على العود والسكارى نياما على سرير . (١) (رسم ٣٨) .

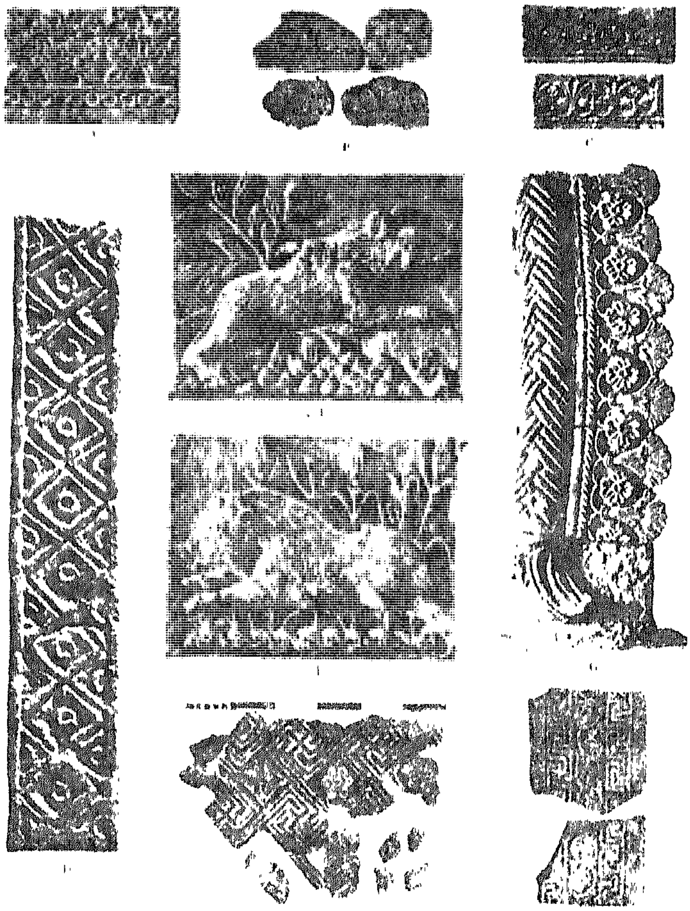
وكانت هناك قصور ملكية على شاطئ دجلة . وأيام سابور الثاني كان هناك قصر صغير جميل للصيد يظلله الشجر ، وكان مطلا على واد به أشجار الكرم والسرو خارج مدينة سلوقية . وكانت حيطان القصر مزينة على الطريقة الإيرانية بصور تمثل الملك في الصيد وهو يقتل الحيوانات المفترسة من كل صنف « لان رسوم هؤلاء الناس ونقوشهم لاتمثل غير أنواع المذابح والحروب »(٢). وكان الملك يقيم أحياناً في طيسفون نفسها حيث كان قصره قريباً من النهر فكان رواح الناس وغدوهم على الجسر يقض مضجعه أحياناً : ومن أجل هذا أمر سابور الثاني ببناء جسر آخر . وكان قصر طيسفون هذا هو « القصر الأبيض » الذي هدمه الخليفة المعتضد والخليفة

---

(١) شميدت ، « Syria » ، ١٩٣٤ .

(٢) آمين مارسلان Ammien Marcellin ، (٢٤) ، ٦ ، ٣ .

المتوكل لاستعمال أنقاضه فى بناء قصر فى بغداد ، بعد سقوط الدولة الساسانية بقرنين ونصف قرن(١).



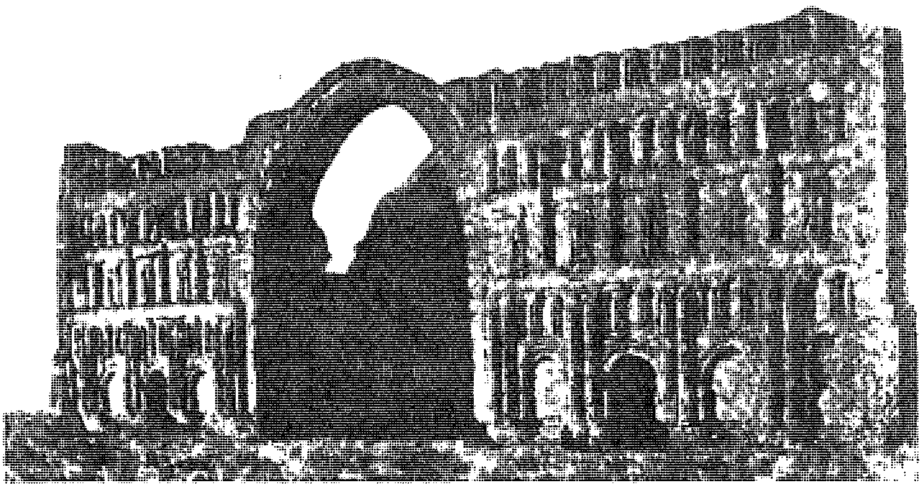
٣٨ . زخارف من الجص فى طيسفون
(شميدت ، ١٩٣١ — ٣٢)

وأشهر القصور التى شيدها الساسانيون طاق كسرى أو إيوان كسرى فى أسپانبر. وهو القصر الذى تثير خرائبه إعجاب الزائرين حتى اليوم(٢). (صورة ٣٩) وتنسب

(١) سار — هرتسفيلد فى آثار دجلة والفرات ، (٢) ، ص ٧٦ .

(٢) ويرجع التخريب الجزئى لهـذا الهيكل إلى عمل أحد الخلفاء العباسيين الأوائل . وينسبه معظم المؤرخين إلى المنصور (١٣٧/٧٥٤ — ٥٥) . وقد عدل عن الهدم لأن الإنفاق عليه كان أكثر من الفائدة المرجوة منه . وقد ذكرت هذه الرواية بشكل خرافى =

القصص بناء هذا القصر لكسرى الأول . وقد نفى هرتسفيلد صحة هذه الرواية وقال إنه يرجع إلى عهد سابور الأول ، ولكن رويتر[1] يدافع عن صحة الرواية الأولى : والطاق هو الإيوان فى القصر الذى بناه كسرى الأول . وتبلغ المساحة التى تشغلها خرائب هذا القصر ثلاثمائة فى أربعمائة متر (٣٠٠ × ٤٠٠) ، وهى تشمل الطاق



٣٩ . طاق كسرى كما كان حتى سنة ١٨٨٨

(ديولافوا . فن فارس القديم)

وبقايا بناء شرقيه على مسافة مائة متر منه تقريباً ، وتلاً فى جنوبه يسمى حريم كسرى وفى شماله خرائب تخفيها مقبرة حديثة . والطاق هو الجزء الوحيد ، من هذه المجموعة الذى بقيت منه خرائب هامة . ووجهة هذا البناء شرقية يبلغ ارتفاعها ثمانية وعشرون أو تسعة وعشرون متراً ، وهى تتكون من حائط بلا نوافذ ولكن تزينه الطيقان

= رواية فى «داراب هرمزيار» ((٢) بمباى ١٩٢٢ ، ص ٢٤٤) ؛ انظر شترك (١) س ، ص ٦١ ؛ وانظر ترجمة مقال روزنبرج لبجدانوف فى J. Cama. Or. Inst. رقم ٣ ، ص ٢٩ وما بعدها .

(١) الآثار ، « The Antiquity » ، (٣) ، ديسمبر ، ١٩٢٩ ، ص ٤٤٧ .

وصور العمد المنقوشة البارزة والعقود المصفوفة على أربع طبقات ، وحائط «سرى» نجد نظيراً له فى المدن الشرقية التى تأثرت عمارتها بالفن اليونانى وخاصة فى تدمر . وقد كانت هذه الوجهة مغطاة بالمصيص المنقوش أو بلوحات الرخام أو كما يقول بعض الواصفين المحدثين بألواح من النحاس المذهب أو المفضض . ولكن هرتسفيلد لم يستطع أن يجد أية إشارة فى النصوص القديمة إلى هذا الرأى الذى ذكرته فى كتابى الإمبراطورية الساسانية « L'Empire des Sassanides » (ص ١٠٢) . وكانت الوجهة كلها والبهو الأكبر قائمتين حتى سنة ١٨٨٨ . وقد سقط الجناح الشمالى فى تلك السنة وصار الجناح الجنوبى آيلا للسقوط . وفى وسط الوجهة تشرف القبة البيضاوية الهائلة ، شاملة سمك البناء كله ، وهى القبة التى تغطى بهو « الاستقبال » التى تبلغ مساحتها ٢٥ر٦٣ عرضاً × ٧٢ر٤٣ طولا . وكان خلف كل من جناحى الوجهة خمسة أبهاء أقل ارتفاعا تعلوها قباب شديدة الاستدارة يسدها من الخارج جدار مرتفع ، والظاهر أنه كان ، خلف الحائط الذى يسور القصر ، بهو مربع فى الوسط عند مخرج بهو الاستقبال ، وحجرتان أصغر حجما على كلا الجانبين . وكانت الجدران والقباب جميعاً من اللبن ، وكان سمكها خارقا للعادة[1]. وقد كشفت الحفائر الألمانية الحديثة عن بعض قطع زخرفية ساسانية من المصيص .

والطاق بناء بالغ فى السذاجة من حيث البناء ، وهو يفرض على ناظريه الإعجاب به ، بأبعاده الرائعة وضخامة أجزائه لا بجماله فى جملته أو تفصيله . وكان المقام العادى للملك . ويقول عنه ابن خرداذبه[2]: « ما بناء بالجص والآجر أبهى من إيوان كسرى بالمدائن » . ثم يذكر الوصف الشعرى الذى رواه البحترى فيه :

وكأن الإيوان من عجب الصنـ ـعة جوب فى جنب أرعن جلس
مشمخر تعلو له شرفات رفعت فى رؤوس رضوى وقدس
ليس يُدرى أصنع إنس لجن سكنوه ، أم صنع جن لإنس

---

(١) سار — هرتسفيلد ، (١) س ، ص ٦٠ — ٧٦ ؛ وقارن ديولافوا (٥) ، رقم ٦ .

(٢) BGA ، (٦) ، ص ١٦٢ ، الترجمة ، ص ١٢٤ .

هناك كان يقيم الملك محاطاً بحاشيته العظيمة ، ومن هناك كان يدبر شئون الدولة. وتتصل بعض التفاصيل التى ذكرها الكتاب العرب عن النظم الإدارية بعهد كسرى الأول وخلفائه . كانت الإدارة العامة للدولة تستقر فى المكاتب (ديوان بالبهلوية)[١]. وكان يسودها نظام أحكم تحديده . وليس لدينا معلومات مباشرة عن عدد الدواوين وأعمالها الإدارية المختلفة . نعلم أنه كانت للملك أختام عدة : خاتم للسر ، و خاتم للرسل، وخاتم للتخليد يختم به السجلات والإقطاعات وما أشبه ذلك من كتب التشريف ، وخاتم للخراج . وأظن أنه كان لكل من هذه الأختام ديوان واحد على الأقل . ولعل هذه القائمة غير كاملة ، فالظاهر أنه كان هناك دواوين للحرب والبريد والنقود والمقاييس والمكاييل وربما كانت للأملاك الخاصة وهكذا . وزيادة على هذا فلعل من الطريف أن ديوان المالية ، وهو أهم من جميع فروع الإدارة ، لم يشتمل على عدة دواوين كما كان الحال فيما بعد أيام الأمويين والعباسيين[٢]. وقد ذكر البلاذرى[٣] بعض المعلومات عن سير الأمور وخاصة فى الشئون المالية ؛ كانت الرسائل بحمل المال تقرأ على الملك وكانت يومئذ تكتب فى صحف بيض وكان صاحب الخراج (واستريو شانسلار) يأتى الملك كل سنة بصحف موصلة قد أثبت فيها مبلغ ما جبى من الخراج وما أنفق فى وجوه النفقات وما حصل فى بيت المال فيختمها ويجريها . فلما كان كسرى پرويز تأذى بروائح تلك الصحف وأمر ألا يرفع إليه صاحب ديوان خراجه مايرفع إلا فى صحف مصفرة بالزعفران وماء الورد . وكان ملك الفرس إذا أمر بأمر وقعه صاحب التوقيع (إيران — دبيربذ ؟) بين يديه وله خادم يثبت ذكره عنده فى تذكرة تجمع لكل شهر فيختم عليها الملك بخاتمه وتخزن ثم ينفذ التوقيع إلى صاحب الزمام وإليه الختم فينفذه إلى صاحب العمل فيكتب به كتاباً من الملك وينسخ فى

(١) هوبشمان فى كتابه عن الأجرومية الأرمنية Armen. Gramm ، (١) ، ص ١٤٣ . وقد استخدمت الكلمة بعد ذلك فى الإدارة الإسلامية . ويرى ابن خلدون فى مقدمته ((١٧)، ص ١٦ ، (٢٠) ، ص ١٩) أن كلمة ديوان استعملت فى الأصل للدلالة على سجلات الدخل والنفقات ، ثم امتد استعمالها فشملت الأماكن التى يشتغل فيها موظفو المالية والجباة ، ثم شملت فى النهاية جميع المكاتب .

(٢) البلاذرى نقلا عن ابن المقفع ؛ انظر نولدكه ، ص ٣٥٤ ، ملحوظة ٢ .

(٣) نقلا عن ابن المقفع ؛ انظر نولدكه ص ٣٥٤ ، نمرة ٢ .

الأصل ثم ينفذ إلى صاحب الزمام فيعرضه على الملك فيقابل به ما فى التذكرة ثم يختم بحضرة الملك أو أوثق الناس عنده .

وكانت الأوامر الملكية والمعاهدات ووثائق الدولة الأخرى تختم بخاتم الملك وكان خاتماً نقش عليه صورة خنزير برى (وراز) . فإذا تضمنت الوثيقة التزاماً قبل دولة أخرى ، مستقلة كانت أو تابعة لإيران ، فإنها تشفع بكيس من الملح وتختم بخاتم الملك ، وذلك علامة للعهد الذى لاينقض[1] .

وكان يحيط بالملك كثير من رجال الحاشية الممتازين المقربين . فكان هناك التكربذ ومنصبه يشبه منصب رئيس الديوان الملكى[2] ، والأندعان كاران سردار (أو سالار) وهو رئيس التشريفات[3] ، والخرم باش وهو الموكل بالستار . وكان هناك نظار القصر ، ورؤساء الخازن والمىبذ (السقاة)[4] والپندشخور (الذواقين)[5] والخوان سالار وهو رئيس أصحاب المائدة[6] والحجاب (سنكبن Senekepan وسنكپت Senekapet فى الصيغ الأرمينية للقب الإيرانى)[7] ،والشاهبان أى القوام على الصقور[8] ، والخوربذ (أو أخور سالار أو ستوربان)[9] وهو رئيس

(١) فاوستوس البيزنطى ، Langlois ، (١) ، ص ٢٦٩ ؛ پاتكانيان JA ، ١٨٦٦ ، (١) ، ص ١١٣ . والمسعودى (مروج (٢) صفحات ٢٠٤ ، ٢٢٨) حيث يصف تفصيلا أختام كسرى الأول الأربعة وأختام كسرى الثانى التسعة .

(٢) هرتسفيلد ، فى كتابه عن آثار پيكولى رقم ٩٩ . (Paikuli gloss.) .

(٣) بارتولومويه فى كتابه عن تاريخ إيران القديم Altiran. Wörterbuch ، ص ١٥٠٩ ، وفى بحثه عن الفقه الساسانى (Rechtsbuch) ، (٤) ، ص ١٦ ؛ وهرتسفيلد فى پيكولى رقم ١٠٠ .

(٤) هذا اللقب مشكوك فيه انظر هو بشمن فى الأجرومية الأرمنية (Armen. Grammatik.) ؛ (١) ، ص ٦٩ والملحوظة ٢ .

(٥) هوفمان ، ص ٩٥ .

(٦) يقول الطبرى إن جماعة من عظماء الفرس ملكت أردشير الثالث وكان طفلاً صغيراً قيل إنه كان ابن سبع سنين ... وحضنه رجل يقال له ماه آذرجشنس وكانت مرتبته رياسة أصحاب المائدة ، الطبرى ، ص ١٠٦١ ، نولدكه ، ص ٣٨٦ .

(٧) پاتكانيان ، (١) ، س ، ص ١١٥ .

(٨) المصدر السابق .

(٩) هوبشمان ، (١) ، س ، ص ٩٣ ؛ كارنامك ٣ — ٢ .

الاصطبلات ، والدربان — سردار[1] أى كبير البوابين وغيرهم . وكان يحيط بالملك حرس عديد قوى يسمونه پشتيگبان[2] ورئيسهم پشتيگبان سالار . وكانت مهمة الحرس الدفاع عن الملك والقيام بحراسته وكان رئيسهم يتمتع بأوسع جاه فى البلاط[3] . ونجـد أيام كسرى أن وظيفة الـ هزاربذ ، أى رئيس ألف رجل ، لم تبق وظيفة وزير ولـكنه أصبح رئيساً للحرس الملـكى[4] ، أى بالمعنى الصحيح للكلمة . وقد يجب أن نفهم من كلمة همهرز ضباط الحرس الملـكى ، پشتيگبانها ، أو ضباط حرس آخر[5] . وقد كان هذا الحرس فى آخر عهد الساسانيين مكونا من النبلاء[6] . وحين يمتطى الملك جواده يقف له حرسه سماطين عليهم الدروع والبيض والترسة والسيوف وبأيديهم الرماح فإذا حاذى بهم الملك وضع كل رجل ترسه على قربوس سرجه ثم وضع جبهته عليه كهيئة السجود[7] .

وكان هناك طوائف أخرى ذات شأن كبير فى الدولة الساسانية لما كان لرجالها من تأثير شخصى على الملك . وهؤلاء هم : أولا المنجمون ، اخترمار ، ورئيسهم اخترماران

---

(١) اونوالا Unvala فى الملك كسرى وغلامه : «King Husraw and his Boy» نبذة رقم ١٨٩ . ويذكر الـ كارنامگ الذى نشره نوشروان (بمباى ١٨٩٦ ، ص ٣١ ، فقرة ١٤٧) لقب دران — دربذ ، رئيس جميع الأبواب . أما النص الذى نشره پشتن سنجانا Peshotan Sanjana فإنه لم يذكر من هذا اللقب غير حرفيه الأولين (١٠ — ٧) .

(٢) هوبشمان Hübschmann ، ص ٢٥٥ .

(٣) جاء ذكر الـ — پشتيگبان سالار فى الـ — كارنامگ كأحد خلصاء الملك مع الموبذان موبذ وإيران سپاهبذ و دبيران مهيست ورئيس الأساورة (١٠ — ٧) .

(٤) انظر ص ١٠٠ . تاڤاديا ، Eine Tischrede aus der Zeit der Sasaniden ص ٦ و ٩ .

(٥) وعلى أى حال فإن همهرز وظيفة ممتازة جدا . وقد سمى الأرمن انتيجون همهرز الإسكندر الأكبر (Hubschmann, Armen Gramm ، (١) ، ص ١٧٧) .

(٦) وكذلك فإن الجند الماديين فى حرس الملك كانوا نبلاء . (انظر نولدكه ، الطبرى ، ص ٣٩١ ، ملحوظة ١)

(٧) الطبرى ، ص ١٠٦٣ ، نولدكه ، ص ٣٨٩ .

سردار ، وكانوا من طبقة الكتاب[1] ، والكهان ، وكان الملوك الساسانيون يستشيرونهم كما كان يفعل أسلافهم البرتيون : فكان سابور الثانى « يستشير كل القوى الجهنمية ويسأل الكهان عن المستقبل[2] » ، ودعا يزدگرد ساعة ولد ولده بهرام بمن كان ببابه من المنجمين فأمرهم بإقامة كتاب مولده[3]. وقد جمع كسرى الثانى حزاته الستين وثلاثمائة (العلماء من بين كاهن وساحر ومنجم) ليحسبوا له أحسن الأوقات ليبنى سد دجلة العوراء ، فلما غلط حسابهم قتل منهم مقتلة عظيمة[4] . ويؤكد أجاثياس[5] أنه ما من شك فى أن رجال الدين أنفسهم كانوا يمارسون قراءة الغيب . وعلى هذا النحو ورث المجوس ميراث شيوخ الكلدانيين . وبعد هؤلاء كان أطباء البلاط دُرُست بد ، وكانوا أيام كسرى الأول ، غالباً ، من النصارى[6] ، ثم شعراء البلاط . وأما الخصيان ويبدو أن رئيسهم كان يلقب بلقب مَرْبَد[7]، فكانوا من ذوى الخطر ولعلهم لم يدخلوا فى زمرة النبلاء قط .

وكانت الجلسات العامة تكون فى بهو الاستقبال الملكى بالطاق (الإيوان) . ففى تلك الأيام كانت الجماهير تتدفق أمام البوابة العظيمة التى هى باب بهو الاستقبال (أپادانا[8]) ولا تلبث القاعة الكبيرة أن تغص بالوافدين . وكانت أرض القاعة مفروشة بالسجاجيد العظيمة ، وكذلك كانت تعلق السجاجيد على الجدران ، والأجزاء العارية من الجدران كانت عليها لوحات من الفسيفساء أعدت بأمر كسرى الأول ولعل الصناع الذين قاموا بعملها هم من الروم الذين أرسلهم الإمبراطور جستنيان إلى

---

(١) كتاب تنسر ، ص ٢١٤ ، ٥١٨ من طبعة دار مستتر ، مينوى ، ص ، ١٢ الترجمة العربية ص ٣٣ .

(٢) آمين مارسلن ، (١٨) ، ٤ ، ١ ؛ قارن فاوستوس البيزنطى ، **Langlois** ، (١) ، ص ٢٧٠ .

(٣) الطبرى ، ص ٨٥٤ ، نولدكه ، ص ٨٦ .

(٤) الطبرى ، ص ١٠٠٩ ، نولدكه ، ص ٣٠٤ وما بعدها .

(٥) (٢) ، ٢٦ .

(٦) لابور ، ص ١٩٢و٢١٩ . أما عن الطب فانظر هذا الفصل بعد ذلك .

(٧) هوبشمان ، Armen. Gramm. ، (١) ، ص ٦٩ ، ملحوظة ٢ .

(٨) انظر عن الأپادانا ص ١٥٤ من كتاب الفنون الجميلة عند القدماء لمحمد فؤاد مرابط.

كسرى(١). ومن بين هذه اللوحات مايمثل حصار أنطاكية والمعارك التى دارت حول هذا البلد وقد صور فيها كسرى بملابس خضراء ممتطياً صهوة جواد أصفر وكان يستعرض صفوفا من الجند الإيرانيين والبيزنطيين(٢). وكان العرش موضوعاً فى أقصى القاعة ، خلف الستار ، وقد أحاط به الضباط العظام والنبلاء وكانوا يقفون على بعد من الستار وفقاً لسنن المراسم(٣) وكان هناك حاجز ، بلا شك ، بين رجال البلاط والعظماء وبين جمهرة الشعب ، وفجأة يرتفع الستار ويظهر الشاهنشاه وقد جلس فوق عرشه على وسادة من الديباج المذهب ، وكان يرتدى ثوباً ثميناً موشى بالذهب . وكان التاج موشى بالذهب والفضة ومطعما بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ ، معلقاً بسلسلة من ذهب فى رأس طاق مجلسه ، ذلك لأن عنقه كانت لاتحمل تاجه إنما يستر بالثياب حتى يجلس فى مجلسه ذلك ثم يدخل رأسه فى التاج ، وهو يزن واحداً وتسعين ونصف كيلوجرام . ومنظر هذا الإيوان الفخم الذى ينفذ إليه ضوء أخاذ من خلال الخمسين ومائة كوة التى فى القبة والتى يبلغ قطر كل واحدة منها من اثنى عشر إلى خمس عشرة سنتيا ، هذا المنظر الفخم كان يدهش من يراه لأول مرة فيركع لهيبته . وعند ما يغادر الملك القاعة بعد انتهاء المجلس ، يبقى التاج معلقاً فيلف بستار من الديباج حتى لايتسرب إليه التراب . ويضيف البلعمى على ذلك أن هذا التقليد من وضع كسرى الأول وأنه ظل متبعاً فى عهده وعهد خلفائه(٤) . والحلقة التى تثبت بها السلسلة التى كانت تحمل التاج لم تنزع من مكانها إلا فى سنة ١٨١٢(٥).

وكان منظر الملك وقد تزين بحليه كله عظما رائعاً ولكن كان وحشياً كذلك . يصف جان كريسستوم Jean Chrysostôme بطريقة لاإجلال فيها أحد ملوك إيران

---

(١) تيوفيلاكت ، (٥) ، ٦ ، ١٠ .

(٢) سار — هرتسفيلد ، Arch.Reise ، (٢) ، ص ٧٠ .

(٣) انظر ما بعده

(٤) الطبرى ، ص ٩٤٦ ، نولدكه ، ص ٢٢١ — ٢٢٢ ؛ الثعالبى ، ص ٧٠٠ ، البلعمى ، الترجمة لزوتنبرج ، (٢) ، ص ٢٠٥ — ٢٠٦ .

(٥) جستى ، Geschichte des alten Persiens ، ص ٢١٠ .

فى القرن الرابع بقوله : « يلبس لحية مذهبة وله هيئة الحيوان الجميل »[١]. ويصف تيوفيلاكت Théophylacte هرمزد الرابع ، الذى خلف كسرى الأول ، وهو جالس على العرش الملكى متشحاً بثوب نفيس : «كان التاج من الذهب محلى بالجواهر ، وكان الياقوت الذى رصع به يشع عظمة ، وقد أحيط بصف من اللآلئ كانت تلمع فوق التاج وقد انعكس نورها المتموج على ألوان الزمرد الزاهية ، حتى أن العين كانت إذا وقعت عليه تقع فى عجب محير . وكان يلبس سروالا مزخرفا بالذهب ، منسوجاً باليد ، غالى الثمن ، كان لباسه فى الجملة يدل على الأبهة التى يتطلبها من يحب التيه[٢] » .

ومن الممكن أن ينطبق هذا الوصف على كسرى الأول ، فقد وصفه حمزة[٣]، نقلا عن الكتاب الذى كان يحوى صور ملوك الساسانيين بقوله[٤] « شعاره أبيض ووشيه ألوان مختلفة وسراويله على لون السماء قاعداً على السرير معتمداً على سيفه » .

ونراه على هذا الشكل مصوراً على كأس أنيق من كؤوس المكتبة الأهلية بباريس . فقد نقشت صورته على البلور الصخرى وأحاط به ثلاثة صفوف من المينا عليها رسوم الورد الأحمر ثم الأبيض بالتوالى ، وقد ركبت على الذهب . (رسم ٤٠) وقد جلس الملك فى الصدر على عرش تحمله الخيول ذات الأجنحة معتمداً بيديه على السيف[٥]، ولعله هو الملك كسرى الأول الذى يظهر أيضاً فى صخور شاپور[٦] فى نقش من نقوش النصر . وهذا النقش قد تم عمله بطريقة غير محكمة ، وهو يحتوى على صفين من الصور . ففى الصف الأول جاس الملك فى الوسط ، جلسة

---

(١) انظر نولدكه ، الطبرى ، ص ٤٥٣ .

(٢) تيوفيلاكت ، (٤) ، ٣ .

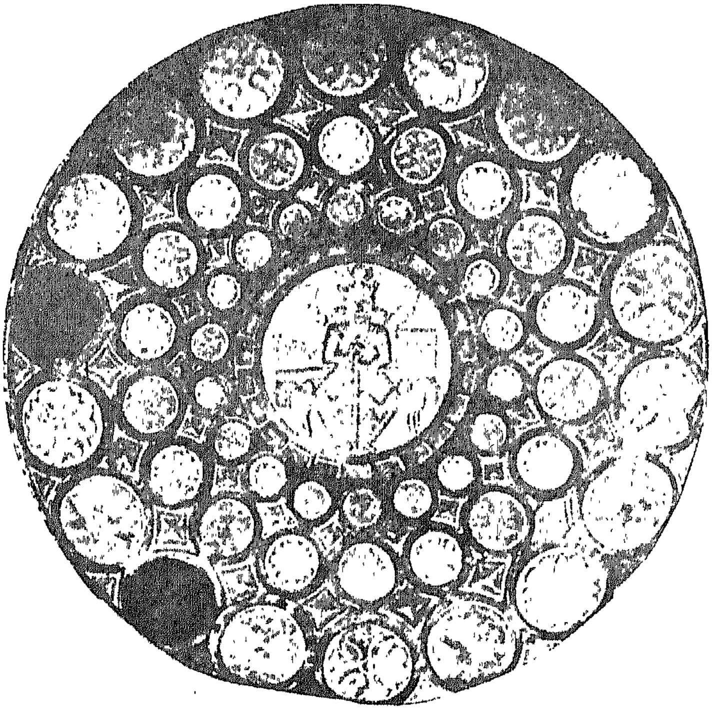
(٣) جوتولد . ص ٥٧ . الترجمة ، ص ٤٢ .

(٤) انظر قبل هذا ص ٥٤ — ٥٥ .

(٥) ديولافوا ، ج (٥) ، لوحة ٢٢ ؛ Cat. des camées de la Bibliothèque nationale, Babelon رقم ٣٧٩ ؛ سار ، Die Kunst des alten Persien ، لوحة ١٤٤ .

(٦) فلاندان وكوست ، لوحة ٥٠ ، اندرياس وستولز ، Persopolis ، لوحة ١٣٨ .

تذكرنا بكسرى الأول فى الكأس المذكورة آنفاً مع فارق واحد هو أن اليد اليسرى وحدها تعتمد على السيف ، بينما يده اليمنى تعتمد على عصا أو رمح ، وعلى



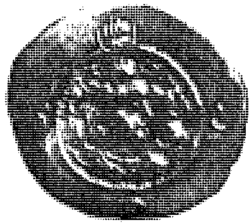
٤ . صورة كسرى أنوشروان على كأس
(سار . فى فارس القديمة)

يسار الرائى عظماء الدولة وقد وقفوا حسب العادة مادين أيديهم اليمنى فى مستوى الوجه . وفى يمين النقش صورة الأسرى يساقون أمام الملك . وفى الصف الأسفل يرى على اليسار العسكر الإيرانيون مع حصان من خيل الميدان ، وعلى اليمين رجل يمسك بيده رأساً مقطوعة ، ثم الأسرى ، وشخص راكب فيلا ، ورجال كثيرون يحملون آنية وأشياء أخرى من الغنائم(١).

---

(١) أراد سار ، الذى يرى فى التشابه بين صورة الملك فى النقش ورسمه على الكأس أنه ملك واحد فى الاثنين ، أن يجعل هذا الملك كسرى الثانى (ص ٢١٣ من Iran. Felsreliefs) ؛ ولكن هرتسفيلد ينسب الكأس إلى كسرى الأول ، (الجزء ٤١ ، ص ١٤ من Der Thron des Khosrô ، Jahrb der preuss. Kunstsmmlungen) . والتاج الذى يعلو مفرق الملك هو من غير شك تاج كسرى الأول ، أما النقش فإن شكل التاج لا يتميز بوضوح .

وأما فى النقود فإن كسرى يظهر بشاربه ولحيته المدببة كالمعتاد ، وقد لبس العقد اللؤلؤى والتاج المجنح تعلوه كرة مثبتة فى هلال . (صورة ٤١)



٤١ . من نقود كسرى أنو شروان

(متحف كوبنهاجن)

وكان على من يمثل فى الحضرة الملكية أن يسجد حسب التقليد القديم . ويحكى الطبرى أن جُوَانِى ، صاحب رسائل يزدگرد ، دخل على بهرام الخامس فراعه ما رأى من وسامته وبهائه وأغفل السجود دهشاً ، فعرف بهرام أنه إنما ترك السجود لما راعه من روائه[(١)] فعفا عنه . وكان ال — پشتيگبان — سالار ، أو ضابط عظيم غيره من حرس الباب ، يرفع إلى الملك إسم من يريد أن يتكلم معه . فإذا أذن الملك بذلك دخل الرجل وهو يجذب من كمهششتقة بيضاء نقية يغطى بها فمه ، وهذا هو ال — پَدام Padham فى (الأوستا Paitidana) الذى يستعمل لمنع أنفاس الإنسان من تلويث الأشياء المقدسة ، كالعناصر وغيرها ، ويستخدم فى هذه الحالة لوقاية جلال الملكية . فإذا احتاط الداخل هذا الاحتياط ، اقترب ، ثم ألقى بنفسه على الأرض أمام الملك ، ويبقى فى هذه الهيئة إلى أن يأمره الملك بالوقوف ، فيقف ويكفر بين يديه[(٢)] ، فإذا دعاه الملك للكلام بدأ حديثه ببعض الجمل المناسبة

(١) الطبرى ، ص ٨٥٩ ، نولدكه ، ص ٩٢ — ٩٣ .

(٢) من المحتمل أن يتم ذلك على النحو الذى نرى فى النقوش : بمد سبابة اليد اليمنى إلى الأمام . وقد وصف الطبرى الرسم المشار إليه (ص ١٠٤٨ ، نولدكه ، ص ٣٦٦ وما بعدها) فى مناسبة خاصة هى حين مثل رسول الملك شيرويه أمام الملك المخلوع كسرى پرويز لينقل إليه رسالة الملك الجديد . وكان كسرى سجينا ، قد ولى وظيفة صاحب الستر أحد قادة الجند (كان قد وكل بحراسته) ، وقد عومل كسرى ، مع أنه مخلوع ، كما يعامل الملك العامل . انظر نولدكه ، (١) ، C ، ملحوظة ٣ .

التى تعبر عن دعائه للملك . وكانت الصيغة الشائعة أن يقول له : « خلدك الله » — أنوشَك بَوِيد — أو حقق الله رغباتك[1] وهكذا .

وكان ملوك الساسانيين يلقبون بلقب شماخ بغَان (أنتم الكائنات الإلهية) أو قدسيتكم[2]. ويقال الملك مردان بهلوم أو الإنسان الأول[3] . فكان المخاطب له لا يذكر اسمه . وقد ذكر الجاحظ فى كتاب التاج[4] أن القاعدة أن الناس لا ينادون الملك باسمه أو لقبه ، لا فى الأشعار التى يوجهونها إليه ولا فى المناسبات الرسمية . وكان من المحرم أن يدعو الناس إذا كان الملك يصلى ويقول آمين . « الملك الطيب له امتياز وواجب أن يصلى لرعيته الطيبة ولكن الشعب الطيب لا يصلى للملك الطيب لأن دعاء الملك الصالح أقرب إلى الله »[5]. ومن ناحية أخرى كانت الفوارق بين الملك والرعية ظاهرة بطرق مختلفة . كان ملوك العجم تمنع أن يشاركها الرعية فى الحجامة والفصد وشرب الدواء يوم تفعل ذلك ، وكانت تعاقب من يفعل أحد هذه الأفعال يوم يفعلها الملك ، وتقول : إذا أراق الملك دمه فليس لأحد أن يريق دمه فى ذلك اليوم حتى يساوى الملك فى فعله ، بل على الخاصة والعامة الفحص عن أمر الملك والتشاغل بطلب سلامته وظهور عافيته وكيف وجد عاقبة ما يعالج به[6] .

وأما نظام المراسم أو الآداب (الإتيكت) الصارم الدقيق الذى كان يسود البلاط الساسانى فلدينا معلومات ذكرها الجاحظ فى كتابه التاج فى مناسباتها ، ولعلها

---

(١) كارنامگ ، ٩ ، ١٦ و ١٠ ، ٧ .

(٢) قارن هرتسفيلد فى Paikuli Gloss ، رقم ٨٨ .

(٣) تاﭬاديا ، Eine Tischrede aus der Zeit der Sasaniden ، ص ٦ و ٨ .

(٤) طبعة القاهرة ، ص ٨٣ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ٩٠ .

(٦) طبعة القاهرة ، ص ٨٩ — ٩٠ . ويضيف الكاتب أن كسرى الأول كان أكثر ما يحتجم يوم السبت ، وكان المنادى إذا أصبح فى كل يوم سبت نادى : يا أهل الطاعة ليكن منكم ترك الحجامة فى هذا اليوم على ذكر . والملاحظة طريفة لأنها تبين أنه كان لديهم معرفة بالأسبوع (انظر ص ١٥٩ الملحوظة ١) .

مستمدة من « جهان نامگ » أو « آيين نامگ »(١). يصف المؤلف طبقات خاصته الثلاث : الأولى الأساورة(٢) وأبناء الملوك ، وكان مجلس هذه الطبقة من الملك على عشرة أذرع من الستار . ثم الطبقة الثانية وكان مجلسها من هذه الطبقة على عشرة أذرع وهم بطانة الملك وندماؤه ومحدثوه من أهل الشرف والعلم . ثم الطبقة الثالثة وكان مجلسهم على عشرة أذرع من الثانية وهم المضحكون وأهل الهزل والبطالة ، ولم يكن فى هذه الطبقة الثالثة خسيس الأصل ولا وضيعه ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول والقصر ولا مؤوف (مصاب بآفة) ولا مرمى بأبنة ولا مجهول الأبوين ولا ابن صناعة دنيئة كابن حائك أو حجام ولو كان يعلم الغيب مثلا(٣).

يقول الجاحظ(٤) إن أردشير جعل مقابل الطبقة الأولى أهل الحذاقة بالموسيقات والأغانى فكانوا بإزاء هؤلاء نصب خط الإستواء . وكان الذى يقابل الطبقة الثانية من ندماء الملك وبطانته الطبقة الثانية من أصحاب الوسيقات ، وكان الذى يقابل الطبقة الثالثة من أصحاب الفكاهات والمضحكين أصحاب الونج والمعازف والطنابير . وكان لايزمر الحاذق من الزامرين إلا على الحاذق من المغنين ، وإن أمره الملك وهو فى حالة سكره بذلك راجعه واحتج . إلا أن الملك كان ربما غلب عليه السكر حتى يؤثر فيه ، فيأمر الزامر من الطبقة الثانية أو الثالثة أن يزمر على المغنى من الطبقة الأولى فيأبى ذلك ، حتى أنه ربما ضربه الخدم بالمراوح والمذاب فيكون من اعتذاره

---

(١) « كتاب الأغانى » الذى ورد ذكره فى الصفحة ٢٢ (١ — ١٣) من طبعة القاهرة ينبغى أن يصحح فيما أظن بكتاب الآيين = آيين نامگ .

(٢) يتحدث الكاتب عن أساورة من أبناء الملوك ، ص ٢٥ . انظر قبل هذا ص٣٥٢

(٣) يذكر المسعودى (مروج ، (٢) ، ص ١٥٣) هذا الرسم مع غلط فيه ، فيجعل الندماء والمحدثين فى الطبقة الأولى ويعد فى الطبقة الثانية وجوه المرازبة وملوك السكون والإصبهبذية . ويروى الثعالبى أن الملك ولاش قد جعل فى حاشيته أصحاب الفكاهات كى يساعدوه بفكاهاتهم على تصريف شئون الدولة ، ولكى يجعلوه معتدل المزاج ؛ ولكنه حظر عليهم أن يقربوه فى ثلاثة أماكن ، مكان العبادة ومكان الاستقبالات العامة وحيث تدور المعركة .

(٤) ص ٢٥ — ٢٨ .

أن يقول « إن كان ضربى بأمر الملك ومن رأيه فإنه سيرضى عنى إذا صحا بلزومى مرتبتى » . وقد وكل أردشير غلامين ذكيين ، لايفارقان مجلسه ، بحفظ ألفاظه عند الشرب والمنادمة . فأحدهما يُملى والآخر يكتب حرفا حرفا ، وهذا إنما يفعلانه إذا غلب عليه السكر . فإذا أصبح ورفع عن وجهه الحجاب قرأ عليه الحاجب كل مالفظ به فى مجلسه إلى أن نام . فإذا قرأ عليه ماأمر به الزامر ومخالفة الزامر أمره دعا بالزامر فخلع عليه وجزاه الخير وقال له : أصبت فيما فعلت وأخطأ الملك فيما أمرك به ، فهذا ثواب صوابك . وكذلك العقوبة لمن أخطأ ، وعقوبتى ألا نزمزم اليوم إلا على خبز الشعير والجبن . فلا يطعم فى يومه ذلك غيرهما . ويضيف الجاحظ أن ملوك العجم لم يزالوا على ذلك حتى ملك بهرام گور فأقر مرتبة الأشراف وأبناء الملوك وسدنة بيوت النيران على ما كانت وسوّى بين الطبقتين من الندماء والمغنين ورفع من أطربه وإن كان من أوضع الدرجات إلى الدرجة الأولى ، وحط من قصر عن إرادته إلى الدرجة الثانية ، فأفسد سيرة أردشير فى المغنين وأصحاب الملاهى خاصة[(١)] وقد استمر هذا الحال حتى ملك كسرى أنوشروان فرد الطبقات إلى مراتبها الأولى .

وكانت ملوك الفرس تحتجب عن الندماء بستارة كما قلنا . والستارة من الملك على عشرة أذرع ، وهى من الطبقة الأولى على مثل هذا القدر ، فبين الملك وبين أول طبقة عشرون ذراعا . ويصف الجاحظ[(٢)] والمسعودى[(٣)] ، مع اتفاق لفظى فى جزء من النص ، النظام الذى كان متبعاً فى هذه المناسبات : كان الموكل بحفظ الستار رجلا من أبناء الأساورة[(٤)] يقال له « خُرّم باش » — كن مرحا — فكان إذا جلس الملك لندمائه وحاشيته أمر الخرّم باش رجلا أن يرتفع على أعلى مكان فى قرار

---

(١) فى رواية الجاحظ بعض الغموض . ويقول المسعودى (ج (٢) ، ص ١٠٣) ، وهو يتبع نفس مصدر الجاحظ ، « إن بهرام غير طبقات المغنين فرفع من كان بالطبقة الوسطى إلى الطبقة العليا والطبقة الدنيئة إلى الوسطى » . أما « المراتب السبع » (انظر هنا ص٣٠٥) وطبقات رجال البلاط الثلاث فهما هيئتان مختلفتان ويصفهما المسعودى ، كلا على حدة .

(٢) ص ٢٨ — ٢٩ .

(٣) مروج ، (٢) ، ص ١٥٨ وما بعدها .

(٤) انظر قبل هذا ، ص ٣٠٣ و ٣٨٥ .

دار الملك ويغرد بصوت رفيع يسمعه كل من حضر فيقول : يالسان احفظ رأسك فإنك تجالس فى هذا اليوم ملك الملوك ، ثم ينزل . . . فلا يجترئ أحد من خلق الله أن يدير لسانه فى فيه بخير ولا غيره حتى تحرك الستارة ، فيطلع القائم عليها فيؤمر بأمر فينفذه ويقول : افعل يافلان كذا وتغنى أنت يافلان كذا وكذا[١].

ويشير الجاحظ إلى تقليد جديد يتعلق بهذه المجالس[٢] ، قد أدخله أردوان الأحمر[٣] وهو أن من كانت له حاجة من الحاضرين عند الملك فعليه أن يكتبها فى رقعة ويرفعها « قبل شغلى »[٤] وذلك حتى يفهم ما فيها ويبدى رأيه وهو صحيح العقل جامع الفكر . فمن سأل فى غير هذا الوقت حاجته ضربت عنقه ، ولم يزل الأمر على ذلك حتى ملك بهرام گور فكان يقول للندماء : « إذا رأيتمونى قد طربت وخرجت من باب الجد إلى باب الهزل فسلوا حوائجكم » ، وكان يوكل بحوائجهم صاحب الستارة فكان إذا سكر مد الناس أيديهم برقاعهم فأخذها صاحب الستارة فأنفذها إليه فأخذها بيده وضمها عليها ثم رمى بها من غير أن ينظر فى شىء منها ويقول انفذوا كل ما فيها . ولكن هذا الإسراف الذى لا حد له قد ترك بعد انقضاء عهد بهرام . فكانت المطالب فيها ترفض .

وإذا هم الملك بالمسير فى نزهة أو لبعض أموره فإن الأساورة والدبيربد والموبذان موبذ ، ومن أشبه هؤلاء من خاصة الملك ، يعرضون دوابهم على راضة الملك وصاحب دوابه ، لأنه ينبغى أن لايكون حصان أحدهم بليداً أو كثير النفور أو العثار أو الجماح فيكون على الملك من ذلك بعض مايكره . ويجب ألا يطلب الحصان المحاذاة لسير دابة الملك وإن أراد ذلك منعه راكبه . ويجب ألا يروث أو يبول أو يتحصن أو يتشغب ، ولذا كان على الأساورة ألا يطعموا دوابهم فى اليوم السابق على الخروج

(١) سنتناول الموسيقى فى الفصل التالى .

(٢) ص ٢٩ — ٣٠ .

(٣) ملك أشكانى اسمه أردوان (؟) .

(٤) قراءة هذه الكلمة تنقلى أفضل من أن نقرأ شغلى .

مع الملك (١) فمسايرة الملك فى رحلة كان واجباً ثقيلا وشرفاً غير مستساغ عند العظماء وكذلك لم يكن الملك يثابر على مسايرة أحد من بطانته بعينه ، لما كان يعلم من طيرتهم من ذلك وكراهتهم له(٢).

وكانت حرمة مجلس الملك إذا غاب كحرمته إذا حضر . وكان للملوك عيون على مجالسها إذا غابت عنها . فمن حضرها فكان فى كلامه وإشارته وقلة حركته وحسن ألفاظه وأدبه — حتى أنفاسه — على مثل مايكون إذا حضر الملك سمى ذا وجه . ومن خالف أخلاقه وشيمه وظهر منه خلاف ما يظهره بحضرة الملك سمى ذا وجهين وكان عند الملك منقوصاً متصنعاً(٣).

وقد احتاط الملوك الساسانيون لأنفسهم خشية الاعتداء عليهم . فلم يكن أحد يعرف أين ينامون . وأما أردشير بن بابك وسابور وبهرام ويزدگرد وپرويز وكسرى أنوشروان فكان يفرش للملك منهم أربعون فراشا فى أربعين موضعاً ليس منها فراش إلا ومن رآه من بعيد على الانفراد لايشك أنه فراش الملك خاصة وأنه نائم فيه ، ولعله ألا يكون على واحد منها ، بل لعله ينام على مجلس رقيق وربما توسد ذراعه فنام(٤).

ولم يكن لأحد الحق فى أن يدخل غرفة الملك الخاصة ؛ حتى ابن الملك كان عليه أن يستأذن قبل أن يدخل . ويحكى الجاحظ بهذه المناسبة قصة طريفة(٥). فإنه يقال إن يزدگرد رأى ابنه بهرام(٦)وكان فى الثالثة عشرة بموضع لم يكن له(٧) فقال

---

(١) الجاحظ ، ص ٧٧ وما بعدها ، قصة عن الموبد الذى راث حصانه فى حضرة قباد الأول .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٨٠ .

(٣) الجاحظ ، ص ٧٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٢٤ .

(٥) ص ١٢٥ .

(٦) بهرام گور فيما بعد .

(٧) يقول الطبرى (ص ٨٥٧ ، نولدكه ، ص ٩٠) إن بهرام قد ربى فى حجر الملك العربى المنذر منذ نعومة أظفاره ، وإنه عاد بعد ذلك إلى بلاط أبيه وظل فيه بعض الوقت .

مررت بالحاجب ؟ قال نعم . قال وعلم بدخولك ؟ قال نعم . قال فاخرج إليه واضربه ثلاثين سوطاً ونحه عن الستر ، ووكل بالحجابة آزادمرد . ففعل ذلك بهرام . فلما جاء بهرام بعد ذلك ليدخل دفع آزاد مرد فى صدره دفعة أوجعته كثيراً وقال : إن رأيتك بهذا الموضع ثانية ضربتك ستين سوطاً ثلاثين منها لجنايتك على الحاجب بالأمس ، وثلاثين لئلا تطمع فى الجناية على . فبلغ ذلك يزدگرد فدعا آزادمرد فخلع عليه وأحسن إليه .

وعلى الملك أن يكون جواداً لرعاياه ، وعلى حاشيته خاصة ، فإن جود الملك هو مظهر عظمة المملكة ويبقى له ذكرى طيبة من بعده . يروى نظام الملك أن من عادة ملوك الفرس أنه كلما قال الملك « زه » معربا عن رضائه عن عمل أو شىء يعرض عليه كان على أمين الخزانة أن يعطى الشخص الذى سر به الملك مبلغ ألف درهم[1]. وفى « الكارنامك »[2] كان كبير الموابذة الذى ينقل خبراً ساراً للملك يكافأ بملء فيه من الياقوت وقطع الذهب ، واللآلىء الملكية والحلى . وهى طريقة فريدة فى مكافأة مايؤدى للملك من الخدمات ، ولدينا أمثلة على اتباع هذه الطريقة فى العهود الإسلامية[3].

وكان الملك الساسانى يقدر للرجل من خاصته وبطانته تقديراً وسطاً بين الإسراف والاقتصاد فى مؤنه كلها وحوائجه خاصها وعامها . فإذا كان التقدير على

---

(١) سياست نامه ، طبعة شيفر ، ص ١١٨ ، الترجمة ، ص ١٧٣ — ١٧٤ . وإذ كانت الروايات التى ذكرت لتوضيح هذا الرسم مأخوذة عن التاريخ الساسانى تماما ، فإنه يبدو جليا أن كلمة « تخمى سامانيان » التى جاءت فى السطر ١٣ من النص الفارسى ينبغى أن تقرأ « تخمه ساسانيان » . أما عن علامة الإعجاب « زه » (لعلها = زى (< زيو) ، أى فلتعش ، بالنطق السريع) فقارن تاريخ اليعقوبى نشر هوتسما ، ص ١٩٢ ، ١ — ١٢ . وهذه الكلمة « زه » تستخدم حتى الآن فى الفارسية الحديثة .

(٢) ١٠ — ١٤ .

(٣) انظر القصة التى رواها نظامى عروضى فى چهار مقاله (نشر ميرزا محمد قزوينى ، ص ٣٥ والترجمة الإنجليزية لبرون Browne ، ص ٣٨) ، حيث أمر السلطان محمود الغزنوى بملء فم الشاعر العنصرى ثلاث مرات مكافأة له على حسن الارتجال . انظر الترجمة العربية لعزام والخشاب ص ٤٣ .

الجهة التي وصفنا عشرة آلاف درهم في الشهر وكانت للرجل ضيعة فإنه لايخصم شيء منه في نظير هذه الضيعة التي أفادها من صلات الملك ، وأمر أن يدفع إليه في كل ثلاثين ليلة عشرة آلاف درهم لأنزاله ونفقاته وحوائجه بحيث لايحتاج إلى طلب المال من الملك[١].

وكان الملك[٢] إذا زار وزيراً من وزرائه أو عظيما من عظمائه (للتعظيم لالغيره)[٣] أرّخت الفرس[٤] تلك الزيارة ، وخرجت بذلك التاريخ كتبهم إلى الآفاق والأطراف. وكانت السنّة أن من زاره الملك للتعظيم أن توغر ضياعه (تعفى من الضرائب) وتوسم خيله ودوابه لئلا تسخر ولا تمتهن ، ويأتيه خليفة صاحب الشرطة كل يوم مع ثلاثمائة راكب ومائة راجل ، يكون ببابه حتى غروب الشمس ، فإن ركب كانت الرجالة مشاة أمامه والركبان من خلفه . وكان عليه أن يقدم الهدايا للملك ومنها حصان سريع معد أحسن الإعداد سرجه مذهب ، يضعه تحت تصرف الملك أثناء إقامته وكان هذا يأخذه معه في عودته . والشرف الذي يسبغه الملك على مضيفه يؤدي إلى مزايا دائمة له : فلا يحبس أحد من عامته وخاصته لجناية جناها ، ولا يحكم على أحد من عبيده بحكم ، وإن وجب على أحد من بطانته حد وُجه به إليه ليرى فيه رأيه ، ويؤخر عليه وظيفة ماعليه من خراج أرضه حتى يكون هو الحامل له ، وتقدم هداياه في النوروز والمهرجان على كل هدية ، وتعرض على الملك ، ويكون أول من يأذن له الحاجب ، ويكون من الملك إذا ركب عن يمينه منزويا ، وتكون مرتبته إذا قعد عن يمينه ، وإذا خرج من دار المملكة لم يقعد بعده أحد .

وكان العظماء يقدمون الهدايا للملك في عيدي النوروز والمهرجان[٥]. والسنة في

---

(١) الجاحظ ، التاج ، ص ١٤٥ .

(٢) الجاحظ ، التاج ، ص ١٥٨ وما بعدها : أردشير الأول وكسرى أنوشروان .

(٣) هذه الجملة تركها المؤلف ، والجاحظ يقسم الزيارات الملكية إلى أربعة أقسام : فمنها الزيارة للمطاعمة والمنادمة ، ومنها الزيارة للعيادة ، ومنها الزيارة للتعزية في المصيبة ، ومنها الزيارة للتعظيم فقط وهي أرفع الزيارات ذكرا (التاج ، ص ١٥٨) . الخشاب .

(٤) أي من شرفهم الملك بالزيارة .

(٥) انظر ص ١٦١ و ١٦٣ .

ذلك عندهم أن يهدى الرجل مايحب من ملكه ، إذا كان فى الطبقة العالية . فإن كان يحب المسك أهدى له مسكا لاغير ، وإن كان يحب العنبر أهدى عنبراً ، وإن كان صاحب بزه ولبسة أهدى كسوة وثيابا ، وإن كان الرجل من الشجعان والفرسان فالسنة أن يهدى فرساً أو رمحاً أو سيفاً ، وإن كان رامياً فالسنة أن يهدى نشاباً ، وإن كان من أصحاب الأموال فالسنة أن يهدى ذهباً أو فضة ، وإن كان من عمال الملك وكانت عليه موانيد (جمع مانده أى باقى) للسنة الماضية جمعها وجعلها فى بدر حرير صينى وشريحات فضة وخيوط إبريسم وخواتيم عنبر ثم وجهها ، وكذلك ، إنما كان يفعل من العمال من أراد أن يتزين بفضل نفقاته أو بفضل عمالته أو أداء أمانته . وكان يهدى الشاعر الشعر ، والخطيب الخطبة ، والنديم التحفة والطرفة والباكورة من الخضراوات . وعلى خاصة نساء الملك وجواريه أن يهدين إلى الملك مايؤثرنه ويفضلنه كما قدمنا فى الرجال . غير أنه يجب على المرأة من نساء الملك ، إن كانت عندها جارية تعلم أن الملك يهواها ويسر بها ، أن تهديها إليه بأكمل حالاتها وأفضل زينتها وأحسن هيئتها ، فإذا فعلت ذلك فمن حقها على الملك أن يقدمها على نسائه ويخصها بالمنزلة ويزيدها فى الكرامة ويعلم أنها قد آثرته على نفسها وبذلت له ما لا تجود النفس به وخصته بما ليس فى وسع النساء — إلا القليل منهن — الجود به . ومن حق البطانة والخاصة على الملك فى هذه الهدايا أن تعرض عليه وتقوّم قيمة عدل وقد وكل بذلك رجل يرعى هذا وما أشبهه ويتعهده . فإذا أصابت صاحب الهدية نائبة من مصيبة يصاب بها أو اضطر إلى المال لظرف قاهر نظر إلى ماله فى الديوان فرده الملك مضاعفاً ليستعين به على نائبته . وإذا كان المهدى قد قدم هدية رمزية ليست لها قيمة مادية كأن يكون قدم تفاحة أو أترجة فإنه إذا نزلت به مصيبة أو اضطر إلى المال ردت إليه التفاحة مثلا ولكن ملؤها الدنانير المنظومة . وكان من تقدمت له هدية (صغرت أم كبرت ، قلت أم كثرت) ثم لم تخرج من الملك صلة عند نائبة تنوبه أو حق يلزمه ، فعليه أن يأتى ديوان الملك ويذكر بنفسه وألا يغفل عن إحياء السنة ولزوم الشريعة فإن أغفل ذلك عن عمد فمن سنة الملك أن يحرمه أرزاقه لستة أشهر وأن يدفعها إلى عدوه إن كان له ، إذ أنه أتى شيئاً فيه شين على الملك

وضعة فى المملكة . وكان بعض الملوك الساسانيين ، مثل أردشير وبهرام گور وأنوشروان يأمرون بإخراج مافى خزائنهم فى المهرجان والنوروز من الكسى فتفرق كلها على بطانة الملك وخاصته ، ثم على بطانة البطانة ، ثم على سائر الناس على مراتبهم ، وكانوا يقولون إن الملك يستغنى عن كسوة الصيف فى الشتاء وعن كسوة الشتاء فى الصيف[١].

والعادة الملكية فى تمييز رجل بخلع كساء عليه عادة قديمة جداً ، وقد عمل بها الخلفاء فيما بعد ، ثم أدخلت على نظام البلاط فى الشرق الإسلامى .

وقد ذكر ابن خلدون أن الأقمشة التى تستخدم فى الخلع الملكية كان ينقش عليها صور ترمز إلى عظمة الملك[٢]. وقد تسلم القائد الأرمنى مانويل من الملك سابور الثانى تشريفاً خاصا خلعة ملكية ، وفراء من السنور ، وأخذ لغطاء رأسه حلية من الذهب والفضة لتربط فى أعلى خوذته ، ورباطاً يعصب به جبهته ونياشين للصدر كالتى يضعها الملوك ، وخيمة أرجوانية ومعها نسر ، وسجاجيد كبيرة زرقاء لتفرش فى مدخل خيمته ، وآنية من الذهب لتزيين مائدته[٣].

وأكبر النياشين الملكية كما يقول پروكوپ[٤] هو عصابة محلاة باللآلىء . ويضيف هذا الكاتب إلى أنه حرم على الناس أن يلبسوا خواتم الذهب والأحزمة والأقراط وغير ذلك إلا من أنعم عليه الملك بها ، وإذا أدى أحد الأفراد للدولة أو للملك خدمة تستحق التخليد فإن اسمه ينقش على الآثار الملكية[٥].

ومن علامات التمييز منح الألقاب . وقد كان منح الألقاب مكافأة على الأعمال الممتازة شائعاً أيام الدولة الأكمينية : ويقول هيرودوت[٦] إن الأفراد الذين استحقوا

---

(١) الجاحظ ، التاج ، ص ١٤٦ — ١٥٠ . أما عن جلوس الملك فى النوروز والمهرجان فانظر قبل ذلك ص ٢٦٠ وما بعدها .

(٢) Not et Extr ، (١٧) ، ص ٥٧ — ٥٨ ، (٢٠) ، ص ٦٦ — ٦٧ .

(٣) فاوستوس البيزنطى ، لانجلوا ، (١) ، ص ٣٠١ .

(٤) BP ، (١) ، ١٧ .

(٥) پروكوپ ، Bell. Goth. ، (٤) ، ٦ .

(٦) (٨) ، ٨٥ .

الإكبار من الملكة أو الملك كانوا يمنحون ، علاوة على الأراضي الواسعة ، لقب « الخَيِّر »[١] وأما في أيام الساسانيين فقد وجدت مجموعة كبيرة من الألقاب المختلفة . فنجد ألقابا مثل مهيست ، الأكبر أي أكبر خدام الملك[٢]؛ وهريز[٣] وهزارفت (هزاربد — صاحب العجائب الألف ؟)[٤] وقد لقب مهر نرسى بلقب هزار بندگ (صاحب الألف عبد)[٥]. وكان بعض القواد يلقبون أحياناً بلقب هزارمرد[٦]. ومن طرق الإنعام منح الألقاب التي فيها اسم الملك الذي برز في خدمته المنعم عليه . وكان شائعاً تركيب اسم الملك مع لقب تهم (بمعنى قوى) فيقال تهم — يزدگرد ، تهم شاهپور ، تهم — خسرو[٧] ، وتهمهرمزد[٨] . ومن الألقاب المماثلة خسرو شنوم (بهجة خسرو)[٩]، زاييدان — خسرو (خسرو الخالد)[١٠]،

---

(١) قد أريد جعل هذه الكلمة هي الصيغة الفارسية هوَرزكا . وقد اقترح شيدر اشتقاقا آخر (ص ٣٤٧ ، ملحوظة ٣ ، (٩) Varu- thanha:(Gnomon « الدائم الصيت » .

(٢) وهو لقب خلعه يزدگرد الأول على المنذر ، ملك العرب (الطبرى ، س ٨٥٥ ، نولدكه ، ص ٨٦ — ٨٧ ؛ وقارن هرتسفيلد ، Paikuli رقم ٦٤٥) . وأبدلته النهاية (ص ٢٣٢) بلقب مسترا مستران (مستر مستران) أي أعظم العظماء .

ونلاحظ أن الهاء إذا حلت محل السين أصبحت مهتر مهتران . (الخشاب)

(٣) كذلك كان لقب القائد الذي فتح اليمن باسم كسرى الأول (الطبرى ، س ٩٤٨ ، نولدكه ، ص ٢٢٣ — ٢٢٤ ؛ قارن ماركارت Marquart ، Eranšhr ، ص ١٢٦) .

(٤) هَزَاروُخت بالأرمينية هو اللقب الذي حمله كل من زرمهر والإصبهبذ وسطام (نولدكه ، الطبرى ، ص ٧٦ ، ملحوظة ٢ ؛ هوبشمان Hübschmann ، Armen Gramm.، (١) ، ص ١٧٤) .

(٥) الطبرى ، س ٨٤٩ ، نولدكه ، ص ٨٦ .

(٦) أى « ألف رجل » ، « صاحب قوة ألف رجل » ، وهكذا لقب وهريز فاتح اليمن ؛ وقد منح كسرى الثاني هذا اللقب لقائد رومى من قواد الإمبراطور موريس Maurice ، كان قد أرسله لنجدته (نولدكه ، طبرى ، س ٢٤٨ ، ملحوظة ٢) .

(٧) انظر نولدكه ، طبرى ، ص ٤٤٣ .

(٨) مرزبان گنزك فى آزربيجان .

(٩) لقب الأرمنى سمبت بجرتونى (پاتكانيان Patkanian ، JA ، ١٨٦٦ ، (١) ص ١٩٥ ؛ هوبشمان Hubschmann ، Armen Gramm ، (١) ، ص ٢١٤) . وقد كان فى واقعة القادسية ضابط فارسى لقبه خسرو شنوم (الطبرى ، س ٢٣٤٦) .

(١٠) لقب الأرمنى وَرَزتيرُتس (پاتكانيان Patkanian ، JA ، ١٨٦٦ ، (١) ، ص ١٩٦ ؛ هوبشمان ، Armen Gramm ، (١) ، ص ٦٨ .

گمند شاپور[1]، تن شاپور (جسد شاپور)[2]. رام — افزوده — يزدگرد(الذى يزيد من بهجة يزدجرد)[3]، نُخْوَ — هرمزد[4]، هرمزد — وراز ، وراز — پيروز ، شاپور — وراز أو وراز — شاپور[5]، وهكذا .

وأما كلمة كرتير (كردير) التى لايزال نطقها الصحيح ومعناها غامضين فإنى لاأجرؤ على أن أجزم أكان هذا لقباً كما يقول هرتسفيلد[6] أو أنه تسمية لشاغل منصب كبير . ومن الألقاب التى اختص بها رجال الدين لقب همك دين (العالم بالدين كله)[7] . وإذا صح ماذهب إليه شتين[8] من أن لقب دَرْ أنْدرْزَبد (المستشار أو منظم البلاط) الذى شاع أيام يزدگرد الثانى يعنى البرزگ فرمادار حقا ، فهو اللقب الذى يشبه خاصة مشير الدولة أو نظام الدولة الذى شاع فى الأزمنة الحديثة[9].

---

(١) فاوستوس البيزنطى ، لانجلوا Langlois ، (١) ، ص ٢٦٣؛ gumand < vimand « الحدود » .

(٢) البزه ، لانجلوا Langlois ، (٢) ، ص ١٩٠ . لازار الفربى Lazare de Pharp يذكر هذا اللقب بصيغة أوسع : ويه — تن — شاهپور (الجسد الطيب لسابور) .

(٣) لقب لقب به الملك العربى المنذر . وقد أبدلته النهاية (ص ٢٢٢) بلقب افزود — خرّمى ولعله تحريف افزود — خرمى (يزدجرد) ، بمعنى رام — افزود — يزدجرد .

(٤) نُخْو ومنها اسم التفضيل نُخْويست (الأول) ، قارن نُخْوير ، نَخْوير وهكذا (ص ١٠ ملحوظة ٣) . انظر هرتسفيلد ، Paikuli ، رقم ٦٦٨ .

(٥) وراز (الخنزير البرى) ، هرتسفيلد ، Paikuli ، رقم ٤٨ . شاهپور — وراز ، مرزبان آزربيجان فى زمن نرسى (فاوستوس البيزنطى Faustus ، Langlois ، (١) ص ٢٢٩) ، ولعله نال هذا اللقب فى صباه أيام سابور الأول .

(٦) Paikuli, Gloss ، رقم ٥٠٨ .

(٧) قبل هذا ، ص ١١٠ .

(٨) انظر الملحق الثانى .

(٩) ألغيت الألقاب فى العهد الحالى .

وكانت الألقاب والأطاف الملكية ووظائف البلاط أو الدولة أكثر المسائل استعمالا لمكافأة الإحسان ، كما أنها استخدمت وسيلة تبذل ليرجع إلى دينه من اعتنق النصرانية من الزردشتيين[1]. وحين يمنح الملك رجلا التاج فهذا يمنحه الحق فى أن يتخذ لنفسه مكانا على المائدة الملكية ، وأن يشارك فى مجلس الملك[2].وقد منح قباد الأول التاج الذهبى المحلى باللآلىء مهران ، وهو شرف خاص أسبغه الملك عليه[3] ومنح هرمزد الرابع الملك العربى النعمان الثالث تاجا يساوى ستين ألف درهم[4] ولعل هذا ، كما يقول روذشتين[5] أكثر من منحة عادية ، إنه يشبه ما يسمى الوسام فى العصور الحديثة .

ويؤكد مؤلف « فارس نامه »[6] الخبر التالى الذى قد يرجع إلى الـ — آيين نامك :

« كان من آيين (تقاليد) بلاط أنوشروان أن يوضع على يمين العرش كرسى من الذهب وكرسيان آخران من الذهب عن يساره ووراءه . فأحد هذه الكراسى الثلاثة كان خاصاً بملك الصين ، والثانى لملك الروم والثالث لملك الخزر (الهفتاليين) بحيث أنهم إذا أتوا إلى بلاط كسرى جلسوا على هذه الكراسى . وهذه الكراسى الثلاثة توضع طول السنة فلم تكن ترفع ولا يجرؤ أحد على الجلوس عليها . وكان أمام العرش كرسى من ذهب يجلس عليه الـ — بزرگ فرمادار[7]، ومن تحته كرسى

---

(١) هوفمان ، ص ٥٤ .

(٢) آمين مارسلن (١٨) ٥ ، ٦ . والمقصود بهذا هنا أجنبى ، مواطن رومانى ، قد أنعم عليه بالتاج جزاء ما ارتكب من خيانة للرومان . وإذاً فقد كان من الممكن ، منذ أيام سابور الثانى ، إلحاق الأجانب بالطبقات الرفيعة .

(٣) پروكوپ ، BP ، (١) ، ١٧ ، ٢٦ — ٢٨ .

(٤) الطبرى ، ص ١٠١٨ ، نولدكه ٣١٦ .

(٥) ص ١٢٨ .

(٦) ص ٩٧ .

(٧) يذكر النص « بزرجمهر » ، ولكنى أظن هذا قراءة غير صحيحة ، انظر الملحق الثانى ، قرب النهاية .

الموبذان موبد ومن تحته كراسى حجزت للمرازبة والعظماء ، وكان لكل كرسى خاص بحيث لايتنازعون على الأماكن . وكان كسرى إذا غضب على أحدهم أقصى كرسيه عن المجلس » .

وحينما تكون البلاد ساهمة لأمر حزبها تلغى الموائد الملكية ويقتصر على مائدة لطيفة تقرب من الملك ويحضرها ثلاثة ، الموبذان موبد والدبيربد ورأس الأساورة ، فلا يوضع عليها إلا الخبز والملح والخل والبقل فيأخذ منه شيئاً هو ومن معه . ثم يأتيه الخباز بالبزماورد[١] فى طبق فيأكل منه لقمة ، ثم ترفع المائدة ويتشاغل بتدبير حربه وتجهيز عساكره . ولكن عندما تأتى الأخبار مبشرة بالنصر يأمر الملك أن يتخذ له طعام مثل طعامه الأول ويأمر الخاصة والعامة بالحضور ويقوم الخطباء أولا بالتهنئة له والتحميد لله تعالى بالفتح عليه والنصر له ، ثم يقوم الموبد فيتكلم ، ثم الوزراء بنحو من كلام الخطباء . ثم يمد الناس أيديهم إلى الأطعمة على مراتبهم ، فإذا فرغوا بسط للعامة ظهر الإيوان وللخاصة فى صحنه بحضرة الملك[٢]. ويقعد صاحب الشرطة للعامة كقعود الملك للخاصة وكانوا لايتكلمون وهم يأكلون فإذا أراد أحدهم شيئاً أشار بما يريد[٣] . ثم يدعى بالمغنين وأصحاب الملاهى[٤].

وإذا علم أحدهم أن الملك غاضب عليه فعليه ألا يلجأ إلى أحد المعابد وألا يهرب[٥] . بل عليه أن يذهب فيجلس على كرسى ذى ثلاثة أرجل من حديد أمام القصر وأن ينتظر حتى يقضى الملك فى أمره ، وقبل هذا لايجرؤ أحد على حمايته[٦]. وكان القتل يوقع فى ساحة مكشوفة بالقصر . فهناك تقطع الرقاب أو

---

(١) نوع من البيض المضروب مع اللحم والخضر يلف بالخبز (البرهان القاطع) .

(٢) الجاحظ ، التاج ، ص ١٧٣ وما بعدها .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٨ .

(٤) الجاحظ ، التاج ، ص ١٧٣ وما بعدها .

(٥) كان الرجل الذى يتعقبه الشرطة يأمن إذا لجأ إلى المسجد فى العصر الإسلامى ، ويظهر أن بيوت النار كانت تؤمن من يلجأ إليها فى الأزمنة القديمة .

(٦) پروكوپ ، BP ، (١) ٢٣ ، ٢٨ .

الأيدى أو الأرجل من المجرمين أو ممن استحقوا سخط الملك(١).

وكان على الملك أن يتغافل عن تافه الجرائم . يروى الجاحظ(٢) بهذه المناسبة قصتين إن صحتا أو كانتا منتحلتين فإنهما قاطعتان فى هذا المعنى . حكى عن بهرام گور أنه خرج يوماً لطلب الصيد .. وعهد بفرسه إلى راع ، فانتهز هذا غفلة منه فسرق أطراف اللجام وهى من ذهب . فلما رآه بهرام گور ، استحيا ورمى بطرفه إلى الأرض وأطال الاستبراء ليأخذ الراعى حاجته من اللجام . . حتى إذا ظن أنه قد أخذ حاجته من اللجام قام فقال ياراعى قدم إلى فرسى فإنه قد دخل فى عينى مما فى هذه الريح فلا أقدر على فتحهما وأغمض عينيه لئلا يوهمه أنه يتفقد حلية اللجام . وفى عودته قال لصاحب دوابه ومراكبه إن معاليق اللجام قد وهبتها لسائل مرّ بى . والقصة الثانية هى أن كسرى أنوشروان قعد ذات يوم فى النوروز أو المهرجان ووضعت الموائد ودخل وجوه الناس الإيوان على طبقاتهم ومراتبهم . وقام الموكلون بالموائد على رءوس الناس وكان كسرى بحيث يراهم . فلما فرغ الناس من الطعام جاءوا بالشراب فى آنيته الفضية وجامات الذهب ، فشرب الأساورة وأهل الطبقة العالية فى آنية الذهب فلما انصرف الناس ورفعت الموائد أخذ بعض القوم جاما ذهبا فأخفاه فى خبائه وأنوشروان يلحظه فصرف وجهه عنه وافتقد صاحب الشراب الجام فصاح : لايخرجن أحد من الدار حتى يفتش . فقال كسرى لاتتعرض لأحد ، وأذن للناس فانصرفوا . فقال صاحب الشراب : أيها الملك إنا قد فقدنا بعض آنية الذهب . فقال الملك : « قد أخذها من لايردها عليك وقد رآه من لاينم عليه » .

وفى أعمال الشهداء عبارة يستدل منها على كيفية دخول أبناء النبلاء القصر . فقد لفت الشاب مهران ـ گشنسپ نظر الملك هرمزد الرابع باطلاعه فى الآداب الفارسية وبإلمامه بالأصول النظرية والعملية لدين زردشت . فلما امتحن الملك ذكاءه بأن استمع إليه وهو يعيد الكتب المقدسة التى حفظها عن ظهر قلب ، وهبه مبلغاً

(١) الطبرى ، ص ١٠٥٩ ، نولدكه ، ص ٣٨٠ .

(٢) التاج ، ص ١٠٠ وما بعدها .

من المال قائلا سيعظم شأن هذا الشاب يوماً . ولما كانت أسرة الشاب تنتمى إلى الأرستقراطية الرفيعة(١) وأنه هو نفسه كان حسن القوام متقد الروح ، عين خادماً على مائدة الملك ثم بلغ مرتبة فَرّخ شاد (؟) أو بذشخور (ذائق ؟)(٢) .

وكان فى بلاط الملك ، كل حين ، مبعوثون من البلاد الأجنبية النائية(٣). وكان السفراء الأجانب يكرمون كل الإكرام ، وكان إذا جاء سفير أرسل قائد الحدود تقريره فى الحال ، ويسرع حكام الأقاليم التى سيمر بها السفير إلى اتخاذ التدابير لإعداد المنازل اللائقة به ، فإذا علم حاكم الإقليم بمهمة السفير(٤) فإنه يبلغ الأمر إلى الملك فيرسل هذا إليه جماعة لاستقباله ومصاحبته إلى القصر الملكى حيث يستقبله الملك فى حفل عام ، وهو جالس على العرش ومن حوله عظماء الدولة . ثم يسأل عن اسمه وعن رحلته ثم عن رسالته وعن حالة بلاده وملكه وجيشه . ثم يصحبه الملك إلى قصره بكل مظاهر الأبهة الواجبة للسفير ، ثم يدعوه إلى مائدته . ثم يصحبه إلى الصيد ، وأخيراً يسرحه بما يليق بمقام السفير من الحفاوة ، بعد أن يهديه خلعة(٥). ثم لم يكن دخول القصر مباحاً للأجانب . بل لم يكن فى مقدورهم أن يدخلوا العاصمة مباشرة من الطريق السهل بل كان عليهم أن ينتظروا فى إحدى المدن الخمس الآتية : فيتوقف فى هيث الأجانب الوافدون من سوريا وفى العذيب الآتون من

---

(١) كان أبوه « أوستاندار » فى نصيبين .

(٢) هوفمان ، ص ٩٤ — ٩٥ .

(٣) الطبرى ، ص ٨٩٩ ، نولدكه ، ص ١٦٧ .

(٤) وهكذا كان على السفير أن يدلى بسفارته قبل أن يؤذن له بالمقابلة الملكية ، وذلك حتى يتيسر إعداد الجواب عن رسالته . وكان على حرس الشرف الذى يصحب السفير أن لايتيح له تنسم أخبار الدولة ؛ أما عن السفراء الذين يوفدون من إيران الى الملوك الأجانب فكان عليهم أن يستعلموا ما أمكنهم عن حالة الطرق والمسالك ومجارى المياه والآبار ، والمراعى وعمن يدير شئون الدولة الأجنبية وأخلاق الملك وحاشيته وقوته الحربية وهكذا . هذا هو البيان الذى يذكره نظام الملك فى كتابه سياست نامه (نشر شيفر Schefer ، ص ٨٧ — ٨٨ ، الترجمة ، ص ١٢٩) حين يصف تقليدا لاشك أنه بالغ فى القدم ، ووصفه لطريقة استقبال السفراء فى عهده يطابق تماما ما ذكره الفردوسى وقد ذكرناه من قبل .

(٥) الفردوسى ، نشر مول ، (٥) ، ص ٣٦٤ ، البيت ٣٨٨ وما بعده .

الحجاز وفى صريفين الأجانب القادمون من فارس وفى حلوان الأجانب النازحون من بلاد الترك وفى باب الأبواب (دربند) أجانب بلاد الخزر واللان . ومن هذه المدن الخمس ترد التقارير إلى الملك عن الوافدين الأجانب . ولا يواصلون سيرهم إلا بعد أن يأمر الملك فيهم أمره[١] .

وأما الدبلوماسية الإيرانية فقد كان الملك يحتاط فى اختيار سفرائه فكان يختبر رسوله اختباراً طويلا قبل أن يفوض إليه القيام برسالة . كان الملك يوجهه إلى بعض خاصته ثم يرسل عينا عليه يحضر رسالته ويكتب كلامه . فإذا رجع الرسول بالرسالة ، جاء العين بما كتب من ألفاظه وأجوبته فقابل بها الملك ألفاظ الرسول فإن اتفقت أو اتفقت معانيها عرف الملك صحة عقله وصدق لهجته ثم جعله الملك رسولا إلى عدوه وجعل عليه ، أيضاً ، عيناً يحفظ ألفاظه ويكتبها ثم يرفعها إلى الملك ؛ فإذا نجح فى هذه التجربة أيضاً جعله رسوله إلى ملوك الأمم ووثق به[٢] .

* * *

وقد بدأت النهضة الفلسفية والأدبية فى إيران أيام كسرى ، وسنسبق وصف هذه المرحلة من المدنية ببعض نظرات فى تنظيم التعليم بوجه عام . وإنه لمن سوء الحظ أن معلوماتنا فى هذا الشأن قاصرة جداً ، ولا ندرى شيئاً عن التعليم الأولى . ولكن يظهر أن الحراثين كانوا ، غالباً ، أميين . وأما الدهاقين فكانوا ، فى جميع العهود ، مثقفين إلى حد ما . فقد كانوا ، بعد سقوط دولتهم بعدة قرون ، يحفظون شيئاً من تاريخهم وآداب ديانتهم . وأما التجار فكان كثير منهم يستطيع القراءة والكتابة وفهم الحساب . وعدا ذلك فثقافة أفراد الشعب الأدبية كانت ضئيلة جداً . يقول هيون تسيانج[٣] إن الإيرانيين لايعنون بالتعليم كثيراً ولكنهم يهتمون بأعمالهم . وليس من شك فى أن التعليم الأولى وجزءاً من التعليم العالى ، على الأقل ، كانا محصورين

---

(١) ابن خرداذبه ، BGA ، (٦) ، ص ١٧٣ ، الترجمة ، ص ١٣٤ — ١٣٥ .

(٢) الجاحظ ، التاج ، ص ١٢٢ .

(٣) بيل ، Budhist Records ، (٢) ، ص ٢٧٨ .

فى رجال الدين ، وكان طابعهما دينياً ظاهراً[١] . أما تعليم أطفال وشباب طبقات المجتمع العالية فلدينا عنه معلومات أكثر دقة . فقد كان أبناء الأشراف يتلقون جزءاً من تعليمهم مع أمراء البيت المالك فى القصر ، كما كان الحال أيام الأكمينيين ؛ تحت إشراف « معلم الأساورة »[٢]، وكانوا يتعلمون القراءة والكتابة والحساب ورمى القرص[٣] والشطرنج[٤] وركوب الخيل والصيد[٥]. ومما لا يحتاج إلى بيان أن النبلاء الشبان كانوا يلقنون فن الحرب قبل كل شىء .

يقول الطبرى إن الأمير بهرام ، الملك بهرام الخامس فيما بعد ، الذى عهد بتربيته إلى الملك العربى المنذر[٦]، قال للمنذر « أحضرنى مؤدبين ذوى علم مدربين بالتعليم ليعلمونى الكتابة والرمى والفقه . فقال له المنذر إنك بعد صغير السن ولم يأن لك أن تأخذ فى التعليم فالزم مايلزم الصبيان الأحداث . . فأصر الغلام على طلبه فبعث المنذر إلى باب الملك من أتاه برهط من فقهاء الفرس ومعلمى الرمى والفروسية ومعلمى الكتابة . . وجمع له حكماء من حكماء فارس والروم ومحدثين من العرب فألزمهم بهرام»[٧]. وفى الخامسة عشرة يكتمل التعليم الجسمانى والذهنى . يقول النص

(١) قارن اسك باغ ، دينكرد ، (٩) ، ٥٠ ، ١٧ .

(٢) نولدكه ، طبرى ، ص ٤٤٣ .

(٣) أما عن اللعب بالكرة والصولجان فانظر اينسترانتزف ، ص ٧٢ وما بعدها (ترجمة بوجدانوف ، J. Cama. Or. Inst ، رقم ٧ ، ص ٤١ وما بعدها) ، وقد رجع إلى عيون الأخبار لابن قتيبة الذى يروى الآيين نامك كمصدر له .

(٤) انظر بعد ذلك عن لعبة الشطرنج .

(٥) كارنامك ، ١ ، ٢٢ وما بعدها . وقد وجدت أندية السباق خارج المدينة حيث كان المدربون يعنون بالخيل ، وحيث يجرى سباق الخيل وتمرينات الرماية بالسهم ، دينكرد Dènkard ، (٨) ، ٣٨ — ٢٣ (پيشوتان ، (٨) ، ٣٧ — ٢٣) نقلا عن نسك سكاذم Sakadhum-nask . وقد ألفت كتب فى علاج سائر الدواب والخيل ، وفى الجوارح واللعب بها (الفهرست ، ص ٣١٥ ؛ وقارن اينسترانتزف ، SE ، ص ١٢ ، ناريمان ، Iran. Influence ، ص ٢٩) . وقد نشر اينسترانتزف بعض ملاحظات عن الرمى بالسهم نقلا عن عيون الأخبار لابن قتيبة الذى اقتبس من الآيين نامك وعلق عليها فى SE ، ص ٦٦ وما بعدها ، ترجمة بوجدانوف فى J. Cama. Or. Inst. ، رقم ٧ ، ص ٣٥ وما بعدها .

(٦) انظر هنا قبل ذلك ، ص ٢٦٠ .

(٧) الطبرى ، ص ٨٥٥ وما بعدها ، نولدكه ، ص ٨٧ وما بعدها .

البهلوى پندنامگ — زردشت[١] : إنه يجب على الشاب فى هذا السن أن يعرف أصول الدين كما جاءت فى الأوستا والزند وأن يعرف تاريخ الرجال وواجباتهم . وفى العشرين يمتحنه الحكماء والمرابذة والدساتير[٢]. ويصف خادم صغير فى بلاط كسرى الأول تفاصيل التعليم الذى تلقاه[٣]. ففى السن المعين ألحق بالمدرسة حيث حفظ عن ظهر قلب «كالهربد» الأجزاء الرئيسية فى الأوستا مع شروحها . ثم فى التعليم المتوسط اهتم بدراسة الأدب والتاريخ والفصاحة والفروسية ورمى السهام وتسديد الرمح وإعمال البلطة ، ثم عرف الموسيقى والغناء وعلم النجوم وأتقن الشطرنج وأنواع الألعاب الأخرى . وأخيرا عرض على الملك معرفته بأنواع المأكولات وفن اللبس .

وأما تعليم البنات فإن مصادرنا لا تمدنا بشىء منه ويظن بارتولومويه[٤] أن تعليم البنات كان مقصوراً على التدبير المنزلى . وقد تحدث نسك الباغ[٥]صراحة عن تعليم النساء أصول التدبير المنزلى . ونستطيع أن نستنتج من نص فى الـ— ماذيگان

---

(١) فريمان ، Pand-nāmak i Zarathust, Dissertation ، ڤينا ، ١٩٠٦ و WKZM (٢٠) .

(٢) Ein mittelpersisches Schulgespräch ، نشر يونكر (١٩١٢ Sitz) Heidelb Akad, ، § ٤١ — ٤٣ .

(٣) النص البهلوى «King Husraw and his boy» نشر أونوالا (باريس ١٩٢١) واسم الخادم واسپور (قارن (ص ٨٧ الملحوظة واحد من هــذا الــكتاب) . وقد ذكر الثعالبي فى كلامه عن كسرى الثانى (ص ٧٠٥ وما بعدها) حديثا جرى بين هذا الملك وخادمه خوش آرزو ، وهو حديث يرجع إلى نفس المصدر الذى استمد منه النص الذى نشره أونوالا . وفى النصين ، كما نرى ، خلاف فيما يتعلق بالملك (كسرى الأول أو الثانى) وفى اسم الخادم كذلك ؛ ولــكن بيلى (BSOS ، (٧) (١) ، ١٩٣٣ ، ص ٧٢) يرى أن واسپور فى النص البهلوى تفيد المرتبة الاجتماعية أما الاسم وهو خوش ارزو فقد سقط . ومن ناحية أخرى فإن كلا من النصين قد ذكر عبارات أهملها النص الآخر . ولم يذكر الثعالبي تفاصيل التعليم .

(٤) Die Frau im Sasanidsschen Recht ، ص ٨ .

(٥) دينكرد ، (٩) ، ٦٧ — ٩ .

هزار — داذستان[١] أن نساء الطبقات العالية كن يلقنّ أحيانا درساً عميقاً فى العلوم : «كان أحد القضاة ذاهباً ذات يوم إلى المحكمة فأحاط به خمس سيدات فسألته إحداهن أسئلة عن بعض حالات خاصة فى الكفالة ، فلما بلغ السؤال الأخير لم يحر جواباً ، فقالت له إحداهن : أيها القاضى ، لاتكدّن ذهنك وقل فى صراحة لاأعلم . ومع ذلك فإنك واجد الإجابة عن هذا السؤال فى شرح مكتوب المگوگان — اندرزبد» .

وأما العلوم فقد كان اليونان والرومان أساتذة للإيرانيين[٢]. كان هناك أناس انصرفوا انصرافا تاما إلى الدراسات العلمية . وكانت الأوستا الساسانية هى المصدر الرئيسى لكل العلوم . فإنه لاشك أن هؤلاء العلماء كانوا من رجال الدين . وقد مدتنا ال — بندهشن بملخص للعلوم الطبيعية والنجوم كما جاء فى الأوستا الساسانية وتفاسيرها . ويستفاد من نص فى معجم البلدان لياقوت[٣]أنه كان ينزل فى ريشهر (ريو — أردشير) ، وهى ناحية من كورة أرجان ، جماعة يسمون گشته دفتران وهم كتاب كتابة الجستق وهى الكتابة التى كان يكتب بها كتب الطب والنجوم والفلسفة (؟) .

وقد تضمن نص وشرح الكتاب الأوسق المسمى نسك هُسپارم بعض تفاصيل عن الطب والأطباء . فقد خلق أوهرمزد نباتاً واحداً على الأقل لتخفيف كل مرض . وكانت هناك قواعد لأجور الأطباء التى كان للطبيب أن يطلبها ، والغلات الطيبة ، والملابس الجميلة والخيل السريعة الجرى . وأما الأجور النقدية فقد حدد مايدفعه رب البيت العادى ، ورئيس القرية ، ورئيس الكورة ، ورئيس الإقليم ، ثم ما يستطيع الطبيب أن يطلبه من الفقراء . وكان أجر الطبيب يختلف حسب ماقام به ، إذا كان قد عالج الجسد كله أو عضواً فيه . وكان على الطبيب أن يعالج المريض بإخلاص وفى

(١) بارتولومويه ، Z. sas. Recht ، (٤) ، ص ٣٥ وما بعدها : Die Frau ص ٩ .

(٢) انظر شيدر ، Der Orient und das griechische Erbe ، ص ٢٥٤ .

(٣) طبعة وستنفيلد ، (٢) ، ص ٨٨٧ ، ترجمة باربييه دى مينارد ، ص ٢٧١ .

حزم وحذر ؛ ويرتكب الطبيب جريمة إذا تباطأ أو تردد فى زيارة مريض . وفى الكتاب المذكور تفاصيل أخرى تتعلق بالأوبئة والأمراض العادية . وكان هناك نوع من الإجازة للأطباء ، ولكن كان من التعذر أن تجد دائماً الطبيب الحائز لهذه الإجازة . ويجوز أن يستعين الرجل بطبيب أجنبى إذا استحال الالتجاء إلى الطبيب الإيرانى . ومن الجرم أن يستعين الرجل بالطبيب الأجنبى مع وجود الإيرانى[١]. ولكن الملوك الساسانيين كانوا يستخدمون غالباً الأطباء من الروم أو السريان النصارى .

وقد ذكر أطباء العيون المتخصصون[٢]. وقد تناول هذا النسك علاج الحيوانات الأليفة أيضاً[٣]. فذكر علاج كلب كلب[٤] وهكذا . . وتناول نسك نكادم تفاصيل خاصة بالطب البيطرى[٥]. كما أشير فيه إلى عادة كانت جارية فى إيران وهى الإبقاء على مجرم حكم عليه بالإعدام ليستفيد الطب بإجراء التجارب عليه[٦] وهذا كان معروفا فى مصر أيام البطالسة .

وفى الكتاب الثالث من الدينكرد رسالة صغيرة عن الطب مأخوذة من غير شك من مصادر ترقى إلى عهد آل ساسان[٧] ، ومؤلف هذه الرسالة يفرق بين الصحة الروحية والصحة الجسمانية . ومع أنه يتحدث عن أطباء يمارسون علاج الروح وآخرين صناعتهم علاج الجسد فإنه يبدو أن العناية بالناحية الروحية كانت تدخل فى ممارسة الطب بالمعنى الأخص إلى حد ما .

---

(١) دينكرد ، (٨) ، ٣٧ — ١٤ وما بعدها .

(٢) نفس المرجع ، (٨) ، ٣٨ — ١٢ .

(٣) نفس المرجع ، (٨) ، ٣٧ — ٢٩ .

(٤) نفس المرجع ، (٨) ، ٣٣ — ١ .

(٥) نفس المرجع ، (٨) ، ١٩ — ٣٩ .

(٦) نفس المرجع ، (٨) ، ٢٠ — ٤ .

(٧) النص مذكور فى الجزء الرابع من طبعة پيشوتان ، ص ١٨١ وما بعدها ، ص ٢٢٠ وما بعدها من الترجمة الإنجليزية . انظر الترجمة والتعليقات فى « Le muséon » ، الجزء(٥) ، ص ، ٢٩٦ و ٥٣١ وما بعدها ، بقلم كاسارتللى .

وأصول الطب الإيرانى زردشتية كلها بنيت على تقاليد الأوستا . ولكن أثر الطب الإغريقى يظهر فى كل ناحية . وهناك ثلاث طرق للعلاج كما يقول الطب البقراطى : فما لاتنجع فيه الأدوية ويشفى بالحديد (أى بالجراحة) وما لا ينجع فيه الحديد يشفى بالكى (النار) وأما المرض الذى لايمكن علاجه بالكى فإنه مستعص لاعلاج له . ويذكر « الونديداد » الذى يرجع إلى القرون الأولى من عصر الأشكانيين[١] ثلاث طرق للعلاج أيضاً هى : السكين والأعشاب والكلام المقدس ، والأخيرة أبعد الطرق الثلاث أثراً . ولكن طريقة الكى ظهرت فى الدنيكرد[٢] الذى ذكر خمس طرق للعلاج هى : ١ — الكلام المقدس ٢ — النار ٣ — الأعشاب ٤ — السكين ٥ — البخور ؛ والمقصود بالطريقة الأخيرة إحراق البخور من الأعشاب العطرية . وكان العلاج بالكلام المقدس ، أى بصيغ سحرية من الكتب المقدسة ، يعتبر أقوى الطرق أثراً . والطبيب الحاذق هو الذى يعنى عناية فائقة بمرضاه والذى يطلع كثيراً[٣] ، وعليه أن يعرف أعضاء الجسد والمفاصل وأن يعرف الأدوية . وأن يكون رقيق الحاشية ، حلو الحديث ، صبوراً مع المرضى[٤] . وأما الصفات الأخلاقية وما يخص طبيب الروح الماهر وطبيب الجسم الحاذق فقد ذُكرت بالتفصيل حتى أن الفصل الخاص بها قد غمض من شدة الإطناب . وينبغى أن يبين كل من هذين الصنفين من الأطباء ، طبيب الروح الذى يتبع رجال الدين ، وطبيب الجسد ، الأدلة الضرورية الدالة على كفاءته . وعلى طبيب الجسم أن يكون قد عالج كافراً حتى يجوز له أن يمارس مهنته فى تطبيب المؤمنين . فإذا عالج ثلاثة أشخاص وماتوا فإنه يحرم نهائياً من ممارسة مهنته[٥] . والطبيب ملزم بعيادة المريض كل يوم

---

(١) ٧ ، ٣٦ — ٤٤ .

(٢) L. C ، § ٧ .

(٣) من الممكن أيضاً أن تكون الترجمة : يعرف « التسميع » كثيراً (لعلاج حالة بتلاوة الكلام المقدس ؟) .

(٤) نفس المرجع ، §§ ١٦ — ١٩ .

(٥) نفس المرجع ، § ٣١ . وجاء فى الونديداد (٧ — ٣٩ : ٤٠) ، أن الدليل الكامل يشمل ثلاث عمليات يجريها الطبيب على عبدة الأوثان .

طوال المدة اللازمة للعلاج وله فى نظير ذلك الحق فى أن يقدم له غذاء فاخر وحصان سريع ومسكن أنيق فى موقع عامر[1]، ولكن عليه ألا يسرف فى حب المال . ومن ناحيق الأخلاق والدين كان هناك عدة أصناف من الأطباء : وخيرهم من يمارس مهنته بالشفقة الدينية المحضة ، ويأتى من بعده من يتوسط بين الرحمة التى يقول بها الدين وحب المال ، ولكنه يكون أميل إلى الرحمة ، ثم يأتى من يؤثر المال وهكذا[2] وإن قواعد الأوستا لاتناقض نفسها أبداً !

ويظهر أن درست بد أو إيران — درستبد[3] كان نقيب الأطباء فى الدولة كلها لكن الرئيس الأعلى لأطباء الجسد وأطباء الروح زرتشتروتوم وهو لقب يقصد به من غير شك الموبذان موبذ[4]. والجزء الخاص بأنواع المرض فى هذا الكتاب لايدل على معرفة واسعة فى الموضوع . ونجد هنا أيضاً موازنة بين المرض والإثم . فالرذائل كالجهل والمكر والغضب والغرور والكبرياء والشهوة قد جعلت أسباباً للأمراض بجانب العلل الجسمانية كالبرد والجفاف والتعفن والجوع والعطش والكبر والألم[5]. وقد جاءت الرسالة بأمثلة من الثلاثين وثلثمائة وأربعة آلاف مرضا بأسماء بعض الأمراض التى وردت فى الأوستا ، ولكن تعريفها الحقيق كان غامضاً على مؤلف الرسالة كما هو غامض علينا .

والقسم الأخير ، الخاص بالأدوية ، عسير جداً على الفهم . ففى هذا الجزء يعوزنا وضوح الفكرة كما أن صعوبة الأسلوب تلمس فيه أكثر مما تلمس فى غيره . ومن ناحية أخرى فإن كثيراً من الاصطلاحات الفنية غير مفهومة . ووفقاً لأصول الطب اليونانى يتوقف استعداد كل جسد للأمراض على نسبة الطبائع الأربعة فيه من برودة وحرارة ورطوبة ويُبس . ولكن النظرية اليونانية قد مسخت بطرق مختلفة لكى تنطبق على الأصول الزردشتية التى تنسب الأمراض والرذائل لروح الشر . فالرطوبة

---

(١) نفس المرجع ، §§ ٣٢ — ٣٣ .

(٢) نفس المرجع ، § ٣٤ .

(٣) §§ ٦ ، ١٦ ، ٣٨ .

(٤) نفس المرجع ، §§ ٤١ — ٤٢ .

(٥) نفس المرجع ، § ١٠ ؛ وقارن دارمستتر ، ZA ، (١) ، ص ٣١ .

والجفاف ، اللذان يأتيان من هذا الروح هما العلتان اللتان ينبغى حماية الجسم منهما . وحالة الدم تتوقف على قوة الحيوية ، وإذا كان الدم يملك القوة الحيوية فإنه يحمل الدواء بمساعدة الطبيب الحاذق الذى يصف الدواء الضرورى . وتركيب الأغذية مهم ، فإنه ينبغى أن يحوى الغذاء كثيراً من الرطوبة (عنصر الماء) وذلك لمقاومة التأثير السيء الذى يحدثه الجفاف ، وبعض الحرارة (عنصر النار) ليبعد البرد ؛ وهواء الغذاء يختلط بالهواء النقى فى تركيب المزاج ، وكذلك التراب الذى يدخل فى الغذاء (أى أجزاء التراب التى تدخل فى الغذاء) يختلط بالتراب الذى فى التركيب أيضاً . والصحة الجيدة تتوقف على الغذاء الحسن التركيب والذى يتعاطاه الآكل باعتدال[١] .

وقد بين كاسار تللى[٢] بعض أوجه الشبه بين النظريات التى جاءت بها هذه الرسالة وبين الطب الهندى .

وفى القرن الخامس ، حينما انتشر النساطرة الذين طردوا من الإمبراطورية البيزنطية فى العراق وإيران ، فتحت مدارس نصرانية خاصة ، وكان الطب يعلم فيها . كانت أشهر مدارس الطب مدرسة جنديسابور . وقد بقيت إلى ما بعد الساسانيين ، وظلت بيئة مهمة لدراسة علم الطب فى القرون الإسلامية الأولى .

ومن بين الرجال الممتازين فى عهد كسرى الأول يظهر لنا رجل واحد كشخصية حية ، وهذا الرجل هو رئيس أطباء الملك ، برزويه المشهور . ومن آثاره الباقية تاريخ حياته الذى كتبه بيده والذى جعل منه ابن المقفع مقدمة لترجمته العربية لكليلة ودمنة ، وهو كتاب برزويه المشهور الذى سنتحدث عنه فيما بعد . وتبدأ ترجمة حياة الطبيب الكبير[٣] بالطريقة الآتية :

---

(١) نفس المرجع ، §§ ٤٩ — ٥٢ .

(٢) L. C. ، ص ٣١٤ وما بعدها .

(٣) نبه عباس إقبال صاحب مؤلف بالفارسية عن كتب ابن المقفع ، وجبريللى L'Opera d'Ibn al muqaffa ، (جزء ١٣ ، ص ٢٠٣ من Rev. degli Studi Orientali) إلى أن البيرونى فى كتابه الهند قال إن ابن المقفع قد أضاف فى مقدمته لكليلة ودمنة الفصل =

« إن أبى كان من المقاتلة(١) ، وكانت أمى من بنات عظماء الزمازمة وفقهائهم فى دينهم .

وكان مما ابتدأنى به ربى(٢) من نعمة أنى كنت من أكرم ولدَىْ أبوَىَّ عليهما ، وأنهما أسلمانى فى تعلم الطب لما صار لى من عمرى سبع سنين ، فلما بلغت وعرفت أمر الطب وفضله ، شكرت رأيهما فى ذلك ، ورغبت فى تعلمه ، حتى إذا شددت منه علماً ، وبلغت فيه ما أمنت له نفسى على مداواة المرضى وهممت بذلك ، آمرت نفسى وذكرتها وخيرتها بين الأمور الأربعة التى إياها يطلب الناس ، ولها يسعون ، وإليها يجدون . فقلت : أى هذه الخلال ينبغى لمثلى أن يلتمس ؟ وأيها أحرى ، إن هو بغاه ، أن يدرك منه حاجته ؟ المال أم اللذات أم الصوت أم أجر الآخرة ؟

واستدللت على المختار من ذلك ، فوجدت الطب محموداً عند العقلاء ، ولم أجده مذموما عند أحد من أهل الأديان والملل . وأصبت فى كتبهم أن أفضل الأطباء من واظب على طبه لا يريد بذلك إلا الآخرة . فرأيت أن أواظب عليه أبتغى ذلك ، ولا ألتمس له ثمناً ، ولا أكون كالتاجر الخاسر الذى باع ياقوتة ، كان مصيباً فى ثمنها غنى الدهر ، بخرزة لا تساوى شيئاً . ووجدت فى كتبهم أيضاً أن الطبيب المبتغى بطبه أجر الآخرة ، لا ينقصه ذلك من حظه فى الدنيا . فإنما مثله فى ذلك مثل الحراث

= الخاص ببرزويه بقصد لإثارة الشكوك فى الدين فى نفوس ضعيفى العقيدة ليدخلوا فى الدعوة المانوية . (طبعة ساخاو Sachau ، ص ٧٨ ، الترجمة ، ص ١٥٩) . ولكن لم يشر فى المقدمة إلى المانوية ، ولكن ، من ناحية أخرى ، الميل إلى هذا المذهب ليس غريبا كما سنرى فيما بعد . والمهم هو قول البيرونى إن ابن المقفع قد زاد المقدمة ، وبعبارة أخرى لم تكن المقدمة مسطورة فى النص البهلوى . ولكن البيرونى لا يقول إن ابن المقفع قد عمل هذه المقدمة . والواقع أن المقدمة تحمل تماما طابع عصر كسرى وتحوى كثيراً من الإشارات التى لا يستطيع كاتب فى القرن الثامن أن يخترعها ، فصحة هذه المقدمة عندى لا يرقى إليها الشك . وقد ترجم ابن المقفع تاريخ حياة برزويه التى وجدت ككتاب مستقل ، ثم أدخلها فى ترجمته لكليلة ودمنة . ومن المحتمل ، كما قال نولدكه Noeldeke (مترجم مقدمة برزويه عن نص ابن المقفع) وجبريللى ، أن يكون ابن المقفع قد استخدم هذه الرسالة مع التصرف ولكن جوهرها الذى وضعه فى مقدمة كليلة ودمنة هو ، من المؤكد ، بقلم برزويه .

(١) أى الأساورة .

(٢) أوهرمزد أو يزدان .

الذى يثير أرضه ويعمرها ابتغاء الزرع لا العشب ، ثم هى لا محالة نابت فيها ألوان منه . فأقبلت على مداواة المرضى رجاء ذلك . فلم أدع مريضاً أرجو له البرء وأطمع له فى خفة الوجع إلا بلغت فى معالجته جهدى . ومن قدرت على القيام عليه قمت عليه وفعلت به ذلك وإلا وصفت له . ولم أرد بشىء من ذلك جزاء ولا مكافأة ممن فعلته به . ولم أغبط من نظرائى ومن هو مثلى فى العلم وفوقى فى المال ، أحداً إلا بعين صلاح أو حسن سيرة فى الناس قولا وعملا ... »[١] .

« ... فلم يمنعنى ذلك من أن أصبت من الدنيا حظا جسيما ، ونصيبا عظيما ، من الملوك[٢] والأولياء والإخوان ، قبل أن آتى الهند ، وبعد رجوعى منها ؛ وفوق الذى كان طمعى يجنح إليه ، وفوق ما كنت له أهلا »[٣] .

وهناك نص آخر[٤] يفيدنا شيئاً عن آداب الطب أيام الساسانيين :

« فإنا نجد فى كتب الطب أن الماء الذى يقدر منه الولد السوى ، إذا وقع فى رحم المرأة ، اختلط بمائها ودمها ، فخثر وغلظ ، فمخضته الريح حتى يصير كماء الجبن ، ثم يصير كاللبن الرائب ، ثم تنقسم أعضاؤه لإبان أجله ، فإن كان ذكراً فوجهه قبل ظهر أمه ، وإن كان أنثى فوجهها قبل بطنها . ويداه على وجهه ، وذقنه على ركبتيه ، مقبض فى المشيمة كأنه مصرور فى صرة . وهو يتنفس من متنفس شاق عليه . وليس منه عضو إلا كأنه فى وثاق ؛ فوقه حر البطن وثقله ، وتحته ما تحته . منوط قمع سرته إلى مرىء بأمعائها ، يمص به من طعامها وشرابها ، وبذلك يعيش ويحيا . فهو بهذه المنزلة وعلى هذا الحال إلى يوم ولادته ، فإذا كان إبانُ ذلك سلطت الريح[٥] على الرحم ، وقوى على التحريك ، فيتصوب رأسه قبل المخرج ، فيجد من

(١) نولدكه ، برزويه (١٩١٢) ص ١١ وما بعدها . (ص ٢٥ من كليلة ودمنة ، نشر عبد الوهاب عزام) .

(٢) أى الشاهنشاه والحكام الملقبين بلقب شاه — ملك — .

(٣) نولدكه ، I, e ، ص ١٤ ، (ص ٢٩ ، كليلة ودمنة ، عزام) .

(٤) نفس المرجع ، ص ٢٢ وما بعدها . (٣٧ — ٣٨ ، كليلة ودمنة ، نشر عزام) .

(٥) يقصد الإيرانيون بكلمة الريح عنصر الهواء .

ضيقه مثل ما يجـد صاحب الوهق من عصره . فإذا وقع على الأرض فأصابته ريح أو مسته يد ، وجد لذلك من الألم ما يجد الإنسان الذى قد سلخ جلده » . وهـذه الفقرة تهمنا ، فإنا نجد بها تفصيلات عن الطب الهندى[1] .

وقد حالف كسرى رجال الدين الزردشتى لـكى يخلص نهائياً من المزدكية . ومع مناصرة كسرى لرجال الدين فإنهم ، والنبلاء أيضاً ، لم يعودوا إلى قوتهم الأولى . ولا شك فى أن كسرى كان زردشتيا ، إلا أنه يمتاز بين الساسانيين بأنه كان حر التفكير وكانت نفسه قابلة لبحث الآراء المختلفة فى المسائل الدينية والطبيعية ، ولم يكن يتردد فى استخدام النصارى فى الوظائف ذات النفع العام . وبعد إنشاء مدينة رومكان سمح لليعاقبة أن يكونوا لأنفسهم فرقة وأن ينتخبوا جاثليقا لهم ، وقد حفظ له النصارى فى إيران ، مدة طويلة ، معاملته الطيبة لهم[2]. ومع ذلك فقد لقى هؤلاء فى ذلك الوقت أزمة خطيرة . ذلك أنهم كانوا يبيحون ، كالزردشتيين ، الزواج من أقاربهم الأدنين وهو أمر مخالف لأوامر الدين ، فألغى ماربها هذه المخالفة فى حزم ، وكان قد انتخب جاثليقا عليهم سنة ٥٤٠[3]. وحينما بدأت الحرب بين الفرس والروم أعلن الموبذان موبذ داد — هرمزد على نصارى إيران حربا شعواء ، واختص بحربه جماعة الإيرانيين من النبلاء الذين دخلوا فى المسيحية ؛ وكان لاشتداد الحرب بين الدولتين أثر فى زيادة هذا التعصب الدينى الذى لم يكن الملك يحبذه ولـكنه سمح به تمشياً مع الظروف السياسية[4]. وقد سجن ماربها وكاد يحكم عليه بالموت .

وبعد قليل بلغ سخط رجال الدين الإيرانيين على ماربها أقصاه ، وذلك بسبب أعمال بعض النصارى الذين لم يتوخوا الحذر فيما يفعلون . وكان مركز ماربها حرجاً

---

(١) رسالة هرتل إلى نولدكه .

(٢) نولدكه ، طبرى ، ص ١٦٢ (ملحوظة) .

(٣) لابور ، ص ١٧٥ . وقارن هنا ، ص ٣١٠ . وقبل ذلك بعدة سنين هرب ماربها من القسطنطينية خوف أن يعدم ، لأنه رفض أن يلعن علماء النساطرة . (لابورت ، ص ١٦٧) .

(٤) لابورت ، ص ١٧٦ وما بعدها .

وزاد فى تحرجه انضمام النصارى لثورة أنوشگ زاده . ولكن كسرى رأى حينذاك أن يطلق سراح ماربها وطلب إليه أن يمنع النصارى عن مناصرة أنوشگ زاده ، فأفلح فى هذا فلاحا تاما[1].

وقد منح النصارى حرية العقيدة ، كما رأينا ، فى الصلح الذى تم بين إيران وبيزنطة سنة ٥٦٢[2]. ومن الجائز أن تكون مزامير العهد القديم قد ترجمت من السريانية إلى البهلوية فى عهد كسرى أنوشروان . وقد عثر على أجزاء من هذه الترجمة فى تركستان الصينية ، وهى فى برلين فى متحف Volkerkunde ولهذه النصوص المأخوذة عن ترجمة عن النص السريانى قيمة كبيرة فى دراسة اللغة والكتابة البهلوية[3] .

وقد ألف المسيحى پولس پرسا — ويظهر أنه هو نفسه پول الذى كان مطران نصيبين أيام الجاثليق يوسف ، خليفة ماربها[4] — مختصراً لمنطق أرسطو باللغة السريانية لكى يقرأه الملك ، وقد عرض فيه الآراء المختلفة الخاصة بالله والعالم على النحو التالى[5]: « فقد وجد من يعتقدون فى إله واحد ، ويدعى آخرون أنه ليس بواحد ، ويقول آخرون بأن له صفات متضادة وينفى آخرون عنه الصفات . وبعض

---

(١) نفس المرجع ، ص ١٨٧ وما بعدها .

(٢) انظر ص ٣٥٨ من هذا الكتاب

(٣) انظر اندرياس فى Sitzungsberichte der preuss. Akad. der Wissenschaften ١٩١٠ ، ص ٨٦٩ وما بعدها . وبعد موت اندرياس طبع نصوص المزامير بار M. K. Barr (Sitz. Pr. Ak.) ، ١٩٣٣) .

(٤) مركاتى ، Per la vita e gli scritti di Paolo il Persiano ، روما ، ١٨٩٩ ؛ انظر لابورت ، ص ١٦٦ .

(٥) لاند ، Anecdota Syriaca ، ج (٤) ، ص ٢ — ٣ من الترجمة اللاتينية . كاسارتللى La Philopsohie religieuse du mazdéisme sous les Sassanides ، ص ١ . كراوس Rev. degli Studi Orientali ، (١٤) ، ١٩٣٣ ، ص ١٧ وما بعدها . ومن الممكن أن نفترض أن رسالة پولس قد ترجمت من السريانية الى البهلوية ، ولكن من الجائز أن يكون كسرى قادرا على القراءة بالسريانية .

يقول إنه قادر على كل شيء ، وبعض آخر يقول إن قدرته لا تشمل كل شيء . بعض يقول إنه خلق الدنيا وكل مافيها ، وآخرون يقولون إنه ليس خالق كل شيء . وهناك من يقول إن العالم محدث ، وآخرون يقولون إنه قديم .

ويرى كاسارتللى أن المؤلف هنا يصف الآراء الشائعة فى صلب الديانة الإيرانية نفسها فى الوقت الذى عاش فيه .

ومهما يكن من شيء فإن پولس قد قدم هذه المسائل مع تفصيلات أخرى للنظريات الفلسفية ، مدافعاً إلى حد ما عن رجحان الفلسفة على الدين وهو يرفع هذا الكتاب لكسرى . ومن هذا نستطيع أن نتبين حب هذا الملك للآراء الفلسفية التى لم يكن يتذوقها الموابذة إلا قليلا . ثم إن أجاثياس Agathias يؤكد هذا مع ازدراء وخيلاء عالم هلينى بالنسبة لملك متوحش لم يكن يعجب به إلا من الناحية الحربية . كيف يتاح لملك غارق فى الشئون السياسية والحروب أن يتعمق فى معرفة الآداب والروح اليونانية الرومانية وخاصة أن هذه الآداب الهلينية كان ينبغى أن تنقل إلى لغة هى ، عند أجاثياس ، قديمة غليظة[1] !

وكان الطبيب الفيلسوف أورانيوس Uranios الذى اعتبره أجاثياس جاهلا ومدعيا كبيراً ، وشبهه بترسيتس Thersites الذى ذكر فى إلياذة هوميروس ، كان يعلم كسرى الفلسفة ، وكان هذا يجمع الموابذة ليناقشوا أستاذه فى المسائل الطبيعية وما شابهها ، كمسألة ما إذا كانت الدنيا لا متناهية وهل لها علة واحدة[2] .

ويبين التساهل الدينى الذى ساد فى بيزنطة ، بوضوح ، ما كانت عليه حرية العقيدة فى البلاط الإيرانى . وبعد أن أوصدت أبواب مدرسة أثينا الفلسفية سنة ٥٢٩ واضطهد فلاسفتها ، هرب سبعة منهم إلى البلاط الإيرانى فى المدائن وهم : دماسكيوس السريانى Damascius ، سمپليكيوس الصقلى Simplicios ، إيليموس الفريجى

---

(١) Agathias ، (٢) ، ٢٨ . يقول أجاثياس وكانوا يدعون أن كسرى كان مغرما بكتب أرسطو وأفلاطون .

(٢) نفس المرجع ، (٢) ، ٢٩ .

Eulamios le Phrygien ، برشـــيانوس الليدى Priscianos le Lydien ،
هرمياس Hermias ، وديوجين Diogene ، الفينيقيين ، وإزيدور Isidore .
وقد رحب بهم الملك أنوشروان . والحقيقة أن هؤلاء الفلاسفة قد خاب ظنهم كثيراً .
فقد وقفوا على العادات الإيرانية الوحشـية وشاهدوا القسوة والظلم الذى يقع على
صغار القوم من سراتهم ، وقد أسخطهم هـذا كله فغادروا البلاط الإيرانى . ومع
ذلك فقد دافع أنو شروان عن حقوقهم وكسب لهم فى معاهدة السلام مع إمبراطور
بيزنطة حق العودة أحراراً إلى بلادهم(١) .

وإن كانت المدنية الإغريقية Hellenisme قد أنعشت أيام كسرى الأول الحياة
العقلية فى إيران فقد كان للثقافة الهنـدية فى ذلك العصر تأثيرها الخصب على هذه
الحياة أيضاً . وقد جاء فى كتاب « ماذيكان شطرنج » — قصة الشطرنج — وهو كتاب
بهلوى صغير ألف بعد عهـد الساسانيين — إن لعبة الشطرنج أدخلت إلى إيران أيام
كسرى الأول من بلاد الهند(٢) . ومن الـكتب الهندية التى نقلت إلى البهلوية أيام
أنوشروان رواية بوذية اختفى أصلها ولـكننا نعرفها فى ترجمة عربيـة عن البهلوية
اسمها : « بلوهر وبوذاسف » ، وقد أخذتمنها — عن طريق ترجمتها إلى السريانية —
القصـة اليونانية « Barlaam et Yo'asaph » ، كما أخذت منها قصص كثيرة
أوربية فى القرون الوسطى(٣) . وأشهر هـذه الـكتب التى نقلت إلى البهلوية أيام
أنو شروان كتاب « كليلة ودمنة » ، وهو نص بهلوى لمجموعة من القصص تسمى
فى السنسكريتية « پنج تنترا » Pancatantra ، نقله إلى البهلوية برزويه الطبيب
الذى تحدثنا عنه ، وكان قد أتى بالأصـل الهندى أثناء رحلة له إلى بلاد الهند(٤) .

---

(١) Agathias ، (٢) ، ٣٠ — ٣١ .

(٢) انظر هذا الـكتاب ، ص ٤٦ . يرى هرتسفيلد أن هـذه اللعبة كانت معروفة فى إيران من قبل (Arch mitt ، (٣) ، ص ٢٨) .

(٣) نولدكه ، Burzoes Einleintung ، ص ٥ ؛ روزنبرج Notices de la Litterature Parsie ، ص ٥٧ .

(٤) مقدمة برزويه قرب النهاية .

والقصص الخيالية التى دارت حول نقل هذا الكتاب(١) إلى اللغة البهلوية تبين مدى انتشاره فى إيران ، ولم يلبث أن نقل إلى السريانية ثم إلى العربيـة فقد نقله إليها ابن المقفع (وجعل تاريخ حياة برزويه مقدمة لترجمته) ثم نقله إلى الفارسية نظما الشاعر رودكى ، وقلده فى هذا شعراء آخرون من الفرس .

وإذ ألممنا بالأفـكار الفلسفية والدينية أيام أنوشروان نعود هنا إلى ترجمة حياة برزويه المشهورة ، فنجد بها بيانا للحياة الإنسانية والأوضاع الاجتماعية والأخـلاق الحميدة ، وهو بيان يكشف عن روح قلق ، يبحث عن الحقيقة فلا يجـدها . وفى المقدمة كلمة عن الأديان ، أراد نولدكه Noeldeke أن ينسبها إلى المترجم العربى وأن يصرفها إلى حياة المسـلمين فى زمنه ، فإن ما جاء بهذه الكلمة يمثل اختلاف المذاهب الإسلامية فى زمن ابن المقفع أكثر من تمثيل ما كان أيام برزويه . ولـكن إذا اعتبرنا المؤثرات التى تجمعت وقت ذاك فى إيران ، مضافا إليها اهتمام أنوشروان بالآراء الفلسفية التى كانت فى أيامه ، وخاصـة إذا قارنا هذا النص بنص بولس پرسا الذى ذكرنا ، فإنه لا يبـدو غريبا أن يكون برزويه نفسه كاتب هذه الكلمة وهى(٢) :

« وقد وجـدت آراء الناس مختلفة ، وآراءهم متباينة ، وكل على كل عاد ، وله عدو مغتاب وفيه واقع . فلما رأيت ذلك لم أجد إلى متابعة أحد منهم سبيلا ، وعرفت أنى إن صدقت أحداً منهم لا علم لى بحاله كنت فى ذلك كالمصـدق المخدوع . . فلما تحرزت من تصديق ما لا يكون ولم آمن إن صدقته أن يوقعنى فى تهلـكة عدت إلى البحث عن الأديان والتماس العـدل منها فلم أجد عند أحد ممن كلمته جوابا فيما سألته

---

(١) فردوسى ، الشاهنامه ، نشر مول (٦) ، ص ٤٤٤ وما بعدها ؛ الثعالبى ، ص ٦٢٩ وما بعدها .

(٢) أما عن آرائى فى صحة نسبة هـذا الجزء من المقدمة إلى برزويه فإنى عرضتها فى محاضرة ألقيتها فى باريس سنة ١٩٣٢ . وقد لاحظ كراوس Kraus نفس الملاحظات مشيرا إلى أوجه الشبه بين آراء برزويه وبولس Paulus Persa (ص ١٤ وما بعدها سنة ١٩٣٣ ، عدد (١٤) من : Rev degli Studi Orientali) .

عنه فيها . ولم أر فيما كلمونى به شيئاً يحق لى فى عقلى أن أصدق به ولا أن أتبعه ، فقلت لما لم أجد ثقة آخذ منه فالرأى أن ألزم دين آبائى وأجدادى الذى وجدتهم عليه وهممت بذلك ، ثم التمست لنفسى مخرجا فقلت إن كان من يفعل هذا معذوراً . . فلما ذهبت ألتمس لنفسى فى لزوم دين الآباء والأجداد ولم أجد لها على الثبوت على دين الآباء طاقة بل وجدتها تريد أن تتفرغ للبحث عن الأديان والمسئلة عنها والنظر فيها هجس فى قلبى ، وخطر على بالى قرب الأجل وسرعة انقطاع الدنيا واغتباط أهلها وتخرم الدهر حياتهم . فلما خفت من التردد رأيت أن لا أتعرض له ولا لما أتخوف منه المكروه واقتصرت على كل شىء تشهد به العقول ويتفق عليه أهل الأديان ويُرى أنه صواب وحق . . » يقول برزويه بعد مثل هذه الأفكار إن أسلم طريق هو اتباع دين الآباء ، ولكنه لم يطق الثبات عليه ، فإنه يلاحظ أن هذا لو صح فإن الذى يجد أباه ساحراً ويجرى على مثاله يكون غير ملوم . وأخيراً يخطر له قرب انتهاء الأجل وسرعة انقطاع الدنيا فيعزم على أن يدع لذاتها ويأخذ فى النسك[١] .

والخاتمة واضحة الدلالة . فإن النسك ينافى قواعد دين زردشت ، ولكن النصارى والغنوصيون والمانوية والمزدكية طالما كرروا القول فى النسك حتى سرت عدواه إلى الجماعات المزدية[٢]. ويضاف إلى هذه المؤثرات أثر الفكر الهندى الذى كان برزويه أقوى ممثليه .

ويرجع الإقبال الذى صادفه كتاب كليلة ودمنة ، وهو يمثل الروح الهندى أصدق تمثيل ، إلى الدقة التى تحراها المؤلف فى عرض الاتجاه الخلقى ، وإلى الصلة القريبة بين فكرة الكتاب وما تناولته كتب النصائح الإيرانية — اندرز — من أفكار[٣] فى أيام أنوشروان . وهذه الكتب الشعبية مفيدة من حيث كشفها عن تطور الحكمة العملية عند الزردشتيين فى نهاية عهد المدنية الساسانية .

---

(١) نولدكه ، Burzoes Einleitung ، ص ١٥ وما بعدها ، قارن ص ٣ .

(٢) قارن هذا الكتاب ، ص ١٤٣ .

(٣) انظر ص ٤٤ من هذا الكتاب .

ولإكمال ذلك نذكر مقتطفات من بعض هذه الكتب ككتاب « داذستان مِينوگِ خَرَد » و «آرداگِ وِيراز» وغيرهما من الكتب الدينية التى ترجع أصولها إلى زمن أنوشروان(١) .

وهذا بعض ما تضمنته هذه الكتب(٢) :

الفضيلة هى الحكمة ، لأن العلم والعمل أصل الصفات الحسنة فى البشر(٣). الكرم أول الفضائل(٤). الكريم عادل وهو يعلم أن الإنذار بالعقوبة أو توقيعها غير جائزين إلا بعد التثبت من حدوث الجرم من الجانى(٥)، كما يعلم بوجوب العدل مع العدو الذى يحاربه(٦). من الخير المساهمة فى أعمال الخير بمال اكتسب من الطريق السوى بالعمل الشريف ، وإن حياة يزينها هذا الخير تنتهى بالبهجة والسلام(٧). الرفق بالحيوانات النافعة أصل قديم من أصول الديانة المزدية(٨) . رأى أرداگ ويراز ، فى رحلته إلى جهنم ، رجلا يلقى صنوف العذاب فى كل أجزاء بدنه عدا قدمه الأيمن ، لم يفعل هذا الرجل خيراً قط فى دنياه ، ولكنه قرب بهذا القدم حزمة من العلف إلى ثور عامل(٩). الجد والمثابرة فضيلتان نص عليهما خاصة . بالمثابرة يتحلى الرجل

(١) ص ٤٢ .

(٢) نشير إلى المصادر بالطريقة الآتية : آذر = اندرز آذربد (نشر پيشوتان سنجانا ، گنج شيايگان ...) ، خسرو = اندرز خسرو (نفس المصدر) ، اوش = اندرز اوشنار دانگ (نشر ذبهر) ، بزرگ = پندنامك بزرگمهر (پيش = پشوتان سنجانا ، گنج شايگان ؛ جام = Pahlvi Texts نشر جاماسپ — آسانا ، ص ٨٥ وما بعدها) ؛ زر = پندنامك زردشت (نشر فريمن Frieman) ، مينو = مينوگ خَرَد ، وير = أردگ ويراز نامك .

(٣) بزرگ ، پيش ، ٢٢ ؛ جام ، ٥٧ — ٦٨ .

(٤) مينو ، ٤٧ — ٤ ، بزرگ ، پيش ، ١١٥ ، جام ، ٢٢٣ — ٢٤ .

(٥) آذر ، ٦٩ .

(٦) مينو ، ٢ — ٥٢ .

(٧) بزرگ ، پيش ، ٢٩ ، ١٠٠ ، جام ٧١ — ٧٢و٢١٣ — ١٤ .

(٨) زر ، ٩ .

(٩) وير ، ٣٢ ، ولهذه الكلمة صيغة أخرى فى نسك سپند ، انظر وست West ، PT ، (١) ، ص ٣٥٠ .

بالجد[١]. ينبغى اليقظة المبكرة لبدء عمل اليوم[٢]. بالجد يكتسب الثراء الذى يستعمل لخير الناس ، بتشييد المنازل والنزل[٣] ، ولكن إن كان الثراء محبباً إلى النفس فإن فقرا فى أمانة خير من ثراء عن طريق غير سوى[٤]. جدير بالثناء من يقاسى فى صبر الشر والحزن يرسلهما عليه أهرمن وغيره من الكائنات التى تؤذى الناس[٥]، وخاصة من يبدل بشهواته السيئة الشعور الطيب ، وبالغضب الصبر ، وبالحسد الخوف من السمعة الضارة ، وبالشهوة القناعة ، وبروح العدوان العدل[٦]. يكسب الإنسان بالقناعة وحدها الفضائل التى هى زينة الدنيا . ينبغى التكلم برفق دائماً ولا يجوز التجهم[٧] للمخاطب ، لأن الأدب والرقة عنوان الخلق الكريم[٨]. الاتهام أرذل من السحر[٩]. لايجوز التفكير فى الانتقام أو إيذاء إنسان[١٠]؛ فإن من ينصب شراكا لأخيه يقع فيه[١١]. ينبغى للمرء أن يأكل باعتدال ليحفظ للجسم سلامته[١٢] ، كما ينبغى الامتناع عن الكلام وقت الأكل أو الشراب[١٣]. قليل من الخمر يفيد الجسم كثيراً ، يسهل الهضم ويزيد الحرارة وينبه الروح والذاكرة ويشرح

---

(١) بزرگ ، پيش ، ٣٣ ، جام ، ٧٩ — ٨ .

(٢) آذر ، ٩٨ .

(٣) قارن وير ، ٩٣ — ٥ .

(٤) مينو ، ١٥ — ٤ .

(٥) مينو ، ٣٩ — ٣١ .

(٦) بزرگ ، پيش ٧٢ ، جام ، ١٣٩ — ٤٠ .

(٧) آذر ، ٨٥ .

(٨) بزرگ ، پيش ، ٢٥ ، جام ، ٦٣ — ٦٤ .

(٩) مينو ، ٢ — ١١ .

(١٠) آذر ، ٤٥ .

(١١) آذر ، ١٠٨ .

(١٢) مينو ، ٢ — ٨٢ .

(١٣) دينكرد ، (٨) ٣٧،٤٣ (نسك سكاذم) ، (٩) ، ٩ ، ٢ (نسك سوذگر)، وقارن ص ٣٩٧ .

الصدر[١]. من يشرب الخمر وهو سيء الخلق يصبح معتديا خبيثاً مشاكساً ويعامل زوجه بقسوة وكذلك أولاده وعبيده[٢]، وإن أسرف فى الشراب يضعف منه الجسم والروح[٣].

وقد حوت حكمة آذربد كثيراً من النصائح العملية مثل : لايجوز الإفضاء بالسر إلى المرأة ، كما لاينبغى الجدل مع الحمق . وكذلك لايجوز التعبير برؤية العين عما سمع فقط ، كما لاينبغى الضحك بغير سبب . لايجوز عرض النعمة على الحاسدين . ينبغى إعمال الفكر قبل الكلام فإن كلة غير محكمة كنار تحرق كل شيء . لايجوز أن تجعل صديقا لك عدوك القديم ، ولكنك تجعل صديقاً لك من صاحب قديم ، فإن الصاحب القديم كالخمر العتيقة تزداد قيمة على مر السنين .

لا يجوز أن تتعلق كثيراً بأفراح الدنيا وأتراحها ، بل ينبغى اعتبارها كدار ضيافة الناس فيها غادون ورائحون[٤] .

وهذه نغمات تذكرنا برباعيات عمر الخيام الحزينة .

ونحن نعرف أسلوب كتب النصائح فى الخطب التى كان الملوك يلقونها فى أحاديث العرش والتى ذكرت فقرات منها ، صحيحة إلى حد ما ، فى التواريخ الرسمية ، كما نجدها أخيراً فى أحد الآثار الأدبية من أيام كسرى ، فى كتاب تنسر .

وترتكز فلسفة النصائح الشعبية على الشعور الدينى ، ولكن التدين لايحب هذا البدء فى حرية الفكر . وقد أخذ رجال الدين الزردشتيون يفقدون نفوذهم يوما بعد يوم ، ولم يكن لهم النفوذ القديم ليواجهوا التيارات الجديدة . وخفت حدة التعصب

---

(١) مينو ، ١٦ و ٣٦ — ٤٨ .

(٢) مينو ، ١٦ و ٣٠ — ٣٥ .

(٣) مينو ، ١٦ و ٤٩ — ٦٣ ؛ وقارن آذر ، (٣) ، اوش ، ٣٣ ، دينكرد (٩) ، ٧ و ٧ — ١١ (نسك سوذگر) .

(٤) بزرگ ، پتش ١٦٩ . والنبذ ١٦٠ — ١٦٩ من طبعة پشوتان سانجانا لا ترجع الى پندنامگ بزرگمهر ، ولكنها تمثل فى الحقيقة إحدى النصائح السبع التى أشار اليها وست ، GIPH ، § ٧١ ؛ انظر فريمن Freiman ، PZ ، ص ٦ .

وأصبح المستنيرون يؤثرون قواعد الأخلاق على عقائد الدين ، وكثرت الشكوك حتى اتسع الأفق وكثر المفكرون ، وأصبحت الخرافات الدينية الكثيرة المزدية تضايق رجال الدين أنفسهم . واخترعت الشروح العقلية ، وقد قال أحد الموابذة فى مناظرة مع جيورجيس المسيحى : « نحن لا نعتبر النار إلهاً ولكنا نعبد الله بواسطتها كما تعبدونه بواسطة الصليب » ، فذكر جيورجيس ، وهو إيرانى مرتد[1] ، بعض فقرات من الأوستا حيث جاء ذكر النار على أنها إله ، فقال الموبد ، وقد ضاق بالأمر ، متسللا من الموضوع فى لباقة : « نحن نعبد النار لأنها من نفس طبيعة أوهرمزد » . فقال جيورجيس : « أفى النار كل ما فى أوهرمزد » . قال الموبد : « نعم » . قال جيورجيس : « إن النار تلتهم النجاسة وروث الخيل وكل ما تلمس ، وإذاً فإن أوهرمزد يلتهم كل هذا لأنه من نفس الطبيعة » . وهنا وقف الموبد المسكين وقد أرتج عليه[2] .

إن التفاؤل القديم ، المتين ، الحافز ، الذى هو أساس الدين الزردشتى قد تفتت تحت تأثير الأفكار الجديدة . وأخذ الميل نحو الزهد ، وهو مستحب فى كثير من الديانات التى تغلغلت فى إيران ، يدب فى الديانة الزردشتية مقوضاً أركانها . ونجد هذا النص فى مواعظ أوشنار (٤٦) : « إن الروح تبقى ويفنى الجسد » وهى فكرة مخالفة كل المخالفة لتعاليم المزدية ويبدو أنها أخذت عن المانوية .

وفى ذلك الوقت كانت النظرية الزروانية ، التى شاعت أيام الساسانيين ، وبالا على الدين إذ بثت فكرة الجبر ، وهى السم الزعاف للديانة المزدية[3] . لم يكن زروان الإله القديم وأبو أوهرمزد وأهرمن ، الزمن اللامتناهى فحسب بل كان القدر أيضاً . وقد جاء فى رسالة داذستان مينوگ خرد (روح الحكمة أو الحكمة السماوية) [4]

---

(١) كان اسمه الإيرانى مهران گشنسپ ، انظر ص ٣٩٨ من هذا الكتاب .

(٢) هوفمان ، ص ١٠٩ .

(٣) ناقش جاكسون نظرية الاختيار فى المذهب الزردشتى فى كتابه Zoroastrian Studies نيويورك ١٩٢٨ ، ص ٢١٩ وما بعدها .

(٤) ٢٣ ، ٤ — ٧ .

التى يشار إليها كثيراً : « إن الإنسان رغم قوته وسعة ذكائه وعلمه لايستطيع مغالبة القدر ، لأن القدر المحتوم حين يقرر الخير أو الشر ، يعجز الحكيم عن العمل ويقدر الشرير عليه ، وهذا يجعل الشجاع جبانا والجبان مقداما والعامل كسولا والكسول عاملا » . ولكن مجهود الإنسان ، مع ذلك ، ليس عبثاً كله ، فقد جاء فى الفصل الثانى والعشرين إن هذا المجهود سيوضع فى الميزان فى الوجود الروحى أى فى العالم الآخر[١]. ولكن فى هذا التسليم بالقضاء والقدر وهو يؤدى إلى الكفر وهو ماتبينه الرسالة التى ألفت بعد الساسانيين والتى تسمى: شكَنْد گُمانيگ وِزَرْ (الشرح الذى يبدد الشك)[٢] فى قولها : « أما هذا الخطأ الذى يقع فيه من يقولون بأن ليس هناك آلهة ، وهم المسمون بالدهريين[٣]، والذين أراحوا أنفسهم من البحث فى أمور الدين وتحمل مشقة العمل الطيب ، وأما جدالهم الطويل الذى لاحد له ، فاعلم أنهم ينظرون إلى هذه الدنيا حسب مايتعلق بالأنظمة من كل نوع والتقلبات التى تختص بأجسادهم ، بواسطة العمل ، وذلك بمعارضة شىء بالآخر ، واختلاط شىء بآخر ، كالتطور الأولى للزمن اللامتناهى ؛ وهم يدعون أن لاجزاء على الخير ولا عقاب على الذنوب ولا جنة ولا نار ولا شىء يدفع الناس إلى خير أو إلى شر ؛ وأن الأشياء كلها مادية وأن ليس للروح وجود[٤]. »

وأختم الكلام بأن سرعة انتشار الإسلام فى إيران يرجع إلى أسباب عديدة من

---

(١) انظر تاڤاديا فى ZII ، ١٩٣١ ، ص ١٣٠ — ١٣١ .

(٢) ٦ ، ١ — ٨ .

(٣) أى « أتباع نظرية الزمان » .

(٤) يقول تاڤاديا (ZII ، ١٩٣١ ، ص ١٣٢) إن كلمة دهرى التى قصد بها أهل الاختيار هنا لا يقصد بها فرقة من أيام الساسانيين ، لأن هذه الكلمة مشتقة من الكلمة العربية دهر « زمان ، غلبة » ، ويشير الكتاب المسلمون إلى فرقة بهذا الاسم . ولا شك أن ملاحظة تاڤاديا صحيحة ، ولكنى أظن أن كلمة دهرى فى هذه الفقرة تترجم ببساطة كلمة زروانيك الأصلية ، وأن الكاتب يجادل فلسفة مادية معاصرة قد استمدت نتائجها الأخيرة من الآراء الزروانية ولو أن الحقيقة أننا لا نعرف إذا كانت الزروانية قد سارت إلى هذا الحد منذ أيام الساسانيين .

بينها سبب نفسانى نراه فى ثنايا كتب الحكمة وبشكل أوضح فى آراء برزويه وهو من أكبر الرجال ثقافة ، ومن غير شك واحد من أعظم مفكرى إيران فى القرن السابق على تدهور الدولة الساسانية .

ونستطيع أن نتبين الخلاف بين الزردشتية كما تصورها الأوستا الحالية والآداب البهلوية الدينية التى سطرت بعد الساسانيين من ناحية ، والزردشتية الساسانية التى تدلنا عليها المصادر غير الإيرانية[1]. فإن أساس العقيدة الزردشتية ، فى أواخر عهد الساسانيين ،كان قد زلزل وانتهى ، وكان الانهيار مروعاً ، وفى الوقت الذى أدى فيه الفتح الإسلامى إلى أن فقدت الزردشتية عون السلطان وأدرك رجال هذا الدين أن لابد من مجهود عظيم لمنع هذا التحلل الكامل . وقد بذل هذا المجهود فعلا ، فنزعت فكرة زروان مع كل الخرافات الدينية الصبيانية التى تتصل بها ، وجعل من المزدية غير الزروانية عقيدة جديدة . وهكذا تغيرت الفكرة فى خلق الدنيا . وقضى على فكرة عبادة الشمس لتقوية فكرة التوحيد فى ديانة أوهرمزد ، وحدد مركز ميترا (مهر) تعديلا يساير يشت مهر القديم ، وهذبت التقاليد الدينية أو غيرت[2]، وترك للنسيان أو أخفى ، جزء الأوستا الذى تأثر بعقيدة زروان مع شروحها . ومن المفهوم ، على هذا الضوء ، أن نجد الأقسام الخاصة بالخلق قد اختصرت فى بضعة أسطر فى الدينكرد حتى لاتكاد تبين . وقد جرت هذه التعديلات فى القرون الغامضة التى تلت سقوط الدولة الساسانية . ولم تشر الكتب الرسمية إلى هذه التعديلات بل إنها صورت الدين الزردشتى المعدل كأنه الدين القديم بحذافيره . وهكذا وجد رجال هذا الدين أنفسهم قادرين على الجدال عن دينهم بالحجة ضد الأديان الأخرى ومنها الإسلام من غير أن يكونوا أضعف منهم منذ البداية . وقد بدأوا جدالهم بمهارة فى الكتاب الدفاعى الذى ذكرناه ، شكند گمانيك وزر . ومن ذلك الوقت أصبح

---

(١) انظر قبل هذا ص ١٣٢ وما بعدها .

(٢) دليل ذلك الفصل الأول من البندهشن الإيرانى ، انظر قبل هذا ص ١٤٢ .

الزروانيون فرقة من الزردشتيين لا أكثر ، وعلى هذا النحو عرفهم الشهرستانى الذى وصف فى القرن الثانى عشر المذاهب المختلفة فى العالم .

* * *

إن عهد كسرى الأول من أمجد العهود الساسانية ، فقد بلغت إيران فى أيامه مجداً فاق مابلغته أيام الملوك العظام ، كما أن الثقافة الأدبية والفلسفية جعلت لعهده جمالا خاصا . ولكن ماذا كان شأن الأحوال المادية والاجتماعية والأخلاقية للشعب الإيرانى فى ذلك الحين ؟ إن لدينا المصادر الرومانية البيزنطية المتحاملة على هذا العهد ، ولدينا من الناحية الأخرى المصادر العربية الإيرانية التى تجعل من عهد هذا الملك عهداً عادلا عدالة مثالية . والواقع أننا إن قارنا ماجاء فى المصادر من النوعين مع تقديرنا لميولها وللأخبار المختلفة التى تذكرها وما نراه مسطوراً من تفصيلات دون تعمد ، وجدنا صورة واضحة بعض الوضوح عن إيران فى زمن كسرى الأول ، الروح الخالد ، فى دور النقه ، بعد الحمى التى اعترتها من المزدكية . وكان التعديل المالى ، كما ينسب إلى كسرى ، يرمى إلى مصلحة الخزانة قبل مصلحة الشعب من غير شك . فقد عاش رجل الشارع كما عاش قرونا طويلة فى الجهل والظلم ، وقد أحس الفلاسفة البيزنطيون الذين أووا إلى البلاط الإيرانى بخيبة أملهم ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يرفعوا أنفسهم إلى مرتبة الفلسفة الحقة فيحكموا من غير تحيز على عادات أمة أجنبية عنهم ، وقد كانت آراؤهم معبرة عن المثل التى تصوروها لدولة يحكمها فيلسوف ، وبطبيعة الحال لم يتوفر لهم ذوق الدراسات الخاصة بالأجناس وبعلم النفس الجنسى . لقد راعهم أن يجدوا الإيرانيين يبيحون التزوج من أمهاتهم أو أخواتهم أكثر مما راعتهم عادة عرض الجيف التى هى عادة مقدسة واجبة . ولكن لم يكن هذا وحده ماجعل حياتهم غير مستطابة فى إيران ، فإن روح القبيلة والهوة التى تفصل بين الطبقات والحالة التعسة التى كان عليها الشعب ، كل هذا نغص عيشهم ، « فإن القوى يظلم الضعيف ، وهم يرتكبون كثيراً من القسوة والوحشية فيما بينهم »[(١)].

---

(١) أجاثياس ، (٢) ، ٣٠ .

كانت طبقة النبلاء التى خرجت من أزمة مروعة متضائلة جداً ، وقد عادت إلى حياة منظمة بفضل ما اتخذ الملك من تدابير فائقة ، فكانت تعيش عيشة وادعة هادئة ، ولو أنها كانت تتحدى بين الحين والحين روح التجديد الذى يحكم به الملك . وكانت طبقة النبلاء الأقل شأناً والتى تقضى وقتها فى أراضيها وتهتم بالأعباء الإدارية فى جهاتها أسعد الطبقات عيشاً .

وفى استطاعتنا أن نقول إن رزايا المعيشة العامة والحالة الاجتماعية كانت فى الجملة أخف وطأة أيام كسرى الأول مما كانت عليه فى العهود السابقة ، ولكنها برزت أكثر لأن التفكير طال فيها . وها هى صورة لهذا العهد يختم بها برزويه فى تاريخ حياته تأملاته فى بؤس الحياة الإنسانية وفوائد الزهد(١) :

« لا سيما فى هذا الزمان الهرم البالى الشبيه بالصبابة والكدر ، فإنه وإن كان الله تعالى قد جعل الملك سعيد الأمر ، ميمون النقيبة ، حازم الرأى ، بعيد القدرة ، رفيع الهمة ، بليغ الفحص ، عدلا براً جواداً صادقاً شكوراً رحب الذراع ، متفقداً للحقوق ، مواظباً فهماً حليما رءوفاً رحيما ، عالما بالناس ، محبا للخير وأهله ، شديداً على الظلمة ، موسعاً على رعيته ، فإنا نرى الزمان مدبراً بكل مكان ، حتى كأن الفضل قد ودع . وأصبح مفقوداً ما كان عزيزاً فقده ، موجوداً ما هو ضار لمن ظفر به . وكأن الخير أصبح ذابلا والشر نضيراً . وكأن الغى أقبل ضاحكا وأدبر الرشد باكيا . وكأن العدل أصبح غاراً ، وأصبح الجور غالبا . وكأن العلم أصبح مستوراً ، وأصبح الجهل منشوراً . وكأن اللؤم أصبح آمراً ، وأصبح الكرم موطوءاً . وكأن الود أصبح مقطوعا ، وأصبح الحقد موصولا . وكأن الكرامة قد سلبت من الصالحين وتوخى بها الأشرار . وكأن الغدر أصبح مستيقظا ، وأصبح الوفاء نائما . وكأنما الكذب أصبح غضا والصدق قاحلا . وكأن الحق ولى عاثراً ، وأصبح العدوان قد

(١) نولدكه ، Burzoes Einleitung ، ص ٢٤ وما بعدها . ومن الممكن بل ويظن أن ابن المقفع الذى نقل هذه الشكوى التى يبثها أكبر أطباء كسرى قد زاد فى تشاؤم النص الأصلى فأدخل بعض تجارب عصره ، ولكن ليس هناك من سبب للشك فى أن أساس هذه الصورة المظلمة قد كتبه برزويه .

جرى سبيله ، والإنصاف بائساً ، والباطل مستعلياً ، والهوى بالحكام موكلا ، والمظلوم بالخسف مقراً ، والظالم لنفسه فيه مستطيلا ، والحرص فاغراً فاه يتلقف من كل جهة ما قرب منه وما بعد عنه ، والرضا مجهوداً مفقوداً ، والأشرار يسامون السماء ، والأبرار يريدون بطن الأرض . وأصبحت المروءة مقذوفاً بها من أعلى شرف إلى أسفل مهواة ، والدناءة مكرمة ، والرفعة مجفوة ، والسلطان متنقلا من أهل الفضل إلى أهل النقص ، والدنيا جذلة مسرورة تقول : قد غيبت الحسنات وأظهرت السيئات » .

الفصل التاسع
آخر عهود المجد

هرمزد الرابع . أخلاقه . استمرار الحرب مع بيزنطة . ثورة بهرام چوبين . عزل وقتل هرمزد . كسرى الثانى يعتلى العرش . بهرام چوبين ينصب نفسه ملكا . الحرب الأهلية . كسرى يسعى لتعضيد الإمبراطور . هزيمة بهرام چوبين وفراره ثم قتله . ثورة بسطام . حكم كسرى الثانى . حرب جديدة مع بيزنطة . أخلاق كسرى الثانى . القصور الملكية (دستكرد « قصر شيرين ») . نقوش طاق البستان . نفائس كسرى . زوجاته . ترف البلاط . العطور والمطبخ . كؤوس مزينة . الموسيقى حال النصارى . عزل كسرى وقتله وتولية قباد الثانى شيرويه .

كان هرمزد الرابع الذى خلف كسرى أنو شروان على العرش سنة ٥٧٩ خير خلف له من بعض الوجوه . وقد كان فى وسعه أن يدعى لنفسه لقب « العادل » ولعله كان أكثر استحقاقا له من كسرى . وقد قال البلعمى فى صراحة : « إن عدالته فاقت عدالة أنوشروان »(١) . وقد اتفق جميع المؤرخين الشرقيين على أنه كان كثير العطف على الضعفاء والمظلومين شديداً على الأشراف والظالمين .

ولكن — فى هذه المصادر كلها — يختلط الحب بالبغض بطريقة فذة تبين أن النسخ العربية الأولى للخداينامة قد ألفت من الروايات المختلفة التى يصور بعضها شعور عامة الناس وبعضها الآخر يمثل الاتجاه الذى ساد عند الأشراف ورجال الدين . وهكذا يقول الطبرى(٢) ، رواية عن هشام بن محمد ، « إن هرمزد كان كثير الأدب ، ذا نية فى الإحسان إلى الضعفاء والمساكين والحمل على الأشراف فعادوه وأبغضوه وكان فى نفسه مثل ذلك » . ثم يلى ذلك قصتان قد ذكرهما معظم مؤرخى العرب والفرس وكلتاهما تبين عدالته الصارمة التى لا استثناء فيها لأحد . ثم يعطينا

---

(١) ترجمة زوتنبرج ، (٢) ، ص ٢٤٦ .

(٢) ص ٩٨٨ ؛ نولدكه ، ٢٦٤ .

الطبرى بعد هذا صورة من أخلاق هرمزد نقلا عن مصدر آخر[١] : « وقيل إن هرمزد كان مظفراً منصوراً لا يمد يده إلى شىء إلا ناله ، وكان مع ذلك أديباً أريباً داهياً ردىء النية قد نزعه أخواله الأتراك[٢] ، وكان مقصياً للأشراف ، وإنه قتل من العلماء وأهل البيوتات والشرف ثلاثة عشر ألف رجل وستمائة رجل ، وإنه لم يكن له رأى إلا فى تألف السفلة واستصلاحهم ، وإنه حبس ناساً كثيرين من العظماء وأسقطهم وحط مراتبهم ودرجاتهم وجهز الجنود وقصر بالأساورة » . وجوهر القصتين واحد ، ولكن الروح فيهما متفاوت ، وليس فى القصة الأخيرة شىء عن عدالة الملك .

والكتاب البيزنطيون[٣] ، الذين لا يرون فى هرمزد سوى عدو الإمبراطور ، لا يعرفونه إلا من ناحيته السيئة فيصفونه بأنه ظالم مدع سيء الحكم قاس على الرعية . وأما نصارى إيران ، فهم على العكس قد حفظوا لهذا الملك ذكرى حسنة ، فإنه هو الذى أجاب عدوان الهرابذة على النصارى بقوله : « إنه كما أنه لا قوام لسرير ملكنا بقائمتيه المقدمتين دون قائمتيه المؤخرتين فكذلك لا قوام لملكنا ولا ثبات له مع استفسادنا مَن فى بلادنا من النصارى وأهل سائر الملل المخالفة لنا ؛ فاقصروا عن البغى على النصارى وواظبوا على أعمال البر ، ليرى ذلك النصارى وغيرهم من أهل الملل فيحمدوكم عليه وتتوق أنفسهم إلى ملتكم[٤] » . وقد كان عيشوعيه ، الذى عين جاثليقاً برضا الملك ، مقرباً جداً عنده ، وكان يؤدى إليه خدمات طيبة إذ يوقفه على حركات البيزنطيين[٥] .

والواقع أن هرمزد كان يتبع سياسة أبيه ، ولكن مع حيطة واعتدال أقل مما كان يفعل أبوه . وقد عرضه تسامحه فى أمور الدين لحقد رجال الدين الزردشتى ،

---

(١) ص ٩٩٠ ؛ نولدكه ، ص ٢٦٧ وما بعدها .

(٢) كانت أم هرمزد بنت خاقان الترك التى تزوجها كسرى ، انظر ص٣٦٤ ملحوظة ٢

(٣) ميناندر وتيوفيلاكت .

(٤) الطبرى ، ص ٩٩١ ؛ نولدكه ، ص ٢٦٨ .

(٥) لابورت ، ص ٢٠١ .

ولكن لا يظهر أن هؤلاء قد لعبوا دوراً ملحوظا فى الثورة التى انتهت بحرمانه من العرش ثم قتله . فإن الموابذة لم يسترجعوا ما كان لهم من قوة . ولكن عداوة الأشراف التى عرف كسرى كيف يكبح جماحها ، مع إرضاء كبريائها ، كانت شؤماً على هرمزد . وتذكر المصادر الشرقية أسماء كثير من الوزراء وغيرهم من العظماء الذين قتلهم ، ومنهم الموبذان موبذ زردشت . وقد ظن الناس ، وقد سمع بهذا تيوفيلاكت من قبل ، كما رواه الكتاب الشرقيون روايات أكثر تفصيلا ، أنه قسا على العظماء لأنه نبئ بأنه سيفقد العرش والحياة فى ثورة منهم عليه . وقد كان يعوزه عظمة أبيه ، وما يكون للشخصيات الفذة التى تفرض الاحترام والطاعة فى جميع الظروف . وأخيراً فإن الاضطرابات التى سقط فيها عرش هرمزد كانت رد الفعل للنظام الحربى الذى ابتدعه أنوشروان . فإن هذا النظام ، فى الواقع ، كان قاضياً على الدولة بتوليده للفتن المتوالية التى كانت الثورة على هرمزد مقدمة لها .

وحينما ولى هرمزد العرش كانت مفاوضات السلم تدور بين بيزنطة وإيران ، فعمل الملك الجديد على إخفاقها ، ثم تجددت سنة ٥٨١ على غير طائل ، واستؤنفت الحرب ، ولكن القواد الإيرانيين لم يكونوا مظفرين . كان أكفأهم بهرام الملقب بچوبين (الرجل الخشبى) ؛ ولد فى الرى ، وهو ابن بهرام گشنسپ من أسرة مهران ، كان قائداً مشهوراً محبوباً من جنده ، طموحاً مغروراً كسائر أصحاب الإقطاع فى الأزمنة القديمة . وقد عهد إليه بالقيادة العليا فى الحرب ضد بيزنطة بعد أن انتصر على الأقوام التى كانت تهدد الحدود الشمالية والشرقية وعلى الترك(١) ، ولكنه منى بالهزيمة فانتزع هرمزد القيادة منه بطريقة مهينة ، وحينئذ رفع بهرام ، وكان واثقاً من جنده ، علم الثورة ، وقد بث هذا الحادث التمرد فى البلاد كلها والتذمر . وقد نجح بسطام ، من أسرة اسپهبذ ، وصهر البيت المالك (كان خالا لولى العهد ، كسرى) ، فى تخليص أخيه بندويه ، الذى سجنه الملك لأنه كان معارضاً لسياسته ، ودخل الأخوان القصر الملكى فخلعا الملك وألقياه فى السجن . ثم إن الثوار سملوا

---

(١) انظر ماركارت ، Iranšahr ، ص ٦٥ و ٨٣ — ٨٤ .

عينيه ونصبوا ابنه كسرى الثانى ملكا ، وهو الملقب پرويز (المظفر[1]) ، وقد غادر آزربيجان حيث كان مع جيشه مسرعا إلى المدائن ليضع التاج على رأسه وكان ذلك عام ٥٩٠ . وقد قتل هرمزد بعد ذلك بقليل ، إما بأمر كسرى كما يدعى تيوفيلاكت أو برضائه الضمنى .

ولكن بهرام چوبين لم يكن مستعداً لمبايعة الملك الجديد ، فإنه نفسه كان يطمع فى العرش . وقد أدعت أسرة مهران نسبتها إلى الأشكانيين ؛ وقد اعتمد بهرام چوبين على دعاوى أسرته القديمة وتجرأ على المطالبة بالعرش ، وهو مطلب لم يُسمع به فى أثناء حكم الساسانيين من قبل . وقد ولى كسرى فراراً أمام قوات بهرام المتفوقة . ودخل بهرام مظفراً إلى العاصمة فوضع التاج على مفرقه رغم معارضة لفيف من العظماء ، ثم سك النقود باسمه ، بينما كان كسرى يعبر الحدود البيزنطية ويحتمى بالإمبراطور موريق (موريس) .

وقد كان عهد بهرام چوبين العابر (بهرام السادس) سلسلة من الاضطرابات والمعارك . فقد كان رجال الدين خصوماً له وكذلك كان عدد كبير من العظماء الذين لم يريدوا المبايعة لمغتصب من طبقتهم أنفسهم . ولسنا نعرف ماذا كان شعور عامة الإيرانيين . وأما اليهود فقد رأوا فيه حامياً يرعاهم فأمدوه بالمال . وقد خلص جماعة من العظماء بندويه الذى كان سجينا ، ودبرت فتنة ضد بهرام . ولكن المؤامرة فشلت ، وقتل زعماؤها ، وهرب بندويه إلى آزربيجان حيث كان أخوه بسطام يقوم بدعوة ناجحة لكسرى .

وقد عمل الإمبراطور موريق على مناصرة كسرى وأمده بالعون الحربى على أن ينزل له كسرى عن مدينتى دارا وميافارقين . وكان الروم قد استولوا عليهما فى الحرب . وقد أدى هذا التحول فى مجرى الحوادث إلى الأثر المطلوب : فإن كثيراً من العظماء الذين كانوا يؤيدون بهرام حتى ذلك الوقت قد انفضوا من حوله . وبعد معارك عنيفة هزمت قوات حربية من الروم والأرمن يقودهم موشل ومن كان قد انضم إلى كسرى من الإيرانيين ، هزمت بهرام قرب جنزك فى آزربيجان وألجأته

---

(١) پرويز بالفارسية .

إلى الفرار . وقد نجح فى أن يلجأ آمناً إلى بلاد الترك ، حيث قتل بعد زمن قليل ، ولعل كسرى يداً فى مقتله(١) وقد تركت حياة بهرام چوبين المليئه بالمخاطرات أثراً قويا فى روح الفرس ، وأمدتهم بمادة لقصة شعبية بهلوية يفيدنا بتفصيلها المؤرخون من العرب والفرس كما جاء ذكرها فى شاهنامة الفردوسى(٢) ومؤلف هذه القصة ، الذى لا يعرف اسمه ، قد وفق فى تأدية المأساة الهائلة المليئة بالمآسى لهذا الرجل الفذ الذى يبدو أنه لم يكن محارباً عظيما فحسب ، بل كان أيضاً شخصية قد وهبت خير الصفات الإنسانية(٣).

ولم يكن المرابذة سعداء بعودة كسرى إلى العرش ، فإنه قد تأثر أثناء إقامته فى الإمبراطورية الرومانية ومال إلى الإيمان بجميع أنواع الأوهام والخرافات المسيحية ، وقد لبث على هذه الميول تصرفه إليه امرأة نصرانية اختصها بحبه هى شيرين . وفى الوقت نفسه لم يكن الخطر الذى يهدد عرش كسرى من ناحية العظماء بعيداً . وقد وقع سخط الملك على الرجلين اللذين ساعداه فى استرداد التاج ، وهما بندويه وبسطام وكان قد كافأهما بمناصب عظيمة ، فنصب بسطام ، حسب مايقول المؤرخون الشرقيون



٤٢ . من نقود كسرى الثانى
(مجموعة المؤلف)

والياً على خراسان وما جاورها . ولكن كسرى لم ينس أن هذين الأخوين قد ثارا على أبيه وكان يخشى أن يتكرر المثل الذى ضرباه يوما ما . فقتل بندويه متلمسا لذلك

(١) المصدر الرئيسى لهذه الحوادث هو كتاب تاريخ تيوفيلاكت . أما كتاب التاريخ السريانى المسمى L' anonyme de Guidi فهو غاية فى الاختصار (انظر هنا ، ص ٦٨) .

(٢) أول من لفت النظر لهذه القصة هو نولدكه (Tabari ، ص ٤٧٤ وما بعدها) وقد حاولت تقويم نقطها الأساسية فى بحث باللغة الدانمركية Studier fra Sprog-og Oldtidsforskning ، رقم ٧٥) .

(٣) قارن الخاتمة .

علا ، حينئذ ثار بسطام ، الذى كان ينتظره مصير أخيه ، واستقل فى ولايته ثم نادى بنفسه ملكا عليها محتذيا حذو بهرام چوبين . وقد استطاع أن يناهض الملك الشرعى عشر سنوات تباعا يؤازره إبانها فرق من الديالمة وجماعة من المحاربين الذين كانوا جنداً لبهرام چوبين ؛ ودليل ذلك ما بقى من النقود التى صدرت باسمه فى ذلك الوقت ؛ وقد بلغ من قوته أن أخضع إليه ملكين كوشانيين هما شاوَگ وپريوگ(١) . وقد فزع كسرى حين سمع بأمر هذا العصيان فشجعه وواساه الأسقف صَبْر يَشُوع فلما غُلب بسطام فى نهاية الأمر بعد معارك ودسائس ، ليس لدينا عنها تفاصيل مؤكدة(٢)، نصب كسرى هذا الأسقف جاثليقا بعد عيشوييه الذى وافته المنية(٣)



٤٣ ، من نقود بسطام
(مجموعة المؤلف)

وبعد سنوات اتخذ كسرى من مقتل الإمبراطور موريق على يد فوكاس ذريعة لبدء حرب جديدة مع بيزنطة . وقد طرد هرقل فوكاس ، ولكن الحرب استمرت . وغزا قواد الفرس جهات فى آسيا الصغرى واستولوا على الرها وأنطاكية ودمشق ثم بيت المقدس حيث انتزعوا « الصليب » وبعثوا به إلى المدائن(٤)، ثم استولوا على

(١) انظر ماركارت ، Eranšahr ، ص ٦٥ و ٨٣ — ٨٤ .

(٢) تقول القصة إن كردية أخت بهرام هى التى قتلته ، وكان قد اتخذها زوجا له وقد تزوجت بعد ذلك كسرى الثانى . أما عن ثورة بسطام فانظر نولدكه ، Tabari ، ص ٤٧٨ وما بعدها .

(٣) نولدكه ، Tabari ، ص ٤٧٨ وما بعدها ؛ لابورت ، ص ٢٠٩ وما بعدها .

(٤) نشر پول پيترز النص العربى لرواية نصرانية عن سقوط بيت المقدس فى يد الفرس سنة ٦١٤ ، وذلك فى الجزء التاسع ، القسم الأول من Mélanges de l'Université Saint-Joseph de Beyrouth ، (بيروت ١٩٣٢) .

الإسكندرية وأجزاء أخرى من مصر ، هذه البلاد التي لم تتبع إيران منذ أيام الأكمينيين . وفي ذلك الوقت ، حوالي سنة ٦١٥ ، بلغت قوة كسرى أوجها . وقد صد الأرمني سمبات بجرتوني هجمات ملك الكوشانيين على الحدود الشرقية ، وهو من أصل هيطلي وكان تابعاً لخاقان الترك ، وقتله[١]. وقد اعترف بسيادة كسرى جزء من شمال غربي الهند ، وهو ما تبينه النقود التي عثر عليها في ذلك الإقليم[٢].

وكان أعظم قواد الجيش الإيراني شاهين بهمن زادگان ، پاذگوسپان الغرب وفرخان الذي يسمونه رومیزان[٣] والذي يلقب بلقب شهر براز (خنزير الدولة)[٤]. وقد قام شاهين بغزوات في آسيا الصغرى واستولى على كالسدون المواجهة للقسطنطينية ، ثم مات ولعله قتل بأمر من كسرى[٥]. وأما شهر براز الذي فتح المدن الكبرى في سوريا وبيت المقدس فإنه ضرب حصاراً على القسطنطينية ولكنه لم يكن يملك الوسائل لنقل عسكره إلى الساحل الأوربي للبسفور .

وقد أوقف هرقل ، آخر الأمر ، الزحف المظفر الذي قامت به جيوش الفرس فاستعاد آسيا الصغرى ، وتقدم طارداً جيوش كسرى في أرمينية وآزربيجان واستولى سنة ٦٢٣ و ٦٢٤ على مدينة جنزك Ganzak ، حيث ضرب بيت نار آذر گشنسپ . فهرب منه كسرى حاملا النار المقدسة . وفي السنوات التالية استولى الخزر ، وهم قوم من أصل تركي كانوا قد استقروا في القوقاز في النصف الأخير من القرن السادس على دربند وتحالفوا مع الإمبراطور[٦]. ثم غزا هذا وادي دجلة واستولى سنة ٦٢٨ على قصر الملك في دستگرد واستعد لحصار المدائن . وقد غادر كسرى العاصمة

---

(١) ماركارت ، Eranšahr ، ص ٦٦ وما بعدها .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٣ .

(٣) Anonyme de Guidi ، ترجمة نولدكه ، ص ٢٤ ، ملحوظة ٤ .

(٤) يظهر أن روايات قصصية عن مآثر هذين القائدين كانت نواة للقصة العربية « عمر النعمان وأبنائه » التي أدخلت في « ألف ليلة وليلة » ؟ انظر جريجوار ، Héros épiques méconnus ، (٢) ، ١٩٣٣ — ٣٤ ، بروكسل ١٩٣٤ .

(٥) يوستي GIPh ، (٢) ، ص ٥٤٣ .

(٦) ماركارت ، Eranšahr ، ص ١٠٧ .

ليأمن على نفسه ولكنه لقى حتفه بعد ذلك بقليل ، فى ثورة سنعود إلى ذكرها بعد حين .

هذا هو إجمال ما جرى من حوادث أيام كسرى الثانى ، الملك الذى سمى نفسه « الرجل الخالد بين الآلهة ، والإله العظيم جدا بين الرجال ، صاحب الصيت الذائع الذى يصحو مع الشمس والذى يهب عينيه لليل »(١) . وأحيط الملك حيناً بجلال لم يبلغه ملك من قبله . ومن أجل هذا امتدحته رواية ذكرها الطبرى بقولها(٢) : « كان من أشد ملوكهم بطشاً وأنفذهم رأيا وأبعدهم غوراً وبلغ فيما ذكر من البأس والنجدة والنصر والظفر وجمع الأموال والكنوز ومساعدة القدر مساعدة الدهر إياه ما لم يتهيأ لملك أكثر منه ، ولذلك سمى ابرويز وتفسيره بالعربية المظفر »

ومع ذلك فإنه يشك فى جدارته بما اشتهر به من الشجاعة ، فقد أعطى قليلا من الأدلة على شجاعته ، فإنه لم يؤيد هذه الشهرة فى حروبه مع بهرام چوبين تأييداً قويا ، ومنذ ارتقى أريكة الملك لم يعرض نفسه لخطر الحروب التى امتلأ بها حكمه . وأما نفاذ رأيه فكان على الأرجح نوعا من المكايد الماكرة مكنته من انتهاز الفرصة للتخلص ممن يظن فيهم خطراً عليه . ذلك أنه قد فهم جيداً أن اتساع سلطانه إن توقف على النظام الحربى الذى سنه كسرى الأول فإن هذا النظام يخفى وراءه المخاطر التى تهدد المُلك . ومن قبل كان أصحاب الإقطاع من العظماء يعزلون ملوكا ليولوا بدلهم من يرضونهم من أمراء آل ساسان ؛ ولكن منذ أيام هرمزد الرابع ، بدأ القواد ، الذين كان لهم جيوش دائمة سيارة ، بدءوا يطمحون هم أيضاً إلى بلوغ العرش . وقد بدأ بهرام چوبين المحاولة ، ثم كان دور بسطام .

والواقع أن الروايات الإيرانية التى حفظ الطبرى ما بينها من تفاوت بدقة ، تكمل صورة كسرى الثانى مضيفاً إليها بعض الخصائص الأخرى : وكان كسرى قد طغى « لكثرة ما جمع من الأموال وأنواع الجوهر والأمتعة والكراع وافتتح من بلاد العدو وساعده من الأمور ورزق من مواتاته وبطر وشره شرهاً فاسداً وحسد

(١) تيوفيلاكت ، (٤) ، ٨ .

(٢) الطبرى ، ص ٩٩٥ ؛ نولدكه ، Tabari ، ص ٢٧٥ .

الناس على ما بأيديهم من الأموال فولى جباية البقايا علجاً من أهل قرية تدعى خندق من طسوج بهر سير يقال له فرّخ زاد بن سمى ، فسام الناس سوء العـذاب وظلمهم واعتـدى عليهم وغصبهم أموالهم فى غير حله بسبب بقايا الخراج ، واستفسد بذلك وضيق عليهم المعاش وبغض إليهم كسرى وملـكه »[١] . « وأن كسرى احتقر الناس واستخف بما لا يستخف به الملك الرشيد الحـازم ، وبلغ من عتوه وجرأته على الله أنه أمر رجلا كان على حرس بابه الخاصة يقال له زادان فرّخ أن يقتـل كل مقيد فى سجن من سجونه ، فأحصـوا فبلغوا ستة وثلاثين ألفا[٢] ، فلم يقدم زادان فرّخ على قتلهم وتقدم لتأخير ما أمر به كسرى فيهم لعلل أعدها له » ، وعلاوة على هذا فإن كسرى قد أجمع على قتل الفل الذين انصرفوا إليه من قبل هرقل[٣] .

وإن كان هرمزد الرابع قد قسا على العظماء وعطف على الشعب ، فإن كسرى قد ظلم الشعب ليملأ خزائنه كما أنه لم يرع العظماء أيضا . كان حقوداً شـديد الشك ينتهز الفرص ليقتل من يشك فيه من الذين أخلصوا فى خدمته . وقد رأينا أنه تخلى عن بندويه وبسطام وأن هذا الأخير قد كبده كثيراً من المشقات . ثم إنه بعد ذلك أتى دور مردانشاه ، پاذ گوسپان نيمروز وأحد خدامه المخلصين . والقصة تروى أن كسرى قد اتهم مردانشاه وتخوف ناحيته بعد ما سمع من منجميه وكهانه عن عاقبة أمره إذ أخبروه أن منيته آتية من قِبـل نيمروز . وقد أجال الرأى فى علة ليقتله بها فلم يجد له عثرة وتذمم من قتله لما علم من طاعته إياه ونصيحته له وتحريه مرضاته ، فرأى أن يستبقيه ويأمر بقطع يمينه ، ثم بعد أن يحرمه من شـغل أعظم مناصب الدولة ، يعوضه منها أموالا عظيمة ؛ ولـكن مردانشاه استحلف الملك أن يجيب طلبه والتمس منه أن يأمر بضرب عنقه ليمحى بذلك العار الذى لزمه ، فأمر كسرى

(١) الطبرى ، ص ١٠٤١ ؛ نولدكه ، ص ٣٥٢ .

(٢) من العبث أن نقرر أن هـذا العدد ، كعدد الرجال الممتازين الذين قتلهم هرمزد الرابع حسب رواية ، الطبرى انظر هنا ص ٤٢٦ ، خيالى . وزادان فرّخ قد يكون هو نفسه فرخ زاذ .

(٣) الطبرى ، ص ١٠٤٣ ؛ نولدكه ، ٣٥٦ .

فضربت عنقه . والمحقق أن كسرى قتل مردانشاه وأصبح عدواً لدوداً لولده مهر — هرمزد أو نيو — هرمزد(١) .

وهذا هو عظيم آخر لقى نفس المصير ، يزدين النصرانى . وتاريخ هذا الرجل صورة من الخلق طريفة . كانت أسرته ، وهى من أصل سريانى ، تملك أراضى واسعة فى كرخا بيت سلوق ، كركوك الحالية ، ويبدو أنها كانت تشغل منصبا كبيراً فى الإدارة المالية(٢) . وقد بلغ يزدين هذا منصب واستريوشانسالار فكان عليه تسلم العشور ، واصطحاب العسكر فى الحروب لمراعاة مصالح الخزانة فى الغنائم وتحصيل الخراج . ويقال إنه كان يصدر للخزانة ألف قطعة ذهبية كل يوم(٣) . وكان يدافع بحماس لا يقل حرارة عن قضية النصارى ؛ وكذلك فإن الكتاب المسيحيين قد تناسوا ما حابى نفسه به من مزايا مادحين عطفه عليهم وشدة تدينه . وقد وهب هبة عظيمة لصومعة أنشأتها شيرين أثيرة الملك النصرانية(٤) ، ثم إنه « شيد فى جميع البلاد الكنائس والأديرة على صورة بيت المقدس السماوى ؛ وقد كان محبوباً من كسرى كما أحب فرعون يوسف ، بل أكثر منه »(٥) . وحينما غزا الفرس بيت المقدس أرسل يزدين إلى المدائن غنائم عظيمة ، وكان من أنفس الآثار عند النصارى جزء من الصليب المقدس ، وقد أودعه الملك مع عظيم الاحترام فى بيت المال الجديد الذى أنشأ له بناء فى العاصمة . وقد صلب يهود القدس الذين اغتنموا الفرصة للانتقام من النصارى فأشعلوا النار فى الكنائس ، كما صودرت أملاكهم بأمر من الملك وبمشورة يزدين الذى أقام بعض ما تهدم من الكنائس(٦) .

---

(١) الطبرى ، ص ١٠٥٨ وما بعدها ؛ نولدكه ، ص ٣٧٩ وما بعدها ؛ Anonyme de Guidi ، نولدكه ، ص ٢٩ .

(٢) نولدكه ، Tabari ، ص ٣٨٤ ، الملحوظة .

(٣) Anonyme de Guidi ، ترجمة نولدكه ، ص ٢٢ .

(٤) Assem ، (٣) ، (١) ، ٤٧١ ؛ نولدكه ، Tabari ، ص ٣٠٨ الملحوظة .

(٥) Anonyme de Guidi ، نولدكه ، ص ٢٢ .

(٦) المرجع نفسه ، ص ٢٤ وما بعدها .

ولـكن العطف الذى تمتع به الواستريو شانسالار لم يدم . ولا نعلم أسباب الغضب عليه ، ولـكن حينما كانت جيوش هرقل تغزو الأقاليم الغربيـة أمر كسرى بقتل يزدين وبتعذيب زوجه ، ولا شك أنها عذبت لتخبر أين خبأ زوجها كنوزه التى جمعها بالحق وبالباطل[١] .

وقد كان النعمان الثالث ، ملك عرب الحيرة الذى اعتنق المسيحية ، فريسة لمزاج كسرى الحقود . وقد قيل إنه رفض مصاحبة كسرى حين كان هاربا أمام بهرام چوبين وأنه أبى أن يزوجه من بنته ، وفيما بين سنتى ٥٩٥ و ٦٠٤ سجنه كسرى ثم قتله ، وانتزع حينئذ مملكة الحيرة من أسرة اللخميين ليعهد بها إلى إياس من قبيلة طيء وأقام بجانبه رقيباً من الفرس ، يعرف فى التاريخ بلقب نخويرگان[٢].وكانت قساوة قلب كسرى يخففها أحياناً مرح مشئوم . يقول الثعالبى[٣]: رفع إليه أن بعض العمال استدعى إلى الباب فتثاقل عن الإجابة فوقع « إن ثقل عليه المصير إلينا بكله فإنا نقنع منه ببعضه ونخفف عنه المؤونة فليحمل رأسه إلى الباب دون جسده »

وقد ذكر مؤرخو العرب روايات كثيرة عما كان بين كسرى وقائده شهربراز من عداء خفى . يروى الجاحظ[٤] أن كسرى قد أرسل إلى شهر براز ، أثناء محاربته لملك الروم ، ثلاثة كتب ظهر منها نية القتل ، فامتنع عن الحضور إليه وانضم لملك الروم ، وحارب معـه ، ورسم له الطريق إلى النهروان . فدعا كسرى رجلا من النصارى كان جد كسرى قد أنعم على جده واستنقذه من القتل أيام مزدك[٥] . وكان من أصحابه الذين استجابوا له ، وأرسل كسرى هذا النصرانى إلى شهر براز بعصا

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٣٠ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٣ — ١٥ ، والملحوظة ٢ ص ١٥ ؛ والطبرى ، ص ١٠١٥ وما بعدها ؛ نولدكه ، ص ٣١١ وما بعدها ؛ روذشتين ، ص ١٠٧ وما بعدها .

(٣) ص ٦٨٩ .

(٤) التاج ، ص ١٨٠ ؛ وهناك إشارة إلى هذه القصة فى المسعودى ، مروج ، (٢) ، ص ٢٢٧ .

(٥) تصحيح لنص الجاحظ الذى يقول : مانى .

بجوفة فيها رسالة كلف بها شهر براز بحرق دار ملك الروم وقتل المقاتلة وسبي الذرية ونهب الأموال . ومضى النصراني[١] فلما عبر النهروان سمع أجراس الكنائس[٢] تدق فعز عليه أن يعين ملك الفرس على ملك الروم المسيحي فأتى بابه وأخبره بقصته ثم دفع إليه العصا ، فغضب الملك وحسب أن شهربراز قد خدعه فنادى الناس بالرحيل وخرج لايلوى على شيء ، وقد علم كسرى بهذا الانصراف وأدرك أنه نجا من خصم عنيد[٣] .

وكان الجشع أبرز صفات كسرى الثاني النفسية . ففي الثماني والثلاثين سنة التي حكمها جمع بكل ما استطاع من وسائل أموالا ضخمة صرف معظمها عن المنفعة العامة ليجمعها في خزائنه . ففي السنة الثامنة عشرة من حكمه (٦٠٧ — ٨) كانت الخزائن التي نقلها الملك إلى بيت المال الجديد بالمدائن ، تحوى حوالى ثمانية وستين وأربعمائة مليون مثقال من الدراهم[٤] ، وهو مايوازى خمسة وسبعين وثلثمائة مليون فرنك من الذهب ، على فرض أن وزن المثقال يساوى الدرهم الساسانى ، ويضاف إلى هذا مقادير هائلة من الجواهر والكسى التي كان معظمها مما فرض على الناس

---

(١) أسقف تابع لإيران فيما يقول المسعودى .

(٢) يستخدم نصارى الشرق نواقيس من الخشب بدلا من أجراس النحاس ، وذلك لدعوة الناس إلى الصلاة .

(٣) هناك قصص أخرى عن كسرى وشهربراز في الطبرى ، ص ١٠٠٨ — ٩ ؛ نولدكه ، ص ٣٠١ — ٣ ؛ البيهقى ، ص ١٣٦ وما بعدها . وقد كان بين الملك وقائده الكبير نزاع نجهل تفاصيله ، وقد انتهى هذا النزاع بتمرد شهربراز ، وسنتحدث عنه فيما بعد . وقد نصب كسرى رجلا يمتحن به من فسدت نيته وطعن في المملكة ، فكان الرجل يظهر التأله والدعاء إلى التخلى من الدنيا والرغبة في الآخرة وترك أبواب الملوك . وكان يقص على الناس ويبكيهم ويشوب في خلال ذلك كلامه بالتعريض بذم الملك وتركه شرائع ملته وسنن دينه ونواميس آبائه . فكان الطاعن على الملك والمملكة يكثر الخلوة بهذا الرجل ، فإذا اكتشف أمره وجهه كسرى إلى بعض البلدان وكتب إلى عامله ليقتله . (الجاحظ ، التاج ص ٩٨ — ٩٩) . وفي كتب الأدب العربية قصص عن كسرى الثانى يشك كثيراً في صحة نسبتها إليه ، فنها كتاب البيهقى ، ص ١٥٥ وما بعدها و ٤٩٠ ، وكتاب المحاسن والمساوئ المنسوب للجاحظ ، لشرڤان ڤولتن ، ص ٢١ .

(٤) منها ٤٨ مليونا (في ١٢٫٠٠٠ كيس في كل واحد ٤٠٠٠ مثقال) وهى النقود التي سكت في عهدى فيروز وقباد .

من خراج استثنائى(١) . وقد جاء فى الرسالة التى كتبها كسرى بنفسه بعد عزله ، والتى سنتحدث عنها بعد حين ، إن محتويات بيت المال كانت أكثر مما ذكرنا : فبعد السنة الثالثة عشرة كان فى بيت المال ثمانمائة مليون مثقال من الدراهم ، وفى السنة الثلاثين ، على رغم الحروب الطويلة وتكاليفها ، كان به ستمائة وألف مثقال أو ما يساوى قيمة ثلاثمائة وألف من الفرنكات الذهبية (وهذا عدا غنائم الحرب) وهذه الزيادة الأخيرة كانت نتيجة اجتباء بقايا السنين وما انتهب من بيوت أموال الملك من ذهب وفضة ومن خزائنه من جوهر أو نحاس وردّ ذلك كله إلى موضعه(٢) .

وبالجملة نرى الصورة التى تكشف عنها روايات المصادر المختلفة عن كسرى پرويز وأقواله وأفعاله لا تجعله محبباً إلى نفوسنا . وإنه لمن الصعب أن نكشف عن مميزات فى صورة هذا الملك الحقود ، المرائى ، الجشع ، الرعديد . ولكن كسرى مع جشعه لم يكن بخيلا ، وذلك حين يكون بذل المال لإبراز عظمة الدولة أو مجد الملك أو ليفتن الناس بإظهار ترف لم يسمعوا به من قبل . وأكوام الذهب والفضة والجواهر التى ملأت خزائنه لا تبين تماماً المظالم التى استغل بها بؤس رعيته ، ولكن يجب أن نضيف إليها الأموال الطائلة التى كان ينفقها الملك على ملذاته وبلاطه فإن هذه الأبهة وحدها هى التى تجعل لعهد كسرى پرويز قيمة خاصة ، وقد كان لها أثر لا ينسى فى نفوس معاصريه . والواقع أن معظم الروايات المفصلة عن عظمة البلاط الساسانى والتى يذكرها المؤرخون القدماء من العرب والفرس والتى أخذت عن مصادر ساسانية ، تعنى عصر كسرى الثانى . فإذا أضفنا إلى هذه الروايات المنظر الذى نقشه كسرى على صخور طاق البستان تكونت لدينا صورة حية للغاية عن هذا العهد الذى هو آخر عصور الازدهار فى المدنية الساسانية .

ولم يزر كسرى المدائن منذ حوالى سنة ٦٠٤ حتى زمن غزو هرقل سنة ٦٢٧ — ٢٨ ، وذلك لأن المنجمين والعافة نبأوه بأنها شؤم عليه . إنما كانت إقامته المحببة

(١) الطبرى ، ص ١٠٤٢ ؛ نولدكه ، ص ٣٥٤ — ٥٦ .
(٢) الطبرى ، ص ١٠٥٧ ؛ نولدكه ، ص ٣٧٧ .

إلى نفسه فى قصر دستكرد[١]، أو دستكرد — خسرو ، الدسكرة أو دسكرة الملك عند الكتاب العرب ، التى تقع على الطريق الحربى الواسع الذى يذهب من المدائن إلى همدان ، على مسافة نحو سبعة ومائة كيلومتر شمال شرقى العاصمة ، بالقرب من المدينة القديمة إرتاميتا[٢] وقد دحض هرتسفيلد أدلة من ذهب من الكتاب العرب[٣] إلى القول بأن هرمزد الأول هو منشىء دستكرد . ومن المحتمل أن تكون المدينة والقصر كانا قائمين قبل كسرى الثانى ، ولكن على كل حال لم يفضل ملوك الساسانيين الإقامة فى العراق إلا منذ عهد كسرى الأول ، وخاصة فى الأقاليم الواقعة بين المدائن وحلوان[٤] . وقد وصف هرتسفيلد خرائب دستكرد التى تسمى الآن « زندان » أى السجن[٥] . وكان السور المحيط بالمدينة والمشيد من الآجر الأحمر قائماً كله أيام الجغرافى العربى ابن رسته (حوالى سنة ٩٠٣ م) وأما اليوم فلم يبق من هذا السور غير جزء طوله نحو خمسمائة متر مع إثنى عشر برجاً فى حالة حسنة وأربعة مهدمة . ويقول هرتسفيلد إن سور دستكرد قد يكون أمتن الأسوار المشيدة من الآجر التى بقيت فى آسيا الغربية ، مع استثناء سور واحد هو سور نبوختنصر . وأما داخل القصر فكان خلواً من الخرائب منذ أيام ابن رسته وهذا مايفسره تخريب المدينة بأسرها ومعها القصر على يد هرقل الذى أراد أن ينتقم بهذه الطريقة من اكتساح الجيوش الفارسية للأراضى البيزنطية .

وبعد هذا نجد على الطريق الحربى بين خانقين وحلوان خرائب قصر آخر ، كان له شأن فى التاريخ لعله كان أيام كسرى الثانى . وتحمل الجهة اسم «قصر شيرين» ويحتمل أن تكون الرواية التى تجعل هذا المكان مقر شيرين حبيبة كسرى الثانى

(١) انظر جيجر ، WZKM ، ٤٢ ، ص ١٢٣ وما بعدها فى معنى دستكرت ، دستكرد .

(٢) سار — هرتسفيلد ، Archäologische Reise ، (٢) ، ص ٧٦ وما بعدها .

(٣) حمزة وابن قتيبة .

(٤) Archäo. Reise ، (٢) ، ص ٩٣ .

(٥) Iran. Felsreliefs ، ص ٢٣٧ ؛ Archäo. Reise ، ص ٨٩ وما بعدها .

صحيحة . وترى هناك قلعة مربعة تسمى قلعة خسروى (القلعة الخسروانية) ، وقد أحاط بها خندق ، وعليها أبراج مستديرة وجسر من العقود والساحة التى تشرف عليها القلعة تشمل متنزها عظيما تمر المياه فوق حيطانه كما يشمل قصراً صيفياً منيفاً يسمونه اليوم حاجى قلعه سى (قلعة الحاج) وعمارة عظيمة تسمى چهار قاپو (الأبواب الأربعة) ، يظهر أنها كانت تشبه فى تكوينها إلى حد ما قصر المدائن(١) .

وجميع الخرائب المتخلفة عن العمارات الساسانية ، والباقية حتى زماننا ، أبنية ذات قباب . وكذلك وجدت ، وخاصة فى العراق ، بيوت ملكية وقصور من طراز أكثر خفة ، وهى عمارات ذات عمد من خشب ، تكاد تشبه القصر الصفوى ، چهل ستون ، فى إصفهان . ولكن لم يبق شىء من هذه العمارات لأنها شيدت من مواد سريعة التلف(٢). ومع ذلك ففى الوسع أن نأخذ فكرة عنها إذا نظرنا إلى التفاصيل الهندسية لكهف طاق البستان . فبجوار الكهف الذى حفره سابور الثالث فى طاق البستان المشهور(٣)، كهف آخر أكبر حجما نحته كسرى الثانى(٤) (رسم ٤٤) . فالعقد نصف الدائرى الذى يكون مدخل هذا الكهف أنشئ محاكاة لباب قصر من قصور الملوك . وهذا العقد يعتمد على عمودين يمثل ماعليهما من النقوش التى أحكم صنعها ، شجرة ذات غصون دق صفها وقد لفت فى خطوط متموجة واكتست بأوراق الكنكر (شوكة اليهود) ، وتنتهى الشجرة بزهر ملون جميل ؛ وقد تكون ، كما افترض هرتسفيلد ، فسيلة من شجرة الحياة ، هذه الشجرة التى ذكرتها الخرافات البالغة فى القدم ، والتى جاءت فى صور مختلفة فى القصص الدينى عند المزديين ، كشجرة الگوكران والشجرة المسماة « ون يوذبيش » التى تشفى جميع الأمراض . وفوق العمود ، من الجانبين ، يرى متدليا على حافة القبة البارزة جزء من الشريط المثنى الذى يلبسه ملوك الساسانيين . وفى أعلى ، فى زاويتى العقد

---

(١) انظر دى مورجان ، Mission Scientifique en Perse ، (٤) ، ص ٣٤١ وما بعدها ؛ وسار — هرتسفيلد فى Felsreliefs ، ص ٢٣٧ وما بعدها ، واللوحه ٤٩ .

(٢) هرتسفيلد ، باب آسيا ، ص ١٠٨ .

(٣) انظر ص ٢٤٤ من هذا الكتاب .

(٤) باب آسيا ، ص ٩١ وما بعدها ، واللوحات ٣٣ — ٤٠ .

نصف الدائرى ، صورتان يونانيتان فى ملابسهما وهيئتهما لإلهة النصر نيكه (Nicé) وقد مدت كل منهما يدها بتاج النصر ذى الأشرطة الثناة . وفى الوسط ، فوق العقد ، هلال يغرب وقد زين أيضاً بالأشرطة الملكية ، وقد اتجهت حافتاه إلى أعلى[1].



٤٤ . غار كسرى الثانى فى طاق البستان

(هرتسفيلد . باب آسيا)

وقد ازدان الحائط الذى ينتهى به الغار المربع بنقشين كبيرين علاً نه ، على طبقتين (رسم ٤٥) وقد أكمل هذا التنسيق عمودان بارزان على جانبى النقش

(١) نفس المرجع ، ص ١٠٨ .

الأسفل كأنهما يحملان سقف الطابق الثانى . ولهذين العمودين ساقان منقوشان اتصلا برأسيهما بواسطة رباط من أوراق الكرم تحت النقش ، وهما يظهران الباعث على وجود شجرة عمودى الوجهة(1) . وقد أوضحت الدراسات التى قام بها هرتسفيلد



٤٥ . نقشان لكسرى الثانى فى طاق البستان

(هرتسفيلد . باب آسيا)

الصلات التاريخية التى تربط أعمدة طاق البستان ، وهى الأنواع الوحيدة التى بقيت

(١) نفس المرجع ، اللوحة ٤٢ ، ٥٤ ؛ وقارن مورجان ، (٤) ، ص ٣٣٣ وما بعدها .

من أعمدة الساسانيين ، بالأعمدة الخشبية التي نجدها اليوم ، في كردستان خاصة ، والتي حافظت على الرسم المعماري القروي القديم(١).

وأما النقش الأعلى فيمثل منظر التتويج . فالملك الواقف في الوسط يمسك بيده اليمنى التاج المزين بالأشرطة يناوله إياه الإله أوهرمزد الواقف على جانبه الأيسر . وفي الجانب الآخر الإلهة أناهيتا تمد إليه تاجا كذلك . والصور الثلاث ترى مواجهة . وقد لبس الملك فوق رأسه التاج الذي نعرفه من نقود كسرى الثاني : وهو تاج عال يتدلى منه رباطان من اللؤلؤ ، وعلى واجهته هلال ؛ وفي قمته عود عليه جناحا نسر وهو يحمل هلالا من فوق كرة الشمس . وأما ملابس الملك ، وقد زينت بالأشرطة المثناة على الرسم العادي ، فتتكون من ثوب ذي أكمام يتدلى إلى ماتحت الركبتين ، وسروال واسع ومثنى ، وكلها مرصعة بالجواهر ، وأطراف الثوب ، والحمالة ، وغمد السيف ، وكذلك السروال ، مزينة بصفوف كثيرة من اللؤلؤ . وعدا هذا فإن الملك يزين رقبته بعقود من اللؤلؤ ، ورسوم نسيج الثوب تمثل اللآلىء على هيئة قطرات الماء المتساقطة وقد شدت بحلقة . وقد ارتدى الإله أوهرمزد ثوباً طويلا أيضاً ، ولكنه قد اتشح من فوقه بمعطف مفتوح زينت باللآلىء أطرافه . وقد لبس حذاء اختفت رقبته تحت السروال . ولحيته الطويلة المدببة وتاجه ذو الشريط يظهران كأنهما من النقوش القديمة . والمرأة التي وقفت على يمين الملك كشفت عن شخصيتها ، كما رأى هرتسفيلد ، وذلك بالإبريق ذي العروة الذي أمسكته بيدها اليسرى : فإن الإبريق رمز قديم للحياة المقدسة وهي منبع المياه التي تخصب الأرض ، فالمرأة هي أناهيتا ، إلهة المياه . وقد ارتدت فوق الثوب اليوناني الطراز معطفاً عليه رسم النجوم . وتحت التاج ، الذي يشبه تاج أوهرمزد ، تهدل الشعر في أربع ضفائر على الصدر والكتفين ، حسب الطريقة الشائعة عند النساء أيام الساسانيين(٢).

والنقش كله فيه شيء من الجمود والصلابة ، يظن الناظر إليه معها أنه يرى صور

(١) نفس المرجع ، ص ١٠٤ .

(٢) باب آسيا ، ص ٩٢ واللوحة ٤٢ و ٤٤ .

تماثيل ، أو نقوشا أخذت عن نماذج مصورة(١). وفي هذا ، كما رأى هرتسفيلد ، علامة مميزة لفن النقش الماثل على جدران كهف كسرى الثاني : فإن النقش البارز فيه كأنه رسم صور على الصخر(٢) .

ولسوء الحظ لم يتخلف من الرسم الساساني غير آثار قليلة جداً . وفي دختر — نوشيروان من ضواحي خُلم ، شرقي بلخ ، وجد على جوانب طاق صغير حفر في الصخر بقايا رسم دارسة ، وهي تمثل أميراً ساسانياً يلي أمارات أقاليم الشرق ، وقد جلس على عرش أقيم بين الأعمدة . وهذا الرسم يذكرنا بالنقوش الساسانية البارزة ، كما أن تفاصيله تبين في الوقت نفسه طراز الرسم البوذي في آسيا الوسطى(٣). وأخيراً اكتشفت ، من بين حفائر المدائن الأخيرة ، رسوم جيرية على الحائط من أيام الساسانيين لرجال لم يبق منها غير الرؤوس « أما الألوان فتتكون عادة من الأصفر والأحمر المغمر ويضاف إلى هذين اللونين الأحمر المفوه النضر ، والأزرق السماوي والأسود وهي الألوان التي تستعمل بمهارة فائقة لتزيين الحواشي » .(٤)

وبالجزء الأسفل من الحائط الذي ينتهي به هذا الكهف صورة منقوشة بارزة بروزاً عالياً — ولكنها لسوء الحظ تالفة فقد حطمها تعصب المسلمين — ظهر فيها كسرى الثاني ممتطياً جواداً وقد لبس لباس الحرب . وقد وضع الملك فوق رأسه خوذة علاها التاج المجنح مع الكرة والهلال (وقد كسرت الأجنحة حتى لاتعرف) ، وعليه درع من حلق الحديد ، يصل حتى الخوذة ويخفي وجه الملك ويغطي ، في مرونة ، جسده حتى الفخذين ، وقد ظهرت من تحته الملابس الحريرية التي رسم عليها الهيبوكامپ (سمكة على شكل فرس) . وقد مد بيمينه ، التي اختفت على أثر تحطيم المسلمين الذين يبغضون الصور ، الحربة التي استندت إلى كتفه ، وأمسك في يسراه

---

(١) Am Tor ، ص ٩٣ .

(٢) قارن هرتسفيلد ، Khorasan) Der Islam ، (١٠)) ، ص ١٥٤ .

(٣) جودارد (A و Y) وها كين ، Les anitquités boudhiques de Bamiyan ص ٦٥ وما بعدها ، واللوحة ٤٢ و ٤٣ .

(٤) شميدت ، « Syria » ، ١٩٣٤ ، ص ١٨ — ١٩ .

حلقة مستديرة . وقد شـدّ حزاماً مزيناً وجعبة مملوءة بالسهام وكلاهما يتمم زيّ الفارس الحربي . وقد نقش الحصان وهو في حالة هدوء ، فقـد وقف على قوائمه الغليظة نوعاً وقد حمى رأسه وصـدره بدرع من الزرد المزين بالأهداب . وعلى جانبي الردف نقش الخاتم ذى الأشرطة الذى يوجد على بعض النقوش الساسانية ويبدو أنه رمز ملـكي[١] ، وتدلت الـكرتان الضخمتان أو كبتا الصوف اللتان على شـكل الـكمثرى . وقد لفتا في قمـاش من الحرير ، وهما من العناصر التى لازمت الركائب الملـكية الساسانية .

وقد عرف رسم هذا الفارس المنقوش نقشاً بارزاً على الصخر[٢] في أيام المسلمين على أنه رسم لـكسرى الثاني وهو يركب حصانه المحبوب شـبديز ، وهو قطعة فنية رائعة حقا من حيث التصوير في الشـكل وتناسب التماصيل وإجادتها . وقد جاء في رواية ذكرها ابن الفقيه الهمداني أن هذا النقش من عمل فنان اسمه قطوس بن سنمار ، ولـكن إلحـاق نسب صانع تمثال كسرى بسنمار ، المهندس الذى يرجح أنه من صنع الأساطير والذى يقال إنه بنى قصر الخورنق قرب الحيرة[٣] ، هو خطأ تاريخى ظاهر . والمؤكد أن الاسم المعرب قطوس يخفى اسماً بيزنطيا ، وليس مستحيلا كما يعتقد هرتسفيلد أن الرواية التى تربط بين اسم قطوس وهذا العمل الفنى العظيم رواية تاريخية[٤] .

وكثيراً ما ذكر المؤرخون والشعراء من العرب والفرس اسم شبديز[٥] حصان كسرى الثاني المشهور . وتقول الرواية إن كسرى پرويز قد أحب هذا الفرس إلى حد أنه أقسم أن يقتل من يبلغه خبر موته . فلما مات الفرس فزع القـائم على

---

(١) الخاتم ذو الأشرطة ؟

(٢) ابن حوقل (القرن العاشر الميلادى) ، نقلا عن كتاب البلدان لعمرو بن بحر الجاحظ ؛ انظر هرتسفيلد ، باب آسيا ، ص ٨٢ وما بعدها .

(٣) انظر الطبرى ، ص ٨٥٠ وما بعدها ؛ نولدكه ، ص ٧٩ وما بعدها ؛ وقارن ص ٢٦٠ من هذا الـكتاب .

(٤) باب آسيا ، ص ٨٢ وما بعـدها ، لوحة ٤٢ و ٤٣ ؛ وقارن سار في Iran Felsreliefs ، ص ١٩٩ وما بعدها .

(٥) معناه لون الليل .

الاصطبلات (آخور سالار) فلجأ إلى فهلبذ (بربط) مغنى الملك ، فغناه لحناً لمح فيه بموته تلميحاً فقال : إن شبديز ليس يرعى وليس يسعى وليس ينام فقال الملك : فقد مات . فقال فهلبذ : من الملك سمعت ، فقال الملك إنك أنقذت نفسك ورجلا آخر . والقصة التى ذكرها كل من الهمدانى(١) والثعالبى (٢) والتى نظمها الشاعر العربى خالد الفياض(٣) ، قد وجدت فى كثير من الروايات المختلفة فى أوربا الشمالية، وأشهرها هذه التى تروى كيف أن الملكة تيردَنْبد قد نقلت إلى زوجها الملك جورم بالطريقة نفسها خبر موت ابنه كنود دنيست .

وأمام الكهف ، قرب العين الكبيرة ، تمثال كسرى . وقد رآه فى هذا المكان فى القرن العاشر الميلادى ، مسعر بن مهلهل(٤). ولكنه سقط بعد ذلك فى البحيرة الصغيرة أمام الجبل ، وقد رفع نصفه الأعلى فى القرن التاسع عشر ، بغير الرجلين ، وهو اليوم موضوع على السد . وبالرغم من تآكله بفعل الماء ، وما جرى عليه من إتلاف على يد الأكراد الذين يهدمون التماثيل ، فإنه لايزال يبين هيئة الملك الذى كان واقفاً وقد أسند يده إلى السيف(٥). وبجانب النصف الأعلى من التمثال تاجا عمودين على جانب كل منهما نقش الملك كسرى الثانى الذى عرف من تاجه ، وعلى الجانبين الآخرين إلهة تمسك فى يمناها حلقة أو باقة زهر وفى يسراها زهرة اللوتس . وفى قرية بيستون تاجا عمودين آخران مزينان بنفس الطريقة ، على أسفل تمثال دارا ، وكان فى إصفهان زوج آخر من هذه التيجان وقد صوره فلاندان(٦). وصور الآلهة مختلفة من حيث التفاصيل والصفات القدسية ، ولكن الملك هو دائماً كسرى الثانى . ويرى هرتسفيلد أن هذه الأزواج الثلاثة من تيجان الأعمدة كانت خاصة بوجهة ذات

---

(١) انظر هرتسفيلد ، باب آسيا ، ص ٨٣ .

(٢) ص ٧٠٣ — ٤ .

(٣) المتوفى حوالى سنة ١٠٠/٧١٨ ؛ انظر برون ، JRAS ، ١٨٩٩ ، ص ٥٨ .

(٤) نص ياقوت ، وقد ذكره هرتسفيلد ، باب آسيا ، ص ٨٢ وما بعدها .

(٥) باب آسيا ، لوحة ٥٢ و ص ١٠٠ وما بعدها .

(٦) فلاندان وكوست ، (١) ، لوحه ٢٢ و ٢٧ مكرر .

ثلاثة عقود ، وقد وضعت تيجان الأعمدة بحيث تبين وجهاتها صورة الملك على اليسار وصورة الآلهة على اليمين . والصورتان تكونان جزئين من لوحة كاملة(١).

والنقش الأعلى فى حائط غار طاق البستان الأخير ، الذى وصفناه من قبل ، يمثل كسرى فى ملابس الاستقبال ، كما يبدو فى المناسبات الكبرى ، وقد كسته اللآلئ والجواهر من قمة رأسه إلى أخمص قدمه كما يقال . ولم يبق لكى تكمل الصورة غير الألوان . وقد وصفها حمزة الإصفهانى حسب مارأى فى كتاب صور ملوك آل ساسان(٢): « كسرى أبرويز بن هرمز شعاره مورد موشى ،وسراويله على لون السماء ، وتاجه أحمر ، وبيده رمح . »(٣)

هكذا رآه الأشراف وسفراء الدول الأجنبية فى قصر دستكرد حيث كان يظهر أبهته كاملة . وتقول أكثر الروايات التى ذكرها الطبرى قصداً إنه كان فى قصره ثلاثة آلاف امرأة يطأهن ، وألوف من جوار اتخذهن للخدمة والغناء وغير ذلك ، وثلاثة آلاف رجل يقومون بخدمته ، وكانت له ثمانية آلاف وخمسمائة دابة لمركبه وسبعمائة وستون فيلا وإثناعشر ألف بغل لثقله(٤). ثم يضيف الطبرى إلى ذلك أنه كان أكثر الناس حرصاً على اقتناء الجواهر والكؤوس الغالية وغير ذلك .

والواقع أن العجائب التى كانت لكسرى برويز هى إحدى النغم المحبب إلى الكتاب العرب والفرس . وقد عدد البلعمى(٥)والثعالبى(٦) اثنتى عشرة عجيبة لكسرى نجد من بينها قصر المدائن ، ودرفش گاويان(٧) ، وزوجته شيرين ،

---

(١) باب آسيا ، ص ١١٠ وما بعدها واللوحة ٥٥ — ٥٩ ؛ وقارن مورجان (٤) ، ص ٣٠٥ وما بعدها .

(٢) انظر هنا ص ٥٤ — ٥٥ .

(٣) نشر جوتولد ، ص ٦٠ ، الترجمة ، ص ٤٥ .

(٤) الطبرى ، ص ١٠٤١ ؛ نولدكه ، ص ٣٥٣ . والنهاية (برون ، ص ٢٥٠) قد ذكرت الأرقام نفسها تقريبا : والروايتان ترجعان إلى مصدر واحد . قارن البلعمى ، نشر زوتنبرج ، (٢) ، ص ٣٠٥ .

(٥) زوتنبرج ، (٢) ، ص ٣٠٤ — ٣٠٥ .

(٦) ص ٦٩٨ وما بعدها .

(٧) انظر الفصل العاشر .

والمطربين سركش (سرجس) وفهلبذ (ربط)[١] وخوش أرزو الخادم[١]، والفرس شبديز ، وفيلا أبيض . وقد لاحظ هرتسفيلد[٢] أن هذا النوع من التعداد من أصل هندى وأنه يذكرنا « بالنفائس السبع » فى التاريخ البوذى والتى تشبه مشابهة مدهشة لنفائس كسرى الإثنى عشرة . وقد ذكر الفردوسى على حدة وبإسهاب شعرى كثيراً من النفائس التى عددها الثعالبى ولكنه ذكر قائمة أخرى « بالكنوز السبعة[٣] » التى نجد من بينها اثنتين من النفائس التى ذكرها الثعالبى . ومن الجلى أن هذا التعداد غير مستمد من الخداينامة ، لأنه غير ماثل إلا فى نوع الروايات التى ذكرها الفردوسى والثعالبى والتى استخدمها البلعمى ، ولكنه يرجع بلا شك إلى مصادر ساسانية ويبين أثر الهند الأدبى الذى أصبح واضحاً فى القرن الأخير من العهد الساسانى[٤]. وذكر فى هذا النوع من الرواية الكنوز التى تشمل أشياء كثيرة هى مجموعة على حدة . وكذلك حالة الكنز الشهير « فىء الرياح » « گنج باد آورد » وكنز البقرة « گنج گاو ». وحين حاصر الفرس الإسكندرية حاول البيزنطيون أن ينقذوا نفائس المملكة فجمعوا خزائنهم وذخائرهم فى سفن كثيرة فلما لججت فى البحر عصفت الرياح فسيرتها إلى صفوف الإيرانيين حتى ظفر بها شهر براز وقبض عليها كلها وبعثها إلى المدائن فتعجب منها كسرى وسر بها ، وقد سميت گنج باد آورد[٥] « فىء الرياح » . وقد عدوها ولم يمسوها[٦]. وقد ذكر الثعالبى قصة « گنج گاو » فقال[٧]: « وكان بعض الأكرة

(١) سنتكلم عن هذه الشخصيات فيما بعد . قارن ص ٤٠٢ ملحوظة ٢ .

(٢) Der Thorn des khosro, Jahrbuch der preussischen kunstsammlungen جزء ٤١ ، ص ٢ — ٣ ، الملحوظة ٧ .

(٣) نشر مول ، (٧) ، ص ٣٢٨ .

(٤) انظر هنا ص ٤١٣ . وقد جاء ذكر النفائس الثمان عشرة التى كانت لكسرى الثانى فى الثمان عشرة سنة الأولى من حكمه فى الرسالة البهلوية المسماة قصة يوم خورداد من شهر فروردين (أى النوروز) ، انظر Asiatic Papers ،لمودى ، (٤) ، ص ١٩ وما بعدها .

(٥) Anonyme de Guidi ، نولدكه ، ص ٢٥ وما بعدها ؛ وقارن الطبرى ، ص ١٠٥٧ ، نولدكه ، ص ٣٧٨ ؛ والثعالبى ، ص ٧٠١ .

(٦) الشاهنامه ، نشر مول ، (٧) ص ٣٢٨ .

(٧) ص ٧٠٢ .

يثير أرضاً بثوريه فدخلت حديدة الآلة المسماة غباز بالفارسية فى عروة قمقم مملوء ذهباً فذهب الأكار إلى باب الملك وأنهى القصة ، فأمر الملك بحفر تلك الأرض واستخراج وديعتها لحفرت عن مائة قمقم مملوءة فضة وذهبا وجواهر من كنوز الإسكندر وعليها ختمه وحملت إلى حضرة الملك لحمد الله عليها ووهب للأكار منها وأمر بإيداعها خزانة تسمى كنز الثور » .

وقد ذكر الفردوسى عدا هذا « كنز العروس » ويتكون مما تدفع الهند والصين وغيرها من الجزية ، و « كنز «ديبه خسروى» أو الديباج الملكى ، و « كنز آفر — اسياب » و « كنز سوخته » (المحرق) ، وكنز « اللآلىء والماء الطيب » واسمه « خضرا » ، وكنز « شاد ورد » .

ومن نفائس كسرى التى تبلغ حد الخرافة يذكر على الأخص : الشطرنج المنحوت من الياقوت الأحمر وقصب الزمرد ، والنرد المتخذة من البسد والفيروز ، ومنها الذهب المشتفشار الذى استخرج له من معدن بالتبت وهو مائتا مثقال من ذهب كالشمع اللين وكان يخرج من فروج الأصابع إذا قبض عليه وينطبع ويتخذ منه التماثيل ثم يعاد إلى حاله فيعود كما كان(١)؛ ثم منشفة كان الملك يمسح فيها يديه ، فكانت إذا اتسخت وألقيت فى النار لاتحترق ، فلا تعمل بها النار شيئاً غير إزالة مااعتراها من وسخ(٢). ولعله يشير إلى منشفة غير قابلة للاحتراق . وكذلك كان عنده تاج كبير « فيه ستون منا من الذهب الإبريز وكان مرصعاً باللآلىء التى تحكى بيض العصافير واليواقيت الرمانية التى يضىء منها الظلام ويستصبح بها فى الليالى المرخية سدولها » ، وقصب الزمرد « التى تسيل لها عيون الأفاعى » . وكان يعلق من الإيوان سلسلة ذهب ذرعها سبعون ذراعا يعلق بها التاج كيما يماس رأس الملك ولا يؤذيه ولا يثقله(٣) . وهذا هو لاشك تاج الإيوان بالمدائن الذى وصفه الطبرى(٤) .

---

(١) الثعالبى ، ص ٧٠٠ .

(٢) البلعمى ، نشر زوتنبرج ، (٢) ، ص ٣٠٥ .

(٣) الثعالبى ، ص ٦٩٩ وما بعدها .

(٤) انظر هنا ص ٣٨١ .

ولكن أعظم النفائس هو تخت طاق الديس أى « التخت الذى يشبه القبة » ، وقد وصفه الثعالبى[١] قائلا : « وهو سرير من العاج والساج وصفائحه ودرابزيناته من الفضة والذهب وطوله مائة وثمانون ذراعا وعرضه مائة وثلاثون ذراعا وارتفاعه خمس عشرة ذراعا وفى مراقيه سرر من الشيز والآبنوس مضببة بالذهب وعليه طاق من الذهب واللازورد فيه صور الفلك والكواكب والبروج والأقاليم السبعة وصور الملوك وهيئاتهم فى المجالس والحروب والمتصيدات وفيه ما يدل على معرفة ساعات النهار ، وله أربعة بسط على مقداره من الديباج النسيج المرصع باللآلىء واليواقيت يختص كل واحد منها بما يشاكله ويوافقه فى فصول السنة» . وقد وصف الفردوسى هذا التخت الذى أمر بإعداده كسرى الثانى وصفا أكثر تفصيلا ، وهو تعمير لتخت قديم يرجع تاريخه إلى الأزمنة الخرافية كما يقول الشاعر الذى يبين أيضاً ما كان لهذا التخت الفذ من دور فى النجوم[٢] :

« تُرى عليه البروج الإثنا عشر ، والكواكب السبعة السيارة ، والقمر الوضاء وما يجتاز من بروج ؛ ويرى فيه المنجمون النجم الثابت والسيار ؛ ويرون فيه كم انقضى من الليل ، وكم سارت السماء فوق الأرض . . . » وقد خصص هرتسفيلد لطاق الديس بحثا رائعاً[٣]. ولفت الأنظار إلى عبارة المؤرخ البيزنطى كيدرينوس التى استقاها من نص فى كتاب تيوفان (النصف الثانى من القرن الثامن) وهى أكمل فى بعض النقط من الرواية التى بأيدينا . يحكى كيدرينوس أن الإمبراطور هرقل حين دخل قصر جنزك بعد حرب كسرى (سنة ٦٢٤) وجد « صنم كسرى البشع وصورته ، على عرش فى سقف القصر الذى يشبه الكرة ، كأنه فى السماء ، وكانت حوله الشمس والقمر والنجوم التى يعبدها الوثنيون على أنها آلهة . وقد أجلس من حوله رسله وفى أيديهم الصوالجة . وهناك أعد عدو الله هذا

(١) ص ٦٩٨ وما بعدها . وقد ذكر اسم العرش بالكتابة العربية طاقديس .

(٢) نشر مول ، (٧) ، ص ٣٠٦ وما بعدها .

(٣) Der Thorn des khosrô ، Jahrb. d. preuss. kunstsammlungen ، (٤١) ؛ ومعلومات إضافية فى Arch. milt ، (٢) ، ص ١٢٨ وما بعدها .

آلات لتنزل الماء رذاذاً كأنه المطر ولكى تأتى بصوت كأنه الرعد . » وقد بين هرتسفيلد بدراسات مؤيدة بالوثائق هذا الفرض ، أن طاق الديس الذى ذكر فى كتاب لا ينتظر القارئ أنه يتعرض لمثل هذا الموضوع ، أعنى فى كتاب تاريخ عام. السكسون ليس تختا بالمعنى العادى المألوف للكلمة ولكنه ساعة كبيرة تشبه ساعة غزة التى لخصها ديلز(١) والتى لا تبعد كثيراً عن طاق الديس فى الزمان والمكان . وكان لطاق الديس منصة تشبه منصات العروش الشرقية . ومن فوقه مظلة تمثل التخت نفسه وعليها صور الملك والشمس والقمر . وقد عثر هرتسفيلد على صورة من هذا الجزء من التخت على تحفة فنية معاصرة : كأس كليموا الفضى وهو الآن فى متحف الإرميتاج فى لينجراد(٢) . وأما الباعث على تصوير عربة القمر أو الشمس فمعروف من نقوش قندهار ومن صور كهوف تركستان الصينية وكذلك من جوهرة ساسانية ومن زخارف الأقمشة التى تقلد الفن الساسانى . وهو يظهر على الكأس الذى نتحدث عنه ، ولكن بشكل يبين المنصة والعرش فى شكل عربة يجرها أربعة ثيران وقد مثل القمر هلالا ، فى الوضع العادى لتصوير النجوم ، ويُرى من تحت العرش رام بالسهام ، وهذا لا شك تمثال آلى يستخدم للدق ، مثله كمثل هركيل الذى يضرب الصاج فى ساعة غزة . ولكن كأس كليموا لا يبين جميع تفاصيل الساعة . وقد نستنتج من الروايات الشرقية والغربية التى لا يأخذ بعضها عن بعض أن ما على الكأس من نقش يمثل حفل تتويج ، مزيدا عليه بعض الصور التى تمثل عظماء الدولة الذين يحيّون الملك ، ومظلة متحركة على قبتها سبعة كواكب تسير فى مجرى البرج ، كما ظهر القمر فى أوضاعه المختلفة ، ثم الآلات التى تحدث ، فى ساعات معينة ، المطر والرعد . وهذه الساعة العظيمة ، التى صنعت فى القصر الملكى ، قرب معبد جنزك القديم الذى كانت تشتعل فيه النار المقدسة الملكية ، نار آذر — گشنسپ . قد خربها هرقل مع القصر والمعبد(٣).

---

(١) Über die von Prokop beschriebene kunstuhr von Gaza ، mitt. d. preuss Akad ، ١٩١٧ .

(٢) انظر الرسم ٨ ، ص ١٦٦ .

(٣) وهناك أوصاف أخرى تكاد تكون صحيحة للنفائس التى كانت فى خزائن كسرى =

وقد ظفر هرقل بغنائم عظيمة فى أسلاب دستكرد سنة ٦٢٨ . ويقول تيوفان إن الإمبراطور قد وجد فيها أكثر من ثلاثمائة علم رومانى وقعت فى يد العدو فى المعارك ونفائس لا تعد من الفضة الخالصة ، والموائد الخاصة بالعبادات وبسط مطرزة ، وأقمشة من الحرير ، وثياب من الديباج ، وملابس داخلية لا عدد لها ، والسكر والزنجبيل والفلفل .. وكمية عظيمة من خشب العود وغير ذلك من المواد العطرية . وفى الحرم الوسيع الملحق بالقصر « الجنة » ، كانت النعام والغزلان وحمر الوحش والطواويس والديكة البرية والسباع والنمور[1] .

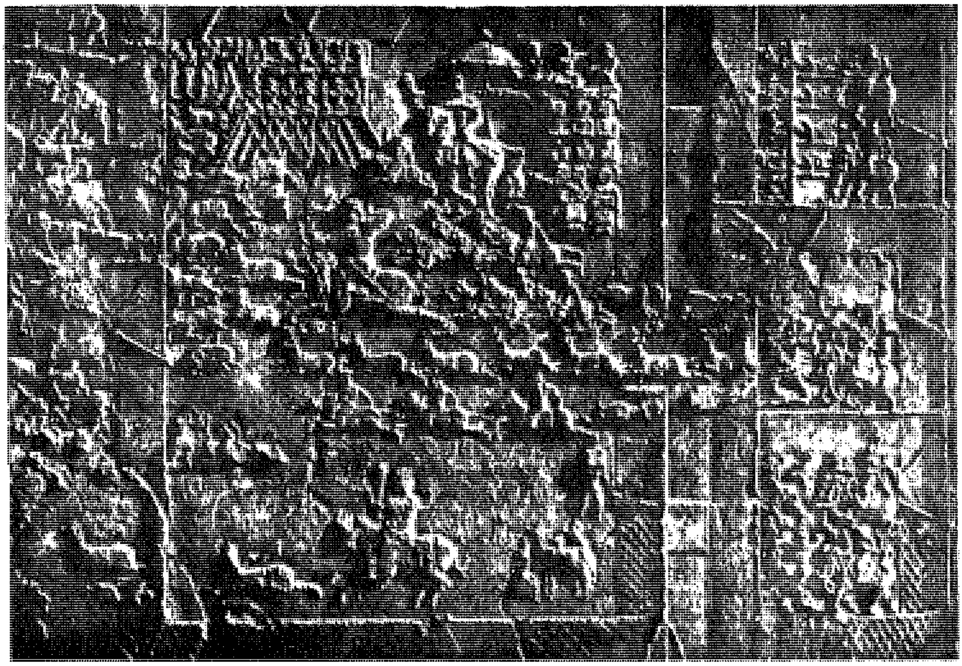
ولا شك أن هذا المتنزه كان المصطاد الملكى الذى خلده كسرى الثانى بنقشه على جوانب غار طاق البستان الكبير . وكان حجم كل من النقشين ، وقد جملا بارزين بروزاً خفيفا ، ٨ر٢٣ متراً طولا و ٧ر٥ متراً عرضا ، حسب مقاس هرتسفيلد .

والنقش الأيمن يمثل صيد بقر الوحش (رسم ٤٦) . والجزء الأوسط من النقش محاط بشباك الصيد وهو مستطيل . وقد ضيق الصيادون على البقر ، الذى كان يتدافع قفزا وهو حائر إلى مخرج أعد فى الجانب الأيمن من هذا الحرم . وقد ظهر فيه الملك ممتطيا الجواد ثلاث مرات . فهو فى أقصى النقش علوا يظهر راكبا فى هدوء وقد تهيأ الجواد للقفز ، وقد وقفت امرأة عند رأسه ممسكة المظلة مرفوعة ، علامة على شوكة الملك . ومن خلفه سيدات وقف بعضهن وقفة التجلة بينما كان البعض الآخر يعزفن الموسيقى ؛ ومنهن اثنتان تمسكان البوق المثنى وواحدة بيدها الدف . وقد جلست نساء فوق منصة خشبية انتصب أمامها سلم ، وكن يلعبن بالعود أو يصفقن بأيديهن . وفى أسفل النقش صورة أخرى للملك يركض حصانه ، وقد سدد الرمح ، فى أثر الحيوانات الهاربة . وأخيرا نجد فى أسفل النقش صورة ثالثة للملك يسير

= الثانى . انظر مثلا كتاب المحاسن والمساوئ المنسوب للجاحظ ، ص ٣٦٩ — ٣٧١ من طبعة فان ڤولتن وفارن ايفستر نترف ، ص ٧٥ وما بعدها ؛ بوجدانوف فى J. Cama Or. Inst. رقم ٧ ، ص ٤٥ وما بعدها .

(١) سار — هرتسفيلد ، Archäologische Reise ، (٢) ، ص ٨٩ .

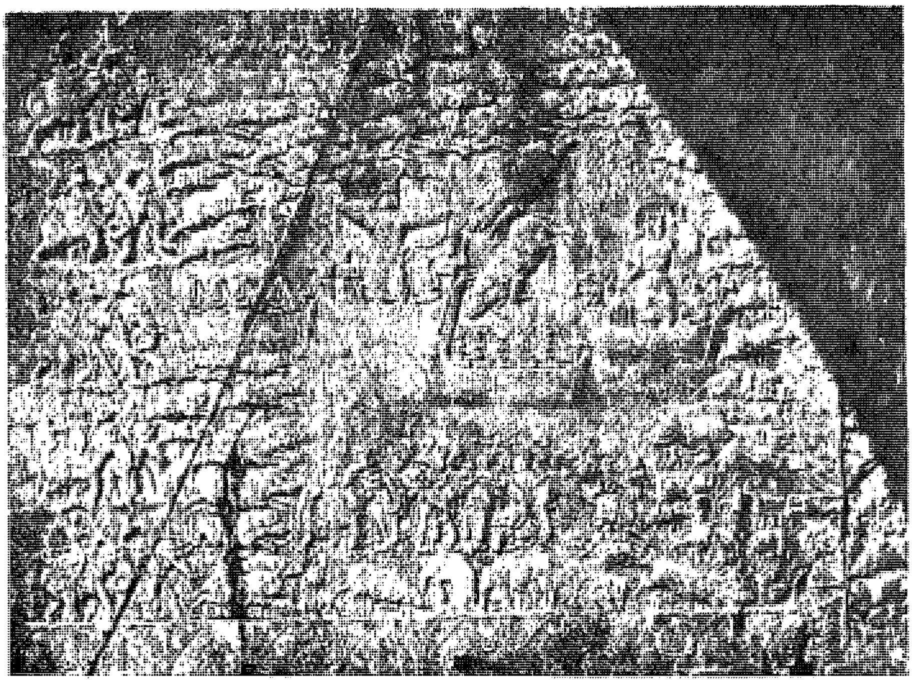
بحصانه خببا ، وفى يده الجعبة ، وهو عائد من الصيد . وفى يسار النقش صور جمال تحمل البقر المقتول .



٤٦ . كسرى الثانى يصيد الوعول ، نقش فى طاق البستان
(سار . فن فارس القديمة)

والنقش الذى حفر على الحائط الأيسر ، بغاية الدقة ، يمثل صيد الخنزير البرى (رسم ٤٧) . وهنا تحيط الشباك بالنقش كله تقريبا ، ولم تترك غير ممر على اليمين تزاحم فيه الإنسان والحيوان . وساحة الصيد تتكون من مستنقعات مغطاة بأعواد القصب ومن بحيرات يسبح فيها كثير من السمك والبط . وعلى اليمين الفيلة وقد اصطفت فى خمسة صفوف بعضها فوق بعض ، وقد امتطى كل واحد منها فيالان ، أحدهما خلف الآخر ، يصطادون الخنازير التى كانت تتدافع وتمرق بين أحراش القصب . وفى أعلى النقش سفينة فيها نساء يغنين ويصفقن بأيديهن ، وعند مقدم السفينة ومؤخرها نساء يمسكن المجاديف . وفى وسط النقش قاربان يجدف بهما النساء أيضا ، وقد مثلا فى النقش مرتين للدلالة على لحظتين فى الصيد . وقد ظهر الملك فى

وسط النقش تماما ، وفى القارب الأول ، بحجم فوق حجمه الطبيعى ، وقد مد السهم ؛ وعلى يساره امرأة تمد إليه سهما آخر وعلى يمينه سيدة أخرى تعزف على العود ، وفى القارب الآخر ، وكان خلف الأول ، عازفات على العود . وقد وقع خنزيران كبيران بسهام الملك . ثم نرى القاربين مرة أخرى فى الناحية اليمنى من النقش . وهنا يظهر الملك وحول رأسه هالة وقد أمسك بيده السهم المسترخى إشارة إلى أن الصيد قد انتهى . وفى الأسفل كانت الفيلة تشتغل بجمع ما قتل من الحيوان ؛ كانت ترفعها بخراطيمها ثم تلقيها على ظهورها .



٤٧ . كسرى الثانى يصيد الخنازير البرية ، نقش فى طاق البستان
(سار . فن فارس القديمة)

ومنظرا الصيد ، وخاصة الثانى ، مملوءان بالصور إلى حد أن الفراغ فيهما قليل جدا . وكان نسيج الملابس المنقوش دقيقا جدا : والحيوانات ، وخاصة الفيلة ، نقشت قريبة من الواقع إلى درجة عجيبة ، وهى من روائع الفن من حيث الحياة والحركة ، والحق أن صورتها خلابة ، وهى أيضا رسوم على الحجر .

يقول هرتسفيلد إن هذه المناظر تعطينا فكرة عن التصوير الساسانى[1] . والواقع أن التفاصيل كانت منقوشة فى الأصل بألوان مختلفة . ويظهر من وصف ياقوت لهذه الآثار أنه ، أو أحمد بن الفقية الذى ينقل عنه ، قد شاهد آثار هذه الألوان . وقد أثار هرتسفيلد أن الهالة التى لا تظهر حول رأس الملك وهو يلقى السهام على الخنازير وكذلك فى المناظر الثلاثة وهو يصطاد بقر الوحش ، كانت منقوشة على الصخر[2] .

والجهود التى بذلها الفنانون الذين نقشوا كهف طاق البستان الكبير لكى يبرزوا رسم القماش لها أهمية كبرى لتعريفنا بنسيج الحرير فى القرن الأخير من العهد الساسانى . وقد كان لسار وهرتسفيلد الفضل الأول فى كشف هذا الفرع من الفن الساسانى .

وهناك تفاوت عظيم فى رسوم ملابس الملك فى الصور المختلفة وكذلك فيما تلبسه الآلهة فى نقش التتويج ثم فى ملابس عازفات العود والفيالة فى مناظر الصيد . وكانت الملابس تزين أحيانا برسم السحاب على هيئة العصاب « سحاب الإقبال » وهو رمز من أصل صينى ؛ وأحيانا برسم الورود ذوات الورقات الأربع ، مصفوفة بأشكال مختلفة ، فحينا على هيئة رقعة الشطرنج ، وحينا على هيئة الجواهر واللآلئ ؛ بل إنهم كانوا يزينون ملابسهم أحيانا بلآلئ حقيقية مخاطة فى الثوب . ثم كانوا يطرزون أقمشتهم برسوم الحيوانات ، من الوعل والديك والبط والملك الحزين ، وقد أعيد تنسيقها لتدور بالتعاقب إلى اليمين وإلى اليسار . ثم نجد كذلك رسومات على هيئة مسطحات متوازية الأضلاع مكونة من أكاليل من ورق الزهر يتلوها أحياناً صور الورد أو النجوم على التعاقب ، ورسومات من تيجان اللؤلؤ تحيط بأهلة وتتعاقب مع ورق زهر اللوتس والعصافير . ورسومات من دوائر تحيط بعصافير أو بزهر اللوتس . والنساء اللاتى كن يمسكن المجاديف فى قارب الملك ، فى نقش صيد الخنزير ، يلبسن

(١) قارن ص ٤٤٢ — ٤٤٣ .

(٢) انظر سار فى Sarre-Herzfeld, Iran. Felsreliefs ، ص ٢٠٦ — ٢١٢ وخاصة هرتسفيلد باب آسيا ، ص ٩٤ وما بعدها واللوحات ٤٥ — ٥١ .

ثيابا عليها رسم دوائر فيها صور رؤوس الخنازير . وفى برلين ، فى متحف Kunstgewerbe-Museum قطعة من النسيج الساسانى عليها هذا الرسم نفسه ؛ وكانوا يستخدمونها فى لف بقايا الأجساد المقدسة فى إحدى الكنائس الألمانية . وكان الملك واقفا فى القارب وقد اتشح بثوب رسمت عليه أفراس البحر — وفرس البحر حيوان خيالى مأخوذ عن تنين الفن الصينى — وقد ظهر هذا الرسم على الثوب الذى يرتديه كسرى الثانى وهو على صهوة الجواد ، وهو على قطعة من النسيج فى متحف South Kensington Museum . وقد بقيت لنا قطع أخرى من النسيج الساسانى تمثل الملك فى الصيد وقد علا الحصان المجنح أو حيوانات أخرى خرافية ، مع جميع أنواع الحيوان التى نظم توزيعها[1] . ومن بين رسوم المنسوجات الساسانية كثير قد اشتق بدقة من تصاوير كهوف تركستان الصينية . وعندما نقلت هذه إلى الشرق أخذ الفنانون البيزنطيون فى تقليدها على أقمشة الحرير ، ثم أثرت تأثيرا ملحوظا فى النسيج فى أوربا إبان القرون الوسطى .

وكان الأثرياء وذوو المكانة يلبسون ملابس مختلفة النسيج حسب الفصول المختلفة . وقد جاء فى الثعالبى[2] إن كسرى الثانى سأل خادمه العالم[3] عن أنعم اللباس فقال « أما فى الربيع فالشاهجانى والدبيقى ، وأما فى الصيف فالتوزى والشطوى ، وأما فى الخريف فالمنيّر الرازى والملحم المروزى ، وأما فى الشتاء فالخز والحواصل ، وفى شدة البرد خز مبطن بخز بينهما قز » . ويقول هيون تسيانج Hiuen Tsiang[4] إن ملابس الإيرانيين مصنوعة من الجلود أو الصوف أو اللباد أو الحرير ذى الصور . ويقول السائح الصينى إنهم يصففون شعورهم ويسيرون عراة

---

(١) مورجان ، (٤) ، ص ٣٢٣ وما بعدها ؛ هرتسفيلد باب آسيا ، ص ١٢١ وما بعدها واللوحات ٦١ — ٦٥ ؛ سار : فن فارس القديمة ، لوحة ، ٩٨ و ٩٩ .

(٢) ص ٧١٠ .

(٣) انظر هنا ص ٤٠٢ ، ملحوظة ٢ . وهذا القسم من حديث الخادم غير مسطور فى النص البهلوى .

(٤) بيل Beal ، Buddh. Records of the western world ، (٢) ، ص ٢٧٨ .

الروس . ولعل هـذا الوصف الأخير ، إن استطعنا أن نثق به ، ينطبق على الحراثين .

ويعطينا صيد الخنازير صورة من نسج السجاد فى ذلك العهد . وقد درس هرتسفيلد قطعة من السجاد متدلية من حاجز سفينة العازفات على العود . فبين صفين من اللآلئ يتخللهما مربعات يرى غصن لبلاب تنتهى انثناءاته ببرعم واحد ؛ وهو طراز يرجع إلى أصله فى الفن الهلينى — البقطرى (البلخى) . ويرى هرتسفيلد أن رسم هذه القطعة من السجادة التى أبرزت على الصخر وفنها يبينان أن أصلها سجادة منشوطة[1] ، وهو نوع من فن نسيج السجاد أنتجت منه إيران الإسلامية قطعاً جمالها لا يبارى .

ولكن أشهر سجاجيد عصر كسرى الثانى التى وصفتها المصادر القديمة الشرقية كانت من الحرير الموشى بالذهب . يقول الثعالبى[2] إن طاق الديس الذى تكلمنا عنه « له أربعة بسط على مقداره من الديباج النسيج المرصع باللآلئ واليواقيت يختص كل واحد منها بما يشاكله ويوافقه فى فصول السنة » . وكان من هذا النوع نفسه ، بل ربما كان أعظم منه ، البساط الذى كان يفرش به الإيوان فى أحد القصور الملكية بالمدائن والمسمى بهار خسرو (ربيع خسرو) أو حسب رواية البلعمى « بساط الشتاء » . وكان هذا السجاد ، الذى يبلغ طوله ستين ذراعا وعرضه كذلك ، يخيل لكسرى وهو يتناول غذاءه إقبال الربيع ؛ وكان فيه طرق كالصور وفصوص كالأنهار وخلال ذلك كالدير وفى حافاته كالأرض المزروعة والأرض المبقلة بالنبات فى الربيع من الحرير على قضبان الذهب ونوارة بالذهب والفضة وأشباه ذلك[3] .

---

(١) Am Tor ١٣٧ وما بعدها .

(٢) ص ٦٩٩ .

(٣) الطبرى ، ص ٢٤٥٢ ؛ البلعمى ، زوتنبرج ، (٣) ، ص ٤١٧ . وقارن بلوشيه Blochet ، Note sur une tapisserie arabe du VIII siecle. ، JRAS ١٩٢٣ ، ص ٦١٣ — ٦١٧ .

ونرى فى مناظر الصيد نخبة صغيرة مختارة من بين ثلاثة آلاف امرأة كنّ فى حريم كسرى الثانى ذلك الملك الذى يحب النساء . والواقع أن كسرى كان زير نساء . وكانوا يجمعون له النساء كالجند ، بلا تفريق بين البنات اللاتى لم يتزوجن والمتزوجات والأمهات . وكلما أراد أن يغير حريمه ، أرسل إلى موظفيه وعماله على الأقاليم بصفة النساء التى يريدها ، فيبحثون له عن النساء اللاتى تتوافر فيهن هذه الصفة فى كل مكان(1). وقد كانت صفة النساء هذه التى ذكرت فى هذه الكتب الفريدة المرسلة إلى العمال قريبة من الوصف الذى ذكره الخادم الصغير الملك ، والذى نجده فى النص البهلوى الذى ذكرنا بعض عبارات منه : « خير النساء التى تفكر فى عشق الرجل ، وكانت بين الطول والقصر ، عريضة الصدر ، استوى منها الرأس والعجز والرقبة ، الصغيرة القدمين ، من كانت بين السمن والهزال ، مقوسة الأخمص ، سبط البنان ، لينة الجسم معتدلته ، تفاحية الثديين ، بيضاء الأظافر كالثلج ، رمانية اللون ، ملوزة العينين ، دقيقة الحاجبين كصوف الضأن الصغير ، لؤلوية الثغر . . رقيقه ؟ سوداء الشعر مع ميل إلى الإحمرار ، طويلته . لا تتكلم بطريقة لا تواضع فيها . . ؟ »(2).

وكانت معشوقة كسرى شيرين « روضة الحسن وضرة البدر »(3). وقد جعلها كثير من المصادر الشرقية والغربية(4) يونانية الأصل لأنها مسيحية ، ولكن الاسم الذى عرفت به اسم إيرانى « الحلوة » ، ويقول سيبيوس(5) إن أصلها من خوزستان . وكانت قد تزوجته فى أوائل حكمه واحتفظت بأثرها فيه ، بالرغم من أنها

(1) الطبرى ، ص ١٠٢٥ ؛ نولدكه ، ص ٣٢٥ . قارن التهمة الرابعة التى اتهم بها كسرى الثانى ، الطبرى ، ص ١٠٤٧ ؛ نولدكه ، ص ٣٦٤ .

(2) King Hosraw and his boy ، لشر أونوالا ، § ٩٦ ، وقارن نص الثعالبى ، ص ٧١٠ وما بعدها .

(3) الثعالبى ، ص ٧٠٢ .

(4) تيوفيلاكت ٥ ، ١٣ ؛ البلعمى ، (٢) ، ص ٣٠٤ .

(5) JA ، ١٨٦٦ ، (١) ، ص ١٩٤ . ويقول آخرون إنها ولدت فى ميسين (لاربور ، ص ٢٢٢) .

كانت أقل مرتبة من الأميرة البيزنطية ماريا ، التي تزوجها لأسباب سياسية[١] . وتقول قصة بهرام چوبين إن كسرى قد تزوج من أخت بهرام ، كردية ، المسترجلة ، بعد أن قتلت بسطام[٢] . وإذا كانت تفاصيل هذه القصة خرافية فإن زواج كسرى بكردية قد يكون من حوادث التاريخ . وقد حذرت شيرين الملك من كيد هذه « الشيطانة »[٣] .

وقد ألفت منذ زمن قديم ، القصص حول عشق كسرى وشيرين ، ويظهر أنه وجد ، قبل سقوط الدولة الساسانية ، قصة شعبية أو أكثر عن هذا الموضوع ، وقد دخلت عبارات منها في بعض روايات الخداينامه العربية والفارسية . وقد حفظ كل من الثعالبي[٤] والفردوسي[٥] رواية عن الحيل التي استخدمتها شيرين لتسترد حب عشيقها الذي لم يكن وفيا لها ثم عن زواجه بها والطريقة البارعة التي استطاع بها كسرى أن يسكت عظماء الدولة الذين كانوا ساخطين على زواجه من هذه الفتاة الوضيعة الأصل . وقد ذكر البلعمي قصة فرهاد وشيرين[٦] : « وكان فرهاد عاشقا لهذه المرأة ، وقد عاقبه أبرويز بأن أرسله لقطع الحجارة في بيستون ، وقد شغل فرهاد نفسه بهذا العمل إلى حد أن كل قطعة يحطمها من الجبل كانت من الضخامة بحيث أن مائة رجل لا يستطيعون رفعها اليوم » . وقد أصبحت حوادث عشق خسرو وشيرين ، وفرهاد وشيرين ، موضوعا محببا في الشعر الحماسي والغرامي عند الفرس[٧] . ويقول الفردوسي[٨] إن شيرين قد دست السم لماريا ، ولم يعلم أحد

(١) ويقول الطبري إن ماريا كانت ابنة الإمبراطور موريق والمصادر البيزنطية لا تذكر هذا الزواج . أنظر نولدكه ، Tabari ، ص ٢٨٣ ، الملحوظة ٢ .

(٢) نولدكه ، Tabari ، ص ٤٨٢ ؛ كتاب المحاسن المنسوب للجاحظ ، ص ٢٠٢ ، ترجمة ريشر ، (٢) ، ص ٦٣ وما بعدها .

(٣) النهاية ، برون ، ص ٢٤٣ .

(٤) ص ٦٩١ وما بعدها .

(٥) طبعة مول ، (٧) ، ص ٢٩٤ وما بعدها .

(٦) زوتنبرج ، (٢) ، ص ٣٠٤ وما بعدها .

(٧) هرب دودا ، Ferhäd und Schirin ، براغ ١٩٣٣ .

(٨) مول ، (٧) ، ص ٣٠٤ وما بعدها .

بهذا ، حتى أن كسرى نفسه قد أعطى شيرين بعد فوات سنة على موت ماريا غرفة نومها المذهبة .

وكان كسرى محبا بطبيعته لجميع اللذات . وقد ثبت ذوقه فى الروائح الطيبة بما ذكره البلاذرى من أن كسرى پرويز قد تأذى بروائح الصحائف البيض التى كتب عليها الخراج وأمر أن لا يرفع إليه صاحب ديوان خراجه مايرفع إلا فى صحف مصفرة بالزعفران وماء الورد . وكانت رائحة العود والعنبر والمسك والكافور والصندل تتأرج فى جو قصر كسرى كما كان الحال فى قصور خلفاء بغداد بعد ذلك .

وفى رواية الثعالبى[1] عن خوش أرزو ، الغلام ، الذى كان خبيرا أيضا بالمشمومات ، أن أطيبها الشاهسفرم المبخر بالند[2] يرش عليه ماء الورد ، والبنفسج بالعنبر ، والنيلوفر بالمسك ، وزهر الباقلاء بالكافور ، وأن رائحة النرجس كرائحة الشباب ، ورائحة الورد كرائحة الأحباب ، ورائحة الشاهسفرم كرائحة الأولاد ، ورائحة المنثور كرائحة الأصدقاء . فلما سأله الملك عن رائحة الجنة قال « إذا جمعت بين رائحة الشراب الخسروانى والتفاح الشامى والورد الفارسى والشاهسفرم السمرقندى والأترج الطبرى والنرجس المسكى والبنفسج الأصفهانى والزعفران القمى والبونى والنيلوفر السيروانى والند المثلث بالعود الهندى والمسك التبتى والعنبر الشحرى[3] » .

وكانوا يعنون عناية خاصة بلذائذ الطعام فى قصور الملك . ومن الأصناف التى كانت تطبخ للملك بلاش «طعام الملك» وهو الشواء الحار والبارد والهلام والسكباج والقريس والحواذب والمحشو والمصوص والخبيص بالسكر الطبرزد . ومنها الخراسانى

---

(١) ص ٧٠٨ وما بعدها .

(٢) خليط من المسك والعود والعنبر .

(٣) فى النص البهلوى ذكر البنفسج أولا باعتباره المشموم الملكى ثم تلته المشمومات الأخرى ، الورد ، والنرجس ، والكافور ، والزنبق ، والبنفسج ، والشاهسفرم ، والريحان ، والنيلوفر ، والسمسق وهكذا . . وقد ذكر كل منها مع مقارنة شعرية (King Hosraw and his boy ، طبعة اونوالا ، § ٦٨ — ٩٤) .

وهو شواء السفود والشواء المقلى بالسمن والخاميز . ومنها الرومى وهو ما يعمل باللبن والسكر وبالبيض والعسل والأرز بالسمن واللبن والسكر . ومنها « طعام الدهاقين » وهو المكسوذ من لحوم الغنم والنارسوذ والبيض المقلى[١] .

وقد عدد خوش أرزو أطيب الطعام وأوفقه وألذه فقال « ما تأكله على صحة الجسم وأمن السرب وسرور القلب وشدة الجوع مع الأحباب والأصدقاء . . وأطيب لحوم الماشية لحم حمل قد رضع شاتين ورعى شهرين يسمط ويشوى فى التنور، أو لحم جدى سمين يطبخ شورباجا ، أو صدر بقرة بكر سمينة بالسكباج[٢] .. وأجود لحوم الطير التذرج السمين والقبج الشتوى وفراخ الحمام المسمنة والدجاج الفق المربى بالبر والشهدانج ودهن الزيت . وأطيب البوارد لحوم العجاجيل الرخصة الرطبة بالخل الثقيف والخردل الحريف . وأطيب الخاميز لحوم الظباء الفتية الرخصة المشرحة المرققة بالخل والخردل والمرى والشبت والثوم والكرويا والكمون . وأطيب الحلاوى الملبقة بدقيق الأرز واللبن الحليب وشحم الظباء والقند ثم الجوزينج بدهن اللوز والجلاب ثم اللوزينج بالطبرزد وماء الورد ثم الفالوذج بالسكر والعسل . وأطيب الشرب العنبى الذى جمع حسن اللون وتمام الصفاء ولطافة الرقة وطيب الرائحة وعذوبة الطعم وسرعة الأخذ وخيره البلخى والمرورودى والبوشنجى والبسق والحورى والقنارزى والدرغمى ولا أختار على السورى والقطربلى[٣] .

ولا شك أن الأوعية كانت متلائمة وجديرة بأطيب الأطعمة التى كانت تقدم للملك .

وقد أحب كسرى الثانى الكؤوس النفيسة ، والواقع أن معظم الآنية الفضية الساسانية التى بقيت حتى اليوم فى متاحف أوربا ترجع إلى عصره . وقد وجد منها عدد كبير فى روسيا وقليل جدا فى إيران . ولعل هذا راجع إلى أن هذه البلاد قد

---

(١) الثعالبى ، ص ٥٨٥ .

(٢) قارن ستا كلبرج ، WZKM ، جزء ١٨ ، ص ٢٨٣ (سپيدباك) .

(٣) الثعالبى ص ٧٠٥ — ٧٠٨ ، وقارن King Hosraw ، اونوالا ، § ١٩ — ٥٩ حيث تختلف قليلا عن نص الثعالبى . (وقد آثرت ذكر النص العربى بدلا من الترجمة عن البهلوية التى أوردها المؤلف) .

نهبت أكثر من مرة بغزاة طامعين فى خيراتها . ويرى سار[1] أن مثل هـذه الـكؤوس المزخرفة كانت تصنع فى مصنع ملـكى وكانت توزع هدايا على من يحضرون الصيد أو موائد الملك وكذلك على الملوك الأجانب . وفى القرن الرابع الميلادى شهد فلاڤيوس ڤوپسكس بأن الإمبراطور ديوكلستين قد أخذ هدية من البلاط الساسانى من هذا النوع . وقد قلد المسلمون فى القرون الأولى للإسلام الطراز الساسانى فى الـكؤوس الفضية .



٤٨ . كسرى الثانى فى الصيد . كأس من الفضة
(سار . فن فارس القديمة)

ومن أجمل ما تخلف عن عهد كسرى الثانى من كؤوس ، كأس فضية فى المـكتبة الأهلية فى باريس (رسم ٤٨) . ظهر فيه الملك وهو يصطاد ، كما هو فى نقش كهف طاق البستان ، وعلى رأسه التاج المجنح وعليه ملابس عظيمة وعقود من

(١) فن فارس القديمة ، ص ٤٩ .

اللؤلؤ ، والأشرطة الملكية تتموج مع الريح ، وهو يتحفز على حصانه الراكض ، وقد مد السهم وأخذ يضرب الحيوانات الهاربة . وقد رمى بسهامه الخنازير وبقر الوحش وثورا[1] .



٤٩ . كأس فضية

(سار . فن فارس القديمة)

وفي المكتبة الأهلية أيضا كأس آخر (رسم ٤٩) ، عجيب للغاية ، عليه شعار القمر ، وجماعة شتى من الناس في يد كل منهم عصفور وكأس ومبخرة وغير ذلك ؛ وفي الوسط صورة امرأة عارية يبدو أنها تداعب فهدا له رأس عنقاء . ولم يستطع أحد تفسير تفاصيل هذا الرسم ، وهو ديني بلا شك[2] .

(١) بابلون ، Guide au cabinet des médailles ، رسم ١٢٣ ؛ هرتسفيلد ، باب آسيا ، لوحة ٥٣ ؛ سار ، فن فارس القديمة ، لوحة ١٠٧ .

(٢) بابلون ، Guide au cabinet des médailles ، رقم ٢٨٨١ ، رسم ١١ ؛ سار ، فن فارس القديمة ، لوحة ١٨٧ .

والرسومات المكونة من حيوانات ونباتات معاً عادية جدا: كوعلين كل منهما على جانب شجرة ، ولبؤة وشجرة وهكذا[١] . وكانت الصور عادة فى إطار من ورق الشجر على هيئة قلب أو من اللبلاب الزاحف وهكذا . وهناك كأس عليه نقش أسماك وسرطانات[٢] . ثم هناك أباريق من فضة غنية بالزخارف ، عليها صور أسود (رسم ٥٠) أو صورة امرأة تقدم سلة فاكهة[٣] ، وأباريق نحاسية لها عرى



٥٠ . ابريق من فضة
(سار . من فارس القديمة)

(١) سار ، فن فارس القديمة ، لوحة ١٢١ و ١٢٢ .
(٢) نفس المصدر ، لوحة ١٢٥ .
(٣) نفس المصدر ، لوحة ١٢٩ و ١٢٩

وعليها صور آدمية وعصافير وغير ذلك ، أو مزينة بأغصان شجر متشابكة[١] .

وكما روعى الذوق فى اختيار أطيب الطعام والشراب والمشمومات فكذلك رقى فن السماع بالموسيقى الفنية التى يقوم بها البارعون من المغنين وأهل الموسيقى . وقد أشرنا مراراً إلى ما كان لأهل هذه الطبقة من رفيع المكانة فى البلاط الساسانى . وقد كان الموكل بالستار (خرّم باش) ، يوم جلوس الملك للهوه ، يقول غن يافلان كذا وكذا واضرب أنت يافلان كذا وكذا من طريقة كذا وكذا من طرائق الموسيقى[٢] .

وقد ذكر المسعودى[٣] آلات الموسيقى عند الفرس ؛ الناى والعود والسنج والصنج وكان غناؤهم بالعيدان والصنوج ولهم النغم والإيقاعات والمقاطع والطروق الملوكية ؛ وكان غناء أهل خراسان وما والاها بالزنج وعليها سبعة أوتار وإيقاعه يشبه إيقاع الصنج ، وكان غناء أهل الرى وطبرستان والديلم بالطنابير ، وكانت الفرس تقدم الطنبور على كثير من الملاهى . ويظهر من نقش صيد كسرى الثانى فى كهف طاق البستان أن العود (چنگ) كان الآلة المفضلة فى الموسيقى الساسانية وأما الآلات الأخرى التى ثبت استعمالها أيام كسرى الثانى من الآثار المعاصرة فهى الطبلة والمزمار (منظر صيد بقر الوحش) والناى ؛ فقد صورت عازفات بالناى على بعض آنية الفضة فى ذلك العهد[٤]. (رسم ٥١) .

وقد ذكر خوش آرزو ، فى النص البهلوى ، عدداً كبيراً من آلات الموسيقى ، من بينها[٥]: العود الهندى (وين) ، والعود المتداول المسمى (دار) ، والبربط (بربوذ) ، والچنگ ، والطمبور ، والسنطور (كنار) والناى ، والقرنى (مار) ، والطبل الصغير (دُمْبَلَـگ) ، والزنج الذى أشرنا إليه .

---

(١) نفس المصدر لوحة ١٣٢ و ١٣٣ و ١٣٥ .

(٢) انظر ص ٣٨٦ .

(٣) مروج ، (٨) ، ص ٩٠ — ٩١ .

(٤) سار ، فن فارس القديمة ، اللوحة ١١٦ ، ١٣٣ .

(٥) King Hosraw ، اونوالا ، النبذ ١٣ و ٦٢ — ٦٣ .

وأشهر أهل الموسيقى والغناء فى بلاط كسرى الثانى سرگش° أو بالأحرى سرگش وباربذ[١] . وما بلغنا من روايات عن هذين الرجلين لا يستمد من الخداينامة إنما يرجع إلى بعض الكتب الشعبية التى وجدت فى الزمن الأخير للدولة الساسانية . والتفصيلات التى ذكرها الفردوسى[٢] والثعالبى[٣] أقرب إلى الخيال .



٥١ . عازفة الناى ، كأس من فضة

(سار . فن فارس القديمة)

(١) باربد أو فهلبد لدى الكتاب العرب والفرس ، وفهلبد صيغة معربة عن پهلبد الفارسية . ولكن ، باربذ فى الكتابة البهلوية قد تقرأ بهلَ بذ ، ولأن المخطوطات الفارسية لا تفرق فى الغالب بين الباء والياء تيسر قراءة پهلبذ وهى الصيغة التى قربت ، باشتقاق خاطئ ، من كلمة پهلو (برت = بطل) . ومن ناحية أخرى فإن أصل الكلمة إذا كان پهلبذ فإنها لا يمكن أن تقرأ باربذ . فهذه الصيغة الأخيرة هى الصحيحة بلا شك (باربذ) .

(٢) طبعة مول Mohl ، (٧) ، ص ٣١٤ وما بعدها .

(٣) ص ٦٩٤ وما بعدها .

فيقال إن سرگش كانت له المكانة الأولى بين أهل الموسيقى عند الملك ، وكان يغار على جاهه فحاول جهده بكل الوسائل إقصاء باربد الشاب عن الملك ، وكان من مرو كما يقول الثعالبى . ولـكن باربد استطاع بحيلة أن يُسمع الملك وأن يصبح مطربه الأول .

وإلى باربد[١] ينسب كشف الطريقة الموسيقية عند الفرس . والحق أن هذه الطريقة قديمة ولـكن ليس لدينا من سبب للشك فى أن هذا الموسيقى العظيم ، باربد ، قد أثر تأثيراً بالغا فى فن الموسيقى الساسانية ، الذى هو المصدر الرئيسى الذى أخذت عنه الموسيقى العربية والفارسية أيام الإسلام ، وقد ترك آثاراً ربما بقيت حتى اليوم فى الشرق الإسلامى الذى يبدو محافظا جدا فى هذا الفرع من الفنون .

ويقول الثعالبى إن باربد لعب فى أول مرة سمعه الملك داستان : يزدان آفريد (خلق الله) ويرتو فرخار (عظمة فرخار[٢]) وترنم بغناء كالغناء بعد الفقر فتحير أبرويز ، ثم أطرب بالدستان المعروف بسبز اندر سبز (الأخضر فى الأخضر) فلم يتمالك پرويز أن قام وقال ما هذا إلا ملك أرسله الله لإطرابى وإمتاعى . أما الفردوسى فيقول إن الألحان التى استحدثها فى هـذه المناسبة هى داد آفريد[٣] ، پيكار گرد (واقعة البطل) ، وسبز اندر سبز .

وقد جاء فى قاموس « برهان قاطع » الثلاثون لحنا التى ألفها باربد لطرب كسرى الثانى . وهى مذكورة مع بعض الاختلافات فى كتاب نظامى « خسرو وشيرين » . ويقول الثعالبى إن باربد هو صاحب « الخسروانيات » التى يغنيها أهل الموسيقى فى زمنه فى مآدب الأمراء وغيرهم . والواقع أن اصطلاح « خسروانى » لا يدل على لحن واحد . ويتحدث عوفى[٤] عن « نواى خسروانى » وهى من غير

---

(١) تناول رضا زاده شفق بالبحث باربد وذلك فى المجلة الإيرانية « إيرانشهر » المنشورة فى برلين ، السنة الثالثة ، ص ٦١ وما بعدها .

(٢) فرخار مدينة خرافية مشهورة بجمال سكانها وبوجود معبد لعبدة الأصنام .

(٣) لعل الاسم الصحيح هو « داذار آفريد » (الله خالق) ، واللحن هو ما يسميه الثعالبى يزدان آفريد .

(٤) انظر برون ، JRAS ، ١٨٩٩ ، ص ٥٤ وما بعدها .

شك « الطرائق الملوكية السبعة » التي يتحدث عنها المسعودي[١] .

وفى رواية أخرى[٢] ، كان لباربد ستون وثلاثمائة لحنا لمائدة الملك ، بحيث يستطيع أن يكون له لحن كل يوم وأن أصواته كانت قانونا يتبعه أصحاب الموسيقى الذين قلدوه جميعاً وأخذوا عنه .

وينتج من هذا كله أن ما ينسب إلى باربد من طرائق الموسيقى يتكون من الخسروانيات السبعة أو الطرائق الملكية[٣] ، ومن ثلاثين لحنا[٤] ، ومن ثلاثمائة وستين دستان . وهى فيما يظهر توافق أيام الأسبوع السبعة[٥] وأيام الشهر الثلاثين ، وأيام السنة الساسانية الثلاثمائة والستين ، ولم تعد الأيام المسترقة . ونجد عند منوچهرى وغيره من كتاب الفرس عددا كبيراً من الأسماء الموسيقية ، ولكن من غير أن نقدر أ كانت كل حالة ضمن الثلاثين لحنا أو الثلاثمائة وستين دستان .

وكان اليزدان — آفريد ذا طابع دينى . فقد كانت هناك ألحان تذكر أسماؤها بقصص التاريخ الخرافى القديم الذى كان موضع عناية منذ القرن الخامس ، ومن بين الأغانى الحماسية أغنيات : كين ايرج (انتقام ايرج[٦]) ، كين سياوخش وغيرها[٧]. وهناك أنغام أخرى تتحدث عن قوة وثراء كسرى الثانى ، باغ شيرين (حديقة شيرين) ، باغ شهريار (حديقة الملك) ، آورنگيگ (لحن العرش) ، تخت طاقديس[٨] ،

---

(١) مروج ، (٨) ، ص ٩٠ .

(٢) برون ، (١) ، C .

(٣) ينسب اختراع الخسروانيات إلى موسيقى آخر اسمه نكيسا من أيام كسرى الثانى ، وقد ذكره مثلا الشعراء ، نظامى وخواجه سلمان ، وانظر البرهان القاطع .

(٤) كلمة لحن عربية ، والكلمة البهلوية التى ترجمها العرب بهذا الاصطلاح غير معروفة .

(٥) وهذا علامة على أن الأسبوع لم يكن مجهولا فى التقويم الساسانى الزردشتى . قارن ص ١٥٩ ملحوظة ١ ، ص ٣٨٥ ملحوظة ٦ .

(٦) ايرج بن أفريدون ، وقد قتله أخواه ؛ فثأر له أحد حفدته ، منوچهر .

(٧) سياوخش بن كيكاوس وقد قتل بأمر أفراسياب ملك توران وقد ثأر له ، بعد حروب طويلة ، ابنه كيخسرو .

(٨) هنا ، ص ٤٤٩ .

هفت گنج (الـكنوز السبعة)[١] ، گنج باد آورد[١] ، شبديز[٢] . وهناك ألحان أخرى تتغنى بالأعياد الموسمية ، والطبيعة ، وخاصة بجمال الربيع وللذائذ الحياة : منها نوروز بزرگ (أكبر أعياد السنة) ، سروستان (حديقة السرو) ، آرايشن خورشيد (جمال الشمس) ، ماه أبهركوهان (القمر فوق الجبال) ، نوش لبينان (ذوات الشفاه الرقيقة) وغيرها . ومن الاصطلاحات الموسيقية نذكر « راست » (مستقيم أو حق) ، وهى كلمة تدل حتى يومنا هذا على أحد المقامات الإثنى عشر أو الطرائق الأساسية لفن الموسيقى العربية الفارسية[٣].

وقد أصبح فى الإمكان معرفة بعض بقايا الشعر فى الأدبيات البهلوية فى السنوات الأخيرة[٤] . ولم أجد من هذه البقايا غير قطعة صغيرة واحدة من الغزل الخالص ، وهى ضمن النصوص المانوية التى نشرها بادىء الأمر مولر ثم أعاد نشرها سيلمان[٥]، ولـكن ليس مايدل على الأصل المانوى لهذا الشعر الذى ليس له طابع دينى . وهاهو هذا الشعر الجميل كما ترجمه بنفنست[٦] :

الشمس ساطعة ، والبدر يضىء .

---

(١) هنا ، ص ٤٤٧ .

(٢) هنا ، ص ٤٤٤ وما بعدها .

(٣) انظر بحثى "SomeNotes on Persian Melody-names of the Sassnian Period" ، فى Dastour Hoshang Memorial Volume (عباى ١٩٠٩) . وقد تناول فريعر هذا الموضوع فى JRAS ، ١٩٢٦ ، ص ٩٣ وما بعدها من غير أن يطلع على مقالتى التى تحوى تفصيلات أكثر . قارن مقالتين فى المجلتين الفارسيتين « كاوه » (السـنة الثانية ، المجموعة الجديدة ، رقم ٥) و « إيرانشهر » (السنة الثالثة ص ٦١ وما بعدها) .

(٤) انظر بنوع خاص بنفنست ، JA ، ١٩٣٠ ، ص ١٩٣ وما بعدها ، ١٩٣٢ ، ص ٢٤٥ وما بعـدها ؛ RHR ، ١٩٣٢ ، ص ٣٣٧ وما بعدها . وقارن مقالاتى فى مجلة «كاوه» (الأعداد ٤ — ٥ ، ص ٢٤ — ٢٦) ، وفى BSOS ، ١٩٣٤ ص ٤٨٣ ومابعدها ، و"Heltedigtning og Fortoellingsliiteratur hos Iranerne i Oldtiden" (Festkrift udg. af Kobenhavns Universtet i Anlendning af Hs. maj. kongens Fodselsdag ٢٦ سبتمبر ١٩٣٥) ص ٣٢ وما بعدها .

(٥) النص m — ٥٥٤ — V .

(٦) JA ، ١٩٣٠ ، ص ٢٢٢ .

ينيران و ينوّران خلف جذع هذه الشجرة ؛
والعصافير تحلق مستبشرة فرحة ،
وكذلك يحلق اليمام والطاووس الأرقش .

ومن هذا الشعر نستنتج نوع أصوات أرايشن خورشيد و ماه أبهر كوهان .

ولكى نختم هذه الإلمامة بحياة الترف التى كانت عليها الطبقة الراقية الساسانية نذكر كلمات عن الألعاب . نعرف بالاسم ، عدا الشطرنج ، أنواعا كثيرة من الألعاب المسلية : الهشت پا د (الثمانية أرجل) ، النيو اردشير (أردشير الطيب) ، والنرد وكانوا يلعبونها بخمس عشرة قطعة من الحجارة البيضاء وبمثلها من حجارة سود ، والزمب وكانت تلعب بطريقتين مختلفتين(١).

* * *

وأما ما يرويه ابن البطريق من أن كسرى الثانى قد اعتنق المسيحية فقول لا شك فى خطئه(٢) . ولكن صلات هذا الملك بإمبراطور الروم موريق الذى ساعده على العودة إلى عرشه ، وزواجه من الأميرة البيزنطية ماريا وأثر عشيقته المسيحية شيرين فيه ، كل هذا حمله على التساهل ، ولو فى الظاهر ، مع رعاياه النصارى . أما هو نفسه فقد أضاف إلى عقيدته من الخرافات المسيحية فوق ما كان يعتقد ؛ فإن الخرافات ، فيما يظهر ، كانت الأساس الحق لدينه . ويشهد بذلك العدد الغفير الذى يحيط به من الكهان والسحرة والمنجمين(٣) .

وإذا كان للنصارى ، حينما اعتلى كسرى الثانى العرش ، حرية الدين ، ولكن لم يكن لهم ، الحق فى التبشير بدينهم وإدخال الزردشتيين فيه وهذا لا يحتاج إلى دليل ،

---

(١) ماذيكان شطرنج ، § ٩ ؛ اونوالا ، King Hosrsw and his boy ، § ١٥ — ١٦ ؛ بارتولومويه ، IF ، جزء ٣٨ ، ص ٤٠ وما بعدها ؛ هرتسفيلد ، Arch. mitt. (٣) ، ص ٢٨ . وينسب اختراع النيو اردشير إلى بزرجمهر ، كما تقول القصص ، وهو وزير كسرى الأول فيها . ولكن يظهر ، كما لاحظ هرتسفيلد ، أن اسم اللعبة يشير إلى أنها لم تكن أيام كسرى الأول ، إنما كانت فى عهد ملك اسمه اردشير ، قد يكون اردشير الأول .

(٢) نولدكه ، Ṭabari ، ص ٢٨٧ ، ملحوظة ٢ .

(٣) تقول الروايات إنه كان لديه ثلاثمائة وستون منهم ، على عدد أيام السنة (الطبرى ، ١٠٠٩ — ١٠١٠ ، نولدكه ، ٣٠٢) .

فإن من يخرج عن دينه من هؤلاء كان عقوبته الإعدام ، نظريا على الأقل[١] ؛ ومع ذلك يظهر أنهم كانوا يتساهلون فى ذلك غالباً[٢] . وقد كان كسرى سمحا مع الكنائس ، وقد أنشأ كثيرا من أماكن العبادة باسم القديس سرجيوس الذى ساعده فى حروبه ، كما أهدى صليبا من الذهب لكنيسة سرجيوبو ليس فى سوريا[٣] .

وقد اختار الأساقفة فى سنة ٥٩٦ ، تنفيذا لرغبة الملك ، صبر يشوع جاثليقا ، كان راعيا ومن أشد أعداء الكفار ، وكان هؤلاء كثيرين . وكان المصليون Mesalliens رهبانا جوالين شحاذين ، كانوا نوعا من فقراء النصارى ، « يتخفون وراء زهد ظاهرى ، وكانت أخلاقهم فاسدة للغاية ، يتدخلون ، بحكم عملهم الخارجى ، فى بيوت النار حيث يرتكبون كل ما يشتهون من منكر[٤] » . وكان الحنانيون ، وكانوا عند الناس موحدين جبريين ، واليعاقبة Monophysites الذين استردوا نفوذهم ، يتهمون بكل قواهم الكنيسة النسطورية . وقام النزاع من جديد بين النساطرة واليعاقبة وانتصر هؤلاء . فقد كان لهم فى جبريل كبير أطباء كسرى بطل مغوار ، وكان نسطوريا فاعتنق مذهب اليعاقبة . وجبريل هذا ، الذى فسدت علاقته بالجاثليق صبر يشوع ، لأن هذا كفره بسبب نهجه فى الحياة ، كان متمتعا بثقة الملك الكاملة ، وخاصة بعد أن انتهى سعيه ، بعون قدسى من القديس سرجيوس ، إلى أن توهب شيرين ، التى لم يكن لها ولد ، ولدا ، هو مردانشاه . وإذ اعتنقت شيرين مذهب اليعاقبة علا شأنه . وبعد موت صبر يشوع ، اقترحت شيرين على الملك أن ينصب بدله جريجوار ، الأستاذ بمدرسة سلوقية ، وقد انتخبه المجمع فى يسر ، وكان عالما دينيا ضليعاً جشعا بطنا ، ومات بعد ذلك بأربع سنوات (٦٠٨ أو ٦٠٩) . وقد ترك من ورائه ثروة طائلة صادرها كسرى لنفسه . وبعد هذا ظل منصب الجاثليق شاغرا عدة سنوات ، لأن كسرى ، وقد ترك قياده لجبريل وشيرين ، عارض فى انتخاب جاثليق

---

(١) دينكرد ، (٩) ، ٥٦ — ٤ (نسك باغ) .

(٢) يروى فى الدينكرد ، (٩) ، ٣١ — ٢١ : ٢٣ أن يشت وَرَشْتَمانسَرْ أو بالأحرى شروحه قد تناولت الصلات بين المؤمنين والمرتدين .

(٣) لابور ، ص ٢٠٩ .

(٤) لابور ، ص ٢١٤ .

نسطورى . وتجادل الفريقان ، وأثير الموضوع القديم ، هل للمسيح طبيعة موحدة أو له طبيعتان . وقد كسب النساطرة فى صفهم رجلا من أكبر أسر الفرس ، هو مهران گشنسپ ، الذى عُمِّد باسم جورج ، فأبلى فى خدمة مذهبهم[1] .

وحياة هذا الرجل ، كما تروى فى أعمال الشهداء ، تعرفنا تفصيلات قيمة عن نهج حياة الطبقة العليا أيام كسرى الثانى . فقد كان من نسب ملكى . وكان أبوه « أستاندار » فى نصيبين كما كان جده حاكما لأنطاكية الجديدة التى بناها كسرى الأول . وكانت أملاكه التى ورثها عن أسرته تشمل قرية بقوريا فى كورة ننيشتار فى بلاد بابل ، وكان له ، على عادة العظماء ، قصر منيف فى العاصمة . وقد أرسل هذا الطفل النبيل ، ذو الصفات العظيمة ، إلى بلاط الملك وهو حدث ، كى يكون غلاما ثم يرقى إلى وظائف الدولة أو البلاط الكبرى . وحين انتشر الطاعون فى ساوقية ، هرب مهران گشنسپ ، ولم يكن قد ترك دين آبائه بعد رغم ما يساوره من شكوك ، إلى أحد أملاكه — يقول الكاتب المسيحى فى خبث : « كما يفعل الكفار عادة » — بعد أن عهد برعاية قراه « وعبيده الآخرين[2] » إلى أحد المسيحيين . وحينما اعتنق المسيحية ، عكف فى الصحراء يدرس دينه الجديد . وقد سأل أخته عما تعرف من أخبار الأسرة المالكة ، بعد أن كُشف سر دخوله فى النصرانية فأجابته : « تعال فليس من خطر عليك ، فإن الملك حين علم أنك أصبحت نصرانيا لم يقل عنك من سوء غير « ذهب مهران گشنسپ إلى جهنم » ، ولكن سر ، تعال فإن الملك قد يأمر بأن تبقى لك أملاكك » . وبعد ذلك زار المرتد أخته وكانت متزوجة من أحد العظماء ، فاقترب منها فى إعظام ثم انحنى على بعد قليل منها . فقامت من على وسادتها لتحيى أخاها ومدت إليه يدها « كما تقضى تقاليد الوثنيين على زوجات العظماء » ، وقالت له ضاحكة : « إسعد حالا ! فإنى مسيحية ... »[3] .

---

(١) نفس المصدر ، ص ٢٠٨ — ٢٢٥ .

(٢) قراءة أخرى « وأملاكه الأخرى » ، انظر جيجر ، WZKM (٤٢) ، ص ١٢٥ .

(٣) هوفمان ، ص ٩٤ — ٩٩ .

ومن هذه الرواية نرى أن أخلاق وعادات العظماء كانت مطبوعة بطابع من الرقة ونوع من الأناقة تذكرنا بما كان في القرن الثامن عشر .

ولكن جبريل ، كبير الأطباء اليعقوبي ، وجد في هذا النسطوري المتحمس خطرا ، فدبر له الاتهام بأنه كفر بالزردشتية ، فحكم على مهران گشنسپ بالموت فصلبوه .

وقد كان بين النساطرة أنفسهم كل أنواع المنازعات . وقد كفر بابهائى الكبير ، كبير النصارى في جبل إزلا شمال نصيبين والنسطورى الغيور ، بابهائى الصغير ، وهو قسيس النصارى الذى لا يقل عنه تقى . يقول جويدى (Anonyme)[1] : «فلنجمل القول لأن نهجهم كان أقوم وأوضح من الشمس ، وكثير من كتاباتهم يشهد بأنهم أصحاب الدين الحق » .

وحينما توفى جبريل ، أصبح يزدين ، الـــ «واستريوشانسلار» الذى ذكرناه أكثر من مرة ، بعد شيرين ، أكبر المسيحيين نفوذا عند الملك . وكان نسطوريا وقد بذل ما في وسعه ليساعد حزبه ، ولكن جهوده لحمل كسرى على السماح للنساطرة باختيار جاثليق قد ذهبت سدى ، ولعل ذلك راجع إلى معارضته أثيرة الملك[2] .

ولم يكن رجال الدين الزردشتى فى حالة تسمح لهم بالاستفادة مما بين النصارى من شقاق . إنهم كانوا يمثلون دين الدولة ، حقيقة ، وقد فقدوا قليلا من تعصبهم ، ولكن سلطانهم كان ضعيفاً إلى حد أن تحملوا إسناد أكبر الوظائف المالية إلى أسرة يزدين . ومن قبل كان النصارى يستخدمون فى الوظائف الإداريه المختلفة ، ولكن فى مناصب غير مهمة ، فمثلا كانوا يشغلون منصب كاروگبذ أو رؤساء عمال المملكة[3] ولم يكن تعيين كسرى الثانى لفرخزاد الجلف على جباية الضرائب بأقل مخالفة للتقاليد القديمة . وقد بلغ تدهور رجال الدين المزديين درجة كبيرة حتى أصاب

---

(١) ترجمة نولدكه ، ص ٢٣ .

(٢) لابور ، ص ٢٢٨ — ٢٣٥ .

(٣) الطبرى ، ص ٩٦٠ ؛ نولدكه ، ص ٢٤٠ و ٢٠٥ ؛ لابور ، ص ٦٧ . وانظر فى كلمة كاروگبذ بيلى فى BSOS ، ١٩٣٤ ، ص ٥١٢ وما بعدها .

الأخلاق والعقيدة وعبادات المجوس والموابذة . ومما يلفت النظر العبارة التى عددت ، فى مينوگك خرد (الفصل ٥٩) عيوب رجال الدين الشائعة . وهذه العيوب هى : الارتداد ، والحرص ، والإهمال ، والاشتغال بالتجارة ، والتعلق الشديد بحطام الدنيا[١] ، وضعف الإيمان فى أمور الدين .

ومع هذا فإن رجال الدين الزردشتيين قد جددوا جهودهم لتجديد أركان الدين وتثبيتها . وفى الدينكرد[٢] إشارة تفيد أن كسرى الثانى قد أعد تفسيراً جديداً للأوستا ، أعده أذكى رجال الدين . وقد بين ماركارت[٣] عبارة فى تفسير الفصل الأول من الونديداد تذكر بالوضع السياسى الذى ترتب على تعيين الحدود الفارسية البيزنطية بين كسرى وملك الروم موريق سنة ٥٩١ . أما أن كسرى نفسه قد أحب دراساته الدينية فمشكوك فيه ، ولكن قد تكون هناك أسباب سياسية حملته على إظهار إخلاصه للدين الزردشتى ، ذلك الإخلاص الذى شُك فيه . يقول الطبرى[٤] إنه أمر فبنيت بيوت النيران وأقام فيها إثنى عشر ألف هربذ للزمزمة ، وهو عدد مصطنع ليس له قيمة تاريخية بطبيعة الحال .

وقد كان لغزوات الإمبراطور هرقل فى أراضى إيران رد فعل فى حال النصارى . ويقول جويدى[٥] (Anonyme) « إن كسرى قد أقسم حين انتصر فى هذه الحرب ليأتين على جميع الكنائس فى الدولة ولا يترك ناقوسا منها » . ومهما يكن فقد اضطهد النصارى جميعا ، نساطرة ويعاقبة . وفى هذه الآونة أمر الملك بقتل يزدين وتعذيب زوجه ومصادرة أمواله . وقد عمل أحد أبناء يزدين ، شمطا[٦] ،

(١) ومن الملاحظ بوضوح أن التدقيق المفرط فى تكلف قد يصير أقوى مما ينبغى حتى عند رجال الدين البرسيين .

(٢) هوج ، Essay on Pahlavi ، ص ١٤٦ ، وقد ذكرت فى GIPH ، (٢) ، ص ٣٤ .

(٣) Eranšahr ، ص ١٦٣ .

(٤) ص ١٠٤١ — ١٠٤٢ ؛ نولدكه ، ص ٣٥٣ .

(٥) ترجمة نولدكه ، ص ٢٨ .

(٦) قارن The Book of Governers, Thomas of Margâ ، ترجمة وليس بدج (لندن ١٨٩٣) ص ٨١ وما بعدها .

عملا مؤثراً فى المأساة التى قضت على عهد كسرى ثم على حياته .

وقد أضيف إلى نكبات الحروب نوازل الطبيعة . فى أيام قباد انبثق فى أسفل كسكر — قد لايكون بعيداً من ولاية ميسان — بثق عظيم فأغفل أمره حتى غلب ماؤه وغرق كثيراً من أرضين عامرة ، ولما ولى أنوشروان أمر بذلك الماء فزُحم بالمسنيات حتى عاد بعض تلك الأرضين إلى عمارة ، ثم لما كانت سنة ٦٢٧ — ٦٢٨ (٦ هـ) ، أيام كسرى الثانى ، زاد الفرات زيادة عظيمة ودجلة أيضاً لم ير مثلها ، وانبثقت بثوق كبار فجهد أبرويز أن يسكرها حتى ضرب أربعين سكرا فى يوم واحد ، وأمر بالأموال فألقيت على الأنطاع فلم يقدر الماء على حيلة ، ثم إن المسلمين وردوا العراق وشغلت الفرس بالحرب فكانت البثوق تنفجر ولا يلتفت إليها ويعجز الدهاقين عن سدها ، فعظم ماؤها واتسعت البطيحة وعظمت[١]. وانخراق دجلة العوراء ، أى فرع دجلة الذى يمر بالجهة التى بنيت فيها أخيراً مدينة البصرة ، والجهود والأموال التى أنفقت عبثا فى ترميمه قد أثرت فى نفوس الناس أثراً كبيراً . وفى الوقت نفسه انصدع طاق كسرى پرويز فى المدائن ، ورؤى بعد ذلك فى هذه الحادثات نذير بسقوط الدولة الساسانية على يد المسلمين[٢] .

وبعد حكم دام سبعا وثلاثين سنة لقى كسرى الثانى المصير الذى أعده لأبيه من قبل . فإنه بعد أن هرب من دستگرد ، رافضاً عروض الصلح التى قدمها هرقل ، عاد إلى قصره فى المدائن ، ثم لم يلبث أن تركه ليعبر دجلة ويقيم مع عشيقته شيرين فى ويه أردشير (سلوقية) . وحينئذ ثار القواد الفرس وكانوا ساخطين على إصرار كسرى على مواصلة حرب لا أمل فيها . وقد عرف شهربراز أن كسرى ، الذى كان يشك فيه ، قد أمر قائداً ممن يرأسهم بقتله ؛ فأخذ حذره وتحلل من عهود الإخلاص له[٣] ومرض كسرى بالزحار فنقلوه إلى المدائن ليرتب وراثة العرش ، وكان معه

---

(١) ابن خرداذبه ، BGA ، (٤) ، ص ٢٤٠ ، الترجمة ، ص ١٨١ .

(٢) الطبرى ١٠٠٩ وما بعدها ؛ نولدكه ، ص ٣٠٤ وما بعدها . قارن قصة أخرى عن نذر الشر بالنسبة للفرس عندما ولد النبى ، الطبرى ، ص ٩٨١ ؛ نولدكه ، ص ٢٥٣ .

(٣) انظر ص ٤٣٦ ، ملحوظة ٣ ؛ والطبرى ١٠٠٦ وما بعدها ؛ نولدكه ، ص ٢٩٩ وما بعدها و ٣٠١ ، ملحوظة ٤ .

شيرين وولداه مردانشاه وشهريار وكانت نيته تثبيت مردانشاه على العرش . ولما علم قباد ، الملقب بشيرويه ، وهو ابن كسرى من ماريا ولعله أكبر الأمراء ، بما حدث عزم على الدفاع عن حقوقه واستوثق من مساعده القائد العام الجديد ، گشنسب اسپاذ[1] ، وهو ، حسب رواية تيوفان Théophane ، أخوه من الرضاعة . وقد فاوض هذا هرقل وأبدى استعداده للصلح مع الفرس . وانضم لشيرويه عظماء آخرون ، من بينهم شمطا بن يزدين ونيو — هرمزد[2] ابن الـ — باذ گوسپان مردانشاه الذى كان كسرى قد قتله[3] كما قتل يزدين . وأمر شيرويه ففتحت « قلعة النسيان » وأفرج عن عدد كبير من مسجونى الدولة فانضموا إلى الأمير .

وهكذا نصب شيرويه ملكا . ففى الليل ترك الحرس القصر حيث كان ينام كسرى وشيرين ، وفى الصباح الباكر سمع الناس يصيحون فرحين « قباد شاهنشاه ! » . وحينئذ هرب كسرى ، وقد أخذه الهلع ، فاختبأ فى حديقة القصر حيث عثر عليه ، فأخذ وأودع منزلا اسمه كذگ هندوگ (بيت الهندى) ، وكان مبنيا ليكون خزانة للكنوز ويسكنه رجل اسمه مهرسپند . ويحكى أن إسكافيا كان يجلس فى حانوت على الطريق فلما بصر بفرسان من الجند معهم فارس مقنع عرف أن المقنع كسرى فحذفه بقالب ، فعطف إليه رجل ممن كان مع كسرى من الجند فاخترط سيفه فضرب عنق الإسكاف ثم لحق بأصحابه . والإسكافى هو ، كما نبهنا ، أقل العامة مكانة[4].

ويقول سيبوس الأرمنى[5] إن كسرى قتل غداة هذه الحوادث . وأمر شيرويه بأن تقطع أيدى إخوته وأرجلهم ، فإنه أراد الإبقاء عليهم أحياء ولكن اضطر بعد ذلك بقليل أن يسقيهم كأس المنون . يقول تيوفان Theophane إن شيرويه قتل أخاه مردانشاه أولا ، ثم عقب بالآخرين ، وإن كسرى نفسه قد سجن فى مستودع الخزائن ليلقى الموت جوعا ، فلما لم يمت بعد خمسة أيام ، رموه بالسهم فقتلوه .

---

(١) اسفاذ — جشنسف عند الطبرى .

(٢) Anonyme de Guidi ؛ اسمه عند الطبرى مهر — هرمزد .

(٣) هنا ص ٤٣٤ .

(٤) الطبرى ، ١٠٤٦ ؛ نولدكه ، ص ٣٦١ وما بعدها .

(٥) ترجمة نولدكه ، ص ٢٩ .

ويقول جويدى[١] (Anonyme) إن كسرى قد قتل بيد شمطا و نيو — هرمزد بإذن من شيرويه ، وإن إخوة الملك قتلوا بيد العظماء الذين انضموا إلى شمطا .

ولدى الكتاب العرب والفرس تفصيلات أكثر . وتنص روايتهم على أن شيرويه تردد فى الإقدام على قتل أبيه ولكن العظماء خيروه بين أن يقتل كسرى فيكونوا حوله باخعين له بالطاعة وبين أن يخلعوه ويعطوا الطاعة لكسرى . وقد حاول الملك الجديد أن يجد الفرصة ؛ فوجه إلى أبيه نوعا من « عريضة الاتهام » تحوى النقط الآتية[٢] : قتل الملك هرمزد ، قسوة كسرى على أبنائه ، إساءته إلى من أودع السجون ، سوء نظره فى استخلاص النساء لنفسه مع ترك العطف عليهن بالمودة وحبسه إياهن قبله مكرهات ، ظلمه الرعية عامة فى جباية الخراج وما انتهك منهم فى غلظته وفظاظته عليهم ، وجمعه الأموال التى اجتباها الناس فى عنف شديد ، تجميره من جمّر فى ثغور الروم وغيرهم من الجنود وتفريقه بينهم وبين أهلهم ، وغدره بموريق ملك الروم وكفره بإنعامه . وقد حمل عريضة الاتهام هذه إلى كسرى گشنسب اسپاد الذى حمل إلى شيرويه ردا مفصلا على ما جاء فيها . ورد كسرى ، ولو أن عليه مسحة الغرور ، لم يخل من مهارة ، وقد رد فيه التهم وعاب على ولده عدم البر به وجهله بالأشياء التى تحدث عنها . ويرى نولدكه Noeldeke[٣] أن رواية هذا الإجراء (إن صح أن نسميه كذلك) يصعب اعتبارها صحيحة على الصورة التى يذكرها الكتاب الشرقيون ؛ إنما هى عرض لأسباب الدفاع عن كسرى ، كتبه بعد موت كسرى وشيرويه ، الذى لم يعش بعد أبيه طويلا ، بزمن قليل رجل كان واقفا على مجرى الحوادث . ولكنى قد أعتقد فى صحة هذه الرواية . وعلى كل حال يبدو إلىّ بعيدا عن التصديق القول بأن كتابا معاصرين قد اخترعوها لو كانت هذه القضايا التى وجهت إلى الملوك المخلوعين بغير سوابق .

---

(١) پاتكاينان ، JA ١٨٦٦ ، ص ٢١٠ .

(٢) الطبرى ، ص ١٠٤٦ وما بعدها ، نولدكه ، ص ٣٦٣ وما بعدها مع بعض اختلافات فى التفاصيل : الفردوسى ، الثعالبى ، الدينورى ، النهاية وغيرها . وقد يحتمل أن تكون هذه الجزئيات مأخوذة عن التاج نامه الذى كتب تفصيلا عن كسرى الثانى وهو فى السجن وصلاته بابنه شيرويه . انظر جبريللى ، L'Opera di Ibn al-muqaffa ، (Riv. degli Studi Orientali) (٨) ، ص ٢١٢ ، ٢١٥ — ٢١٦ ، مع الملاحظة الأولى من ص ٢١٦ .

(٣) Tabari ، ص ٣٦٣ ، ملحوظة ١ .

ويقول المؤرخون العرب إن كسرى قد قتل بيد مهر — هرمزد (نيو — هرمزد عند جويدى Anonyme) ، بإذن شيرويه الذى قتل أيضا بإيعاز من شمطا وغيره أخوته وكانوا سبعة عشر أخا .

ويقول بعض المؤرخين الشرقيين ، الذين ترقى روايتهم إلى مصدر پهلوى ، إن شيرويه قد أبدى ندمه على قتل أبيه ، وكذلك يقول جويدى (Anonyme) . وقد جرت هذه الحوادث سنة ٦٢٨ .

وهناك كلمة تلفت النظر ، جاءت فى مصدرين مستقل كل منهما عن الآخر ، هما الطبرى[١] وجويدى[٢] Anonyme : وهى أن شيرويه أمر بحمل جثة أبيه إلى الناووس (دفنه فى رواية جويدى) . وهذا معناه أن جثمان الملك السابق قد عرض فى دخما خاصة بالأسرة المالكة أو أنه أودع ضريحا[٣] .

وقد اتهم بعد ذلك شمطا الطموح بأنه يأمل فى تولية العرش فسجنه شيرويه بعد أن قطع يمناه[٤] .

---

(١) ص ١٠٦٠ ؛ نولدكه ، ص ٣٨٢ .

(٢) ترجمة نولدكه ، ص ٣٠ .

(٣) قارن النص الپهلوى اندرز خسرو كواذان ، جاماسپ اسانا ، PT ، (٢) ، ص٥٥ ، ١ ، ٣ — ٥ ، حيث قال كسرى الأول وهو على سرير الموت : حينما تصعد روحى من الجسد ارفعوا هذا السرير واحملونى إلى إصفهان ودعونى بها . والفعل الپهلوى والفارسى نهادن الذى استخدمه الفردوسى فى وصف جنائز المحاربين يمكن ترجمته بالإيداع أو الدفن ؛ قارن روزنبرج ، وبوجدانوف فى .J. Coma Or. Inst ، رقم ٣ ، ص٣٨ — ٣٩ . وفى الشاهنامة (طبعة مول Mohl ، (٦) ، ص ٥٤٠) تفصيل لأوامر كسرى الأول وهو يموت الخاصة بترتيب حجرة خاصة كضريح تكون مأواه الأخير . ومن الممكن أن يكون لمشكلة معاملة الجثث أيام الساسانيين أوجه جديدة .

(٤) Anonyme de Guidi ، نولدكه ، ص ٣٠ .

الفصل العاشر

سقوط الدولة

حكم قباد الثانى شيرويه ، وأردشير الثالث ، وشهربراز ، وكسرى الثالث ، وبوران ، وآزر ميدخت ، وهرمزد الخامس ، وكسرى الرابع ، وفيروز الثانى ، وفروخ زاد — خسرو . يزدگرد الثالث آخر ملوك الساسانيين . تفكك عرى الدولة . العامة . القائد رستم . الفتح العربى . واقعة القادسية . درفش گاويان . الاستيلاء على المدائن . فتوح عربية أخرى . فرار يزدگرد الثالث وموته فى مرو . أولاده . إيران تحت حكم العرب .

كان كسرى پرويز ، مع عيوبه ورذائله ، ملكا قويا . فقد استطاع أثناء حكمه الطويل أن يكبح جماح العظماء . ولكن مظالمه وحروبه قد استنفدت قوى الدولة ، وكان فى مآسى سنوات الحرب الأخيرة الضربة القاضية على الدولة . وقد جر موت كسرى إلى انطلاق الأهواء والمطامع ، وتصدع سلطان الأسرة المالكة فى تعاقب عهود الحكم السريع .

وقد توفى قباد الثانى شيرويه بعد أن حكم حوالى الستة أشهر ، مسموما أو فريسة لطاعون مروع اجتاح الدولة وأهلك الكثير من سكانها(١) .

وحينئذ ولوا على العرش ابن شيرويه ، أردشير الثالث . وكان طفلا فنصب عليه الخوانسالار أو الرئيس الأعلى ماه آذر گشسپ رائدا . فكان الوصى الحقيقى له . وقد أبى فرّخان شهر براز ، قائد كسرى پرويز المشهور ، أن يخضع لأوامر واحد من أكفائه ، فاتفق مع هرقل ملك الروم ، وزحف بجيشه على المدائن حيث عاونه عظيمان من عظماء الدولة ، هما نيو — خسرو رئيس حرس الملك ونامدار گشسپ قائد نيمروز . ودخل شهر براز المدينة بجنده فقتل الملك الصغير الذى لم يكن قد حكم

---

(١) يقول تيوفان إن شيرين قد دست السم لشيرويه . ويقول ابن البطريق وابن قتيبة إنه مات بالطاعون . ويروى الفردوسى والثعالبى قصة خرافية عن انتحار شيرين وسم شيرويه .

غير سنة ونصف سنة ، ثم جرى على مثال بهرام چوبين وبسطام فنصب نفسه ملكا بالرغم من أنه لم يكن من الأسرة المالكة . ثم أخرج شمطا من السجن وصلبه على باب كنيسة مجاورة لأملاك أسرة هذا المسيحى ، وذلك لأنه كان قد أهان بنت شهربراز[١] . ولكن حزبا رؤساؤه معلم الأساورة ماهيار وعظيم آخر اسمه زادان — فرُّخ وپوس — فرخ وهو شاب من عظماء اصطخر ، قام معارضا لشهربراز وأعوانه . ودبرت مؤامرة ، وقتل الغاصب بيد پوس — فرخ وأخويه وكانوا جميعا فى الحرس الملكى[٢] .

وبويع كسرى الثالث ، ابن الأمير قباد أخى كسرى الثانى ، ملكا على القسم الشرقى من الدولة ، ولكن لم يلبث أن قتله حاكم خراسان[٣] . وفى المدائن وضعوا التاج على رأس السيدة بوران بنت كسرى پرويز . فكافأت پوس — فرخ على ماأدى من خدمات للأسرة المالكة فجعلته وزيرا وتوفيت بعد أن عقدت صلحا نهائيا مع بيزنطة ، وقد حكمت حوالى سنة وأربعة أشهر[٤] . وكان الفرس قد ردوا ، قبيل محادثات الصلح الأخيرة ، الصليب المقدس الذى كانوا قد أخذوه من بيت المقدس[٥] . وقد كان الاحتفال بهذا الحادث سنة ٦٢٩ فى بيت المقدس[٦] .

ولعل من الواجب أن نذكر هنا حكم ملك اسمه فيروز (الثانى) وكان قصيراً جدا . ثم نصبت آزر ميدخت أخت بوران ملكة فى المدائن . ولم يلبث حكمها غير بضعة شهور . ويقول الطبرى[٧] ، إن قائدا اسمه فرخ — هرمزد[٨] ، حاوله

---

(١) Anonyme ds Guidi ، نولدكه ، ص ٣١ .

(٢) وهكذا الطبرى (ص ١٠٦٣ ؛ نولدكه ، ص ٣٨٩) ويظهر أن روايته أصح . وقد ذكر اسم قاتل شهربراز مختلفا فى المصادر .

(٣) انظر نولدكه ، Tabari ، ص ٣٩٠ ، ملحوظة ١ .

(٤) Anonyme de Guidi (ترجمة نولدكه ، ص ٣٣) حيث يقول إنها شنقت .

(٥) انظر هنا ص ٤٣٠ .

(٦) نولدكه ، Tabari ، ص ٣٩٢ ، ملحوظة ١ .

(٧) ص ١٠٦٥ ؛ نولدكه ، ص ٣٩٤ .

(٨) يقول سيبيوس إنه كان قائد آزربيجان (ماركارت ، Ērānšahr ، ص ١١٢) ، ويقول الطبرى إنه كان قائد خراسان .

الاستيلاء على العرش وخطب الملكة ، فلم تجرؤ على رفضه صراحة ، وتحايلت حتى قتلته . وحينئذ تقدم رستم[1] ، ابن فرخ — هرمزد ، بجيشه واستولى على العاصمة وعزل ملكتها وسمل عينيها . ولا نعرف كيف ماتت .

وحوالى هذا الوقت نفسه ، بين سنتى ٦٣٠ — ٦٣٢ حكم هرمزد الخامس وكسرى الرابع ولا نعرف عنهما غير الاسم . ولعله لم يكن معترفا بهما إلا فى بعض أجزاء من الدولة . وأصبح فَرُّخْزاد — خسرو[2]، أحد أحفاد كسرى پرويز ، ملكا على المدائن .

وفى مدة أربع سنوات تقريباً ولى عرش إيران عشرة ملوك على الأقل . وأخيراً عثر على أمير من نسل كسرى پرويز ، اسمه يزدگرد وهو ابن الأمير شهريار . وكان يعيش مختفيا فى اصطخر ، البلد الذى نشأ فيه الساسانيون . وقد بايعه عظماء اصطخر ملكا وتوجوه فى بيت نار هذا البلد المسمى ببيت نار أردشير[3]. وسار أعوانه إلى المدائن ، فاستولوا عليها بمساعدة رستم ، القائد الذى مر ذكره ، وقتلوا فرخزاد — خسرو . وهكذا اتحدت المملكة ، للمرة الأخيرة ، تحت حكم يزدگرد الثالث . وكان أقوى الرجال حينذاك رستم وأخاه فرخزاد[4] الذى كان يلى منصب دريگبذ أو رئيس ديوان الملك[5] ، وزادويه رئيس الخَوَل الذى كان حامياً لفرخزاد — خسرو من قبل[6] .

هذا هو حال إيران حين أغارت جيوش البدو السذج ، عبر الصحراء العربية ، يذكيها التعصب الدينى وروح الغزو ، وقد نظمها الخليفة عمر الحاكم الفذ ، لكى

(١) اسمه هو اسم بطل سيستان القديم الذى يذكر فى القصص . ونجد فى المصادر السريانية صيغة رستم التى نعرفها من الروايات العربية والفارسية (Anonyme de Guidi ، ترجمة نولدكه ، ص ٣٣ ، الملحوظة ٤) .

(٢) أو خورزاذ — خسرو ؛ فرخو أو فرخ صفة من فرّ وهى صيغة جارية من خور بمعنى المجد أو العظمة .

(٣) الطبرى ، ١٠٦٧ ؛ نولدكه ، ص ٣٩٧ ؛ قارن هنا ص ٧٧ .

(٤) أو خورزاد .

(٥) ماركارت ، Eranšahr ، ص ١١٢ .

(٦) الطبرى ، ص ١٠٦٦ ؛ نولدكه ، ص ٣٩٦ وما بعدها .

تغزو إيران فى روح لايقاوم . أما أن هذه الجيوش من عرب الصحراء قد نجحت فى جندلة دولة كبيرة ذات نظام حربى ، فى بضع سنوات ، كالدولة الساسانية ، فهذا يفسره التفكك الذى ظهر فى الدولة فى السنوات المضطربة التى تلت موت كسرى پرويز . وكان ذلك النتيجة المحتومة للسياسة الحربية التى بدأها كسرى أنوشروان . فإن التطور مال شيئاً فشيئاً نحو التسلط الحربى ، فاعتبر كل قائد أو حاكم الولاية التى يليها كأنها إقطاع وراثى على النمط القديم ، وخاصة عند ما هوت الأسرة المالكة إلى تدهورها النهائى . وقد كثرت محاولات اغتصاب العرش من قواد لم يكونوا من الأسرة المالكة . وقد دبر القائد فرخ — هرمزد خطة لرقى العرش بأن يتزوج من الملكة آزرميدخت . وإن كان هذا المطمع قد أدى به إلى الموت ، حقيقة ، فإن ابنه رستم قد ثأر له . ويسمى الكتاب الأرمن هذين القائدين ، الأب والابن ، أميرى (إيشخن[1]) آزربيجان .



٥٢ . من نقود يزدگرد الثالث
(متحف كوپنهاجن)

إن تسلط القواد والحكام هو آخر مرحلة فى التطور السياسى أيام الساسانيين ؛ ولكن نظام الإقطاع الجديد هذا لم يكن لديه فسحة من الوقت ليتحد قبل الغزو العربى . وفى الوقت نفسه كان مرازبة مرو ومرو الرود وسرخس وكوهستان شبه مستقلين[2] .

(١) انظر عن هــذا اللقب بنڤنست فى Revue des études arméniennes ، ج (٩) ، ص ٨ .

(٢) ڤان ڤولتن ، Recherches sur la domination Arabe ، ص ١٩ .

ومنذ زمن فيروز الأول كانت جميع الأقاليم شرقى مرو الرود خارجة عن سلطان الدولة الإيرانية . ولم تكن هراة نفسها تابعة للساسانيين . وكان رؤساء الولايات القزوينية خاضعين ، أيام الفتح الإسلامى ، إلى أمير الديالمة موتا أو مورتا[١]. أما الولايات شمال الحدود الإيرانية أو شرقيها فكان يحكمها ملوك أو أمراء اشتهر كثير منهم بألقاب خاصة . وهاهى ذى أشهر الإمارات مع ألقاب أمرائها[٢] : نسا (وراز) ، أبيورد (بهمن) ، خوارزم (خسرو — خوارزم) ، بخارا (بخارا — خوذو) ، وردانه (وردان شاه) ، سمرقند (طرخان) ، اسروشنه (أفشين) ، سغد (إخشيد) ، فرغانه (إخشيد) ، خُتل (ختلان — شاه أو شير — ختلان) ، ترمذ (ترمذ — شاه) ، جوزجان (جوزجان — خداى) ، روب (روب — خان) ، طالقان (شهرگ) ، هراة (ورازان) ، غرجستان (وراز — بندگ) ، سيستان (رتبيل) ، كابل (كابُل — شاه)[٣] .

وفى طخارستان ، شرقى بلخ ، كان يحكم يبغو[٤]، وكان يتبعه أمير لقبه شاذ[٥] . وكان الـ — نيزك طرخان الذى يقيم فى بادغيس يعترف بالشاذ سيدا له[٦] .

---

(١) مينورسكى ، La domination des Dailamites ، ص ٤ .

(٢) المصدر الرئيسى : ابن خرداذبه ، BGA ، (٦) ، ص ٣٩ — ٤٠ ، الترجمة ص ٢٩ . ڤان ڤولتن ، (I) ، c .

(٣) كثير من هـذه الألقاب مركب مع الـكلمة البهلوية شاه . إخشيد صيغة صغدية للـكلمة الإيرانية التى تظهر فى الأوستا بصيغة خشيتا والتى ينسب إليها معنى المضىء . ويظهر أن اندرياس Andreas أراد أن يجعل هذه الـكلمة مشتقة من الأصل خشاى وترجمها بالمتسلط أو الملك (خْوَرَخْشِيد ، « Sonneherr » ، اندرياس — هننج ، Mitteliranische Manichaica ، ص ١٥ ملحوظة ٦) . وألقاب أخرى مركبة مع كلمة خوداى البهلوى أو خوذو الصغدية ، (السيد) . شهرگ وشير مشتقان من الأصل خشى (قارن الأوستا خشترا — « مملـكة » ، « دولة » ، خشتريا — « ملك » ، « أمير ») . وراز (ومنها ورازان و وراز — بندگ) تعنى الخنزير البرى ؟ قارن لقب شهروراز (شهربراز) . وبعض الألقاب من أصلى تركى كالألقاب المركبة مع كلمة خان .

(٤) لقب قديم لملوك كوشان .

(٥) مشتق من خشايثيا ، « ملك » ؟ أو أن شاذ صيغة للتخاطب من إخشيد .

(٦) ماركارت Marquart ، Eranšahr ، ٦٩

كان رستم ، الذى أصبح الحاكم الفعلى فى إيران ، رجلا ذا قوة خارقة ، حسن الإدارة فذ القيادة . وقد أدرك الخطر الذى يهدد بلاده من العرب فى أبعد مداه ، فلما ولى القيادة العامة للجيش ، بذل مجهوداً جباراً ليذود الخصم الجديد . وتجمعت قوات عديدة حول العاصمة . ولكن الخليفة عمر رده . وفى سنة ٦٣٦ (١٥ هـ) التقى الجيش الفارسى بجيش العرب الذى يقوده سعد بن أبى وقاص ، فى القادسية ، غير بعيد من الحيرة . واستمر القتال ثلاثة أيام وانتهى بهزيمة الفرس . وقتل رستم ، وكان يقود الجيش بنفسه وهو جالس فى مخيمه الذى يرفرف أمامه الـ — درفش گاويان ، علم الدولة . كما أن هذا العلم وهو شعار الجيش الفارسى وقع فى يد العرب .

ويربط الفرس أصل هذا العلم بتاريخهم القصصى . ذلك أنه عند ما بليت الدنيا بألف سنة من حكم الطاغية الغاصب ، الضحاك ، بدأ حداد اسمه كاوگ[1] الثورة عليه بأن رفع الجلد الذى يأتزر به على رمح ودعا الناس لعزله ، وانتهت الثورة بسقوط الجبار وباعتلاء أفريدون العرش ، وهو شاب من أمراء البيت المالك القديم . ومن ذلك الوقت أصبح العلم الذى أخذ من فوطة گاوه علما لملوك إيران ، وسمى وفقاً لاسم الحداد درفش گاويان أى علم كاوگ[2]. وقد وصف هذا العلم كثير من الكتاب العرب والفرس ، وصفوه كما رآه الفاتحون فى موقعة القادسية . يقول الطبرى[3] إنه راية كسرى وكانت من جلود النمر عرض ثمانية أذرع فى طول إثنى عشر ذراعا . ويقول البلعمى[4] إن الفرس وقد ظفروا فى جميع المعارك التى

---

(١) گاوه بالفارسية .

(٢) فى بحث لى باللغة الدانمركية تناولت تفاصيل هـذه القصة التى لم تعرفها الأوستا والكتب الدينية التى ترجع الى العصر الساسانى ، وأنها قد ألفت (مع ذكريات من قصص أخرى غاية فى القدم) لتفسير كلمة « درفش گاويان » ومعناه الحقيقى هو « العلم الملكى » (گاويان مأخوذة عن الكلمة الأوستية گاو بمعنى أمير أو ملك ، قارن ص ١٨٨ ملحوظة ١) . وأنا لا أستطيع أن أقبل الرأى الذى ذكره ليفى وجستى Levy, Justi والذى قال به حديثا سار (Klio ، (٣) ص ٣٤٨ وما بعدها) ، وهو أن العلم الماثل على الفسيفساء المشهور الخاص « بواقعة الإسكندر » وعلى بعض النقود القديمة فى فارس هو درفش گاويان .

(٣) ص ٢١٥٧ .

(٤) زوتنبرج ، (٣) ، ص ٣٩٥ .

رفرف عليها هذا العلم أضافوا إلى زينته بعض الجواهر عقب كل انتصار . والواقع إنه كان موشى بقطع الذهب والفضة والجواهر واللآلىء[١]. ويصفه المسعودى[٢] كما وصفه الطبرى مضيفاً إلى هذا أنه على خُشُب طوال موصلة . وفى نص آخر يقول[٣] إن هذه الراية العظمى من جلود النمور وكانت مرصعة بالياقوت واللؤلؤ وأنواع الجواهر . ويقول الخوارزمى[٤] إنه كان من جلد دب ويقال من جلد أسد وكان يتيمن به ملوك الفرس فغشوه بالذهب ورصعوه بالجواهر الثمينة . ويقول الثعالبى[٥] : «إنهم كانوا يتبركون بها ويتنازعون الزيادة فيها والمغالاة بجواهرها ويتنافسون فى محاسنها حتى صارت على امتداد الأيام يتيمة الدهر وكريمة العمر وبكر الفلك ونكتة الحقب فكانوا يقدمونها بين أيديهم فى الحروب ولا يؤثرون بها إلا السالار المقدم والرئيس المعظم من قوادهم وأصحاب جيوشهم ثم إذا قضوا منها أوطارهم ردوها إلى خازنها المحتاط عليها » . ويقول مطهر بن طاهر المقدسى[٦] إنه كان أولا من جلد الماعز أو الأسد فجعله الفرس من الذهب والديباج . ويقارن هذا بما يقول الفردوسى[٧] : إن درفش كاويان والتاج كانا من شعائر الملك[٨] ؛ وكان ، يوضع حين الحرب بجانب تخت الملك[٩]؛ وكان هذا يعين خمسة موابذة ليحملوه أمام الجيش وهو يسير للقتال[١٠]، ويقول الشاعر إنه كان أثناء المعركة يعطى لأ كفأ أبطال الملك[١١] .

---

(١) المصدر نفسه ، (١) ، ص ١١٩ .

(٢) مروج ، (٤) ، ص ٢٠٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٢٤ .

(٤) مفاتيح العلوم ، نشر ڤان ڤولتن ، ص ١١٥ .

(٥) ص ، ٣٨ وما بعدها .

(٦) نشر هيار ، ص ١٣٢ ، الترجمة ، ص ١٤٨ .

(٧) ڤولرز ، (١) ، ص ٤٨ ، بيت ٢٣٦ وما بعده .

(٨) المصدر نفسه ، (٢) ، ص٧٦٢ ، بيت ١٤١٥ ؛ وطبعة مول ، (٧) ، ص٣٨٨ ، بيت ٣٩٥ .

(٩) ڤولرز ، (١) ، ص ٤٧٩ ، بيت ٧٥٠ .

(١٠) المصدر نفسه ، (٢) ، ص ، ٥٥٨ ، بيت ٦٥٥ .

(١١) المصدر نفسه ، (٢) ، ص ٧٦٢ ، بيت ١٤١٥ وما بعده ، (٢) ، ص ٢٥٣ ، بيت ١٤٢٤ وما بعده .

ويقول ابن خلدون[١] إن هذه الراية قد طرز عليها طلسم أعد على حساب النجوم .

يقول المسعودى[٢] إن هذه الراية وقعت يوم القادسية فى يد رجل اسمه ضرار ابن الخطاب فعوض منها بثلاثين ألفا وكانت قيمتها ألفى ألف ومائتى ألف (ألفى ألفى دينار فى كتاب التنبيه لنفس المؤلف[٣]) . وكذلك يعرفنا الثعالبى[٤] بأن « هذه الراية وقعت بيد رجل من النخع فضمها سعد بن أبى وقاص إلى جملة ما أفاء الله على المسلمين من ودائع يزدگرد ونفائس جواهره وحملها مع التيجان والمناطق والأطواق المرصعة وغيرها إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأمر بحلها وفتقها وقسمها بين المسلمين » وقد استولى المسلمون بعد هذا النصر المبين على الحيرة . ثم تقدموا نحو المدائن وفى سنة ٦٣٧ (١٦ هـ) دخلوا ويه — أردشير (سلوقية) بعد أن حاصروها شهرين . وانسحب السكان الجياع إلى المدائن بالمعنى الأخص ، على الشاطىء الأيسر لدجلة . وهرب يزدگرد مع حاشيته « ومعه ألف طباخ وألف مطرب وألف فهّاد وألف بازيار فضلا عمن سواهم ، وعنده أنه فى خفّ »[٥] وذهب إلى حلوان بادىء ذى بدء ، فتبعه العرب ، فسار بعيدا فى ميديا . وترك كثير من أهل المدائن أموالهم لينجوا بحياتهم .

كان ذلك وقت الربيع وقد فاض النهر (دجلة) . وقد قطع الفرس المعابر وضموا السفن عن الشاطىء الغربى . ولكن العرب نجحوا فى نصب معبر فعبر جيشهم على الخيل بغير حادث . وقتل حرس الفرس وهرب بقية حرس الملك ، ودخل سعد بن أبى وقاص مظفرا فى العاصمة المهجورة وعسكر بجيشه أمام طاق كسرى ودخل القصر الأبيض ومنازل كسرى فوجد فيها النفائس التى لم يستطع يزدگرد حملها معه فى

---

(١) نشر كاترمير ، Not. et Extr ، ج ١٨ ، ص ١٣٥ ، الترجمة (سلين) ، ج ٢١ ، ص ١٨٥ .

(٢) مروج ، (٤) ، ص ٢٢٤ .

(٣) BGA ، (٨) ، ص ٨٦ ، ترجمة كارادى ڤو ، ص ١٢٥ .

(٤) ص ٣٩ .

(٥) الثعالبى ، ص ٧٤٢ ؛ وقارن حمزة ، ص ٦٣ ، الترجمة ، ص ٤٧ .

هربه ، فكان بها قباب تركية مملوءة سلالا مختمة بالرصاص فيها آنية من الذهب والفضة . وكان فى الخزائن من الثياب والمتاع والآنية والفضول والألطاف والأدهان ما لا يُدرى ما قيمته . وسرح سعد فرقة لتتبع آثار القوم إلى النهروان ، وانتهت هذه الفرقة إلى جسر النهروان وكان الفرس عليه ، فتناوشوا واستولى العرب على دواب عليها حلية كسرى ، ثيابه وخرزاته ووشاحه ودرعه التى كان فيها الجوهر ؛ وكان على جنيبة عيبتان وغلافان فى أحدهما خمسة أسياف وفى الآخر ستة أسياف وإذا فى العيبتين أدراع فإذا فى الأدراع درع كسرى ومغفره وساقاه وساعداه ودرع هرقل ودرع خاقان الترك ودرع داهر الهندى[١] ودرع بهرام چوبين ودرع سياوش ودرع النعمان . وقد أرسلت سيوف كسرى والنعمان وتاج كسرى إلى الخليفة عمر ، فعلق التاج على الكعبة فى مكة[٢] وكان القطف[٣] ضمن ماوقع فى يد العرب من الغنائم ، فأرسل إلى عمر فقطعه فقسمه بين الصحابة ، فأصاب عليا قطعة منه فباعها بعشرين ألفا . وقسم سعد الفىء بين الناس بعد ما خمّسه فأصاب الفارس إثنى عشر ألفاً وكلهم كان فارسا ليس فيهم راجل[٤] .

وحاول الملك محاولة أخيرة ، فجمع جيشاً من جميع أجزاء المملكة ، وضع على رأسه قائداً مسناً اسمه پيروزان فاشتبك مع العرب سنة ٦٤٢ (٢٢ هـ) فى موقعة نهاوند . وكانت معركة حامية الوطيس ، انتهت بهزيمة الفرس ووقع پيروزان فى يد العرب فقتلوه . ولم يبق بعد ذلك جيش للملك . وترك الدفاع عن الأقاليم للمرازبة أو إلى ولاة محليين ، وقد أبلى بعض هؤلاء ، مثل هرمزدان[٥] فى الأهواز وكان من

---

(١) لعل كسرى الثانى قد ظفر بهذه الغنيمة فى إحدى غزواته المظفرة فى الهند (انظر ماركارت ، Eranšahr ، ص ٣١) ، ويشك ماركارت فى صحة اسم داهر .

(٢) يقول مؤلف النهاية « حيث يوجد اليوم » (برون ، ص ٢٠٧) ، انظر ص ٥٧ عن تاريخ تأليف الكتاب .

(٣) هنا ص ٤٥٦ .

(٤) الطبرى ، س ٢٤٢٦ — ٢٤٥٢ ؛ البلعمى ، (٣) ، ص ٤١٤ وما بعدها ؛ قارن شترك Streck ، Selucia und Ktesiphon ، ص ٣٨ — ٤١ .

(٥) هرمزان عند الكتاب العرب والفرس ، وصيغة هرمزدان موجودة فى كتاب جويدى . البلعمى ((٣) ، ص ٤٤٧) يسميه « ملك الأهواز » .

القواد الذين شاهدوا القادسية ، بلاء حسناً فى مقاومة العرب ، ولكن بغير جدوى . وفتحت همدان والرى ثم آزربيجان وأرمينية . وتراجع يزدگرد إلى إصفهان حيث أقام ومن حوله عدد كبير من الواسپوران ، إذ يظهر أن هذه المدنية كانت ، قبيل انتهاء الدولة الساسانية ، مركزاً لإقامة هذه الطبقة ، وكان ديوان القائم على ضرائب الواسپوران (واسپوران آمارکر) فى إصفهان . ثم إن يزدگرد بعث ثلاثمائة رجل منهم سبعون من العظماء والواسپوران إلى اصطخر حيث طلب مأوى بعد أن دخل العرب إصفهان . وبعد هذا أرسل الواسپوران إلى سوس حيث استسلموا للقائد العربى « أبو موسى » واعتنقوا الإسلام[1]. ودخل المسلمون اصطخر ، وفتحوا إقليم فارس كله ، وهو الإقليم الذى نشأت به أسرة الساسانيين .

وهرب يزدگرد ، ولم يبق له من الملك غير اللقب ، ثانيا ، وقد عرض عليه قائد طبرستان أن يقيم فى بلاده ، ولو قبل يزدگرد لاستطاع أن يحافظ على سلطانه فى هذا الإقليم ، الذى تحميه الجبال والذى استطاع القواد الذود عنه ، أكثر من قرن ضد المسلمين الفاتحين . ولكنه آثر أن يلجأ إلى سيستان ومنها لجأ إلى خراسان . وعبثا حاول استنهاض الولاة المحليين ، وقد شعروا فى ذلك الوقت بتمام الاستقلال ، لحمل السلاح . وكان قد طلب فى سنة ٦٣٨ (١٧ هـ) عون إمبراطور الصين . وقد سار من نيسابور إلى طوس فلم يرد الحاكم ، الكنارنگ ، أن يأويه ، فقدم إليه هدايا نفيسة فأخبره بضيق الحصن عمن وما معه[2] . وهكذا ردوه برفق فى كل مكان فاتجه إلى مرو آخر الأمر لعله يجد بها مأوى . وتقول الروايات[3] إنه كان معه حين دخل مرو أربعة آلاف فارس لا يصلحون للقتال من الكتاب والطباخين والفراشين وسيدات الحرم وغيرهم من النساء والشيوخ والأطفال من الأسرة الملكية ، ولكن لم يكن معه محارب واحد ، كما أنه لم يبق معه من

---

(١) البلاذرى ، ص ٣٧٣ ؛ الطبرى ، ص ٢٥٦١ ؛ انظر ماركارت ، Eranšahr ، ص ٢٩ .

(٢) الثعالبى ، ص ٧٤٣ .

(٣) البلعمى ، (٣) ، ص ٥٠٤ .

الموارد مايمكنه من أن يعول مثل هذه الأسرة العديدة ، وذلك ، لما وقع فيه نظام جباية الضرائب من الاضطراب التام .

ثم إن مرزبان مرو ، ماهويه ، الذى لم يكن يتمنى غير التخلص من ضيفه النكيد تحالف مع نيزك طرخان التابع لييغو حاكم طخارستان[١] (أو لأحد تابعيه) فأرسل النيزك جماعة لأسر يزدگرد . فسارع الملك ذو الحظ العاثر إلى الفرار وترك المدينة ، وحده ، فى ظلام الليل . وقد اتشح بثوب مطرز بالذهب . وبعد أن سار حيناً على غير هدى أحس بالتعب فدخل طاحونا وسأل الطحان أن يأويه سواد الليل . ولم يعرف الطحان ضيفه ، ولكن ماعليه من فاخر الثياب[٢] قد أثار طمعه فقتله وهو يغط فى النوم ؛ وتقول رواية أخرى إن فرسان ماهويه الذين كانوا يتعقبونه قد أدركوه فى الطاحون فقتلوه[٣]. ويروى الثعالبى[٤] «إنهم طرحوه فى نهر مرو فجرى به الماء حتى انتهى إلى فوهة الرزيق فتعلق بعود هناك ورآه أسقف النصارى فعرفه وأخذه فى طيلسان له ممسّك وجهزه ، وصار قتله عبرة وتاريخاً وانقضى ملك العجم وذلك بعد عشرين سنة مضت من ملكه فى سنة إحدى وثلاثين من الهجرة» . والمعروف عن مآل أسرة يزدگرد قليل ، وقد ذكر المسعودى[٥] أن أبناء يزدگرد اثنان ، بهرام وفيروز ، وثلاث بنات : أدرگ (؟) ، وشهربانو[٦] ، ومرداوند(؟) . وقد توفى فيروز فى الصين سنة ٦٧٢ (٥٣ هـ) بعد أن حاول عبثا استرجاع إيران

---

(١) انظر هنا ص ٤٨٢ .

(٢) يقول المسعودى إن فى الكتاب الذى رآه فى اصطخر والذى صور فيه ملوك آل ساسان : «وآخرهم يزدگرد بن شهريار بن كسرى ابرويز شماره أخضر موشى وسراويله موشى لون السماء وتاجه أحمر قائم بيده رمح معتمد على سيفه (التنبيه والإشراف ، BGA ، (٨) ، ص ١٠٦ وما بعدها ، ترجمة كارا دى فو ، ص ١٥١ ؛ وقارن حمزة ، ص ٦٢ ، الترجمة ، ص ٤٦) .

(٣) وقد ذكر كل من البلاذرى ، ص ٣١٥ وما بعدها ، والطبرى ، ص ٢٨٧٩ وما بعدها روايات كثيرة مختلفة .

(٤) ص ٧٤٧ — ٧٤٨ .

(٥) مروج ، (٢) ، ص ٢٤١ .

(٦) الاسم غامض فى المخطوطات.

بعون من جند الصين مع الاعتراف بسيادة ملكها[1]. وأما الأميرة شهربانو فتقول رواية شيعية لعلها غير صحيحة إنها تزوجت الحسين بن علي. وهكذا حفظت أحقية الأئمة : فإن أبناء الحسين الذين هم أبناء محمد في الوقت نفسه ، وكانت بنته فاطمة زوجا لعلي ، قد ورثوا الـ — خَوَرْنَة ، أي المجد الإلهي الذي كان لملوك إيران . يقول المسعودي « إن الأكثر من أبناء الملوك وأعقاب الطبقات الأربع[2] بسواد العراق إلى الآن يتدارسون أنسابهم ويحفظون أحسابهم كحفظ العرب من قحطان ونزار[3] » . وفي سنة ٧٢٨/ ٧٢٩ (١١٠ هـ) تحالف أمير اسمه كسرى من أبناء يزدگرد الثالث مع الترك لكي يسترد دولة آبائه ، ولكنه لم يوفق[4] .

وقد درج الفرس في تقويمهم على بدئه بتاريخ جلوس كل ملك . وإذ لم يل عرش إيران أحد بعد يزدگرد الثالث ، فإن الزردشتيين قد استمروا حتى اليوم في احتساب السنين تبعاً لسنة ارتقائه العرش ، وهو ما يسمى بالتقويم اليزدگردي .

---

(١) ماركارت ، Eranšhr ، ص ٨٦ و ١٣٣ وما بعدها .

(٢) الطبقات الأربع الكبيرة للجمعية الإيرانية .

(٣) مروج ، (٢) ، ص ٢٤١ .

(٤) ماركارت ، Eranshr ، ص ٦٩ ؛ وقارن شوان ، Documents sur les Tou-kiue (Turcs) Occidentaux (١٩٠٣) ، ص ٢٠٨ وما بعدها .

خاتمـــة

إن العالم الإيرانى الذى عرفه ووصفه الـكتاب الغربيون ، مثل آمين مارسلن ، من ناحيتيه الحسنة والسيئة ، يتمثل فى أعيننا جماعة من الأشراف غاية فى السمو : فإن الطبقات الرفيعة وحدها هى التى أكسبت إيران طابعها الخاص .

وكثيراً ماأتيح لنا أن نذكر نبذا من وصف آمين[1] ، هذا الوصف المتحامل الذى هو على علاته ، قد يكون جديراً بالثقة . والواقع أن هذا الـكاتب لم يصف غير طبقة الأشراف ، يقول : وكل الإيرانيين تقريباً ، فى مظهرهم الخارجى ، ممشوقو القوام ، سمر البشرة أو لونهم أدكن ، نظراتهم حادة وحواجبهم مقوسة كنصف دائرة ومقرونة ، لحاهم جميلة ، وشعورهم طويلة شعثاء . وهم شكاكون حذرون إلى أقصى حد ، وقد يجتازون أحياناً ، وهم فى بلاد العدو ، البساتين وحدائق الـكروم فلا يمسون منها ثمرة خوف السم أو السحر . وهم يحرصون على ألا يقعوا فى عيب ؛ فقل أن ترى فارسيا يبول واقفاً أو يبتعد ليتغوط . وهم يتركون ثيابهم الخارجية مفتوحة من الأمام والجانبين بحيث أنها تخفق مع الهواء ، ولـكنك لاترى جزءاً من أجسامهم عاريا . وهم يلبسون الأساور والعقود الذهبية ، ويستعملون الأحجار الـكريمة وخاصة اللؤلؤ ، وتراهم دائماً قد تمنطقوا بالسيوف حتى فى الولائم والأعياد. وهم يكثرون من لغو الـكلام ويتحدثون سقطا ؛ وهم صلفون ، قساة ، عتاة ، متوعدون مقبلين كانوا أو مدبرين ، ماكرون ، متكبرون ، بغاة ، يمشون الهوينى بخطى متبخترة ، لعلها توصف بالتخنث ، مع أنهم أمهر محاربين فى العالم ؛ والحق إن مهارتهم ترجع للفن لا للشجاعة ، وهم دهاة فى الحرب وخاصـة إذا كانوا بعيدين من خصمهم ؛ ولـكنهم فى الجملة شجعان وقادرون على تحمل آلام الحرب كلها . وهم يدعون لأنفسهم حق الموت والحياة على عبيدهم وطغام الناس . ولم يكن يجرؤ خادم ممن يخدمونهم أو يقفون على موائدهم على أن يفتح فاه لينطق بكلمة أو ليبصق . ثم يشير آمين Ammien إلى ميلهم للعشق فيذكر أنه قل بينهم من يقنع بسراريه

---

(١) (٢٣) ، ٧٥ — ٨٤ .

السكثيرات . ويقول من ناحية أخرى إنهم لايعرفون اللواط[1] ، ويمتدح زهدهم فى لذائذ الموائد . ولم يكن عندهم ، عدا الملك ، أوقات محددة للأكل ، فكل منهم يأكل مايجد إذا جاع ، وهم لا يكثرون من الطعام بل يكتفون بما يسد رمقهم . وقد يكون فى تعميم هذا القول إسراف ، ولكنه ، إذا قورن بما كان عليه الرومان من النهم أيام القياصرة ، فقد نجد من الأسباب مايحملنا على وصف الفرس بالقناعة فى الطعام والشراب . ومع ذلك فلا يجوز أن نقبل رواية آمين حين يقول إن الفرس يفرون من شهى المآدب والإفراط فى الشراب خاصة فرارهم من الطاعون ، ذلك أنه من غير شك قد استمع إلى الرواة الفرس الذين أخذ عنهم وكانوا يهزءون به . يشهد بذلك عبارات كثيرة مما ذكرنا عن الكتاب الشرقيين والغربيين ، ولنذكر منها رواية جاء فيها أن أحد المرازبة أراد أن يشجع النصارى على الارتداد بعرض اللذائذ « فزاد فى ترف الولائم التى يقيمها كل يوم ، وأطال ساعات اللهو ، وذلك بأن يقضى الليالى الطوال فى قرع الكؤوس والرقص الفاجر ، وقد حاول أن يحبب إلى بعضهم (النصارى) الموسيقى والغناء مما يطرب له الكفار (الفرس)[2] » . ولم يرق الإيرانيون فى نظر السائح البوذى هيون تسيانج : « فإن طبعهم حاد ، وهم منفرون بطبعهم ، ولا يرعون فى سلوكهم الأدب والإنصاف »[3].

وبالجملة فإن أشراف الفرس يقضون حياتهم فى نشاط ، قسمة عادلة بين ممارسة السلاح للحرب أو الصيد وبين اللذات المائعة . ولم يفرض عليهم الدين الزردشتى ، عدو الزهد أيا كان ، أى قيد . ولكن حياة الجد فى وضح النهار قد خففت إلى حد ما من أثر اللذات التى تضعفهم . وكان فيهم عيوب كثيرة ولكنهم يتحلون بصفة لا نجدها غالبا فى الشعوب القديمة هى : التأدب وروح الفروسية . وهذه الصفة ملحوظة فى إيران منذ بدء العصور التاريخية . ويعتبر كورش نموذجا للملك سامى الخصال ، وكم من مرة أفاد اليونان المطرودون والأمراء المقهورون من تأدب الفرس ا

---

(١) هنا يصحح ما جاء فى ص ١٠٨ (سطر ٨ — ٩) من : L'Impire des Sassanides .

(٢) المزه ، لا نجلوا ، (٢) ، ص ٢٠٣ .

(٣) بيل : Budhist Records ، (٢) ، ص ٢٧٨ .

وإذا نحن تقصينا تاريخ الساسانيين نجد الكثير من آثار هذه الصفة . وقد رأى بهرام الخامس رسول الرومان وقد أتى راجلا ذليلا ، فلما علم أنه قائد جيشهم أناتول Anatole ، عاد مسرعاً إلى أرضه (حدود إيران) ومعه الجيش الإيرانى ، فنزل عن حصانه ورحب بأناتول ووافق على شروط السلم التى يحملها كما اقترحها الرومان(١). وقد تحمس كسرى أنوشروان لفلاسفة الأفلاطونية الحديثة الذين غادروا بلاطه مستائين ، وقد ظفر لهم — فى معاهدة السلام مع الإمبراطور — بحق العودة أحراراً إلى وطنهم الذى نفوا عنه(٢). ويصف پروكوپ Procope سياوش(٣) فيقول إنه كان أنموذجا للشريف الإيرانى ، كان متكبراً ، مغروراً ، جباراً ، ولكنه كان على جانب كبير من الإنصاف والعدل . وقد جاء فى قصة بهرام چوبين(٤) رواية تصور هذا الرجل الفذ كما ارتسم فى مخيلة معاصريه : «فإنه بعد ارتقائه المؤقت للعرش دخل فى قرية نائية على عجوز ومعه نفر من أصحابه فقدمت إليهم أرغفة من خبز الشعير فى غربال خلق فسدوا بها جوعتهم وكانت أطيب عندهم من الخبز السميذ والجدى الحنيذ واللوزينج اللذيذ ، فقالوا لها إن قدرت على أن تتحفينا بشىء من النبيذ فأتى القرى جرعة من قرعة أو قطيرة من ذكيرة أو صبابة فى قرابة . فذهبت ثم جاءت بجرة من الراح فلم يجدوا مايشربون فيه فنظر بعضهم إلى قرعة معلقة فأخذها وقطعها ، وجعلوا يشربون فيها ويضحكون تعجباً من تنقل الأحوال وتصرف الأدوار . فلما طابت نفس بهرام قليلا قال للعجوز : ياأم ما عندك من الخبر ؟ قالت بلغنى أن شاهنشاه أبرويز رجع من الروم بجيش لجب وحارب بهم بهرام چوبين حتى حطمه وهزمه واستقر هو فى دار ملكه فى المدائن . قال فما تقولين ياأم فى بهرام أمخطئاً كان أم مصيباً فى محاربته أبرويز ؟ قالت إنه والله عين المخطىء لأنه خرج على مولاه وابن مولاه وسل السيف فى وجهه . فقال بهرام لاجرم إنه الآن يأكل خبز الشعير على الغربال الخلق

---

(١) پروكوپ ، BP ، (١) ، ٢ .

(٢) هنا ص ٤١٢ — ٤١٣ .

(٣) هنا ص ٣٣٤ .

(٤) الثعالبى ، ص ٦٧٢ ؛ وقارن الفردوسى ، شاهنامه ، نشر مول ، (٧) ، ص ١٧٢ وما بعدها .

ويشرب النبيذ الكدر في القرع المقطع . فعلمت العجوز أنه بهرام چوبين فارتاعت وانزعجت . فقال لها لاعليك يا أم فقد صدقت وحققت . وأعطاها دنانير من كيس منطقته وارتحل . »

وكانت الدولة الساسانية ، مع نقائصها وعيوبها ، بناء شامخاً أذن سقوطه بنهاية العصر القديم وبدء العصر الوسيط في إران وآسيا الغربية . وكثيراً ما يبدى الكتاب العرب عظيم الإعجاب بدولة الساسانيين العظيمة التي هي أنموذج لفن السياسة في الشرق ، كما يعجب هؤلاء الكتاب بالشعب الذي قامت فيه هذه الدولة . يقول أبو الفدا(١) : « كان ملوك الفرس من أعظم ملوك الأرض في قديم الزمان ودولتهم وترتيبهم لايماثلهم في ذلك غيرهم . » ونجد في مختصر العجائب والغرائب(٢) هذا المدح : تعترف شعوب الأمم المختلفة بتفوق الفرس ، ويعجبون بكمال حكومتهم ، وبطريقتهم الفائقة في الحرب ، وبقدرتهم على تنسيق الألوان وتجهيز الأطعمة والأدوية وطرازهم في اللبس وتنظيم ولاياتهم ، وعنايتهم بجعل كل شيء في موضعه ، وشعرهم وترسلهم ، وحسن منطقهم ، ونظافتهم ، وعظيم استقامتهم ، وتمجيدهم ملوكهم . فلا نزاع في تفوق الفرس في هذه النواحي كلها . وفي كتب تاريخهم أمثلة كثيرة لمن يريد تقليدهم في حكم الدول .

وقد احتفظ الفرس ، عدة قرون ، بتوجيه الحياة العقلية في الشعوب الإسلامية، ولكن قواهم الخلقية والسياسية كانت قد ضعفت بسقوط الدولة الساسانية . ولم يكن السبب في ذلك ، كما يدعى بعض الناس ، أن الإسلام ، من حيث قواعد الأخلاق ، أقل من الدين الفارسي . ومن أسباب تدهور الشعب الإيراني ماجره الإسلام من إدخال « الديمقراطية »(٣) : فإن طبقات الأشراف قد ضاعت رويداً رويداً في

---

(١) Hist. anteislam ، نشر فليشر ، ص ١٥٠ .

(٢) ترجمة كارا دى ڤو ، ص ١٢٨ — ١٢٩ وهو مخطوط عربي في المكتبة الأهلية بباريس . وينسب إلى المسعودي أو إلى إبراهيم بن وصيف شاه الأستاذ . (المترجم)

(٣) ولا شك أن أهمية المدن الكبيرة المتزايدة قد ساعد أيام الساسانيين على تدهور طبقة النبلاء ، كما لاحظ بارتولد ، (Zeitschrift für Assyriologie ، جزء ٢٦ ، ص ٢٥٢ وما بعدها) . ولسوء الحظ أننا لا نعرف غير قليل جداً عما يتعلق بالتغييرات التي طرأت على الاقتصاد الاجتماعي في القرون الأخيرة من العصر الذي نتحدث عنه . وهكذا تظل محاولتنا شرح أسباب السقوط الفادح للدولة الساسانية غير كاملة للغاية : فإنا نحس نقص بعض العناصر ذات الأهمية البالغة لهذا التطور .

طبقات الشعب الأخرى ، وضيعت الصفات التي كانت تميزهم . وكانت سيادة إيران على آسيا الغربية تستند على التقاليد السياسية التي سار عليها الأشراف ورجال الدين جيلا بعد جيل . وهذه التقاليد السياسية وروح الفروسية التي كانت لقدماء إيران قد أمدت الخلافة العباسية بأساسها المتين . ويتمثل طابعهم النبيل في أسرة البرامكة . والدول الجديدة الأولى التي قامت في الأراضي الإيرانية ، أيام اضمحلال الخلافة ، أسست على بقايا التقاليد القديمة ، وكان العصر الزاهي ، أيام السامانيين وهم أول من أحيا الروح الفارسي ، صورة من عظمة الساسانيين ؛ فإن كان معظم الأشراف قد دالت دولتهم فإن جذع الدهاقين المتين قد بقي ، وكانت ذكريات الماضي المجيد ملء صدورهم .

الملحق الأول

تداول الأوستا

حاول الأب فرنسوا نو François Nau ، فى مقالة بمجلة تاريخ الأديان (Revue de l'Histoire des Religions ، الجزء ٩٥ ، ١٩٢٧ ، ص ١٤٩ — ١٩٩) ، مستعينا بكتابات النصارى السريان الجدلية ، أن يبين أن النصوص المقدسة المزدية لم تكن متداولة حتى منتصف القرن السابع الميلادى تقريبا إلا عن طريق المشافهة ، وأنه لم يكن للزردشتيين كتب دينية قبل السنوات الأخيرة من عهد الساسانيين : وحينئذ خشى الموابذة من ضياع الروايات الدينية القديمة ، وكانوا كذلك يرغبون فى أن يهيئوا لأتباع دينهم ما أتاح الدين الإسلامى « لأهل الكتاب » ، فسطروا الأوستا الساسانية . والواقع أن كلمة « أوستا » كانت مستعملة فى القرن السادس بل وفى القرن الخامس ، ولكن نو Nau يدعى أنها لم تكن تدل فى ذلك الوقت « على الكتاب » وإنما كانت تدل على « القانون » المتداول شفاها . ثم إنه فى القرن الثامن ، تخيل العلماء الحروف الأوستية التى تعبر عن الأصوات واستخدمت فى نسخ النص الذى يتلى والذى كتب بالحروف البهلوية حوالى سنة ٦٣٤[١] .

وأهم ما تستند إليه نظرية الأب نو هو أن الكتب السريانية التى تتناول الصلات بين النصارى والمزديين أيام الساسانيين لا تتحدث عن « كتابات » أو « كتب » زردشتية مطلقاً (حتى فى المجادلات بين الطائفتين التى يستشهد فيها النصارى بالإنجيل) ، ولكن تذكر الزمزمة فى الصلاة ونصوصا من القانون وغيرها ، ثم إن هذه الكتب تشير كثيراً إلى عادة المزديين فى حفظ الروايات الدينية عن ظهر قلب .

ولكنا لا نستطيع أن نخرج من هذا الرأى بنتائج ذات قيمة . ولا شك أن قوله صحيح حين قال إن الموابذة يحفظون عن ظهر قلب نصوص الأوستا التى يستخدمونها فى العبادات ، فإن أثر العمل بها يتوقف على الدقة التامة فى التلاوة .

---

(١) ص ١٩٣ — ١٩٤ ، ملحوظة ٢ من البحث المذكور .

ولكن نصوص الأوستا كانت من طبيعة مختلفة كل الاختلاف عن الكتابات المقدسة النصرانية . ثم إنه من الجائز أن يكون الكتاب النصارى وهم أشد ما يكونون غلوا فى جدلهم قد تفادوا ، عامدين ، ذكر الكتب المزدية حتى لا يوحوا للقراء من النصارى أن خصومهم فى الدين كانت لهم كتب منزلة .

والواقع أن نظرية الأب نو Nau مستحيلة . ولدحضها نحيل على أبحاث اندرياس عن كتابة الأوستا ، تلك الدراسات التى بدأها هذا العالم ثم تناولها تلاميذه من العلماء الممتازين[١] ، ومن بعدهم نودسكو[٢] ومييه[٣] ، وأخيراً عنى بها يونكر[٤] الذى انتقد آراء اندرياس ولكنه يؤكد مثله الرواية البارسية التى تحدد تاريخ كتابة نص الأوستا فى الفترة الأولى من العهد الساسانى . وواضح أن الأب نو كان يجهل كل هذه الأبحاث التى نشرت قبل سنة ١٩٢٧[٥] .

وإن كنا لا نستطيع أن نثق بالروايات المتصلة بتاريخ تداول الكتابات المقدسة فى أقدم عصور الزردشتية ، فليس من سبب يحملنا على الاعتقاد بأن مؤرخى الدين المزدى كانوا يجهلون تاريخ دينهم أيام الساسانيين . ثم لو لم تكن هناك نصوص مسطورة قبل عهد يزدگرد الثالث آخر ملوك الساسانيين ، ولو كان الأمر متعلقا بسطر كتاب مقدس بغاية السرعة حتى يعترف المسلمون بالفرس على أنهم « من أهل الكتاب » ، لكان على الموابذة أن يسطروا النصوص الخاصة بالعبادات وحدها ولما تحملوا مشقة كتابة هذه المجموعة الضخمة والمضطربة قليلا من التاريخ الطبيعى

(١) اندرياس ، ص ٩٥ وما بعدها من : Vrehand. d. XII. Internat. Orientalisten-Kongresses : اندرياس و واكرنجل Die viartl Ghāthā des Zurathustra ("Einleitung" und "Anmerkungen"), Die erste, zweite und fünfte Ghathā ("Vorbemerkung "und "Anmerkungen"). جيجر فى ص ٩٠ وما بعدها : Festschrift F. C. Andreas ! هومل ، المرجع نفسه ص ٩٧ وما بعدها و ZII ، جزء (١) ، (٢) ، (٣) . (٥) ، (٦) .

(٢) ZII ، (٢) ص ٤٢ وما بعدها .

(٣) JA ، ١٩٢٠ ، ص ١٨٧ وما بعدها .

(٤) Caucasia ، (٢ ، ٣) ، ١٩٣٢ .

(٥) دحض نظرية نو بول پيترز فى مجلة الدراسات الأرمينية ، ١٩٢٩ (٩) ، ص ٢٢١ .

والجغرافيا والأوضاع القانونية وغيرها ، وهى التى كبّرت حجم الأوستا الساسانية . وكيف نصدق أن رجال الدين الزردشتيين قد استطاعوا ، فى بضع سنوات حين كان الفرس يناضلون من أجل الحياة ضد الجيوش العربية ، أن يكتبوا واحدا وعشرين نسكا قدّر وست West مجموع كلماتها بخمسة وأربعين وثلاثمائة ألف وسبعمائة كلمة (٣٤٥٧٠٠) ، وذلك بكتابتها بالبهلوية أولا . ثم كيف استطاعوا ، فى مدى قرن ملؤه التدهور الروحى الذى نتج عن الإسلام الفاتح والعرب الطغاة ، وهم يعيشون يوما فيوما ويرون سلطانهم يتضاءل كل يوم والناس يخرجون من ملتهم ، وكانوا أنفسهم يطاردون ويطردون ، كيف استطاعوا أن يجدوا فراغا لاختراع طريقة جديدة للكتابة ، هى الكتابة الأوستية ، والتى هى نتيجة دراسة عميقة للأصوات فى اللغة المقدسة ، ثم يسطروا الواحد وعشرين نسكا من جديد بهذه الحروف التى اخترعوها ؟ وكيف نفسر أنهم بعد هذا ، فى إبان القرن التالى ، قد استطاعوا أن يكتبوا ترجمة بهلوية مع شرح لجميع « النسوك » ، تحوى فى تقدير وست West أكثر من مليونى كلمة ، وهى الترجمة التى كان جزء منها قد ضاع حين كتب واضعو الدينكرد كتابهم مختصرين فيه الأوستا الساسانية فى القرن التاسع الميلادى ؟

وقد جاء فى عبارة واحدة من النصوص السريانية التى ذكرها نو أن «الزمزمة» لم تكن مكتوبة . وذلك فى تاريخ الشهيد عيشو سَبْرَن الذى كتبه حوالى سنة ٦٣٠ عيشويَه الأديابينى : فقد كان الزردشتى الذى دخل فى النصرانية من أسرة مزدية دينية « وقد تعود أن يأخذ منْ الأفواه « الزمزمة » المجوسية لأنها لم تكن مكتوبة بحروف (أو علامات) هذه التعاليم المؤذية التى ذكرها زردشت .. »[1] . ولكن إن كان ناظم « أعمال الشهداء » يعتقد أن الصيغ التى تستخدم فى الزمزمة لم تكن مسطورة ، فهذه بغير شك نتيجة غير منطقية مأخوذة من أن « المتنصر » كان يحفظ هذه الصيغ عن ظهر قلب . هذا ولا يجوز أن ننتظر صحة تامة فى مثل هذه التفاصيل من كتّاب أعمال الشهداء النصارى الذين يظهر ضيق صدورهم ونظرهم ظهور تحاملهم على « الكافرين » .

(١) هكذا ترجمة نو ، (١) ، c ، ص ١٨٠ .

الملحق الثـانى

قائمة عظماء الدولة

درس شتين قائمة ألقاب عظماء الدولة الساسانية التى جاءت فى اليعقوبى (نشر هوتسما ، (١) ص ٢٠٢) والقائمتين اللتين ذكرها المسعودى فى كتابيه التنبيه والإشراف (BGA) ، (٨) ، ص ١٠٣) ومروج الذهب (٢ ، ١٥٦) ، وذلك فى بحث له فى : Byzantinisch neugriechische Jahrbucher ، ١٩٢٠ ، ص ٥٠ ، عنوانه : Ein Kapitel vom Persischen und vom Byzan - tinischen Staate . وقد حاول فى بحثه أن يبين أن هذه القوائم الثلاث ترجع إلى ثلاثة عصور مختلفة . وهاهى القوائم الثلاث :

١ — اليعقوبى : البزرك فرمادار (كبير الوزراء) ، الموبذان موبذ (كبير الموابذة) ، الهربذان هربذ (كبير الهرابذة) ، الدبير بذ (كبير الكتاب) ، السپاهبذ (قائد الجيش) الذى يرأس الپاذگوسپان . وكان حاكم الولاية يسمى « مرزبان » .

٢ — المسعودى ، التنبيه : الموبذان موبذ (والهربذ يباشر سلطته تحت الموبذ) والبزرك فرمادار ، والسپاهبذ ، والدبيربذ ، والهُتُخْشْبَذْ الذى يسمونه أيضاً واستريوشبذ (حافظ كل من يكد بيديه كالمهنة والفلاحين والتجار وغيرهم) . ومن بين العظماء الآخرين « المرازبة » ، وهم أصحاب الثغور وكانوا أربعة ، واحد لكل من الجهات الأصلية(١) .

٣ — المسعودى ، مروج : الوزراء ، (الموبذان) موبذ (القائم بأمور الدين وهو قاضى القضاة وهو رئيس الموابذة) ، والأصبهبذين الأربعة (أصحاب تدبير الملك كل واحد منهم قد أفرد بتدبير جزء من أجزاء المملكة فكل واحد منهم

---

(١) يقصد المرازبة من بين الشاهدارين .

صاحب ربع منها) ولكل واحد منهم مرزبان[١] (وهو خليفته) .

ويرى شتين[٢] أن أقدم هذه القوائم قائمة اليعقوبى ، أولا ، لأن ترتيب المراتب عند اليعقوبى يذكرنا بمراتب العظماء كما جاءت فى الكتاب المنسوب لتنسر ، وهم العظماء الذين كانوا يختارون الملك فى الفترة التى سبقت تنظيم الدولة أيام قباد الأول . وثانيا ، إن قائمة اليعقوبى هى الوحيدة التى تذكر الهربدان هربد بين عظماء الدولة ، وقد قام بأعمال الموبدان موبد فيما بعد . ثم يلفت شتين Stein النظر إلى أن قائمة اليعقوبى ذكرت وحدها الپاذگوسپان مرءوسا للسپاهبد ، ويستنتج من هذا أنه فى الزمن الذى كتبت فيه هذه القائمة لم يكن هناك غير پاذگوسپان واحد تحت رياسة السپاهبد الذى كان رئيساً للجيش كله حتى زمن كسرى الثانى الذى جعلهم أربعة . ويأتى شتين ، تأييدا لهذا الرأى ، بعبارة من كتاب الدينورى (جيرجس ، ص ٥٧ ، نولدكه Tabrai ، ص ٩٦ ملحوظة ٣ ، وانظر هنا ص ٢٦١ — ٢٦٢) ذكر فيها أعظم الأشراف الذين اتفقوا ، بعد موت يزدگرد الأول ، على إبعاد أبنائه عن العرش ، وهم بسطام (وستهم) ، سپاهبد السواد (العراق ، بلاد بابل) وكان لقبه هزارفت ؛ يزد — گشنسپ ، پاذگوسپان الزوابى[٣] ؛ پيرگ الذى كان له مثل مرتبة مهران[٤] ، گودرز ناظر الجيش[٥] ؛ گشنسپ — آذرويش صاحب الخراج ؛ پناه — خسرو مدبر صدقات الدولة . ويستنتج شتين من ذكر الطبرى (٨٦١ ، نولدكه ص ٩٦) لبسطام الإصبهبذ بجانب الموبدان موبد وإطلاق لقب

---

(١) التفصيلات التى جاءت بعد هذا (عن مراتب المغنين وأهل الموسيقى) لا تفيد فى البحث الذى نحن بصدده .

(٢) ص ٥٤ وما بعدها .

(٣) الكلمة التى نقرأها «الزوابى» غير مؤكدة . انظر بلدان الخلافة الشرقية ، الترجمة العربية لبشير فارس وكوركيس عواد ، ص ١٠٨ . (المترجم)

(٤) إشارة خطأ ، فإن مهران اسم أسرة .

(٥) ولأن پيرگ هو الوحيد بين الأشراف الذى لم تذكر وظيفته فقد أراد شتين Stein أن يجعله گودرز مفترضا أن پيرگ هو اسم أسرته الخاصة وأن مهران اسم عائلته الكبيرة على أنى أعتقد أن مهران ، اسم العائلة المشهورة قد ورد فى النص بدلا من اسم وظيفة لم يفهم ، وأن پيرگ وگودرز هما فى الواقع شخصيتان مختلفتان .

هزارفت عليه وهو اللقب الذى حمله بعد ذلك زرمهر — سوخرا القدير ، أن بسطام هو الإصبهبذ الوحيد على الجيش وأن لقب « سپاهبد السواد » الذى يذكره الدينورى ينم عن « اختصاص مؤقت أكثر تحديداً » فقط . ومن ناحية أخرى فإن لقب « پاذگوسپان الزوابى » الذى أطلق على يزد — گشنسپ يبين أن وظيفة پاذگوسپان فى القرن الخامس كانت شيئاً آخر غير ماعناه قباد الأول : فإن هذا قد عين « پاذگوسپان » على كل ربع من المملكة ، ولم تكن الزوابى إلا ولاية (أستان) من السواد الذى يحوى اثنتى عشرة ولاية .

والقائمة التى ذكرها المسعودى فى كتابه التنبيه تعتبر فى رأى شتين[1] الثانية من حيث الترتيب الزمنى . ويذكر المؤلف عبارة من إليزه جاء فيها أن الموبدان موبد والدر — اندرزبد والإيران — سپاهبد كانوا أعظم الأشراف فى زمن يزدگرد الثانى . وهو يفترض أن الدر — اندرزبد (المعنى الحرفى رائد أو مستشار الملك) تسمية أخرى للبزرگ فرمادار ؛ وهكذا تتفق القائمة التى يذكرها إليزه مع قائمة التنبيه اتفاقا تاما ، وأن هذه تمثل نظام المراتب أيام يزدگرد الثانى . وإذاً فقاعدة المرازبة الأربعة الذين كانوا يلقبون بلقب شاه (الذى لايورث) ، كانت مطبقة فى هذا العهد . وكان هناك مرازبة آخرون كانوا ولاة عسكريين على الولايات التى يتكون منها كل ربع من أرباع المملكة .

ويقول شتين إن القائمة التى ذكرها المسعودى فى كتابه مروج الذهب هى أحدث القوائم ، لأنها وحدها تشير إلى الإصبهبذين الأربعة ، ونحن نعرف[2] أن نظام هؤلاء قد سنه كسرى الأول . وهنا يذكر الموبدان موبد بعد الوزراء المدنيين وهو ما يبين مكانة رجال الدين فى العهود التى ضعفت فيها بسياسة قباد الأول وكسرى الأول . ويظن شتين أنه يجب ذكر « الأسْتَبذ »[3] بين الوزراء الذين ذكروا بشكل عام ، وقد وجده فى المصادر البيزنطية : ماهبود كبير موظفى الدولة

---

(١) ص ٥٣ .

(٢) هنا ص ٣٥٥ .

(٣) هنا ص ١٢٥ .

أيام قباد الأول (پروكوپ Procope ، BP ، (١) ، ١١ ، ٢٥) ، (ميناندر ، Frag. hist. Gr. IV ، ص ٢٥٧) ، وكبير رجال البلاط ؛ وفروخان الذى كان أستبذ أيام هرمزد الرابع . وهذه الوظيفة لم تكن موجودة فى الوقت الذى كتبت فيه القائمتان القديمتان .

ويقول شتين[١] إن الملكين قباد الأول وكسرى الأول قد خفضوا من سلطة البزرگ — فرما دار وذلك بخلعهم مناصب جديدة نقلوا إلى شاغليها بعض اختصاصاته . فقد جعل قباد أولا وظيفة أستبذ (رئيس التشريفات) ، ثم ألغى تدخل البزرگ — فرمادار فى شئون الولايات وذلك بإدخال نظام « الپاذگوسپانين» الأربعة الذين يقول الكاتب عنهم إنهم كانوا تابعين للإيران — سپاهبد . ثم أدخل كسرى الأول بعد ذلك نظام الإصبهبذين الأربعة الذين عهد إليهم بإدارة أرباع المملكة .

وقد ساعدت أبحاث شتين على توضيح مراحل التطور السياسى والإدارى فى العهد الساسانى . وعندى أن نظريته صحيحة فى أساسها[٢] . ولكنى لا أستطيع الموافقة على نظريته فى التفاصيل الخاصة بمراكز المرازبة والإصبهذين والپاذگوسپانين . فإنه قد حاول ، بتأويل متكلف ، أن يقلل من شأن لقبى « سپاهبد السواد » و « پاذگوسپان الزوابى » فى عبارة الدينورى . والحقيقة أنه إذا صحت قراءة « الزوابى » فإن الصلة بين اللقبين تكون واضحة : فبسطام هو الحاكم العسكرى للعراق (السواد) ، ويزد — گشنسپ وكيله الإدارى على ولاية الزوابى مع لقب پاذگوسپان[٣] . ثم إن عبارة الدينورى تبين ، على عكس رأى شتين ، أنه وجد فى عهد يزدگرد الأول أو كان ممكنا أن يوجد ، فى ذلك الوقت ، كثير من

---

(١) ص ٦٥ وما بعدها .

(٢) بالرغم من أن اليعقوبى لم يذكر الواستريوشبد أو الواستريوشا نسلار فإنه كان بلا شك من طبقة كبار الموظفين .

(٣) لا يقرأها هرتسفيلد الزوابى إنما يقرأها آزرپى أو آزربايى « الآزربيجانى » ، .Archaeol Mitteil (٤) ، ص ٥٧ ، ملحوظة ٢) .

الإصبهبذين والپاذگوسپانين . على أن هـذه المناصب ، فى الحقيقة ، لم يكن لها أى علاقة بتقسيم الدولة إلى أربعة أقسام حسب الجهات الأصلية الأربع .

والأفضل بيان الموضوع على الوجه الآتى : إن التقسيم الإدارى الرباعى للدولة يرجع إلى عهد الأشكانيين . وقد سمى ولاة هـذه الأقسام الأربعة ، منذ القرن الخامس أو بعد ذلك ، بالمرازبة (المرازبة الأربعة الكبار الذين يطلق عليهم لقب شاه[1]) . وقد عين مرازبة آخرون فى الإمارات ، وكذلك فى الولايات الداخلية . وفى عهد الأكيمنيين كان الستاربة يقودون جيوش ولاياتهم ، حين تكون الحرب داخلية ، لاتخاذ الإجراءات ضد الثائرين وما أشبه ، ولكن فى الحرب ضد الأعداء الأجانب كان قواد الدولة يرأسون جيوش الولايات بوجه عام . وكانت الدولة مقسمة على هذا الأساس إلى أجزاء حربية ، كل قسم منها على رأسه « كارنا »[2] فيما يظهر ، فكان يرأس الستربپ فى الشئون الحربية . والمفروض أن مركز الإصبهبذ من المرزبان ، فى أواسط العهد الساسانى ، كان بالتقريب كمركز الكارنا من الستربپ . وليس من الممكن أن نقرر ماذا كانت العلاقة — فى تفصيل — بين اختصاصات المرازبة الكبار الأربعة والإصبهبذين . ويجب أن نفهم من « سپاهبد » قوائم اليعقوبى والتنبيه المسعودى إيران — سپاهبد بغير شك . وكان الـ « پاذگوسپانون » ، فى هذه الفترة ، نوابا لحكام الولايات ، ملحقين بالمرازبة أو بالإصبهبذين حسب الظروف . أما عن التغيير الذى أحدثه كل من قباد وكسرى الأول فإنى أحيل إلى ملاحظات صفحات ٣٣٨ و ٣٥٥ وما بعدها .

أما عن ملاحظة شتين أن قباد الأول وكسرى الأول قد حدا من سلطان البزرگ — فرمادار ، فإن من الممكن القول بأن هـذا الحد قد بدأ من قبل عهد كسرى الأول . ولست أدرى ، مع ذلك ، ألنا أن نلاحظ أن البزرگ — فرمادار لا يبدو بين العظماء الأربعة الذين قارنهم مزدك « بقواه الأربع »[3] : فإن هـذا

---

(١) انظر ص ١٢٦ و ٨٨ .

(٢) الحاكم العام ، انظر كزينفون ، Hell ، (١) ، ٤ ، ٣ .

(٣) هنا ص ٣٢٧ .

« المصلح » قد اختار بين عظماء الدولة من يتم بهم أتم التوازن مع مجرداته . وعلى كل حال فإن الإجراءات النهائية التي قضت بتحديد اختصاصات البزرگ — فرمادار وتوزيعها على الموظفين الآخرين كانت من عمل كسرى الأول . ودليلنا على ذلك عبارة ذات قيمة ، ولكنها لسوء الحظ غامضة ، في فارسنامه[1]. وها هو نص هذه العبارة التي أخذت بالتحقيق عن مصدر پهلوى :

« وباهمه بزرگى وحكمت بزرجمهركى وزير او بود أنوشروان ترتيب وزارت او چنان كرد كى دبير بزرجمهر ونايب نزديك كسرى آمد شد توانسق كرد وما اين نايب را وكيل در خوانيم وبه پهلوى إيرانمازغر گفتندى ونيابت وزير دارد ، وهرسه گماشته كسرى انوشروان بودندى در خدمت وزير او بزرجمهر و وزير بذات خود ازين سه كس يكى رانتوانسق گماشت ، وغرض انوشروان آن بودتا دبير هر نامه كى بجوانب بزرگ وأطراف نبشتى وخواند ندى نكت آن در سرّ معلوم انوشروان ميكرد ووكيل از آنچ رفتى از نيك وبد براستى مشافهه ميگفتى وراه وجوه مصالح بازمى نمودى ونايب مال ومعاملات نگاهداشتى واين هرسه مردمان اصيل عاقل فاضل زبان دان سديد بود ندى » .

نلاحظ أولا أن لفظ وكيل در زيادة من الناشرين : فإن المخطوطات قد ذكرت في المرة الأولى وكليدر ثم وكليد ، وفي المرة الثانية ذكرت وكليدار ثم كليدار . فالقرينة تدل على وجود اصطلاحين مختلفين . وكذلك ذكر لفظ إيرانماغر ؛ فإن مخطوطات فارسنامه قد ذكرت إيرانمازغر وإيرانمازغر .

وواضح أن في أول هذه العبارة تضارباً ، حيث يدور الكلام عن دبير وبزرجمهر ونائب ، وكذلك في آخرها حيث الكلام عن العظماء الثلاثة المشار إليهم ، واحدا واحدا مع ذكر اختصاصاتهم بعد إصلاح كسرى الأول ؛ والمناصب الكبرى الثلاثة هي : دبير ، . . . دار (كليدار ، وكليدار[2]) ونائب .

---

(١) ص ٩١ — ٩٢ .

(٢) اقترح تافاديا في خطاب منه قراءة رنگير يذار ، وهو اقتراح مقنع . وقد لاحظ تفاديا أن الپازند يستعمل حرفا صوتيا قصيراً للياء ، كما هو الحال في الفارسية . وكل من يعرف ما في =

والتصحيح الواجب لهـذه الصيغ يبدو من تلقاء نفسه . ففى الثلاثى دبير ، بزرجمهر ، نائب ذكرت كلمة بزرجمهر مرة أخرى ؛ فبدلا من أن تكون دبير بزرجمهر كتبت دبير بزرگ (دبيران مهيست أو إيران — دبير بد) . فينبغى إذا أن نصحح النص هكذا : دبير بزرگ (نگبريذار) ونائب . وأما هـذا الأخير الذى كان نائب الوزير فقد قيل «إننا» — أى الكتاب المعاصرين لمؤلف فارسنامه أو لمؤلف الكتاب الأقدم الذى أخذ هـذا عنه — نسميه وكيل — در (؟) وإنه يسمى بالبهلويه إرانمازعر ، إرانمازعر . ونستطيع أن نقارن هذا التفاوت بما جاء فى اليعقوبى[1] المرد مارعد و إرامارعر ، « نائب البزرگ فرمادار » عند ابن مسكويه[2]. وبناء على وصف وظائف النائب كما جاءت فى نصنا (المحافظة على المال والمعاملات) ، أظن أنه يختفى وراء كل هذه الصيغ الغامضة « الإيران — آماركار » ، محاسب الدولة[3] .

وإذ أجرينا هذه التعديلات فإنا نترجم العبارة على الوجه الآتى :

« وبالرغم من عظمة بزرجمهر وحكمته ، الذى كان وزيرا له ، فإن انوشروان قد عدل اختصاصات وزيره بحيث يستطيع كبير الكتاب (نگبريذار) والنائب مقابلة الملك متى شاءا . وهـذا النائب يسمى فى أيامنا (وكيل در ؟) ويسمونه بالبهلوية إيران — آماركار وهو يحل محل كبير الوزراء . وكان هؤلاء الثلاثة من موظفى كسرى أنوشروان ، وهم تحت إشراف وزيره (الأكبر) بزرجمهر ؛ ولكن كبير الوزراء لم يكن له أن يعين أحد هؤلاء الثلاثة من تلقاء نفسه .

= الكتابة البهلوية من الغموض يدرك أننا نستطيع أن نقرأ (وكليدار) لو لم تذكر الكلمة البهلوية الياء .

(١) طبعة هوتسما ، (١) ، ص ٢٠٣ .

(٢) تجارب الأمم ، نشر لوسترانج وآخرين (GMS ، (٨)) ، (١) ، ص ٥٣ . وأنا مدين لمجتبى مينوى بالإشارة لهذا النص .

(٣) وقد قرأ مينوى هذا اللقب بنفس الطريقة (فى خطاب أرسله إلىّ) ، وذلك من قبل أن يقرأ قراءتى له .

وقد رمى انوشروان فى إصلاحه إلى أن يفضى إليه كبير الكتاب سرا بدقائق ما يوجه من كتب للأشراف وحكام الأطراف[١] . وكان على الهكبير بذار أن يقدم تقارير وافيه شفوية عن كل ما يجرى من خير أو شر وأن يبدأ ببيان ما يوصى به من وجوه المصلحة . وكان على النائب أن يعنى بدخل الدولة وشئون المال فيها (أى إيران — آماركار) . وكان هؤلاء الثلاثة من الأشراف ، عقلاء ، فضلاء ، متزنى القول سديدى الرأى » .

ومع ذلك فهذا التقويم لنص فارسنامه لا يؤدى بنا ، فيما أعتقد ، إلى نص الأصل البهلوى الذى يرقى إليه . ولا أشك فى أن الأصل البهلوى لم يذكر شيئاً عن بزرجمهر ولكنه يشير إلى بزرگ — فرمادار[٢] . فإن كسرى الأول قد حد من اختصاص البزرگ — فرمادار وذلك بأن أشرك معه ثلاثة من العظماء يعينهم الملك بنفسه . وهذا هو تفسير كلمة « الوزراء » فى مروج الذهب للمسعودى . ولكن وظيفة البزرگ — فرمادار لم تلغ كما يقول بارتولد[٣] .

---

(١) انظر ص ١٢١ وما بعدها .

(٢) يؤيد هذا الفرض عبارات من فارسنامه ، ص ٩٧ ، ١ ، ١٦ وما بعده . (انظر هنا ، ص ٣٩٦ — ٣٩٧) ، فإن الكاتب يقول وهو يصف ترتيب العظماء فى حضرة الملك (قبل الإصلاح الذى نحن بصدده ؟) ، إنه « حسب الآيين المتبع فى بلاط كسرى أنوشروان كان هناك كرسى من ذهب أمام عرشه وكان يجلس عليه بزرجمهر ، ومن تحته كرسى الموبذان موبذ ومن تحته عدد من الكراسى للمرازبة والأشراف » . ولما كان المجال هنا ذكر الكراسى التى يشغلها أصحاب المناصب الكبرى فإن أسماء الأفراد أصحاب هذه المناصب لم يكن لها أهميه ، وقد حل اسم الوزير بزرجمهر ، وهو ليس صحيحا من ناحية التاريخ ، مكان كلمة بزرگفر مادار أو بزرگفر ماى (بزرگ — فرمادار) . والنص الثانى وهو أكثر تأكيدا ، فى الصفحة ٤٨ ، ١ ، ٢٠ — ص ٤٩ ، ١ (فى الكلام عن عهد الملك ويشتاسب ، حامى زردشت ، الذى ينسب إليه نظم الساسانيين فى العهد الأخير ، يقول) : ويسمون الوزير بزرگ فرماى وكان له نائب يوثق به وكان يبعثه إلى الملك كلما استدعى الأمر حديثا منه ويعرض عليه مهام الأمور ، ويسمون هذا النائب إيرانمازغر (إيرانمازعر) .

(٣) Zeitschrift für Assyriologie ، جزء ٢٦ ، ص ٢٥٩ وما بعدها .

ملاحظات إضافية

ص ١١ . يرى باليارو Pagliaro (العدد ١٢ من Revista degli Studi Orientali ، ص ١٦٠ وما بعدها) أن وظيفة بيذخش ، بدشخ لاصلة لها بالمرزبانيات الأربع الكبرى . ويرى فى اشتقاق الكلمة (بتيخش) « عين الملك » التى يكثر ذكرها فى الدولة الأكمينية . ويرى شيدر Scheader أن الاسم الفارسى « لعين الملك» هو اسپَشْكا (قارن اِشْپَسگ ، من كبار رجال المذهب المانوى ، انظر ص ١٨٢ من هذا الكتاب)، ("Iranica" ، Abhandlungen des Gesellschaft der Wissenschaften zu Gottingen ، ١٩٣٤) .

ص ٢٢ . قارن أوترا "Mithra, Zoroastre et la préhistoire aryenne du Christianisme" ، باريس ١٩٣٥ .

ص ٤٢ . دادستان مينوگ خرد . قد تقرأ الحروف التى يتكون منها عنوان هذا الكتاب بطرق مختلفة . وقد ذكر شيدر Scheader فى العدد ١٥ ، ص ٥٨٦ ملحوظة ٥ من " Ungarische Jahrbücher" ملاحظات مولر وماركارت Muller, Marquart واقترح أن تقرأ على الوجه الآتى : دانَكْومينويك خرَد » (الحكيم وحكمة السماء) . والواقع أن الرسالة المذكورة تمثل حديثاً بين الحكيم الذى يسأل وحكمة السماء التى تجيب .

ص ٤٢ . نشر مسينا Messina حديثاً فصلا من البندهشن الإيرانى يتناول التاريخ القديم والمستقبل لإيران : "Mito, leggenda e storia nella tradizionl iranica" (Orientalia, Commentarii Periodici Pontificii Instituti Biblici, IV, Rome 1935. ص ٢٥٧ س) .

ص ٤٣ ، ملحوظة ٢ : يضاف ، باليارو Pagliaro ، "L'anticresi nel diritto sāsānidico .Rev. d. Studi Onentali ، (١٥)،ص ٢٧٥ ومابعدها .

ص ٤٥ ، ملحوظة ٢ . أولاف هنسن Olaf Hansen ، "Zum mittel-

persischen Vicāriš‍n i čatrang. Den Teilnehmern der Sektion 4 am XIX. Internationalen Orientalistenkongress in Rom überreicht vom. Verlag j. j. Augustin in Glückstadt", ص ١٣ وما بعدها .

ص ٦٠ . نشر عباس إقبال « تبصره العوام » فى طهران ، ١٣١٣ / ١٩٣٤ — ٣٥ .

ص ٨٧ و ٩٠ . طال الجدل حول كلتى ويسپور و واسپور . أنظر هرتسفيلد Herzfeld ، Arch. Mitt ، (٧) ، ص ١٨ وما بعدها ، وخاصة مقالة لشيدر Scheader : " Ein partischer Titel in Sogdischen" فى "Indian and Iranian Studies presented to Sir George Grierson ، Bsos (٨) ، ٢ — ٣ ، ١٩٣٦ ، ص ٧٣٧ وما بعدها . وقد أوضح شيدر أن الكلمتين أشكانيتان وأنهما وجدا فى العصرين البرتى والساسانى ، وأن كلمة « ويسپور » (معناها الحرفى ابن القرية) لاتعنى فقط ابن ويسپق ، ويسپذ ، ولكنها اكتسبت قيمة اجتماعية أعظم ، واستخدمت للدلالة على أمراء البيت المالك ، بينما كلمة واسپور تطلق على أعضاء أسر الأشراف . ولكن النص البهلوى « سور سخون » (حديث وجبة العشاء بالفارسية الوسطى) الذى نشره تاڤاديا Tavadia فى J. Cama. Or. Inst ، ٢٩ ، ١٩٣٥ ، ذكر فى الفقرة العاشرة پوس واسپور وهى تدل من غير شك ، كما لاحظ تاڤاديا ، على معنى « ولى العهد » والتأويل الذى يقول به شيدر وهو أن واسپور هنا ليست لقباً ، ولكنها كنية لتفخيم الملك ، الذى ذكر فى الفقرة السابقة من النص ، لايحل الإشكال : لماذا سمى ولى العهد پوس واسپور ولم يسم پوس ويسپور ؟

ولكن كلمة ويسپور فى صيغتها الإيرانية الخالصة من شوائب « الهزوارش » الآرامى تظهر فقط فى النصوص المانوية بتورفان ، وقد لاحظها شيدر فى الصغدية فى صور مختلفة حيث يختفى وراءها «ويس پوس» أصلا . وقد بين شيدر أن هذه الصيغة الصغدية استعمال للفظ الأشكانى ويسپور . أما النصوص المانوية فمن ناحية أخرى تذكر الكلمة كما كانت فى أول العهد الساسانى حين كان الفرق الأشكانى بين الكلمتين ويسپور و واسپور مذكوراً . ولكن ليس لدينا ، فيما يظهر ، مثل لاستعمال كلمة

ويسپور فى الآداب البهلوية التى ترجع إلى القرن الأخير من عهد الدولة الساسانية . ولذا فإنى أعتقد أنه قبل ذهاب هذه الدولة ، اختفى اصطلاح ويسپور باندماجه فى واسپور .

ص ١٠٠ . هزاربد . قارن « سور سخون » تاڤاديا Tavadia ، ص ٦٧ و ٨٧ — ٨٨ . ومن المستحيل أن يكون هزارفت (بالأرمينية هزر ووخت) هو هزاربد .

ص ١٠٨ . موگان اندرزبد لقب آخر الموبدان موبد . انظر «سور سخون» ، تاڤاديا ، ص ٦٦ .

ص ١١١ ، ملحوظة ٩ . أنظر هننج Henning ، "Arabisch Ḫarāg" ، Orientalia) ، (٤) ، روما ، ١٩٣٥) ، ص ٢٩١ وما بعدها .

ص ١٢٦ . بيذخش ، انظر الملحوظة الإضافية عن صفحة ١١ .

ص ١٥٠ . خرائب المعابد الساسانية ، انظر هرتسفيلد Herzfeld ، "Arcaeholo-gical Histo y ot Iran ١٩٣٥ ، ص ٨٨ وما بعدها .

ص ١٦٠ — ١٦١ . بحث نيبرج Nyberg المشكلة الصعبة فى التقويم الساسانى ، متون التقويم المزدى : "Texte zum mazdayaznischen Kalender" ، ١٩٢٤ ، ص ٨٠ (Uppsala Universitets ârsskrift) .

ص ١٦٩ — ١٧١ ، ملحوظة ٤ . پلوتسكى Polotsky فى كتابه عن الشريعة المانوية : Abriss des manichäischen Systems ، شتوتجارت ، ١٩٣٤ ؛ أنظر هننج Henning فى ZDMG ، ١٩٣٦ ، ص ١ — ١٨ .

ص ٢٠٨ ، ملحوظة ١ . كريستنسن Christensen : "La princesse sur la feiulle de myrte et la princesse sur le pois" ، AO. ، (١٤) ، ص ٢٤١ — ٢٥٧ .

ص ٢١٥ . تدمر (Palmyre) ، انظر روستوڤتزف Rostovtzeff ، Caravan Cities ، ترجمة تالبوت رايس Talbot Rice (T,D) ، اكسفورد ، ١٩٣٢ ، ص ٩١ وما بعدها .

ص ٢٧٩ وما بعـدها . انظر پيترز Peeetrs : "Sainte ‹ Sousanik" ، Analecta Bollandiana ، (٥٣) ، ١٩٣٥ ، ص ٢٨٨ وما بعدها فيا يتعلق بحوادث ارمينية بين سنق ٤٨٤ — ٤٨٥ وعن شخصية وهن Vahan .

ص ٢٨٥ ، ملحوظة ٣ . نشر تاڤاديا النص البهلوى وترجمته وتعليقات عليه : فى J. Cama "Sur Sa khvan A Dinner Speech in Middle Persian" Or. Inst ، (٢٩) . وقد يكون اللقب شهر — دادور — دادوران (ص ٤٤ ، ٦٥ وما بعدها ، ٨٥ وما بعدها) نتيجة إدماج الصيغتين شهر — دادور و دادور — دادوران .

ص ٣١٩ — ٣٢٠ . انظر الملحوظة الإضافية عن صفحة ٤٣ ، ملحوظة ٢ .

ص ٣٢٤ ، ملحوظة ٥ . ويه — دين . يرى تاڤاديا Tavadia ، وهو يوافق على نظريات هرتل Hertel (انظر ص ٢٢ ، ملحوظة ١ من هذا الـكتاب) ، أن المعنى الحقيقى لهذا الاصطلاح قد يكون «دين النور» (Studia Indo-Iranica, Erhengäbe für Wilh. Geiger) ، ص ٢٤٥ وما بعدها و (سور سخون) ، ص ٥٠ . ومهما يكن من شىء فقد كان معنى هذا الاصطلاح فى العهد الساسانى هو « الدين القيم » .

ص ٣٣٥ ، ملحوظة ٤ . قارن دراســـة حديثة قام بها مزيك Mzik : (Sagenmotiv in historischen Berichten für die Abstammung von Helden und Herrschern), فى Mitt. der Anthropol. Gesellschaft in Wien ، (٦٤) ، ڤينا ، ١٩٣٤ ، ص ١٩٩ وما بعدها .

ص ٣٥٤ . السياسيجين . توجد الملحوظة نفسها عند بعض الـكتاب العرب . ويقترح كرامر Kramer ، بعد مقابلة الصيغ المختلفة تصحيح اللفظ إلى (النشستاجين) النشاستـكين التى تـكون بالبهلوية نشاستگان (المحاربين) المقيمين كحامية "Indian and Iranian Studies presented to Sir George Grierson" ، BSOS ، ١٩٣٦ ، ص ٦١٣ وما بعدها .

ص ٤٣٩ . چهار قاپو . انظر هرتسفيلد Archacolog-History of Iran ص ٨٨ ، كان چهارقاپو معبد نار .

وقد أثبتت الحفائر التى عملت فى السنوات الأخيرة فى الأقاليم التى كانت تحكمها الدولة الساسانية وجود خرائب لكثير من المعابد التى ترجع لهذا العهد . وفى دامغان كشفت بعثتا حفائر متحف الجامعة University Museum ومتحف بنسلفانيا Pennsylvania Mussan عن قصر ساسانى . وفى العراق لاحظت بعثة أكسفورد Oxford Field Expedition ، بعد كشف هام ، أن جميع الأراضى بين دجلة والفرات كانت تروى حينذاك بطريقة تكفل لها الخصب ، وكانت هذه الأراضى عامرة بالمدن الساسانية . وقد نجحت هذه البعثة فى الكشف عن كثير من القصور والبيوت الساسانية فى مكان مدينة كيش القديمة (وصف تمهيدى فى مقالات بالدايلى تلجراف Daily Telgraph كتبه لانجدن Langdon) ، كما كشفت عن قصر عظيم فى الصحراء على بعد حوالى عشرين ميلا انجليزيا من كيش (آرثر أوپم Arthur Upham فى جريدة التيمز Times ، ٣ يونيو ١٩٣٣) .

وقد لفت أوپم پوپ Upham Pope الأنظار فى مقال له عنوانه A sasanian Garden Palace فى مجلة The Art Bulletin ، الجزء ١٥ ، العدد ١ ، شيكاجو ١٩٣٣ ، إلى رسم هام جداً لقصر صيفى مصور على لوح برونزى فى متحف برلين ، ويرجع تاريخه إلى القرن السادس أو أوائل القرن السابع الميلادى . وهو قصر صيفى صغير ، خفيف البناء ، رشيقه ، له خمس قباب (يرى منها ثلاث) يحملها أعمدة فارعة تذكر بأعمدة القصور الصفوية فى إصفهان . وقد زين الجزء الأسفل من الواجهة بصور جرار ونخيل استوى ترتيبها ومن فوقها عقود صغيرة بارزة على غرار عقود طاق كسرى ، وفى وسطه محراب ، شبكى الطراز ، وعليه المعبد ذو الأعمدة الذى نراه على النقود الساسانية .

ص ٤٨٧ ، ٤٨٨ . انظر سعيد نفيسى عن السنوات الأخيرة ليزدگرد ، وفاته وأبنائه ، وذلك فى مقالته بالفارسية عن يزدگرد الثالث ، مجلة مهر ، ١٣١٢ (١٩٣٣) . وأما عن صلات يزدگرد الثالث وولده فيروز بالصين فانظر كورديبه Cordier : Histoire génrale de la Chine et de ses relations avec les pays étrangers ، الجزء الأول ، ص ٤٣٦ — ٤٣٨ .

ص ٥٠٥ . جاء فى « سور سخون » ، نشر تاڤاديا Tavadia ، فى النبذ من ٩ — ١٤ ب ، قائمة بعظماء الدولة تبدأ بالشاهنشاه نفسه : شاهنشاه (ملك الملوك) ، پوس واسپور (ولى العهد) ، بزرگ — فرمادار ، الإصبهبذين الأربعة (وقد سقط إصبهبذ الشمال ولعل هذا من خطأ الناسخ) ، دادور — دادوران (كبير القضاة) ، مغان — اندرزبد (موبدان — موبد) . وهـذه القائمة مهمة جداً . فهى تتيح لنا تحديد التاريخ الذى كتب فيه هذا النص : فقد كتب بعد الإصلاح الذى قام به كسرى أنوشروان والذى أقام الإصبهبذين الأربعة ، ولـكن قبل الإصلاح الآخر لـكسرى ، الإصـلاح الذى حد به من سلطان البزرگ فرمادار (النبذة ١١ : « . . البزرگ فرمادارا ، العظيم فى العظمة ، القوى فى القوة ، والذى هو عظيم وطيب مع الرعية ؟ ») . ومن الأوضاع ذات الدلالة وضع الموبدان موبد فى آخر القائمة .

الكشاف

١ — الموضوعات

صفحة

٢ — الأسماء عامة

(ا)

(ب)

(١) وردت خطأ النصيبي .

(پ)

(ت)

(ث)

(ج)

(چ)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(ش)

(ص)

---

(١) ذكرت فى الترجمة خطأ باسم الجنوس .
(٢) ذكرت فى الترجمة خطأ باسم الجنوستيكية .

(ف)

(ڤ)

(ق)

(١) وردت خطأ ولنتنين فی ص ٢٥٤ .

(ك)

(گ)

(ل)

(م)

(ن)

(١) كتبت خطأ نيسه فى الصفحات ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٥٧

(و)

(ى)

٣ — الأماكن

(ا)

(ب)

(پ)

(ت)

(ج)

(چ)

(ح)

(خ)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(١) انظر ص ٣٢١ من بلدان الخلافة الشرقية ، لو سترانج ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، حيث جاء أن يزد عرفت فى القديم باسم كثه .

(١) ذكرناها خطأً ميلتين .

٤ — المصطلحات

(ر)

(ز)

(س)

---

(١) وردت خطأ فى صفحة ١٢٤ ووانه .

(ش)

(ف)

(ك)

(گ)

(م)

(ن)

(ه)

(و)

(ى)

٥ — الكتب الواردة بالنص

٦ — كشاف الصور

صفحة

صفحة

٧ — المصادر الإفرنجية

A

Abeghian, M., Der Armenische Volkesglaube. Leipzig 1932.
Abhandlungen fuer die Kunde des Morgenlands.
Akeinian, P. N., Elisaeus Vardapet und seine Geschichte des armenischen Kriegs. Vienne 1932.
Alfaric, P., Les écritures manichéennes.
Andreas (publ.)., The book of the Mainyoi-Khard (texte pehlvi). Kiel 1882.
Anklesaria (éd)., Le Bundahishn iranien. Bombay 1908.
Assemani., Bibliotheca Orientalis Clementino-Vaticana 1-4. Rome 1719-28.
Atharé-Irān., Annales du service archeologique de l'Irān I-III. Paris 1936-38.

B

Bartholomae, C., Altiranisches Woerterbuch. Strassb. 1901.
Die Frau im sasanid Recht. Heidelberg 1942.
Ueber ein sasanidisches Rechtsbuch. (Sitz. d. Heidelb. Ak. 1910.
Zum sasanid. Recht (ibid 1918, 23).
Baur, C., Das manichaesche Religionssystem. Goettingen 1928.
Beal, S. Buddhist Records of Western World, translated from the Chinese Hinen Ysiang. Londre 1906.
Bedjan., Histoire de Mar Yabalah. Paris 1895.
Le Chronicon syriacum Paris 1890.
Beneveniste, E. Les classes sociales dans la traditions avestique. J.A. 1932.
Beneveniste & L. Renon., Vrtra et Vrdragna. Paris 1934.
Berliner, A. Beitrage zur Geographie und Ethnographie Babyloniens.
Bezzenberger., Beitraege zur Kunde der Indogermanischen Sprache.
Bidez, J & F. Cumont., Les mages hellénisés. Paris 1938.
Birkeland., Zaratustra, Iran profet. Oslo 1943.
Bousset, W., Hauptprobleme der Gnosis. Goettingen 1907.
Brand, W., Die mandaeische Religion. Leipzig 1889.
Braun, O., Ausgewaehlte persischer Maertyrer. Muenchen 1915.
Budge, Wallis., The book of Governers. London. 1893.
The History of Rabban Hormizd the Persian (Luzac. Sem. Ser. vol. 9-11)

Burkitt, The Cambridge Ancient History.

C

Christensen, Arthur., Die Iranier (Handbuch der Altertumwissenschaft III).
L'Empure des Sassanides. Copenhague 1907.
Le règne du roi Kawādh I et le communisme mazdakite. 1925.
Etudes sur le zoroastrisme de la Perse antique 1928.
Les Kayanides 1931.
Quelques notices sur les plus anciennes periodes du zoroastrisme. Act. Orient. IV.
La legende du sage Buzurjmihr. ibid III.
Abarsām et Tansar. ibid X.
Les gestes des rois dans les traditions de l'Iran antique. Paris 1936.
Essai sur le demonologie iranienne. (D. Vid. Selk. Hist-fil. Medd. XXVII.
Clemens, C., Fontes historiae religionis persicae. Bonne 1920.
Cumont, F., Recherches sur le manichéisme. Bruxelle 1908.

D

Darb Dastur Peshotan Sanjana. (éd)., The Karname i Artakshir i Papakan. Bombay 1895,6.
The Dinkard. Bombay 1874-1928.
Darmsteter., Lettre de Tanser.
Le Zend-Avesta (Annales de. Musée Guimet t. 21, 22, 24).
De Faye, E. Gnostique et gnosticisme. Paris 1925.
De Goeje (éd). Bibliotheca Geographorum Arabicorum.
De Lagarde, P., Reliquiae juris ecclesiastici Syriace, Vienne 1856.
Dieulafoy., L'art antique de la Perse. Paris 1884.
Drew, A., Die Entstehung des Christentums aus dem Gnostizismus. Jena 1924.
Drouin., Monnaies des Grands Kouchan. (Rev. numism. 1896).
Duda, Herb. W., Ferhad u Schirin. Prague 1933.

E

Erdmann, K. Die Iranische Feuerheiligtum. Leipzig 1941.

F

Flandin. F & P, Coste., Voyage en Perse. Paris 1843.

Foucher, A., L'art greco-bouddhique du Ganhara. Paris 1905-18.

Fox, Sherwood., Passage in Greek and Latin Literature relating to Zoroaster and Zoroastrianism (J. Cama. Or. Inst. N 14).

Frank., Beitraege aus chinesichen Quellen zur Cenntnis der Tuerkvoelker und Skytheu Zentralasiens. (Abh. Pr. Ak. 1904).

Freiman, A., Pand-nāmak i Zarathust. Vienne 1906.

Friedlaender., Die vorchristhche juedische Gnosticismus. Goettingen 1898.

Fourdonjee D.I. Paruch., Sassanian Coins. Bombay, 1924.

G

Gabrieli, F., L'opera di Ibn al-Muqaffa (Rivist. d. Stud. Orient. XIII 1932).

Gardner, Percy., The Coins of the Greek and Schythic Kings of Bactera in the Brit. Museum. London 1885.

Geiger, B., Die Amesa Spentas (Sitz. Wien. Ak. 1916).

Geiger W. & E. Kuhn (Hrsg)., Grundriss der Iranischen Philologie. Strassb 1865-1901.

Godard & Hackin., Les antiquités bouddhiques de Bāmiyān. Paris 1928.

Graetz., Geschichte der Juden.

Greenfield, J., Die Verfassung des persischen staates. Berlin 1904.

Gruenwedel. Alt-buddhistische Kultstaetten in Chinesesch-Turkistan. Berlin 1912.

Gutschmid, Avon., Geschichte Irans und seiner Nachbarlaeuder. Tuebingen 1888.

H

Hackin, J., L'oeuvre de la delegation archeol. franç. en Afghanstan (1922-32) Tokio 1933.

Hackin, J. et J. Carl., Nouvelles recherches archeologipues à Bamyan. Paris 1933.

Hallier, L. Untersuchungen ueber die Edessenische Chronik mit dem syrischen Texte und einer Uebersetzung. Leipzig 1892.

Hansen, O., Zur soghdischen Inschrift auf dem dreisprachigen Denkmal von Karabalgasun (Journ. d. la Soc. Finno. 1930).

Haug., Essay on Pahlevi.

Hermann, A., Die alten Seidenstrassen zwischen China und Syrien. Berlin 1910.

Hertel, M. J., Die arische Feuerlehre. (Indo-Iran. Quel. u. Forsch. Facs. 6).

Herzfeld., Kushano-Sassanian Coins. (Memoir. of the Arch. Survey of India no 38; 1930).

Am Tor von Asien. Berlin 1920.

Archaeolog. Mitteilungen aus Iran I-IX. Berlin 1928-1938.
Paikuli, Monuments and Inscriptions of the Early History of the Sasanian Empire. Berlin 1924.
Archeological history of Iran. London 1935.

Higgins., The Persian War of ths Emperor Maurice.

Hirth, F., China and the Roman Orient. (Leipizig-Muenchen 1885).
Chinesische Studien.

Hoernle, R. Manuscript Remains of Buddhist Literature. Oxford 1916.
Indoscythische Beitratege, (Sitz. Pr. Ak. 1916).
Saka versions of the Bhadrakal-pikāsūtra. Oslo 1929.
Saka Studien. Oslo 1932.
Zwoelf Blaetter einer Handschrift des Suvranabhāsūtra in Khotan Sakisch (Sitz. Pr. Ak. 1935).
Eine neue Saka Dialekt. (ibid).
A medical Text in Khotanese. Oslo. 1941.

Hoffmann, G., Auszuege aus syrischen Akten persicher Maertyrer. Leipzig 1880.

Horn, P & G. Steindorff. Sassanidische Siegelsteine. Berlin 1891.

J

Jackson, A.V. Williams., Zoroaster, the Prophet of Ancient Iran. New York 1919.
The Location of the Farnbāgh Fire. JRAS 1921.
Persia Past and Present.
From Constantinople to the Home of Omar Khayyam. ibid 1921.
The "second Evocation" in the Manichaean System of Cosmogony. Jras. 1921.

Jamasp-Asana. Pahlavi Texts. Bombay 1913.

Junker, H.F.J. Ein mittelpersisches Schulgespraech. (Sitz. Heidelb. Ak. 1912).
(éd) The Frahang i pahlavik. Heidelberg 1912.

Justi. Iranisches Namenbuch. Maryburg. 1895.
Geschichte des alten Persiens.

K

Konow, Sten. Fragments of a Buddhist work in the ancient aryan Language (Mem. As. Soc. Beng. 1914).
Indoskythische Beitraege (Sitz. Pr. Ak. 1916).
Notes on Indo Scythian Chronology (Jonrn. of Ind. Hist. XII no I).

& W. Van Wijk. The Eras of the Indian Karosthi Inscriptions (Ao. III).

Kremer., Kulturgeschichte des Orients.

L

Labourt., Le Christianisme dans l'empire perse sous la dynastie sassanide. Paris 1904.

Lenglois, (publ)., Collection des historiens anciens et modernes des l'Arménie. Paris 1867-9.

Le Coq, A. von., Chotscho. Berlin 1913.

Lsgge, F., Forerunners and Rivals of Christianity. Cambridge 1915.

Leisegang. Die gnosis. Leipzig 1924.

Lenz, W. Die Nordiranischen Elemente in der neupersischen Literatursprache bei Firdosi.

Le Strange, G. The Lands of the Eastern Caliphate.

Lévi, Sylvian Kuchean Fragments.

Leumann. Zur nordarischen Sprache und Literatur (Schrift. d. Wissen. Gesel. Strassb. 1912).

Maitreya-samiti (Nordarish). Strassb. 1919.

Buddhistische Literatur. (Abh. K. M. 1920).

Das Nordarische (Sakische) Lehrgedicht des Buddhismus (Abh. K. M. XX).

Lommel, H. Die Religion Zarathustras. Tuebingen 1930.

Die Yacst's des Avesta.

Lueders, H. Die sakischen Mūra. (Sitz. Pr. Ak. 1919).

M

Macier, M. Fr., Quatre conférences sur l'Armenie. Paris 1932.

Mann, O., Kurdisch-persische Forschungen.

Markwart (Marquart), J. A catalogue of the Provincial Capitals of Iranshahr. (Anal. Orient. Roma 1931).

Erānsahr nach der Geographie des Pr. Moses Xorenac'i. Berlin 1901.

Martin, M. Coins of Kidara. (Jras. B. 1937-38).

Meillet, A. Trois conférences sur les Gatha de l'Avesta Paris 1925.

Le Tokharien. 1913.

Mercati. Per la vita egli scrutti di Paolo il Persiano. Roma 1899.

Messina, G., L'aramaico antico antico. Roma 1934.

Meyer, Ed. Geschichte des Altertums.

Kultur Geschichte des Alten Orients.

Miugana. Sources syriaques.

Mueller, F. Handschriften Reste, Soghdische Texte. (Sitz. Pr. 1913, 14).
Tocharish. (ibid 1907).

N

Nariman, G.K. Iranian influences on Moslem Literature. Bombay 1918.
Neubauer. La geographie du Talmoud.
Zielsen, M. Ditlef. Der dreieinige Gott in religionshistorischen Beleuchtung. Copenhague 1922.
Noeldeke, Th., Die Ghassanischen Fuersten (Abh. d. Ak. d. Wiss. Berlin 1887).
Nyberg, H.S., Die Religionen des alten Iran (Deutsch von H. Schaeder). Leipzig 1938.
Texte zum makdazanischen Kalender. 1934.

O

Olinder, G. The Kings of Kinda. Lund 1927.

P

Pageliaro, A. L'anticresi nel diritto Sasanidico (Riv. d. St. Orient XV)
Pallis, S.A., Mandaieske Studien. Copenhague 1919.
Patkanian., Essai d'une histoire de la dynastie Sassanide. Paris 1866.
Pedersen, Holger., La groupement des dialectes indo européens. 1925.
Tochsrisch vom Gesichtpunkt der indo-europ. Sprachvergleichung. (D. Vid. Selsk. Hist-fil. I 1941).
Peldersen, Johs., The Sābians, dans A Volume of Oriental Studies presented to Prof. É. G., Browne. Cambridge 1922.
Pelliot, P. Tokharien et Koucyéen. J. A. 1934.
Peterson. Urchristentum und Madaeismus (Zeitschr. fuer die neutestament. t. 27/1928).
Plutarque.
Pognon. Inscriptions mandaeites des coupes de Khouabir. Paris 1898.
Pope, A. U. A survey of Persian Art. I. II. London 1938, 9.

R

Rapson, E. J. The Combridge History of India I. Cambridge 1922.
Reinaud., Relations politiques et commerciales de l'Empire romain avec l'Asie orientale. Paris 1863.
Memoire sur le royaume de la Mésène et de la Kharacène. (Memoire. de l'Instit de France XXIVb).

Reitzenstein. Die hellenistischen Mysterienreligionen.

Rosen, V. Mélangss asiatiques tirés du Bull. de l'acad' Imp. de Sc. des St Petersb. XIII.

Rostovtzeff. Caravan Cities. Oxford 1932.

Rothstein, G. Die Dynastie der Lahmiden in Al Hîra. Berlin 1899.

S

Sachau., Die Chronik von Arbela. (Abh. Pr. Ak. 1915).

(éd et Trad) Syrische Rechtsbuecher. Berlin 1914.

Salhani, P. Histoire abrégée de dynasties. Beyrouth 1890.

Sallet, von., Die Nachfolger Alexanders des grossen in Bacterien und Indien. Berlin 1879.

Sarre, Fr., Die Kunst des alten Persien.

& E. Herzfeld. Iranische Felsreliefs. Berlin 1918.

Archaeologische Reise in Euphrat und Tigris gebiet II. Berlin 1920.

Schaeder., Iranica (Abh. d. Ges. d. Wissen. Goettingen 1934).

Esra der Scheiber.

Der Orient und das griechische Erbe.

Iranische Beitraege. Halle 1930.

Schefer. Chrestomatie persane.

Schmidt, C. & H. Polotsky., Ein Mani Fund in Aegypten. (Sitz. Pr. Ak. 1933).

Schniez, W. Dokumente der Gnosis. Wien 1918.

Schwarz, P. Iran im Mittelalter' Leipzig 1896.

Seleôs. Hist. d'Hela les.

Spiegel., Iranisehe Altertumkunde.

Stack, E. Six months in Persia. N. York 1882.

Stein, A. Zoroastrian Deities in Indo-Scythian coins. (Babylon. Rech. Londres 1886-87).

Sand buried Ruins of Khotan. London 1904.

Ancient Khotan. Oxford 1907.

Ruins of the Desert Cathay. London 1912.

Sieg & Sieglin. Tocharisch (Sitz. Pr. Ak. 1908).

Tocharische Sprachreste. Berlin 1921.

Strabon.

T

Tavadia (éd) Shāyāst ne Shayast. Hambourg 1930.

U

Unvala, J. M. Observation on the Relfgion of Parthians. Bombay 1925.
(publ. et trad.) The Pahlevi text "King Khusrus and his boy" Paris 1921.

V

Vasmer, R., Sassanian Coins in the Ermitage. (Numismatic. Chronicle 1928).

W

Waldschmidt-Lèntz., Die Stellung Jesu.

Wesendonk., Urmensch und Seele in der Iranischen Ueberlieferung. Hannover 1924.
Das Wesen der Lehre Zarathuströs. Leipzig 1927.
Das Weltbild der Iranier. Muenchen 1933.

West, G. (Transl.) Pahlavi Texte I-V, sacred books of the East tt 5, 18, 24, 37, 47.
Notes on Indo-Scythian coin legends. (Babyl. & Orient Rech. London 1888).

Westergaard (publ) Le Bundāhisn indien. Havniae 1851.

Wikander, Stig., Der Arabische Maennerbund. Lund 1938.

Wright, W. The Chronicle of Joshu the Stylite. Cambridge 1882.

Wroth, Warwick., Catal. of the Coins of Parthia. London 1903.

قائمة المختصرات

LISTE DES ABRÉVIATIONS

Abh. K. M. = Abhandlungen für die Kunde des Morgenlandes.

Abh. Pr. Ak. = Abhandlungen Akademie der Wissenschaften.

Am Tor, voir Herfeld.

AO = Acta Orientalia.

Arch. Mitt, voir Herzfeld.

Assem. = Assemani, Bibliotheca Orientalis Clementino-Vaticana, 1—4, Rome 1719—1728.

Bartholomae, Air. Wb. = Altiranisches Wörterbuch, Strassb. 1904.

" Die Frau = Die Frau im sasanidischen Recht, Heidelberg 1924.

" Rechtsbuch = Über ein sasanidisches Rechtsbuch, Sitzungsberichte der Heidelberger Akademie, 1910.

" Z. sas. Recht = Zum sasanidischen Recht I—V, Sitzungsberichte der Heidlberger Akademie, 1918, 1920, 1922, 1923.

BB = Bezzenbergers Beiträge zur Kunde der Indogermanischen Sprachen.

Beal = S. Beal, Buddhist Records of the Western World, I—II, Londres 1906.

BGA = Bibliotheca Geographorum Arabicorum, éd. de Goeje.

BP, voir Procope.

BSL = Bulletin de la Société de Linguistique de Paris.

BSOS = Bulletin of the School of Oriental Studies.

Christensen, Empire = L'empire des Sassanides, Det Kongelige Danske Videnskabernes Selskabs Skrifter, 7. Række, historisk og filosofisk Afdeling, I. 1. (Copenhague 1907).

" , Kawādh = Le règne du roi Kawādh I et le communisme mazdakite, Det Kongelige Danske Videnskabernes Selskabs historisk-filologiske Meddelelser, IX. 6 (1925).

" , Et. s. le zor. = Études sur le zoroastrisme de la Perse antique, Ibid. XV. 2 (1928).

" , Les Kayanides, Ibid. XIX. 2 (1931).

" , Quelques notices = Quelques notices sur les plus anciennes périodes du zoroastrisme, Acta Orientalia, IV, p. 81 sqq.

Christensen, Buzurjmihr = La légende du sage Buzurjmihr, ibid VIII, p. 81 sqq.

" , Abarsām = Abarsām et Tansar, ibid. X, p. 43 sqq.

Darmesteter, ZA = Le Zend Avesta, Annales du Musée Guimet, t. 21, 22 et 24.

Dieulafoy = Dieulafoy, L'art antique de la Perse, Paris 1884.

Djāḥiz, Tādj = Kitābu-t-tādj de Djāḥiz, édition du Caire 1914.

D. Vid. Selsk. fil-hist. Medd. = Det Kongelige Danske Videnskabernes Selskabs filologisk-historiske Meddelelser (Communications philogiques et historiques de l'Académie royale des sciences et des lettres du Danemark).

Felsreliefs, voir Sarre-Herzfeld.

Fihrist = Kitâb al-Fihrist, herausgegeben von G. Flügel, I—II. Leipzig 1871—72.

Flandin (et Coste) = E. Flandin et P. Coste, Voyage en Perse, Planches I—II. Paris 1843.

GIPh = Grundriss der Iranischen Philologie, herausgegeben von W. Geiger & E. Kuhn. Strassb. 1895—1901.

Herzfeld, Am Tor = Am Tor von Asien, Berlin 1920.

" Arch. Mitt. = Archäologische Mitteilungen aus Iran, I—VI. Berlin 1929—33.

" Paikuli = Paikuli, Monument and Inscriptions of the Early History of the Sasanian Empire I—II, Berlin 1924 (tome II contentant les planches).

Hiuen Tsiang, voir Beal.

Hofman = G. Hoffmann, Auzüge aus syrischen Akten persischer Märtyrer, Leipz. 1880 (Abhandlungen für die Kunde des Morgenlandes, VII, 3).

IF = Indogermanische Forschungen.

Inostrantzev, S. E. = (Études sassanides), St. Peters bourg 1909.

JA = Journal asiatique.

JAOS = Journal of the American Oriental Society.

J. Cama Or. Inst. = Journal of the K. R. Cama Oriental Institute.

JRAS = Journal of the Royal Asiatic Society.

Justi, Namenbuch = Iranisches Namenbuch, Marburg 1895.

Kārnāmagh = The Kârnâmê î Artakhshîr î Pâpakân, ed. by Darab Dastur Peshotan Sanjana, Bombay 1896—96. — Geschichte des Artachsîr i Pâpakân, übersetzt von Th. Nöldeke, Beiträge zur Kunde der Indogermanischen Sprachen, IV.

Labourt = J. Labourt, Le christianisme dans l'empire perse sous la dynastie sasanide. Paris 1904.

Langlois = Collection des historiens anciens et modernes de l'Arménie, publiée par V. Langlois, I—II. Paris 1867—69.

Markwart-Messina, Catalogue = J. Markwart (Marquart), A Catalogue of the Provincial Capitals of Eranshahr, ed. by G. Messina, Analecta Orientalia, 3, Roma 1931.

Marquart, Eränsahr = J. Marquart, Eränsahr nach der Geographie des Ps. Moses Xorenac'i, Berlin 1901 (Abhandlungen der Kön. Gesellschaft der Wissenschaften zu Göttingen, phil-hist. Klasse, Neue Folge, III, no. 2).

Mas'ūdi, Murūdj = Maçoudi, Les prairies d'or (Murūdju'd-dahab), texte et traducation par C. Barbier de Meynard et Pavet de Courteille, I—IX, Paris 1861—77.

Mas'ūdī, Tanbīh = Bibliotheca Geographorum Arabicorum, VIII (Kitābu't-tanbīh), Lugd. Bat. 1894. — Maçoudi, Le livre de l'avertissement et de la revision, trad. par Carra de Vaux. Paris 1896.

MO = Le Monde Oriental.

Modi Mem. Vol. = Dr. Modi Memorial Volume, Bombay 1930.

Morgan = J. de Morgan, Mission scientifique en Perse, Recherches archéologiques, Paris 1900—1911.

MSL = Mémoires de la Société de Linguistique de Paris.

Murūdj, voir Mas'ūdī.

Nariman, Ir. Infl. = G. K. Nariman, Iranian Influence on Moslem Literature, Bombay 1918.

Nihāyat = Nihāyatu-l-irab fī akhbāri'l-furs wal-'arab (E. G. Browne, JRAS, 1900, p. 195 sqq).

Nœldeke, Burzoes Einleitung = Burzoes Einleitung zu dem Buche Kalilawa Dimna, übersetzt und erläutert von Th. Noeldeke. Strassb. 1912 (Schriften der Wissenschaftlichen Gesellschaft in Strassburg, 12. Heft).

Nœldeke, Tabarī = Th. Nœldeke, Gesch'chte der Perser und Araber zur Zeit der Sasaniden. Aus der arabischen Chronik des Tabarî Leyden 1879. (Notes et excursus; la traduction elle-même et désignée : Tabarî, Nœldeke).

Paikuli, voir Herzfeld.

Procope, BP = De bello Persico.

PT, voir West.

RHR = Revue de l'histoire des religions.

Rothstein = G. Rothstein, Die Dynastie der Lahmiden in al-Hîra, Berlin 1899.

Sarre, Kunst = Fr. Sarre, Die Kunst des alten Persien, Berlin 1922.

Sarre-Herzfeld, Felsreliefs = Fr. Sarre und E. Herzfeld, Iranische Felsreliefs, Berlin 1910.

Arch. Reise = Fr. Sarre und E. Herzfeld, Archäologische Reise im Euphrat- und Tigrisgebiet, II, Berlin 1920.

S.E., voir Inostrantzev.

Sitz., Pr., Ak. = Sitzungsberichte der Preussischen Akademie der Wissenschaften.

Tabarī = Tabarî Annales, éd. de Geoje, Séries I.

Tabari-Nœldeke = Th. Nœldeke, Geschichte der Perse und Araber zur Zeit der Sassaniden. Aus der arabischen Chronik des Tabarî, Leyden 1879.

Tādj voir Djāhiz.

Tanbīh, voir Masūdī.

Vend. = Vendīdād.

West, P T = Pahlavi Texts translated by E. W. West, I—V, Sacred Books of the East, tt. 5, 18, 24, 37, 47.

WZKM = Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes.

Y = Yasna.

Yt = Yasht.

ZA, voir Darmesteter.

ZDMG = Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft.

ZII = Zeitschrift für Indologie und Iranistik.

ملحق

بالزيادات التي أدخلها المؤلف في طبعة ١٩٤٤

كما تكون في الترجمة العربية

المقدمة :

ص ١٩ — تضاف هذه الحاشية على كلمة « الدينية » في العنوان :

أحدث مصنف عن الآراء الدينية والعبادات عند قدماء الإيرانيين هو كتاب نيبرج : Die Religionen des Alten Iran . وهو الكتاب الذي أشرت إليه كثيراً في هذا الفصل . وانظر لومل في كتابه عن دين زردشت ، توبنجن ١٩٣٠ . وانظر جيجر في بحثه عن الأمشا سپندان . وانظر مييه في محاضرات ثلاث عن الگاثات ، باريس ١٩٢٥ .

أما عن اليشتات فانظر ترجمة لومل ؛ ثم مقالتي هرتل حيث طبق على اليشتات آراءه في نظرية النار التي استخلصها من جميع المصطلحات الدينية في دين زردشت ؛ ثم بنفنست ورينو في Vrtra et Vrthraghna ، باريس ١٩٣٤ ؛ ثم بيركلند في كتابه : زردشت نبي إيران ، اوسلو ١٩٤٣ .

ص ١٩ — يضاف بعد كلمة « الأصلي » في السطر ٧ :

ثم إنه في الوقت الذي دخل فيه الإيرانيون في التاريخ ، أمكننا أن نميز بين طائفتين مختلفتين ، اعتنقت إحداهما مذهب ميترا الذي أصبح حينئذ أول الآلهة عندهم ، واعتنقت الأخرى مذهب مزدا واتخذت منه ربها الأعلى . وكان عباد ميترا (نيبرج ، Rel ، الفصل ٣) يوجهون لهذا الإله وإلى الآلهة المحيطة به « يشتات » أو تراتيل حفظت الأوستا « الحديثة » بعض نماذج منها طبقتها الديانة الزردشتية . ومن جملة هذه الآلهة « رَشْنُو » — الاستقامة — و « سَروشَ » — الطاعة .

وهذه الأسماء ، كغيرها من أسماء الآلهة الأوستية لها طابع المجردات المجسمة . ويرى نيبرج أن هذه الآلهة تمثل هيئات اجتماعية ، فعنده « رشنو » هو رب الابتهال ، و «سروش» هو رب الأمة الميترية المؤمنة والمستعدة للذود عن دينها ، و« آشى» هى ربة التناسل التى تهب المؤمنين بركة الزواج وكل أنواع السعادة . ثم هناك الإله « ورثرغن » وهو رب الهجوم الظفر وإله الحرب ، و « خورنه » ، النصر ، الذى يصحب الملك الشرعى ، وآلهة صغيرة كثيرة . وفى الأضاحى المقدمة للآلهة من الميتريين كان المؤمنون سكارى بشراب عصير الهوما (السوما عند الهنود) ، وكانوا يعبدون الإله « هوما » الذى يجمع المؤمنين فى التجلى الدينى .

أما أن « أُرْدْوى سورا أناهيتا » إلهة الماء وربة الخصب كانت فى بادىء الأمر الإلهة الأولى عند طائفة ثالثة ، كما يذهب نيبرج ، فهذا عندى أمر مشكوك فيه كمذهبه فى محاولة القول بأن هذه الإلهة هى نفسها نهر سيحون .

ويبدو أن مذهب مزدا كان منتشراً ، كمذهب ميترا ، فى جميع النواحى التى يسكنها الإيرانيون . وقد ظهر زردشت كنبى لهذا المذهب فى مكان ما من شرقى إيران . وعصر زردشت سابق على العصر الأكمينى . وقد وضع أساساً متيناً للمزدية التى جددها والتى نسميها باسمه « الزردشتية » ، وذلك فى « الـگاثات » وهى نوع من المواعظ النبوية المنظومة التى تحمل طابع شخصية تقية قوية راغبة فى أن تفهم الحقيقة وأن تناضل من أجلها .

وقد حارب بعنف مذهب عبادة الديوات ـــ وهو الاصطلاح الذى أطلق على آلهة الجماعات غير المزدية ـــ هـذه العبادات التى مارسها المؤمنون بها فى طقوس خمرية يثيرها شراب الهوما ـــ يقوده إلى ذلك رؤى رآها وهو فى حالة التجلى . وقد دعا إلى مزدا ، مزدا أهورا ، أهورا مزدا ، كإله لم يخرج من قبيـلة أو أمة ولـكنه خرج من الإنسانية كلها .

ص ٢٠ ـــ تحذف الفقرة الثانية ويوضع عوضاً عنها :

ولا تكوّن هـذه الأمشاسپندات الستة أو السبعة فى الـگاثات مجموعة خاصة .

وهنا نرى إلهين من آلهة ميترا هما سروشَ وآشى . ونرى صلات معينة تربط بين آلهة الـﮔاثات وقوى الطبيعة والعناصر ، من ذلك ظهور آرميتى كإله للأرض . ويرى نيبرج ، مع اعترافه بالجانب الطبيعى لهذه الآلهة ، فى الأسماء المجردة لآلهة الـﮔاثات ، كما هو الحال فى آلهة الميتريين مثل رشنو و سروشَ وغيرهما ، تعبيراً عن الوظائف الروحيـة أو العقلية لبعض الفرق الدينية والاجتماعية . ولـكن حينما يتحدث عن تحديد هذه الوظائف يغمض تأويله لها فى بعض الأحيان . ونيبرج حين يرفض القول بأنه كان للمؤمنين بالـﮔاثات ملـكة التفـكير فى المعنويات يعارض تماماً رأى لومل فى أن دين زردشت نوع من الفلسفة المستنيرة . ولا شك أن هناك نصيباً من الحقيقة فى نظرية نيبرج . فإن زردشت لم يكن فيلسوفاً ولـكن كان من العارفين . وقد ساهم فى حياة وفى تقاليد جماعة ربط بينها دين مزدا ، وكان يدرك فى تأملاته الصلة الوثيقة بين مصير الناس والقدرة الإلهية ، هـذه الصلة التى يتعذر علينا تحديد أوجهها المختلفة ، وقد قرّت فى نفسه فى تعبيرات روحانية عالية . ولـكن علينا أن نراعى أن الإيرانيين فى ذلك الوقت لم يكونوا قوماً بدائيين ، لقد ورثوا فى إقليم إيران مدنية قديمة يشهد بها ما كشف من آثار عصر ما قبـل التاريخ ، وإنى أميل إلى الاعتقاد أنه كان للاصطلاحات الروحية عنـد الإيرانيين فى ذلك الزمان ، فى طابعها الجماعى والاجتماعى ، قيمة خلقية « مجردة » وفردية .

والواقع أن صور الآلهة الـﮔاثية ليست إلا مسودة غامضة ، كما تبدو لنا اليوم ، ولـكنها لم تكن كذلك عند الإيرانيين أيام الـﮔاثات .

ولم يبق من القصص الدينى ، الذى أبقى هذه الآلهة حية ، غير قصة الألم والشكوى المنبعثين من روح الثور (يسنا ٢٩) ، وهى قصة إيرانية قديمة ترجمت فى قالب زردشتى .

ودئنا (دين) اصطلاح دينى أساسى . وعندى أن نيبرج قد اهتدى إلى حل لغز هذا اللفظ المبهم . فهذا اللفظ أطلق أولا على الروح العلوى للمؤمن ، ثم أطلق بعد ذلك على مجموعة الأرواح العلوية ، وهى الجماعة التى تتحد فى العقيدة ، أى جماعة

الزردشتية ، ومنها تطور المعنى العام للعقيدة التي عبر عنها بكلمة دين في النصوص الإيرانية في العهد الوسيط .

وقد وجد العالم الخبيث في مواجهـة العالم الطيب . وكما أن كل ما يتعلق بعالم الخير يتلخص في مفهوم آشَ ويعبر عنه بالصفة اشوان ، فقد خصص العالم الخبيث بالاصـطلاح المؤنث دروغ ، ومعناه تخريب النظم الطيبة بالباطل أو بعبارة أخرى بالـكذب الذي يجسم أحياناً في شيطان أنثى ، والصفة التي يعبر بها عنه هي دُروغونَت . ومن بين قوى الشر اِشِم (الغضب) و (القسوة) وهو أكثر قواه فعالية . وهذا الشيطان الذي يسيء إلى الناس والدواب ليس هو العدو الخاص بسروشَ ولـكنه أصبح كذلك في النصوص الأوستية الأحدث .

ولـكن التوازن الدقيق بين عالمي الخير والشر ، الذي يميز الأوستا الحديثة ، كان قد بدأ يظهر في الـگاثات . وكما أن دروغ هو خصم اشَ فإن اكَ مَنه « الفـكر الخبيث » هو خصم وُهُومَنه ، و اكَ مَنه أو انْرَمينو (أهريمن في اللغتين البهلوية والفارسـية الحديثة) — الروح الخبيث — خصم سپنتَ مينو (العقل القادر) . وبفعل هذين الروحين الأصليين ، التوأمين ، بدأ اختلاف النزعات في الدنيا .

ص ٢٢ — يضاف بعد السطر الأول :

كان هـذا السعي للتقريب بين المذاهب قد تم في الوقت الذي اقتصرت فيه الزردشتية على الأقاليم الشرقية من إيران . ثم امتد هذا التيار الديني إلى ميديا حيث رجال الدين فيها ، المغان ، دعاة غيورون . ولا نستطيع تحديد تاريخ ذلك ، ولـكن كان الميديون زردشتيين أيام دارا وخشـيارشا ، بينما كان إقليم فارس والأسرة الأكمينية يدينون بالمزدية غير الزردشتية(١) ، ومنـذ ذلك الحين وميديا هي مركز

(١) أحيل هنا على الأبحاث الجديدة التي عرضت إليها في بحثي الحديث عن : الفصل الأول من الونديداد والتاريخ البدائي للقبائل الإيرانية . ويقول نيبرج إن محاولة للتقريب بين المذاهب قد ظهرت بعد آخر مراحل مذهب زردشت .

الزردشتية التى تستوحى ، بعد تطورها الأخير ، أفكار طبقة المغان . وحين فقدت الزردشتية طلاوتها ، اختلطت من حيث الصياغة بديانة جافة ومتكلفة ، هى فى الوقت نفسه بعيدة عن التسامح . وقد وضعت مبادئ دقيقة لتنظيم حياة المؤمنين الذين كان عليهم أن يحافظوا على أنفسهم من شر شياطين وعفاريت مختلفة أطلق على كل منهم كلمة ديو (شيطان) ، وذكرت القيامة والحساب بالتفصيل . وبعد زردشت يولد ، من نطفة له مخبأة ، ثلاثة من المخلصين الجدد على ثلاث فترات كل فترة مقدارها ألف سنة . ويدل ظهور آخرهم ، وهو أَسْتْوَتْ أَرْتْ ، سوشيانت أى المخلص الأخص ، الذى يظهر بعد ثلاثة آلاف سنة من موت زردشت ، على نهاية العالم . حينئذ ، وبعد معركة فاصلة بين عالمى الخير والشر ، وبعد تطهير الأرض بالمعدن المذاب ، يظهر عهد جديد من الخير الأبدى الذى لا يتغير وهو المعروف بكلمة فرَشوكرَتى أى تبديل صورة الكون .

ص ٣٧ — يضاف بعد السطر ٥ بعد كلمة شيرين ، وتحذف كلمة « هو » من السطر ٨ :

والكتابة الكائنة فى نقش رستم المحفورة على الحائط الشرقى للمعبد الذى يسمى كعبة زردشت والذى يحتمل أن يكون بيت نار قديم ، والنقش الأول مكتوب ...

ص ٣٨ — يضاف قبل السطر ٣ :

والنقش البهلوى الساسانى فى كعبة زردشت الذى كشفته فى سنة ١٩٣٦ بعثة المعهد الشرقى فى شيكاجو التى كان يديرها اريك شميدت قد سجله شبرنلنج فى المجلة الأمريكية للغات السامية وآدابها (٥٣) ، ١٩٣٧ . وهناك نسخة أخرى من هذا النقش ضمن مقالة لهذا الأستاذ فى ZDMG ، (٩١) ص ٦٥ وما بعدها . والكاتب ينسب النقش إلى نرسى . وقد بينت فى بحثى فى مؤتمر المستشرقين (٢٠) الذى عقد فى بروكسل سنة ١٩٣٨ أن هذا النقش لسابور الأول . وقد أعد هذا البحث لينشر فى مجلد لذكرى وليمز جاكسون ، فى بمباى ، ولما يظهر . (حتى

سنة ١٩٤٤) . ثم إن مستر هننج فى مقال له بمجلة BSOS (٩) ، ص ٨٢٣ — ٤٩ ، أتى بأدلة قاطعة بأن النقش لسابور الأول . وقد جاء فى هذا النقش ، بعد تعداد لمدن الشام ، موجز لوصف الحرب بين هذا الملك والرومان وأسر الإمبراطور ڤاليرين . وقد عنى هننج عناية كبيرة بهذا القسم من النقش ، وهو تالف تلفاً شديداً لسوء الحظ . وفى القسم الأخير من النقش ، وهو سليم نسبياً ، وقد نشر جزء منه فى مقال هننج ، يعدد سابور بيوت النار التى أقامها تمجيداً لروحه ولأرواح آل بيته وجماعة من عظماء الدولة .

ص ٣٨ — يضاف إلى الكتابات الساسانية :

كتابة باللغتين (البهلوية الساسانية والبهلوية الأشكانية) على بناء سابور الأول فى مدينة شاهپور . گير شمان : مجلة الفنون الأسيوية (١٠) ، ص ١٢٣ — ٢٩ . وقارن Olaf Hansen فى ZDMG ، (٩٢) ، ١٩٣٨ ، ٤٤١ وما بعدها .

كتابة بهلوية ساسانية لسابور الأول على كعبة زردشت ، نقش رستم . شپرنلنج ، فى المجلة الأمريكية للغات السامية وآدابها ، (٥٣) ، رقم ٢ ، ص ١٢٦ — ٤٤ ؛ ZDMG ، (٩١) ، ص ٦٥٢ — ٧٢ ؛ هننج فى BSOS ، (٩) ، ص ٨٢٣ — ٤٩ .

ص ٣٩ — يضاف قبل السطر ١٧ :

كتابة فى كنيش دورا . پاليارو : .. The Pehlevi Dipinti ، حفائر دورا ، الموسم السادس ، مطبعة جامعة Yale ، ١٩٣٦ .

بردى . Olaf Hansen (Abh. Pr. Ak.) ، ١٩٣٧ .

ص ٥٥ — يضاف إلى الفقرة الأولى سطر ٧ :

ويرى جوتشمد أن هذا الكتاب هو تاج نامه نفسه . وقد قبل هذا الرأى ، المحتمل كثيراً ، كل من اينسترنتزف وشيدر . ويقول أولها إن روايات الكتب العربية والفارسية عن ارتقاء الملوك الساسانيين للعرش منقولة عن هذا الكتاب .

ص ٥٥ — يضاف إلى السطر ١١ بعد كلمة أرجان :

بقلعة شيز (جص) . ويربط ابنسترنتزف هذه الملاحظة بكتاب التاج .

الفصل الأول :

ص ٧٦ — يضاف بعد كلمة الأشكانيين فى السطر ٢ :

بعد أن أخضع بابل . وقد توّج فى حفل علنى سنة ٢٢٦ ولقب بلقب شاهنشاه إيران .

وتحذف بقية الفقرة .

ص ٧٧ — يضاف فى آخر الفقرة الأولى بعد كلمة الكوشانيين :

وقد هاجم أردشير مدينة دورا سنة ٢٣٨ .

الفصل الثانى :

ص ٨٧ — يضاف إلى الحاشية (١) ما جاء فى الحاشية الإضافية ص ٥٠٧ .

ص ١١٨ — يضاف بعد الفقرة الأولى :

ويظهر فى نقش كعبة زردشت ، (١) ، ٣٤ ، « وازار بد » أي رئيس السوق .
وحذف ما جاء بعد كلمة الجمال من هذه الفقرة .

ص ١٢٧ — تضاف فقرة جديدة :

وفى العقود الأولى من القرن الخامس عين پاذگوسپان تحت رياسة الإصبهبذ .
وكان يزدگشنسپ پاذگوسپان أيام بهرام الخامس .

الفصل الثالث :

ص ١٣٢ — تزاد حاشية فوق كلمة الثامن سطر ١٣ :

ويرى نيبرج (Rel ، ص ٨ — ١٤ و ٤٢٦ — ٢٩) أن شريعة زردشت كانت تتناوب دائما شفويا بين رجال الدين . ويرجع سطر هذه الشريعة إلى منافسة الأديان الأجنبية لها (اليهودية والمسيحية والمانوية بوجه خاص) ، تلك الأديان التى كانت لها كتب . وهذا النص الأوسق لم تكن له أبداً مناعة حقيقة ؛ ويختم نيبرج رأيه هذا بقوله : إنه من أجل هذا نسيت النسوك الساسانية .

ص ١٣٨ — تضاف حاشية عند كلة العظيمين سطر ١١ :

هناك تأويل آخر عند نيبرج ، Rel ، ص ١٠٢ وما بعدها .

ص ١٣٩ — تضاف حاشية عند كلة ساد سطر ١ :

ويرى نيبرج (Rel ، ص ٣٨٨) أن الزروانية هى المذهب القديم الذى اعتنقه المجوس فى ميديا قبل أن يصبحوا زردشتيين .

ص ١٤٢ — يضاف إلى الحاشية (٥) :

وقد أضاف نيبرج بعض التعديلات بعد ذلك . فهو يذهب الآن (Rel ، ص ٣٨٣) إلى أن الألقاب : ارشوقار و فرشوقار ومرشوقار (وآخرها هو زروقار فى التثليث الزروانى) تنطبق على ورثراغنا وتتعلق به أصلا (يشت ١٤ ، ٢٨) ، وأنها نقلت بواسطة مجوس ميديا فصارت زروان الذى هو من بعض الوجوه ، فى رأى نيبرج ، معادل ميدى لورثراغنا فى شرقى إيران .

ص ١٤٤ — يضاف إلى الحاشية (٢) :

وقد تناول Wikander هذه الإلهة فى كتابه « Vayo » ، اوپسالا ، ١٩٤١ .

ص ١٥١ — يضاف إلى الحاشية (١) :

ويرى شپرنلنج (المجلة الأمريكية للغات السامية وآدابها ، ١٩٣٧ ، ص ١٤٠) أن كعبة زردشت ، حيث كشف نقش پهلوى اسابور الأول ، هى بيت النار الشهير فى اصطخر (الأناهيذ) . ولكن النقش نفسه لا يؤيد هذا الرأى . وهذا البيت

مصور على وجه بعض النقود المنسوبة إلى بعض الولاة السابقين على الساسانيين . (رسم ٤ ، انظر إردمن Feuerheiligtum ، ص ٢٠ ، ٣٢) .

ص ١٥١ — تحت رسم يكتب الآتى :

كعبة زردشت مصورة . . بدلا من كلة بيت نار مرسوم . . .

ص ١٥١ — تضاف حاشية عند كلة ضخم فى السطر الأخير :

انظر الخاتم المصور فى پا يكولى لهرتسفيلد ص ٧٧ .

ص ١٥٢ — تضاف العبارة الآتية بعد كلة النقود فى السطر ٤ :

ونقش شاهپور الذى يرجع إلى عصرى أردشير الأول وسابور الأول ، حسب « نار » هذين الملكين يشرح لنا هذا : كل ملك ، فى مناسبة تتويجه ، يشيد بيت نار ليصبح شعاراً لعهده .

وبجانب النار الملكية ، كانت هناك نار البيت ونيران بيوت النار فى الأقاليم ، وكانت تسمى آذران و ورهران (وهرام) . ويبدو أنه قرب نهاية العصر الساسانى كانت آذران نار القرى الصغيرة بينما كانت نار وهرام نار البلاد الأكبر منها .

ثم أضيفت حاشيتان فوق كل من الكلمتين الأخيرتين فى الفقرتين السابقتين : فعن الأولى جاء فى الحاشية :

كريستنسن فى مقال گيرشمان فى مجلة الفنون الأسيوية ، (١٠) ، ص ١٢٧ .
وعن الثانية جاء فى الحاشية :

وانظر تاڤاديا فى أرشيف علم الأديان ، (٣٦) ، ص ٢٥٦ وما بعدها .

وذلك عن نقل نار البيت إلى نار آذران ، ونقل هذه إلى بيت نار وهرام . وقارن بنڤنست فى Vrtra et Vrthragna (باريس ١٩٣٤) ، ص ٣٩ ، ٧٢ .

ص ١٥٤ — يضاف إلى الحاشية (١) :

وقد قارن بيلى (BSOS ، (٩) ، ص ٢٣٢) الـكلمة الفارسية برنا مع اللفظ الإيرانى القديم ابرنايو ، وذلك ليبقى مقطع — رن — فى فرنبغ .

ص ١٥٤ — تضاف حاشية عن كلمة سرساوغ سطر ٨ :

والصيغة الصحيحة للـكلمة مشكوك فيها .

ص ١٥٦ — يضاف إلى الحاشية (٣) :

قارن اردمن ، Feuerheiligtum ، ص ٤٩ .

ص ١٥٨ — يضاف بعد كلمة الأشكانيين فى السطر ٣ :

والحفائر التى عملت فى شاهپور فى السنوات ١٩٣٥ وما بعدها بإشراف گيرشمان قد كشفت عن بيت نار يحتمل أن يكون من عصر سابور الأول . وقد بحثت خرائب بيوت نار أخرى ووصفت فى السنوات الأخيرة ، وهى بيوت نار أردشير الأول فى فيروز آباد وخرائب المعابد التى كانت فى قصر شيرين (على طريق خانقين وكرمانشاه) ، وفى جيره فى منطقة شاهپور بقرب قم (قلعهٔ دختر) ، ومعابد أخرى . وكان بيت النار مقبباً فى العادة ، يلحق به أجنحة وغالباً ما يكون له حديقة . وقد اشتهرت خرائب معبد فوق ربوة قرب إصفهان .

وهذه الفقرة بدلا من الجملة التى تبدأ بكلمة ، ويرى ، وتنتهى بأردشير خوره فى صفحة ١٥٩ .

وأضيفت الحواشى التالية فوق كلمات من هذه الفقرة :

فوق كلمة سابور الأول :

مجلة الفنون الأسيوية ، (١٠) ، ص ١٧٧ وما بعدها و (١٢) ، ص ١٢ وما بعدها .

وفوق كلمة حديقة :

ويرجع بيت النار الذى كشف فى كوه خواجه بسيستان إلى العصر الأشكانى .

انظر هرتسفيلد Arch. Hist ، ص ٧٦ وما بعدها ؛ اردمن ص ٣٥ وما بعدها .

ص ١٥٨ — يضاف إلى الحاشية (٢) ، قبل كلمة ذكرت :

وقد عدد الكارنامك فى الجزء ٤ فقرة ٨ ، ١٩ نيران وهرام التى شيدها أردشير الأول .

ص ١٥٨ — يضاف إلى الحاشية (٣) :

وقد أخفت خرائب الآثار الإسلامية بقايا بيت النار . انظر آثار إيران ، ج ٢ ، ص ١٦٤ — ٦٥ ، وجزء ٣ ، ص ٦٠ — ١ . والجزء الثالث من هذه المجموعة خاص ببيوت النار فى إيران ؛ والجزء الأول Cult Buildings, Survey ، (رويتر) .

ص ١٥٨ — تضاف حاشية فوق كلمة إصفهان فى السطر ٤ :

نيبرج ، متون التقويم المزدى . جامعه أوبسالا ، سنة ١٩٣٤ .

ص ١٦١ — تغير الفقرة الثانية بعد كلمة اوهرمزد سطر ٨ إلى :

ويرى نيبرج أنه كان فى العصر الساسانى ثلاثة تقاويم :

١ — التقويم القمرى (٣٥٥ أو ٣٥٣ يوماً ، وكل شهر ستة أسابيع وكل أسبوع خمسة أيام) ، وهو تقويم قديم سار عليه المانوية من غير الإيرانيين .

٢ — تقويم مدنى ورسمى يسمى روژ وهيژگيه وهو التقويم الشمسى (١٢ شهراً + الأيام الخمسة المسترقة) . وفى هذا التقويم أهمل ربع يوم (ست ساعات) علاوة على كل ٣٦٥ يوماً ، مما أدى إلى أن يتأخر رأس السنة يوماً كل أربع سنوات .

٣ — التقويم الدينى المسمى وهيژگيه ، ويستند إلى السنة الشمسية أيضاً

(١٢ شهراً + الأيام الخمسة المسترقة ، ويضاف إليه سنة ، من الناحية النظرية على الأقل ، كل ١٢٠ سنة) .

والأيام المسترقة التي كانت في التقويمين الثاني والثالث تضـاف على آخر شهور السنة قد أضيفت إلى جميع شهور السنة في التقويم المدني ، لأن السنة المدنية كانت أقصر من السنة النجومية .

وأضيفت حاشية فوق كلمة نيبرج من هذه الفقرة :

نيبرج : متون التقويم المزدي ، ص ٨٣ وما بعدها . وقارن هجنز : الحروب الفارسية في عهد الملك موريس ، الفصل الأول عن مختصر لتاريخ التقويم الفارسي في العصر الساساني . و H. Lewy : التقويم الفارسي ، في AO ، (١٠) ، الفصلتين ١ ، ٢ . وتقي زاده في ZDMG ، ١٩٣٧ ، ص ٦٧٣ — ٧٩ ، BSOS ، (٩) ، ص ١٢٥ وما بعدها ، AO ، (١٨) ، ص ٢٥٨ — ٣١١ ، گاه شماري در إيران قديم ، بالفارسية طهران ، ١٩٢٨ .

ص ١٦١ — يضاف بعد كلمة الأعياد سطر ١٦ :

ويشير البيروني إلى طريقة الـكبس في التقويم الديني ، ولـكنه من الناحية العملية لم يعرف التقويم المدني (نيبرج ص ٨٦) .

ص ١٦٣ — أضيفت حاشية فوق كلمة لأهمها سطر ٩ :

قارن نيبرج : متون التقويم المزدي ، ص ٤٨ وما بعدها .

ص ١٦٨ — يضاف بعد الـكلمة الأولى من سطر ١ :

وقد جاء في الـكارنامك أن الملـكين أردشير وأردوان كانا دائما يستشيران في ساعات السمرة الحـكماء ومعبري الرؤى والمنجمين .

وأضيفت فوق كلمة المنجمين حاشية :

كان فى دورا كثير من كتب الطالع . انظر روستوڤتزف : Carawan Cities ، ص ٢٠٧ ؛ دورا وصناعاتها ص ٦٠ — ٦١ .

الفصل الرابع :

ص ١٦٩ — يضاف إلى آخر الفقرة الأولى :

وهناك نقش بارز آخر فى نقش رجب يمثل سابور ممتطيا الحصان ومن خلفه عظماء الدولة .

ص ١٧٧ — يضاف إلى آخر الفقرة الأولى :

وبعبارة أخرى فإن النفس النورانيـة تظهر فى دور عيسى النورانى ، أو أن النفس تنتقل إلى البشر بواسطة عيسى النورانى .

ص ١٧٨ — يعدل الجدول على النحو التالى بعد كلمة الأشخاص سطر ٢ :

وبعد الأبحاث الأخيرة (وخاصة أبحاث يلوتسكى فى Pauly-Wissova) رسم شيدر[١] القائمة التالية عن آلهة النور :

دولة النور :

العظيم الأول

أثير النور مع أيوناته الخمسة

أرض النور والعناصر النورانية الخمسة (= الروح الحى)

١ — الدورة الأولى للخلق :

أم الحياة (تبديل للروح الأعظم)

الإنسان الأول (مع العناصر النورانية الخمسة كبنيه أو كألبسته)

٢ — الدورة الثانية للخلق :

(١) مورجنلند ، ٢٨ ، ص ١٠٩

أصدقاء النور

البان الأعظم

روح الحياة مع الآلهة الخمسة المعينة

خوى الحياة (المخلوق من « نداء » روح الحياة و « جواب » الإنسان الأول) .

٣ — الدورة الثالثة للخلق :

(ا) مساعدو الشمس

البشير الثالث

عذارى النور الإثنتا عشرة

عمود المجد

(ب) مساعدو القمر

عيسى النورانى (مع عيسى الطفل[1])

البتول النورانية

النفس النورانية

ص ١٨٧ — يضاف بعد الرقم ٢٧٦ سطر ٣ :

قرب نهاية عهد بهرام الأول .

ص ١٨٨ — يضاف إلى الحاشية رقم (٣) :

ذكر هننج فى بحثه عن الدعاء والاعتراف ص ٣٠ — ٣٢ أسماء كتاب التراتيل المانوية مع توضيحات عن ألحانها .

---

(١) عيسى الطفل هو نفسه عيسى النوراني وقد تركه هذا على الأرض (مورجنلند ، ٢٨ ، ص١٠٧ .

ص ١٩٠ — يضاف على السطر السادس :

وقد نشر هننج نصاً لصلاة الاعتراف للصديقين باللغة الصغدية .

ص ١٩٠ — يضاف على الحاشية (٢) :

شيدر ، مورجنلند ، ٢٨ ، ص ١٠٤ — ٦ .

الفصل الخامس :

ص ٢١٣ — يضاف بعد الفقرة الأولى :

وقد كشفت حفائر شاهپور عن خرائب قصر سابور الأول الواقع بجانب بيت النار ، وعن بناء آخر نذر بناءه هذا الملك (وبه نقش مدينة شاهپور) . والبناء وجميع معالم الزخرفة فى القصر ترجع كلها إلى الفن الهلليني ، وهذا يثير العجب لوقوع هذه المنشآت فى قلب إقليم فارس ، مهد الدولة الساسانية ، وهو حسب الرأى السائد حتى اليوم ، من أقل الجهات تأثراً بالمؤثرات الغربية ، بل كان على العكس من أشدها تمسكا بالتقاليد الوطنية فى ميدانى الدين والفنون .

گيرشمان ، مجلة الفنون الأسيوية ، ١٢ ، ص ١٢ — ١٨)

ص ٢١٥ — يضاف قبل الفقرة الثالثة سطر ١١ :

وجاء فى نقش كعبة زردشت ذكر سيدة اسمها آذر أناهيذ ولقبها بانبشنان بانبش (ملكة الملكات) ، وكانت فيما يبدو ، زوجا لسابور الأول . ويذكرنا اسم هذه الملكة بما كان بين الأسرة الساسانية وبين نار الأناهيذ باصطخر من وثيق الصلات .

هننج ، BSOS ، (٩) ، ٨٤٦ — ٨٤٧ .

ص ٢١٥ — يضاف على السطر ١٢ :

وهرمزد الذى كان يسمى قبل ارتقائه العرش هرمزد أردشير (كعبة زردشت

١ ، ٢٢) هو منشئ مدينة هرمزد أردشير التى سميت سوق الأهواز فيما بعد ، فى خوزستان .

هننج ، BSOS ، (٩) ، ٨٤٦ — ٨٤٨ .

الفصل السادس :

ص ٢٥٦ — حاشية فوق كلمة الممتازة سطر ١٦ :

أما عن إصلاحات يزدگرد الأول للتقويم ، وهو ما تحدث عنه البيرونى ، فانظر نيبرج ، Rel ، ص ٤١ — ٤٤ . وكان التقويم قد اضطرب لعدم إضافة الأيام المسترقة ، فأمر يزدگرد فى عيد عام أن يضاف شهران على سبيل الاستثناء إلى سنة واحدة (٤٠١ ؟) .

ص ٢٧٠ — يضاف إلى الفقرة الثانية :

ولكن صحة رواية إليزه مشكوك فيها ، ذلك أن أكنيان يقول إن نص إليزه ، كما هو اليوم ، تحريف لرواية أصلية موضوعها الحرب الأرمينية سنة ٥٧٢ ، وما نسبه إليزه ليزدگرد الثانى كان أصلا من أعمال كسرى الأول .

أكنيان ، ١ ، ص ٣٧٥ — ٣٧٦ .

الفصل السابع :

ص ٣٢٠ — يضاف إلى حاشية ٨ :

وذكر بارتولومويه فى WZKM ، ٢٧ ، ص ٣٤٧ وما بعدها التفصيلات الخاصة بمعاملة الرقيق وتحريم بيعهم إلى من لا يدينون بدين الدولة ، وهى القاعدة المتبعة فى حالة رقيق (مسيحى) هارب اتبع دين زردشت . وذلك نقلا عن كتاب ماذيگان هزار داذستان .

ص ٣٢٤ — يضاف إلى الحاشية (٥) :

ومن رأى تاڤاديا الذى يوافق على ماذهب إليه هرتل ، « انظر ص ١٩ هنا » ، أن المعنى الحقيقى للاصطلاح « ويه — دين » هو ، فى الأصل ، دين النور . (دراسات هندية وإرانية ، مقدم إلى ولهلم گيگر ، ص ٢٤٥ وما بعدها وصور سخون ص ٥٠) ومهما يكن فإن معنى الاصطلاح ، فى العصر الساسانى ، الدين الطيب .

ص ٣٥٤ — تضاف الحاشية الآتية فوق كلمة السياسيجيين سطر ١٠ :

وقد تناول هذا المطلب كتاب آخرون من العرب . ويقول كرامرز بعد مقابلة الأشكال المختلفة للكلمة لتصحيحها : إن لفظ السياسيجيين غلط وصحته النشاستجيين أو النشاستكين ، والأصل البهلوى له نشاستكان بمعنى المحاربين المقيمين كحامية (دراسات هندية وإرانيه ، مقدم لسير جورج جريرسون ، BSOS ، ١٩٣٦ ، ص ٦١٣ وما بعدها) .

ص ٣٥٤ — تضاف حاشية فوق سغديل سطر ١٢ :

قارن مينورسكى JA ، ص ١٩٣٠ ، ٥٧ .

ص ٣٥٦ — يضاف إلى الحاشية (٥) :

وكنت أظن قبل ذلك (طبعة ١٩٣٦ ، ص ٣٦٧) أن المقصود فى هذه العبارة هم الإصبهبذون الأربعة ، ولكنى أوافق على ماذهب إليه شتين (Le musèon ، ١٩٤٠ ، ص ١٣٠) من أن أصحاب الثغور هم المرازبة الكبار الذين كانوا رغم خضوعهم للاصبهبذين يحتفظون بلقب شاه . وقد استخدم صاحب « النهاية » ص ٢٢٧ ، اصطلاح المرزبان وهو يتحدث عن حاكم إقليم ألان وخزر . ثم إن هناك اشتباها فى رواية كتاب تنسر ، فنص دار مستتر يذكر مرازبة الأقاليم الثلاثة الأولى ويغفل مرزبان الإقليم الرابع ، ونص مينوى يذكر مرزبان كابل ولكن من الجلى أن كابل لاتمثل ولاية الجنوب .

الفصل التاسع :

ص ٤٢٨ — تضاف حاشية فوق كلمة الضحى سطر ٤ :

أنظر هجنز : حرب الفرس مع الملك موريس ، الفصل الثانى عن حوادث سنوات ٥٨٨ — ٥٩٠ .

ص ٤٣١ — تضاف حاشية فوق كلمة الأكينيين فى السطر ١ :

ويرجع تاريخ البردى البهلوى الذى وجد فى مصر إلى عهد الاحتلال الفارسى ، ٦١٩ — ٦٢٩ . وهذا البردى موجود الآن فى مكتبات برلين وڤينا وموسكو وستراسبورج وجوتنجن وأكسفورد .

ص ٤٣٩ — السطر ٥ :

يحذف هذا السطر ويكتب بدله : يظهر أنها كانت بيت نار .

ثم تضاف الفقرة التالية بعد السطر ٥ :

وقد كشفت بعثات الحفائر فى السنوات العشر الأخيرة فى البلاد التى كان يظلها الحكم الساسانى كثيراً من العمائر التى ترجع إلى ذلك العهد . ففى دامغان كشفت البعثة المشتركة لكل من University museum ومتحف بنسلڤانيا قصراً ساسانياً وفى ناحية بابل قامت بعثة حفائر Oxford Field Expedition بحفائر هامة ، وأوضحت أن كل الأراضى بين الفرات ودجلة ، تلك الأراضى التى كانت تروى حينذاك على نحو يؤدى إلى خصوبة كاملة ، كان مشيداً عليها بلاد ساسانية . ونجحت هذه البعثات فى كشف قصور وبيوت ساسانية فى نواحى كيش القديمة ، كما وجدت قصراً أكبر فى الصحراء على مسافة عشرين ميلا إنجليزياً من ضواحى كيش .

ونشر Upham Pope ، فى مقالة له فى مجلة الفن ، (١٥) ، رقم ١ ، شيكاجو ١٩٣٣ ، صورة هامة جداً لقصر صيفى على لوحة من البرنز محفوظة فى متحف برلين ويرجع تاريخها إلى القرن السادس أو إلى أوائل القرن السابع . وهـذا القصر

صيفى صغير ، بسيط التكوين ، دقيق الزينة ، له خمس قباب (منها ثلاث مرئية) تحملها أعمدة ممشوقة تذكر بأعمدة القصور الصفوية فى إصفهان . والجزء الداخلى من الوجهة مزين بصور أصص الورد وأشجار النخيل المتناسقة ومن فوقها طيقان بارزة على نمط طيقان كسرى ، وفى وسطها محراب كامل ، سابق على العصر الإسلامى ، مدبب الطراز ، وفيه بيت النار على هيئة عمود كما هو الحال فى النقود الساسانية .

ص ٤٦٢ — يضاف إلى الحاشية (١) :

Survey ، ٤ ، ٢١٤ . وذلك على خلاف اردمن الذى ينسب هذا الكأس ، كنقوش طاق البستان ، إلى فيروز . ويبدى هرتسفيلد ، من جديد اقتناعه بأن الكأس يمثل كسرى پرويز فى الصيد .

الملحق ١ :

ص ٤٩٧ — حذفت بقية الفقرة بعد سطر ٢٠ وكتب بدلها :

ولكن هذه الفقرة يمكن أن تترجم كذلك كالتالى :

« لأن التعاليم الضارة لزردشت ليست مكتوبة بحروف مفهومة » ، ومن هذا نستطيع أن نقول إنها ليست مكتوبة بحروف يستطيع كافة الناس قراءتها . وهكذا تفقد أدلة الأب ناو على نظريته كل قيمتها .

ومن ناحية أخرى قد يكون لنيبرج حق فى القول بأن الأوستا المسطورة لم يكن لها شأن يذكر فى الحياة العملية ، وأنه لم يكن منها سوى نسختين أو ثلاث كانت مودعة فى المراكز الدينية والسياسية الهامة فى المملكة ، كنسخ رسمية .

وأثناء مراجعة أصول الكتاب وقت الطبع عرفت أن Bailey أصدر كتاباً عن مشاكل زردشتية فى كتب القرن التاسع ، (اكسفورد ١٩٤٣) ، وتناول المؤلف موضوع تداول الأوستا ، ومن رأيه أنها لم تتداول كتابة إلا حوالى القرن السادس الميلادى ، وأن اكتشاف الألفباء الأوستية يعود إلى هذه الفترة .

الملحق ٢ :

ص ٤٩٨ — تغير الفقرة الأولى على النحو التالى :

درس شتين فى مقال له بعنوان : فصل فى أحوال دولتى إيران وبيزنطة ، الصلات بين نظم الدولة الفارسية فى القرن السادس ونظم الدولة البيزنطية فى القرن السابع . ففيما يتعلق بفارس فإن الكاتب ، مستندا إلى القوائم الثلاث الخاصة بأكبر موظفى الدولة والتى ذكرتها فى كتابى «الإمبراطورية الساسانية» سنة ١٩١٠ ص ٣٠ — ٣١ ، قد بين أن هذه القوائم ترجع إلى ثلاثة عصور مختلفة مما يتيح لنا أن نميز خطوات الإصلاح الإدارى التى تمت فى القرن السادس . وقد تناول الملحق الثانى من طبعة ١٩٣٦ لهذا الكتاب نتائج بحث شتين التى كنت أراها سليمة من حيث الأساس دون أن أقتنع بقبول جميع تفاصيل هذا الرأى عن وضع المرازبة والإصبهبذين والباذكوسپانين بالنسبة لبعضهم البعض ، ولذلك حاولت أن أجد مخرجاً آخر لهذه القضية المشكلة .

ثم إن شتين فى نقد له لكتابى هذا — (Le Museon ، جزء ٥٣ ، ١٩٤٠ ، ص ١٢٣ — ٣٣) لم يصلنى بسبب الظروف القائمة (الحرب) إلا قبيل إنجاز هذه الطبعة — قد أعاد النظر فى هذا الباب ليدرسه فى دقة ، ولذلك فإنى بعد أن اطلعت على الأدلة الجديدة التى أتى بها أتفق معه تماماً فيما ذهب إليه من رأى .

ص ٥٠٠ — يشطب ما جاء بعد كلمة فقط فى الفقرة الأولى سطر ٣ حتى آخر هذه الفقرة .

ص ٥٠١ — سطر ٩ :

يشطب « يقول الكاتب عنهم أنهم » .

ص ٥٠١ — يضاف الآتى بعد السطر ١٠ ، ويحذف ما جاء فى السطر ١١ إلى آخر السطر ٥ من صفحة ٥٠٣ :

ومدار أبحاث شتين هى الشبه الدقيق بين النظم الإيرانية ونظم الإمبراطورية البيزنطية . فالابتكارات الإدارية فى إحدى الدولتين كانت تطبق فى الأخرى ، فإعادة تنظيم الإمبراطورية البيزنطية فى القرن السابع مبنية على ما تم فى دولة فارس فى القرن السادس (رغم أنها كانت فى الأولى أكثر فاعلية منها فى الثانية) . والأسس الاقتصادية والاجتماعية للجيش الإيرانى الجديد التى أدخلها كسرى أنو شروان مبنية بغير شك على ما أدخله هرقل على الجيش البيزنطى الجديد . فالإصبهبذون الأربعة فى نظام كسرى هم نظائر للقادة الذين شغلوا أرفع مناصب الدولة فى بيزنطة . والمرازبة العظام الذين كانوا ينوبون عن الإصبهبذين هم نظائر لنواب القادة فى تنظيم هرقل للدولة البيزنطية . ثم إن إضعاف شأن البزرگ فرمادار يشبه ما جرى لرئيس الحكام — قاضى القضاة — فى بيزنطة .

ومن العجيب أن نرى أن البزرگ فرمادار لا يذكر بين الأربعة الكبار الذين قارنهم مزدك بقواه الأربع ، فإن هذا المصلح قد اختار من بين عظماء الدولة من يتم بهم أتم التوازن مع قواه المعنوية .

وعدا النصوص المأخوذة عن اليعقوبى والمسعودى يوجد نصان أحدهما بهلوى والآخر فارسى ، فيهما بيانات عن ترتيب مقامات أصحاب المناصب الرفيعة فى الدولة الساسانية .

والنص البهلوى هو « حديث المائدة » الذى تمثل فقراته ٩ — ١٤ قائمة تبدأ بالشاهنشاه نفسه ثم پوس ويسپور (ولى العهد) ثم البزرگ فرمادار ثم الإصبهبذين الأربعة (وقد سقط إصبهبذ الشمال ولعل هذا من الناسخ) ثم الدادور داد وران (قاضى القضاة) والمغان اندرزبد (= موبدان موبد) . وجاء فى الفقرة ١١ أن البزرگ فرمادار « عظيم فى عظمته ، قوى فى قوته ، وهو عظيم وطيب مع الرعية » .

إلى أى عصر نرجع هذه القائمة التى تضع البزرگ فرمادار فى المقام الأول بعد أفراد الأسرة المالكة ، وتضع الموبدان موبد فى آخر مقام ؟ .

إن الإشارة إلى الإصبهبذين الأربعة تبين أن القائمة لا يمكن أن تكون سابقة على عصر كسرى الأول . ويرى شتين أنها أحدث كذلك من قائمة مروج الذهب . وأريد أولا أن أحدد تاريخ هـذه القائمة فى الفترة بين إدخال نظام الإصبهبذين الأربعة والتعديل الذى أدخله كسرى أنو شروان بتقليل اختصاصات البزرگ فرمادار ، وهو التعديل الذى سأتناوله فى الحديث عن النص الفارسى فيما بعد .

ولكن شتين يقول إن البزرگ فرمادار ظل دائماً كبير الوزراء . والواقع أنه يبدو أن الحط من شأن الموبدان موبد يحدد تاريخ النص بالعصر الأخير للدولة الساسانية حين أخذت الفوضى فى المزيد . ونص « سورسخون » عامة لا يخالف هذا التصور .

والنص الثانى ، الفارسى ، هو فقرة من فارسنامه (٩١ — ٩٢) ، وهى فقرة غامضة لسوء الحظ . وها هو نص هـذه الفقرة التى أخذت بالتحقيق عن مصدر پهلوى ومعها شروحى :

ص ٥٠٥ — يضاف بعد كلمة بنفسه فى السطر ١١ :

وقد قال شتين بحق ، معلقاً على هذا النص فى نقده (Le muséon ، ١٩٤٠ ، ص ١٣١ — ٣٢) إنه لا يبين أن كسرى الأول قد حدّ من اختصاصات كبير الوزراء لصالح الثلاثة الآخرين ، وإنما يبدو أنه احتفظ لنفسه بحق تعيين ثلاثة من كبار الموظفين الملحقين بالبزرگ فرمادار ، وأنه منحهم حق رفع التقارير والمقترحات مباشرة إليه فيما يتعلق بأعمال وزاراتهم .

ووظيفة « النائب » ، عند شتين ، كانت أقرب شىء إلى وكيل الوزارة ، وهو لا يرى أن « الكاتب الأكبر » هو الإيران دبيربذ (الذى يشبه إلى حد ما سادن

القصر المقدس ويشبه أيضاً ياور الحكام فى الدولة الرومانيـة الأخيرة) ، ولـكنه قد يكون نوعاً من رئيس الـكتاب أو كبير المؤدبين . ثم يقول شتين إن تعيينه لم يكن فى يد الأستبذ (رئيس التشريفات) ولـكن كان فى يد البزرگ فرمادار .

ومهما يكن فإن شتين يصر ، وهذا هو المهم ، على أن نص فارسنامه يبين أن إضعاف مركز البزرگ فرمادار ، بعد الانتقاص من اختصاصاته أيام قباد الأول ، قد استمر أيام كسرى أنوشروان ، ولـكنه فى هذه المرة تناول الإدارات التابعة له .